القس منسى يوحنا

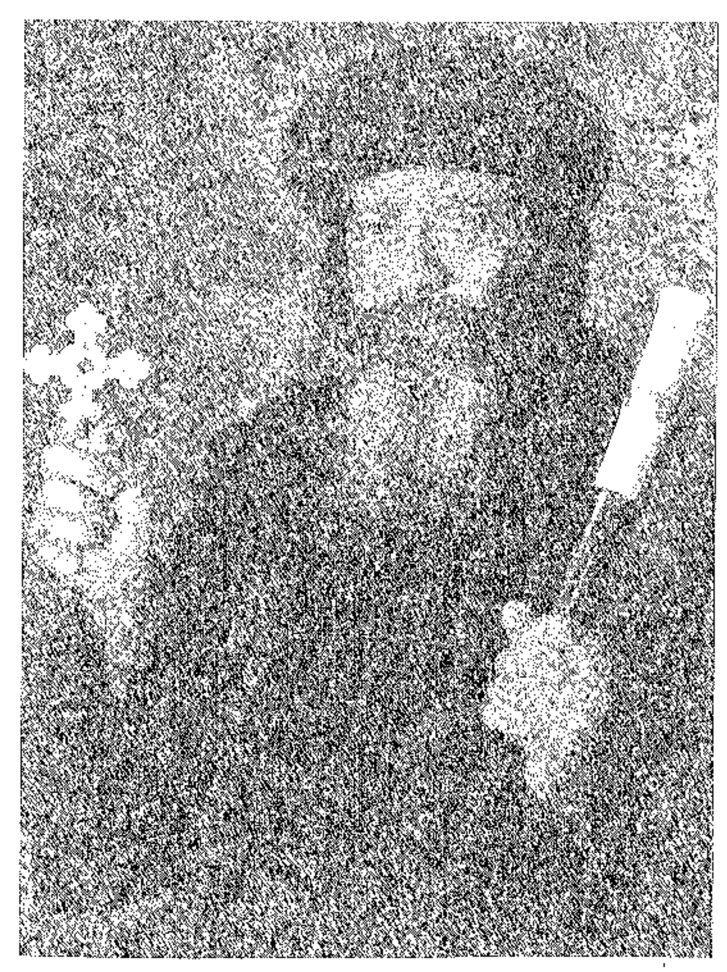
تاريخ الكنيسة القبطية

مكتبة المحبة

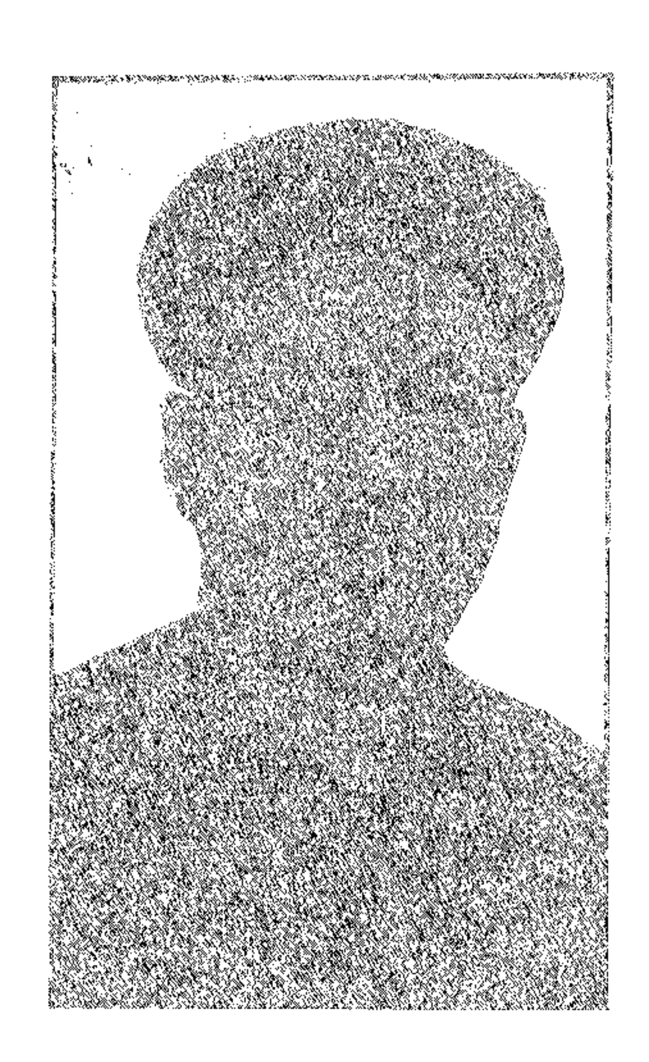
تاريخ
الكنيسة القبطية

تأليف
المتنيح القس منسى يوحنا





قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



المتنيح القس متى يوحنا

فهرس كتاب
« تاريخ الكنيسة القبطية »

كلمة عن المؤلف
نيح الله نفسه

ولد الفقيد العزيز سنة ١٨٩٩ بناحية هور مركز ملوى من أبوين مسيحيين تقيين كريمى المحتد عريقى النسب ، ومات أبوه وهو فى سن الطفولة فعنيت أمه بتربيته تحت رعاية جده الوقور ونظرا لما كانت عليه رحمها الله من الصلاح والورع والحكمة وكرم النفس والبر بالفقراء والمساكين والعطف على الارامل واليتامى والمجربين فقد تشرب الفقيد منها هذه السجايا الحميدة وترعرع فى كنفها ونما فى أحضان الفضل والتقى وخصه الله فوق ذلك بذكاء حاد وعقل راجح وفكر ثاقب .

وكان حبه لكنيسته الارثوذكسية غريزة متأصلة فى نفسه وبلغت شدة تعلقه بها أنه الم بالكثير مما يتلى فيها وهو طالب بالمدارس الابتدائية ولم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من العمر . ثم دفعته غيرته على تقدم الكنيسة ونمائها على ان يكرس حياته لخدمتها فالتحق بالمدرسة الاكليريكية وهو فى السادسة عشرة من عمره بعد تردد مديرها فى قبوله لصغر سنه وللزعم بانه وهو فى هذه السن لايقوى على تحمل أعباء الدراسة بها . ولكن ما ان مرت بضعة شهور على وجوده بالمدرسة المذكورة حتى أصبح موضع أعجاب مديرها واساتذتها لما اظهره من النبوغ الفائق واستمر كل سنى الدراسة فيها متفوقا على اقرانه مضرب المثل بينهم فى نبل الاخلاق وعلو الهمة وقوة الارادة وشدة العزيمة واصالة الرأى . ولم يكن يكتفى بما يتلقاه فى المدرسة من الدروس المقررة بل كان يحصل على كل مفيد من الكتب الكنسية ومن مؤلفات العلماء اللاهوتيين والمؤرخين و يدرسها بعناية تامة فاتسعت بذلك مداركه وكثرت معلوماته وعظمت ثقافته .

ولما أن تخرج من المدرسة الاكليريكية عين واعظا لكنيسة ملوى القبطية فقوبل فيها بادىء ذى بدء مقابلة شاب فى العشرين من عمره ولكن سرعان ما وجد فيه شعبها واعظا تقيا قديرا ومعلما فاضلا حكيما ومرشدا صالحا أمينا فأحبه جميع أفراد الشعب حبا جما وأنزلوه أحسن منزلة فى نفوسهم . وأن أنس لا أنسى موقفهم الرائع حينما قرأوا فى احدى الصحف أن الطيب الذكر نيافة مطران المنيا السابق قرر نقله من كنيستهم الى كنيسة سمالوط فلقد ثارت عند ذلك ثائرتهم وقاموا قومة رجل واحد معترضين على نقله والفوا من بينهم وفدا قابل نيافة المطران فتفضل نيافته وهدأ خواطرهم بنفيه اشاعة نقله نفيا باتا وأبلغهم ان واعظهم عندما زار كنيسة سمالوط تلبية لدعوة اعضائها تعلق به أهلها وأخذوا يمهدون السبيل لتعيينه فى كنيستهم ولكن نيافته لم يوافقهم على ذلك لما يعلمه من شدة محبة شعب ملوى له ودرجه تمسكهم بوجوده بينهم .

واذكر بهذه المناسبة أن أثنين من أصحاب النيافة والمطارنة عرضا عليه الخدمة معهما نظير مرتب كبير يغرى ولكنه فضل البقاء بكنيسة ملوى نظرا لما وجده فى أهلها من المحبة والاخلاص والوفاء غير ناظر الى الماديات الفانية لانه لم يكن يبغى سوى خدمة الكنيسة والعمل على تقدمها .

وقد رسم كاهنا لكنيسة ملوى فى يناير سنة ١٩٢٥ بناء على تزكيه اجماعية من شعبها وكان يوم رسامته يوما مشهودا اشترك فى الاحتفال به جميع أهل المدينة على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم وكان الكل يهنئون بعضهم بعضا .

وكانت حياة الفقيد نيح الله نفسه سلسلة جهاد متواصلة الحلقات فانه علاوة على أضطلاعة بمسئوليات الخدمة بالكنيسة وافتقاد الرعية والقيام بالوعظ والتعليم كان يدأب على الاطلاع والبحث والتأليف والنشر ، ولقد تمكن فى غضون تسع سنوات من تأليف خمسة عشر مؤلفا قيما من بينها كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ، هذا فضلا عما كان ينشره فى الصحف والمجلات من البحوث الروحية والادبية وعن تحمله أعباء ادارة وتحرير مجلة الفردوس .

ولقد برز الفقيد أبان الحركة الوطنية فكان فيها خطيب ملوى الذى يشار اليه بالبنان يدعو دائما الى الاتحاد والاخاء والجهاد فى سبيل أسعاد الوطن العزيز .

واليه يرجع الكثير من الفضل فى حمل أهالى ملوى على الاكتفاء باقامة المآتم لمدة ثلاثة أيام وكان من عادة البعض اقامتها لمدة اسبوع والبعض الاخر لمدة خمسة عشر يوما .

وظل الفقيد مع ما كان يقوم به من الخدمات العامة السالفة الذكر نشطا فى خدمة الكنيسة عاملا قويا فى سبيل نهضتها وقد ألف اتحادا من حضرات زملائة قساوسة ووعاظ كنائس البلاد المجاورة وأخذ يعمل معهم على انعاش هذه الكنائس باقامة مجامع بها يتبادلون الوعظ فيها وكان لهذه المجامع بعون الله أثرها الفعال ومع ما بلغه الفقيد من سمو المكانة فى النفوس بسعة علمه وغزارة فضله وعلو همته فانه كان بعيدا كل البعد عن الزهو والخيلاء مثالا للتواضع وأنكار الذات .

ولقد حلت به فى سنى حياته القصيرة تجارب متنوعة فتحملها بالصبر مقدما عنها لله خالص الشكر . جرب فى ابنائه فكان كلما رزق أبنا أختطفه الموت منه ، وجرب كثيرا فى صحته . ثم فجع فى اليوم الثانى من ديسمبر سنة ١٩٢٨ بوفاة المرحومة والدته العزيزة فخسر بوفاتها أعز من فى الوجود اليه وأكثرهم حنوا وعطفا عليه وكان حزنه عليها شديدا لدرجة أنه كان يصلى بالالحان الحزينة مناجيا روحها الطاهرة وبالرغم من شدة وقع هذه المصائب فى نفسه فانها لم تنل من عزيمته أو تضعف من مجهوداته الجبارة فى خدمة كنيسته وامته تلك الخدمة التى كرس حياته لاجلها والتى ظل يؤديها بكل أمانه ونشاط حتى أقعده المرض عنها مرغما .

وفى يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ تحدث الى من كانوا فى ز يارته للاستفسار عن صحته قائلا لهم «سأموت الليلة فأرجو أن تصلوا على فى ملوى وتدفنونى فى هور» فكان شأنه فى ذلك شأن غيره من الابرار القديسين الذين يشعرون بدنو الاجل وقرب الساعة وما وافت الساعة الثانية عشر من مساء اليوم المذكور الا وفاضت روحه الطاهرة الى باريها فلاقى وجه ربه راضيا مرضيا .

وفى صبيحة اليوم السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٣٠ سرى نعيه بسرعة البرق فى جميع أنحاء ملوى وهور والبلاد المجاورة فاضطربت النفوس وخفقت القلوب وسالت العبرات .

وأقبل القوم على داره ووجوههم واجمة وقلوبهم دامية : كل يريد أن يلثم يديه متبركا منه ومودعا له قبل أن يلف فى كفنه و يدرج فى نعشه . واكتظت شوارع المدينة بالاهلين من جميع الطبقات والمذاهب والملل وظلوا واقفين وكأن على رؤوسهم الطير منتظرين تشييع جنازته حتى اذا ما أطل عليهم نعشه محمولا على الأعناق صرخوا صرخة الحزن من الاعماق وتزاحموا حواليه وخلفه باكين مولولين وكان اخواننا المسلمين يتهافتون على حمل نعشه قائلين للمسيحيين «دعونا نقوم بواجب الوفاء له فلقد أخلص فى حياته الود لنا بمثل ما أخلص لكم وخدمنا كما خدمكم وليس حزننا عليه باخف من حزنكم» وسار موكب جنازته تلازمه الروعة ويحدوه الجلال حتى وصل الى الكنيسة القبطية حيث صلى على الفقيد لفيف من الكهنة وابنه كثير من الخطباء ثم أستأنفت الجنازة بعد ذلك سيرها حتى خرج به القوم من ملوى الى مدفنه ببلده هور، خرجوا به من المدينة التى تفانى فى خدمة كنيستها وفى حب شعبها .

خرجوا به ولكل باك حوله ... صفقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه ... فى كل قلب موجد محفور

و بعد أن ورى الفقيد التراب انصرف الجمع وهم يبكون شبابه الغض و يترحمون عليه و يذكرون فضائله و يعددون مآثره

لقد جاهد فقيد الكنيسة الشاب جهاد الابطال ورقد فى الرب فنال اكليل الحياة . جعل الله من سيرته العاطرة خير مثال يحتذيه العاملون المخلصون .

بعد حمد الله
الى القارىء القبطى

فى هذا الكتاب نقف على تاريخ آبائك الابطال وأجدادك العظام الذين تمسكوا بالمسيحية ودافعوا عنها دفاعا مجيداً رفع شأنها وعظم اسمها وخلد لهم ذكرا حسنا انتشر اريجه وذاع فى الانام خبره . فلك ان تقارن بين غيرتهم الوقادة على حفظ كرامة دينهم و بين فتورك المتناهى فى أمر ذلك الدين . و بين سعيهم المتواصل لوضع كنيستهم فى الشأو الاعلى و بين تأخرك المعيب فى هذا الميدان . فلعلك تتخذ من ذلك درسا يحملك على التعهد بالسير فى السبيل الذى يمكنك من استعادة ذلك المجد الغابر

* * *

« كفاكم قعود فى هذا الجبل » (تث ١ : ٦)

« هلم فتبنى سور أورشليم ولا نكون بعد عارا » (نح ٢ : ١٧)

« أنت الذى أريتنا ضيقات كثيرة ورديئة تعود فتحيينا ومن أعماق الارض تعود فتصعدنا » (مز ٧١ : ٢٠)

القرن الأول الميلادى

فجر المسيحية فى مصر

القسم الأول

مجىء السيد المسيح الى مصر

ان الله تعالى أظهر غيظه فى كثير من الاوقات على مصر فضربها مرة بالضربات العشر وبعد ذلك توعدها على السنة أنبيائه بأنواع عقوبات شديدة غير انه سبحانه لم يشأ أن يغلق باب رحمته فى وجوه المصريين فجهز لهم بركات عظمى وثمينة وأنبأ بفم هوشع نبيه قائلا «من مصر دعوت ابنى» (هو ١١ : ١) ومع أن هذا القول كان أولا اشارة الى اخراج شعب اسرائيل من مصر ولكنه صار اشارة رمزية الى السيد المسيح لما هرب من وجه هيرودس ملتجئا الى مصر كما أشار الانجيلى متى (٢ : ١٥) وكان بقاء ذلك الشعب مدة فى مصر رمزا الى مكث المسيح هناك . الا أن الارض التى كانت لليهود أرض تنهد وعبودية صارت لملك اليهود المولود جديدا أرض ملجأ وراحة .

ان الله قد أراد أن يهرب ابنه الى مصر ليعطى المصريين عربون المصالحة العتيدة بعد ان انزل بهم الضربات العديدة . وكانت مصر ملجأ لاعظم رجال الله كابراهيم و يعقوب و يوسف وارميا مرارا كثيرة . ولئن كانت قد ضربت باللعنة الا انها تقدست بوطىء قدمى المسيح .

و يقول البعض بأن مجىء المخلص الى مصر كان اتماما لما جاء (باش ١٩ : ١) حيث قيل «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه و يذوب قلب مصر داخلها» . وقد أنبأ الله فى خاتمة ذلك الاصحاح برجوع المصريين اليه بقوله «و يضرب الرب مصر ضاربا فشافيا فيرجعون الى الرب فيستجيب لهم و يشفيهم» (عد ٢٢) وقد تم هذا القول . فقد كانت مصر مملكة مسيحية من القرن الثالث الى السابع ولم يزل فيها بعض المسيحيين من أبناء الكنيسة القديمة الى الآن ونحن بنعمة الله منهم .

ولانعلم كم كان عمر السيد المسيح حين قدومه الى مصر و بعضهم يرتأى انه كان ابن سنتين استنادا على أمر هيرودس بقتل الاطفال من ابن سنتين فا دون حسب الزمان الذى تحققه عن الصبى من المجوس (مت ٢ : ١٦) ولكن الزمان الذى تحققه من المجوس لا ينسب الى قوله ابن سنتين بل الى قوله « ما دون » لان هيرودس أمر بقتل الاطفال من ابن سنتين لمزيد الاحتراس على قتل المخلص كما زاد على مدينة بيت لحم « كل تخومها » حتى لا ينجو المسيح بطريقة من الطرق .

ولكن الارجح بل المعلوم لنا ان المسيح لم يكن عمره اذ ذاك يزيد عن الثلاثة أشهر لان المسيح ولد سنة ٣٤٩ لبناء مدينة رومية حسب رأى أفضل المحققين وهيرودس كما دون يوسيفوس المؤرخ مات سنة ٣٥٠ لبناء رومية فتكون المدة بين ولادة المسيح وموت هيرودس سنة واحدة و يكون المسيح قد هرب الى مصر وسنه ثلاثة أشهر واستمر بها سبعة أشهر وفى نهايتها بلغه موت هيرودس ولا يمكن أن يكون المخلص قد ذهب الى مصر قبل مرور ثلاثة أشهر على ميلاده أو عقب ولادته بقليل كما ذهب البعض بدليل عدم خوف يوسف البار والسيدة العذراء من الذهاب الى أورشليم وتقدمة الرب علانية فى الهيكل بعد مولده باربعين يوما . ولو كان سجود المجوس وتخبيرهم لهيرودس على أثر ميلاده لقتله هيرودس ولم يجسرا أن يذهبا به الى الهيكل (راجع لو ٢ : ٢٢ و ٢٣ ولا ١٢ : ١)

أما العائلة المقدسة فأتت من بيت لحم الى مصر عن طريق الصحراء باجتياز القنطرة . ولا نعلم أيضا كيف تمكنت العائلة المقدسة من استحضار النفقة اللازمة للسفر والاقامة فى مصر ولكن يفهم انه كان عندهم الذهب الذى أهداه المجوس اليهم . وان يوسف كان نجارا ماهرا مجتهدا وكان يستطيع أن يدأب فى صناعته لتقديم حاجات العائلة و يؤخذ من التواريخ الكنسية أن السيد جاء الى مصر مع والدته و يوسف النجار وسالومة عن طريق صحراء سيناء . ودخلوها من جهة الفرمة (الجهة الواقعة بين بورسعيد والعريش) ومنها أتوا الى مدينة بسطة (١) فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها أياما ثم ساروا منها الى مدينة سمنود ومن هناك عبروا النيل الى اقليم الغربية واجتازوا غربا بجبل النطرون ببرية شيهات (٢) فباركته أم النور. ثم ساروا الى مدينة الاشمونين (٣)

---

(١) الآن تل قديم هو بقايا المدينة و يعرف بتل بسطة بجوار الزقازيق

(٢) سمى كذلك لوجود النطرون والبردى فيه بكثرة وشيهات كلمة قبطية معناها « ميزان القلوب » وهى مركبة من شى ميزان أو كيل و (هيت) قلب . و يسمى أيضا اسقيط و بالقبطية (أباسكيطيس) ومعناه دار النساك . و يطلق عليه أيضا لقب وادي هبيب وهو شيخ قبيلة عربية نزلت وسكنت فى ذلك الوادى

(٣) بالقبطى اشمون الرمان كما يسميها العرب تماما

ودخلوها وهم لايعلمون لهم مأوى فاقاموا فيها أياما . قال بعضهم « ظهرت على يد المخلص فى الاشمونين آية وهى ان خمسة جمال زاحمتهم فى مرورهم فصرخ فيهم المسيح فصاروا حجارة » . ثم انهم ساروا من الاشمونين واقاموا بقرب قرية تسمى منليس أياما ثم مضوا الى القوصية فطردهم أهلها فمضوا الى قرية ميرة (الآن مير) غربى القوصية ومنها قصدوا جبل قسقام الكائن به دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق . وحينئذ مات هيرودس بالشام فظهر ملاك الرب ليوسف فعاد بمن معه من ميرة الى مصر ونزل فى بابيليون فى المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس (أبو سرجة) بمصر القديمة ثم رحلت الاسرة المقدسة الى المطرية واغتسل أفرادها هناك من عين ماء فتباركت وتقدست من تلك الساعة . قيل ان العذراء قد غسلت من ذلك الماء ثياب المسيح وكانت قد اتسخت وصبت غسالتها بتلك الاراضى فأنبتت بلسانا وكان لذلك الوقت لا ينبت البلسان الا بأرض فلسطين فانقطع من هناك و بقى فى هذا المكان وكثر الماء بالبئر التى هناك حيث سال عليها الماء الذى غسلت منه العذراء . و بشجرة البلسم الموجودة الى اليوم يقال انها نبتت بقرب العين ومن دهنها كانوا يصنعون الميرون المقدس و يكرسون الكنائس وأوانيها

والمحقق من كل ذلك قدومه الى مدينة بابيلون بالقرب من هليوبوليس (عين شمس) وقال المؤرخون ان الاسرى البابليين الذين أسرهم رمسيس الاكبر من آسيا احتلوا قلعة (هاينين) على شاطىء النيل تجاه مدينة منف [1] و بنوا هناك مدينة دعوها (البابليون) أو بابل على اسم عاصمة بلادهم . وسبب قدوم المخلص الى هذا المكان معلوم وهو انه كان فيه فى ذلك الوقت هيكل مشهور لليهود اسمه هيكل (يانوس) شبيه بهيكل أورشليم بنى نحو سنة ١٦٠ ق . م وكان حوله كثير من اليهود . و باعتبار أن المخلص أتى أولا لاجل اليهود ليرد خراف بيت اسرائيل الضالة اختار مقره فى مصر الموضع الذى يكثر فيه بنو جنسه ولعل السبب ان يوسف كان له أقارب أو اصحاب ببابيليون فسكن حيث كانوا

وقد روت التواريخ قصصا غريبة عما حدث حيث دخل المسيح الى مصر أهمها أن أبويه لجأ به الى هيكل فيه أصنام للآلهه فلما دخل يسوع سقطت الاصنام كلها أمامه وهذا رمز الى فاعلية قوة ابن الله .

ومن أهم آثار زيارة المسيح لمصر الباقية للآن :

١ — المغارة التى نزلت بها السيدة العذراء مع ابنها وخطيبها وهى الآن بكنيسة ابى سرجه بمصر القديمة [2]

---

(١) هى الآن خربة وكانت قائمة خلف الجيزة

(٢) كنيسة ابى سرجة قيل انها بنيت فى عهد الرسل وهى أقدم الكنائس المصرية أما الكنيسة التى تعلوها فطلب اذنا ببنائها من عهد العزيز والى موفى عهد الدولة الاموية اثناس كبير القبط حينئذ فبنى بقصر الشمع « اسم يطلقه العرب على بابليون » كنيستى ابى سرجة وابى كير فى اول القرن الثامن لما تهدمتا فيما بعد رممها ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الابح كاتب سر الخليفة المستنصر الفاطمى سنة ٧٨٩ ش

٢ ــ النبع الموجود بقرب المطرية الى جنوبى اطلال عين شمس القديمة
٣ ــ الشجرة المشهورة باسم شجرة العذراء بالمطرية التى يعتقد فيها الوطنيون والاجانب معا

وهذه الحقائق ليست من معتقدات الكنيسة القبطية فقط بل يوجد عند الغربيين ما يؤيدها فيوجد لليوم فى المتحف البريطانى بلندن صورة معروفة بسنة الرب تمثل احتفالا كبيرا كان يقيمة المصريون لآلهتهم حتى السنة الاولى للميلاد وكان ذلك شائعا فى مصر شيوعا كبيرا وترتيبه أن يسير المغنون فالضاربون على الاعواد و بينهم فتيات حسنات الوجوه يضربن بالطبول والدفوف و يتقدم هذا الموكب الآلهه ايزيس محمولة على أكف الشرف والفخار حاملة ابنها هوروس على ركبتيها وحين مرور الآلهة يأتى الناس بمرضاهم على جانبى الطريق اعتقادا بنيلهم الشفاء

وفى وسط الصورة الممثله لذلك يرى الناظر ركبا حقيرا قد انزوى جانبا ليفتح الطريق الآلهه المذكورة . وهذا الركب مؤلف من امرأة متواضعة فقيرة وطفلها راكبين حمارا أنهكه التعب وخلفه رجل ريفى يسير راجلا وقد أضناه الكلال وطول الشقة

ومعلوم أن المصور قصد ايضاح الفرق بين الركبين فى ظاهرهما وخافيهما لانه بينما نرى أن أبهة الاول قد بادت بانقراض عبادة الاصنام فى مصر وزالت عظمة الملك بقى اسم الطفل و يبقى الى الابد فى مصر وغيرها من الامصار

أما مدة بقاء المسيح فى مصر فالمحقق عندنا انه استمر سبعة أشهر لغاية موت هيرودوس اما اذا كان قد بقى بعد موت هيرودوس بمصر فهذا لا نعلمه . والمقول فى هذا الشأن كثير فبعضهم يظنون انه مكث سنتين وغيرهم أربعة وآخرون ستة والله أعلم

فلننظر ونتعجب لان مصر الوثنية حمت المسيح والارض المكروهة منه صارت له ملجأ . ولا ريب ان مجيء السيد المسيح الى مصر كان فاتحة سعادة لهذه البلاد لان المكان الذى يتشرف بحلول ابن الله فيه يمتلىء خيرا و بركة ولنعلم ان رحلة السيد المسيح الى مصر قد أعدت قلوب المصريين وهيأتها للاذعان لكلمة الله فى القريب للبشارة على يد مار مرقس الانجيلى والرسول وقبول شريعة الكمال رسميا . ولا يبعد أن تكون الالسنة قد تناقلت آيات السيد المسيح المقدسة وعجائبه الخارقة للطبيعة خصوصا وان تجاور القطرين المصرى والسورى وسهولة المواصلات التجارية بينهما مما يحملنا على الاعتقاد بأن اخبار السيد المسيح كانت قد وصلت آذان المصريين وقوت فيهم قابلية الاستعداد للخلاص

وقد ذهب الى أن الدين المسيحى دخل الثغر الاسكندرى قبل أن يكرز به مرقس الرسول :
اولا : بداعى قرب المكان من بلاد فلسطين وقد كان يوجد فيه أحياء لليهود وعلاقتهم متصلة دائما مع يهود بيت المقدس

ثانيا : بدليل أن لوقا الانجيلي كتب انجيله الى أحد أشراف الاسكندرية المدعو ثاوفيلس .

ثالثا : لان بعض الذين آمنوا بواسطة كرازة بطرس يوم الخمسين كانوا من مصر (اع ٢ : ١٠) وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قائمة ولم تعرف جيدا بمصر الا بعد أن وافى الرسول مرقس اليها . ومن ذلك الوقت أصبحت مصر ملكا لابن الله محمية من كل خطر برعايته فهو يكلأها بعينه التي لا تنام الى ما شاء الله ولا يتخلى عنها الى الأبد . ولابد أن ينجز مواعيده فتصبح مصر بأسرها للرب .

القسم الثانى

تاريخ البطاركة

(١) مرقس الرسول　　(٢) انيانوس

(٣) ميليوس　　(٤) كرذونوس

(١)مار مرقس الرسول :

ولد هذا القديس من أبوين يهوديى الاصل استوطنا فى بلدة تسمى (اير يانولوس) بأقاليم المدن الخمس الغربية (بنتابوليس) من شمالى قارة افريقيا (١) و يدعى أبوه أرسطوبولوس قيل انه ابن عم زوجة بطرس وأخو توما الرسولين وقيل انه كان لاويا وكاهنا ولكن هذا لم يثبت وامه مريم كانت أخت برنابا الرسول كما هو واضح من (كو ٤ : ١٠) وكان أبواه على جانب عظيم من التقوى والورع متمسكين بشريعة آبائهما وأجدادهما . و يقال انهما كانا من ذوى اليسار فسطت عليهما بعض قبائل البدو الرحل ونهبت أموالهما وامتعتهما حتى أصبحا معدمين وأصابهما الفقر المدقع واضطرهما ذلك الى هجر المدينة فقصدا فلسطين موطن آبائهما واقاما زمانا بالقرب من أورشليم وكان هذا الرحيل قبيل ولادة مار مرقس أو بعد ولادته بقليل

نشأ مار مرقس فى فلسطين مركز اعلان بشارة خلاص العالم . و يرجح انه آمن بالمسيح على يد بطرس الرسول لانه كان يدعوه ابنه (١ بط ٥ : ١٣) ولما كان بطرس الرسول قريبا لمار مرقس كما سلف اقتدى هذا به على أثر ايمان ذاك بالمخلص . وكان مار مرقس مماثلا لمار بطرس فى الغيرة والحمية على مجد الرب وخلاص النفوس وكان أول ثمر تعبه فى خدمة فاديه جذب والده الى الايمان لانه كان يهوديا غير مؤمن بالمسيح وذلك انه بينما كان وأبوه سائرين فى طريقهما الى جهة الاردن اذ قابلهما أسد ولبوءة يزأران بصوت مخيف . فخالج قلب ابيه الخوف ولم يشأ حنوه الابوى الا أن يوعز اليه أن يلوذ بالفرار و ينجو بنفسه مستعدا لتقديم ذاته الى الوحشين رغبة فى خلاص ابنه .

---

(١) الخمس المدن الغربية واقعة فى الجزء الشرقى من طرابلس الغرب المتاخم الآن لمصر . وتسمى باليونانية . بنتابوليس . وقد تأسست سنة ٦٣٠ ق . ق . م بواسطة جماعة التريان وهى :

« ١ » قيروان وهى الآن خربة وتبعد ١٥ كيلومترا عن مرسى سوث

« ٢ » برنيقة والآن بنى غازى على خليج سدره

« ٣ » سوزوسا وكان اسمها ابولونى والآن اسمها مرسى سوزوسا

« ٤ » درنه وكان اسمها ارسينو

« ٥ » بطولمايس وتسمى الآن طوليت بقرب اطلال برقة . و يذكرها ابن كبر المؤرخ القبطى فى كتابه « السلم الكبير » هكذا « برقة . تونس . طرابلس . القيروان افريقية »

الا أن القديس طمأن والده وهو موقن بأن السيد المسيح سيخلصهما من هذه الضيقة . ثم رفع عينيه نحو السماء وصرخ بحرارة الى السيد المسيح قائلا له « يا ابن الله الحى الذى نؤمن به نجنا من هذه البلية وانقذنا من شر هذين الوحشين الكاسرين » وما لبث أن التفت حوله فوجد الاسدين وقد انطرحا على الارض لا حراك فيهما . فشكر الرب على هذه العناية وربح اباه الى جانب المسيح لانه عندما رأى فاعلية ايمان ابنه آمن بالمخلص ومجد اسمه القدوس

ولما اختار السيد المسيح سبعين رسولا ليرسلهم أمام وجهه الى كل موضع حيث كان هو مزمعا أن يأتى انتخب بينهم مارمرقس وكان يلقب (بالثاوفوروس) أى حامل الاله . وكان لهذا الرسول اسمان فسمى « يوحنا » وهو اسمه اليهودى وسمى « مرقس » وهو اسمه اليونانى . وكان منزل والدته محط رحال التلاميذ ومقر اجتماعهم للعبادة وفيه كانوا يصلون لاجل خلاص الرسول بطرس من السجن ولما أطلق أتى اليه (أع ١٢ : ١٢ و ٢٥) و يظن أن بيته كان معروفا فى زمن السيد المسيح أيضا . والبعض يقولون ان المخلص لما أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء فاتبعاه (مر ١٤ : ١٣) كان يقصد مار مرقس . وقالوا انه هو الشاب الذى كان لابسا ازارا على عريه ليلة موت المخلص ولما تبعه وأمسكه الشبان ترك الازار وهرب منهم عريانا (مر ١٤ : ٥١) وقد رجحوا ذلك لانفراده بكتابة هذين الخبرين ولم يكتب حادثه الجرة الا لوقا و يظهر انه سمعها منه . وقال الانبا ساو يرس المؤرخ أسقف الاشمونين « انه كان من جملة الخدام الذين استقوا الماء الذى صيره سيدنا خمرا فى عرس قانا الجليل » أهـ . وكان هذا الرسول أيضا يأوى التلاميذ فى بيته فى زمان آلام المسيح و بعد قيامته من الاموات حيث دخل عليهم والابواب مغلقة .

وفى خدمة التبشير كان هذا الرسول رفيقا لبولس و برنابا (أع ١٢ : ٢٥) ولكنه تركهما فى برجة ورجع (أع ١٣ : ١٣) ولما أراد برنابا أن يأخذه معهما فى السفر الثانى للتبشير لم يستحسن بولس ذلك لانه تركهما فى برجة فى السفر الاول فاختلفا فى أمره وانتهى الامر بانفصالهما فأخذ برنابا مرقس معه الى قبرص سنة ٤٩ م

و بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة أظهر بولس لاهل كولوسى رضاه عنه وتحقق امانته حيث قال لهم « ومرقس ابن اخت برنابا الذى أخذتم لاجله وصايا ان أتى اليكم فاقبلوه » (كو ٤ : ١٠) وفى هذه الآية اشارة الى عزم مرقس على الذهاب الى كولوسى وحده للكرازه . و يتضح من رسالة فليمون انه فى ذلك الوقت كان شريكا للرسول بولس فى اتعابه برومية (فل ٢٤) وكان مع تيموثاوس فى أفسس حين كتب بولس الى تيموثاوس رسالته الثانية بين سنة (٦٧ و ٦٨) ورغب أن يأتى به اليه بدليل قوله « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١)

أما علاقته ببطرس الرسول فلم يروعنا خبر صحيح الا ما كتبه هذا الرسول فى رسالته الاولى بين سنة ٦٣ و ٦٧ م وهو قوله « تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم ومرقس ابنى » (١ بط ٥ : ١٣) وقد اختلف المفسرون فى أى بابل يعنى الرسول . فقال قوم وهم الغربيون انه يقصد بابل رومية لكى يثبتوا ادعاءهم أن بطرس كان أسقفا على رومية ودليلهم اطلاق صاحب الرؤ يا لقب بابل على رومية (رؤ ١٤ : ٨) لانها كانت تشبه بابل القديمة فى فسادها ولكن لا دليل على أن رومية كانت تعرف وقتئذ بهذا الاسم المجازى لان سفر الرؤ يا كتب بعد موت الرسول بطرس بثلاثين سنة وقيل أيضا أن المشار اليها هى بابل اشور ولكنها كانت حينئذ قرية صغيرة ضاع مجدها السابق فليس هناك ما يلجىء بطرس الى الذهاب اليها وجعلها مركزا يكتب منه رسائله ولكن الصحيح انها كانت « بابيليون » مصر القريبة من عين شمس لانها كانت فى ذلك الوقت بلدة آهلة بالسكان فضلا عن انه كان فيها هيكل اليهود المشهور وعدد عظيم منهم و باعتبار أن بطرس كان رسولا للختان لاسيا بين المتشتتين لا بد له من تبشير يهود ذلك المكان . ومما يز يد المسأله ايضاحا ذكره لمرقس الرسول عقب ذكره لبابل (عد ١٣) ومعلوم لنا أن مصر كانت مركزا لمار مرقس فيكون بطرس فى ذلك الحين مقيما هناك حيث كتب رسالته

أما الغربيون فيدعون بأن مرقس ذهب الى رومية وهناك رسمه بطرس اسقفا وارسله للتبشير فى اكويلا من أعمال البندقية بايطاليا ولما رجع الى رومية لم يجد الرسول بطرس فطلب اليه المؤمنون ان يدون لهم أخبار السيد المسيح كما سمعوها من فم الرسول بطرس فدون انجيله باللاتينية ولما حضر الرسول بطرس الى رومية اطلع عليه وأعجب به وامره أن يذهب الى مصر سنة ٥٨ م فنقل انجيله الى اللغة اليونانية لينشره بين المصر يين .

والخلط ظاهر فى هذا الكلام لانه يتضح لمن يطالع العهد الجديد أن علاقة مرقس كانت متصلة ببولس أكثر منها ببطرس . أما وجود بطرس ومرقس فى بابل مصر فسببه أن مرقس بعد أن بشر فى انطاكيه وقبرص ورمية واكويلا وخدم هناك خدمات جليلة يمم نحو افريقيا فجاء أولا الى مسقط رأسه فى الخمس المدن قصدا فى اجتذاب أهلها الى الايمان ومن ثم قصد الديار المصرية سنة ٥٥ م لنشر بشارة الخلاص فى انحائها وهناك كتب انجيله فى سنة ٦١ م . قال القديس يوحنا فم الذهب « أن انجيل القديس مرقس قد كتب فى مصر (١)

واتفق أن بطرس الرسول أتى مصر لتبشير اليهود المتشتتين فيها كما هى خدمته فتقابل معه مرقس فى مدينة بابيليون التى فيها حرر رسالته الاولى وذكر مرقس لوجوده معه فى ذلك الحين . وسبب تسميته بابنه ليس أنه كان خاضعا له فى الكرازة بل هو انه عرف المسيح بواسطته كما ذكر آنفا راجع (١ كو ٤ : ١٥ و ١٦)

---

(١) ميمره على انجيل متى ١ : ٣

قالوا أن مرقس كتب انجيله بمناظرة بطرس وارشاده واستدلوا على ذلك بأمرين (١) لانه لا يستطيع أن يستقى هذه الاخبار الا من أحد الرسل الاثنى عشر (٢) لان الانجيل خال من كل ما من شأنه أن يعود بالتعظيم على بطرس أما من جهة الامر الاول فان مرقس كما تعلم كان من السبعين تلميذا وكانت له علاقة بأغلب الرسل المقربين فلا شك انه أخذ هذه الاخبار عنهم كما أخذ عنهم لوقا أيضا فضلا عما هو معلوم من أن بيته كان مقرا لكثير من أعمال المسيح ورسله . وأما عن الامر الثانى فلا يبعد أن بطرس حينما قابل مرقس بمصر أطلعه على انجيله فأشار عليه من باب التواضع أن يرفع منه كل ما يعود عليه بالتمجيد فأجابه مرقس الى طلبه لما رأى فيه من الصواب

جاء مرقس الى الديار المصرية فى مدة اوثون قيصر فى وقت كانت فيه مشحونه بالاهالى عامرة بالسكان يبلغ عدد من فيها من النفوس اثنى عشر مليونا وقيل بل عشرين مليونا

واتخذ مار مرقس الاسكندرية مقرا لخدمته لانها كانت حينئذاك تجمع اجناسا مختلفة من مصريين وحبش ونوبيين ويهود و يونانيين وغيرهم وكانت قصبة ولاية مصر ومركزا مهما للتجارة ومكانا آهلا بالعلم والعرفان وكانت تعتبر المدينة الثانية بعد رومية وكان فيها حيان لليهود من خمسة أحياء . وقبل أن يدخل الرسول المدينة صلى الى الله لكى يدرعه بالاسلحة الروحية اللازمة لمثل ذلك الجهاد الذى كان مزمعا أن يدخل فى ميدانه

ولما دخل المدينة جعل يطوف فى جميع شوارعها ليتفقد أحوالها حتى تقطع حذاؤه وكان ذلك فاتحة خير لاعماله المجيدة ودبرت العناية الالهية أن يعرج على اسكافى بالسوق يدعى «انيانوس» ليرتق له الحذاء . و بينما كان الاسكافى يشتغل اذ دخل المخراز فى يده فأدماها ولشدة الالم صاح قائلا «ايوس ثاؤس» الذى تأويله «الاله الواحد» وهذا دليل على تمسك المصريين بعبادة الاله الواحد من قديم الزمان . فسأله القديس كيف يعرف الله فلم يحر جوابا يؤيد ادراكه لما فاه به فطلب الرسول من أجله بحرارة وتفل على الارض وأخذ جزءا من الطين ووضع على الجرح وقال «بسم الآب والابن والروح القدس الى الابد أن تشفى يد هذا الانسان» فالتأم الجرح فى الحال

ثم ابتدأ الرسول يكرز للاسكافى بشارة الخلاص وكانت كيفية شفائه جعلته يصغى جيدا لكل كلمة يقولها الرسول ويخضع لها . ثم دعاه الى منزله فقبل الرسول هذه الدعوة بسرور وهناك فى تلك الدار اعترف الرجل وأهل بيته بيسوع مخلص العالم . ومن ثم أخذت كلمة الله تنمو وتمتد بسرعة حتى انه فى وقت وجيز تتلمذ للرسول كثيرون من المصريين رجالا ونساء فعمدهم ولكى يرشدهم الى حقائق الخلاص العميمة كتب لهم انجيله المقدس باللغتين اليونانية والقبطية وفى ذلك الحين

تقابل مع الرسول بطرس بينما كان يطوف البلاد وكان موضع المقابلة بابيليون كما سبق معنا وكان ذلك بين سنة ٥٨ و ٦٢ م ولما رحل الرسول بطرس عن مصر رجع مار مرقس من الطواف الى مدينة الاسكندرية وكان المؤمنون قد كثروا فساء هذا كهنة المصريين وأهل العلم بمدينة الاسكندرية ووقعت بين الفريقين مناظرات ومجادلات دينية أياما طوالا كان الظفر فيها لمرقس واصحابه فتآمر عليه الوثنيون فرسم انيانوس اسقفا للمؤمنين ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة وخرج من عندهم وحضر الى برقة أو بالحرى الى الخمس المدن الغربية وأقام بها سنتين يبشر و يرسم كهنة

و يظهر أنه فى ذلك الحين طلبه الرسول بولس اليه لمهام تبشيرية بينما كان مأسورا برومية أول مرة كما يتضح من (كو ٤ : ١٠) فلبى نداء بولس وذهب اليه فى رومية حيث اشترك معه فى اتعاب كثيرة كما يظهر من (فل ٢٤) فنرى هنا أن مار مرقس الرسول قضى وقتا فى تدبير ورعاية كنيسة رومية ولكن لا تحت اشراف بطرس بل بموجب طلب بولس وتحت ارشاده . ولابد أن يكون كاروز الديار المصرية قد زايل رومية بعد ذلك وذهب لزيارة شريكه فى العمل تيموثاوس بأفسس . ولما علم الرسول بولس ذلك ارسل لتيموثاوس رسالته الثانية بين سنة ٦٧ و ٦٨ يقول له « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١) فانطلق مع تيموثاوس الى رومية ولم يتركها هذه المرة الا بعد استشهاد الرسولين بطرس و بولس بين سنتى ٦٥ و ٦٨ م ثم عاد الى الكنيسة الاسكندرية غرس يده وزرع يمينه ليفتقد أحوالها و يتبين شؤونها

ولما قدم الاسكندرية للمرة الثانية ربما فى أواخر سنة ٦٧ م أو أوائل سنة ٦٨ م وجد ان أثماره قد ازهرت والمسيحية آخذة فى الازدياد المطرد حتى ابتنى المؤمنون لهم كنيسة فى موضع يسمى « بوكاليا » أى مرعى البقر (١) وقيل انه فى ذلك الوقت أنشأ مار مرقس المدرسة اللاهوتية وأقام يسطس رئيسا عليها . ثم أخذ يجول فى جميع الاماكن التى يوجد فيها المؤمنون مثبتا اياهم على ايمانهم الاقدس

وقد حدث فى يوم ٢٩ برموده (٢٦ أبريل) بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح والوثنيون بعيد الههم سيرابيس اخذ الرسول مرقس يقبح عبادة المخلوق دون الخالق وينهى سامعيه عن هذا الضلال وارشدهم الى طريق النور والحق والحياة . وكان الوثنيون يبغضونه بغضا شديدا كما رأوا نجاح عمله واتباع الوثنيين له . ولما سمعوا منه هذه الاقوال استنكروها للغاية وهاجوا فى المدينة طالبين مرقس الرسول لتجديفه على آلهتهم فتربصوا له والقوا عليه الايدى وربطوا حبلا فى عنقه

(١) كان مقرها شرقى الاسكندرية على شاطىء البحر بالقرب من الوادى الذى كان يضم الاضرحة والمقابر وقيل انها سميت كذلك لانها كانت حظيرة للثيران التى كان الوثنيون يقربونها لاصنامهم

وأخذوا يطوفون به فى شوارع المدينة طول النهار ويجرونه فوق الصخور حتى تمزق لحمه وتهشمت عظامه وسال دمه البرىء وهو محتمل اهانات شديدة وتحقيرا كثيرا حتى أتى الليل فطرحوه فى السجن حيث ظهر له ملاك الرب فى رؤ يا وشدد عزيمته

ولما أصبح النهار عاد الوثنيون الى تمثيلهم الفظيع به وهم يزأرون و يصيحون قائلين « جروا الثور الى بوكاليا » وكان الرسول فى اثناء ذلك يسبح الله و يشكره حتى فارقت روحه الطاهرة جسده البار مستشهدا فى ٣٠ برمودة سنة ٦٨ م . واراد جماعة الوثنيين بعد ذلك حرق جسده فاوقدوا النار وأشعلوا جذوتها ولكن شاءت ارادة الله ان توقفهم عند هذا الحد السىء فهبت ر يح شديدة وأمطرت السماء غز يرا فاطفئت نيران ايديهم ولبثت نيران قلوبهم تلتهب غيظا . وقد فر المسيحيون بجسد القديس ودفنوه بكنيسة بوكاليا . وقد حفظ فى كنيسة الاسكندر ية الى الجيل السادس أوموفور يون القديس نفسه أو وشاحه الكنسى وجميع البطاركه الذين جلسوا على كرسى البطر يركية بعده كان يلتزم كل منهم بعد انتخابه أن يضع فى عنقه الوشاح المشار اليه

وقد اظهر الرب على ايدى الرسول اثناء اقامته بالبلاد المصر ية آيات كثيرة وعجائب متعددة تأسس بواسطتها ملكوت الله وتأيد انجيله . وقيل فى وصف الرسول انه كان معتدل القوام أبيض الشعر ناصعه يكلل هامته كالتاج . انفه طو يل ورفيع . وتقاطيع وجهه جميلة متناسبة . حواجبه مائله الى الجهة الداخلة مقوسة . لحيته طو يلة وكثيفة والرأس صلعاء . واصطلح أن يرسم بجانب صورة القديس صورة اسد رمزا الى افتتاحه انجيله بالصراخ الاسدى صراخ يوحنا المعمدان فى البر ية حيث قال « انا هو الصوت الصارخ فى البر ية » وقيل ان ذلك من عمل أهالى البندقية الذين سرقوا جسده فى القرن التاسع حيث كانت علامة وطنهم المميزة لهم شكل أسد ذى اجنحة . أما الكلام على بقايا جسده فسيذكر فى حينه

(٢) انيانوس :

هو البطر يرك الثانى من بطاركة الكرسى الاسكندرى سيم أسقفا سنة ٦٢ م فى شهر بشنس مدة حكم وسبانيوس قيصر بيدمار مرقس وذلك حينما برح هذا الرسول الاسكندر ية لاول مرة فأقامه لينوب عنه فى تدبير الكنيسة مدة غيابه . و بعد انتهاء القديس جلس بعده على كرسى البطر يركية وقد مر بنا كيفية اهتدائه للمسيح وعقب ذلك ترك جميع مهامه العالمية واشغاله الدنياو ية واشتغل فى خدمة حقل المسيح الجديد فى مصر وحول بيته الى كنيسة قال ابن بطر يق المؤرخ « أن مرقس الرسول صير مع حنانيا (انيانوس) اثنى عشر قسيسا وأمرهم اذا مات البطر يرك ان يختاروا واحدا من الاثنى عشر قسيسا و يضع الاحد عشر قسيسا ايديهم على راسه و يصلحونه بطر يركا و يباركونه ثم يختارون رجلا فاضلا و يصيرونه مكان ذلك القسيس ليكونوا اثنى عشر ابدا

فلم يزل القسوس بمدينة الاسكندرية بطاركة الاسكندرية من الاثنى عشر قسيسا الى وقت الاكسندروس بطريرك الاسكندرية الذين كان فى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر (نيقية الاول المسكونى) وانه منع من أن يصلح القسوس البطريرك وانقطع ذلك الرسم وأمر أن لا يصلح البطاركة الا الاساقفة » أهـ

غير أن أغلب المؤرخين يتفقون مع الانبا ساويرس بأن الرسول مرقس رسم مع انيانوس فقط ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة جعلهم يخدمون و يثبتون الأخوة وقد شهد المؤرخون للبابا أنيانوس بالصلاح والتقوى وقال عنه اوسابيوس المؤرخ «انه كان محبوبا من الله مقبولا عنده» وقال آخر «كان قلبه ينظر قلب الله يعرف مشيئته و يتممها» أهـ

وفى عهد البابا انيانوس نجحت التعاليم المسيحية واتسع نطاقها وتمذهب بها الكثيرون من أرباب المناصب العالية والاكابر والاعيان و بعض رجال الدولة وكثر المؤمنون فرسم منهم كهنة وخداما واقام اثنتين وعشرين سنة وتنيح فى العشرين من شهر هاتور سنة ٨٤ م وقد تولى أثناء جلوسه على الكرسى سبعة قياصرة هم نيرون وجلبا واوثون وفيتيليوس و وسباسيان وتيطس ودومتيان

(٣) ميليوس :

وهو ثالث بطاركة الاسكندرية انتخب للبطريركية بعد وفاة البابا انيانوس فى شهر كيهك سنة ٨٤ م وفى عهد دوميتيانوس قيصر باجماع آراء الشعب . وكان هذا البابا مشهورا بالعفاف متصفا بالتقوى والغيرة على رعية المسيح فأخذ يثبت الشعب فى الايمان حتى نما عدده بمصر والخمس المدن وافريقية وشرع المصريون يحتقرون الاعتقاد بعبادة الاوثان و يتهافتون على الانضمام لحضن المسيحية أفواجا وسادت فى أيامه السكينة وكانت الكنيسة متمتعة بالسلام الكلى

وقد روى بعض المؤرخين أن دوميتيانوس قيصر طرد البابا ميليوس من الكرسى الاسكندرى وأقام عوضه غير أن هذه الرواية لم يقم دليل على صحتها ولم تتناقلها أقلام المؤرخين ورقد هذا البابا فى أول توت سنة ٩٦ م

(٤) كرذونوس :

البطريرك الرابع . وما علم الكهنة والاساقفة الذين كانوا يباشرون الخدمة فى البلاد بأن البطريرك تنيح حتى حزنوا واجتمعوا فى مدينة الاسكندرية وتشاوروا مع الشعب المسيحى الذين فيها وطرحوا القرعة لكى يعرفوا من يستحق الجلوس على كرسى الاسكندرية فاتفق رايهم بتأييد الله على انتخاب رجل فاضل اسمه كرذونوس قيل انه ممن عمدهم الرسول مرقس فرسم بطريركا فى

شهر بابة سنة ٩٦ م فى عهد تراجان قيصر وكان عفيفا متصفا بكل الصفات الصالحة فرعى كنيسته باجتهاد وأمانه مدة عشرين سنة وستة أشهر وعشرة أيام

وقبض عليه واستشهد فى الاضطهاد الذى اثاره تراجان قيصر . قيل ان سبب القبض عليه هو ان واليا رومانيا قال له « لماذا لا تشركون الهتنا بالحكم وتبقون على عبادته » فأجابه « لأننا لا نسجد لآخر » وكان استشهاده فى ٢١ بؤونه سنة ١٠٦ م وقد خلا الكرسى بعده ثلاث سنوات نظرا لشدة الاضطهاد وعدم تمكن الشعب المسيحى من انتخاب خليفة له

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(١) اضطهاد الوثنيين　　　(٢) اضطهاد تراجان

(١) اضطهاد الوثنيين :

فى زمن ظهور الديانه المسيحية بمصر كان زمام الحكم فيها بيد المملكة الرومانية . ولم تكن الحكومة تعنى بالمسيحيين فى مصر فى القرن الاول لقلة عددهم غير أن اشرار الوثنيين كانوا يضايقونهم و يتحرشون بهم فى الطرقات ويهجمون عليهم فى مجتمعاتهم وراح ضحية تلك التعديات مار مرقس الرسول وفى يوم استشهاده تتبعوا النصارى وامعنوا فى قتلهم والتنكيل بهم فملأوا بجثثهم أكثر الطرقات وكان ذلك اليوم يوما مشهودا

(٢)اضطهاد تراجان :

وفى آخر هذا القرن نما عدد المسيحيين بالاسكندرية فامتد اليهم لهيب اضطهاد القيصر تراجان الذى تولى سنة ٩٨ م واشتد عليهم واستشهد فى ذلك الاضطهاد البابا كرذونوس البطريرك الرابع وكان فى بدء ظهور النصرانية ينظر اليها كشيعة يهودية خطرة ولما اشتعلت ثورات اليهود على المملكة الرومانية اضطهدت الحكومة المسيحيين مع اليهود لظنها انهم قسم منهم فنال المؤمنين فى الاسكندرية شدائد عظيمة

القسم الرابع
البدع

(١) كرنثيوس   (٢) الغنوسطيون

(١) كرنثيوس :

هو يهودى المولد تعلم الفلسفة بالاسكندرية وبث ضلاله سنة ٧٣ م وحاول فى حياة يوحنا الرسول أن ينشىء ديانة جديدة يؤلفها من تعاليم المسيح ومبادئه ومن تعاليم الكنوسسيين (١) واليهود . فأخذ من الكنوسسيين خرافات البليروما (أى العالم الاعلى) والايون (أى الاشخاص السماوية الخالدة بنو الارواح) ودميورج (أى خالق العالم الذى يختلف عن الاله الأعظم) ولكنه أظهر مبادئه بصورة لا ينفر منها اليهود فعلم أن الذى سن الشريعة لليهود هو خالق هذا العالم وهو ذو مناقب حميدة وصفات شريفة مكتسبة من الاله الحق غير أن هذه الفضائل لم تلبث حتى تدنست فأراد الله أن يلاشى سلطان مشترع اليهود بواسطة ايون مقدس يدعى المسيح . وكان رجل يهودى اسمه يسوع كامل وقدوس وابن بالطبيعة ليوسف ومريم فهذا حل فيه المسيح بنزوله عليه بهيئة حمامة عند عماده من يوحنا بنهر الاردن . وحال اتحاد المسيح بيسوع قاوم هذا بشجاعة اله اليهود خالق العالم فحرض هذا عليه اليهود فقبضوا عليه ليصلبوه فلما رأى المسيح انهم قبضوا على يسوع طار الى السما وترك يسوع فصلب وحده

ولهذا أوصى كرنثيوس اشياعة باحترام الاله الاعظم ابى المسيح وباحترام المسيح وأمرهم بعدم اعتبار مشترع اليهود وبرفض مبادىء الناموس الموسوى واوصاهم بالسير على نظام المسيح معلما اياهم بأنه سيعود ثانية ويتحد بالانسان يسوع الذى حل فيه قبلا ويملك مع تابعيه على فلسطين الف سنة . ثم وعدهم بقيامة أجسادهم وتمتعها بافراح سامية فى مدة ملك المسيح الف سنة وبعد ذلك يدومون فى حياة سعيدة فى العالم السماوى

---

(١) الكنوسسيون هم قوم زعموا بأنهم قادرون أن يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة (أى كنوسس) الاله الاعظم ونادوا بانقلاب المملكة التى شيدها خالق العالم واصحابه وكان أول ظهورهم بعد موت الرسل

(٢) الغنوسطيون :

ان الغنوسطية أى مذهب التوليد انشئت فى فلسطين أو فى سورية عند ظهور الدين المسيحى . ولم يكن مذهب الغنوسطيين الا موفقا بين الدين المسيحى الجديد والاديان القديمة وأقيم له فى الاسكندرية مدرسة فى أوائل القرن الثانى للميلاد واعتنقه بعض المصريين . الا أن الغنوسطية المصرية كانت تختلف عن الاسيوية فاعتقد المصريون ان المادة ابدية وحيوية أيضا واعتبروا غالبا المسيح مخلصنا انه شخصان الانسان يسوع وابن الله او المسيح . فالمسيح الشخص الالهى زعموا انه دخل فى يسوع الانسان حين اعتمد من يوحنا وتركه حين قبض عليه اليهود . ثم انهم نسبوا للمسيح جسدا حقيقيا لا وهميا مع انهم لم يتفقوا على ذلك . كما أنهم وضعوا لاتباعهم شرائع تبيح بفساد أميال البشر . وظل علماء المسيحيين الافاضل يقاومون كل البدع التى كانت تنشأ من هذه الفلسفة مدة طويلة وانقرضت آخر شيعة لاهل هذه الهرطقة فى أواخر القرن السادس

القرن الثانى

القسم الاول
تاريخ البطاركة

(١) بريموس	(٢) يسطس	(٣) اومانيوس
(٤) مركيانوس	(٥) كلاديانوس	(٦) اغرينيوس
(٧) يوليانوس	(٨) ديمتريوس [١]	

(١) بريموس :

البطريرك الخامس : ولد بمدينة الاسكندرية وقيل انه ممن عمدهم الرسول مرقس . وقال عنه الانبا ساويرس المؤرخ انه كان عفيفا كالملائكة و يفعل افعالا حسنة بنسك فاجمعت كلمة المؤمنين على انتخابه بطريركا . ولما ارتقى الكرسى المرقسى فى شهر ابيب سنة ١٠٩ م فى عهد ادريانوس قيصر ازداد تمسكا بالفضائل وأضاف اليها الاجتهاد المتواصل فى سبيل تقدم المسيحية فى عهده ولهذا لم يكن يفتأ يقوم بنفسه بالوعظ والارشاد بدون كلل ولأجل هذه الغاية كان يتخير الرجال الاكفاء و يقيمهم أساقفة وقسوسا ووعاظا ليهذبوا الرعية بالآداب المسيحية وقد لبث يشتغل فى توسيع نطاق الكنيسة ١٢ سنة وساعده على تقدم العمل أن الكنيسة فى ايامه كانت فى سلام تام وطمأنينة كاملة . وكانت وفاته فى ٣ مسرى سنة ١٢١ م

(٢) **يسطس** — البطر يرك السادس :

وحالما توفى الاب بريموس وقع اختيار الشعب على هذا الآب الفاضل الحكيم فرسم بطر يركا فى شهر توت سنة ١٢١ م فى عهد ادر يانوس وهو مولود بالاسكندر ية ولما أسس الرسول مرقس المدرسة اللاهوتية اقامه رئيسا عليها . فلبث يعلم فى تلك المدرسة حتى اقيم بطر يركا فترك وظيفته الاولى الى أومانيوس وأخذ هو يهتم بمسئولية وظيفته الجديدة فخدم فيها بكل أمانه .

وجعل أهم أغراضه تبشير الوثنيين وجذبهم الى المسيحية فنجح فى عمله وتنصر منهم عدد عظيم . واستمر قائما بوظيفته عشر سنين وعشرة اشهر وخمسة عشر يوما وتنيح فى ١٢ بؤونه سنة ١٣١ م

(٣) **أومانيوس** البطر يرك السابع :

وعقب البابا يسطس أومانيوس احد أفاضل مسيحى الاسكندر ية . وقع الاختيار عليه فى شهر أبيب سنة ١٣١ فى عهد ادر يانوس لما كان معروفا عنه من العفة والنزاهة لانه كان بتولا طاهرا . كان قبلا مديرا للمدرسة اللاهوتية ومن اشهر أعماله فى مدة البطر يركية رسامة أساقفة للكرازة المرقسية فاقام منهم عددا كبيرا أرسلهم الى كل جهات القطر المصرى والنوبة والخمس مدن الغر بية لنشر بشرى الخلاص

وفى عهد هذا البابا البار اشتد الاضطهاد على المسيحين فنال الشهاد كثيرون من الاقباط وأقام البابا اومانيوس على كرسى الاسكندر ية ثلاث عشرة سنة برضى الله والشعب وتنيح فى ٩ بابه سنة ١٤٤ م

(٤) **مركيانوس** — البطر يرك الثامن :

ارتقى السدة المرقسية فى شهر هاتور سنة ١٤٤ م فى عهد انطونيوس بيوس قيصر وهو مولود بالاسكندر ية وكان مديرا للمدرسة اللاهوتية واستحق أن يرقى الى البطر يركية لفضائلة واخلاقه الحميدة وقد حقق آمال من انتخبوه فاخذ بعد تنصيبه ينهج على آثار اسلافه الافاضل و ينسج على منوالهم فى هداية النفوس وتهذيب الاخلاق رغم الاضطهاد الذى كان مشتدا على المسيحيين وقتئذ . ولبث فى جهاده هذا مثابرا مدة تسع سنين وشهر ين و ٢٦ يوما الى أن رقد بالرب فى ٦ طو بة سنة ١٥٤ م

(٥) **كلاديانوس** — البطر يرك التاسع :

انتخبه شعب واساقفة الاسكندر ية بطر يركا ورسم على الكرسى الرسولى فى شهر امشير سنة ١٥٤ م فى عهد انطونيوس بيوس وكان محبو با من الجميع وهو مولود بالاسكندر ية وكان بارا حكيما . ولما قبض على زمام الرئاسة اخذ يتعهد الزرع الذى تركه له أسلافه وكانت أيامه هادئه لم

يحصل فيها للنصرانية ما يكدر صفوها . ولبث مواظبا على عمله مدة أربع عشرة سنة وستة أشهر وثلاثة أيام وتوفي في ٩ أبيب سنة ١٦٧ م

(٦) **اغربينيوس** — البطريرك العاشر :

ولد بالاسكندرية ورسم قسا بها وعرف بالصلاح والتقوى ونال رضاء الشعب والاساقفة بعد وفاة سلفه فجلس على كرسيه في شهر مسرى سنة ١٦٧ م في عهد مرقس أوريليوس قيصر و بدأ يرشد و يعلم حتى تقدم في عهده العمل الروحي وانتشرت كلمة الخلاص وزاد عدد المنضمين الى دين المسيح . وقضى على الكرسي اربع عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفي في ٥ أمشير سنة ١٧٨ م

(٧)**يوليانوس** — البطريرك الحادى عشر :

ولد بالاسكندرية وقيل انه كان تلميذا بالمدرسة اللاهوتية تحت ادارة الفيلسوف القبطي بنتينوس ففاق أترابه في العلم وظهر عليهم بتقواه واستحق أن يرسم قسا . و بعد ذلك اختير بطريركا في شهر برمهات ١٧٨ م في عهد مرقس أوريليوس وعقب رسامته اشتغل بوضع ميامر (١) لاسلافه البطاركه تخليدا لذكرهم وفائدة لخلفائهم

وكان هذا البابا الفاضل متقربا من الهه حتى أعلن له قبيل وفاته عن الشخص الذى سيلحقه في البطريركية وذلك انه قد ظهر له ملاك الرب في احدى الليالي قائلا « ان من يأتيك غدا بعنقود عنب هو الذى يكون بعدك على الكرسي المرقسي » واتفق في ذلك الصباح أن رجلا كراما عاميا لا يدرى القراءة ولا الكتابة من أصل قبطي مسيحي يدعى ديمتريوس بينما كان يشذب أشجاره عثر بها على عنقود في غير أوانه ففكر أن يهديه للبطريرك

وكان البابا يوليانوس حينئذ في أوقاته الاخيرة واجتمع حوله كبار الشعب وعظمائه يستفهمون منه عمن يجدر به أن يكون خلفا له . فاخبرهم انه هو الذى يأتي الينا و يقدم عنقود عنب ، فظنوا متحيرين أن البطريرك لا يعي ما يقول اذ لا يمكن أن يوجد عنب في الشتاء و بينما هم كذلك اذا بديمتريوس قد دخل وعنقود العنب بيده وقدمه للآب البطريرك فدهش الحاضرون وتناول البطريرك الهدية بسرور وأعلمهم بخبر ظهور الملاك له واوصاهم بانتخاب من عينه روح الله فاطاعوا وصيته وفعلوا بحسب اشارته

وكانت مدة بطريركية البابا يوليانوس عشر سنين وتوفي في ٨ برمهات سنة ١٩٠ م وقال الانبا ساويرس في خاتمة ترجمة هذا البابا « ومن بعد هذا البطريرك لم يقم أسقف الاسكندرية فيها بل صار يخرج سرا و يوسم كهنة في كل مكان كمار مرقس الانجيلى » أهـ

---

(١) ميمر كلمة سريانية معناها سيرة

(٨) ديمتريوس ١ — البطريرك الثانى عشر :

ولما قيل لهذا البابا انه انتخب ليكون بطريركا توسل بضراعة ملتمسا أن يعفى من هذه المسئولية الهائلة محتجا بعدم علمه وزواجه اذ كانت العادة ان البطريرك ينبغى أن يكون بتولا . فلم يلتفت الى طلبه وتمت رسامته رغما عنه فى ١٨ برمهات سنة ١٩١ م فى عهد كومودوس قيصر فلما رأى ذلك أخذ للحال فى اجهاد جميع قواه توصلا الى استدراك ما فاته من العلوم والمعارف ففتح الله عليه بشىء كثير من العلم والحكمة حتى أصبح فى مقدمة علماء ذلك الزمان

روى انه استحضر لديه معلما ليعلمه فكان يجلس هو على الكرسى ويجلس المعلم تحت موطىء قدميه فلم يكن يفهم شيئا فذات ليلة ظهرت له السيدة العذراء وقدمت له دواة ملآنة ماء فشربها ولما أصبح الصباح طلب من معلمه أن يجلس على الكرسى ويجلس هو تحته ففتح الله ذهنه وصار يفقه كل ما يلقى عليه من الدروس حالا

وكان هذا البابا على جانب عظيم من التقوى حتى انه لم يباشر زوجته مباشرة زواج البتة وقد حدث أن البعض تقمقموا عليه بسبب زواجه ولم يرق فى نظرهم أن يكون البطريرك ذا زوجة كباقى الناس فعلم بهذا الامر وانتهز الفرصة فى يوم الصلاة و بعد تأدية الخدمة الدينية استحضر زوجته ووضع فى مئزرها بعضا من جمر نار المبخرة ووضع كذلك فى جبته وطاف على هذه الحال هو وهى بين الشعب وأمامهما نفر من الشمامسة ينشدون التراتيل الروحية حتى انتهوا من دورتهم دون أن يحدث للمئزر والجبة أى شىء من تأثير النار فاندهش المنتقدون واقتنعوا بواسطة ما شاهدوه بطهارة معاشرته لامرأته وطلبوا منه الصفح والغفران . وقيل انه كان فى مبدأ أمره ممتنعا عن الزواج فاجبره والده على الزواج من ابنة عمه و بعد اقترانه من امرأة صالحة كانت قد نذرت البتولية وأجبرت على الزواج نظيره كاشفا بعضهما بما فى عزمهما واتفقا على المعيشة معا بطهارة تامة فعاشا كذلك ٤٨ سنة ، قيل وكان ملاك الله يظللهما أثناء نومهما . و بعد هذه الحادثة أمر زوجته بأن تعيش مع العذارى اللواتى نذرن العفة وانفردن للعبادة

ولعظم تقوى هذا البابا كان مطلعا بالروح على أعمال الخطاة القبيحة . فكان يكثر من توبيخهم وتبكيتهم وعندما كان أحدهم يتقدم الى تناول الاسرار المقدسة وهو متعلق بأية خطية كان يمنعه من الاشتراك و يوضح له خطيته حتى يخجل و يقر بذنبه و يتوب توبة حقيقية

ولبث مواظبا على عمله حتى شاخ وكبر فكان يحمل الى البيعة فى محفة وهو لا يفتر عن التعليم من الغداة الى الليل والاخوة يتوافدون اليه للاستفادة من تعاليمه والاستفهام منه عما اشكل عليهم اداركه مع أن قواه لم تكن تساعده على الفحص فى العلوم والكتب الاخرى . وكان بطريرك الاسكندرية هو الاسقف الوحيد فى مصر لحد ذلك العهد فرأى هذا البطريرك انه من الضرورى أن يعين ثلاثة اساقفة آخرين للاقاليم البعيدة عن مركز البطريركية ليتمكنوا من رعاية قطيع المؤمنين

وفى سنة ٢٠٢ م رقى هذا البابا العلامة اوريجانوس رئيسا للمدرسة اللاهوتية خلفا لاكلمندس الاسكندرى . وفى سنة ٢٣١ م ساء البطريرك الظن باوريجانوس ووقع بينهما نفور ادى البطريرك الى عقد مجمع حرم فيه اوريجانوس ونفاه وعين مكانه ياروكلاس أحد تلاميذ اوريجانوس

ويقول المؤرخون أن هذه هى الغلطة الوحيدة التى شط بها البابا ديمتريوس عن سبيل الصواب وذلك لانهم يذكرون لاوريجانوس دفاعة المجيد عن المسيحية وكان يجدر ببطريرك تقى كهذا أن لا ينسى ماض اوريجانوس الذى يدل على غيرته وفضله لاجل غلطه صغيرة ارتكبها كما سيأتى بنا فى ترجمة ذلك العلامة

وفى أيام هذا البابا كان هياج بمدينة الاسكندرية وثار الاضطهاد على المؤمنين فسطا لينوس والى مصر الرومانى على البطريركية ونهب أمتعتها وسلب أوانى الكنيسة وقبض على البطريرك نفسه ونفاه الى اوسيم (١) حيث بقى فيها الى أن هدأت نيران الاضطهاد ولبث على الكرسى ٤٢ سنة ثم توفى فى ١٢ بابه سنة ٢٣٢ م وله من العمر ١٠٥ سنة

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة

(١) المدرسة اللاهوتية   (٢) بنتينوس
(٣) اكليمندس الاسكندرى   (٤) اوريجانوس

(١) المدرسة اللاهوتية :

قيل أن مؤسسها هو مرقس الرسول سنة ٦٨ م وكانت تسمى المدرسة الكاتشيسس (أى تعليم قواعد الايمان بالسؤال والجواب) وكان الغرض من انشائها تعضيد الديانة المسيحية لان الدين المسيحى لقى فى الاسكندرية مصاعب لم يلق مثلها فى غيرها وكان لابد له من التغلب عليها . وسببها أن الشعب كان يكره دين اليهود الذى هو أساس المسيحية وكان علماء الموز يوم الذى كانت فى ايديهم ادارة الشعب أقل استعدادا لقبول تعاليم مصدرها كمصدر الدين المسيحى . فرأى المسيحيون فى الحال انه لابد من اصلاح تعليمهم اصلاحا خصوصيا فى مدينة خاصة بالفلاسفة والمحققين فأنشاوا تلك المدرسة للذين كانوا يريدون أن يتضلعوا فى معرفة أصول الديانة

(١) كانت هذه المدينة فى العصر المسيحى مركزا دينيا مهما بها اكثر من ٣٦٠ كنيسة ولكن العرب بعد دخولهم الى مصر أضعفوا شأنها حتى صارت فى أوائل القرن التاسع عشر بلدة صغيرة على مسيرة ساعتين للراكب من كوبرى امبابة

وفى أواخر القرن الثانى انحاز بنتينوس أحد الرواقيين القدماء الى تلك المدرسة التى كانت تناظر الموزيوم فى العلوم الادبية والدينية وجعل مديرا لها : ثم اعتنق الفيلسوف اثناغورس الاثينى الدين الجديد واستلم ادارة مدرسة خلفه فيها قوم أعظم منه . وفى عهد اكليمندس واوريجانوس بلغت تلك المدرسة اسمى درجات المجد وفاقت كل المدارس النصرانية التى انشئت فى القرون الاولى للميلاد فكان يدرس فيها فوق اللاهوت والفلسفة المنطق والطبيعة والرياضة والفلك والموسيقى لان العلوم كانت لها ضربة لازمة لوجودها فى وسط ديانة يهودية مستندة الى الفسلفة ومدارس يونانية أو مصرية مستندة الى النظامات العمومية وهرطقة اريوس وهى دقيقة تميل اليها القلوب ومقاومين اشداء اقلقوا الكنيسة فى أزمانها الاولى وهم الغنوسطيون المشار اليهم آنفا

واعتنى علماء تلك المدرسة بأن يعرضوا الدين المسيحى على الناس عرضا تعمقوا فى البحث عنه وذلك ما سماه القديس اكليمندس الاسكندرى « الغنوسطية الحقيقية » المضادة للغنوسطية الهرطوقيه التى انتحلت هذا الاسم زورا وبعد أن عرضوا الايمان المسيحى على هذا المنوال ألفوا تآليف شتى لتفسير التوراة ونبذات خصوصية فى قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب الى القديس اثناسيوس وكل الارتقات المشهورة ولاسيا ارتقات الالفيين وسابيليوس واريوس ونسطورس واوطيخا صادفت مقاومين اشداء فى المدرسة المسيحية

هذه هى المدرسة اللاهوتية التى امتد فضلها الى كل الاصقاع وانتشر نورها فى كل مكان وكفاها فخرا أن تخرج منها فطاحل بابوات الاسكندرية وحماة البيعة المقدسة . ومع انها أصيبت بمحن شديدة واضطهدت فى أيام ساويرس سبتميوس وديوكلتيانوس القيصرين الا انها رجعت الى رونقها بعد وفاة المضطهدين ومن دلائل عظم شأنها أن منصب رئيسها لاهميته كان يلى المنصب البطريركى فى الرتبة وجل البطاركة انتخبوا من رؤسائها

وظلت زاهرة بالعلوم ويفد اليها طلاب من كل أصقاع المسكونة حتى قام رودن آخر رئيس تولاها ونقلها من مكانها الى بلدة سيد فى اقليم بامفيليا بدون سبب يدعو لذلك فأضربها هذا النقل ضررا عظيما وتناقص عدد طلابها . ولما حدث ذلك الانشقاق المحزن الذى سببه مجمع خلكيدون فى اواسط القرن الخامس اندكت معالم تلك المدرسة واصبحنا لا نعرف عنها الا أنها كانت مقر العلم ومقصد العلماء

واليك أسماء الذين تعاقبوا على رآسة هذه المدرسة :

(١) يسطس — أول من صار رئيسا على تلك المدرسة عينه مار مرقس الرسول وظل متواليا رئاستها فى أواخر سنى حياة الرسول وفى عهد البطاركة الاربعة الذين خلفوه وكان للبابا انيانوس البطريرك الثانى عناية خاصة بتلك المدرسة وتعلم من مار مرقس كيف يهذبهم وكانوا جميعهم كما

أخبرنا المؤرخون المسيحيون وفيليون اليهودى أيضا زاهدين فى الدنيا لا يكترثون بشىء من حطامها وانما كانوا يهتمون بالله فقط . ومن ثم كانوا جميعهم متحدين بمحبة صافية وفائزين بسلام الارواح السماوية ولم يكن بينهم فقير ولا غنى لان الاغنياء منهم كانوا قد اعطوا أموالهم للفقراء لكى يفكر كل واحد فيما يجعل الانسان غنيا بالله . ولم يكونوا يتناولون مأكلا سوى مرة واحدة كل يوم وذلك بعد غروب الشمس وبعضهم كانوا يصومون ثلاثة أيام أو خمسة من دون أن يأكلوا شيئا . وكان مأكلهم الخبز ومشربهم الماء لا غير . وذلك كان للرجال والنساء على حد سوى

(٢) اومانيوس : فى مدة بطريركية يسطس
(٣) مركيانوس : فى مدة بطريركية اومانيوس

(٤) بنتينوس
(٥) اكلمندس فى بطريركية ديمتريوس
(٦) أوريجانوس

(٧) ياروكلاس
(٨) ديونوسيوس
(٩) ثاوغنست فى بطريركية ثاؤنا
(١٠) بيروس [١]
(١١) ارشلاوس

(١٢) بطرس : فى بطريركية ارشلاوس
(١٣) سيرابيون [٢]
(١٤) مقار السياسى فى بطريركية اثناسيوس
(١٥) ديديموس الضرير
(١٦) رودن : فى بطريركية كيرلس الاول

(١) كان كاهنا تقيا ورعا اشتهر بالتزهد والتنسك وعرف بزلاقة اللسان وفصاحة المنطق حتى لقبه البابا بطرس البطريرك السابع عشر «اوريجانوس الصغير» وقد تتلمذ له كثيرون اشهرهم بفيليوس البيروتى . وحوالى سنة ٢٨٢ م استشهد بيروس على ما يظن فى الاضطهاد الذى احدثه فاليريان قيصر

(٢) كان عالما متضلعا وكاتبا ماهرا وصديقا وفيا للبابا اثناسيوس الرسولى ولذلك ارسله مع من أرسلهم الى القيصر قسطنطين الكبير

(٢) بنتينوس :

ولد بالاسكندرية فى أوائل القرن الثانى وهو من أصل قبطى (٢) قيل انه كان قبل تنصره من فلاسفة الرواقيين (٣) والظاهر انه كان هو ومعاصره اكلمندس الاسكندرى تلميذين لاثناغورس الفيلسوف (٤) وكانا كباقى مسيحى مصر متضلعين فى علوم القدماء وحكمتهم كتضلعهم فى كل الحقائق والمبادىء المسيحية

تولى بنتينوس رئاسة المدرسة اللاهوتية حوالى سنة ١٨١ م واستمر فى وظيفته حتى أتت رسالة من بلاد الهند الى البابا ديمتريوس البطريرك يلتمس فيها أهلها أن يرسل اليهم عالما تقيا يعلمهم الايمان فوقع اختيار البطريرك على هذا العلامة وعرض عليه الامر فقبله بكل سرور وتخلى عن رئاسة المدرسة سنة ١٩٠ م بعد أن سلم مقاليدها الى زميله اكلمندس حتى يعود اليها . ومن ثم توجه الى بلاد الهند واذاع فيها بشرى الخلاص . قيل انه وجد عند الهنود نسخة من انجيل متى باللغة العبرانية مكتوبة بخط الانجيلى نفسه وكانت موضوع اجلالهم واكرامهم فسألهم عمن أتى بها اليهم فاجابوه انه الرسول برثولماوس . وبعد أن صرف فى بلاد الهند مدة لا نعلم مقدارها رجع الى الاسكندرية واتى بهذه النسخة اليها

وفى ذلك الحين شعرت الكنيسة بضرورة الشروع فى ترجمة حياة السيد المسيح الى اللغة المصرية فأخذ بنتينوس على عاتقه القيام بهذا العمل غير انه رأى أن اللغة الهيروغليفية لا تصلح للنطق ببعض مقاطع ولهجات اضاف عليها ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية ومن ثم بدأ فى العمل بمساعدة تلاميذه حتى انجزه واستطاع أن يخرج الكتاب المقدس للمصريين بلغتهم ليتعلموه فى بيوتهم وكنائسهم . ومن ذلك الحين أهملت الكتابة بالاقلام الهيروغليفية واعتاضت عنها الكتابة اليونانية

---

(٢) يميل بعض الغربيين الى القول بأن أغلب الكتيسة القبطية كانوا من أصل يونانى و يكفينا فى دفع افتراء هؤلاء القوم الذين يحاولون تجريد الكنيسة القبطية من كل ميزة حتى من علمائها ما جاء فى كتاب « برهان الكنيسة الشرقية » الذى طبعه تلاميذ مدرسة اليونان بمدينة رومية سنة ١٧٠٢ م حيث قيل « انما دعى الاباء الشرقيون يونانيين لانهم كتبوا تآليفهم باللغة اليونانية » .

(٣) الرواقية فلسفة قديمة تجددت قبل الميلاد بسنتين وقد قال أصحابها ان الخير الاعظم فى الفضيلة وغرضهم كان اتحاد الدين بالفلسفة وقد اقروا بوجود الله ولكنهم قالوا بأنه حال فى كل شىء و بأنه توجد آلهة صغرى اتفقت مع آلهة الديانة المقبولة عند الجمهور .

(٤) هو من الاسكندرية و يسمى الفيلسوف الاثينوى كان مشتغلا بوظيفة عالية مهمة فى متحف تلك المدينة واعتبر من أساطين الديانة الوثنية . وكان كغيره من الفلاسفة الافلاطونيين يكرهون الديانة المسيحية ورغبة فى مقاومتها اجهد نفسه فى درس تعاليمها جيدا وواظب على ذلك بهمة لا تعرف الملل فكانت النتيجة ان قوة تأثير الديانة المسيحية والحق المؤسسة عليه قد فعلا فيه فعلا حسنا فتغيرت أفكاره وآمن بالمسيح سنة ١٧٦ م وأصبح من أعظم انصار الديانة المسيحية وأكبر المدافعين عنها . ومما كتبه لهذا الغرض رسالة عنوانها « الى مرقس اوريليوس وكمودس » و يظن أن تاريخها بين سنتى ١٧٦ و ١٧٧ م دافع فيها عن التهم التى كان اعداء المسيحية يوجهونها اليها

وعاش هذا الفيلسوف بعد أن تولى ادارة المدرسة اللاهوتية مرة ثانية مدة وجيزة ثم توفى سنة ١٩٠ م وقد ألف هذا العلامة تفاسير كثيرة على الاسفار الالهية حتى قال عنه تلميذه وخليفته أنه كان موعبا من روح الكتاب . غير أن جميع كتاباته مفقودة

(٣) اكليمندس الاسكندرى

هو تيطس فلافيون ذهب بعضهم الى انه ولد بالاسكندرية فنسب اليها . وقيل انه لقب بالاسكندرى تمييزا له عن سمية اكليمندس الرومانى . وقال آخرون انه ولد فى اثينا نحو اواسط القرن الثانى ثم تفرغ منذ حداثته لدرس الفلسفة فتضلع فى الفلسفتين الرواقية والافلاطونية (١) واذا لم يجد فيها ما كانت تصبو اليه نفسه سعى يطلب الحقيقة فزار بلاد اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى ومصر وخالط المعلمين النصارى فأثر فيه ما سمعه من القديس بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية فاهتدى الى النصرانية وصار من المساعدين لمعلمه فى المدرسة واشتهر فى معرفة الاسفار الالهية . ذهب بعضهم الى انه خلفه فى ادارتها نحو سنة ١٩٠ م وبقيت ادارة مدرسة الاسكندرية منوطة به الى سنة ٢٠٢ م وفيها حدث الاضطهاد الذى قام به ساو يرس قيصر فاضطره الامر الى الفرار الى فلسطين فزار اورشليم وانطاكية

وذكر فى بعض الروايات انه كان فى اورشليم سنة ٢١٠ و ٢١١ م لان اوسابيوس أسقف قيصرية (٣١٥ م) الملقب بابى التاريخ الكنسى ذكر فى ذلك التاريخ انه كان حاملا رقيما من أسقف أورشليم الى كنيسة انطاكية وأقام أولا فى اورشليم حيث وجد الاسكندر اسقفها مسجونا ثم قصد مدينة انطاكية واجتمع باسكيلابيادس أسقفها ولم يعلم عنه شيء فى السنين الاخيرة من حياته

وقال الباحثون أن هذا القديس يمتاز بين آباء الكنيسة بتضلعه فى الفلسفة اليونانية ومحبته لها وكان يعتبر الفلسفة علما الهيا والفلاسفة أنبياء الوثنية . وكانت تعاليمهم عنده تمهيدا لطريق المسيح بين الوثنيين كما كان ناموس موسى تمهيدا لها بين العبرانيين ولم يكن يثبت احدى المدارس الفلسفية ولا خطر له قصد متنسق لجهة اللاهوت المسيحى . وكل الجهد الذى بذله فى التأليف بين الفلسفة والدين كان منحصرا فى تفاسيرا رمزية للكتاب المقدس واراء يظهر لمن أمعن فيها النظر انها جديرة ببعض أصحاب العلم الالهى أكثر مما هى حقيقية بمسيحى غير انه بمقابلته بين الآراء المسيحية والآراء اليونانية حصل له نفوذ فيهم فى عصره وساعد على انتشار الفلسفة المسيحية

---

(١) تعلم هذه الفلسفة بأن العالم يسوسه اله مستقل قدير عاقل . وكان افلاطون يعلم الناس ما يجب أن يخافوه وما يجب أن يرجوه بعد الموت وتعاليمه من جهة الارواح وانفس البشر عبارة عن خرافات محضة

وللقديس اكليمندس ثلاثة مصنفات لا تزال موجوده عنوان الاول « تحريض الامم » وفيه يحرضهم على الرجوع من عبادة الاوثان الى خدمة الاله الحق وكلمته . والثاني « المرشد » في ثلاثة أجزاء ومضمونه تثقيف المؤمنين الحديثين وتهذيبهم في معرفة الانجيل . والثالث « المتنوعات » في ثمانية مجلدات وهو يتضمن مقالات عديدة في مواضيع فلسفية وحقائق انجيلية وذكر بعض التعاليم الباطلة ودحضها غير أن المجلد الثامن منه مفقود . ولنا منه رساله عنوانها « من يخلص الاغنياء » مؤلفه على طريقه المقالة . وهناك أيضا اجزاء مؤلفات له مواضيعها « عيد الفصح . الصوم . النميمة . القوانين الكنسية . اغلاط المشهورين » . ومن مؤلفاته المفقودة كتاب « المقتطفات » في ثمانية أجزاء وهو يتضمن ملخص حوادث الكتاب المقدس . وقد اقتبس أوسابيوس شواهد كثيرة من هذا الكتاب وذكر رسالة أخرى لاكليمندس عنوانها « الحث على الصبر » خاطب بها المعتمدين جديدا وكذلك تنسب اليه ترنيمة المخلص

غير أن كتابه في شرح الاسفار المقدسة بالاختصار يحتوى على اغلاط وحكايات منقولة عن الفلسفة الوثنية وهرطقة الغنوسطيين . ولما كان أوسابيوس وايرينموس قد ذكرا الكتاب دون أن يذكرا الاغلاط الفظيعة التي ذكرها فوتيوس كان يظن أن الاغلاط المذكورة قد أدخلها فيه الهراطقه بعد ذلك اذ كان من دأبهم أن يفسدوا تآليف أشهر آباء الكنيسة

قال أحد الكتاب « قلما ترى في تآليف آباء الكنيسة القدماء أشياء ألذ من الاشياء المشتملة عليها تآليفه فان فيها حوادث كثيرة متعلقة بتاريخ العالم فضلا عن انها تحتوى على قطع كثيرة منقولة عن مؤلفين لم يبق لتآليفهم أثر » واحسن طبعة من تآليفه هى التى طبعها الاسقف بوتسر باللغة اليونانية واللغة اللاتينية

(٤) اوريجانوس :

ولد هذا العلامة العظيم فريد عصره بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٥ م من والدين مسيحيين تقيين وكان أبوه يدعى ليونيدس وله سبعة أولاد أكبرهم اوريجانوس قيل ان ابا اوريجانوس كان من معلمي الفصاحة فرباه باعظم اهتمام ولم يكتف بأن يروضه في العلوم والقوى العقلية والرياضية بل فقهه أيضا في الكتب المقدسة وكان يختبر ذكاءه فيأمره بأن يحفظ كل يوم بعض آيات منها حتى حفظ أغلب نصوص الكتاب المقدس غيبا وكان أبوه يتعجب من بركات النعمة التى تشمله أكثر من حذاقة عقله فكان يدنو منه وهو نائم و يكشف عن صدره و يقبله باحترام كأنه هيكل الروح القدس

ولما استكمل قواه وضعه في المدرسة اللاهوتية فتتلمذ للعلامة اكليمندس وقرأ عليه الكتاب المقدس وتوسع في درس مؤلفات افلاطون والرواقيين . وحالا تحقق حسن ظن أبيه به فبرز

أوريجانوس على جميع أترابه ونشأ وقلبه مفعم بحب الدين والغيرة عليه و به وجد وهيام الى نيل اكليل الشهادة حبا بالمسيح حتى عرض نفسه مرات ليكون فى عداد الشهداء

وفى سنة ٢٠٢ م لما أثار ساو يرس قيصر الاضطهاد قبض على ليونيدس واودع السجن دون أن يعلم أوريجانوس اذ كان خارج البيت وقت القبض عليه ولما رجع فى المساء وجد امه التعيسة واخوته غارقين فى بحار الاحزان واذ علم الخبر أعلن ميله ورغبته فى اللحاق بابيه ليشترك معه فى نوال اكليل الشهادة . فتوسلت اليه أمه بدموع غز يرة والتمست منه أن يبقى الى الصباح فأوى اوريجانوس الى مضجعه بعد أن أخذت أمه ثيابه واخفتها عنه فلم يتمكن فى الصباح من الخروج ولم تطلقه أمه الا بعد أن تأكدت منه انه لا يتركها الا اذا اضطر اضطرارا شديدا

واذ ضاق به الامر أرسل لابيه خطاب تعز ية يشجعه فيه على احتمال الخطوب و يطلب منه أن لا يشتغل بهم بقوله « حذار أن يغير العذاب رأيك فى دعوانا لا تهتم باولادك فان الله سبحانه وتعالى يعتنى بنا » وقيل أن اوريجانوس كان معتادا أن يرسل أمثال هذا الخطاب لتشجيع المؤمنين الذين كانوا واقعين تحت طائلة عذاب الاضطهاد (١)

أما ليونيدس فقطعت رأسه سنة ٢٠٣ م وتبعا لقوانين الاضطهاد حينئذ ضمت أملاكه الى الحكومة فباتت أرملته وأولاده فى فقر مدقع وأصبح اوريجانوس مكلفا بالقيام باودهم وكان عمره وقتئذ سبع عشرة سنة . ولم يكد يشعر بضيق الحال حتى سخرت له العناية الالهية امرأة غنية فاضلة كانت ملجأ لكثير ين من المنكوبين فى ابان الاضطهاد فرقت لحال اوريجانوس وآوته فى بيتها ولبث عندها طول مدة الاضطهاد وهى تنفق عى تعليمه فى مدرسة اكليمندس . وكان فى بيتها رجل هرطوقى تبنته اسمه بولس من انطاكية فأفرغ أوريجانوس قصارى جهده ليرده عن ضلاله فلم يقلع عنه ولما لم يطاوع اوريجانوس و يشترك معه فى الصلاة ترك هذا دار المحسنه اليه

وخرج أوريجانوس من ذلك المأوى وهو عازم على الظهور أمام العالم بمظهر الجندى الباسل ليدافع عن بيضة المسيحية وكان يزاول مهنة التعليم ليقوم بنفقة نفسه وفى أثناء ذلك كان يذهب يفتقد من كان باقيا من المسيحيين فى السجون وطفق يعزيهم بكلمات روحية و يشجعهم على شرب كأس الموت بصبر . وكان يرافق الكثير ين منهم الى الحاكم وحتى الى منقع العذاب و يشدد عزائمهم على الثبات فى الايمان تارة بالاشارات وتارة بالخطب البليغة ومرارا شتى عرض حياته للخطر وهو يباشر أفعال الغيرة هذه . فاشتهر بعمله هذا واستحق اعجاب الجميع ولا سميا البابا

---

(١) قد جمع اوسابيوس المؤرخ مجموعة تحتوى على أكثر من مائة مكتوب رقمتها يد اوريجانوس فى مثل تلك الظروف الحرجه ولم يبق منها شيء للآن بل ذهبت طعاما للنار التى أحرقت المكاتب فى الاسكندر ية وفلسطين . واوسابيوس هو أول من اعتنى بكتابة تار يخ أوريجانوس آخذا بعضه عن رسائله و بعضه عن تلامذته الذين بقوا احياء الى أيام أوسابيوس فى القرن الثالث .

ديمتريوس الذى قربه اليه وأظهر له سروره من سعيه المبارك وزاد ابتهاجه به عندما رآه فضلا عن تعبه فى تخفيف و يلات المتضايقين منكبا على الدرس ومواصلا المطالعة فشجعه على الاستمرار فى جهاده المبرور

وكانت المدرسة اللاهوتية حينئذ مغلقه بسبب هروب أساتذتها من وجه الاضطهاد فجد البطريرك حتى جمع بعض الطلبة فى تلك الاوقات المخيفة وكلف اوريجانوس بتعليمهم فشرع يعلم مبادىء الآداب اليونانية ثم تعاطى تفسير الدين المسيحى للموعظين . وكانت للتلاميذ مرتبات من الاموال المخصصة للفقراء

ولم يكد اوريجانوس ينجح فى عمله حتى قبض اكويلا والى مصر بأمر كاركلا قيصر على خمسة من تلاميذه وبعد أن عذبوا عذابا شديدا حكم عليهم بالموت المريع لانهم أبوا أن ينكروا ايمانهم . وكان بين الخمسة اثنان باسم ساويرس أحدهما حرق والاخر قطعت رأسه بعد أن عذب طويلا . وهيراكليدس وهرون قطعت رأساهما أيضا . أما الخامس وهو ياروكلاس فكان صديقا حميا لاوريجانوس فلم يتركه عند القبض عليه بل رافقه الى موضع الاعدام . ولما شاهد الجنود يقتربون من ياروكلاس تقدم اليه بشجاعة وقبله قبلة الوداع على مشهد من الجميع فاغتاظ منه الرعاع وهموا برجمه ولكنه أسرع بالهروب و يظهر أن مطاردتهم له مكنت ياروكلاس من الفرار بطريقة ما وعاش حتى صار رئيسا للمدرسة اللاهوتية فبطريركا للكرازة المرقسية . الا أن التعليم فى تلك المدرسة أبطل من ذلك الحين وطرد أوريجانوس من المدينة ولما سمح له بالرجوع استأنف التعليم

وبعد سنتين عينه البابا ديمتريوس رئيسا رسميا للمدرسة اللاهوتية وهو فى الثامنة عشرة من عمره فتقاطر عليه الكثيرون للاستفادة من تعاليمه حتى ان الوثنيين أيضا أخذوا بفصاحته فكانوا يقبلون اليه وأهدى كثيرين منهم الى الايمان حتى أوغرت عليه صدور الوثنيين وصاروا يمقتونه مقتا شديدا رغما عن احترامهم له بالنسبة لفضيلته . وكانوا يتمنون أن يتمكنوا من القبض عليه ليوردوه موارد الهلاك . ولما رأى البابا ديمتريوس سخط الوثنيين على أوريجانوس يتزايد كل يوم اضطر أن يضع حوله حراسا أقوياء ليمنعوا الاذى عنه

قال اوسابيوس المؤرخ « ان عوامل الاضطهاد كانت تزداد ضده كل يوم وحنق القوم عليه أصبح شديدا حتى أن أهالى الاسكندرية عن بكرة ابيهم لم يستطيعوا احتماله ولا الصبر على انتقاله من منزل لأخر وجولاته فى كل ناحية مرشدا ومشجعا الجم الغفير الذين هداهم الى الايمان الصحيح » أهـ . وروى ابيفانيوس أن رعاع الوثنيين أمسكوه يوما بينما كان سائرا فى الطريق وحملوه بضجيج شديد الى هيكل سيرابيوم الشاهق وحلقوا له رأسه و وضعوا عليها قلنسوة والبسوه حلة بيضاء على طريقه كهنتهم رغما عنه ومن ثم أخرجوه خارج الهيكل وأصعدوه على القمة الكبرى التى

كانت فى أعلى السلم واعطوه سعف النخل وأمروه بأن يوزعه على عبدة الاوثان الذين كانوا مجتمعين حوله وهم يسخرون به و يصفقون له . فاسرع اوريجانوس ولوح بالاغصان ونشرها على المتجمهرين وهويقول لهم بصوت عظيم « هلموا خذوا هذه الاغصان لكن ليس برسم الاوثان بل باسم يسوع المسيح خالق الانسان » فصروا بأسنانهم عليه وهموا بقتله ولكن الرب انقذه هذه المرة أيضا من أيديهم

و يظهر أن انعكافه الزائد وسعيه المتواصل لنوال أسمى درجة فى العلم والفضيلة قد جعله زاهدا فى الحياة لدرجة متناهية فرفض جميع ما كان يقدم له جزاء لا تعابه وتقسى على جسده فكان يقتات فقط بما يدرأ عنه الم الجوع ولا يشرب شيئا من المشروبات وكان ينام على الارض دون فراش و يلبس ثوبا واحدا ويمشى دون حذاء . يصرف كل النهار فى التعليم والاشغال المتعبة و يقضى أكثر الليل فى الدرس والمطالعة . وفى تلك المدة تخلى عن مكتبته التى جمعها من مؤلفات الفلاسفة والتى كتبها بيده من مكتبة الاسكندرية لرجل وثنى مقابل راتب يومى قدره أربع بارات (أى ثمانية مليمات تقريبا) وحسب ذلك كافيا لسد حاجته . ولهذا لقبه المؤلفون القدماء بادمتيوس (الالماسى) لميله الى النسك ونشاطه الذى لا يخامره ملل . ومع هذه الصرامة التى عامل بها نفسه كان مجملا بوداعة تسبى قلوب الجميع فرقة طباعه وحذاقة عقله جعلتا كثيرين من الاسكندرية يلتفون حوله . ولما كان ينتصب للخطابة كان الرجال والنساء من كل رتبة يسارعون لسماع تعاليمه

وكان اوريجانوس حريصا على عفته وطهارة ذيله ويخشى أن يرشقه حساده وخصماؤه بنبال اغتيابهم . وكان يشعر بأنه مضطرا الى التردد على بيوت المؤمنين لتعليم العائلات أصول الدين ورأى كثيرات من التلميذات يتبعنه وفيما كان سنة ١٠٦ م يطالع فى الاصحاح التاسع عشر فى انجيل متى انتبه للآية الثانية عشر وأخذها على ظاهر معناها فخصى نفسه لكى يمنع عنه التجربة ولم يكاشف بأمره الا البابا ديتريوس . و بسبب كل هذا التقشف الزائد أصيب جسمه بالنحول والضعف . قيل ان هذا ما كان يرومه اوريجانوس كى لا يكون أهلا لنوال درجة الكهنوت

ولم يكتف أوريجانوس بما حصله من العلوم الكثيرة فى المدرسة اللاهوتية فعكف على درس العلوم الطبيعية والادبية فى المدرسة الوثنية التى كان يديرها أمونيوس السقاص غير انه لما رأى نمو عدد تلاميذه تركها نظرا لعدم ملائمة تلك الدروس لما كتبه الوحى الالهى . غير انه لبث يطالع ما سطره الاقدمون من الاقوال المفيدة ولما عاب عليه البعض ذلك كتب يقول « لما كنت قد كرست نفسى لخدمة كلمة الخلاص وكان قد ذاع صيتى فى الآفاق نظرا لبراعتى واقتدارى وكثيرا ما كنت معضدا للهراطقة وأهل البدع الذين يجيئون لزيارتى والبحث معى وكنت مرموقا بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية خصوصا المتعمقة فى الفلسفة ــ قصدت أن فحص أفكار الهراطقة وأمتحن

تآليف الفلاسفة الذين أحيانا ينطقون بحقائق مهمة وقد اتبعت في هذا خطوات بنتينوس الذى أفاد الكثيرين قبل أن أوجد أنا ولم تكن معارفه قاصره على هذا الحد كما اننى قفوت آثار هاراكلامى الذى كان عضوا في مجمع الاسكندرية وقد علمت انه واظب مدة خمس سنوات يحضر عند معلم الفلسفة قبل أن ابتدىء أنا في استيعاب هذه العلوم » أهـ

فانكب أوريجانوس على درس الفلسفة على مذهب بيتاغورس وأفلاطون ليستعين بذلك على رد مزاعم أهل البدع وعلى تفسير الكتاب ولهذا كان أيضا صديقا لامنيوس السقاص

وفي سنة ٢١١ م زار مدينة رومية فقوبل فيها بكل اجلال كما يليق بعالم فاضل مثله وتقابل بزفرينوس أسقف تلك المدينة بعد فكتور. فثبت هناك في ما عزم عليه من عمل شيء يكون له نفع عظيم لعلماء التوراه واذ صرف في الامر غايته لم ير بدا من أن يشرك معه في تدبير المدرسة اللاهوتية ياروكلاس أحد تلاميذه المتقدمين . ثم انصب على درس اللغه العبرانية فلم يلبث أن برع فيها وكان غرضه أن يستقصى معانى آيات الكتاب المقدس الحقيقية ليضع لها تفسيرا وافيا وليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من أعظم الاعمال التى قام بها اوريجانوس في حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بسنين قليلة

وكان صيته حينئذ قد قرع كل الاسماع ودوى في جميع الاماكن فتوافد عليه الكثيرون طلبا للاستفادة من معلوماته . وكان من أجل خدماته قيامه بثلاث رحلات الى بلاد العرب أولها كان بين سنة ٢١٢ و ٢١٣ م وسبب ذهابه هو ان حاكم بلاد العرب أرسل بعد هدوء الاضطهاد الى والى مصر و بطريرك الاسكندرية يطلب منهما ارسال الرجل المسيحى المسمى اوريجانوس بدون تأخير وذلك لكى يشرح له تعاليم الديانه المسيحية و يرشده الى طريق الخلاص فترك أوريجانوس في مكانه ياروكلاس وذهب لاتمام هذه المهمة ولم يستمر فيها طويلا لان البطريرك عين شخصا اسمه بيرلوس أسقفا على البصرة لهداية بلاد العرب . والمرة الثانية كانت ليحضر مجمعا انعقد بسبب سقوط بيرلوس أسقف بصرة المتقدم ذكره في الهرطقة فتمكن اوريجانوس من ارجاعه الى حضن الكنيسة . والثالثة كانت لدحض بدعة انتشرت هناك ومؤداها ان اللاهوت مات مع الناسوت وقام معه ثانية في وقت واحد .

وفي سنة ٢١٢ م تعرف أوريجانوس برجل من أرباب الثروة والنفوذ يدعى امبروسيوس وكان تابعا لضلال فالنتينوس فهداه أوريجانوس الى الايمان وصار له صديقا حميما وتمكن بواسطته من توسيع دائرة تعليمه وجعل درس جميع الفلسفة المعروفة تمهيدا لدرس اللاهوت المسيحى . ولم يكتف امبروسيوس بمساعدته على التعليم بل حثه على وضع أكثر الكتب التى ألفها ونسخها على مصاريفه الخصوصية . فاشترى واستأجر سبعة نساخ وكان يملى عليهم أوريجانوس متعاقبين (لا

يلقنهم معا كما توهم البعض) فنشر في الاسكندرية تفسيره لسفر التكوين والمزامير ومراثي ارميا والاقسام الخمسة الأولى من كتابه في انجيل يوحنا ورسالة في القيامة ورسالة عنوانها (ستروماتا أي مجموع فوائد) وتأليفه المعنون « بالمبادىء » وقد روى بعض الكتاب أنه كتب بعد ذلك الى فابيبانوس أسقف رومية أن امبروسيوس نشر المؤلف الاخير خلافا لارادته لان في ذلك الكتاب المذكور خلط المبادىء المسيحية بالفسلفة الافلاطونية فجعل لمضاديه في زمن نال سبيلا الى رجمه بتهمات قوية . ولكن أفضل المحققين يصرحون بأن كتاب المبادىء كان خاليا من كل عيب بشهادة البابا اثناسيوس الرسولي الذى رفع شأن هذا الكتاب ودفع عنه كل تهمة وحكم بقصر نظر من يرون فيه ضلالاً ولقد أشار القديس اثناسيوس على من يطالع هذا الكتاب بأن يفرق بين آراء أوريجانوس وبين الآراء المناقضة التي أوردها ذلك العلامة للرد عليها (١) وقال العلامة ديديموس الضرير « ان كتاب المبادىء هو ارثوذكسي المبنى والمعنى . أما الذين يرون فيه هرطقة فقاصرون عن ادراك مكنون اسراره » (٢)

وفي سنة ٢١٥ م اشتد الاضطهاد في الاسكندرية في عهد كاركلا قيصر فهرب أوريجانوس الى قيصرية في فلسطين حيث لقى كل اعتبار واكرام . ومع أن وظيفة الوعظ كانت حينئذ خاصة برجال الكهنوت ولم يكن اوريجانوس قد نال رتبة كهنوتية مع توافر علمه وتقواه بسبب زهده في الرتب والوظائف الا أن اسكندر أسقف أورشليم رفيقه في التلمذة وثيوسيتوس أسقف قيصرية طلبا منه أن يشرح الاسفار المقدسة جهارا لفائدة الجمهور بحضورهما ولما سمعاه أطلقا عليه لقب « سيد مفسرى الكتاب المقدس » وكان ميليانوس أسقف قيصرية الكبادوك ينتظر حضور أوريجانوس بفروغ صبر ولما استبطأه أسرع الى فلسطين ليتلقى العلوم ممن كان يفتخر بأن يدعوه استاذه

فلما وصلت أخبار أوريجانوس الى مسامع البابا ديمتريوس اعترض على أولئك الاساقفة لسماحهم لاوريجانوس بمزاولة مهنة خاصة بالكهنه فجاوبه الاساقفة بما يدل على احترامهم له ودافعا عن أنفسهما بأنهما سارا على منوال السالف الصالح الا أن البابا ديمتريوس لم يقتنع فأرسل رسائل لأوريجانوس مع بعض الشمامسة يأمره بعدم القيام بأية خدمة ويخبره بهدوء الاضطهاد ليحضر ويمارس أعماله فرجع أوريجانوس بسرعة الى الاسكندرية واستلم زمام أعماله .

ولم يمض الا القليل بعد ذلك حتى أتيح لاوريجانوس زيارة العربية حيث اجتمع بهيبوليتوس أحد فلاسفة المسيحية وقتئذ وقد وضع هذا كتاب عنوانه(Philosophumena)نسب الجزء الاول منه الى أوريجانوس وسنة ٢١٩ م استدعته ماميا أم الملك اسكندر محب المسيحيين الى

---

(١) قرارات مجمع نيقية رقم ٢٧

(٢) سقراط ك ٣ ف ٢٣

انطاكية لتسمع وعظه واستمر مدة كان فيها موضوع الاجلال والاكرام . وكان لمعارفه وادابه تاثير عظيم و بسببه خف الاضطهاد الذى كان واقعا على المسحيين أو انئذ

وفى سنة ٢٢٨ م أرسله البابا ديمتر يوس الى اخائيه ببلاد اليونان ليقاوم الهراطقة الذين أقلقوا راحة الكنيسة هناك فزار فى طر يقه فلسطين وكان فى كل مدينة أو قر ية نزلها يدعى الى الوعظ فى الكنائس ولما مر بفلسطين عند رجوعه خاطبه اسقفها ثوسيستوس بالاشتراك مع اسكندر أسقف أورشليم بأنه لا يجوز باستاذ الكهنة والاساقفة أن يكون مجردا من كل الكهنوت . و يظهر ان أوريجانوس كان بسيط القلب فاقتنع بكلامهما وارتضى أن يقبل منهما درجة القسوسية وهو فى السنة الثالثة والار بعين من العمر

غير ان ديمتر يوس البابا الاسكندرى اعتبر هذه السيامة تعديا على حقوقه . ومن ذلك الحين بدأ سوء التفاهم يجد مكانا بين أوريجانوس والبطر يرك الذى قام الحجة على ذينك الاسقفين لرسامتهما شخصا خاضعا له فجاو باه بأن احترامهما لمركزه عظيم . قال اورينموس « ان الحسد هو الذى حمل ديمتر يوس على هذا كله » غير انه لم يأت ببرهان على صحة ذلك والحقيقة كما يرويها المدققون ان البطر يرك الاسكندرى امتنع عن ترقية أوريجانوس لدرجة كهنوتية لسببين أولهما لأنه خصى نفسه الأمر الذى أخفاه اوريجانوس عن اسقفى فلسطين وأورشليم . ثانيهما نحول جسمه وضعفه وقد قلنا ان أوريجانوس كان يسعى وراء انحطاط القوى ليكون حائلا بينه و بين الرتب الكهنوتية التى كان راغبا عنها كأغلب أتقياء العصور الأولى

ولما رجع أوريجانوس الى الاسكندر ية بعد رسامته رأى البطر يرك حاقدا عليه و وجد مركزه قد سقط فحصل بينه و بين البطر يرك نزاع عقد بسببه هذا مجمعا بالاسكندر ية سنة ٢٣١ م حكم فيه بنفى أوريجانوس وبحرمه لانه رسم من أسقفين غير تابعين للكرازة المرقسية ولانه خصى نفسه الامر الذى بالغ أوريجانوس فى كتمانه وساعده البطر يرك على ذلك ولكنه اضطر الى اشهاره رغما عنه ثم أرسل خطابات الى جميع الكنائس يعلمها بحكمه على اوريجانوس

أما أوريجانوس فمع كونه عرف ان هذا الحكم فى غاية القساوة الا انه تدارك الامر بحكمته ولم يشأ أن يمكث فى الاسكندر ية ليوسع هذا الخلاف بل تركها تركا لا رجوع بعده . وكان قد أكمل القسم الخامس من كتابه فى انجيل القديس يوحنا ففزع الى قيصر ية . وفى تلك الاثناء عقد مجمع آخر فى الاسكندر ية وفحص كتاب « المبادىء » وحكم بأنه هرطوقى وحرم مؤلفه

ولما وصل أوريجانوس الى فلسطين استقبل فيها استقبال القائد المنتصر فاستاء البابا ديمتر يوس من كثرة تعدى أساقفة تلك الجهة على حقوقه . ولحق باوريجانوس امبروسيوس وعائلته

وتبعه كثيرون من طلاب العلم ولهذا عزم على فتح مدرسة فى قيصرية فلسطين يعلم فيها تفسير الكتاب المقدس وكمل فى تلك المدينة المذكورة تفسيره لانجيل يوحنا

وقد كتب حينئذ عما كان يجول بصدره قائلا « وحدث بعد هذه الامور أن الله أخرجنى من أرض مصر بيت العبودية كما خلص شعبه منها قديما . ثم قام عدوى (يعنى البطريرك) وأقام فى وجهى حربا عوانا بواسطة مكاتيبه التافهة التى تغاير مبادىء الانجيل تماما وحرك ضدى ريحا صرصرا فرأيت من الصواب أن أقاوم جهد استطاعتى مدافعا عن المبدأ المهم الذى اختطيته لنفسى وسرت عليه وهو الافادة والاستفادة وكنت أخشى من أن هذه المماحكات العقيمة يستفحل شرها فتستثير ثائرة النفس الأمارة فتضعف الذاكرة حينئذ وأعجز عن اتمام شرح الكتاب المقدس الذى بدأت به قبل أن ينطمس ذهنى خصوصا وأن ابتعادى عن النساخ الذين كانوا يكتبون الخط المختزل منعنى من تملية ما يخطر على بالى من الافكار . أما الآن وقد بعدت عن كل عوامل التأثير وقدر الله جل وعلا ان تخيب تلك السهام النارية التى صوبت نحوى وتذهب فى الهواء الفت نفسى حينئذ وقوع الملمات التى كانت تصيبنى بسبب التبشير بكلمة الانجيل واضطرت هذه النفس أن تتحمل بطيب خاطر جميع المصائب التى انتابتنى فهدأ روعى وسكن جأشى لجودة الهواء وحسن الطقس فعقدت النية علىّ عدم تأجيل نسخ وتملية المؤلفات المطلوب منى اتمامها » أهـ

وفى ذلك الحين كان أساقفة الكنائس الشرقية يطعنون فى سيامة أوريجانوس و يظهرون هرطقته . أما اساقفة فلسطين وفينيقية فكانوا يعضدونه و يدفعون عنه الملامة . أما مدرسة قيصرية فاستمرت تزهو وتزهر ونبغ من تلاميذ أوريجانوس جماعة مشهورون فنشروا صيته وأذاعوا مبادئه فى التفسير وكان منهم كثيرون هداهم الى الايمان وصاروا فيما بعد قديسين منهم اغريغوريوس ثافماتورغوس (صانع العجائب) الذى سقف فيما بعد على قيصرية الجديدة من أعمال تيطس وأخوه اثينودوروس الذى صار أسقفا أيضا على تلك البلاد . أما أوريجانوس فلم يعدل عن مشروعاته الادبية بل زاد همة ونشاطا وحمية والف رسالة فى فائدة الصلاة وأخرى فى تفسير الصلاة الربانية وكان يراسل كثيرا أشهر اساقفة آسيا ودعى الى كثير من المجامع الكنسية

ومع انه مدح كثيرا لتجلده الذى أظهره ازاء ما أصابه الا انه لم يسلم من الغلطات التى يرتكبها كثيرون ممن يكونون فى حال كحاله . فقيل انه وجه لخصمه البطريرك كثيرا من الانتقادات وتحرك أحيانا للانتقام منه لولا تبكيت ضميره وصفاته المسيحية . وحدث انه كان يعظ يوما بأورشليم على الآية القائلة « وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك » (مز ٥٠ : ١٦) ولم ينتبه من قراءة هذه الآية حتى و بخته حواسه وخشى أن يفهم السامعون انه يقصد توجيه الكلام لديمتريوس وانهالت الدموع على خديه بغزارة وارتفع صوته بالبكاء حتى لم يقو على التفوه بكلمة واحدة فشاركه السامعون فى التأثر والبكاء . وعقب ذلك تنيح البابا ديمتريوس

وخلفه ياروكلاس تلميذ أوريجانوس و يظهر انه كان موافقا لسلفه على اجراءاته ضد أوريجانوس فلم يفكر فى اثناء رئاسته أن يدعوه ليعود الى الاسكندرية

وفى ابان الاضطهاد الذى قام به مكسيمينوس قيصر سنة ٢٣٦ م سجن امبروسيوس صديق أوريجانوس و بروتكتسيتوس احد قسوس قيصرية وعوملا بمزيد القساوة فالف لتعزيتهما رسالة فى الاستشهاد وقبض أيضا على كثيرين من اتباعه واكره هو نفسه على الفرار من قيصرية فالتجأ الى فرميتيانوس أسقف قيصرية فى كبدوكية أحد أصدقائه المعجبين به كثيرا . ولما حدث الاضطهاد هناك أختبأ مدة سنتين فى بيت يوليانه امرأة غنية فاضلة وأذنت له فى استعمال مكتبة ابتاعتها من سيماخوس أحد علماء الابيونيين (١) الذى ترجم العهد القديم الى اليونانية فانكب اوريجانوس على مطالعة ما فى هذه المكتبة من الصحف وكمل فيه مقابلة النسخة العبرانية والنسخة اليونانية من التوراة وتهيأ بذلك لعمله العظيم بوضع كتاب « المسدسات » اى وضع آيات الكتاب المقدس فى ستة حقول ليظهر للعالم الكتاب المقدس منشورا فى ست لغات كما سيأتى ذكره

وفى سنة ٢٣٨ م رجع الى قيصرية فى فلسطين واستأنف اعماله ولم يلبث أن دعى الى أثينا وتمم هناك تفسير سفر حزقيال و بدأ بتفسير سفر نشيد الانشاد ولما جلس فيليب الملك العربى على تخت الامبراطورية الرومانية راسل اوريجانوس عائلته . وفى ذلك العربى الوقت اشتهرت رسالة ضد الديانة المسيحية وعم انتشارها جدا وضعها كلسوس الفيلسوف الوثنى الافلاطونى فانبرى العلامة اوريجانوس لتفنيدها وألف رسالة ضدها دافع فيها عن الدين المسيحى دفاعا مجيدا . ثم وضع حينئذ أيضا تفسير انجيل القديس متى ورسائل اخرى

وفى السنة الستين من عمره أى سنة ٢٤٥ م سمح للستينوغرافيين (اى الذين يكتبون بخط مختصر) أن ينقلوا خطبه وكان بين هذه الجماعة عدد من الفتيات اتخذن هذه الصناعة مهنة لهن للافادة والاستفادة . وكانت المجامع تستشيره فى المسائل الصعبة وتنتهى اليه فى عظيم المشاكل

وفى الاضطهادا الذى قام به ديسيوس قيصر نظر الى أوريجانوس كأكبر مدافع عن حقائق الديانة المسيحية فقبض عليه وطرح فى السجن وعذب عذابا شديدا وكتب فى السجن رسالة تتضمن النصيحة والتشجيع لمشاركيه فى العذاب الا أن صحته اعتلت لما حل به من الآلام وقد كتب يوسيبيوس عما عاناه أوريجانوس فى سياق كلامه عن استشهاد القديسين اسكندر أسقف أورشليم و بيبلسيوس أسقف انطاكية يقول « يصعب على الكاتب الماهر وصف ما قاساه أوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والآلام القاسى أثناء هذا الاضطهاد اذ وضعوه فى مقطرة من حديد وزجوه فى اعماق السجن حيث ظل بضعة ايام مطروحا على خشبة وهو مشدود

---

(١) كانوايعتقدون بحفظ ناموس موسى و بأن المسيح خاص باليهود ورفضوا رسائل بولس لانها توجب الخلاص للامم

بأربعة وثاقات لا يستطيع معها الحراك وهم يشعلون النار من حوله تهديدا له وتخويفا وغير ذلك من مراثر شرحها يطول ووصفها يهول ذاقها هذا المسيحى من اعدائه العديدين ولكنه لم يبد ضجرا ولا أظهر مللا ولم يقل يا أزمة انفرجى . وعندما انتهى القوم من تجريع أوريجانوس كل أصناف العذاب قدموه للحكم عليه بالموت فسعى القاضى الموكل بالحكم جهده فى تأخير مدته ليس لينجى أوريجانوس منه بل ليطيل عذابه باطالة أيام حياته . فالذى تم لاوريجانوس من آلام وعذاب يجدر بأن يكون عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن يذكر وتعزية للذى وقع فى مصاب أو اصابة شر وتجربة وعلى من يرغب شرحا وافيا عن ذلك عليه بمراجعة رسائل أوريجانوس التى بقيت بعده فيجد فيها أخبار يوثق بصحتها وتفصيلا وافيا اصابه وأصاب غيره من قبله » أهـ (١)

الا أن أوريجانوس مع كل ذلك لم يحكم عليه القاضى بالقتل وفيما بعد أطلق سراحه ولا يعلم كيف اطلق من السجن الا من رواية ابيفانيوس أسقف قبرص المتوفى فى أواخر سنة ٤٠٢ م حيث قال « بأن الوالى أتى اوريجانوس يوما فى السجن وعرض عليه أحد أمرين اما ان يرتكب رغما عنه امرا مخلا بقانون العفة أو يقدم بخورا فى مجمرة كانت معه باسم الاوثان . ولشده حرص أوريجانوس على عفته آثر أن يلقى البخور فى الجمرة على اقتراف المنكر و بذلك اطلق سراحه » أهـ وقال بعض المؤرخين ان ذلك لم يكن فى اضطهاد ديسيوس بل كان فى اضطهاد ساويرس اذ كان أوريجانوس فى الاسكندرية ولما كان ابيفانيوس من اكبر خصوم أوريجانوس انكر اكثر المؤرخين هذه السقطة وقال غيرهم ان أعداء أوريجانوس زادوا هذه الحكاية على كتاب ابيفانوس وأنه لو صح ذلك لما اهمل ذكره برفيروس عدو المسيحيين الاله الذى نقب عن زلات كثيرين من علمائهم . وهكذا يوجد بعض المؤرخين يدافعون عن صحة هذا الخبر وكثيرون منهم يكذبون و براهين هؤلاء أظهر وأقوى

والذين مالوا الى تصديق الخبر استندوا على قطعة رثاء وجدت لأوريجانوس رثى بها نفسه بقوله « أيها البرج الشامخ الا انك سقطت الى الحضيض بغته . و يا أيتها الشجرة الغضة المثمرة الا انك على الفور يبست و يا أيها النور المتوقد الا انك اظلمت وشيكا و يا أيها الينبوع الجارى الا انك نضبت . و يلى فانى كنت مشتملا بمواهب ونعم وقد عريت عنها الان جميعها . فرقوا لحالى يا أحبائى فانى دست خاتم اقرارى واتحدت مع الشيطان واشفقوا على يا خلانى فانى رذلت وطرحت امام وجه الله . أين ذاك الراعى راعى النفوس الصالح واين من نزل الى أورشليم الى اريحا وعنى بأمر جريح اللصوص فانجدنى يارب انا الذى وقعت من أعلى اورشليم ونقضت النذر الذى أخذته على فى المعمودية وغيرها وأغثنى أيها الروح القدس وهب لى من لدنك نعمة لا توب . رب انى ابتهل اليك لان تردنى فقد سلكت للهلاك اعظم مسلك . انعم على الروح القدس المرشد والمهذب

(١) لم يبق من هذه الرسائل التى أشار اليها يوسيبيوس سوى رسالتين لم يذكر فيهما شىء عن حوادث اضطهاد ديسيوس و يظهر ان ذلك واضح فى رسائل اوريجانوس المفقودة

الصالح لئلا أمسى مأوى للشيطان ولكن أدوسه كما داسنى وأقوى على حيله فأعود الى التمتع بخلاصك . رب انى اخر امام عرش مراحمك فكن لى رحوما انا النائح هذا النواح لتسد ما أسأت به . ان معاشر المسيحيين القديسين يتوسطون عندك من اجلى انا العبد الساقط رب اظهر رحمتك لخروفك التائه الذليل للذئب المفترس ونجنى من فمه وانزع عنى ملابس حدادى والبسنى منطقة الفرح والسرور واقبلنى أيضا فى فرح الهى واجعلنى ان أكون أهلا لملكوته بواسطة خالص صلوات الكنيسة عنى التى تحزن على وتواضع نفسها من أجلى يسوع المسيح الذى له مع الاب والروح القدس كل شرف وكرامة الآن والى ابد الابدين ، آمين » أهـ

والمعلوم انه لم يفرج عن أوريجانوس الا بعد موت ديسيوس قيصر وأمسى بعد ما عاناه من التعذيب اكسح من قبل الجراح التى انزلتها القيود فى رجليه فلبث مدة بعد خروجه من السجن يتجرع الاما مبرحة و يتقلب على فراش الضنى والنحول وهو يقترب بسرعة الى حافة الموت . ولكن انتعش حينئذ عندما وصله كتاب من البابا ديونسيوس البطريرك الاسكندرى الذى خلف ياروكلاس يشجعه فيه على احتمال المشقات و يظهر له حزنه العميق على حالته التعيسة . غير ان حياة اوريجانوس لم تطل بعد خروجه الا أربع سنوات على قول بعضهم كان فيها غير منكف من جهده فى التأليف والمكاتبات والخطب وعلى قول آخرين لم يعش سوى سنة واحدة وعلى كل حال فقد اثر عليه ما عوقب به من الالام المبرحة التى انهكت جسمه وسحقته فمات سنة ٢٥٤ م فى مدينة صور وله من العمر ٦٩ سنة ويحق لنا ان ندعوه شهيدا ودفن فى المكان الذى مات فيه بصور وظل قبره معروفا حتى شيدت فوقه كنيسة وذكر كثيرون من أصدقائه انه مات تحت العذاب سنة ٢٥٤ م وحفظ ضريحه مدة قرون عديدة بقرب المذبح فى كنيسة صور الاسقفية واستمر قبره مزارا للكثيرين حتى القرن السادس . قال مؤرخ « واذا سألت أهل صور عن مكان قبره لاشاروا لك الى اطلال كنيسة قديمة بنيت عليها أكواخهم وقالوا لك هنا قبر (أورسنيوس) ير يدون أوريجانوس مدفون فى قباب تلك الكنيسة وهو الآن تحت الأرض » أهـ

فرجل مسيحى فاضل كهذا كيف يتهمونه بالهرطقة وقد كانت حياته كلها بريئة من كل ما يشين وأجمع الكل على طهارة ثيابه ونزاهة نفسه حتى قال عنه يوسابيوس « ان حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته » وقال موسهيم المؤرخ « ان بيانه الساحر وعلمه الكثير وطبعه المحبوب وصيته الحسن فى التقوى الحارة الخالصة أعطته سطوة عظيمة . ولا سيما بين العلماء وذوى المراتب الاولى فى الهيئة الاجتماعية . ولم يقم أحد منذ زمن الرسل أكثر منه مناضلة واجتهادا فى اذاعة المعرفة وتفقية المسيحيين وتنويرهم واتحادهم وتوقيرهم فى عيون البشر » أهـ

٭ ٭ ٭

أما ما ينسب الى أوريجانوس من الضلال فلم ينبه فى حياته الا عن القليل منه ولما طرق مسامعه خبر هذه الاشاعات الكاذبة قال فى ميمره الخامس والعشرين على انجيل القديس لوقا « ان من دواعى سرور أعدائى ان يسبوا الى آراء لم أتصورها ولم تدر بخلدى » وجل ما اشيع عنه من الضلالات جمع بعد موته . و يغلب على الظن ان الذين نسبوا اليه الهرطقة هم اناس قرأوا مؤلفاته بدون أن يفهموها جيدا فتوهموا من ظاهرها ما يلصق به تلك التهمة . و يقال ان بعض الهراطقة فى ذلك الحين كانوا يجتهدون بأن

يدسوا فى كتب المؤلفين انواع هرطقاتهم ليوصلوها الى عقول الجمهور من هذا السبيل فلا يبعد أن يكونوا عملوا ذلك بمؤلفات أوريجانوس كما عملوا بمؤلفات اكليمندس قبله وكما شرع كثيرون منهم بكتابة أناجيل ورسائل ونسبوها للرسل وضمنوها ما يعتقدون من البدع والأضاليل ولكن جميعها نبذت

أما الاضاليل التى نسبت الى أوريجانوس وجمعها خصومه وأذاعوه فهى :

(١) ان النفس خلقت قبل أجسادها وحبست فيها لمعاص ارتكبتها (١)

(٢) ان نفس المسيح خلقت واتحدت باللاهوت وذلك قبل زمن التجسد

(٣) ان الشياطين والهالكين يخلصون

(٤) ان الاجساد الحقيقية لا تقوم فى يوم النشور وسيعاض عنها بأجساد أخرى

(٥) ان الارواح تتقمص

(٦) ان عوالم كثيرة خلقت قبل هذا العالم وستخلق كذلك عوالم أخرى بعده . أهـ

و يقول الواقفون على الحقيقية ان هذه لهرطقات لا اثر لها فى مؤلفات أوريجانوس ولم تظهر الا فى الترجمات اللاتينية التى وضعها من بعده روفينوس الاكويلى القائل فى مقدمة كتابه « انى لم أتصد الث اصلاح بعض عبارات أوريجانوس الا بقصد تهذيبها » أهـ

ولما كانت بعض عبارات أوريجانوس بعيدة الفهم اجتهد ان يصلحها فكان عدم فهمه اياها سببا لانه يرقم ما اعتبره الخصوم ضلالا لاوريجانوس حتى ان انسطاسيوس أسقف رومية سنة ٣٩٨ — ٤٠٢ م فى رسالته الى يوحنا أسقف أورشليم أحد أنصار أوريجانوس أوقع الحرم على ترجمة روفينوس لا على الاصل اليونانى .

---

(١) يقصد خصوم اوريجانوس ان يجعلوه يعتقد بأن النفوس البشرية خلقت مع الملائكة فى مكان واحد وزمان واحد ثم ارتكبت بعض المعاصى فانحدرت بسبب ذلك الى الارض واتحدت بأجساد كثيفة عقابا لها

ومعظم تلك الاضاليل المذكورة مأخوذة عن اعتقادات وثنيه ولا يعقل ان أوريجانوس نصير المسيحية الوحيد حينئذ ضد الوثنية ينقل تلك الآراء السخيفة وقد قال اغر يغور يوس ثافماثورغوس تلميذ أوريجانوس في دفاعه عنه « انه كان يحذرني من الاستناد فيما يختص بالدين على الفلسفة البشرية » وقد قرر أوريجانوس نفسه في مقدمة كتابة المبادىء رقم ٢ ضرورة نبذ أكثر ما يقوله فلاسفة اليونان لان اكثره يحسب ضلالا . ولئن كان أوريجانوس يجهد ذاته في فهم تلك الفلسفة فذلك ليستعين بها على رد هجمات أهلها على المسيحية وليتمكن من أن يستخرج لهم من ديانتهم ما يؤيد به ديانته وقد اشار الى ذلك في رسالة لاغر يغور يوس المذكور حيث قال « كما أن العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وفضتهم تابوت العهد والكاروبين وأواني المذبح كذلك يجب علينا نحن المسيحيين أن نصنع بفلسفة اليونان فلننقل الى هيكل الحكمة الالهية هذه الزينات التي يسيء أربابها استعمالها . فلنأخذ عن اللغة اليونانية التي طالما استعملت لمدح الضلال والرذيلة عذوبتها وطلاوتها لنزين حقيقتنا الناصعة بالزينة التي طالما البسوها بطلهم وبهتانهم . فلنجعل اله الشر قوة للخير . ولكن حذار من الترهات التي تكسوها هذه الزينات حذار من أن ننقل شيئا منها الى دين الحق لئلا نضل ونكون مثل يربعام الذى تزوج بابنة ملك مصر وعاد مع عروسه الى اسرائيل فأبدل عبادة الاله الحقيقي بعبادة أصنام المصريين » أهـ

وقد انبرى كثيرون من المؤرخين الصادقين خصوصا في الايام المتأخرة للذب عن اوريجانوس وتبرئته مما نسب اليه وخير ما وقفنا عليه في هذا الشأن دفاع صاحب كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » (ص ٣٨٤ — ٣٩٠) ننقل ملخصه لفائدته التامة هذا على اننا أيضا اخذنا عن ذلك الكتاب أفضل الآراء التي دافعنا بها عن اوريجانوس : —

التهمة الأولى — هي المختصة بخلق النفوس قبل أجسادها . خالفها اوريجانوس في كتاب المبادىء ك ٢ ف ٨ وغيره من مؤلفاته بقوله « ان النفس البشرية خلقت في اليوم السادس عندما نفخ الله في آدم وكان ذلك بعد خلق الملائكة » . أهـ وانحدار النفوس الذى تكلم عنه خصومه لم يكن غير انحدار الملائكة الذين سقطوا (المبادىء ك ٣ ف ٥)

التهمة الثانية — هي المختصة بخلق نفس المسيح قبل تجسده . وبمقارنتها بقوله في كتابه المبادىء ك ٤ ف ٣١ « ان الكلمة أخذ جسدا بنفس ناطقة وذلك عند التجسد لا قبله ولا بعده » يتضح بطلانها

التهمة الثالثة — هي المختصة بخلاص الشياطين والهالكين . وقد ادعوا بها لسوء فهمهم أقوال ذلك الفيلسوف وهذه هي « ان الملائكة قسمان قسم أطاع فخلص خلاصا أبديا وقسم سقط فهلك هلاكا أبديا . وأما الجنس البشرى فرغما عن سقوطه في خطيئة ادم الاصلية يمكنه ان يخرج من الهوة التي وقع فيها و يتحد بالله وبملائكته الابرار . غير ان الذين يسترسلون في ضلالهم يصبحون

عبيدا للشيطان فيهبطون فى الهاوية الابدية » (المبادىء ك ١ ف ٦ : ٢ و٣) اى ان الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون من العقاب الاول وبعكس ذلك الذين لا يؤمنون

التهمة الرابعة — هى المختصة بعدم قيامة الاجساد نفسها . و يناقضها ما قرره فى تفسيره للمزمور الاول وفى كتابة المبادىء ك ٢ ف ٢ : ٢ « ان عدل الله يقتضى ان يتوج الاجساد نفسها التى سفكت دماء أصحابها فى سبيل المسيح » أهـ

وقد ادعى أور ينموس عدو أوريجانوس بأنه اعتقد بتغير شكل الاجساد عند قيامة بأن تأخذ اشكالا كروية كالشمس والنجوم وسائر الكواكب . ولكن أوريجانوس لم يشبه اجساد الناس بالكواكب الا فى البهاء حسب قول بولس الرسول فى (١ كو١٥ : ٤٠ و ٤١) ونفى هذا القول فى كتابه الثانى على القيامة

التهمة الخامسة — هى المختصة بتقمص الارواح . وقد انتشرت فى حياة أوريجانوس ففندها فى ميمره ١٦ على سفر ارميا ١٦ : ١ وفى رسالة بعث بها لتلاميذه بالاسكندرية يقول « ان هذا الرأى لا يخطر لمجنون فى منامه » أهـ

التهمة السادسة — هى المختصة بخلق عوالم كثيرة . وفى كتابة المبادىء ك ٢ ف ٣ : ٦ و ك ٣ ف ٥ : ٣ لم يذكر سوى ثلاثة عوالم :

(١) عالم الملائكة

(٢) العالم البشرى

(٣) العالم الذى يتكون بعد البعث من اتحاد العالمين المتقدمين

ومن يطالع أقوال آباء الكنيسة بشأن اوريجانوس لا يستطيع أن يحكم عما اذا كان شخص اوريجانوس محروما ام غير محروم فقط نعلم ان الكنيسة شجبت تلك الضلالات التى اذاعها الخصوم . وتاريخ الكنيسة مشحون بأخبار الانشقاقات التى قامت بين الاباء بسبب اوريجانوس فنهم من كانوا يعتبرونه هرطوقيا ومنهم من كانوا يعتبرونه من معلمى البيعة الافاضل فمن خصومه :

(١) البابا ديمتريوس كما ذكر

(٢) متيوديوس أسقف اولمبيا . وضع ضده ثلاثة كتب غير انه فى آخر حياته ادرك خطأه وذكر اوريجانوس بكل احترام

(٣) ابيفانيوس أسقف قبرص . هو اول من اذاع البدع عن اوريجانوس وعنه اخذ الاخرون . وقد كان بسيطا سريع التصديق لما يسمع فكتب عن اوريجانوس ما كتب بسلام ضمير

(٤) ثوفيلس بابا الاسكندرية . وسيعرف القارىء فى تاريخه سبب هذه العداوة

(٥) ايرونيموس أحد علماء سوريا في القرن الرابع كان في مبدأ الامر من انصار أوريجانوس ولكنه بسبب منازعاته مع روفينوس المذكور انه نقل كتب اوريجانوس للاتينية صار من الد أخصامه الا انه كتب عنه قبل ان يكون خصمه قائلا « لم يكن اوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح اليه امراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف بل كان بلا جدال المعلم الاول لجميع الكنائس بعد الرسل ولا مشاحة في أن اراءه تعبر عن الارثوذكسية التي لم يشبها ضلال اما الذين استوقد الحسد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فان هم الا كلاب كلبة » أهـ ولما أصبح يقاوم الاوريجانيين شديد المقاومة قال لهم « وافقونا على ان اوريجانوس انخدع في بعض المسائل فلا يبقى لي ما اقول وان اعترضنا من يحسدونه على فخره ببعض اغلاط له فليعلموا ان الخطأ من شيم كبار الرجال فلا نتشبث بزلات من لا نستطيع مباراته في فضائلة » أهـ

ومن محبي اوريجانوس والمدافعين عنه :

(١) البابا ديونوسيوس الاسكندري البطريرك الرابع عشر

(٢) ثيوسيستوس أسقف فلسطين

(٣) غريغوريوس العجايبي

(٤) اخوه ثينودوروس

(٥ و ٦) غريغوريوس النزينزي و باسيليوس الكبير . درسا العلم عن مؤلفات اوريجانوس ولخصا منها رسائل عرفت باسم فيلوكالي (محب الجمال) لتعليم الناشئة المسيحية واطلق عليها هذا الاسم لميل اوريجانوس الى كل مبدأ سام

(٧) غريغوريوس أسقف نيصص بالكبادوك . كان كثير المطالعة لمؤلفات اوريجانوس حتى حفظ أغلبها وسار على منواله في ما كتبه من الكتب وكان يلقب اوريجانوس بزعيم فلاسفة المسيحيين

(٨) بمفيليوس البيروتي تلميذ بيروس مدير المدرسة اللاهوتية نسخ معظم مؤلفات اوريجانوس بيده وشغف بمطالعتها وكتب عنه وهو سجين يقول « ان لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض في عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن ادراك سمو المعاني التي يرمي اليها من كان معلما للكنيسة بعد رسل الرب » أهـ

(٩) ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية مدح كتاب المبادىء

(١٠) البابا اثناسيوس الرسولي البطريرك العشرون دافع عن كتاب المبادىء

(١١) القديس يوحنا فم الذهب . مات منفيا في سبيل الدفاع عن مبادىء اوريجانوس التي كان كلفا بمطالعتها كما يتضح من تاريخ البابا ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرون

(١٢) توتيم أسقف سيتي . اعترض على ابيفانيوس عندما قاوم القديس يوحنا فم الذهب لغرامه بكتب اوريجانوس بقوله « اعلم يا ابيفانيوس انه لا يمكننا أن نسيء الى الذى مات تقيا

وليس فى استطاعتنا ان نحرم اسفارا اعتبرها آباؤنا ارثوذكسية فضلا عن أننا لم نجد فيها أثرا للهرطقه » أهـ

(١٣) ايسيذوروس مدير مدرسه الاسكندرية والاخوة الطوال القامة . دافعوا عن اوريجانوس دفاع الابطال وطردوا من الاسكندرية وصادفوا الاهوال فى سبيل التمسك باحترامه وقد اقسم هو والاخوة المذكورون على أن اوريجانوس برىء من كل هرطقة

(١٤) يوحنا ٢ أسقف اورشليم . هام بكتب اوريجانوس وحاول ابيفانيوس وايرنيموس ان يجعلاه ينكف عن مدح اوريجانوس برسالة بعث بها اليه الاول ولكنه لم يفعل بل كتب محاماة عن اوريجانوس رسالة أرسلها الى البابا ثوفيلس البطريرك الاسكندرى حينما كان يجل اوريجانوس . فيظهر لنا أن اصدقاء اوريجانوس أكثرا اعتبارا فى نظر الكنيسة من خصومه فلو كان اوريجانوس هرطوقيا لما دافع عنه أولئك وبالتالى كانوا يعتبرون مثله محرومين لغرامهم بمطالعة كتبه واجلالهم لشخصه العظيم

* * *

والآن نأخذ فى ايضاح مذهب اوريجانوس فى التفسير . قال عنه موسهيم المؤرخ « ان هذا المتوقد الذهن راى ان لا طريقة سهلة بها يناضل عن كل ما قيل فى الكتب المقدسة ضد اشراك الهراطقة واعداء المسيحية لو فسر لغة الكتاب المقدس حرفيا فصمم عزمه على تفسير الكتاب المقدس كما اعتاد الافلاطونيون على أن يفسروا تواريخ آلهتهم . فعلم ان الكلمات فى اماكن كثيرة من الكتاب المقدس لا معنى لها وفى بعض الاماكن حيث اعترف بأن لها معنى ما اعتقد بأنه يراد بالعبارة المذكورة معنى سرى مكتوم يجب أن يفضل عن معنى الكلمات الظاهر . وهذا المعنى المكتوم هو الذى يفتش عنه فى شروحاته بانتباه لكنه معوج وغالبا يتغافل بالكلية و يزدرى بالمعنى الظاهر . و يقسم هذا المعنى البعيد أيضا الى معنى ادبى ومعنى سرى أو روحى . المعنى الاول يعلمنا ما يتعلق بحال النفس الداخلى و بأعمالنا الخارجية . والمعنى الثانى يعلمنا حقيقة تاريخ العالم السرى أو الروحانى وشرائعه . وتخيل أيضا أن هذا العالم السرى مزدوج بعضه سام أو سماوى و بعضه دون أو ارضى أى الكنيسة . فلهذا قسم معنى الكتب المقدسة السرى الى ارضى أو تشبيهى والى سموى أو روحانى . وطريقة تفسير الكتب المقدسة هذه التى استصوبتها اليهود كانت دارجة عند المسيحيين قبل اوريجانوس لكن لانه حدد لها قوانين ورتبها على هيئة نظام يعتبر غالبا كمبتدعها » أهـ

وقال صاحب « تاريخ الكنيسة » المطبوع فى أورشليم سنة ١٨٩٢ م « والغريب أن اوريجانوس بعد ما كان يتشبث ببساطة وايمان بمفهوم آيات الكتاب الحرفى مجريا بالفعل ما ورد فى

مت ١٠ : ١٠ فلم يقتن شيئا لذاته ومت ١٩ : ١٢ فخصى نفسه فصار يتخيل فى كل آية بسيطة من كتاب الله معنى أدبيا مشفوعا بسر غامض يلمع الى حوادث سموية » أهـ

ومع أن اوريجانوس تطرف كثيرا فى تفسير كل آيات الكتاب المقدس تفسيرا مجاز يا وفى الاكثار من الاستعارات وجعله المحل الثانى للمحل الحرفى الا أن اغلب الكتاب المسيحيين يغتفرون له هذا التفنن لعلمهم بأنه سار عليه فى سبيل الذود عن حقائق ديانته المسيحية وقد ارتكب هذا الخطأ سهوا لانه حسبه أنسب طريقة لرد هجمات أعداء المسيحية بل كتب ما كتب بدافع الغيرة الدينية وهو مسيحى مخلص سليم الاعتقاد وأحد الذين عددوا غلطاته فى تفسيره قال « و يلوح لنا ان اوريجانوس كان تقيا ورعا وانه بنى بعض تعاليم الديانة المسيحية على مبادىء صحيحة مقررة غير ان تفننه المطلق نكب بكثيرين من ذوى العقول الضعيفة عن سواء السبيل » أهـ (١)

* * *

أما أكثر مؤلفات هذا المفضال فقد وصلت الينا فى ترجمات غير صحيحة بقلم ايرونيموس وروفينوس وكثيرون من العلماء القدماء اقتبسوا منها . واشهر مصنفاته التى وصلت الينا فى اللغة الاصلية هى :

(١) كتاب عنوانه « الرد على كلسوس » كتبه فى ثمانية اجزاء

(٢) مجموع مقالات فى « الصلاة الربانية » وهو الكتاب الثانى الذى وصل الينا بتمامه فى اللغة الاصلية

(٣) كتابه فى « الشهداء »

(٤) فى « الرئاسات » وهو كتاب بالغ الخصوم فى انتقاده وأجزاؤه اربعة :

١ — يبحث عن الاقانيم فى الثالوث الاقدس وعن السقوط وعن الطبيعة العاقلة وعن المخلوقات المادية والروحية وعن الملائكة

٢ — يبحث عن العالم وما فيه و يثبت ان اله العهد القديم واله العهد الجديد واحد و يفصح عن التجسد والقيامة وعقاب الصالحين

٣ — يبحث عن حرية الارادة وعن الشيطان وعن تجربة الانسان وعن أصل العالم ونهايته

٤ — يبحث عن الاسفار المقدسة وأصلها الالهى وعن كيفية مطالعتها ودرسها . و يوجد الآن من هذا الكتاب قطع كبيرة فى اللغة الاصلية ولا سيما من الجزء الثالث والرابع ولنا أيضا اللغة اللاتينية لروفينوس واجزاء أخرى لارونيموس

(٥) شرح الكتاب المقدس فى ثلاثة أجزاء :

---

(١) تاريخ الكنيسة المطبوع باورشليم سنة ١٨٩٢ م ص ١٤٨

١ — يتضمن تفسير بعض الاسفار المقدسة كسفر التكوين والخروج وحزقيال الخ وانجيل متى و يوحنا والرسالة الى أهل رومية الخ ولم يبق من هذا الجزء سوى أوراق قليلة

٢ — يتضمن ملاحظات على آيات غامضة من الكتاب وهولا يعرف الا من الماع المعلمين الاولين اليه واقتباسهم منه

٣ — يتضمن مواعظ ومقالات قدمها في قيصرية أو ارتجلها بعد ان اتى عليه من العمر ستون سنة بعضها موجود الان فى اللغة الاصلية ولكن اكثرها مترجم الى اللغة اللاتينية بقلم ايرونيموس وروفينوس .

(٦) كتاب موسوم « بالمتنوعات » في عشرة اجزاء الفه اقتداء باكليميندس استاذه غير ان هذا الكتاب فقد ولم تبق منه سوى فصول قليلة استشهد بها ايرونيموس فى مصنفاته

(٧) كتاب عنوانه « القيامة » لم يبق منه الا اجزاء قليلة

(٨) رسائل عديدة دون منها يوسيبيوس مائة رسالة غير انها فقدت ما خلا القليل منها

(٩) كتاب عناه « بالمسدسات » وضع فيه آيات الكتاب المقدس فى ستة حقول متوازية :

١ — يتضمن المتن فى اللغة العبرانية . بحروف عبرانية
٢ — آيات الكتاب المقدس فى اللغة العبرانية بأحرف يونانية
٣ — الترجمة اليونانية التى وضعها اكويلا الدخيل اليهودى فى أوائل القرن الثانى
٤ — الترجمة اليونانية لسماخوس الابيونى السامرى الذى نبغ فى القرن الثالث
٥ — الترجمة السبعينية التى نشأت فى الاسكندرية فى القرن الثالث قبل المسيح
٦ — الترجمة اليونانية التى وضعها ثيودتيون الدخيل اليهودى بعد اكويلا بزمن قليل

وقد وضع اوريجانوس فى بعض كتبه ترجمة خامسة وسادسة وسابعة للكتاب المقدس وكان قصارى مرغوبه تنقيح الترجمة السبعينية بمعارضتها بسائر الترجمات فكان يدل على الآيات غير الواردة فى الاصل العبرانى بهذه العلامة × و يدخل الآيات المحذوفة فى الترجمة السبعينية واضعا قبالتها هذه العلامة ✻ وقد كانت نسخة هذا الكتاب الاصلية محفوظة فى مكتبة قيصرية التى انشأها بامفيلوس الشهير المناضل عن اوريجانوس والارجح ان الاسلام احرقوها مع سائر النسخ النفيسة عند افتتاحهم هذه المدينة سنة ٦٥٣ م ولم تكن نسخة اخرى مثلها وقتئذ اذ كانت الترجمة السبعينية المنقحة متواترة وحدها ولا يبعد أن اوريجانوس الف كتبا أخرى عديدة على الاسفار الالهية وكتب رسائل جمة ضد بعض البدع ولما كان جدول مؤلفاته التى وضعه يوسيبوس وايرونيموس مفقودا عزيت اليه رسائل لم يكن يعرفها مطلقا . كما انه اول من كتب كتبا لتعليم الديانة للمبتدئين و يعتبر كتاب « ستروماتا » وكتبه الاربعة المبادىء شرح اكثر تعليم المسيحية

وقد جد العلماء فى طبع مؤلفات اوريجانوس لاسيا ترجمات الكتاب المقدس وأهتموا باعادة ما فقد منها وجعلوها على نسق القطع الموجودة وطبع الجميع عدة طبعات اشهرها طبعة منتفوكون وهى فى مجلدين طبعا فى باريس سنة ١٧١٣ م وطبع كتب المبادىء حسب ترجمة روفينوس اللاتينية مع نقصه وتغييره وتحريفه طبعه ردينينغ فى ليبسيك سنة ١٨٣٦ م وطبعة ثنيتسر فى ستتغارت وطبع رسالة فى الاستشهاد وتستين فى بازل سنة ١٦٧٤ . وطبعت تآليفه كلها فى باريس بين سنة ١٧٣٣ و ١٧٥٩ فجاءت فى اربعة مجلدات ضخمة

الا ان افضل الكتب التى وضعها تلك الثمانية كتب التى دافع بها عن النصرانية ردا لمزاعم كلسوس عدوها وايضاحا لقيمة هذا الكتاب ولفضل اوريجانوس ننقل عنه النبذ الاتية قال : (١) « ربما كان الاليق بنا ان نقتفى بأثر يسوع المسيح الذى كان صامتا امام قضاته ولم يجب على الافتراء المنزل فيه من اعدائه الا بقداسة سيرته و بشهرة آياته . هكذا قد يعتبر بلا فائدة دحض الوشايات التى لم تزل الانام الاشرار تنزلها فيه لانه يبرأ نفسه منها تبرئه كافية بفضيلة تلاميذه الحقيقيين التى تخزى شهرتها جميع الاكاذيب فلا اكتب اذا لاجل تأبيد المؤمنين الحقيقيين لان المحاماة عنهم خارجة عن حكم اللزوم بل اكتب لأجل الغير المؤمنين الذين يمكنهم ان ينالوا فائدة من هذا التعليم

فبعد أن دحض اعتراضات كلسس الخصوصية ايد صحة الدين المسيحى ببينات لا رد عليها بالنبوات التى انذرت بيسوع المسيح و بأياتة وسيرة تلاميذه فقال : نظرا الى النبوات ينبغى بالعدل ان تصدق كتب اليهود وكتب باقى الامم ولا يجب ان يقع الريب فى قدميتها اذا اعتبرت الحجج التى أتى بها يوسيفوس وتاسيانوس المصدق قولها والمعول على روايتها : ثم أتى أوريجانوس بذكر النبوات التى أنذرت جليا بميلاد يسوع المسيح وآلامه وموته وجميع لواحق مجيئة . و بين ان اليهود منذ أتى يسوع المسيح لم يعد لهم لا نبوات ولا معجزات ولا ادنى علامة تدل على أن الوقاية الالهية عندهم كما يرى عند المسيحين . فنظرا الى المعجزات لم ينكر كلسس أن يسوع المسيح أتى بمعجزات لكنه كان ينسبها الى صنعة السحر فرد عليها أوريجانوس بأنه توجد وسائط أكيدة يميزبها سحر ابليس من المعجزات الحقيقية التى هى عمل البارى تعالى وهذه الوسائط تقوم بالفحص عن آداب صانعيها وتعليمهم والمفاعيل التى تبرزها هذه المعجزات فوسى والانبياء و يسوع المسيح وتلاميذه لم يعلموا الا ما كان مطابقا كل المطابقة للصواب وجزيل الفائدة للاداب الصالحة للجمهور فهم أول من وضعوا بالعمل ما عملوه وكان التأثير عظيما ومستديما أما موسى فهذب أمه برمتها وساسها بنواميس مقدسة و يسوع المسيح ضم جميع الامم الى معرفة الاله الحقيقى ولا لسحرهم ومكرهم نتائج صالحة

---

(١) عن خلاصة تاريخ الكنيسة للعالم الفاضل لومند الافرنسى ج ١ ص ١٠٤ — ١٠٩

فانبعاث يسوع المسيح من الموت الآية العظيمة وأساسا الدين المسيحى لا يمكن قط أن تشتبه بمكر لان يسوع المسيح مات مشتهرا معلقا على صليب تجاه كامل الشعب اليهودى ودفن و بقى فى القبر ثلا ثة ايام وكان القبر مختوما والجنود تحرسه فظهر مدة اربعين يوما لبطرس ولباقى الرسل ثم لخمسمائة تلميذ كانوا مجتمعين معا . فلولم يشاهدوه منبعثا ولولم يتيقنوا الوهيته لما كانوا قط عرضوا بنفوسهم للعذاب والموت لينذروا فى كل مكان التعليم الذى اخذوه عنه كما أمرهم بل لكان موته المخجل مما محا من عقولهم ذكره ولكانوا عدوا نفوسهم مخدوعين ومن ثم لكانوا أول من شجبوه ورذلوه . فوجب أن يكونوا شاهدوا أمرا خارق العادة حتى اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها ولم يبالوا لذلك لا براحتهم ولا بحريتهم ولا بحياتهم فكيف يمكن أن اناسا جهلاء وأميين يقدمون على تغيير العالم بأسره ان لم يكونوا مؤيدين بقوة الهية وكيف يمكن ان الشعوب ينبذون عوائدهم القديمة بانذارهم و يتبعون تعليما مغايرا لولم يكونوا انبدلوا بقوة خارقة العادة وبمعجزات باهرة

ثم أثبت اوريجانوس الوهية الدين المسيحى بالانقلاب العجيب الذى يبرزه فى من يعتنقونه فقال : ان المفعول الصادر عن الانذار بالانجيل هو اصلاح الاداب فلو شفى أحد مائة انسان من رذيلة الدنس يستصعب الظن بأن ليس فيه شيء فائق الطبيعة . فان كان ذلك ما القول فى جمهور وافر من مسيحيين قد انقلبوا عما كانوا عليه منذ قبلوا هذا التعليم فاصبحوا معتنقين العفة الكاملة فى جميع امصار المملكة فان قواعد آداب المسيحيين ترفعهم كثيرا فوق غير المسيحيين فيردع المسيحى آلامه الشديدة ليرضى الله سبحانه أما الوثنيون فيتمرغون فى حمأة الشهوات القبيحة ولا يستحون بها و يزعمون انهم يراعون الفضل والصلاح بينما هم متورطون فى اعماق الفساد . فأقل المسيحيين تفقها احسن استنارة فى شرف العفاف وعظمته من فلاسفة الوثنيين و بتولاتهم وكهنتهم الافضل آدابا . فليس أحد بيننا مدنسا بهذه القباحات وان وجد أحد فليس هو من عدد الحاضرين اجتماعاتنا ولا هو مسيحى فبالحقيقة كانوا يطردون من الكنيسة من سقط فى اثم لا سيما فى اثم الدنس فكانوا يندبون حالهم كأنهم موتى عن الله ومتى عادوا تائبين كانوا يفرضون عليهم قوانين ويمتحنونهم امتحانات اصرم من تلك التى كانوا يجرونها عليهم لاجل العماد فلم يعد يسوغ لهم أن يباشروا أدنى خدمة فى الكنيسة . ثم قال اوريجانوس ان المسيحيين يراعون زمام الامانة نحو ملكهم حق المراعاة فهم بعيدون عن انشاء أدنى سجس بعدا هذا حده حتى انهم بمقتضى امر سيدهم و واضع ناموسهم لا يستعملون اسلحة ضد اعدائهم الا الصلاة والصبر لان يسوع اراد ان يسلحوا نفوسهم للذبح كالخراف ولا يبادروا الى ادنى مقاومة قهرا فان الله سبحانه هو المكلف بمصالحهم و بالمحاماة عنهم فيربحون بهذه الوداعة أكثر مما يربحونه بالمقاومة فضلا عن ان الظالمين لم يستطيعوا ان يستأصلوا المسيحيين نرى موت الشهداء لم يزل يزيدهم عددا فان القساوة التى كانوا يجرونها على المسيحيين لم تخمد قط حرارة غيرتهم على ترجيع غير المؤمنين فكان منهم أناس لم يكن لهم عمل الا الانذار بالانجيل فى المدن والقرى ولئلا يظن بهم أنهم يصنعون ذلك رغبة فى ربح لم يكونوا يقبلون شيئا كليا حتى ولا ما كان لازما لمعاشهم واذا اضطرهم الاحتياج الى قبول شيء فكانوا يكتفون بما هو

ضرورى فقط و يأبون أخذ ما زاد على ذلك ولو قدم لهم طوعا : ثم يردف أوريجانوس كلامه بقوله :
أما الآن حيث يوجد بين جمهور المسيحيين أغنياء وأصحاب مقامات ونساء شريفات فربما يظن بأن الانذار بتعليمنا شرفا ولكن هذا الظن لا حامل له فى البداية والان أيضا ما نناله من الكرامة من بعض خاصتنا لا يوازى الامتهان والاهانات التى تلتحق بنا من قبل الوثنيين : ثم اشار اوريجانوس الى أن المسيحيين مع ما كانوا عليه من اضطرام الغيرة على ترجيع غير المؤمنين للايمان لم يكونوا يهملون اجراء الامتحان بقدر الامكان على الذين يرومون لعتناقه فكانوا يأهبونهم خاصة بالمواعظ قبل ان يقبلوهم فى الاجتماع وعندما كانوا يشاهدونهم فى عزم شديد مخلص على ان يسلكوا سلوكا جيدا فكانوا يدخلونهم فى الجمعيات مميز ينهم أيضا الى مصافين أى مصاف المبتدئين ومصاف المتقدمين وكانوا يخولون أناسا مخصوصين بالسهر على سيرتهم لكيا يبعدوا عن الاجتماع من لم يكن سلوكهم مطابقا للدين المسيحى و يرشدوا غيرهم فى سبيل التقوى والفضيلة » أهـ

القسم الثالث
الحكومة والكنيسة

(الفصل الاول
(حوادث الاضطهاد)

(١) اضطهاد ادر يانوس (٢) اضطهاد ساو يرس سبتميوس

(١) اضطهاد ادريانوس :

ان سوء الظن الذى كان سائدا على الافهام من جهة المسيحيين حينئذ جعل الكثير ين ولا سيا ذوى الشأن ينظرون اليهم بعين البغض والكراهة . وفى عهد تملك ادر يانوس قيصر من سنة ١١٧ م كانت الاشاعات الباطلة عن المسيحيين قد بلغت حدها حتى انه لما أتى هذا القيصر الى الاسكندر ية وأخذ يتجول فى أنحائها كتب لصاحب له اسمه سر يانوس من عظماء الرومانيين عن احوال مصر يقول « قد استقصيت أحوال مصر واستقر يت عوائدها واطلعت عليها اطلاعا كليا وكنت فى بادىء أمرى اصفها بالمدح وأتحاشى ذمها فتبين لى بعد التأمل والنظر انها عبرة لمن اعتبر فى طائشة لا تدوم على حال ولا تنكف عن المشاغبة والمنافرة لا سيا فى أمور الدين وما يتولد منها على أن من لم يعبد الشمس والعجل أبيس عد نصرانيا مع انه ليس كذلك بل الذين يحترمون الشمس والعجل ولا فرق فى ذلك بين الاسقف وحاخام اليهود وكل قسيس أو راهب أو عامى له فى الشمس أو فى العجل احترام . و يغلب على فكرى انه لو أتى بطر يرك النصارى الخارجين عن

ديار مصر ودخل مصر لشارك أهلها فى التمسك بهذه الاحترامات الدينية وربما اعتقدوا أن العجل والشمس والمسيح انما هم أسماء مترادفة وانها فى الحقيقة شيء واحد » أهـ

ويظهر ان الذى حمل ادريانوس على أن يرتكب هذا الخطأ في الحكم هو انه وجد بين علماء المدرسة اللاهوتية المسيحية وعلماء المدرسة الوثنية الاولى (١) علاقات اتحاد متينة العرى . واستمر ادريانوس متشبثا بخطأه من جهة المسيحيين حتى انه لما اضطهد اليهود فى مصر اشتد على المسيحيين فيها أيضا فقتل منهم خلقا كثيرا حتى خيل للناظر انه أفناهم جميعا ولاجلهم أمر بتعميم عبادة الاوثان وارغام المسيحيين بنوع خاص على السجود لها

(٢) ساويرس سبتيموس :

وبعد ادريانوس توالى جملة قياصرة لم يكن لهم اهتمام يذكر بمسيحي مصر حتى استولى على العرش ساويرس سبتيموس سنة ١٩٣ م . ولما استتب له الملك وفد على مصر وأخذ يتجول فى أنحائها حتى وصل الى مدينة طيبة وقد هاله ما شاهده فى سياحته من الانتشار السريع الذى أحرزته الديانة المسيحية وأوجس خيفة من تمدن أهلها وكثرة عددهم وخشى منهم على المملكة الرومانية نفسها فأصدر أوامره لليتوس والى مصر الرومانى بمحو آثار ذلك الدين

وقد كانت أوامر القيصر هكذا صارمة وقد بذل الوالى جهده ليجعل الاضطهاد قاسيا طبقا لرغائبه حتى عم جميع أنحاء القطر المصرى الا أن الضغط الشديد كان على مدينة الاسكندرية بنوع خاص لأنهم كانوا يعتبرونها مركز الديانة المسيحية . ومن شدة هول الاضطهاد الذى دام طول مدة بقاء القيصر بمصر ولم يكف الا بعد تركه اياها قفلت المدرسة اللاهوتية وتشتت شمل تلاميذها ولازموا بيوتهم وفر اساتذهم الى خارج البلاد ليفوزوا بحياتهم

وكان اضطهاد ساويرس دون باقى القياصرة منحصرا بالأخص على العالم المسيحى فى مصر وافريقيا لانه لم يكن يخشى من المسيحيين سوى الاقباط وذلك لمعرفته بوفرة ثروتهم وكثرة علومهم ومعارفهم . ولما كان لا ينقص أهل مصر فى ذلك الحين للتخلص من نير الرومانيين غير الاتحاد والوئام وكان الدين المسيحى هو العامل على لم شعثهم ونظم عقدهم حاول القيصر أن

---

(١) أنشاها بطليموس الاول ولبثت تخرج العلماء المجتهدين مدة ٩ أجيال من سنة ٣٢٣ ق . م الى ٦٤٠ ب . م وكانت تشتغل فضلا عن الفلسفة فى الطب والكيميا والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافية والموسيقى والتاريخ واللغة الخ . وكان بها أبحاثها :

(١) المكتبة الكبرى كان فيها ٧٠٠ ألف مجلد واحترقت عند دخول يوليوس قيصر مصر

(٢) المكتبة الصغرى وتحتوى على ٣٠٠ الف مجلد باد معظمها أثناء اضطهاد الوثنيين للمسيحيين

(٣) الرواق وفيه كانوا يتمرنون على درس العلوم . ومن مآثر هذه المدرسة ترجمة التوراة من العربية الى اليونانية وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية

يلاشى ذلك الدين من مصر غير مكترث بمسيحى باقى الاقطار لما كان عليه أهلها من الفقر والضعف

وقد استشهد من الاقباط فى ذلك الاضطهاد كثيرون ولشدة الاضطهاد ظن المسيحيون ان المسيح الدجال قد ظهر . وقد شهد اكليمندس الاسكندرى انه كان عدد عظيم من المسيحيين يستشهدون يوميا مقاسين انواع العذاب وقال ان كثير ين منهم كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون امام أعيننا

واستمر الوالى الرومانى بمصر يعذب المسيحيين سبع سنوات و يوقع بهم صنوف البلايا فكان يهجم على الرجال والنساء فى بيوتهم فجأة و يقبض عليهم ويجرهم الى مكان القتل وهناك تقطع رؤوسهم بعد ان يذوقوا أمر عذاب . و بعضهم يلقون فى السجون و يبقون بها حتى تفتك بهم الامراض . وكانوا أحيانا يعاملونهم بمنتهى القساوة كما يرغب المشرفون عليهم وأحيانا يرفق بهم فيسمح لهم بمشاهدة أهلهم وأصدقائهم والتكلم معهم مما يخفف عنهم آلام السجن نوعا

وكان المسيحيون يقابلون بعضهم بعضا فى الطرقات وكل منهم يظهر للآخر انه ينتظر اليوم الذى يقبض فيه عليه ولم يكونوا يستطيعوا التكلم عن المسجونين الا همسا فى الآذان فكان الواحد منهم يقول لصاحبه « أتاك الخبر أن فلانا قبض عليه وسجن ولا يمكن ان يطلق ثانية » وكقول بعضهم « واسفاه على حالتنا التعيسة . ما العمل » ولم يزل الامر كذلك حتى ضاقت بهم رحبات السجون وسالت دماؤهم على الارض فخصبتها . وقد بلغت قساوة المضطهدين مبلغا جعلت النساء فى هذه الاضطهادات يعذبن عذابا اليما بخلاف الرجال الذين كانت تقطع رؤوسهم بدون تعذيب .

ولشدة الاهوال التى لاقاها المسيحيون انتشرت الاخبار بينهم حينئذ بأن المسيحيين قتلوا فى كل العالم أجمع وعملت السيوف فى النصارى فلم ينج منهم الا من لجأ الى الجبال واختفى فى المغائر

الفصل الثانى
مشاهير الشهداء

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وأمها مارسلا و باسيليدس الجندى
(٢) صوفيا

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وأمها مارسلا وباسيليدس الجندى :

كانت بوتامينا هذه أمة حسناء وقد ربتها أمها مارسلا على قواعد الايمان و وضعتها تحت

ارشاد العلامة أوريجانوس فتمم تهذيبها . ولما كانت بوتامينا فتاة بارعة الجمال أغرم بها مولاها الذى كانت تخدمه وحاول مرارا ان يغريها تارة بالوعد وطورا بالوعيد ليتمكن من افساد بكارتها ولكنها قاومت اغراءه بعزم وثبات . فلما خاب امله منها احتدم غيظا عليها وعمد الى اهلاكها فشكاها الى والى الاسكندرية ووعده بمبلغ وافر من المال ان استمالها الى رغباته القبيحة وطلب اليه ان لا يحكم عليها بالعذاب الا ان استمرت مصرة فى ابائها

فأحضرها الوالى الى المحكمة واستعمل معها جميع الوسائط الممكنة لاغرائها ولكنه لما رأى ان اجتهاداته المتكررة لم تنجح مطلقا وان بوتامينا ثابتة على عزمها رغم ما هددها به من العذاب حكم عليها أخيرا بأن تطرح فى قدر مملوء من الزيت المغلى اذا اصرت على عصيان مولاها . فأجابت القديسة الوالى قائلة . « استحلفك بحياة الملك الذى تجله أن لا تسمح بنزع أثوابى كى لا اظهر عريانة وعوضا من هذه النعمة التى تقتضيها منى فضيلة الاحتشام ارضى ان انزل رويدا رويدا فى القدر بأثوابى لكى تدرك مقدار الصبر الذى يمنحه لى مخلصى يسوع وانت لا تدريه » فقبل الوالى طلبها وسلمها للجلادين وبينما كانوا سائرين بها الى موضع العذاب تعرض لها اراذل الناس بالكلمات الدنسة فزجرهم أحد الذين كانوا مكلفين بحراستها ويدعى باسيليدس وحافظ عليها حتى وصلت الى المكان فلما شاهدت منه ذلك قالت له « تشجع فانى سأصلى من أجلك حينما أكون فى دار سعادتى بعد الموت »

وحالما فرغت من كلامها وضعت رجليها فى الزيت المغلى وأجرى عليها الجلادون نكالا بطيئا استقام ثلاث ساعات وهى تظهر صبرا مدهشا حتى تيقنوا أنفسهم بأن نعمة يسوع المسيح ترفع خدامه فوق اطول عذاب واشده وما وصل الزيت الى قمة راسها حتى اسلمت روحها فى يد القدير . وماتت امها مارسلا ايضا حريقا فى ذلك الوقت نفسه .

أما باسيليدس الجندى فقد اثرت عليه احوال تلك الفتاة التعيسة ولا سيما سجاياها الحميدة واحتمالها العجيب فآمن بمخلصها وقد انجزت القديسة وعدها له عندما طلب من أحد الجنود رفقائه ان يحلف له بالآله فامتنع قائلا « أنا مسيحى » فظنوه يمزح أولا لكنهم لما رأوه ثابتا على الاعتراف بالايمان قبضوا عليه وأتوا به الى القاضى فطرحه فى السجن فاتى المؤمنون يفتقدونه ومنحوه سر العماد ولما سألوه عن كيفية قبوله الايمان أجاب « أن القديسة بوتامينا ظهرت له فى رؤيا بعد موتها بثلاثة ايام وبيدها اكليل وضعته على راسى وهى تقول لى « ستكون معى بعد قليل » وفى اليوم الثانى قطع راسه بعد ما اعترف بيسوع المسيح اعترافا مجيدا

وروى ترتوليانوس واوريجانوس ان عددا عظيما من الوثنيين غير هذا الجندى تنصر حينئذ بواسطة مابدا من الصفات الحسنة من القديسة بوتامينا ومنهم ارنوبيوس أحد علماء البلاغة المشهورين بين كتاب الاجيال الاولى الذى شاهد القديسة بمجد فى حلم . وقيل انها ظهرت لكثيرين فآمنوا بالمسيح

(٢)صوفيا :

وفى ايام البابا أومانيوس البطر يرك السابع اشتد الاضطهاد على القبط فاستشهد منهم كثيرون . أشهرهم القديسة صوفيا من منف . وهذه القديسة هى التى نقل القيصر قسطنطين الكبير جسدها الطاهر الى القسطنطينية وشاد لها الكنيسة الشهيرة باسم (اجيا صوفيا) أى « القديسة صوفيا »

القسم الرابع
البدع والانشقاقات

(١) المدرسة الوثنية الفلسفية
(٢) تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية فى التفنن
(٣) امونيوس السقاص (٤) باسيليدس
(٥) كر بوكراتس (٦) فالنتينوس
(٧) الخلاف على تعييد الفصح

(١)المدرسة الوثنية الفلسفية :

لما ازدهرت المدرسة اللاهوتية ونمت النصرانية بفضل جهاد أولئك العلماء الافاضل الذين انجبتهم تلك المدرسة وكانوا ركنا متينا لدين المسيح دبت الغيرة فى قلوب الوثنيين فعملوا على مباراة المسيحيين وأنشأ رئيس فلاسفتهم أمونيوس السقاص الذى يظن بأنه احد مبتدعى المسيحيين المدرسة الوثنية الفلسفية وخصصها لتعليم الفلسفة الافلاطونية الجديدة وهى خلاصة مذهبى افلاطون وارسطو وفتحت لهذه المدرسة خزائن مكتبة الاسكندر ية المملوءة بالمصنفات الموضوعة من علماء المصر يين واليونان واخذوا يجهدون أنفسهم فى توسيع دائرة علومها فاشتغلوا فى تكثير المجلدات وز يادة التآليف فخصص قسم من النساخ لتدو ين ما يمليه عليه المؤلفون المعاصرون واهتم قسم آخر بنسخ ما يتفون عليه من كتب فلاسفة الوثنية القدماء ارادة ز يادة انتشاره ليسهل على الجميع الاطلاع

وظهرت حينئذ كتب عديدة جدا ضد الديانة المسيحية غير أنها لم تأت بثمرة لاصحابها لان المسيحية كانت آخذة فى التغلب رغم كل مقاومة

وقد عظم شأن تلك المدرسة فى مدة مؤسسها وخليفتيه بلوتينوس و برفيروس ثم جاء جامليك فأخذ يقاوم تعاليم المدرسة المسيحية فابتدأت من ذلك الحين تتحول من تعليم الفلسفة الراقية

الى اعمال السحر والشعوذة وكان ذلك فى آيام القيصر يوليانوس الجاحد من سنة ٣٦١ م - ٣٦٣ م الذى انهضها بعد سقوطها . ثم أخذت فى الانحطاط حتى اندثرت فى حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩ م ولم يراسها بعد جامليك سوى نيروكلوس وداماسوس

(٢) تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية فى التفنن :

قد ظهر فى مصر فى هذا القرن كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يدرسون بمدرسة الاسكندرية وجرهم الى الضلال تفننهم وقتئذ فى الباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز ومحاولتهم مزج أسرار الديانة الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الايمان المسيحى البسيطة مجتهدين فى اذاعة تعليمهم ومذهبهم فى الاسكندرية فكانوا يرغبون أن يكونوا مسيحيين و يتوشحوا بثوب الفلاسفة ورتبتهم واسمهم . وكانوا يعتقدون ان الفلسفة الحقيقية موهبة الله العظمى الشافية منتشرة فيما بين كل شيع الفلاسفة ويجب على كل عاقل ولا سيما المعلم المسيحى ان يجمع هذا النثر من كل الجهات ويحامى بها عن الديانة

وهؤلاء الاشخاص لقبوا بالاكلتكتكيين « المنتخبين » واستخاروا تعاليم افلاطون واعتقدوا بأكثر تعاليمه عن الله والنفس والانسانية والعالم . الا ان اكثر هؤلاء ضلوا فى تعاليمهم ضلالا مبينا ومنهم :

(٣) أمونيوس السقاص :

يقال انه ولد وتهذب مسيحيا ويحتمل انه فقط كان مدعيا بالمسيحية كل حياته . وكان يرغب أن يضم جميع الاديان بما فيها الدين المسيحى الى ديانة واحدة ليعتنقها الجميع وحاول أن يجعل قواعد هذه الديانة مرضية لكل أهل الاديان المختلفة فحول كل تاريخ الآلهة الوثنية الى تشابيه واستعارات مثبتا أن ما يكرمه العامة والكهنة بالقاب آلهة انما هم خدام الله الذين يليق بنا ويجب علينا ان نقدم لهم الخشوع حتى لا يبعدوا عن الخشوع الاعظم اللائق بالله تعالى . وسلم أيضا بأن المسيح كان انسانا خارق العادة وحبيب الله وعارفاً بعمل الله بنوع مدهش وانكر أن المسيح أخذ فى ملاشاة عباده الارواح خدام العناية الالهية (آلهة الوثنيين) بل أراد أن يزيل ما تلطخت به الاديان القديمة وتلاميذه أفسدوا ودنسوا مبادىء معلمهم .

(٤) باسيليدس :

وهو أشهر الغنوسطيين كان من الاسكندرية ونشر ضلاله فيها آخذا عن سيمون الساحر ومنتدر الهرطوقى واخترع خرافات أكثر سخافة من غيرها مدعيا أن ابراساس (الآب) خلق نوس (الفهم) وهذا خلق لوغوس (الكلمة) وهذا خلق فرونايس (الفطنة) وهى برأت صوفيا وديناميس (الحكمة والقدرة) اللتين فطرتا الملائكة وهم خلقوا السماء الاولى و بعض ملائكة

اخرين وهؤلاء خلقوا أيضا سماء ثانية وعلى هذا النسق اتصلوا الى انهم صاروا ٣٦٥ سماء أيام السنة ومقدار مجموع حروف كلمة ابراكساس اليونانية

وكان يقول أن اله اليهود كان رئيس ملائكة من الرتبة الثانية . ولما كان يرغب فى الاستيلاء على جميع القبائل ثار عليه جميع الرؤساء فأرسل الله نوس ابنه البكر لينقذ الناس من الملائكة الذين خلقوا العالم . وقال عن نوس هذا الذى هو يسوع المسيح انه قوة غير هيولية وكان يتشح ما شاء من الهيئات ولهذا لما أراد اليهود أن يصلبوا اتخذ صوره سمعان القروى واعطاه صورته فصلب سمعان لا يسوع الذى كان يسخر باليهود . ثم عاد غير منظور وصعد الى السماء

وروى ابن العبرى المؤرخ انه قال باكرام الحية وتعظيمها لانها المشيرة على حواء بالمجامعة ولولاها لما تناسل الناس . قيل وكان باسيليدس يفر من الاستشهاد و ينكب على مباشرة السحر و ينغمس فى كل نوع من الشبق . وكان يدعى بأنه أخذ تعليمه عن متى الرسول وغلوسيوس تلميذ بطرس الرسول . وعرض مذهبه على الناس بوجه سرى مبهم فتبعه قوم كثيرون واستمر مذهبه هذا الى أواخر القرن الرابع

(٥) كربوكراتس :

و يسمى اتباعه نيوستيثيين اعنى معلمين ومستنيرين وكان يزعم أولا أن يسوع المسيح كان ابن يوسف ومولودا منه كعامة الناس ومتميزا عنهم بقوته فقط وان الملائكة خلقوا العالم وأنه يلزم من آثر البلوغ الى الله أن يتمم جميع أفعال الشهوةالمتمردةالتى يجب أن تطاع فى كل شيء مجدفا بقوله انها ذاك العدو الذى يأمر الانجيل بأن نصطلح معه (مت ٥ : ٢٥) وكان يقول انه باحتقار شرائع الملائكة الاشرار كافة على هذا الاسلوب تتحصل قمة الكمال . وان النفس تنتقل الى أجساد مختلفة الى أن ترتكب جميع الافعال الاكثر شناعة . وكان يسلم بوجود نفسين وان الاولى منها دون الثانية تكون خاضعة للملائكة المتمردين . واتباع هذا الهرطوقى كانوا يدعون مسيحيين ويميزون أنفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف أذنهم الادنى بالنار أو الحديد وكانوا يسجدون لصور تلاميذ فيثاغورس أو أفلاطون أو غيرهما من الفلاسفة مع صور المسيح سواء .

(٦)فالنتينوس :

لما لم يحصل على درجة الاسقفية التى كان هائما بها انشق من الكنيسة وقد أنكر تجسد المسيح من السيدة العذراء وزعم انه أتى بجسده من السماء ومر بجسد مريم كما يجرى الماء من القناة وعلم بتأثير متصل للارواح بالانسان فتى ازدادت الارواح فى جسده جعلت جميع أدناس الحواس جائزة وكان يقسم الناس الى ثلاث مراتب لحميين وحيوانيين وروحيين و يقول انه هو واتباعه من الروحيين ولذا كان بمعزل عن الاضطرار الى الافعال الصالحة لكونهم دون ريب فى قمة الكمال ولأنهم متأكدون نوال السعادة الابدية وكان يزعم ان اللحميين ممنوعون من الخلاص ومنتخبون للجحيم

وتتلخص تعاليم هذا الضال بأن البليروما (اسم غنوسطى لمسكن الله) فيه ٣٠ ايونا نصفهم ذكور ونصفهم أناث وغيرهم اربعة غير ممتزجين هم اورس (حارس حدود مسكن الله) والمسيح والروح القدس و يسوع . ثم أن صوفيا (الحكمة) أصغر الايونيين بينما هى مشتاقة لادراك طبيعة اللاهوت الاعظم ولدت بنتا اسمها حكيموث (العلوم) التى طردت من مسكن الله الى حكام المادة الضخمة الغير المنتظمة فبمساعدة يسوع ولدت ديميارغوس (صانع) بانى كل الاشياء وهذا افرز المادة اللطيفة الحيوية من المادة الكثيفة فصنع من الاولى السموات ومن الثانية الارض ومزج البشر من نوعى المادة وأمه حكيموث اضافت لهما جوهرا ثالثا سماو يا روحانيا

الا أن ديميارغوس داخلته الكبر ياء ورام أن يحسبه البشر الها وأرسل لليهود أنبياء ليظهروا لهم اولوهيته وتبعه كثيرون من الملائكة الذين تسلطوا على اجزاء العالم المخلوق وادعوا ادعاءه . فارسل المسيح وهو مركب من جوهر حيوى روحى ليبطل تمردهم آخذا جسدا أثير يا من السماء ومر به من جسد العذراء كما تجرى المياه من القناة و به اتحد يسوع اعظم الايونيين وقت عماده . فلما رأى ديميارغوس أن يسوع يسعى فى تقو يض سلطانه أمر بصلبه غير انه لما قبض عليه تركه المسيح ونفسه العاقلة وعلق على الصليب نفسه الحاسة وجسده الأثيرى

(٧) الخلاف على تعييد عيد الفصح :

كان يسمى يوم تذكار موت المسيح وتكفير الشعب «الفصح» وسمى كذلك لأن المسيح صلب يوم حفظ اليهود فصحهم . ولم يكن يعيد سنو يا فقط بل كان يعيد ذلك التذكار الخلاصى كل أحد . فكان يوم الاحد يعتبر أيضا من جميع المسيحيين يوم فرح وبهجة فيقضونه بالصلاة وقوفا و بلا صوم . غير ان الفصح السنوى كانت له شعائر خصوصية فى قلوب المؤمنين وكان يحتفل فيه بتذكار الآلام والقيامة معا .

غير ان فى ذلك الحين قام خلاف شديد بشأنه بين مسيحى آسيا الصغرى وكيليكيا وسور يا وبين النهر ين و بين غيرهم من المسيحيين . فكلاهما صام الاسبوع المسمى الآلام الذى مات فيه المسيح وفيه حفظوا عيدا مقدسا أو أكلوا خروفا كما كانت تفعل اليهود تذكارا لعشاء مخلصنا الأخير . غير ان مسيحى آسيا وما يجاورها كانوا يحفظون الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى فى الوقت الذى اكل اليهود فصحهم فيه . وفى اليوم السادس عشر حفظوا تذكار قيامة المسيح فى اى يوم من الاسبوع اتفقا اعنى من دون مراعاة يومى الاحد والجمعة . فكانت تعتبر أهمية اليومين فى عددهما الشهرى ١٤ و ١٦ نيسان اللذين فيهما بالتمام تألم وقام لا فى غيرهما . وقالوا انهم أخذوا هذه القاعدة من الرسولين يوحنا وفيلبس وعضدوها أيضا بمثال المسيح ذاته الذى عمل فصحه مع اليهود . وكانوا يعتبرون يوم الآلام من وجه عقائدى يوم تحر ير من العبودية وخلاص فكان يعد عندهم يوم فرح ويمنعون بعد انقضائه الحزن والصوم معا

ولكن الكنيسة المصرية لم تعتبر الاهمية في عدد اليوم من الشهر بل في اسمه الاسبوعي أعني الجمعة والاحد . فكانت ترى من الضروري ان يكون تذكار الآلام يوم الجمعة وتذكار القيامة يوم الاحد . ولهذا السبب كانت في السنين التي لا يتفق ان يكون اليوم الرابع عشر من نيسان يوم جمعة تعيد الآلام أول يوم جمعة بعده ثم القيامة يوم الاحد واسندوا هذه القاعدة الى بطرس و بولس الرسولين قائلين انهما أصلها . وكانوا يعتبرون اليوم على وجه تاريخي يوم حزن ولم يسمح عندهم بحل الصوم قبل تذكار القيامة وقد وافق اساقفة رومية وانطاكية واورشليم اذ ذاك على أن يتبعوا ما اتبعه مسيحو الاسكندرية بناء على ما كتبه اليهم البابا ديمتريوس في ذلك

فكانت الكنائس متفقة على ضرورة تعييد الفصح ولكنها اختلفت في تعيين اليوم الذى يعيد فيه حتى كان بعضها يعيد بعد الآخر باسبوع أحيانا . و بين سنة ١٦٠ و ١٦٣ م سافر القديس بوليكربوس أسقف ازمير الى رومية لينهي بعض مسائل من جملتها مسألة الفصح آملاً باقناع أسقف رومية نيشيوس العاشر في اساقفتها في ان تعيد كنيسته الفصح مثل كنائس آسيا . و بعد جدال طويل لم يتمكن أحدهما من اقناع الآخر . غير ان هذا الخلاف لم يكن مكدرا لسلامة المسيح بل كانت المحبة مستقرة في القلوب حتى أن نيشيوس تنحى للقديس بوليكربوس ليجرى تقديس القرابين

ونحو ختام هذا القرن ارتأى فيكتور اسقف رومية انه يجب الزام المسيحيين الذين في آسيا بالشريعة والاوامر لكي يتبعوا قانون اكثر العالم المسيحي . وكان وقتئذ البابا ديمتريوس على الكرسي الاسكندري وناركيسس في اورشليم و باكشيلس في كورنثوس و بوليكراتس في افسس . فعقدت حينئذ مجامع كثيرة مكانية اجتمعت في قيصرية واورشليم والبنطس وغلاطية وكورنثوس وورومية و بين النهرين وغيرها وجميعها قررت رأيا واحدا وهو ان تراعى عادة تعييد الفصح اقتداء بالكنيسة الاسكندرية أي القيامة يوم الاحد وان لا يحل الصوم الا فيه لان اعظم المسيحيين استحرم حفظ يوم آخر من ايام الاسبوع غير يوم الرب تذكارا لقيامة المسيح . وارسلت القرارات الى جميع الكنائس

غير أن كنائس آسيا وفي مقدمتها كنيسة ازمير واسقفها بوليكراتس لم ترض بأن تغير عادتها القديمة وأجابوا اسقف رومية بحدة بأنهم لا يعدلون عن وضع سلفائهم المقدس . فاذا تهيج فكتور من هذا العزم منعهم من شركته وشركة كنيسته وليس من شركة الكنيسة الجامعة لأنه لم يكن قادرا على ذلك اى انه قال انهم ليسوا مستحقين ان يسموا اخوته . ولكن بوليكراتس جمع مجمعا مؤلفا من خمسين اسقفا كانت نتيجة محاوراته رفض طلب فكتور واعتبر عمله تعديا . ثم كتب بوليكراتس لفيكتور رسالة سنة ١٩٧ م استشهد فيها على صحة عقيدتهم بفيلبس الرسول وابنتيه و يوحنا الحبيب و بعض الشهداء والقديسين وختمها بقوله « ان الذى يقضى سبعين سنة في مطالعة الكتب المقدسة

والذى رأى بعينه رسل الرب المشتتين فى البلدان للتبشير. لا يبالى بالتهديد ولا بالوعيد وهو يعلم انه يجب ان يطاع الله اكثر من الناس » أهـ

ولما استلم فكتور هذه الرسالة حتى اخذ منه الحنق كل مأخذ فوقع الحرم على بوليكراتس ونادى بهرطقة كنائس اسيا و بضلالها ثم كتب بذلك الى جميع الكنائس المسيحية . غير ان الاساقفة الذين لم يكونوا حتى هذا التاريخ قد رأوا مثل هذا التهور فى كنيسه الله كنيسة الصلح والسلام حملوا حملة شعواء على فيكتور بأن ارسلوا له رسائل مرة يوبخونه فيها على سوء صنيعه ومن اشهر هذه الرسائل رسالة ايريناوس التى خاطبه فيها بقوله « ان الاختلاف فى يوم تعييد الفصح امر قديم فى الكنيسة وليس بحديث كما تظن . بل هو قائم فى عهد اسلافنا الكرام الذين لم يقطعوا لذلك اسباب المودة والاخاء . واعلم ان الاساقفة الذين تولوا قبلك زمام الكنيسة الرومانية كانوا يشتركون فى الصلاة مع الكنائس الاخرى التى كانت تخالفهم فى ليلة العيد دون ان يحصل نزاع مطلقا ودون ان يفصموا مثلك رباط الالفة والمودة » أهـ

وهكذا تمكن ايريناوس بواسطة مكاتيب محكمة أرسلها الى فكتور وغيره من الاساقفة الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع شركة الكنائس الاسيوية ان يخمد نار الخلاف و يوقف سيره وامتداده واضطر فكتور ان يرضخ لحكم الاساقفة واذعن لصوت الكنيسة العام وعاد الى شركته مع كنائس آسيا مع مخالفتها له فى موضوع الفصح

وكتب اساقفة آسيا رسالة مستطيلة يبررون انفسهم فيها وهكذا استمر كل من الفئتين على عادته المختصة به الى ان ابطل عادة مسيحى آسيا المجمع النيقاوى فى القرن الرابع بأن اناط بالاساقفة الاسكندريين تحديد يوم عيد الفصح فظلوا يعينونه لجميع الكنائس المسيحية قرونا طويلة وترتب من ذلك الحين ان يصدر بابوات الاسكندرية رسالة فى كل عيد فصح يرسلونها لجميع الكنائس المسيحية وعموما والمصرية خصوصا فى اليوم الذى يقع فيه عيد القيامة من كل سنة . وكانت لهذه الرسائل اهمية عظمى حتى عند غير المسيحيين لما تضمنته من الحساب الفلكى الدقيق الذى جرى عليه المصريون القدماء بالضبط ولذلك عهد بكتابتها الى بطريرك الكنيسة القبطية المصرية وحده لعلمه بهذا الحساب التاريخى علما تاما وكانت فاتحة هذه الرسائل موعظة بليغة تقرأ فى الكنيسة جهارا . ولا تزال الكنيسة القبطية سائرة على تلك القواعد التى وضعها رؤساؤها لكنائس العالم اجمع . وقيل ان الذى وضع ذلك الحساب المشهور بالابقطى (١) هو بطليموس الفلكى الفرماوى صاحب كتاب المجسطى فى عهد البابا ديمتريوس فنسب اليه ودعى بحساب الكرمة

---

(١) الابقطى هو عمر القمر فى أول توت من كل سنة

فلو كانت كل الكنائس اعتقدت فى القرن الأول ما تعتقد به الكنيسة الرومانية الان من رياسة باباواتها وعصمتهم لما انتظرت حكم المجمع المسكونى الاول لتخضع له وتعمل بأوامره بل لخضعت للبابا الرومانى المعصوم صاحب السلطان المطلق

ولبثت الكنائس سائرة على هذا الترتيب حتى سنة ١٥٨٢ م حين وضع اغريغوريوس الـ ١٣ أسقف رومية تقويمه الغوريغورى الذى ادخل به اصلاحا على التقويم اليولياني ولذلك صارت الطوائف الغربية التى سارت على التقويم الغريغورى تعيد الفصح بعد اكتمال البدر الذى يلى الاعتدال الربيعى مباشرة بدون نظر الى تاريخ ذبح الخروف اما الطوائف الشرقية فظلت باقية على العادة الاولى الى اليوم

ففى بعض السنين يتفق ان يكتمل اول بدر عيد الاعتدال الربيعى فى الوقت الذى يأتى فيه ذبح الخروف فتعيد جميع الطوائف المسيحية فى يوم واحد . ولكن فى سنين اخرى يكون اكتمال البدر قبل ذبح الخروف فيأتى عيد الفصح عند الغربين متقدما على الشرقيين . ومدة هذا التقدم تتراوح بين اسبوع على الاقل وخمسة اسابيع على الاكثر ولا يأتى عيد الشرقيين قبل عيد الغربيين مطلقا

فالغرض من حساب الابقطى . انما هو تعيين يوم ذبح الخروف عند اليهود . ومنه يمكن تعيين عيد الفصح والاعياد المرتبطة به كعيد الصعود وعيد العنصرة وذلك لانه بين السنة التوتية القبطية والسنة اليهودية فرقا نشأ من أن السنة الاولى شمسية والسنة الثانية ذات اشهر قرية ولكى يقع الفصح اليهودى دائما بعد الاعتدال الربيعى يضيف اليهود شهرا على سنتهم كل سنتين أى انها فى السنتين الاوليين ١٢ شهراً وفى الثالثة ١٣ شهراً وبذلك جعلوها سنة شمسية ولو أن شهورها قرية (١)

* * *

(١) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٢٠١ و ٢٠٢ .

القرن الثالث

القسم الأول

تاريخ البطاركة

(١) ياروكلاس	(٣) ديونيسيوس
(٢) مكسيموس	(٤) ثاؤنا

(١) ياروكلاس — البطريك الثالث عشر:

ولد فى الاسكندرية من أبوين وثنيين صارا فيما بعد مسيحيين وادخلا ابنهما ياروكلاس فى المدرسة اللاهوتية ليدرس العلوم بها فتتلمذ للعلامة اوريجانوس وأظهر مهارة فائقة ونبوغا عظيمة حتى خصه البابا ديمتريوس بعناية ورسمه شماسا فقسا ثم عينه مديرا لتلك المدرسة وسلمه مقاليدها بعد طرد اوريجانوس منها. وقد أوكل اليه القيام بالوعظ فوق منبر الكنيسة المرقيسة بالاسكندرية فاجتذب برقة أسلوبه وحسن سلوكه عددا غير قليل من شبان الوثنيين. وعقب وفاة البطريك ديمتريوس كان قد حاز صيتا بعيدا فى العلم والعمل فاجمع الكل على توليته منصب البطريركية ورسموه فى شهر بابه سنة ٢٣٢ م فى عهد ساويرس قيصر

مكسيمينوس ضد المسيحيين. ولم يرجع اليها الا بعد أن هدأت القلاقل ونامت الفتن وتقوت المسيحية وكثر عدد المنضمين اليها وأوجد عدة ابروشيات جديدة حتى أقام عشرين أسقفا على معظم مدن القطر المصرى واستمر فى جهاده مدة ١٦ سنة وشهرا واحدا و٢٦ يوما وتوفى فى ٨ كيهك سنة ٢٤٧ م

وبالنسبة لشدة اعتبار الكهنة والشعب لهذا البطريرك ومحبتهم له دعوه (بابا) أى (جد) الاسم الذى لم يسم به أحد قبله من بطاركة المسيحيين. ولا ندرى كيف يتبجح الغربيون و يفوهون بدون خجل بأن هذا اللقب هو خاص بأسقفهم دون غيره وشهادة التاريخ تنقض مدعاهم. قال صاحب «تاريخ الانشقاق» ج ١ ص ٢٩ — ٣١ «وأما أساقفه عاصمات الولايات والاقاليم أعنى الاولين فى المطارنة فكانوا يسمون (أكسرخوسة الولايات) أو أساقفة أولين. غير أنه كانت لبعضهم أسماء خاصة أيضا منذ القديم. فكان أسقف انطاكيا يسمى «بطريركا». وأسقف

اسكندرية « بابا » وأسقف رومية « أسقفا » أو أسقف المدينة (أى رومية) أو حبرا (وهو اسم مأخوذ عن استعمال قديم للكهنة الوثنيين فى رومية) وأحيانا كان يسمى « بابا » أما كلمة « بابا » فمن الواضح انها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل هى شرقية محضة . وأول من سمى بها أسقف اسكندرية من أبناء أبروشيته فى القطر المصرى وفى اسكندرية عينها » أهـ

وقال افتيشيوس بطريرك الملكيين باسكندرية (وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر) فى تاريخه طبعة سنة ١٦٦١ « أن كلمة « بابا » مركبة من « أب آبا » ثم أدرجت الى « أبابا » وتخففت الى « بابا » وانتقل الاسم « بابا » من كرسى اسكندرى على كرسى رومى » أهـ وقال المقريزى المؤرخ المسلم فى كتابه « دخول قبط مصر فى النصرانية » « وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أول بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمتريوس وهو الثانى عشر من بطاركة الاسكندرية . وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب . والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة « البابا » تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها « أب الآباء » ثم انتقل هذا الاسم من كرسى الاسكندرية الى كرسى رومه » اهـ (مجانى الأدب للجزويت ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٣)

ولقد يدعى الغربيون أن تسمية أسقف اسكندرية « بابا » منحت من اسقفهم كليتنوس للقديس كيرلس فى المجمع الثالث المسكونى اكراما له ومن ذلك العصر أخذ بطاركة اسكندرية يلقبون باباوات . وفساد هذا الادعاء ظاهر لأن التاريخ يشهد بأن بطاركة الاسكندرية كانوا يسمون باباوات لاقبل المجمع الثالث والثانى فقط بل قبل الاول أيضا فان هذا اللقب أطلق على ياروكلاس الذى كان قبل كيرلس بـ ١٨٢ سنة وأطلق على اثناسيوس الذى كان قبل كيرلس أيضا بـ ٨٤ سنة . وقد امتد لقب بابا الى قرطجنة قبل رومية بدليل أن كرنيليوس أسقف رومية القديمة صدر معظم رسائله التى بعث بها الى قبريانوس أسقف قرطجنة فى اوائل القرن الثالث بقوله « السلام من كرنيليوس الى البابا قبريانوس » ومن ثم امتد ذلك اللقب الى أسقف رومية فى القرن الخامس بشهادة البابويين أنفسهم كما جاء بص ٣٤ من كتاب « تاريخ الكنيسة الاسكندرية » للبطريرك كيرلس مقار ما نصه « أن الكنيسه منذ القرن الخامس قد جعلت لقب « بابا » خاصا بأسقف رومية » أ هـ

والحقيقة ان أسقف رومية لم يدع حق ملكية لقب « بابا » الا فى القرن الحادى عشر حيث عقد غريغوريوس السابع أسقف رومية مجمعا مكانيا حرم فيه كل أسقف يطلق على نفسه أو على غيره ذلك اللقب . وأما قبل هذا التاريخ فلم يتجاسر أسقف رومانى بحصره فى شخصه بدليل

انه في القرن السادس كتب فرتوناتوس أسقف بواتييه بفرنسا الى كل من فيلكس أسقف نانت وافروتيوس أسقف ثور (وكلاهما بفرنسا أيضا) رسالة لقبهما فيها «بالبابو يين الطاهرين» وفي القرن السابع ورد اسم قورش (دخيل على الكرسي الاسكندري) مسبوقا بلفظة بابا وذلك من ضمن أعمال المجمع المنعقد بالقسطنطينية سنة ٦٨٠م

قال مؤلف كتاب مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٦٠ «أما اذا كان حبر رومية المذكور (غريغوريوس السابع) قوى فيما بعد على أن ينتزع لقب «بابا» من اخوانه الغربيين ويحصره في شخصه فانه لم يقو ولن يقوى على انتزاعه من حبرنا الاسكندري. ونظرة واحدة الى جميع الخولاجيات القبطية (سواء كانت بين أيدى الارثوذكس أو بين أيدى اخوانهم الكاثوليك) تكفى لتبرهن لنا على أن اسم الحبر الاسكندري لا يذكر حتى اليوم الا مشفوعا بلقب بابا متبوعا بألقاب ثلاثة. ففى الثلاثة القداسات وفي صلوات بخورى عشية وباكر بل في جميع طقوس البيعة القبطية ينبه الشماس الشعب عند «أوشية الآباء» قائلا «صلوا من أجل رئيس كهنتنا أنبا فلان بابا وبطريك وسيد ورئيس أساقفة مدينة الاسكندرية العظمى» أهـ (١)

ولا نظن الكاثوليك فيما بعد يتجاسرون على سلب ألقاب غيرهم. ولكن اذا كنا نراهم قد سلبوا لقب الرب يسوع الاساس الوحيد والرأس الفريد للكنيسة وجعلوا هذا اللقب وقفا على أسقفهم فلا عجب اذا تهجموا أيضا على ألقاب سواهم من رؤساء المسيحية

(٢) ديونيسيوس :

البطريك الرابع عشر. ولد بالاسكندرية في أواخر القرن الثاني وكان عابدا للأوثان على رأى مذهب الصابئة (٢) وكان مقداما وحكيما فبينما هو جالس في بعض الايام أذ مرت به عجوز أرملة ومعها كراسة مكتوبة من رسائل بولس الرسول تريد بيعها. فاشتراها منها وأخذ يتأمل فيها. ولما فهمها جيدا أعجب بها للغاية ووقعت عنده موقعا حسنا واعتبرها أفضل من كل ما قرأه من كتب الفلاسفة. ثم طلب من المرأة أن تأتيه بمثل هذه الكراسة وهو يدفع لها ما تطلب من الثمن لانه رأى انه قد بقي من الكتاب شيء آخر. فذهبت المرأة وأحضرت له ثلاث رسائل أخرى وقدمتها اليه فأخذها وبدأ يطالعها وهو مندهش ومسرور جدا لجلال اللفظ وسمو المعنى

---

(١) ان اول من اطلق لقب بطرك على باباوات الاسكندرية هو القديس اثناسيوس الكبير حيث كتب عن اسكندر بابا الاسكندرية وسماه بطريركاً

(٢) عبادة الكواكب والنجوم

فشعرت المرأة بأن نعمة الله عملت فى قلبه فقالت له اذا شئت أيها الفيلسوف ان تطلع على كثير من مثل هذه الاقوال فعليك بالذهاب الى الكنيسة حيث تجد من يعطيها لك مجانا . فمضى لساعته الى الكنيسة وتواجه مع شماس يدعى اغسطين فدفع له رسائل بولس كاملة فقرأها وحفظها من قوة ذكائه ومضى الى البطريرك ديمتريوس ونال منه سر المعمودية ثم انخرط فى سلك المدرسة اللاهوتية وتتلمذ لاوريجانوس العلامة . وفى وقت وجيز نبغ فى العلوم المسيحية كما كان ماهرا فى العلوم الفلسفية . وكان له تلاميذ كثيرون يتعلمون منه الفلسفة الوثنية فأثر عليهم بأقواله وجعلهم يتبعون ديانته الجديدة و يدرسون عليه العلم المسيحى الحقيقى

وقال الانبا ساويرس المؤرخ « انه جعل بيته بيعة ولبثت مدة طويلة تدعى باسمه » . وقال هذا المؤرخ أيضا انه كان أسماء تلاميذه تاودورس واغريغوريوس واثناخورس هؤلاء أقاموا معه خمس سنين بعد تقدمته ثم نالوا رتبة الكهنوت وكان له تلميذ آخر اسمه افريقتوس كتب خمسة كتب وتعب فيها فلما سمع بحكمة ياروكلاس البطريرك مضى الى الاسكندرية ليتعلم منه وكان ديونيسيوس يقول له « اعلم ان كل انسان لا يأكل الطعام الروحانى فهو هالك وقد كنت أنا مشغولا بالطعام الفانى وغافلا عن خبز الحياة الباقى حتى هدانى الرب » واجتذب التلميذ بهذا الكلام الى التعليم السمائى حتى ان من فضله عرف صحة نسبتى المسيح فى انجيلى متى ولوقا ولم يجد فيهما خلافاً بالكلية

وكان لديونيسيوس بعد قبوله سر المعمودية نشاط وغيرة عظيمين فأحبه البابا ديمتريوس ورقاه الى رتبه الشموسية و بعد وفاته رفع البابا ياروكلاس درجته الى وظيفة قس ثم قلده فيما بعد رئاسة المدرسة اللاهوتية ومناظرة بعض الشئون الرعوية فاستمر فى عمله لا يكف عن أن يعلم و يعظ و يعمد المرتشدين حتى توفى البابا ياروكلاس فاجمعت كلمة المسيحيين على أن يخلفه ديونيسيوس فساموه بطريركا فى شهر كيهك سنة ٢٤٧ م فى عهد فيليب قيصر بعد أن ترك فى رئاسة المدرسة اللاهوتية بيروس

ولما اضطهد ديسيوس قيصر المسيحيين كان همه موجها بالاخص الى رؤسائهم فشدد على نوابه بأن يقبضوا على رؤساء المسيحيين فى العالم أجمع فحاول نائب القيصر فى مصر القبض على الباب ديونيسيوس فلم يفلح وتمكن البطريرك من الهروب الامر الذى لامه عليه جرمانوس أحد أساقفه الاقاليم فأرسل اليه الباب ديونيسيوس الرسالة الآتية يدافع فيها عن سبب هروبه و يوضح الحوادث التى مرت به حيث قال :

الى جرمانوس سلام .

« وبعد فأنى أتكلم أمام الله وأشهده على نفسى اننى لا أكذب فيما أقول بأن هروبى لم يكن طبقا لارادتى كما لا ادعى اننى أتيته بناء على الهام من الله بل الواقع انه قبل أن يبتدىء الاضطهاد الذى أثاره ديسيوس قيصر جاء رجل اسمه فرومنتار يوس من قبل حابينوس ليبحث عنى وكنت قد مكثت فى منزلى نحو أربعة أيام أنتظر مجىء فرومنتار يوس الذى لم يأت الى توا بل ذهب ينقب فى كل مكان فى الشوارع والحقول وبقرب الانهر حيثما ظن اننى أختبىء هناك وكأنه ضُرب بالعمى فلم يستطع العثور على منزلى لانه لم يخطر بباله قط اننى أبقى فى البيت وقت الاضطهاد . فمرت الاربعة الايام على هذه الحالة الى أن أذن لى الله أن أترك كمينى وفتح لى طريقا سلكت فيه بكيفية عجيبة جدا فخرجت من المنزل ومعى اتباعى وكثيرون من الاخوة المسيحين وكان ذلك بتدبير من الله وعناية منه ظهرت لنا فى كل الذى تم معنا بعد ذلك وبدونها لم نكن نذكر بشىء أو نفيد شيئا

وعندما أذنت الشمس بالمغيب كنا قد قربنا من مدينة تدعى « أطابوز يرس » (١) أمسكنى العساكر أنا ورفقائى وقادونا الى سجن المدينة ولكن تيموثاوس لم يكن موجودا ولم يلق القبض عليه وذلك بعناية الهية فانه لما دخل البيت وجده قفرا وليس فيه سوى خدام يحرسونه . أما نحن فصرنا عبيدا أرقاء . وقد اتفق ان رجلا من الارياف رأى تيموثاوس راكضا تلوح عليه دلائل الخوف والجزع فسأله الرجل عن سبب جريه فأوضح له تيموثاوس جلية الخبر . وبعد أن سمع الرجل هذا الامر ذهب فى طريقه وكان قاصدا وليمة عرس فلما استقر به الجلوس فى المجلس قص هذا الخبر على آذان المدعوين لهذه الوليمة فلم يكن الاكلمح البصر حتى نهضوا جميعهم نهضة رجل واحد كأنهم كانوا على اتفاق سواء وجاءوا مسرعين كالسيل الجارف واندفعوا علينا كالنسور وأخذوا يصرخون ويضجون بأصوات كالرعد القاصف فلما رأى العساكر الذين كانوا يحرسوننا ما جرى ولوا الادبار واركنوا الى الفرار فانقض أولئك علينا انقضاض البواشق بينما كنا نياما على أسرة ليس عليها شىء من الفراش . ويعلم الله انى ظننتهم فى بادىء الامر جماعة من اللصوص جاءوا قاصدين السلب والنهب ولذلك ظللت نائما دون أن ابدىء حراكا وليس على شىء من الملبوس سوى قميص من الكتان أتدثر به وأما باقى ثيابى فكانت مطروحة بجانبى فقدمتها لهم عندما اقتربوا منى . أما هم فلم يكونوا يقصدون النهب ولا يبتغون الثياب بل أمرونى أن أقوم من مكانى وأسير معهم مسرعا الى حيث يريدون . فلما أدركت قصدهم من المجىء الينا أخذت فى البكاء والعويل وتوسلت اليهم متضرعا أن ينصرفوا عنا ويتركوننا وشأننا وقلت لهم انهم اذا شاءوا أن يعملوا معنا جميلا فليستأذنوا

(١) مدينة صغيرة فى مريوط غربى الاسكندرية

الذين أدخلونى فى هذا المكان ومن ثم يقطعون رأسى . فلما صحت عليهم هكذا كما يشهد بذلك رفاقى والذين اشتركوا معى فى الضيقات اجتهد أولئك القوم أن يأخذونى قصراً رغما منى ولذلك ألقيت بنفسى على الارض مطروحا على ظهرى ولكنهم لم يشفقوا على بل أمسكوا يدى ورجلى وجرونى خارجا وتبعنى الذين شاهدوا هذه الحادثة وهم كايوس وفسطس و بطرس و بولس فاخرجونى خارج المدينة وأركبونى حمارا غير مسرج » أهـ

وأرسل الباب ديونيسيوس برسالة أخرى الى بطر يرك انطاكية يشرح فيها باسلوب مؤثر شدة ما قاساه المؤمنون من العذاب فى ذلك الاضطهاد وسنذكرها فى الكلام على اضطهادات هذا القرن وكان قصده من ارسال تلك الرسالة لذلك البطر يرك أن يستنهض همته حتى لا يجزع من الضيقات ولا يخاف من الموت بل يثبت على محبة الفادى الى النهاية

ولما مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١ م هدأت قليلا ثورة الاضطهاد فكتب ديونيسيوس الى القيصر غالوس يذكره بما جناه أبوه على المسيحيين فأثر ذلك فى نفس القيصر تأثيرا حسنا . ولكن داء الدفتر يا الذى تفشى فيما بعد فى أنحاء المملكة كان و بالا على المسيحيين لان كهنة الاوثان أقنعوا القيصر بأنه نتيجة غضب الآلهة من انتشار المسيحية . فنشأ عن ذلك اضطهاد هذا القيصر للمسيحيين اضطهادا مريعا للغاية الى أن مات سنة ٢٥٣ م وتولى مكانه فالير يان الذى سالم المسيحيين فى مبدأ الامر حتى تسنى للبابا ديونيسيوس أن يطوف فى أنحاء القطر المصرى مفتقدا رعيته التى كادت تتمزق من أهوال الاضطهادات . وقد سام فى سياحته شمامسة وقسوسا ودشن كنائس عديدة و بذل جهده فى تعز ية شعبه ومواساته فى مصائبه كما هو شأن الراعى الصالح ولما وصل فى سياحته الى ابروشية (١) ارسينو(٢) فى الفيوم وقف على بدعة ابتدعها أسقفها فى مسأله ملك المسيح الالف سنة فقضى عليه فى مجمع عقده هناك كما سيأتى ذكره فى بابا البدع

وفى ذلك الحين مات فابيانوس أسقف رومية وأقيم كرنيليوس خلفا له فاستولى روح الحسد على نوفاسيانوس أحد كهنة رومية وأسكر أسقفين وجعلهما يوسمانه أسقفا على كرسى روميه . وما بلغ أمنيته حتى نشر بدعة جديدة مؤداها رفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون فى اثم كبير و بوجوب اعادة العماد الذى يتم على أيدى الهراطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون فى قبول الهراطقة التائبين . ولما علم نوفاسيانوس أن كرنيليوس احتج عليه لدى الاساقفة أرسل للبابا ديونيسيوس البطر يرك الاسكندرى يقول له «ان الشعب أرغمنى على قبول الاسقفية» فأرسل اليه البابا ديونيسيوس رسالة يقول فيها :

---

(١) ابروشية (بفتح الباء وسكون الراء) لفظة يونانية معناها مقاطعة

(٢) ارسينو هى الآن كيمان فارس المتخربة بجرى مدينة الفيوم الحالية .

ديونيسيوس يهدى سلامه الى أخيه نوفاسيانوس

« و بعد . فاذا صح ما قلته وصدق اعتذارك فى أنك قبلت الوظيفة بطريقة غير قانونية ضد رغبتك فعليك أن تبرهن ذلك بأن تترك هذه الوظيفة برغبتك وتعزلها بارادتك لان الواجب علينا أن نحتمل كل شيء ونذوق كل هوان وعذاب لا أن نسيء اساءة تؤثر فى كنيسة المسيح التى افتداها بدمه . واعلم هداك الله أن المجد الاسمى والشرف الاعظم يكونان لنا كاملين اذا نحن متنا شهداء لاجل الكنيسة من أن نسهل لابنائنا تقديم الذبائح للاوثان وانكار الايمان . ومن رأيى ان الذى يموت شهيدا لاجل ايمانه انما يريح نفسه و ينال المجد والثواب لشخصه فقط ولكن الذى يموت لاجل الكنيسة فهو يفيد الكنيسة ونفسه أيضا . والنتيجة انك اذا أقنعت اخوانك وحملتهم على اتمام مبادىء الاتفاق والوئام فتكون حسناتك قد زادت عن سيئاتك والا ان لم تستطع التأثير عليهم وخالفوا وساطتك فاعمل على الاقل لخلاص نفسك وأربأ لها . وفى الختام أهديك تحيتى وسلامى على أمل انك راغب فى السلام عامل على توطيد دعائمه باسم ربنا يسوع المسيح » أهـ

ثم كتب هذا البابا الى جميع الكراسى المسيحية لكى يقطعوا الشركة مع نوفاسيانوس وحظر على اكليروس كنيسة رومية معاملته وأوصاهم بالتمسك بكرنيليوس أسقفهم الشرعى حتى كانت نتيجة سعية أن اعتزل نوفاسيانوس الكرسى الرومانى وتركه لكرنيليوس الذى عقد مجمعا حرم فيه خصمه والبدعة التى جاهر بها

وفى سنة ٢٥٧ م ثار اضطهاد القيصر فالريان فألقى والى مصر القبض على البابا ديونيسيوس بعد أن قتل كثيرين من المسيحيين وجلد البابا ديونيسيوس وطلب منه أن يسجد للاوثان فأجابه نحن لا نسجد الا للسيد المسيح خالق السماء والارض فكلمه الوالى بالحسنى لكى يذعن فأبى فأخذ جماعة من المسيحيين وقتلهم أمامه ولما رآه مصرا ألقاه فى السجن ثم أعيد ليحكم عليه بالموت واتهمه الوالى بأنفراده مع أصحابه للصلاة معهم فقال له القديس نحن لا نكف عن مخاطبة الله ولكن الوالى عدل عن قتله ونفاه فى ناحية خفرو بليبيه وقد تلقى حينئذ رسالة من جرمانوس الاسقف المار ذكره يلومه فيها على ابطال الاجتماعات العمومية فرد عليه البابا ديونيسيوس بكتاب يصف فيه كيفية القبض عليه فقال :

« ولما حللنا سيفرد (١) التف حولنا جم غفير من الاخوة الذين جاءوا معنا من الاسكندرية ومن الذين وفدوا الينا من مصر بعد وصولنا الى هنا وهكذا مهد الله سبيلا لكلمته فى هذه الجهة كما فى كل الاماكن الاخرى . صحيح ان أعداءنا فى بادىء الامر اضطهدونا ورشقونا

(١) شمالى القطر المصرى

بالاحجار ولكن أخيراً ترك كثيرون من الوثنيين أصنامهم ونبذوها ظهريا وأقبلوا الى الله بقلوبهم لان كلمته غرست في أفئدتهم كما يغرس البذار فى أرض ذات زرع وكانوا لم يسمعوا عنها من ذى قبل . وكأن الله جل وعلا أراد أن يأتى بنا الى هذا المنفى لنذيع بشارة الخلاص فيه فلما تم ذلك وأفلحنا شاءت مشيئته أن ننقل الى مكان آخر لهذه الغاية عينها وذلك أن اميليانوس ابن الامبراطور قصد أن ينقلنا الى أماكن أشد ضررا وأكثر تعبا مشحونة بالمخاوف والمخاطر . ثم أمر سكان أقليم مريوط أن يلتئموا فى مكان واحد خصصه لهم وعين لهم قرى معروفة يقيمون فيها فيما بعد أما نحن الذين تبعونا فأوصوا أن نبقى مطروحين فى الطريق بلا مأوى ولا ملجأ لانه لم يكن شك فى اننا اناس لا نركن الى الفرار ولا نميل الى الهرب بل وثق انه متى أراد يسهل عليه القبض علينا بدون مشقة ولا أخفى أننى عندما صدر لى الامر بالارتحال الى سيفرد هذه لم أكن أعلم الى أين أسير ولا أعرف شيئا عن المكان الذى أنفى اليه بل كنت بالكاد أعرف أسمه من قبل ولكننى كنت فرحا جذلا لعلمى أن هكذا ارادة الله . الا أنه لما أمرونى بالانتقال الى مكان اسمه كولونيوس تأثرت تأثيرا شهده الحاضرين لاننى علمت أن هذا المكان سيكون كسجن لى لا أستطيع فيه أن أتمم العمل المطلوب منى ولذلك تضايقت أولا بالنسبة لهذا الخبر وثقل سماعه على أذنى مع اننى كنت عالما بهذا الاقليم وأكثر خبرة به من غيرى ولكن قيل لى انه خال من الاخوة المسيحيين وليس فيه أحد من أفاضل الرجال الذين تتلذذ النفس لمعاشرتهم فضلا عن أنه عرضة لوقاحة المسافرين ورذائلهم ومكمن للصوص وقطاع الطرق الا أن بعض الاخوة واسونى اذ أخبرونى انه قريب من مدينة الاسكندرية . ومما يسر القلب أن سيفرد التى نفينا اليها جمعتنا بكثيرين من الاخوة المسيحيين . الذين لم نكن لنراهم لولاها و بواسطة اجتماعنا وارتباطنا تمكنا من نشر كلمة الله واذاعة خبر الخلاص بطريقة لم نكن لنحصل عليها لولا هذا المنفى . واذ كانت الاسكندرية قريبة من هذا المكان الذى كنا نقيم فيه تمتعنا كثيرا بمشاهدة الذين نحبهم ونميل اليهم وقد كانوا يجيئون لزيارتنا دائما ويمكثون معنا طويلا ولذلك كنا نمثل جمعية عظيمة كانت تلتئم فى أقصى مكان فى الاسكندرية ولم تزل هذه الجمعيات توالى انعقادها لسماع كلمة الله حتى بعد أن تركناها ورجعنا الى مدينتنا » أهـ . والذى أعاده الى كرسيه ابن فاليريان لشفقته عليه وظهور براءته أمامه بل زوده بكتاب منه يبيح له عقد الاجتماعات ومباشرة خدمته بدون أن يعارضه أحد

ولم يكد البابا ديونيسيوس يستريح قليلا بعد كف الاضطهاد ورجوعه الى كرسيه حتى اضطر أن يوالى جهاده ضد المبتدعين الذين كانوا يكدرون صفو الكنيسة ببدعهم فعمل على حسم النزاع الذى نشأ فى الكنيسة بسبب عماد الهراطقة وقاوم جميع المبتدعين كما سيأتى ذلك فى باب البدع

وحدث أن رجلا يدعى سابليوس جاء الى مصر من روميه ونشر فيها هرطقة « مؤلمى الاب » الذين يعتقدون أن الله نفسه لا أحد أقانيمه هو الذى كفر عن خطايا البشر . وقد أضا

سابليوس ببدعته هذه كثيرين من المؤمنين وبعض الاساقفة فوقف أمامهم البابا ديونيسيوس وقفة البطل الباسل وقاوم ضلالهم فى منشور أرسله الى الاسقفين أمونيوس وافراندر. ولما لم يتمكن من ارجاع سابليوس حرمه فى مجمع عقده بالاسكندرية سنة ٢٦١ م بعد أن فند فى رسالة كل تعاليمه الفاسدة فرأى أنصار سابليوس انهم فى حاجة الى من يشد أزرهم فأغراهم بعض الدخلاء من الرومانيين على الشر والشقاق فكتبوا الى ديونيسيوس أسقف رومية كتابا فيه يرمون بطريركهم بالهرطقة والبدعة . وكان الاسقف الرومانى شابا قليل الخبرة والمعرفة بالنسبة للبطريرك الاسكندرى الذى كان واسع الاطلاع شديد الاختبار. فسار ديونيسيوس الرومانى سير الاعتساف وارتكب متن الشطط وعقد مجمعا حرم فيه ديونيسيوس البطريرك المصرى وأرسل يعلمه بالحكم ويسأله عما اذا كان عنده شيء يدافع به عن نفسه الامر الذى عده البطريرك المصرى جسارة من أسقف رومية واهانة له غير انه لعظم تقواه وتمسكه بأوامر الديانة المسيحية لم يرض أن يقابل الشر بالشر بل عمد الى قلمه وأرسل اليه رسالة يوضح له فيها العبارات التى اشكل عليه فهمها فكانت تلك الرسالة حدا فاصلا للنزاع الذى يسميه المؤرخون «نزاع الديونيسيين» واقتنع الاسقف الرومانى بأنه تسرع وأخطأ فى عمله واحترم البابا الاسكندرى ووقف بجانبه فى دحض بدعة بولس السيماساطى أسقف انطاكية التى لاجلها انعقد مجمع فى انطاكية سنة ٢٦٤ م استدعى فيه القديس ديونيسيوس الاسكندرى غير انه نظرا لشيخوخته اكتفى بأن بعث رسالتين احداهما الى المجمع والاخرى الى السيماساطى حل فيها الاسئلة العشرة التى كان يوجهها بولس الى كل من يناقشه

وقبل أن يبت المجمع المذكور حكما فى قضية بولس هذا نام البطريرك العظيم فى الرب واستراح من أتعاب جمة فى ١٧ برمهات سنة ٢٦٥ م وكانت مدة اقامته على الكرسى الاسكندرى سبعة عشر سنة ولهذا القديس رسائل عديدة فى أهم قضايا الايمان وفى وصف ما وقع عليه وعلى كنيسته من الاضطهاد وقد استقى منها أوسابيوس المؤرخ معظم أخبار ذلك الزمان . ولم يزل معظم تلك الرسائل محفوظا فى مكتبه «جالان» اليونانية واللاتينية بمدينة البندقية ومنها مقالة فى الفصح وأخرى فى السبت وما سبقت الاشارة اليه فى ترجمته

(٣) مكسيموس :

البطريرك الخامس عشر. ولد بالاسكندرية من أبوين مسيحيين وكان قسا بها وتم تكريسه بطريركا فى شهر برمهات سنة ٢٦٥ م فى عهد غالينوس قيصر ولما حكم مجمع انطاكية بحرم بولس السيماساطى أرسل حكمه الى هذا البطريرك يتضمن الاسباب التى دعت الى تجريد بولس من رتبته الكهنوتية واقامة دمنوس عوضا عنه وبعد أطلاعه على الحكم بادر حالا بكتابة رسالتين واحدة للمجمع يشكر فيها مساعيه وأتعابه لخدمة الكنيسة والاخرى الى دمنوس تهنئه له بوظيفته الجديدة . ثم حرر منشورا الى جميع الكراسى الاسقفية يحذرهم فيه من تعاليم بولس وشرح

لهم التعاليم المستقيمة التى ينبغى التمسك بها و بعد ذلك ظهرت بدعة مانى الخبيثة فكان لهذا البابا اليد الطولى فى دحضها وجاهد فى مقاومتها بكتابة رسائل متعددة والقاء الخطب . واستمر يرعى رعية الله التى اقتناها بدمه مدة ثمانى عشرة سنة ثم تنيح بسلام فى ١٤ برمودة سنة ٢٨٢ م

(٤) ثاؤنا :

البطريرك السادس عشر . روى الانبا يؤنس مطران دمياط فى مجموعته لتاريخ البطاركة أن الاباء الاساقفة نصبوا بطريركا قبل ثاؤنا هذا اسمه بينوده جلس على الكرسى المرقسى ستة شهور فى نهايتها اجتمع الاساقفة ضده وقرروا تجريده من رتبته لانه قد خصى نفسه وأقاموا بدله البابا ثاؤنا فى شهر كيهك سنة ٢٨٢ م فى عهد بروفس وهذا البطريرك كان من قسوس الاسكندرية المشهورين بالعلم والوداعة وقد انتهز فرصة سكون الاضطرابات وجمع من المؤمنين الاغنياء اموالا و بنى بيعة حسنة على اسم السيدة العذراء وهو أول من بنى الكنائس بالاسكندرية وكانت النصارى قبله تصلى بالاسكندرية فى المغارات والسراديب خوفا من القتل وسفك الدماء فلاطف البابا ثاؤنا جماعة الروم و بالغ فى ملاطفتهم وأهدى اليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة العذراء المذكورة وهى أول كنيسة بنيت صلى فيها القبط جهارا

ولما تولى القيصر ديوكلتيانوس عرش رومية أدخل فى معيته عددا كثيرا من الاقباط المسيحيين فأرسل اليهم هذا البطريرك رسائل يأمرهم فيها أن يقوموا بواجبهم وان يميزوا أنفسهم كمسيحيين عن الموظفين الوثنيين بأعمالهم الصالحة وسيرتهم الطيبة فمن ذلك رسالة الى لوسيان ناظر بيت الملك وهو موظف مسيحى ارتقى الى رتبته بعد تملك ديوكلتيانوس بقليل يقول له « ان الراحة التى تتمتع بها الكنيسة الآن تعزى الى سبب واحد فقط هو سلوك المسيحيين الحسن وأعمالهم الممدوحة التى تضىء كالشمس فى رابعة النهار ينعكس ضؤوها أمام أعين الكفرة والملحدين فتبهر أبصارهم و بذلك يتمجد أبونا الذى فى السموات . أما غرضنا الذى نرمى اليه والغاية القصوى التى نسعى خلفها هى أن نكون مسيحيين فعلا لا بالاسم فقط وأن نعمل أعمال المسيحيين الحقيقيين لانه اذا كنا نطلب مجد أنفسنا الذاتى فنكون كمن يطلب شيئا تافها لا فائدة منه . فاذا يجب على كل مسيحى أن يهتم بمجد الله الآب وبمجد الله الابن الذى سمر لاجلنا على خشبة الصليب وفدانا بدمه فداء أبديا لا يقوم بذهب أو بفضة . فلذلك أيها العزيز لوسيان أريد أن يعرف عنك التباهى والفخر لانك أهديت كثيرين من خدمة البلاط الملوكى الى معرفة الحق وأدخلتهم فى حظيرة المسيح بل الاحرى بك أن تشكر الله الذى اختارك آله نافعة للبنيان وجعلك واسطة خير لنفع الآخرين وأعطاك نعمة فى عينى مولاك لحد تمكنت فيه من نشر كلمة الخلاص واذاعة معرفة فادى المسيحيين وذلك لمجد اسمه وخلاص الكثيرين » أهـ

واوصى كافة أمناء بيت الملك المسيحيين فقال « ان الله ينهاكم عن أن تبيعوا للآخرين شيئا من متعلقات القصر خلسة أو تأخذوا رشوة ولا تقولوا للامبراطور كلاما ضد الحق ابتعدوا عن الطمع والجشع اللذين يتمسك بهما الوثنيون لا المسيحيون واعلموا أن الربح القبيح والغش هما صفتان لا تلائمان من قبل المسيح . فعولوا على الاقتداء به ذاك الذى كان فقيرا ومعدما . لا تتكلموا بشر فيما بينكم ولا تخرج كلمة قبيحة من أفواهكم بل لتكن كل أعمالكم مقرونة باللطف والتأدب مع العدل والحق بذلك يتمجد اسم ربنا والهنا يسوع المسيح فيكم وفى أعمالكم . تمموا واجباتكم التى اسندت اليكم بخوف من الله وبمحبة للامبراطور وبغاية الدقة والاجتهاد واعتبروا أن الاوامر التى تصدر لكم من مولاكم الذى لم يسىء الى أحد من رجال الله كأنها صادرة من الله نفسه لانه مقام منه ولم يتقلد السيف باطلا . وأخيرا يا أبنائى الاعزاء البسوا الصبر كرداء وتمنطقوا بالفضيلة وامتلئوا بالرجاء والايمان والمحبة » أهـ

ثم أرسل لأمين الخزانة الخاصة يأمره بأن يتحلى بالامانة ويصرف بدقة حساب وكتب لامين الملابس يوصيه بملاحظة الترتيب والنظام وختم كلامه بقوله « وعلى الامين أن يفعل كل هذا بتواضع وطول أناة لكى يتمجد اسم المسيح حتى فى مثل هذه الاعمال القليلة الاهمية » أهـ . وأوصى أمين المكتبة بأن يحسن تنظيمها ويجد فى نسخ ما بها من الكتب الهامة وأن لا يفتأ يذكر أمام القيصر عظيم قدر الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وأن يمزج كلامه مع القيصر بشواهد من سيرة المسيح

وكان فى عهد هذا البطريرك كاهن قديس لم يرزق بنسل يدعى ثيودوسيوس وحدث أن مرأته صوفية شاهدت بالكنيسة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس أولاد المسيحيين يقدمون الى المعمودية فانكسر قلبها ورجعت الى البيت حزينة النفس وطلبت من الله بلجاجة أن يمن عليها بنسل . وفى ليلة ذلك اليوم شاهدت رؤيا فى نومها واذا بشخصين وقفا بها وأخبراها أن طلبتها أجيبت وسترزق ولدا وأمراها أن تذهب باكرا الى البطريرك وتخبره بذلك . فلما اصبح الصباح أخبرت زوجها بالأمر وانطلقت الى البابا ثاؤنا وأعلمته بما جرى فباركها وصرفها بسلام . وما أتت السنة حتى رزقت ولدا أتت به الى البطريرك ليعمده فدعاه بطرس ولما كبر تتلمذ له وأدخله المدرسة اللاهوتية فبرع براعة غريبة جذبت اليه أنظار جميع الشعب

ولما حضرت البطريرك الوفاة جاء اليه جميع الكهنة والشعب باكين قائلين « أتتركنا يا أبانا مثل الايتام » فقال لهم « لستم أيتاما بل هذا بطرس أبوكم وهو البطريرك بعدى » وقدمه البطريرك قبل أن يتنيح ثم رقد فى الرب فى ٢ طوبه سنة ١٧ للشهداء و ٣٠٠ م

وفى أواخر حبرية هذا البابا ثار اضطهاد ديوكلتيانوس قيصر فجعلت الكنيسة القبطية السنة الاولى لملك هذا الطاغية مبدأ لتاريخ سنيها وهو المعروف بتاريخ الشهداء

القسم الثانى

منشأ الرهبنة ومؤسسوها

(١) منشأ الرهبنة (٢) بولا (٣) انطونيوس
(٤) امونيوس (٥) بفنوتيوس

(١) منشأ الرهبنة :

ان أولى الامم المسيحية التى تنشأ عندها نظام الرهبنة هى الامم المصرية وقد ظهرت الرهبنة بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها وقيل ان الرسول مرقس هو الذى علمها لمسيحيى مصر. قال أوسابيوس المؤرخ «لما كان مرقس الرسول متحليا بالطهر والعفاف و بث روح الفضيلة فى قلوب كثيرين من المصريين فاعتزلوا الخلق ولجأوا الى الكهوف والمغائر عاكفين على تسبيح الخالق والتغنى بذكره الاقدس فتحولت القفار القاحلة الى رياض يانعة تنبت النفوس وتثمر الكمال » أهـ

الا أنه التبتل والانفراد للتعبد كانا معروفين من قبل المصريين عند اليهود فقد روى فيلومن العبرى بأنه كان فى ضواحى الاسكندرية قوم من اليهود عرفوا بالمتأملين فى الالهيات تركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا وأووا رجالا ونساء الى التلال المجاورة يقيمون فيها الصلوات و يسبحون الله بالمزامير والترانيم . وقال كاسيانوس وهو كاتب كنسى « ان التقليد القديم يشهد بأن رهبان وادى النطرون متناسلون من المتأملين فى الالهيات » أهـ

وقيل أن أول دير مسيحى تأسس كان فى سنة ١٥١م حيث عزم فرونتينوس على ترك العالم زهدا فى الدنيا وملاذها فجمع اليه جماعة من الاخوة وسار بهم الى وادى النطرون فى مديرية الجيزة وهناك قضى بقية حياتهم بالنسك والتعبد فى بعض الكهوف الصخرية . الا أن الرهبنة لم تعرف جيدا فى مصر الا فى عهد القديسين بولا وأنطونيوس وكانت تسير على نظام التوحد والانفراد حيث ينفرد الراهب فى مغارة يقضى حياته فيها منعزلا عن البشر. ولكنها فى عهد أمونيوس ومكاريوس تطورت فصار الرهبان يشتركون و يتعاونون معا . ثم فى عهد باخوميوس وشنودة جتمعوا جماعات منظمة ووضعوا لانفسهم قوانين خاصة يسيرون عليها . غير أن كثيرين استمر

بعضهم يسير على نظام بولا وأنطونيوس وغيرهم على منوال آخر . وكان رهبان مصر الثلاثة أنواع النساك وهم الذين يسكنون الاديرة جماعات وفيئات . والزهاد وهم الذين يعيشون فى الخلوات والصوامع . والمتبتلون وهم الذين يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم فى المدن بدون زواج

(٢) بولا :

روى القدس انطونيوس كاتب سيرة هذا الاب قال :ـ فى سن السبعين خالجنى فكر من العجرفة والكبرياء فقلت فى نفسى أظن انه لا يوجد ورائى أحد فى البرية أقام فى الفيافى سالكا سبيل النسك والفضيلة مثلى . وفى الليلة التى كنت أتأمل فيها فى هذه الامور أوحى الى من قبل الله انه يوجد خلفى رجل أفضل منى وحضنى على أن أسعى لاراه فلما أتى الصباح أخذت جريدة النخل التى كنت أتكىء عليها وأخذت أتمشى فى البرية كما كان يهدينى عقلى لانى لم أكن أعرف الطريق . ولبثت سائرا الى الظهر وكان الحر شديدا فشرعت أحدث نفسى قائلا انى لمتكل على الله الذى لا يتخلى عنى أن يرينى عبده الذى أوحى الى عنه

ولم يتم قوله حتى رأى وحشا كان نصفه شكل انسان ونصفه الاخر شبه حصان وهو ما يسميه الشعراء بالقنطورس . فرسم القديس على جبهته علامة الصليب وقال له أين هو عبد الله فأراه الوحش المكان مشيرا بأصبعه راكضا الى الغاب فاستمر القديس فى سفره باحثا على الطريق واذا هو يتعجب من هذا الامر مر من أمامه هذا الحيوان كأنه ذاهب الى ميدان فسيح وما هذا الا الشيطان اتخذ تلك الصورة ليزعج القديس فاستغرب مشابهته الشكل الذى رآه فى الحيوان و بعد أن ابتعد قليلا رأى وحشا آخر كانسان قصير القامة له ساقان وقرنان كقرنى التيس فسأله من أنت فأجابه اننى أحد سكان البرارى الذى يعبدهم الوثنيون كأنهم آلهة وقد أرسلتنى طائفتى لاطلب منك نيابة عنهم أن تتضرع لاجلنا الى المسيح الهنا الذى عرفنا أنه أتى لأجل خلاص العالم و بعد أن تكلم الحيوان هذا الكلام جدد الشيخ انطونيوس المسير وسالت دموعه على الارض لكنه سر لمجد المسيح ولأبادة الشيطان وضرب بعكازه على الارض وقال و يل للاسكندرية و يل لمدينة الوثنيين التى اجتمع فيها جميع شياطين الخليقة (١)

وكان قد توغل فى البرية ومر عليه وقت لم ير فيه انسانا أو حيوانا فصرف يومين بليلتين فى الصلاة راجيا من الله أن لا يهمله . وفى اليوم التالى لاحظ ذئبا صاعدا الى الجبل فاقتفى أثره ولما صعد الى الجبل وقع نظره على مغارة كانت هناك وشاهد الذئب يدخل اليها ولكنه لم يميز شيئا لشدة الظلام وقد حاول الخوف أن يدخل قلبه ولكن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج فدنا من

(١) خبر هذين الوحشين وجد فى الترجمة المشهور ان البابا أثناسيوس الرسولى كتبها للقديس انطونيوس وقد اثبتناه هنا وان وجد مخالفا لعقلية العصر بين حفظا للاصل .

المغارة فلاح له فيها ضوء سراج فأسرع في سيره لفرط سروره فعثرت رجله بحجر غير أن القديس بولا حال سماعه بوقع أقدامه دحرج الحجر وأغلق باب المغارة

فارتمى القديس انطونيوس أمام باب المغارة على وجهه وتوسل الى القديس بولا ليفتح له الباب قائلا له أنا وحدى . فأجاب القديس بولا لم أتيت فقال انطونيوس انى لواثق بانك تعلم من أنا ومن أين ولماذا أتيت وبما أنك تقبل وحوش البرية فلم تكره بنى البشر ؟ لقد طلبتك ووجدتك وقرعت الباب بثقة فافتحه لى والا فسأموت هنا واذا ما رايت جثتى فادفنها وسمع القديس بولا صوت بكائه فأجابه قائلا «ما من أحد يطلب أحسانا بانتهار ولا يفترباكيا متنهدا فان كنت أتيت الى لكى تموت فلماذا تتعجب من أنى لا أقبلك . قال هذا وفتح له الباب فالتقيا وتعانقا وقبلا بعضهما بالقبلات المقدسة وسلم الواحد على الآخر باسمه كأنهما كان يعرفان بعضهما قبلا ثم شكرا الله على احسانه اليهما وجلسا للمخاطبة

فقال القديس بولا — لم احتملت كل هذا الضيق ومشقة البحث عن شيخ وهن جسمه وهزل وسترى بعد قليل انه يصير ترابا . غير أن المحبة تحتمل كل شىء فجعلتك تتعب كثيرا فى الاستقصاء عنى . فأخبرونى الآن ما حال العالم ومن يدبره وهل يوجد بعد من يسجد للاصنام و يعبدهم وهل بنو البشر مستمرون فى بناء البيوت فى المدن القديمة . ولا يزال يوجد ملوك وحكام فى العالم ؟ فأجابه القديس انطونيوس عن أجوبته ثم أخذ يسأل القديس بولا عن السبب الذى من أجله أتى الى البرية وكم عاما أتى عليه فيها وكم سنة حياته وماذا أكل وكيف عاش

فأجابه القديس بولا — انى ولدت نحو سنة ٢٢٨ م فى الصعيد الاسفل بمدينة طيبة من أبو ين مثر يين ولما صار لى من العمر ١٢ سنة مات والداى فدخلت مدارس الفلاسفة واتقنت فيها اللغة اليونانية فضلا عن اللغة المصرية وأقمت بمنزل زوج أختى (وقيل أخوه) ولم يكن مسيحيا . ولما بلغت العشرين من عمرى أثار ديسيوس قيصر اضطهاده سنة ٢٤٩ م على النصارى وامتد الى الصعيد وصدر الامر بالتفتيش على المسيحيين لتعذيبهم ان كانوا لا ينكرون مسيحهم . فهربت الى منزل كان لى بين مزارعى . ولم أمكث فى هذا المكان المنفرد قليلا حتى انذرتنى أختى بأن زوجها عازم على اخبار الحكومة بحقيقة حالى لكى يقبض على و يتمتع هو بمالى وعقارى الذى يصير اليه بعدى بحق الارث . فخطر على بالى حينئذ قول السيد المسيح «من لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لى تلميذا» (لو ١٤ : ٣٣) فوهبت أختى وزوجها كل ما أمتلك من حطام الدنيا وودعت العالم الوداع الاخير وقصدت البرية الداخلة بجبل القلزم[1] حيث وجدت مغارة[2] مغلق بابها

---

(١) هو شمالى الشرقية (الصحراء العربية) التى بين النيل والبحر الاحمر.

(٢) قيل ان مز يفى النقود فى زمان كليوباتره كانوا يختفون فى هذه المغائر.

بحجر كبير فدحرجته ودخلت اليها ورأيت بقربها نخلة تثمر وعين ماء فأقمت بها وصرت أقتات من ثمر النخلة وأستقي من عين الماء وأكتسي بخوص النخلة مجدولا

وكنت في أول سكناى في البرية أقصد أن أعود الى بلدتي بعد زوال الاضطهاد ولكني لما ذقت لذة الوحدة وعذوبة الانفراد والاختلاء مع الله أدركت ان الضرورة قد هيأت لى طريق الفضيلة فآثرت هجر العالم بتاتا وهكذا عشت حتى الآن منفردا كل الانفراد مثابرا على الصلاة والتأملات الروحية مدة ستين سنة

و بينما هما يتخاطبان التفت كلاهما فنظر غرابا على غصن شجرة وللوقت وقف بكل هدوء على الفرع وكان في منقاره رغيف من الخبز فأتى وألقاه فيما بينهما وطار وهما ينظران و يتعجبان فقال القديس بولا لضيفه مبارك الرب الذى أرسل لنا مأكلا فاعلم يأخي انطونيوس انه منذ أتيت هنا وهذا الغراب يأتيني كل يوم بنصف رغيف واليوم من أجلك أتى برغيف كامل و بعد أن شكرا الرب جلسا للاكل وتنازعا في من منهما يجب أن يكسر الخبز فاتفقا أخيرا على أن يكسراه معا فكسراه باسم الرب و بعد أن أكلاه وقفا يصليان طول ليلهما

ولما أتى الصباح قال القديس بولا لضيفه لقد عرفت من مدة طويلة انك تسكن هذه البرارى وكان الله قد وعدني بزيارتك فجئتني في الوقت المناسب اذ حان وقت راحتي وسيحل لى الامر الذى اشتهيته يعني الانتقال من هذا العالم والسكنى مع سيدى يسوع المسيح حيث قد أعد لى أكليل البر. فلهذا أرسلك لكي تدفن هذا الجسد الشقي وترد التراب الى التراب . و بينما كان القديس بولا ينطق بهذا الكلام كانت دموع القديس انطونيوس تنهمل بغزارة وأظهر أسفه متنهدا وطلب من القديس بولا ألا يفارقه أو يأخذه معه الى الوطن السعيد . فأجاب بولا الطوباوى وقال له لا يليق بك أن تطلب الخير لنفسك بل لجيرانك ولذا أرجوك يا حبيبي اذا لم يكن في الامر مشقة أن تذهب بسرعة الى ديرك وتأتيني بالرداء الذى أعطاه لك القديس اثناسيوس الرسولى البطريرك لتكفنني به وتدفني (١) ولم يكن في حاجة الى ثياب ولكنه أراد أن تفارق روحه جسده في غياب القديس انطونيوس

وكان القديس انطونيوس يسمع كلامه بتعجب زائد وأدرك أن الله كشف للانبا بولا أشياء كثيرة وشكر الرب سرا ثم خر أمامه وصلى واقترب اليه وقبل عينيه و يديه وأسرع في الخروج ليذهب الى ديره . و بعد أن سافر ووصل الى الدير التقى به اثنان من تلاميذه ظلا يبحثان عنه طويلا وقالا له أين كنت يا أبانا في هذه الايام ؟ فأجاب وقال لهما . و يل لى أنا الخاطىء فان اسم «مسيحى» الذى أدعى به هو مستعار ولست مستحقا ان ادعى راهبا لانى رأيت ايليا و يوحنا

---

(١) قال القديس انطونيوس في ترجمة الانبا بولا «ان هذا الرداء كان قد أهداه القيصر قسطنطين الكبير الى البابا اثناسيوس وهو أهداه الى» أ هـ

المعمدان فى البرية ورأيت بولا فى السماء وهو يتكلم معهما . ثم ضرب بيده على صدره وأخذ الرداء وفارق تلميذيه ولم يشأ أن يعبر لهما عن معنى كلامه بل قال لهما للكلام وقت وللصمت وقت .

ثم جد فى السير لأنه كان يشتهى أن يراه قبل انتقاله فسافر فى اليوم الاول ولكنه فى اليوم الثانى فى الساعة التاسعة أبصر جمهورا من الملائكة يصعدون الى السماء وروح القديس بولا معهم وهى تضىء كالشمس فجثا على الارض واضعا التراب على رأسه وقال بقلب آسف . يا خائف الله لماذا تركتنى هكذا بدون أن تودعنى على ما عانيته من مشقة السفر الذى كنت أسابق فيه الطيور . ثم استمر فى سيره حتى دنا من باب المغارة فوجد جسد الشيخ الميت واقفا جاثيا على ركبتيه ورأسه مستقيما و يديه مرتفعتين فظن انه حى بعد فجثا خلفه يصلى . غير أنه لما رأى الشيخ لا يتنهد كعادته فى الصلاة تفرس فيه جيدا متحقق انه توفى فوثب على جسده زارفا الدموع ومقبلا يديه ورجليه ثم لفه بالرداء وحمله على كتفيه وهو يرتل المزامير غير انه حزن عندما رأى نفسه أهمل استحضار آلة معه يحفر بها القبر وفيما هو مفكر فى أمره متحير اذا بأسدين جاءا معا راكضين فلما نظرهما ارتعد واذ رفع فكره الى الله وجدد نظره اليهما ظهرا له كحمامتين وديعتين تطيران فى الهواء فاقترب الاسدان وانطرحا بجانب جسد الاب بولا مظهر ين اكرامهما له ثم هزا ذيليهما لانطونيوس المبارك ورقدا أمامه بوداعة تامة وحكا أسنانهما ببعض وقرا بصوت عال كأنهما يظهران أسفهما . ثم حفرا فى الارض قبرا كاملا و بعد ما فرغا من العمل تقدما الى الأب انطونيوس وخفضا ذنبيهما وسجدا أمامه ولحسا يديه وقدميه كمن يطلب بركة فبارك عليهما قائلا « أيها الرب الاله الذى بدون أمره لا تسقط ورقة واحدة على الارض و بدون مشيئته لا يسقط عصفورا واحد فى الفخ باركنا جميعا » ثم أطلق الاسدين باشارة يده وصلى على جثة القديس بولا ودفنها و بعد أن أتم الدفن رجع الى ديره حاملا ثوب القديس بولا المصنوع من الخوص معتبرا أياه كنزا ثمينا . وكان يلبس هذا الثوب فى يومين من كل سنة وهما عيد الفصح وعيد العنصرة وكانت وفاة القديس بولا فى اليوم العاشر من كانون الثانى ٣٤٣م الموافق ١٢ أمشير سنة ٥٩ ش .

و يليق بنا أن نأتى فى خاتمة هذا الخبر بما قاله أحد الكتاب « انى أسأل الآن الاغنياء والذين لا يعرفون كمية ثروتهم لز يادتها والذين يسكنون المنازل الفسيحة المز ينة بالزخارف والنقوش ما الذى أعوز هذا الشيخ القديس المتعرى من كل غش فأنتم تشربون فى كؤوس من فضة وذهب وهذا بولا لا يطفى عطشه بكف يده . أنتم تلبسون البرفير هذا كان مرتديا بثوب من نخل . غير انه لا يكون الامر هكذا دائما وهذه الحال تنقلب الى حالة أخرى فها ان السموات انفتحت لبولا المسكين وأنتم ستهبطون الى جهنم مع جميع كنوزهم . وهو قبر فى لحد ليقدم للمجد وأنتم تدفنون فى قبور من الرخام والمرمر لتحترقوا الى الأبد » أهـ

(٣) انطونيوس :

كاتب سيرة هذا الاب الطوباوى كما سيأتي معنا هو القديس البابا اثناسيوس الرسولى البطرير ك العشرون الذى كان يفتخر بكونه عرف القديس انطونيوس منذ حداثته وانه استقى له الماء مرارا كثيرة قال ما خلاصته : — ولد القديس انطونيس سنة ٢٥١ م في مدينة تدعى كوما (١) من والدين مسيحيين اشتهرا بالغنى فى المال والفضيلة فربياه على مبادىء الدين والتقوى فنشأ هادئا وقورا محبا للعزلة والانفراد كثير القناعة في جميع مقتضيات المعيشة . ومع أن والديه لم ينظماه فى سلك التعليم باحدى المدارس الا أنهما هذباه بعلومهما ومعارفهما كما تدل كتابات القديس انطونيوس الباقية الى الان التى تدل على مقدرته وتشهد له بالتضلع .

ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى فقد أبو يه فالتزم أن يعتنى بتربية أخته الصغيرة و يدير حركة أملاكه الواسعة التى كان ينفق منها كثيرا لاغاثة البائسين غير أن الافكار المقدسة كانت متملكة عليه وكثيرا ما كان يعجب من شهامة الاباء الرسل الذين تركوا على شيء وتجندوا لخدمة الكلمة وكيف كان كل مؤمن بواسطتهم يبيع أملاكه و يضع ثمنها تحت اقدامهم . واتفق ذات يوم انه ذهب الى الكنيسة كعادته هو واخته وهذه الافكار تشغل خاطره واذا بفصل الانجيل يقرأ فسمع السيد المسيح يقول لاحد شبان اليهود الاغنياء «أن أردت أن تكون كاملا اذهب بع كل ما لك وأعطه للفقراء وتعال اتبعنى» (مت ١٩ : ٢١) فحالما سمع هذه العبارة حسبها صوتا الهيا يناديه من السماء فرضخ لهذه المشورة وعزم على تنفيذها

ولما عاد الى منزله شرع فى العمل بهذا الكلام فأعطى أخته نصيبها ثم توجه بها الى دور العذارى التى كانت فى عصره قد اتسع نطاقها وأوصى بها رئيستهن لكى تراعيها كأبنة لها . أما هو فأخذ يبيع كل أملاكه و يوزع منها على الفقراء حتى لم يبق لنفسه شيئا وعاش بعد ذلك من كد يديه حيث كان يصنع قففا وحصرا و يقتات بثمنها . ثم انصرف همه نحو ترو يض جسده على النمو فى الفضيلة والعيشة بالقداسة والتقوى

ولم تكن الاديرة معروفة وقتئذ بل كان الاتقياء الهائمون بحب العزلة يجتهدون بكل طاقتهم فى الانفراد عن العالم والابتعاد عن معاشرة الناس فيتخذون لانفسهم مغائر لا تبعد قليلا عن المدن والقرى وهناك ينعكفون على العبادة . فاجتمع انطونيوس ببعض هؤلاء وجعل يمر عليهم و يتعلم منهم الفضائل فكان كالنحلة التى تؤلف شهدها من متنوع الازهار فتعلم من واحد فضيلة الصبر ومن آخر التواضع ومن غيره الصمت ومن آخر الطاعة وهكذا الى أن وصل وكان يزاول العبادة نظيرهم واتخذ من بينهم شيخا معلما له . وكانت ذاكرته القوية تمكنه من حفظ فصل الانجيل من قراءته مرة

(١) كوما قيمن الأن قرب بنى سو يف ومدينه هرقلية قديماً التى كانت مشهورة بين مدن الصعيد

واحدة حتى أعجب به المتوحدون وكانوا يجلون قدره و يقفون عند قدومه ويحيون قائلين «تعال يا حبيب الله »

غير أن الشيطان لم يرق له أن يرى شابا كهذا متمسكا بعرى القداسة فجمع قواه ضده وشرع فى الهجوم عليه بواسطة الافكار الرديئة فكان مرة يدفعه ليأسف على توزيع ثروته و يقول له كان يمكنك أن تبيعها وتتصرف بها حسنا وتعيش فى رضاء الله . وأخرى يقوده الى الندم على تركه واهماله أمر أخته الوحيدة بلا عناية فى العالم وتارة يمثل له مشقات الطريق الذى كان سائرا فيه وفوق ذلك كان يملأ مخيلته من الاشباح والصور الجميلة التى تسوقه الى الفساد آملا أن يخلب قلبه و يتغلب عليه

أما القديس انطونيوس فقد تسلح تلقاء هذه الهجمات بسلاح اله الكامل فأخذ يردد فى ذهنه فردوس النعيم البهيج وعذاب جهنم المؤلم وتفانى فى قمع جسده وتذليله فكان ينقطع عن الاكل اليوم بالليل مرة وأحيانا ثلاثة أيام وكان يلبس المسح و يرقد على الارض أو على حصير . ولما عجز الشيطان عن أن يوقعه من طريق محبة العالم أتاه من طريق آخر محاولا ان يجربه بالفخر والتباهى موسوسا له انه أفضل الناس قداسة وأقدسهم سيرة ولكنه لم يكن يسمح لهذه الافكار اللذيذة أن تستمر مترددة على خاطره بل كان يطردها حالا فى بدء هجومها و بذلك كان يتخلص من التجربة قبل استيلائها عليه

وفى احد الايام بينما كان سائرا عثرت رجلاه ببعض الكنوز المصرية القديمة التى أنهال عليها التراب والرمل فظن فى مبدأ الامر انها خيالات وصور كيفها له الشيطان بمناظر الذهب والحجارة ولكنه لما تحققها أدرك أن الشيطان يريد أن يجربه لكى يسهل له السبيل للرجوع الى العالم ففر هاربا عنها وعزم ان لا يمر من تلك الجهة مرة ثانية . ثم لجأ الى احدى المقابر التى كان يعتنى القدماء بتشييدها لتصير صالحة لسكنى وهى لا تبعد عن ناحية الميمون (١) ومن هناك كان يرسل أحد أصحابه بما يصنعه من السلال ليبعها ويحضر له بثمنها ما يحتاجه من القوت الذى كان قاصرا على الخبز والملح والماء و يروى انه عاش عمره كله بدون أن يتناول لحما أو يشرب خمرا

وفى ذلك الاوان كان القديس قد بلغ من العمر ٣٥ سنة فعزم على أن يتوغل فى البرية ورغب أن يصحب معه شيخه ومرشده فلما عرض عليه الامر اعتذر لكبر سنه فتركه وتوجه الى القفر شرقى النيل وتعمق فى البرية وهو لا يدرى أين يلقى عصا ترحاله حتى عثر على قصر قديم عظيم البناية بنته أيدى ملوك مصر الفراعنة منذ زمن مديد فى أبان هجوم الاعداء على حدود مصر وجعلوه

(١) هى بلدة على ضفة النيل بمديرية بنى سويف وبها دير للقديس انطونيوس .

كنقطة من النقط العسكرية . فأصلح القديس له فيه مكانا ورتبه بقدر الامكان وكان قد استعد بمئونة تكفى لمدة سته شهور وسرجدا بهذا الانفراد و يبعده عن العالم حيث لا تحلو له تلك العيشة

وحينئذ كان خبر قداسته قد شاع فى كل مكان فصار الناس يبادرون اليه بعضهم لسماع تعاليمه و بعضهم لنوال الشفاء من أمراضهم . أما هو فلم يكن يرغب فى الخروج من قصره فاستمروا يطلبونه وهو يمتنع حتى كادوا يكسرون عليه الباب . فلشدة لجاجتهم تعود الخروج اليهم أحيانا ليصلى على المرضى و يلقى العظات على المسترشدين الذين كانوا يبغون سماع نصائحه الروحية فتتلمذ له منهم كثيرون فقبلهم وسن لهم قوانين وأقام منهم مئات حول قصره وذلك سنة ٣٠٥ م ولم يكن يظهر لهم الا فى النادر الى أن مضى نحو عشرين سنة وفى نهايتها اضطر الى الخروج والتجلى للذين أرادوا السير على منواله

وكان القديس قد بلغ من العمر الخامسة والخمسين حينما امتلأت البقاع الموجودة حوله بعدد كبير من الراغبين فى عيشة العزلة منهم الاغنياء والفقراء وما هو الا وقت قصير حتى قامت الاديرة بجوار ممفيس وارسينو و بابل وافروديت وأماكن كثيرة وامتلأت من الرهبان الذين عاشوا تحت اشراف وتدبير القديس انطونيوس الذى كان ينتقل من مكان الى مكان آخر مرشدا و واعظا ومما نصحهم به قوله :

« يجب عليكم أن تقرروا فى اذهانكم ان الواحد منكم يحتسب ذاته كل يوم انه ابتدأ جديدا حتى لا يكسل ولا يتراخى فالانسان يستطيع أن يجد نعيا فى أى مكان طالما هو متعلق بالله فى قلبه والشياطين يفزعون جدا من الصلوات والصوم والسهر والتقشفات لاسيا من احتقار العالم والفقر الاختيارى وكسر حدة الغضب لان هذه الفضائل تسحق رأس ابليس كما أن اسلحة محاربتنا لاعدائنا هى الايمان الحى والسيرة النقية . والذى تعبد لله وهجر العالم وان كان ترك كل شىء حتى مجد الملوك وكنوزهم ينبغى أن يحتسب كل ذلك كالعدم بالنسبة الى السماء . وان الذى تركه يجب عليه تركه بعد قليل لانه ليس بأحد دائم على الارض وان ترك الانسان ما لا يقدر ان يأخذه معه بعد الموت فليس أمرا كبيرا . وكما أن العبد الامين اذا أمره سيده بشىء لا يستعفى من عمله لاجل خدمته الماضية كذلك الرجل المتعبد لله لا ينظر ما قد فعله وانما يلتفت الى ما بقى مما يجب عليه لربه وانه لايجازى ولاينال الاكليل على البداية بل على النهاية الحسنة . فاكتساب الفضيلة ليس أمرا صعبا كما يتصوره الناس بل يجب ان نلقى كل اتكالنا على ربنا يسوع المسيح وان ابليس لا يستطيع أن يضرنا ما لم نسلم له أنفسنا »

ومما قاله ايضا لرهبانه « ان السلوك فى سبيل الفضيلة هو أفضل من فعل المعجزات وان الانسان يقدر ان ينتصر بسهولة على الشيطان اذا اخلص العبادة لله من كل قلبه بسرور باطنى روحى مستحضرا الله فى ذهنه كل حين لان هذا النور يمزق ذلك الظلام و يزيل تجارب العدو

سريعا . ومما يفيدنا فى ذلك النظر الى سيرة القديسين واقتفاء آثارهم فأن فيها تحريضا على الاقتداء بهم » أهـ

ولبث القديس انطونيوس عائشا بين رهبانه كملاك أرضى يحبب اليهم الفضيلة بسيرته والقداسة بقدوته حتى سنة ٣١١ م ففيها طرق سمعه خبر ثورة الاضطهاد الذى اضرمه مكسيميان قيصر فاسرع بنفر من رهبانه الى الثغر الاسكندرى وطفق يزور السجون و يعظ الحبساء فيها و يشوق اليهم سفك الدم من أجل فاديهم القدوس وكان يشترك معهم فى الترتيل والصلاة و بذلك يحول سجنهم المظلم الى مكان شهى ويختم خدمته بينهم بتوضيح زوال هذا العالم و بطلان جميع أمجاده . وكان يقصد المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ويخفف بكلامه الروحى أتعابهم .وبجرأة تامة كان يتوجه الى المحاكم ويحضر جلساتها و يأخذ فى المحاماة عن المسيحيين جهارا و يفند دعاوى أعدائهم . ولما كانت الغاية من الاضطهاد حينئذ ليس هلاك المسيحيين بل حملهم على نكران مخلصهم فكان يطلب الانفراد بالمتهمين و يثبت لهم ايمانهم و يصف لهم السعادة الابدية المعدة لجميع الصابرين على الضيقات

ولما علم الحاكم المضطهد حينئذ ان الرهبان لهم يد طولى فى تشجيع المسيحيين على قبول الموت المريع أمر بمنعهم من المثول بالمحاكم . أما القديس انطونيوس فعزم على متابعة خطتة ولو أدت به الى الاستشهاد فلبس ثوبا أبيض واعتلى رابية كان الحاكم مزمعا أن يمر بها . وجعل يطلب من الرب بحرارة أن يؤهله لنيل اكليل الشهادة . غير ان الحاكم حالما وقع نظره عليه اعجب بشهامته ونظر اليه نظره احترام . ومن ذلك الحين هدأت الاضطهادات فعاد القديس الى ديره واستأنف عبادته بجد ونشاط كأنه لم يتعبد فيما مضى

وكان يحب الاختلاء لكى يتأمل فى بهاء وعظمة الحضرة الالهية واعتاد أن يصرف الليل كله فى الصلاة راكعا غير متحرك . فعند ابتداء صلاته كانت الشمس تغرب من ورائه ولما كانت تشرق صباحا أمامه كان يشكو منها قائلا « أيتها الشمس لماذا تعدمينى بنورك أشعة النور الالهى » و بالنسبة لكثرة تقشفاته صار جسده نحيفا كأنه غير مركب من لحم وعظام ومع ذلك كان أنيسا حليما وديعا وكان كلامه ووجهه يبديان الهشاشة والبشاشة ولم تتغير حاله هذه بتغيير الامور الزمنية

ولبثت الجموع تتوافد عليه من كل حدب وصوب و بالنظر لكثرتهم زرع من أجلهم حشائش و بقولا فلما نمت دخل بستانه وحوش الغاب فأتلفته وذات يوم امسك واحدا منها وقال له « لماذا تضربى أنا الذى لم أضرك بشىء اخرج من ههنا ولا تعد » قيل فلم تعد الوحوش الى مزرعته ثانية . وفى ذات يوم اظهر له الله ما سيصيب مسيحى الاسكندرية من شرور الاريوسيين فجثا القديس والصق وجهه فى الارض وطلب من سيدنا يسوع المسيح بعبرات هامية أن يبادر الى تخليص المؤمنين من هذا الشقاء فعزاه الله بأن أراه كيف تنتصر الكنيسة عليهم

وما مر وقت طو يل حتى اشتد اضطهاد الار يوسيين على الارثوذكسيين فأرسل اليه البابا اثناسيوس الرسولي يطلب منه أن ياتي و يناصب معه الار يوسيين . وحدث قبل هذا الوقت أن قسطنطين الملك وأولاده حرروا لهذا القديس خطابا وطلبوا اليه بخضوع أن يتنازل للرد على رسائلهم فتعجب الرهبان من تواضع الملك وأظهروا استغرابهم الزائد فجمعهم القديس وقال لهم « لا تتعجبوا لان ملوك الارض كتبوا الينا ولا يجب على المسيحى أن يستعظم هذا الامر و يندهش منه أما الامر العجيب والمذهل للعقول فهو ان الله كتب شر يعته من أجل البشر وأرسلها على أيدى أصفيائهم وفى آخر الايام خاطبنا فى ابنه الوحيد الذى يسمو بما لا يقاس كل كل الملوك والسلاطين » أهـ ولما رأى الرهبان عدم اهتمامه بالرد على رسالة الملك أقنعوه بضرورة الرد لا لانه ملك بل لانه مسيحى قصد الاستفادة فلا ينبغى أن تمنع عنه . فحرر له من ثم الرد هكذا بعد الديباجة « انى أسر معكم من انكم تعبدون يسوع المسيح وأحرضكم على التفكر فى خلاصكم وعلى احتقار الاشياء الارضية بدون أن تغفلوا لحظة عن الدينونة الاخيرة وأن تتأملوا بأن يسوع المسيح هو الملك الحقيقى والابدى الوحيد وان تتخذوا الفطنة دستورا لاعمالكم فى ادارة شئون المملكة وتسيروا فى الرعية بالحلم والعدالة وتساعدوا الفقراء كمساعدتكم لأخوتكم » أهـ . فلما قرأ الملك وأولاده وكبار دولته هذه الرسالة اثرت عليهم تأثيرا عظيما وأدركوا الفرق بين كتابات الارثوذكسيين وكتابات الار يوسيين المملوءة من روح الر ياء والنفاق . واحتفظ الملك برسالة القديس كأنها كنز عظيم

و بناء على طلب البابا اثناسيوس عزم القديس انطونيوس على التوجه الى الاسكندر ية ولكنه قبل أن يقوم منها بلغه أن البطر يرك قد نفى فرفع بناء على طلب وجهاء الاسكندر ية خطابا الى الملك قسطنطين يحتج فيه على مقاومته للارثوذكسيين . ولم يكتف بذلك بل لما علم أن الار يوسيين قد بلغت بهم الجسارة أن أشاعوا بأن القديس انطونيوس موافق على رأيهم رجع الى الاسكندر ية مع بعض رهبانه وخطب فى المستقيمى الرأى قائلا « ان كنت قد جئت مرة ثانية من خلوتى لاظهر بينكم فذلك لكى اؤدى شهادة جلية لحقيقة ايماننا المقدس . انهم قد تجاسروا على الطعن بألوهية مخلصنا وقالوا انه كان خليقه بسيطة كلا ان ابن الله ليس هو خليقة ولم ينشأ من العدم بل كان منذ الازل لانه كان كلمة وحكمة الاب ولهذا لا تشتركوا قط مع الار يوسيين المنافقين لانه لا يمكن أن يكون اتحاد بين النور والظلام انه لكفر أن يقال بأنه وجد وقت لم يكن فيه الكلمة لان الكلمة كان دائما مع الاب

« انكم مسيحيون لانكم فى التقوى الحقيقية وفى الايمان الحقيقى واما الار يوسيون فانهم حينما يقولون ان كلمة الاب ابن الله مخلوق فانهم لا يختلفون بشيء عن الوثنيين الذين يعبدون الخليقة عوضا عن الخالق . فصدقوا اذن أن كل الخلائق تقف ضدهم لانهم يجعلون فى عداد المخلوقات رب وسيد كل الاشياء التى هى كافة من صنع يديه فاهربوا اذن من مخالطتهم كهر بكم من الحيات والعقارب فمن لا يحب يسوع المسيح فليكن محروما . الرب سيجيء » أهـ .

وقد كتب الى رجل أريوسي كان يضطهد الارثوذكسيين بقساوة عظيمة مانصه « ان الله قد وضع في قوس عدله سهام غضبه عليك وانه سيرشقها على هامتك اذا لم تتب سريعا » أما الهرطوقي فلما قرأ الرسالة ضحك منها مستهزئا وألقاها على الارض وتفل عليها وتوطأها برجليه . قيل انه بعد ثلاثة أيام ضربه الرب فمات ولكثرة العجائب التي صنعها الله على يدي القديس بالاسكندرية وصل خبر قداسته للوثنيين فصاروا يفدون اليه و يتبركون بلمس جبته ولما ازدحموا عليه حاول تلاميذه أن يمنعوهم فانتهرهم وأمرهم أن يتركوا الحرية لكل من يأتي اليه فتمكن من تنصير عدد عظيم من الوثنيين حتى قال أحد المؤرخين « ان الذين تنصروا على يده حينئذ أكثر من الذين تنصروا في مدة سنة . »

ولما رأى الايمان قد انتعش عزم على الرجوع الى الدير فحزن الشعب على فراقه وطلبوا اليه أن يبقى معهم مدة غياب راعيهم فأجابهم « ان الشمع يذوب اذا اقترب من النار هكذا تضمحل فضيلة الناسك اذا دنا من العالم » ثم أخذ يثبتهم في الايمان و يعزيهم على فراق راعيهم الجليل وتنبأ لهم بعودته منتصرا

ورجع القديس الى ديره واهتم بارسال محررات أكثرها الى الرهبان وقال بعضهم انها عشرون رسالة وآخرون انها سبع فقط . ولم يكن القديس يعرف شيئا من اللغات ولا العلوم بل كان يعرف القراءة والكتابة بلغته المصرية وجاء عنه ان أحد الفلاسفة الحكماء سأله ذات يوم اذا كان لا يضجر اذ لا سبيل له الى السلوى التي يدركها الآخرون بالقراءة في الكتب فأجابه « ان لي في الطبيعة كتابا » وذات يوم آخر جاءه فيلسوفان ليختبرا علمه فقال لهما لماذا تتعبان نفسيكما لزيارة أحمق مثلي فأجاباه أنا جئنا اليك لاعتقادنا انك رجل حكيم . فقال لهما اذا كنت حكيما فكونا اذا مثلي لان الاقتداء بالحكماء واجب فانا مسيحي فكونا كذلك فصمتا متحيرين ثم تركاه . وقصده غير هولاء ممتحنون كثيرون من العلماء فسألهم عما اذا كان العقل أفضل أم العلم فأجابوا العقل فقال لهما اذا من كان عقله سليما لا يحتاج الى العلم . ثم ناقشهم في أي الديانات أفضل و بعد مباحثة طويلة اقترح عليهم اخراج الارواح النجسة من مجانين كانوا حاضرين وقتئذ ولما عجزوا تقدم هو ورسم عليهم علامة الصليب فخرجت منهم الشياطين

ولما أمتلأ العالم من عرف طهارته وعجائبه شعر وهو في السنة المئة والخامسة من العمر بدنو أجله فجعل يطوف على أديرة الرهبان و يزود تلاميذه بالنصائح ويحثهم على القيام بواجباتهم المقدسة المفروضة عليهم ومما قاله لهم بعد وعظ كثير « سأفارقكم يا أولادي لكني لا أنفك عن محبتكم وانما أرجو ان تدوموا بكل غيرة ممارسين اعمالكم المقدسة ولا تتراخوا أبدا اياكم ان يخمد نشاطكم في تتميم واجباتكم . اجعلوا الموت كل يوم نصب أعينكم واجتهدوا بعناء كلي في أن تحفظوا أنفسكم طاهرة وخالية من الافكار الرديئة ابذلوا الجهد في اقتفاء آثار القديسين واتبعوا

بكل شجاعة طريق الحق وحذار من أن تشتركوا مع شيع الهراطقة الذين تعرفون رداءتهم واعمالهم الذميمة واهربوا كما تهربون من الطاعون من الاريوسيين المعروف كفرهم عند كل الناس وان كان حكام الولايات يساعدونهم و يناضلون عن تعليمهم فلا تتعجبوا قط لان هذه السلطة الوهميه التى اختلسوها لابد ان تتلاشى بل فليكن ذلك محرضا لكم بزيادة على أن لا يكون لكم أقل علاقة معهم حافظوا بكل تقوى على تقليدات آبائكم واثبتوا بالاخص فى ايمان سيدنا يسوع المسيح له المجد الذى تعلمناه من الكتب المقدسة والذى فسرته لكم مرارا » أهـ

ولم ينته من هذا الكلام حتى اسرع بالذهاب الى صومعته لشعوره بمرض اصابه ودعا تلميذيه مكاريوس (أبو مقار الكبير المصرى) وأماناس وخاطبهما قائلا « انى أرى ياولدى ان الله يدعونى اليه وانى مزمع كما هو مكتوب أن أسلك طريق كل أحد . فداوما اذا على البر حسب عادتكما ولا تفقدا ثمرة أعمالكما المقدسة التى مارستماها منذ سنوات عديدة ولكن اجتهدا كأنكما بادئان فى ان تحفظا وتزيدا فى ارتقاء حرارتكما . وأنتما تعلمان مكائد الشيطان وقساوته ولا تجهلان ضعفه فلا تخافاه قط بل آمنا بيسوع المسيح ولا تكن لكما رغبة الا فى خدمته

عيشا كأنكما مزمعان أن تموتا كل يوم واسهرا دون انقطاع على نفسيكما وتذكرا التعاليم التى ارشدتكما اليها غالبا ولا تشتركا قط مع المنشقين ولا مع الهراطقة الاريوسيين لانكما تعلمان جيدا كيف كنت دائما محتقرا لهم بسبب هرطقتهم المرذولة لانهم يجسرون على محاربة يسوع المسيح وتعاليمه . ابذلا الجد والجهد لتتحدا أولا معه ثم مع القديسين لكى يقبلوكما كأصدقاء وأصفياء فى الملكوت السماوى . اطبعا هذه الاشياء على صفحات قلبيكما . وان شئتما أن تبرهنا على محبتكما لى وانكما تتذكرانى كأبيكما فلا تسمحا أن ينقل جسدى الى مصر خوفا من أن يحفظه أهلها فى بيوتهم وهذا هو السبب الذى حملنى على الفرار لأموت فوق هذا الجبل . فادفنانى اذا تحت الارض ولا تقرا لاحد عن موضع لحدى اذا جاء يوم القيامة اقتبل هذا الجسد من يد يسوع المسيح بكر القيامة خاليا من الفساد

أما ثيابى فوزعاها هكذا : اعطيا للاسقف اثناسيوس أحد جلود الغنم والرداء الذى استلمته منه جديدا رداه له باليا . اعطيا للاسقف سيرابيوس جلد الغنم الآخر واحفظنا لكما مسحى . استودعكما الله يا ولدى العزيزين . ان انطونيوس يغادركما و يتخلف عنكما » أهـ

و بعد أن لفظ هذه الكلمات اقترب تلميذاه وعانقاه وهما يبكيان وللحال أمتد على سريره منتظرا الموت بسرور ولم يكن نظره قد كل بعد ولا سقط سن من أسنانه و بدا وجهه للناظرين كأنه يسطع نورا وبهاء . ثم اسلم الروح بيد مخلصه فى اليوم الثانى والعشرين من شهر طوبه سنة ٣٦٥ م فقام تلميذاه بتكفينه وأخفيا قبره حسب اشارته ووزعا متروكاته كما أوصى فكان من ناله شىء منها يعتبره اثمن من اللآلىء

وقد دفن جسد القديس الطاهر أمام باب الهيكل القبلى بالكنيسة التى بناها فى حياته باسم السيدة العذراء وسميت بعد ذلك باسمه ولم تزل حتى اليوم تضم ذلك الجسد الكريم داخل دير عظيم شيد فى ايام الانبا انطونيوس بجوار مغارته بجبل العربة

(٤) امونيوس :

ولد سنة ٢٩٤ م بجوار مريوط وهو كزميله انطونيوس كان من أسرة مسيحية تقية موسرة وفقد ابويه وهو فى سن الحداثة فبات تحت وصاية عمه وكانت كل آماله متوجهة الى عيشة التبتل والقداسة . غير ان عمه خطب له فتاة غنية رغما عنه وعلى غير ارادته . ولما لم يكن فى قدرته مخالفة امر عمه أخذ فى مخاطبة الفتاة التى خطبت له بالاقوال الروحية وقد استطاع بسيرته المقدسة أن يؤثر عليها تأثيرا حسنا فحبب اليها عيشة الطهارة وغرس بفؤادها الميل الى تكريس النفس لتكون عروسا محفوظا للعريس الحقيقى يسوع المسيح . ومن ثم اتفق الاثنان على أن يقبلا عقد الزواج وهما مصممان على ان يعيشا معا كأخ وأخت لا كزوج وزوجة

ولبثا على هذا الحال مدة طويلة وهما يحافظان كل المحافظة على شروط العفة والامانة حتى مرت سبع عشرة سنة على زواجهما و بعدها ماتت الزوجة فرأى أمونيوس أن المجال قد اتسع امامه ليقضى مآربه الروحية فهجر مسقط راسه ومضى الى القديس انطونيوس وتتلمذ له ودرس عليه قوانين الرهبنة المقدسة . و بعد ذلك أوفده القديس انطونيوس الى وادى النطرون ليؤسس أديرة هناك فتبعه جمهور عظيم من ناذرى العفة فنظم لهم الاحوال ورتب لهم معيشتهم واستمر مدة يسوسهم بالفضيلة والتقوى

ولم تمض على هذا الحال ثمانون سنة حتى أصبح وادى النطرون يحتوى على خمسين ديرا . ومن مبادىء هذا الأب « انه من العيب ان يتفرس الرجل التقى فى جسمه وهو عار من الملابس » وكانت وفاته فى ٢ بشنس سنة ٧٣ ش

(٥) بفنوتيوس :

ولد بمدينة مصر بعد نصف الجيل الثالث ونما مفعما بالبركات السماوية والنعم الالهية الغير الاعتيادية . واذ تأمل جيدا فى حسن ذلك السبيل الذى سلكه المتوحدون فى برارى مصر وطيبة الذين زهدوا الدنيا واعتزلوا فى القفر شغف به وتاق الى اقتفاء أثرهم و بعد قليل ترك العالم بعد أن عاف كل أمجاده وطلب سعادة السماء واتجه نحو تلك الاماكن قائلا فى نفسه « انه اذا كانت السماء تستحق أن تفضل على الارض وان الفردوس العلوى هو وطنى الحقيقى بينما الارض تحسب كمنفى لى فلماذا اذا لا أوجه كل رغائبى نحو السماء وأهرب بكل جهدى من الارض وأنفر منها »

واذ ادرك ان سكناه مع النساك القريبين من وطنه بمصر يجعل اقرباءه يحولون دون قصده و يعوقونه عن متابعة سيره ابتعد ومضى الى الدير المدعو بيسار فى آخر حدود الاقليم المصرى الاعلى فى طيبة الخارجية حيث كان القديس انطونيوس يدبر أحوال الرهبان و يقبل اليه كل يوم عددا عظيما من الذين أخذوا بحسن صيته وأرادوا السير على خطته . فعرض بفنوتيوس نفسه على القديس وأخبره بميله الى المعيشة النسكية فثبته القديس ووضعه بين تلاميذه

فبدأ القديس بفنوتيوس يمارس الفرائض النسكية التى يرشده اليها معلمه بنشاط كلى وأخذ يميت حواسه بالتقشفات الصارمة حتى انه أخضع جسده لروحه اخضاعا تاما . فكان يقضى أوقاته فى التأملات الروحية و يتلقى من الارشاد الالهى الاوامر المقدسة حتى أصبحت نفسه مستودع الحكمة الالهية وظهرت ثمار فضائله فى مدة سنين قليلة وصار معتبرا فى نظر الجميع ليس فى مصاف المبتدئين بل كأحد الآباء معلمى السيرة الروحية . وقد شهد القديس انطونيوس مرات كثيرة لعظم فضائله ومزيد فطنته وجزيل محبته فوافاه كثيرون طالبين منه أن يرشدهم الى كيفية السير فى طريق الكمال

وحدث يوما ان بعض النساك اشتكوا أحدهم بذنب كان هو ينكره بتاتا وهم يكررون عليه شكايتهم فقال لهم القديس بفنوتيوس « اننى قد رأيت على شاطىء النهر رجلا مغروسا فى الوحل ثم نظرت واذا ببعض الرجال قد أتوا لانقاذه ولكنهم عوضا عن أن ينتشلوه الى الخارج اسقطوه فيه الى عنقه » واراد القديس بهذا القول أن يفهمهم انه يمكن معالجة المذنب بالكلمات اللينة لا بالقساوة التى تجدد فيه زلات جديدة كالنكران والكذب والاصرار على الاثم ولما سمع القديس انطونيوس ما خاطب به البار بفنوتيوس المشتكين قال لهم « هذا هو الرجل الذى يعرف ان يحكم بموجب الحق على الاشياء و يستطيع ان يفهم الافكار العميقة »

وشاء الرب بعد ذلك ان يجعل القديس بفنوتيوس بركة لاهل مدينة من مدن اقليم طيبة فاختير اسقفا لها ولكنه تألم من هذا الاختيار كثيرا وحاول التخلص منه غير انه تحقق بعد الصلوات العديدة ان الله هو الذى اصطفاه لهذا المركز فقبل السيامة وترك البرية وأقام فى ابروشيته

ولم يلبث فى دار اسقفيته طويلا حتى انتشر خبر سيرته الطاهرة فى كل مكان فصارت له فى عيون الناس منزلة سامية أما هو فشرع يدبر رعيته بالحكمة التى اكتسبها من القديس انطونيوس فطفق يعظهم و يرشدهم الى الحق ساهرا على تصرفاتهم جميعا . ثم اعتنى بوضع قوانين كنسية وتعاليم انجيليه فنمت ابروشيته وتقدم أهلها فى كل الصفات الحسنة

ولما ثار اضطهاد ديوكلتيانوس ومكسيميانوس القيصرين على مسيحى مصر وقعت على هذا القديس وعلى رعيته مصائب جسيمة وأخيرا قبض عليه سنة ٣٠٨ م وعذب اعذبة شديدة

وقاسية من أجل اعترافه بالمسيح . ومنها انه حكم عليه بقلع عينه اليمنى و بقطع مفاصل ركبته اليسرى و بربطه بالسلاسل و بأخذه الى امكنه حفر المعادن ومقالع الرخام . وقد ابوا ان يميتوه ليطيلوا زمن عذابه وليذيقوه الموت فى كل لحظة واضحت حياته على هذه الصورة بسلسلة استشهادات ولو لم يستشهد . ومع انه كان يشتكى قبلا من تركه للبرية واقامته بالعالم الا انه عندما وقع تحت طائلة العذاب اظهر سروره لانه لولا وجوده بالعالم لما استحق أن يتألم من أجل مخلصه الامر الذى يعتبره شرفا عظيما

وكان وقتئذ كثيرون من المعترفين باسم المسيح فى برارى مصر فى المكان المسمى برفيريتوس لوجود الرخام فيه فكانوا يلزمونهم باستخراجه وأخذوا سبعة عشر شخصا ما عدا النساء والصبيان وأتوا بهم الى بلاد فلسطين حيث اعترفوا جهرا بالايمان المقدس قدام فرميليانوس الوالى فأمر هذا بأن تحرق أعصاب الرجل اليسرى لكل منهم وتقلع العين اليمنى كذلك . ثم ارسلهم الى معادن تلك البلاد (١) ليفنيهم هناك بالتعب الشديد فكان القديس بفنوتيوس من أولئك المعترفين الذين ارسلوا من مصر الى فلسطين كما روى اوسابيوس وكان عددهم مائة وثلاثين شخصا فبقى القديس فى تلك المعادن مع سائر المعترفين الى نحو سنة ٣١١ م التى التزم فيها الملك غاليريوس المغتصب ان يأمر بازالة الاضطهاد عن المسيحيين لاجل مرض اعتراه فرجع أكثر المعترفين الى وطنهم ورجع القديس بفنوتيوس الى مصر واقام فى ابروشيته وأخذ يجاهد فى سبيل انهاضها بما بقى له من القوة التى كادت تنسحق تحت شديد العذاب

وعند ظهور الشيعة الاريوسية اشتدت غيرة هذا القديس فى المحاماة عن الايمان المستقيم . وحينما اجتمع مجمع نيقية المسكونى الاول سنة ٣٢٥ م ذهب اليه هذا الآب وكان من اعضائة المحترمين الذين تجلت غيرتهم وظهرت فضائلهم حتى اكتسب مقاما ساميا لدى الملك قسطنطين فكان يدعوه مرارا كثيرة و يتفاوض معه على وضع التدابير اللازمة لراحة الكنيسة وتأييد الايمان وقطع دابر هرطقة اريوس . ولم يكن قسطنطين يسمح له بالخروج من ديوانه قبل أن يقبل عينه اليمنى المقلوعة من اجل اعترافة بالمسيح

وكان هذا القديس أحد الآباء الذين وضعوا قانون الايمان الارثوذكسى فى المجمع المذكور . و بعد انحلال المجمع رجع الاساقفة الى ابروشياتهم وعاد القديس الى كرسيه و بعد ذلك كان متحدا بالالفة والوداد مع البابا اثناسيوس الرسولى ورافقه مع القديس بوتامون الذى من هراكليا وسبعة واربعين أسقفا الى المجمع الذى التأم بصور سنة ٣٥٣ م وكان أكثر اعضاء هذا المجمع يعتقدون

---

(١) كانت المعادن المذكورة فى نصف المسافة بين بحيرة لوط الى بحر اباكا وقد وجد حديثا آثار معبد قديم كان أولئك المعترفون قد بنوه زمان اقامتهم هناك و بعد الاضطهاد أصبح هذا المعبد كنيسة اسقفية فى أيام الملوك المسيحيين

اعتقاد اريوس . أما القديس فلما تحقق ذلك ورأى بينهم مكسيموس اسقف اورشليم اخذ بيده وقال له لا يليق أن يكون في مجمع الاشرار أسقف ارثوذكسي اعترف بالمسيح في الاضطهاد الاخير وكيف يحتمل أن رجلا نظيرك مشهورا بالغيرة في المناضلة عن الايمان يعرض نفسه لان يضله و يغره الهراطقة الذين قصدوا ان يهلكوا القديس اثناسيوس الذي هو اشجع محام عن هذه القضية الاساسية من قانون الايمان . ثم اعلمه بتعصب الاريوسيين الذي كان يجهله مكسيموس لهذا الوقت . وتمكن من ان يفصله من حزبهم و يثبته في شركة الكنيسة الاسكندرية

ولما رجع هذا القديس الى كرسيه ثالثا قضى بقية حياته مجتهدا في المحافظة على الايمان ومقاوما بكل قوته بدعة اريوس و بعد ان خدم مخلصه مدة سنين طويلة انتقل الى فردوس النعيم بشيخوخة صالحة في سنة لا نعلمها ولكنا نعلم انه جاهد الجهاد الحسن ونال الاكليل المجيد

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(١) اضطهاد كاركلا　　(٢) اضطهاد مكسيمينوس التراكي
(٣) اضطهاد ديسيوس　　(٤) اضطهاد فاليريان
(٥) ضيق بسبب الحرب ومآثر المسيحيين في تخفيفه

(١) اضطهاد كاركلا :

وتوالى بعد ساويرس سبتميوس جملة قياصرة لم يكن لهم شأن يذكر مع مسيحيي مصر حتى ملك كاركلا سنة ٢١١ م فخطر له ان يزيد دخله فضاعف الجزية التي كان يدفعها له مسيحيو مصر وسن قانونا يقضي على المسيحي الذي يعرف عنه انه قاوم الحكومة في امر ما بالصلب أو بطرحه للوحوش الضارية فتمزقه اربا هذا وان كان عبدا ذليلا فيكتفي بعبوديته وذله

ولما تناول ظلم هذا القيصر جميع طبقات المصريين ضج الكل منه ونقموا عليه ورموه بقوارص الكلام واطلقوا عليه القاب السخرية فأراد أن ينتقم منهم وعول على تدبير مكيدة لهم فأعلن عزمه على اختيار كتيبة من المصريين ليكونوا جنودا ضمن حرسه الخصوصي . فسر شبان الاسكندرية بهذا العطف . وفي اليوم المعين للانتخاب خرج جميع أهالي الاسكندرية لمشاهدة الاختيار في مكان عينه القيصر خارج المدينة فلم يكادوا يجتمعون حتى اشار الى عساكره فجردوا اسلحتهم وقضوا على جميع المشاهدين بأساليب وحشية ولم ينج منهم الا القليل

وقد انتقم الله من كاركلا جزاء فظائعة فاغتاله مكر ينوس وحصلت منازعة على من يخلفه فانتهز وثنيو الاسكندر ية تلك الفرصة للاعتداء على المسيحيين فكنت تراهم يوقعون بهم فى الطرقات والشوارع

(٢)اضطهاد مكسيمينوس التراكى :

نالت الكنيسة راحة فى عهد الملك اسكندرساو يرس الذى ملك سنة ٢٢٢م ولكن خليفته مكسيمينوس حال تملكه سنة ٢٣٥ م اشتد عليهم شدة عظيمة ووجه نظره الى مسيحيى مصر فضايقهم حتى اضطر البطر يرك ياروكلاس ان يترك الاسكندر ية فرارا من وجهه . غير ان كثير ين من المؤمنين تجرعوا الموت بعد أن ذاقوا انواع آلام شديدة . وقد قصف الله عمر مكسيمينوس بعد ثلاث سنوات لملكه وخلفه غورديان فانتشر السلام فى مصر مدة ملكه ونمت المسيحية نموا يذكر . وعقب غورديان فيليب العر بى سنة ٢٤٤ م الذى كدر صفو سلام مسيحيى مصر فاوقع بهم بلايا واصابتهم منه اضطهادات

(٣) اضطهاد ديسيوس :

ان اشد الاضطهادات التى وقعت على المسيحيين المصر يين تلك التى اصابتهم من ديسيوس قيصر الذى جلس على كرسى السلطنة الرومانية سنة ٢٤٩ م فكان اضطهاده بالغا منتهى القسوة والشدة حتى زل كثيرون من المسيحيين اثناء الاضطهاد وذبحوا للاوثان اجابة لطلب معذبيهم . و يكفينا فى وصف تلك الفظائع ما سطره يراع البابا ديونيسيوس الاول البطر يرك الاسكندرى و بعث به الى فابيان اسقف انطاكية وفيه وصف الاضطهاد المذكورة وهو :

« ان الاضطهاد الذى اصابنا لم يحدث بناء على أمر من الحكومة بل ان ناره كانت مخبوءة تحت رماده مدة سنة كاملة فالتظت عندما اثارتها يد التعصب . وتفصيل ذلك ان شاعرا يدعى النبوة وفد على الاسكندر ية وكان مجيئه شؤما عليها اذ جال فيها يهيج سخط الوثنيين ضدنا ويحرضهم على الدفاع عن خرافاتهم وأباطيلهم التافهة فتم لهم ذلك وأثار ثائرة الوثنيين نحونا وساعدهم على عملهم ما أباحته لهم الحكومة من اجراء أى شر وضرر يرغبونها لنا كما انهم ظنوا ان منتهى التقوى والقداسة تنحصر فى عبادة أوثانهم وشياطينهم وهذه العبادة تتم بذبحنا وتقديم اجسادنا قر بانا لاصنامهم

« وكان اول شر ارتكبوه أن أمسكوا رجلا هرما يدعى « مترا » وطلبوا منه أن يجدف ويهزى بكلام بذىء . فرفض الرجل طلبهم بتاتا وحينئذ انقضوا عليه كالوحوش وأخذوا يضر بونه بالعصى و ينخزون وجهه وعينيه بمناخس وهوثابت القلب ساكن الجأش . فلما يئسوا منه أخرجوه خارج المدينة ورجموه بالحجارة حتى مات . ثم اتفقوا جميعهم وساروا مندفعين الى منازل المسيحيين فكانوا يدخلونها بقسوة غير مراعين حرمة الجيرة ولا شروط المروءة ويخرجون السكان منها ثم يتلفون كل ما وصلت اليهم أيديهم الا ثيمة فيأخذون الاشياء الثمينة القيمة أما الا ثاث والامتعة البيتية فيجعلونها

طعاما للنار اذ يحرقونها على قارعة الطريق حتى اذا رآهم أحد وهم يركضون و يسلبون ويحرقون ظنهم جيشا ظفر بمدينة ففعل بها فعل الغالب المنتصر

« أما المسيحيون فلم يبدوا أدنى مقاومة بل وقفوا يراقبون خراب بيوتهم وهم سكوت صامتون . فكانوا مثل اخوتهم الذين اشار اليهم بولس الرسول فى انهم كانوا ينظرون سلب أموالهم بفرح . ولست اعرف سوى رجل واحد فقط من الذين وقعوا فى أيديهم أنكر ايمانه ولكن بعد عناء شديد وعذاب قاس . واعرف أيضا انهم القوا القبض على عذراء عفيفة فاضلة اسمها « ابولونيا » وكانت قد هرمت وشابت ناصيتها وأخذوا يضربونها على فكيها حتى حطموا أسنانها تحطيما . ثم أشعلوا نارا خارج المدينة وهددوها بالحرق حية ان لم تنطق بكلمات التجديف والسخر التى كانوا يلقنونها اياها . فأصابتها فى أول الامر قشعريرة شديدة من شدة الآلام ولكنها عادت فتجلدت وثبتت فلما رأى معذبوها عدم فائدة هذا العذاب طرحوها فى النار حتى صارت رمادا

« وقد امسكوا أيضا رجلا آخر اسمه « سرابيون » بينما كان فى بيته وأذاقوه اعذبه يقصر القلم عن وصفها و يرق الحجر الصلد من تأثيرها حتى كسروا جميع اضلاعه وسحقوها سحقا وأخيرا طرحوه على أم راسه من فوق علو شاهق

« وكان اذا سار الانسان ليلا أو نهارا فى الشوارع والازقة لا يسمع سوى صراخ وضجيج قوم يهددون و يعذبون كل من رفض أن يجحد ايمانه و ينكر مسيحه ولا يشاهد المرء غير أناس أتقياء يجرهم الاشرار على وجوههم ثم يطرحونهم فى النار المتقدة فيحرقونهم كالهشيم . وقد بقيت هذه الخطوب متفاقمة مدة من الزمن الى أن ظهر هياج سياسى أعقبه حرب أهلية جرفت فى سبيلها كل شرير أثيم ولذلك استرحنا قليلا اذ انصرف شرهم عنا الى بعضهم البعض ولم نكد نتنفس الصعداء حتى حاق بنا الخوف وحفنا الخطر عندما ابدل ذلك الملك الذى كان أرق جانبا وأقل شرا من غيره بملك آخر قد لا يجلس على كرسى المملكة الا و يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد بدأ حدسنا يصدق وظننا يتحقق حالما صدر أمر شديد الوطأة مثلما أنبأ بذلك مخلصنا له المجد متضمنا عبارات تصطك منها الركب حتى أوشك المختارون على السقوط والعثار وعم الخوف الجميع وأركن كثيرون من المشاهير الى الفرار ورفت كل مسيحى فى خدمة الحكومة كيفما كان ذكاؤه ونباهته وكان كل وثنى يعرف أحد المسيحيين و يرشد عنه كان يؤتى به على عجل و يدعون الواحد باسمه حتى يتقدم الى هيكل الاوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحه للصنم بعد أن يجتهدوا فى اقناعه بذلك بكل وسائط التخويف والارهاب بينما كان يوجد جمهور من الوثنيين التأم هنالك وهو يهزأ و يسخر بكل مسيحى يكون حظه أما نكران الايمان وتقديم الذبائح للاوثان وأما الموت الذى هو نهاية كل انسان ولكن بعض ضعيفى الايمان انكر ايمانه وهو واقف أمام المذبح الوثنى وأثبت انه لم يكن مسيحيا قط فثل

هذا يصدق عليهم قول المخلص المجيد انهم بالجهد يخلصون وكان البعض يقتدون بهذا الجاحد والبعض يتمسكون باذيال الفرار وغيرهم قبض عليهم وطرحوا فى السجون مكبلين بالقيود والاغلال ومنهم من انكر الديانة المسيحية بعد ان سجن قليلا ولم يحاكم وكثيرون بقوا متمسكين بالدين المسيحى معترفين به مع صعوبة الاعذبة التى ذاقوها مدة طويلة وكثيرون قواهم الله وأرسل لهم معونة ومن لدنه فبقوا مرتبطين بوحدانية الايمان الصحيح ولم يميلوا عنه يمنة أو يسرة وكان من أمرهم ان صاروا اركانا متينة فى بيت الرب وعليهم بنيت الكنيسة المصرية كما انهم دعوا شهودا امناء على مجد ملكوت ابن الله وكان فى مقدمة هؤلاء الاتقياء رجل اسمه يوليانوس اصيب بالنقرس (داء المفاصل) فلم تكن له مقدرة على السير أو القيام من مكانه فساقوه الى المحاكمة يحمله رجلان على كتفيهما ولما تقدم هذان الرجلان أمام المحكمة أنكر أحدهما ايمانه بلا اهمال واما الثانى واسمه كرونيون ولقبه اينوس فاعترف بايمانه اعترافا صريحا كما اعترف يوليانوس أيضا ولذلك حملوهما على جملين وطافوا بهما فى جميع أنحاء الاسكندرية — وهى كما تعلم واسعة الأطراف — وكانوا يجلدونهما بالسياط جلدا عنيفا وأخيرا طرحوهما فى لهيب يتقد بالنيران فصارا رمادا بينما كان مضطهدوهما وقوفا يتفرجون عليهما كأنه من المناظر التى تسر لها النفوس » أهـ (١)

وقد حرر البابا ديونيسيوس رسالة اخرى اشار فيها الى كيفية استشهاد بعض المؤمنين وهاك مضمونها :

« وحدث ان ستة رجال وأربع نساء فيهم شاب فى ريعان عمره اسمه ديوسقوروس قبض عليهم وبعد ان جلد أولئك الاتقياء بالسياط طرحوا فى أتون النار المتقد . أما ديوسقوروس فاعطاه القاضى مهلة يتدبر فيها نتيجة اصراره على التمسك بايمانه عساه يعود فيجحد اشفاقا على نضارة شبابه وخصوصا لما آنسه فيه من العقل والرصانة عندما كان يجيب على الاسئلة التى سالوه اياها . وها انا أخط هذه السطور وديسقوروس قائم بجانبى يطفر من الفرح الروحى منتظرا عذابا مريعا وألما موجعا قد يصيبه الآن » أهـ

فيتضح من خطاب البابا ديونيسيوس هذا ان سبب الاضطهاد هو غيرة الوثنيين من نمو الديانة المسيحية . فقام المقدمون منهم ودعوا الى احياء الدين القديم واجهدوا النفس وبالغوا فى الدأب واستمالوا الكثيرين من اهالى البلاد الى ترك الديانة المسيحية والرجوع للوثنية فاستفحل الامر واستحكم الخلاف بين النصارى والوثنيين وقامت قائمة الفتنة فخرج الوثنيون على المسيحيين ونهبوا بيوتهم وكثر السلب بمدينة الاسكندرية وكان نظامها قد اختل قبل عهد ديسيوس قيصر . وظلت الفتنة تتعاظم الى أن صار اراقة دماء المسيحيين من الواجبات الدينية وتتبعوا أثرهم وكثر الفحص عنهم فخرجوا على وجوههم فى صحارى الصعيد الاعلى وانزووا فى أقطارها وانكمشوا أياما

(١) من رسائل البابا ديونيسيوس التى نقلها أوسابيوس المؤرخ ونقلناه عن « تاريخ الامة القبطية » وكنيستها لمدام بوتشر

وكان لليهود يد في اثارة هذه الفتنة على المسيحيين وايقاد نار التعصب ضدهم وكانت الحكومة الرومانية تسر جدا باستمرار الشقاق بين صنوف الاهالى بمصر وتأكيد العداوة بين أهل الاديان لتدوم شوكتها وتتأيد دولتها فعملت على النكاية بالمسيحيين وهم القسم الاضعف لتوغ صدور الوثنيين عليهم من جهة ولتكسب رضاهم من جهة اخرى

وقد كانت عبادة الشمس والقمر الى ذلك الحين شديدة الانتشار ولم يعترها ضعف ولا وهن ولا سيا في عهد غورديان وفيليب ومن بعدهما . وكان التمسك بها لم يذهب من هياكل مصر والنوبة وذلك من أكبر الاسباب التى دعت الى هياج الوثنيين على كل من خالف دينهم و بالاخص على المسيحيين

(٤) اضطهاد فالير يان :

وجاء بعد ديسيوس قياصرة لا يهمنا ذكرهم حتى ملك فالير يان سنة ٢٥٤ م فأظهر للمسيحيين مز يد الايناسة وكان يستدعيهم الى قصره ويجالسهم وساءه أذيتهم ولكن بعد قليل انقلبت محبة فالير يان الى البغضة وصار من الد الاعداء لهم . وكان السبب في ذلك ان فالير يان كان مغرما بحكمة المصر يين القدماء وأتخذ له مشيرا واحدا من كهنة المصر يين بمصر يدعى مكر يانوس كان يدعى السحر ومعرفة الامور المستقبلة . فهذا لما راى ميل الامبراطور للمسيحيين خاف ان ذلك التودد يكسبهم نفوذا عليه فتنخفض قيمته ولا يعود يقدر أن يبلغ من القيصر مأر با ولا أن يستجلبه لعبادة الاوثان فأخذ يوشي على المسيحيين وأظهر له ان الذبائح التى كان يقدمها للآلهة لاجل حفظ الملك وسلامته لم تعد مقبولة لسبب تقر به منهم وانه من اللازم مقاصتهم . فصدق فالير يان كذب مكر يانوس وأمر بتصاصهم فكان اضطهاد شديد عليهم يضاهى الاضطهاد الذى حصل فى أيام ديسيوس قتل فيه كثيرون من الشيوخ والاساقفة وغيرهم وكان المضطهدون يهجمون على الآمنين فى بيوتهم ويجرونهم الى مناقع العذاب حتى اضطر كثيرون من المسيحيين الى هجر دورهم وأتخذوا الجبال والمغائر مخابيء لهم

وقد صادف البابا ديونيسيوس البطر يرك في ذلك الاضطهاد أهوالا مر يعة وأخيرا نفى . وقد روى بعد رجوعه من منفاه الى الاسكندر ية انه لم يجد من شمامسة الكنيسة سوى ثلاثة فقط وهم فوسطس و يوساب وكو يرمولي مع انه ترك عددا وافر منهم ظلوا مختبئين فى مكانهم وكانوا ينتهزون الفرص ليعظوا الاخوة و يبشروهم ولكنهم ماتوا جميعا بداء الدفتر يا وغير هؤلاء قتل كثيرون واستشهدوا واشتدت القساوة على المسيحيين للغاية حتى انهم كانوا يشقون بطون أطفالهم و يأخذون مصار ينهم و يلفونها على أنابيب القصب و يلقونها للاوثان . وآخرون خيروا بين أن يسجدوا للاوثان أو يعذبوا الى الممات فآثروا الهلاك فهلك منهم عدد لا يحصى . واستمر اضطهاد فالير يان ثلاث سنين ونصف وانتهى فى سنة ٢٦٠ م

(٥) ضيق بسبب الحرب ومآثر المسيحيين فى تخفيفه :

تبوأ غالينوس العرش بعد أبيه فالير يان ولكنه انهمك فى الملاذ فرأى مكر يانوس الساحر الوثنى أن يكون ملكا على مصر فأبى المسيحيون الخضوع له فعاداهم معاداة عظيمة حتى قام ايمليانوس الوالى وأخذ منه التاج وحكم مصر حكما جائزاً . و بعد ذلك أتاه تيودتس قائد جيش غالينوس وحاصره ودامت الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن أصيبت البلاد فيها بتكبات عديدة وتحمل المسيحيون منها العبء الثقيل لقيامهم بمساعدة المنكوبين وتخفيف آلامهم وقد كتب البابا ديونيسيوس رسالة في عيد الفصح سنة ٢٦٤ م يصف فيها هول الحرب وكيف كان المسيحيون سببا فى تخفيفها قال :

« ان الوقت الحاضر أصبح كغيره فى الأوقات الغابرة اذ يعسر فيه على الكثيرون من المسيحيين أن يؤدوا فر يضة عيد الفصح وسيان عندنا أوقات الحزن والغم وأيام الفرح والسرور التى لا يكاد يراها أحد ولو فى المنام لكثرة توالى المصائب وتتابع النكبات حتى أصبح الانسان لا يقع نظره الا على عيون تدمع وقلوب تفجع ومآق تسيل على الخدود بدل الدمع السخين الذى تنشق له الاعين حزنا على أناس أتقياء كثير ين ماتوا ودرجوا الى العالم الباقى واذا مررت الآن فى المدينة لسمعت التنهدات والزفرات يكاد القلب يتقطر منها أسفا على أقوام مشرفين على الهلاك ينظرون أبواب القبور مفتوحة أمامهم تكاد تبتلعهم قبلما تفارق أرواحهم الاجساد حتى أصبحنا فى زمن أشبه بالزمن الذى مات فيه كل بكر فى أرض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من البكاء والعويل لانه يوجد ميت.على الاقل فى كل منزل وكنت أتمنى لو أن يكون هذا كل البلاء و يقف المصاب عند هذا الحد مع ما يسبقه من أهوال تشيب لها النواصى وتصطك منها الركاب بل زادوا فى أنهم طردونا طردا وأقصونا الى أماكن بعيدة ثم أخذوا يضطهدون حتى أماتوا أكثرنا ومع ذلك فلا نزال نعيد العيد بكل احتفاء واحتفال وكلما كان اضطهادنا شديدا كلما كان عيدنا بهيجا وكان المكان الذى نذوق فيه أشد الاعذبة لابد وأن نقيم فيه أهم الحفلات الدينية ولم نترك حقلا ولا مغارة ولا سفينة ولا خانا ولا سجنا الا وعملنا فيه جمعية يذكر فيها اسم الرب و ينادى بكلمته جهارا . أما أهم الأعياد وأكثرهم مجلبة للفرح والسرور فهو العيد الذى يحتفل به جماعة الشهداء الابرار الآن فى السماء حيث يرأس حفلتهم الرب يسوع نفسه حيث لا الم ولا تعب ولا جوع ولا شىء من مصائب هذه الحياة و بلاياها

« وقد أعقب هذه النكبات حرب تلاها جوع وسغب أصابنا نحن والوثنيين على السواء ولكن الضرر الاكثر لحق بالفقراء المساكين الذين أثر فينا حالهم تأثيرا شديدا فكنا نواسيهم ونشاطر كل من انتابته مصيبة فى بلاياه ونرثى لامرهم ونعطف عليهم عطفا ينتج من قلوب رقيقة واحساسات مسيحية شر يفة تتأثر لمصاب بنى البشر الذين هم اخوتنا فى الانسانية . ثم جاءت بعد كل هذه هدنة قصيرة منحها لنا الرب يسوع المسيح تمتعنا فيها بشىء من الراحة والفرح ولم نلبث طو يلا على هذه الحالة حتى داهمنا و باء فتاك مسنا مسا ولكنه فتك بالوثنيين فتكا ذر يعا

« فلما قدمَ هذا الداء الوبيل بخيله ورجله ظهرت احساسات الاخوة المسيحيين نحو القوم المصابين وبانت نواياهم الحسنة وعواطفهم الحبية مع كل مريض مدنف حتى انهم لم يخشوا شر الداء ولم يخافوا على أنفسهم من الهلاك بل عمدوا الى تمريض الضعفاء وسد حاجات المعوزين بهمة شماء ومروءة علياء وهي أعمال كانت تضيء في هذه الايام السوداء كما يضيء مصباح لامع في حالك الظلام وديجوره فكانوا يداوون المرضى بالادوية الروحية أولا حتى اذا فارقوا هذه الحياة الدنيا انطلقوا الى الابدية وفي قلوبهم رجاء لا يفنى بالحياة الآتية . وكان كثيرون من هؤلاء الاخوة الذين يخدمون المرضى يموتون معهم بعد أن يصابوا بعدوى أمراضهم . نعم كانوا يموتون فرحين مسرورين لموت هو رقاد مؤقت تعقبه حياة أبدية سعيدة . وكانت العدوى تنتقل من المصاب الى الصحيح لان هذا كان يستخرج مصل الداء من ذاك بواسطة مصه كأنهم يحملون أعباء الامراض من على أعناق الآخرين ولذلك مات الكثير من المسيحيين فداء لاخوانهم المرضى وهو عمل يظهر منه الفرق الكبير بين المسيحي الحقيقي الذي يضع نفسه عن الآخرين كما فعل سيده قبله وبين أولئك الذين يظهرون في مظهر المحبين المخلصين بواسطة احساس غير حساس يبدونه في آداب باطلة وتحيات فارغة ومودة عقيمة ولكن اذا جاء وقت الشدة فزعوا من أصدقائهم وابتعدوا عنهم أو قدموهم قربانا لاغراضهم اذا كان في تقديمهم ما يجلب بعض النفع او يزيل شيئا من الضرر . ففي زمن هذا الوباء انتقل الكثيرون من خيرة الاخوة وأفاضل الامة وذهبوا الى الدار الباقية شهداء الخدمة المسيحية وكان فيهم القسوس ومشائخ الكنيسة وشمامستها وغيرهم من الشعب الذين اشتهروا بحسن السيرة وطيب السمعة فالموت بهذه الكيفية وما اقترن به من شفقة عميقة وايمان حار وغيرة قوية ومحبة مخلصة لا يقل في الاهمية عن الاستشهاد الذي يحدث في زمن الاضطهادات والذين يموتون بالطريقة المار ذكرها كانوا يكرمون ويحتفل بموتهم احتفالا باهرا اذ كانوا يحملون على الاكف ويوضعون فوق الرؤوس بعد أن تنظف عيونهم وتكفكف كل دمعة منها ذرفت ساعة الحشرجة وتقفل أفواههم ويكفنونهم بأحسن الاكفان وأثمنها ومن ثم يدفنوهم باجلال وأكرام وهكذا يودع الواحد منهم أخاه ويعود فلا يلبث طويلا حتى يودعه غيره على الطريقة التي اتبعها هو مع سابقه أما الوثنيون فكانوا على الضد من ذلك ولا عجب في هذا ولا غرابة ما دامت الاحساسات المسيحية والعواطف التقوية لم تجد لها طريقا للقلب ولم تعمل فيه عملها المعروف فكان اولئك الوثنيون عندما يشعرون بأن أحدهم مريض يبتعدون عنه ويتنحون حتى عن أعز أصدقائهم ومحبيهم وقد بلغت بهم القساوة مبلغا عظيما حتى كانوا يطرحون مرضاهم في الازقة والشوارع وهم بين حي وميت فاذا فارق المريض هذه الدار رموا به في عرض الفلا دون أن يواروه التراب ومن غير ان يظهر على سماتهم أدنى المظاهر التي تدل على التأثير والاحساس ولو احتاطت بهم كل العوامل المؤثرة الفعالة » أهـ

القسم الرابع
البدع والانشقاقات

(١) سابليوس :

أحد أساقفة بطلومايس بالخمس المدن الغربية كان قد تربى فى مدينة رومية وتتلمذ لنوئيتوس الهرطوقى وأخذ عنه تعاليه التى تنحصر فى أن الله أقنوم واحد أعطى الناموس لبنى اسرائيل يصفته الأب وصار انسانا فى العهد الجديد بصفته الابن وحل على الرسل فى علية صهيون بصفته الروح القدس ومن اعتقاد نوئيتوس سمى تابعوه « مؤلمى الآب » (١) الا أن سابليوس فصل ما تعلمه الكتب عن الآب والابن والروح بنوع يختلف عن نوئيتوس . فأعتقد أن جزءا من الطبيعة الالهية انفرز من الله الآب وكون الابن بالاتحاد مع الانسان يسوع المسيح وان جزءا آخر انفصل عنه فكون الروح القدس .

وكان أول من اعتنق بدعة نوئيتوس وسابليوس زفير ينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته وساعدا المبتدعين على نشر بدعتها حتى انتشرت تلك الاراجيف وعمت أنحاء الغرب . ومما زاد الطين بلة ان كاليسطوس سام أساقفة وقسوسا وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة ثم أباح العماد لمغفرة الخطايا وادعى بأن الاسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من الا ثام . ولما لم يوافقه سابليوس على ذلك حرمه فجاء الى مصر سنة ٢٥٧ م وأخذ ينشر فيها بدعة « مؤلمى الآب » فجذب اليه كثيرين ولما اتصل أمره بالبابا ديونيسيوس قاومه بشدة كما مر بنا فى تاريخ حياة هذا القديس وانتهى الامر أخيرا بحرم سابليوس فى مجمع عقد سنة ٢٦١ م

---

(١) ان أول من نشر بدعة « مؤلمى الآب » هو ابراكسياس الذى وفد على رومية من آسيا الصغرى وفتح مدرسة بث فيها ضلاله واستطاع أن يجذب الى هرطقته زفير ينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته وقام بعد ابراكسياس تلميذه نوئيتوس ينشر بدعته فلما علم البابا ديونيسيوس ان هذه البدعة أخذت تتسلط على عقول الرومانيين كتب لنوئيتوس رسالة طويلة شرح فيها التعليم الصحيح وفند بدعته . فليعتبر البابا ويون الذين ينادون بعصمة باباواتهم و يقفوا عند حدهم معترفين لباباوات الاسكندرية بالفضل فلولا غيرتهم الدينية لاصبحت الكنيسة الرومانية الآن مجموعة هرطقات فضلا عما هى عليه بفضل تساهل باباواتهم الاكرمين الذين لم يكن يهمهم سوى اتساع سلطتهم وازدياد نفوذهم

(٢) **نيبوس** صاحب بدعة الالف سنة . كان أسقفا لابروشية ارسينو فى الفيوم عرف بين رعيته بصفات حميدة جعلتهم يحترمونه احتراما زائدا . هذا الاسقف أخذ يعلم شعبه تعليما جديدا ذهب فيه الى تأكيد اقتراب الوقت الذى يملك فيه المسيح ألف سنة على الارض كأحد ملوك العالم مفسرا ما قيل فى سفر الرؤ يا عن ذلك تفسيرا حرفيا . ووضع كتابا سماه «مضادة المتغزلين كما لقبه مزدريا بمضادى الالف سنة . اعترض فيه على من يقولون بأن أقوال سفر الرؤ يا تدخل تحت باب المجاز . وقد أجهد نفسه فى اقناع رعيته بذلك المبدأ فقبلوه بدون فحص

وكان هذا الاعتقاد قد عرف فى عهد العلامة أوريجانوس فقاومه بشدة وأفناه بالمرة مفسرا الآيات المصرحة بملك المسيح ألف سنة انها تشير الى الافراح الروحية المناسبة طبيعة الارواح التى تقوم كاملة وذلك لا يكون فى هذا العالم بل فى العالم الآتى . الا ان نيبوس قصد أحياء هذا الاعتقاد مرة أخرى بعد اضمحلاله و بعد موت نيبوس أخذ رجل اسمه كراسيون مركزه فى اذاعة تلك البدعة وهو رجل خبير ذو شرف وسطوة

ولما اتفق للبابا ديونيسيوس أن يفتقد رعيته سنة ٢٥٥ م وقف على هذه البدعة وعرض عليه تابعوها أن يحكم فيها فاستعمل الحكمة المتناهية وجذبهم اليه باللطف والرقة وعقد مجمعا هناك ظل ثلاثة أيام تليت فيه احتجاجات نيبوس و بعدها كتب البابا ديونيسيوس رسالة ووضع نبذة فى «المواعيد الالهية» دخص فيها تلك الافكار

ولم يكتف البابا ديونيسيوس بذلك بل وضع شرحا لسفر الرؤ يا قاعدته انه يجب أن لا ينظر لعبارات هذا السفر نظرا حرفيا اذ هو عبارة عن رموز ونبوات بعضها تم و بعضها سيتم فى وقته» أهـ و يقول بعض المؤرخين ان هذا البابا ارتأى أن يوحنا الرسول ليس هو الذى كتب سفر الرؤ يا بل وضعه يوحنا آخر غير انه اعترف بأنه سفر موحى من الله يجب قراءته مع الحذر الكلى

(٣) بيرلس أسقف بصره :

علم ان السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاهوت متميز بل انما كان له لاهوت الآب اى أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم وانه فى ولادته دخلت واتحدت بالانسان النفس الانسانية التى أصلها من الله وهى بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية لانها منبثقة من الطبيعة الالهية . ولما أنتشرت هذه البدعة و بلغت مسامع العلامة أوريجانوس قام لبلاد العرب ودحض تعليم بيرلس فى مجمع انعقد ببصره سنة ٢٤٤ م وتمكن أوريجانوس من أن يرد بيرلس الى الحق و وفى هذا لذلك العلامة وأصبح بعد ذلك من أكبر أصدقائه وأشد المدافعين عنه

(٤) بولس السيمساطى :

ولد فى سيمساط (مدينة صغيرة فيما بين النهرين) عن والدين فقيرين ولكن حاز على غنى طائل بوسائل محرمة . ولا يعلم بأى واسطة توصل الى أن يكون بطريركا على الكرسى الانطاكى . ولما أثرى بعد الفقر المدقع انهمك بالملاذ وكان يصطحب معه أين قام أو رحل امرائتين جميلتين يقضى معهما أكثر أوقاته . وكان مغرما بالرفاهية والفخفخة بحيث لم يكن يسير فى الطرقات الا ومائة من الخدم يتقدمونه ومائة يتبعونه . وابدل تراتيل الكنيسة بنشائد لمجده كلف بتشيدها النساء . واذا خطب كان يجعل الناس أن تصفق له آخر كل مرة

وكانت له حظوة كبرى عند زينب ملكة تدمر حتى وكلت اليه جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوسنار يوس (أى والى من الدرجة الاولى له مرتب سنوى ٢٨٠ سترشيا أى ٣٥٩٦٠ فرنكا) وكان حرصه على القيام بوظيفته المدنية أشد منه على اتمام فروضه الدينية لانه كان يتخذها سلاحا ضد اكليروسه ورعيته خوفا من مقاومتهم له

وقد استمر فى طغيانه وتجبره حتى سقط فى هرطقة فظيعة زعم فيها ان ابن الله لم يكن من الازل بل ولد انسانا حل فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء وان هذه الحكمة التى مكنته من أن يعلم ويعمل العجائب فارقته حين قدم على الالام . وبسبب اتحاد الكلمة الالهية هذا بالانسان يسوغ القول ان المسيح هو الله وليس بمعناها الحقيقى . ونشأ عن ذلك ضلاله الاخر وهو انه كان فى المسيح اقنومان وابنان لله أحدهما بالطبيعة والآخر بالتبنى . وبذلك شايع سابليوس فى انكار الثالوث الاقدس بقوله يوجد اله واحد تحسبه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته وكلمته ليست اقنوما بل انها فى العقل الالهى بمقام الفهم فى العقل الانسانى

ولما بلغت القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندرى أخبار هذا الهرطوقى أرسل اليه رسائل عديدة وبين له فيها مخالفة غواياته لنصوص الكتاب وشهادة الآباء . وقد جاوب بولس على بعض هذه الرسائل مواربا ومواريا ضلاله . ولأجله عقد مجمع فى انطاكية تكرر انعقاده مرارا . وكان المتقدمون فيه فرميليانوس أسقف قيصرية واغريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة وأخاه ايثنوذورس وايلينوس أسقف طرسوس وايماناوس أسقف أورشليم وغيرهم كثيرون . أما القديس ديونيسيوس فلم يتمكن من أجابة دعوة المجمع لداعى شيخوخته واكتفى بما أرسل من الرسائل للمجمع وبولس مفندا ضلاله كما مربنا

وكان بولس السيماساطى حينما يحضر المجمع يراوغ كثيرا فى أقواله فمن جهة لا يبوح بحقيقة اعتقاده ومن جهة أخرى يسلم للمجمع بما يطلب منه التصريح به . ولما لم يذعن للحق كتب أعضاء المجمع رسالة الى البابا مكسيموس البطريرك الاسكندرى وديونيسيوس أسقف رومية يبينون فيها معائب السيماساطى واصراره على ضلاله

اما بولس فما فتىء مستمرا على ضلاله مستعملا المراوغة فى جميع أقواله فكان تارة يستغيث من قساوة الاساقفة عليه وطورا ينكر ما عزى اليه من الضلال حتى عقد بشأنه مجمع آخر حضره أساقفة أكثر عددا وخلعوه من بطر يركية الكرسى الانطاكى وأقاموا عوضا عنه دمنوس غير أنه لم يرضخ للحكم بل استعصى بالدار البطر يركية مستعينا بقوة تدمر فعرض الاساقفة أمره الى القيصر الرومانى أورليان فحكم بأن تعطى الاسقفية لمن انتخبه المجمع

(٥)مانى :

ولد سنة ٢٣٩ م وهو من الذين قاومهم البابا مكسيموس البطر يرك الاسكندرى . كان أبا للمانيين ودعى كذلك لانه نسب الى ذاته لقب البارقليط وكان أسيرا فى بلاد فارس فلما عتق من هناك تبنى لعجوز أنفقت على تعليمه بين المجوس فدرس علومهم وفنونهم فكان فلكيا (ولو انه غير متعمق) ومصورا وطبيبا وفيلسوفا ولكنه لم يضع حدا لمخيلته فتوسع فى تصوراته للغاية

وبعد أن تنصر أراد أن يقرن مبادىء المجوس والمسيحيين معا وطفق يبث ضلاله سنة ٢٦٨ م واتماما لغرضه شرع يذيع بأن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصا وانه هو البارقليط . وكان فى أول أمره يتباهى بكونه مسيحيا و يفسر الاسفار المقدسة ويجادل اليهود والوثنيين . و بعد سقوطه فى خطية الهرطقة اتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذا واثنين وسبعين أسقفا ممثلا المسيح وتحت كل اسقف قسوس وشمامسة وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه فانخدع كثيرون بغوايته وتتلمذ له عدد عظيم

ثم انكب على السحر خاصة ولكى يكتسب شهرة أخذ يعالج ابن ملك الفرس الذى كان الاطباء قد عجزوا عن شفائه فمات الصبى تحت يده ولذلك القى فى السجن وحكم عليه بالموت ولكنه رشى الحراس فمكنوه من الفرار وذهب الى فلسطين حيث قاومه أحد الاساقفة وأنكر عليه تعليمه وطرده خوفا من أن يضل الشعب فذهب الى العربة فشعر به ملك الفرس وأرسل وقبض عليه وسلخ جلده حيا برؤوس القصب ثم سلم جسده للوحوش وحشا جلده تبنا وعلقه على باب المدينة

وبعد موته تهيج تابعوه عوضا عن أن يخافوا قطاف أقدرهم وأفصحهم فى سوريا وفارس ومصر وأفر يقيا وأكثر أماكن العالم و بصرامة آدابهم و بساطة ديانتهم تلمذوا فى كل مكان تلاميذ ومع كل الاضطهاد الذى ألم بهم نسلهم باق للآن فى الجبال بين فارس والهند

أما غوايات مانى فيوضحها أحسن ايضاح موسهيم المؤرخ (١) فروى انها كانت مؤلفة من تعاليم المسيحية وفلسفة الفرس القديمة التى تلقنها فى مدارسهم وهو صغير . وما تكلم به الفرس عن

(١) تاريخه للكنيسة ص ١١٥ : ٣ — ١٠

ملكهم ميثراس تكلم به مانى عن المسيح فعلم بأنه يوجد لكل شيء مادتان الواحدة نور والاخرى ظلمة وللاثنتين ربان رب النور سمى الله ورب الظلمة سمى الشيطان وكلاهما متضادان فى الطبيعة والاميال ولان اله النور سعيد فهو رحوم محسن ولان اله الظلمة شقى يسعى ليجعل الغير أشقياء وكل واحد منها أوجد طائفة كبيرة من نسله على شكله ووزعها فى مملكته

واستمر اله الظلمة مدة طويلة لا يعلم بوجود نور أو اله له ولكنه شعر بذلك من حرب حدثت فى مملكته فحاول أن يستولى على اله النور فعارضه هذا بجنودة غير أن قائدهم المدعو الانسان الاول لم ينجح وتمكن جنود الظلمة من أخذ جانب عظيم من العناصر السموية ومن النور ذاته الذى هو مادة حيوية فزجوها بالمادة الفاسدة فقام من جنود النور قائد آخر يسمى بالروح الحى ومع انه نجح كثيرا الا انه لم يتمكن من تحرير مادة النور التى مزجت بالعناصر الرديئة

وبعد ذلك أوجد اله الظلمة آدم وحواء فكل مولود من هذا المزيج قائم بجسد من المادة الفاسدة وبنفسين احداهما شهوانية من اله الظلمة والاخرى عقلية خالدة لانها من النور الالهى ولما صنع رئيس الظلمة الناس من عقول غطاها بالاجساد خلق اله النور بواسطة الروح الحى أرضنا هذه من المادة الرديئة وجعلها مسكنا للجنس البشرى ووسيلة لتمهيد طريق تخليص النفوس تدريجيا من أجسادها وافراز الجيد من الردى

ثم أخرج الله بعد ذلك من نفسه كائنين عظيمين وهما المسيح والروح القدس لأعالة النفوس المغشاة بالاجساد فالمسيح هو الشخص الذى يدعوه الفرس ميثراس وهو مادة سامية جدا من أنقى نور الله واجبة الوجود حيوية فائقة الحكمة مسكنها الشمس . وكذلك الروح القدس مادة حيوية براقة منتشرة فى كل الجلد المحيط بأرضنا يدفىء نفوس البشر ويبهجها ويجعل الارض مثمرة ويخرج منها تدريجا نطفات النار الالهية المنتشرة وينهضها حتى ترجع الى عالمها التى أتت منه

وبعد أن أنذر الله طويلا النفوس المحبوسة فى الاجساد بواسطة ملائكة وأناس علمهم مشيئته أرسل أخيرا المسيح ابنه وأنزله من الشمس الى عالمنا هذا لكى يسرع برجوع الناس الى وطنهم السموى . فظهر المسيح بين اليهود لابسا صورة وظل جسد انسانى لا جسدا حقيقيا وأعلن لهم الواسطة الوحيدة لخلاص النفوس من أجسادها وبرهن على لاهوته بعجائبه . ولكن اله الظلمة أغوى اليهود ليصلبوه . ولما لم يكن له جسد لم تؤثر عليه الآلام ولكن اليهود حسبوه صلب فرجع المسيح الى الشمس مسكنه الاول بعد أن ترك تلاميذه لتعليم الناس ديانته ووعدهم بارسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط الذى كان يدعى مانى بانه هو

والذين يؤمنون بألوهية المسيح ينبغى أن لا يعبدوا اله اليهود وهو اله الظلمة وأن يطيعوا شرائع المسيح التى أوضحها مانى ويقاومون بثبات شهوات النفس الشريرة وهكذا يتخلصون شيئا

فشيئا من مادة رئيس الظلمة الفاسدة . غير أن كمال التطهير لا يفوز به الانسان فى هذه الحياة بل بعد الموت يحصل للنفس تطهيران الاول بالماء المقدس الموجود فى القمر و يلبثون فيه خمسة عشر يوما والثانى بالنار المقدسة الموجودة بالشمس وهذه تطهرهم تماما أما الاجساد فتنحل الى عنصرها الاصلى

أما النفوس التى لم تتم بالتطهير فتسكن بعد الموت أجساد البهائم والبشر حتى تطهر . والاكثر انحطاطا يسلمون للارواح الشريرة المقيمة فى جلدنا ليعذبوا زمانا ما . وحين تتحرر أكثر النفوس وترجع الى عالم النور فحينئذ يأمر الله فتخرج نار جهنم من مقرها وتحرق وتلاشى هذا العالم . و بعد ذلك يرغم رئيس الظلمة وجنوده على الرجوع الى مقرهم الاصلى و يدومون فيه فى حال الشقاوة ويحاطون بحرس قوى من النفوس التى يئست من خلاصها حتى لا يقووا على محاربة اله النور ثانية

ولكى يجعل مانى سبيلا لقبول مبادئه رفض أكثر العهد الجديد معتقدا بأنه حرف عن أصله ولا سميا العهد القديم الذى كان يعتبره من انشاء اله الظلمة الذى يعبده اليهود ووضع انجيلا دعاه (ارتن) مجاهرا بأنه موحى به اليه من الله . ثم وضع لتابعيه عيشة صارمة فأمرهم بممارسة كل ما يضعف الجسد الذى هو عمل رئيس الظلمة . وقسم تابعيه الى قسمين المختارين الذين ينبغى أن يمتنعوا من اللحم والبيض والحليب والسمك والخمر وكل انواع المسكرات والزواج وكل تمتع ناتج من مخالطة الذكور الاناث والسامعين وقد صرح لهم بامتلاك البيوت و بأكل قليل من اللحم والتزوج بنساء . و يغلب ان المختارين هم الاساقفة والقسوس والشمامسة والعلمانيين هم السامعون

و يقول الآباء أن مانى هو الذى كان يتنبأ عنه الرسول بولس بقوله « ولكن الروح يقول صريحا انه فى الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين . مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر » (١ تى ٤ : ١ — ٣)

(٦) هيراكس :

أصله من ليونتوبوليس كانت صناعته عمل الكتب وأشتهر بالعلم والتقوى ومع انه شارك مانى فى بعض الآراء الا انه خالفه فى أمور كثيرة فعلم ان عمل المسيح العظيم أن يسن شريعة جديدة أكمل وادق من شريعة موسى . ولهذا جزم بأن المسيح منع تابعيه عن الزواج واللحم والخمر وكلما تتلذذ به الحواس أو الجسد من الاشياء التى سمح بها موسى ثم منع ان يدخل الاطفال ملكوت السموات التى لا يستحقها الا الذين قاوموا الجسد وشهواته واعتقد أيضا ان ملكى صادق ملك ساليم الذى بارك ابراهيم هو الروح القدس . وانكر قيامة الاجساد وفسر الكتاب المقدس ولا سيما الاسفار التاريخية تفسيرا تشبيهيا

(٧) الخلاف على عماد الهراطقة والجاحدين :

كان من أهم المباحث فى الكنيسة فى هذا القرن المبحث فى ما اذا كان تعميد الهراطقة صحيحا أم باطلا واذا رجع أحدهم الى الكنيسة أيعاد تعميده أم يحسب معمدا . ففى هذا الموضوع اختلفت آراء الكنائس قديما . فكنائس آسيا الصغرى والكبادوك وكيليكية وغلاطية وسورية ومصر وافريقية كانت تعتقد أن المعمودية لا تعتبر صحيحة ذات قوة فعالة ما لم تكن بيد رؤساء الكنيسة الاثوذكسية التى تجرى كل الاسرار على وجه صحيح ولذلك كانوا يعيدون معمودية من يرجع الى حضن الكنيسة من الهراطقة . غير أن رومية والكنائس الغربية كانت تقول بأن كل معمودية تتم باسم الثالوث الاقدس هى مقبولة ولهذا لم يكونوا يعمدون التائبين من الهرطقة وكانوا يكتفون بوضع الايدى والصلاة على من اهتدى منهم . ولاجل ذلك اجتمع مجمع فى ايقونية ومجمع فى سنادا سنة ٢٣٠ م برئاسة فرميليانوس أسقف قيصرية تقرر فيهما عدم صحة معمودية الهراطقة . وفعل مثل ذلك اغربينوس أسقف قرطجنة بعقده مجمعا فيها سنة ٢١٧ — ٢٢٣ م وقرر القرار عينه

والذى ساعد على اشعال نار هذا النزاع ظهور بدعتين فى هذا الشأن الاولى بدعة نوفاسيانوس أسقف رومية الدخيل وتقضى برفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون فى اثم كبير وبوجوب اعادة العماد الذى يتم على ايدى الهراطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون فى قبول الهرطقة التائبين . واعتنق مذهب نوفاسيانوس عدد كبير من الكنيسة الرومانية غير انهم ما لبثوا أن أدركوا خطأهم وعزموا على العودة الى حضن الكنيسة ولما كانت عادة كنيسة رومية ان لا تعمد الهراطقة توقف الكهنة عن قبولهم ريثما يتفقون على رأى بشأن الراجعين من هرطقة نوفاسيانوس . فكتبوا الى القديس كبريانوس أسقف قرطجنة يسألونه رأيه فأجابهم برسالة جاء فيها «أن المعمدين من أيدى الهراطقة هم وحدهم الذين يجب اعادة عمادهم . أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الارثوذكسية فعمادهم **صحيح** » أ هـ ولما كان كبريانوس يفهم ان كثيرين من المسيحيين التابعين لكنائس متعددة قد جحدوا الدين أثر الاضطهادات التى أثارها الملوك الوثنيون قال للكهنة الرومانيين فى الرسالة عينها « أما مسألة الجاحدين التائبين فلا تتعلق بكنيسة رومية منفردة ولذلك يجب أن تحكم فيها الكنائس مجتمعة » (١) ولقد استصوب الكهنة الرومانيون هذا الرأى كما يثبت ذلك من رسالتهم الثانية الى كبريانوس التى جاء فيها « ان القضايا العامة لا يجب أن تنفرد كنيسة بالفصل فيها لان فى ذلك خطأ عظيما واهانة كبرى لجموع الكنائس المسيحية فضلا عن أن الكنيسة التى تتعرض لاصدار حكم فى قضية عامة يصبح حكمها ملغى ولا يعول عليه » أهـ (٢)

---

(١) كبريانوس فى رسالة رقم ١٩

(٢) رسالة كبريانوس رقم ٣١

والبدعة الاخرى بدعة فيلكسيموس الذى كان يعلم هو وأتباعة بوجوب الصفح عن الذين جحدوا الايمان بمجرد الشفاعة التي يتحصلون عليها من المؤمنين الموجودين في السجون . والذى دعا الى نشر هذه البدعة هوانه بسبب اضطهاد ديسيوس قيصر للمسيحيين زل كثيرون منهم وقدموا الذبائح للاوثان اجابة لطلب معذبيهم ثم ارادوا بعد ذلك أن يرجعوا الى شركة الكنيسة بدون ان يخضعوا للتأديب الصارم حسب قوانينها . ولكى يحصلوا على الغفران بأكثر سهولة التجأوا الى شفاعة الشهداء المحكوم عليهم بالموت وأخذوا منهم مكاتيب توصية بها يعلن الشهداء المشرفون على الموت انهم حسبوا هؤلاء الاشخاص مستحقين لشركتهم وطلبوا أن يقبلوا و يعاملوا كاخوة فبعض الاساقفة والكهنة قبلوا حالا الجاحدين الذين قدموا مكاتيب كهذه لكن كبر يانوس وغيره من ذوى الحزم والغيرة مع انه لم يرد ابدا أن يبطل كرامة الشهداء قاوم هذا الارتخاء الزائد وأراد أن يضع حدا لفعل مكاتيب التوصية هذه

وفى سنة ٢٥٣ م قام على كرسى رومية الاسقف استفانوس واتباعا لعادة كنيستة شدد بمنع معمودية الهراطقة ولم يكتف بذلك بل خاطب فرميليانوس أسقف قيصر ية وطلب منه الامتناع عن تعميد الهراطقة . غير أن فرميليانوس أهمل كتابه فعقد استفانوس مجمعا سنة ٢٥٤ م حكم فيه بقطع فرميليانوس ومن وافقه من اساقفة كيليكية وغلاطية . ولما كان القديس كبر يانوس مشتركا مع هؤلاء فى المعتقد تهدده استفانوس بحرمه ان لم يقلع عن هذا الاعتقاد فلم يعبأ كبر يانوس بهذا التهديد وقابله بمجمع عقده فى قرطجنة سنة ٢٥٥ م وبعد مباحثات طويلة حكم بضرورة اعادة عماد الهراطقة ومن تعمد على يدهم ممن يرجعون الى الكنيسة . وأما الذين كانوا معتمدين فى الكنيسة وسقطوا فى كفر أو هرطقة فحكموا بعدم اعادة معموديتهم نفيا لبدعة نوفاسيانوس أسقف رومية الدخيل

وأرسل المجمع قراره لاستفانوس أسقف رومية ومن جملة ما قيل له هذا الكلام « ان كل رئيس روحى حر فى سياسة كنيسته . لانه سيقدم حسابا عن أعماله للرب » (١) غيران استفانوس رفض هذا القرار وكتب الى أساقفة افريقيه يحثهم على الاقتداء به فى رفض قرار كبر يانوس وجاوب أعضاء مجمع قرطجنة بقوله « يجب عليكم أن لا تحدثوا شيئا بل أن تجروا على التسليم وتقبلوا بوضع الايدى فقط الذى يأتى اليكم من أية هرطقة كانت . لان الهراطقه أنفسهم لا يعمدون الذين ينتقلون من هرطقة الى اخرى . بل يقبلونهم قبولا بسيطا فى شركتهم » (٢) ثم هددهم بالقطع ان لم يذعنوا لادارته

---

(١) رسالة ٧٢ لكبر يانوس

(٢) رسالة ٧٤ لكبر يانوس

أما كبر يانوس فاستغرب منه هذا العناد وأنكر عليه خضوع كنيسة افريقية لاستبداده وكتب رسالة الى بومبيوس أحد أساقفة افريقية ضد استفانوس جاء فيها قوله « اننا لا نجد مثل هذا القرار (أى قرار استفانوس) لا في الانجيل ولا في الرسائل ولا في اعمال الرسل . و باطلا يقاومنا بعض مستندين على العادة وهم مغلوبون من البراهين العقلية . كأن العادة تعلو على الحقيقة أو كأنه لا يجب أن نجرى في الروحيات على ما أعلن من الروح القدس انه الافضل » أهـ (٣)

ثم أرسل أساقفة افريقية أيضا رسالة أخوية الى استفانوس يدعونه الى الاتحاد معهم فلم يشأ أن يقابل حملة الرسالة ولم يسمح لهم حتى ولا بمأوى وجاوبهم بخشونة بخطاب لقب فيه كبر يانوس بالرسول الغاش والنبي الكذاب (٤) وما علم كبر يانوس بذلك حتى كتب الى اخوته اساقفة افريقية يحذرهم من الوقوع في ضلال استفانوس ولقد جاء في رسالته الى بومبيوس « انه (أى استفانوس) صديق الهراطقة وعدو المسيحيين يقول بأنه يقدم كرامة لله و يظن بأنه حرم كهنة الله المحافظين على حقيقة دين المسيح واتحاد الكنيسة . فان كانت الكرامة لله تقدم على هذا الوجه وان كان خوف الله والشيء القانوني يحفظ من عباده وكهنته على هذه الصورة فلنرم سلاحنا ولنمد أيدينا الى السبي » ثم قال له « ان هذا الاسقف الضال استفانوس قد دل برسالته على جهله وغباوته » أهـ (١)

وقال في رسالته الى كينتوس « ان بطرس الرسول (الذى يدعى استفانوس انه خليفته) لم يقل قط بتقدمه على سائر الرسل ولم يطلب ممن أتوا بعده في الرسالة أن يقدموا له فروض الخضوع والطاعة ولم يدع انهم دونه في الرتبة » أهـ (٢) ولم يكتف كبر يانوس بهذه الرسائل بل عقد مجمعا ثانيا في قرطجنة أبدى فيه كل من الاساقفة رأيه الخاص فقال الاسقف الثالث والعشرون في ترتيب جلوس الاساقفة في المجمع « انه جحد ايمان الكنيسة ويجب ان لا يكون جحوده سببا في اضطراب مجموع الاساقفة » وقال الاسقف الحادي والستون « انه يهوذا الاسخر يوطى الذى باع عروس المسيح لاعدائها » (٣)

وكان فرميليانوس أسقف قيصرية قد أرسل هو أيضا وفدا الى رومية فقوبل هناك أسوأ مقابلة كوفد كبر يانوس ولم يسمح له بسقف يبيت تحته ومن ثم تبادل فرميليانوس وكبر يانوس الرسائل ضد استفانوس وكان فرميليانوس قد تلقى رسالة من كبر يانوس فرد عليها برسالة طويلة

---

(٣) رسالة ٧٣ (٤) رسالة ٧٥ . (١) رسالة ٧٣ (٢) رسالة ٧٢

(٣) اعمال مجمع قرطجنة الذى عقده كبر يانوس

جاء فيها قوله « لقد أبى استفانوس أن يقبل نوابك وأمر الرومانيين أن لا يقبلوهم فدل بذلك على توحشه وهمجيته على اننا مدينون لهذا المتوحش لان قسوته وغطرسته كانتا سببا فى ان عرفنا حكمتك وايمانك . غير انه لا فضل له فى ذلك كما انه لا فضل ليهوذا الاسخر يوطى فى خيانته سيده . تلك الخيانة التى نتج عنها خلاص الجنس البشرى . ولكن دعنا من هذا الحديث الذى يذكرنا بوقاحة استفانوس وجسارته بل بشغفه بالانفصال عن وحدة المحبة والتغرب عن الاخوة والتمرد على الحق الخ » (٤) ولم يكتف فرميليانوس بذلك بل كتب لاستفانوس رأسا رسالة منها قوله « لقد جسمت خطيتك بنفسك التى ز ينت لك الانفصال عن الكنيسة الواحدة . لا تنخدع يا استفانوس فانك قطعت نفسك بنفسك . لان الذى يجحد شركة الوحدة الكنسية يصبح وحده منشقا عنها . وهكذا نراك منفصلا عن الكنائس المسيحية فى الوقت الذى تظن فيه انك تفصل تلك الكنائس عنك » (١)

ومع كل هذه المساعى الحميدة استمر الشقاق مضطرما وكاد يستفحل امره لولا مداخلة البابا القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندرى التى جعلت النزاع يقف عند حده فكتب الى استفانوس يقول له « اعلم الآن أيها الاخ ان جميع الكنائس المنشقة قبلا فى الشرق وما بعده قد اتحدت . وجميع الرؤساء فى كل مكان متفقون فى الرأى وهم فرحون بالسلام الذى صار على غير انتظار منهم ديميتريانوس فى انطاكية وثاوكتيستوس فى قيصرية ومازبان فى اليه (أورشليم) ومارينوس فى صور بعد رقاد اسكندر وايليوذوروس فى اللاذقية بعد وفاة ثيليميدرس وايلينوس فى طرسوس وسائر كنائس كيليكية وفرميليانوس وسائر الكبادوكية . وقد ذكرت أشهر الاساقفة فقط لكى لا أطيل الرسالة ولا أثقل الكلام . أما سورية كلها والعربية الذين تكفونهم دائما والذين أرسلتم اليهم الآن وبين النهرين والبنطس وبيثينيه وبالاجمال الجميع فى كل مكان يبتهجون بالاتحاد والمحبة الاخوية ممجدين الله » أهـ (٢)

على أن استفانوس الذى كان يشتهى أن يرى نفسه يوما رئيسا عاما للكنيسة المسيحية نظير معظم باباوات رومية لم يذعن لنصيحة زميل له يفوقه قداسة وعلما بل لبث مصرا على عناده حتى مات سنة ٢٥٧ م وخلفه سكستوس فكتب له البابا الاسكندرى رسالة جاء فيها قوله « فانه (أى استفانوس) كان قد كتب قبلا فى ايلينوس وفرميليانوس وسائر أساقفة كيليكية وغلاطية والشعوب المجاورة لهم قائلا بأنه لا يشترك معهم لهذه العلة عينها أى لانهم يعيدون على زعمه معمودية الهراطقة . وحقا انها تقررت كما أعلم فى اعظم مجامع الاساقفة عقائد بأن الآتين من هرطقة يوعظون أولا ثم يغسلون و يطهرون من دنس الخميرة العتيقة . وقد أرسلت اليه ورجوته فى هؤلاء جميعهم »

(٤) رسالة ٧٥ (١) رسالة ٧٥ (٢) تاريخ اوسابيوس ٧ : ٥

أهـ (٣) وأعقب هذه الرسائل برسائل اخرى ظاهرها الاستشارة و باطنها الفات نظره الى وجوب التدقيق لمعرفة صحة عماد الهراطقة من عدم صحته . وكان يروم من وراء جميع رسائله حفظ كيان اتحاد الكنيسة ومنع كل شقاق وتحزب شأن الراعى الصالح حتى تمكن من اقناعه بروح المحبة والسلام أفضل من استعمال الشدة والعنف وله رسالة في هذا الموضوع لفليمون أحد كهنة الكنيسة الرومانية قال فيها « ان فساد العماد الذى يتم على يد الهراطقة أصبح أمرا ثابتا بعد أن قررته عدة مجامع انعقدت فى ايكونيوم وغيرها . فهل يليق قلب هذه القرارات وتحريض الاخوة على المنازعات والمشاغبات . أما أنا فلا يمكننى أن آتى ذلك لانه مكتوب « لا تنقل التخم القديم الذى وضعه اباؤك » أهـ (١) .

وحدث حينئذ أن ثار اضطهاد فالريان قيصر وشدد النكير على رؤساء المسيحية فشغل كل من الاساقفة عن مسألة عماد الهراطقة بالنظر فى شئون رعيته وفى هذا الاضطهاد استشهد القديس كبريانوس والقديس سكستوس وشماسه لافيرنديوس

واتفق حينئذ انه كان فى كنيسة الاسكندرية مؤمن تعمد بيد أحد الهراطقة ولاجل ذلك ارتاب ولبث مدة طويلة فى الكنيسة وضميره يوبخه حتى جاء الى البابا ديونيسيوس ملتمسا منه بدموع ولجاجة أن يعيد له عماده فلم يجب دينونيسيوس طلبه ولكنه طيب خاطره واحتار فى أمره بالنسبة لالحاح الرجل عليه . فبينما كان يخاطب زميله سكستوس أسقف رومية برسالة فى بعض الشئون (٢) خطر له أن يقف على رايه فى هذا الامر فأضاف الى رسالته قوله :

« انى بالحقيقة أيها الاخ أطلب النصيحة واستمد الرأى منك فى هذا الامر المهم الذى ورد على خوفا من أن أكون غلطانا . فان مؤمنا من الاخوه المجتمعين يظن أنه قديم فى الكنيسة أقدم من زمان شرطونيتى وأظن انه مشترك فى الكنيسة قبل اقامة المطوب الذكر يا روكلاس (سلفه) وقد اتفق أن يكون من المعمدين تعميدا على قفا اليد . فلما سمع السؤالات والاجوبة عندنا تقدم الى

---

(٣) أوسابيوس ٧ : ٥

(١) أوسابيوس ٧ : ٥

(٢) يتوهم البابا و يون أن استشارة البابا ديونيسيوس لسكستوس تؤيد رئاسته المزعومة مع العلم أن بولس الرسول استشار الرسل فى أمور (غل ٢ : ٢) ولم يكونوا رؤساء عليه وكيرلس البابا الاسكندرى كتب ينصح نسطور فهل يعتبر رئيسا عليه . والقيصر ثيودوسيوس كلف القديس سمعان العمودى أن ينصح البابا كيرلس و يوحنا الانطاكى وكان مرؤوسا لها . أما ظنهم أن قوله « خوفا من أن أكون غلطانا » يؤيد عصمة البابا فينقضه أن باباو ين فى أيامه كانا من رؤساء المرطقة وهما زفيرينوس وكاليسطوس وآخر ايضا بعدهما بقليل ذبح للاصنام فى اضطهاد ديوكلتيانوس وأقر وهو بابا بأن الصنم اله وهو مركلينوس ولئن كان تاب فيما بعد واستشهد . أما استشارة البابا ديونيسيوس لاسقف رومية فكانت من قبيل الوقوف على الرأى وخوفه من غلطه ما هو الا عن تواضع ولطف أخلاق وسمو آداب وتأكيد الحقيقة بأن كل ابن آدم يغلط كما أن البابا ديونيسيوس تصرف فى كثير من المسائل الاهم دون أن يستشير أسقف رومية أو حتى يقف على رأيه

باكيا ونادبا نفسه وكان يقع أمام رجلى معترفا ومنكرا باقسام المعمودية التى تعمدها عند الهراطقة بانها ليست مثل هذه ولا شركة لها معها لأنها مملوءة كفرا وتجاديف وقائلا ان نفسه قد تخشعت الآن تخشعا عظيا وليست له دالة ان يرفع عينيه الى الله ما دامت بداءته من تلك الاقوال والاعمال الشريرة . ومن ثم طلب أن يحصل على هذا التطهير والقبول والنعمة الصحيحة الخالصة . الامر الذى أنا لم أجسر أن أعمله قائلا أن اشتراكه زمانا كثيرا يكفى لذلك . فأنى .. بعد انه سمع الشكر وقال معنا « آمين » وحضر المائدة ومد يديه لتقبل الغذاء المقدس وناله أيضا واشتراك زمانا كافيا بجسد ودم يسوع المسيح . لا أستطيع أن أجسر واعيد بناءه مرة ثانية من الاول . وقد أمرته أن يتشجع و يتقدم بايمان ثابت وضمير صالح الى الاشتراك بالقداسات . أما هو فما ينكف نائحا ويجزع ان يتقدم الى المائدة و بالرجاء العظيم يكاد الا يطيق حتى الوقوف معنا فى الصلوات »

ومع كل ذلك استمر الخلاف فى هذه القضية حتى اصدر فيها المجمع النيقاوى المسكونى الاول الحكم النهائى سنة ٣٢٥ م و بعده الثانى سنة ٣٨١ م .

أما مسالة الذين زلوا ابان الاضطهادات وقدموا الذبائح للاوثان فبسببها عقد كبر يانوس مجمعا بقرطجنة قرر فيه شجب بدعتى نوفاسيانوس وفيلكسيموس المشار اليهما آنفا ومعالجة الساقطين بدواء التوبة حتى ينقهوا . الا أن المجمع اتفق على استئناف القضية للبابا الاسكندرى فرفعت اليه وكان فابيانوس أسقف انطاكية ميالا لمبدأ نوفاسيانوس من حيث معاملة الذين انكروا الايمان وتابوا بالقساوة الزائدة فكتب اليه القديس ديونيسيوس هذا الكتاب يقول فيه :

« اليك مثال عما حدث فى مثل هذه الامور التى نتناقش فيها الآن ومنه يظهر لك كيف تصرفنا نحن . حدث أن رجلا هرما اسمه سيرابيون وهو مسيحى لا غش فيه قضى حياة طويلة بكل تقوى وأمانة كان قد ذبح للاوثان أثناء اضطهادهم اياه ولكنه عاد فأقر بذنبه واستغفر ربه عن خطيته فلم يقبله أحد أو يرق لحاله انسان فأصاب الرجل مرض عضال الزمه الفراش وظل ثلاثة أيام متوالية لا يعى ولا يتكلم وفى اليوم الرابع أفاق قليلا من غشوته فدعا اليه ابنه الاكبر وقال له لقد طال يا ابنى زمن حجزك لى فاتوسل اليك أن تسرع وتطلقنى من عقالى فارجوك ان تذهب وتأتى لى بأحد كهنة الكنيسة » ولما قال هذا عاد الى غشوته وصمته وأما الغلام فأسرع الى كاهن من كهنة الكنيسة ليدعوه كأمر ابيه وكان الوقت ليلا وكان الكاهن مريضا . وكنت قد أصدرت أمرا قبل هذا الوقت يقضى بأن الذين على حافة الموت اذا شعروا بحاجتهم للتوبة والحوا فى طلب المغفرة يجب ان يمنحوها حتى ينتقلوا من هذا العالم وقلبهم مملوء من التعزية والرجاء بالحياة الابدية . وعليه جاءنى الغلام فاعطيته جزءا من الافخارستيا وقلت له أن يغمسه فى الماء و يضعه فى فم هذا الرجل الهرم فذهب الولد مسرعا الى البيت ومعه القطعة التى اعطيتها له ولما قرب من مدخل الباب كان سرابيون قد عاد اليه رشده فنهض قائلا « لقد جئت يا ابنى ولكن الشيخ لم يقدر على المجىء

فعليك اتمام ما أمرت به ومن ثم اطلقني بسلام فقد أبصرت عيناى خلاص الرب » قبل الشاب اللقمة ووضعها حالا فى فم أبيه فلم يلبث حتى ازدردها وفاضت روجه الى خالقها . الم يكن هذا الرجل قد تاب توبة حقيقية والم يظل حيا الى أن نال المغفرة ومحيت جميع ذنوبه ؟ وهل يعتبر هذا الرجل التقى مؤمنا لاجل أعماله الصالحة الكثيرة التى عملها فى حياته وعند موته ؟ » أهـ .

القــرن الرابــع
القسم الاول
تاريخ البطاركة

(١) بطرس[١] (٢) ارشلاوس (٣) الكسندروس[١]
(٤) أثناسيوس[١] (٥) بطرس[٢] (٦) تيموثاؤس[١]
(٧) ثاوفيلس

١ ــ بطرس أــ البطريرك السابع عشر:

كان تلميذا للبابا ثاؤنا وتربى تربيه صحيحة فى المدرسة اللاهوتية التى كان يديرها يومئذ القس أرشلاوس ورسمه البطريرك شماسا ولما رأى عفافه وعلمه صيره قسا وكان ملازما خدمة الكنيسة ليلا ونهارا معتبرا من الجميع لاجل قداسة سيرته وجزيل علمه وغيرته على انتشار الايمان الاقدس . واتفق ان سابليوس الهرطوقى جاء يوما الى الكنيسة طالبا البطريرك ليجادله فارسل اليه البابا ثاؤنا القس بطرس فازدرى سابليوس بالبطريرك اذا أرسل له شابا حقيرا ليجادله فأجابه القديس بطرس «اذا كنت أظهر أمامك صغيرا فاننى عند الرب كبير والرب يظهر كفرك به اليوم وينصرنى عليك كما نصر داود النبى على جليات الجبار» ثم أخذ يناضله و يناظره فى الحقائق الدينية حتى أفحمه وأخرجه مخزيا أمام الجميع .

وحدث أيضا فى أحد الاعياد بينما كان البابا ثاؤنا محتفلا باقامة الاسرار وقف انسان به شيطان وجعل يرجم المؤمنين بالحجارة و يزأر مثل الوحوش فهرب الشعب منه الى داخل البيعة وعلم البطريرك بحال المجنون فقال للقديس بطرس اذهب اليه واطرد عنه هذا الشيطان فأخذ أناء مملوءا بالماء وقدمة الى الآب البطريرك وطلب اليه أن يرشمه بعلامة الصليب ففعل وخرج بطرس الى الرجل وانتهر الشيطان باسم الرب يسوع فخرج منه للحال .

ولما ارتقى القديس بطرس كاثدرا (١) مرقس الرسول فى شهر أمشير سنة ١٧ ش و ٣٠٠ م فى عهد ديوكلتيانوس قيصر خلفا لمعلمه البابا ثاؤنا ضاعف جهاده ولبث مواظبا على خدمة ربه بكل أمانة . و بعد نهاية القرن الثالث كان اضطهاد الكنيسة فى مصر بالغا أشده فى عهد ديوكلتيانوس ومكسيميان . فرأى البطريرك القديس رعيته فى خطر عظيم فبعضهم قتل و بعضهم

---

(١) كاثدرا كلمة يونانية معناها كرسى البطريرك أو المطران

هرب الى البرارى والكهوف ولذلك طاف بلاده كلها يشجع الضعفاء فى الايمان و يعزى المعترفين فى السجون و يسعفهم و يرجع الى الحظيرة الخراف الضالة أى الذين كانوا تركوا الايمان الصحيح خوف العذاب حاثا اياهم على الصلاة والصوم ليستقبلوا الموت ببأس شديد وجأش رابط وما أتى الى مدينة ليكو بوليس (١) حتى أخذ منه الحزن مأخذ شديدا لما رأى اسقفها ميليتس قد كفر بالايمان وسالم الوثنيين ثم سجد لاصنامهم . وقد أفرغ القديس جهده كله فى أن يرد هذا الاسقف الى التوبة فلم ينتصح ولم يتب بل شق عصا الطاعة على رئيسه وطفق يشنع عليه و يرميه بتهم باطلة . وقد ازداد شرا حتى ابتدع بدعا رديئة بسببها انفصل من الكنيسة مع من تحز بوا له مما حدا بالقديس بطرس الى عقد مجمع فى الاسكندر ية سنة ٣٠٦ م حكم فيه بقطع ميليتس ومن شايعه وكل ما سيرد ذكره فى الكلام على البدع والهرطقات .

وفى سنة ٣٠٧ م لما قرب عيد القيامة تقدم الى البطر يرك أولئك الذين كانوا قد جحدوا الايمان ثم ندموا ومارسوا لاجل سقطتهم توبة مستطيلة وطلبوا بدموع والحاح أن يحلهم و يقبلهم فى الكنيسة . فاهتم البابا بطرس باعداد المنشور الذى كان يصدر سنو يا فى عيد الفصح وضمنه التو بة التى بموجبها يقبل الذين سقطوا فى مدة الاضطهاد الى حضن الكنيسة . وهذه هى القوانين نذكرها بالايجاز (٢) :

١ — جميع الذين زلوا فى بداءة الاضطهاد لشدة ما قاسوه من العذاب المر يع ثم اظهروا تو بة وندامة فى اثناء الثلاث سنوات الماضية يجوز قبولهم فى الكنيسة يوم العيد الآتى وذلك بعد أن يصوموا ار بعين يوما صوما عنيفا .

٢ — جميع الذين عثروا فى ايمانهم لداعى سجنهم فقط دون أن يعذبوا عذابا شديدا يجب ان تعطى لهم سنة كاملة يظهرون فيها التوبة الحقيقية قبل قبولهم فى حضن الكنيسة .

٣ — كل الذين ارتدوا عن الايمان لمجرد الخوف والوهم فقط ولم يذوقوا عذابا تعطى لهم ار بع سنوات ليبرهنوا فيها على التوبة والندامة .

٤ — جميع الذين ارتدوا ولم يعودوا يطلبون التوبة والانضمام الى الكنيسة فلا يوجد قانون لهم بل حرى بالكنيسة أن تبكيهم وترثى لحالهم .

٥ — الذين نجوا من العذاب او الموت لتظاهرهم بالبله او الصرع او اية حيلة اخرى تمنح لهم مهلة ستة شهور فيها يكفرون عن سيئاتهم .

٦ — العبيد الذين اجبرهم مواليهم للتقدم للمحاكمة عوضا عنهم ثم سقطوا فى هذه التجر بة ينبغى ان يبرهنوا على توبتهم باعمالهم فى بحر سنة .

---

(١) هى أسيوط الحالية وكانت أول أسقفية فى القطر المصرى بعد الاسكندر ية

(٢) هذه القوانين أيدها البابا بطرس بالشواهد والادلة الكتابية وقد بقيت معمولا بها فى جميع الكنائس الارثوذكسية فى العالم أجمع حتى بعد الانشقاق

٧ ــ الموالى الذين فعلوا ما تقدم تفرض عليهم ثلاث سنين توبة .

٨ ــ جميع الذين عثروا ثم عادوا فاصلحوا خطأهم حالا بان قدموا انفسهم للسجن وللعذاب يجب قبولهم فى عضوية الكنيسة بدون فحص او قصاص .

٩ ــ كل الذين قدموا أنفسهم للاخطار طوعا واختيارا دون أن ينتظروا القاء القبض عليهم او يصبروا حتى يرى ما يحل بهم لا تصح محاكمتهم ومقاصتهم بل يكتفى بتذكيرهم ان المسيح ورسله لم يعملوا هكذا ولم يلقوا بأنفسهم فى الهلاك أما الذين سقطوا من هذه الفئة المشار اليها فاذا كانوا من الاكليروس الذين طلبوا العودة الى حضن الكنيسة فلا يجب قبولهم فى الوظائف الكهنوتية ثانية . بل يقبلون كأعضاء فى الكنيسة فقط .

١٠ ــ أولئك الذين أنكروا حيثياتهم وأشخاصهم لاجل تشجيع الاخرين وتقوية ايمانهم فى أوقات الاضطهاد فهم قد أتوا عملا حسنا فلا لوم عليهم ولا تثريب .

١١ ــ جميع الذين افتدوا أنفسهم بدراهم دفعوها فداء عنهم فلا يلامونُ قط .

١٢ ــ لا شيء على الذين نجوا بواسطة هربهم من الموت ولا قصاص عليهم .

١٣ ــ جميع الذين أجبروا اجبارا لكي يذبحوا للاوثان والذين افقدهم العذاب شعورهم واحساسهم فأصبحوا لا يدركون يجب اعتبارهم فى درجة الذين اعترفوا بالمسيح تماما ما داموا فعلوا ما فعلوه بدون ارادتهم . فاذا كانوا من الاكليروس يعادون الى وظائفهم كما كانوا . أهـ

وكان اريوس الهرطوقى فى بدء أمره تابعا لبدعة ميليتس المذكور وتلميذا له غير أنه انفصل عنه وأتى الى البطريرك وأعلن خضوعه له فقبله وسامه شماسا ثم صار فيما بعد قسا وارتقى الى وظيفة واعظ لفصاحته . الا أنه فى وعظه كان يمزج معظم كلامه بأقوال فلسفية تتناقض مع حقائق الدين المسيحى الصحيحة . واتفق انه كان يخطب يوما بحضرة البطريرك فتاه فى أقواله والقى هذه العبارة على مسمع منه وهى « ان ابن الله كائن بعد ان لم يكن » فتبادر لذهن البطريرك فى مبدأ الامر انه يقصد بهذا القول عن المسيح بالنسبة الى ناسوته المأخوذ من العذراء . ولكن معنى هذه العبارة تردد كثيرا بفم اريوس ولدى سؤال البطريرك اياه عن مراده بهذا القول اتضح له انه سقط فى بدعة شنيعة . وبعد أن أكثر له النصح بدون أن يهتدى جرده من وظيفته وأصدر قرارا بحرمانه وقطعه من شركة الكنيسة ووقع عليه هو ومن كان حاضرا معه من الاساقفة

وفى سنة ٣١١ م أمر القيصر مكسيميان دارا بالقبض على القديس البطريرك وسبب ذلك ان امرأة انطاكية لمسيحى عبد الاوثان قامت للاسكندرية لتعمد ولديها فهاج عليها البحر وخشيت ان يموتا بلا عماد فشرطت ثدييها بمدية وصلبت على جبينيهما وقلبيهما ولما نجت وأتت البابا بطرس وجد مياه المعمودية حال عمادهما قد غاصت فسألها عن السبب فقصت له قصتها فأمن على عمادهما

واكتفى بأن باركها . فشكى الرجل الوثنى أمرأته للقيصر بأنها ذهبت لترتكب المنكر مع المسيحيين وسأل القيصر عن رئيس المسيحيين فقيل له هو البابا بطرس وقد كان مملوءا عليه حنقا بسبب ما وضعه من الكتب تقبيحا لعبادة الاوثان وما كتبه من الرسائل الى المسيحيين يشددهم فى أوقات الاضطهاد . أما المرأة فلما رجعت لزوجها عرض عليها القيصر السجود للاصنام فابت فأمر بحرقها وولداها معها فحرقوا فلأجل ذلك حضر مكسيميان شريك ديوكلتيان فى الملك بنفسه الى مصر لينتقم من البطريرك و بعد أن استعمل اقصى نوع من العذاب للفتك بمسيحيى مصر قبض على البابا بطرس وطرحه فى السجن وأمر بقطع رأسه ان أبى السجود للاصنام الا أنه لم يسأله أحد عن ذلك لعلم الجميع أنه يختار أن يموت ألف مرة أفضل من أن يجحد السيد المسيح

ولما بلغ هذا الخبر مسامع المؤمنين اضطربوا اضطرابا شديدا وتجمهروا جميعهم على باب السجن قاصدين انقاذه من مخالب الموت . فلما جاء الجنود الى السجن ليأخذوه الى مكان القتل صاحت جماهير المسيحيين المحتشدة على باب السجن قائلة « اذا قتلنا كلنا حينئذ تؤخذ رأسه » فلما رأى ذلك القائد المكلف بقتل القديس خشى حدوث قلق وشغب فأبقى الامر الى الغد آملا ان ينصرف المسيحيون الى بيوتهم فى الليل ولكن أمله خاب اذ استمروا جميعهم محافظين على راعيهم

ولما علم اريوس الكافر أن الملك مصمم على قتل البطريرك خاف أن يتنيح قبل أن يحله و يبقى هو مربوطا و يقفل فى وجهه باب الارتقاء للوظائف الكهنوتية فتوسل الى بعض الاكليروس ووجوه الشعب أن يصالحوه مع البطريرك قبل موته . فظنوا أن هذا الطلب رجوع منه الى الصواب ومضوا الى القديس بطرس وسألوه أن يحل اريوس من رباطه فصرخ البطريرك بصوت عظيم وقال « تسألوننى فى أريوس » ثم رفع يديه وقال « فى هذا الزمان وفى الآتى يكون ممنوعا من مجد ابن الله سيدنا يسوع المسيح » فلما قال هذا نزل عليهم خوف عظيم ولم يجسر أحد أن يكلمه . فلما رآهم قد خافوا منه طيب نفوسهم ونهض من وسطهم وأخذ معه الشيخين ارشلاوس والاكسندروس تلميذيه وانفرد بهما قال لهما « الله اله السموات يعيننى على اكمال شهادتى فلن تعودا تريانني بعد هذا اليوم فى الجسد وأنت يا ارشلاوس القس تكون بطريركا بعدى واخوك الاكسندروس بعدك . ولا تقولا انى عديم الرحمة من أجل أريوس فان فيه مكرا مخفيا . ولست أنا الذى حرمته بل السيد المسيح لانى فى هذه الليلة لما أكملت صلاتى ونمت رأيت شابا قد دخل على ووجهه يضيء كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به الى رجليه وهو مشقوق وقد أمسك بيده القطعة الممزقة فصرخت وقلت « يا سيدى من الذى شق ثوبك » فاجابنى « أريوس هو الذى مزق ثوبى فلا تقبله . واليوم يأتيك قوم طالبين منك أرجاعه فلا تطعهم واوصى ارشلاوس والاكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما » أهـ

ولما انتهى من كلامه وقع على عنقيهما وقبلهما . وكان يقبلان يديه و يودعانه بالبكاء لاجل

قوله انكما لن تر ياني بعد اليوم في الجسد . ثم عاد الى الجمع الذى كان قائما فوقف معهم وخاطبهم وقواهم وصلى عليهم و باركهم وعزاهم وصرفهم بسلام

اما القائد فكان يفكر في كيف يخرجه من السجن خفية حتى لا يتكاثر عليه المسيحيون ويختطفونه منه أو يموت خلق كثير بسببه من المجتمعين على الباب من الشيوخ والشبان والرهبان والنساء والعذارى الذين يبكون بدموع غز يرة فلما شعر القديس بطرس بذلك انفذ الى القائد سرا وقال له : تعال الليلة الى حائط السجن الذى ادقه لك من داخل وانقبه من الجهة التي لا يقيم المسيحيون بازائها وهكذا يسهل عليك أخذى الى المكان المعين من الملك لقتلى . ولا ر يب أن هذا الكلام العجيب الذى لم يسمع بمثله قط أدهش عقل القائد فعمل كما أشار عليه وخرج القديس مع الجند الى المكان المدعو بوكاليا وهو الموضع الذى تمت فيه شهادة القديس مار مرقس الانجيلي فطلب منهم البطر يرك أن يتركوه يذهب الى حيث جسد مار مرقس للتبرك منه فسمحوا له وهناك اخذ يصلى طالبا من الله ازالة الاضطهاد . قيل أن وقت صلاته كان بالقرب من القبر مسكن صبية عذراء وأبوها رجل شيخ وكانت قائمة تصلى ولما تمت صلاتها سمعت صوتا من السماء يقول « بطرس أول اسماء الرسل و بطرس آخر شهداء الاسكندر ية » وقد تم هذا الكلام بانه بعد وفاة القديس لم يستشهد غيره من بطاركة الاسكندر ية قتلا بايدى الوثنيين

ولما أتم القديس صلاته تقدم الى الجنود فنظروا وجهه كوجه ملاك ثم رفع يديه وصلى الى الرب وصلب على وجهه وقال آمين وخلع بلينه وكشف رقبته الطاهرة وقال لهم افعلوا ما أمرتم به ، فتراجعوا الى الوراء مندهشين من تسليمه نفسه للموت بمثل هذه الشجاعة ولم يجسر أحد أن يضرب عنقه . غير أن القائد دفع أخيرا لاحدهم خمس قطع من ذهب فتقدم وقطع هامة القديس في ٢٩ هاتور سنة ٢٨ و ٣١١ م وكانت مدة مقامه على الكرسي ١١ سنة

ولما أصبح الصباح وصل الخبر الى المسيحيين المحيطين بالسجن فمضوا اليه مسرعين و وجدوا جسده وثوبه عليه والشيخ والصبية العذراء جالسين يحفظانه فالصقوا الرأس بالجسد ونشروا عليه شعره وجمعوا دمه ولفوه في النطع « بساط من الأديم » الذى كان ينام عليه ومضوا به الى البيعة وأجلسوه على كرسي القديس مرقس ولما كان حيا لم يكن يرضى الجلوس عليه بل كان يجلس على درجات الكرسي السفلية تواضعا واكراما لسالفه الاول منشيء هذا الكرسي الرسولي العظيم

٢ — ارشلاوس . البطر يرك الثامن عشر :

ولد بالاسكندر ية وامتاز عن اترابه بعلمه وقداسة سيرته ولذلك صيره البابا ثاؤنا قسا وجعله رئيسا للمدرسة اللاهوتية . و بناء على وصية القديس بطرس أقيم بعده بطر يركا من شهر كيهك سنة ٢٧ ش و ٣١٢ في عهد قسطنطين قيصر وماتم أن جلس على الكرسي المرقسي حتى توسل اليه ار يوس بأن يعيده الى شركة الكنيسة . وتمكن ار يوس بمداهنته وتمليقه أن يستميل اليه وجهاء

الشعب وعظماءه وطلب منهم أن يتوسطوا اليه عند البطر يرك ليقبله فالتمسوا منه أن يشرك ار يوس فى الخدمة الكنيسة موهمين أياه بأنه تاب عن كل ذنوبه فقبل سؤالهم واعاده الى رتبته الاولى التى كانت له قبل وقوعه فى الهرطقة وهى وظيفة القسوسية ومباشرة الوعظ وبهذا العمل خالف هذا البطر يرك خلفه القديس بطرس ولعله أحسن الظن بار يوس لما رآه فيه من اللين المصطنع ومع ذلك فلم يشاء الرب أن يبقى ارشلاوس سوى ستة شهور ومات بعدها فى ١٩ بؤونة سنة ٢٩ ش و٣١٢ م و بعد موته رشح أر يوس نفسه لمركز البطر يركية ولكن الاكليروس والشعب لم يتفقوا على ذلك

٣ ـ الاكسندروس ١ ـ البطر يرك التاسع عشر:

ارتفع الى كرسى البطر يركية بعد موت ارشلاوس بمقتضى وصية القديس بطرس آخر الشهداء فى شهر أبيب سنة ٢٩ ش و٣١٣ م فى عهد قسطنطين وهو مولود بالاسكندر ية ورسم قسا بها وحال انتخابه للبطر يركية كان قد وصل الى سن الشيخوخة ورغما عن ذلك أخذ يستخدم علمه وتقواه فى خدمة الله بكل نشاط واخلاص . وكان الشعب يلقبه بالقديس والفقراء يدعونه أبا المساكين . وروى الانبا ساو يرس المؤرخ أن أثناسيوس الرسولى البطر يرك الـ ٢٠ روى عن البابا الاكسندروس أنه ما كان يقرأ قط فى الانجيل جالسا بل واقفا والضوء أمامه . ولكن أفضل ما اشتهر به هو غيرته الشديدة على حفظ الايمان المستقيم ومحاربته للهراطقة ولا سيما الذين انكروا لاهوت المسيح

وهذه الغيرة كانت له منذ حداثته فقبل جلوسه على كرسى البطر يركية كان قوى المعارضة والمقاومة لحزب ميليتس أسقف ليكو بولى المار ذكره ولهذا بعد وفاة أرشلاوس البطر يرك اجتهد أولئك حتى لا يكون الاكسندروس بطر يرك وكانوا يقدمون عوضه ار يوس المنافق غير أن الله احبط مسعاهم . وقيل أن ار يوس حاول ان يدخل اليه ليتمكن من خداعه كما خدع سلفه فقال البابا الاكسندروس قولوا له أوصانى ابى « ير يد البابا بطرس » ان لا اقبلك فلا تدخل الى ولا اجتمع بك وذلك بأمر السيد المسيح فاعترف للمخلص بخطيئتك فاذا اقبلك فهو يأمرنى بقبولك فغضب أر يوس من البابا غضبا عظيما لاسيما لما رأى أن الشعب فضله عليه واضطرم قلبه بنار الحسد ولكونه لم يجد البطر يرك ملوما فى سيرته اجتهد فى دحض تعليمه ووضع مقالات تجديف وكفر بلسانه المستحق القطع فقال ان ابن الله مخلوق

وحدث أن البابا الاكسندروس ألقى خطبه مبنية على اقامة المسيح للموتى و بين للسامعين سلطانه فقاطعه ار يوس بأن هذا ليس من تعليم الانجيل فاستمر البطر يرك يعظ غير مبال بكلامه فرد ار يوس عليه فى الاحد التالى بموعظة موضوعها « أبى أعظم منى »

وكان هذا الخبيث قد تمكن بفصاحته الشيطانية أن يجتذب اليه أسقفين و بعض القسوس البسطاء والشعب الساذج و بتظاهره الكاذب أى باظهاره روح العبادة خدع عابدات كثيرات من

النساء والبنات والراهبات وأخذ ينشر بواسطتهم بدعته الشنيعة فتقدمت فى حقه الشكاية للبابا الاكسندروس فاسرع هذا القديس فى العمل على ايقاف تيار تلك البدعة فجمع الاساقفة الموجودين بالاسكندرية سنة ٣١٩م و بعد فحص تعليم اريوس بان الابن مولود من الآب فلا يمكن أن يكون مساويا له فى الازلية حكموا بأن يقلع عنه و يكف عن نشره واجتهدوا فى رده عن ضلاله بواسطة النصائح المقرونة بروح الوداعة والمحبة ووقع على الحكم ٣٦ قسيسا و٤٤ شماسا الا أن هذه الملاطفة زادته تكبرا وجسارة فشرع يعلم جهارا مستعملا كل نوع من الخداع لاستمالة القلوب اليه : وكان يدعى أن تعليمه هذا لا يدحض سوى هرطقة سابليوس . وبهذه الحيلة توصل الى اغراء كثيرين لا سيما ذوى السيرة الرديئة

فرأى البطريرك أن الملاينة لم تنفعه فعقد مجمعا ثانيا مؤلفا من مائة أسقف من ليبيا ومن مصر سنة ٣٢١م وحكم بحط اريوس من درجة الكهنوت وبحرمه و بدعته ومن يتشيع له . وأمضى هذا القرارا جميع أساقفة المجمع ما عدا أسقفين و١١ شماسا فقطعهم البطريرك وصدق على قرار المجمع الاول وأبلغ الحكم الى أريوس فأسرع هذا و بعث برسالة الى صديقه اوسابيوس أسقف نيكوميديا يوقفه فيها على الحكم الصادر ضده يقول له بلهجة الثعالب : « الى سيدى العزيز رجل الله الامين الارثوذكسى اوسابيوس يسلم بالرب اريوس المضطهد من الاسقف اسكندر بسبب الحق الذى يعلوعلى الجميع الذى أنت تحامى عنه أيضا . بما أن مونيوس منطلق الى نيكوميديا رأيت لائقا أن أكتب لك معه وأخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسهما للاخوة لاجل الله ومسيحه أن الاسقف يضطهدنا كثيرا ويهيج الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله لاننا لا نتفق معه فى اعلانه الجهارى بأن الله أزلى والابن أزلى و بأن الآب دائما آب والابن دائما ابن وان الابن من الله ذاته . وبما أن أخاك اوسابيوس القيصرى وثيودوتوس و بولينوس وأثناسيوس واغريغوريوس وأثيتس وكل أهل الشرق يقولون أن الله كان قبل الابن و بدون بداية فهم محرومون الا فيلوغونيوس وهيلانيكس ومكاريوس الاميون الهراطقة الذين يقول أحدهم أن الابن ضياء الآب . والآخر انه شعاعة منه والآخر انه مساو للآب فى كونه غير مولود . فهذا الكفر لا تطيق آذاننا استماعه ولو هددنا الهراطقة بألف ميتة ما نقوله نحن ولا نعتقد به . وقد علمنا ولا نزال نعلمه أن الابن ليس غير مولود . ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما . ولا صنع من مادة دون . بل بالارادة والقصد وجد من قبل كل الدهور وقبل كل العالمين . اله تام . المولود الوحيد الغير المتغير . وانه قبل أن ولد أو خلق أو قصد به أو ثبت لم يكن له وجود . لأنه لم يكن غير مولود قط . اننا نضطهد لاننا نقول ان للابن بداية ولكن الله بدون بداية ونضطهد أيضا لاننا نقول انه من العدم . وهذا نقوله لا أنه ليس جزءا من الله ولا صنع من مادة دون . فعلى هذا نضطهد وأنت تعلم البقية . استودعك الله » أهـ

وقد كتب البابا الاكسندروس الى صديقه الاكسندروس أسقف البيزنطية (القسطنطينية) رسالة أتى فيها على تفاصيل بدعة أريوس وحزبه اذ ينكرون لاهوت مخلصنا و يقولون انه على حد

سـواء مع كل المخلوقات قال : انهم اعتقدوا بأنه وجد وقت لم يوجد فيه ابن الله وذاك الذى لم يكن له وجـود وجد بعدئذ ومنذئذ وجد كما يوجد كل انسان طبعا لأنهم يقولون أن الله عمل كل الاشياء من العـدم مـدخـلين ابـن الله فـى هـذه الخليقة لكل الاشياء العاقلة والغير العاقلة ومن المعلوم يقولون انه بـطـبيـعة قابلة التغير والفضيلة والرذيلة . فهذا التعليم الثائر الآن على تقوى الكنيسة هو تعليم ابيبون وارطيماس وهو نظير تعليم بولس السيماساطى » ثم يذكر البابا اسكندر اراءه كما يأتى :

« اننا نؤمن كما تؤمن الكنيسة الرسولية بالاب الوحيد الغير المولود الواجب الوجود وهو عديم الـتغير والـزوال هـو هـو و بـغـايـة الكـمـال لا يـشـو بـه ز يـادة ولا نـقـصـان معطى الشر يعة والانبياء والانـاجـيل . رب الآباء والرسل وكل القديسين . و برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . ليس مولـودا من العدم بل من الاب الحى وليس حسب الجسد الهيولى بتفر يق وفيضان الاجزاء كما زعم سـابـلـيوس وفالنتيان بل بنوع لايدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذى ذكرناه سابقا . فمن يخبر بجيله لان وجـوده غير مـدرك عـنـد كل الكائنات المائته كما أن الاب غير مدرك لان العقول المخلوقة لا تقدر أن تـفـهـم هذه الولادة الالهية من الآب لا أحد يعرف من هو الآب الا الابن ولا أحد يعرف من هو الابـن الا الآب . فـانـه غير مـتغير كما أن الآب غير متغير لا ينقص عن الآب شيئا سوى انه ليس غير مولود فهو الابن الكامل وصورة الآب التامة . لهذا يجب أن تحفظ للآب غير المولود العظمة اللائقة به . وللابن يجب أن تقدم أيضا الكرامة اللائقة بانتدابنا له الولادة الازلية من الآب » أهـ

ولم يـرضـخ ار يوس للحكم بل ثابر على الخطابة والوعظ مثبتا تعليمه ومباشرا الخدمة الدينية فـاسـتـمـال اليه الكثير ين وكون له حز با ابليسيا حتى اضطر البطر يرك أن يطرده من الاسكندر ية هـو والاسقفين المذكور ين وشماسين أحدهما يسمى « أونر يوس » كان عضدا كبيرا لار يوس فغادر ار يـوس الاسكندر ية قاصدا فلسطين وأخذ يغتاب القديس الاكسندروس و يشنع عليه مظهرا نفسه بين الارثـوذكـسـيين أرثـوذكـسـيـا و بذلك أثر على كثير ين وجمع له عددا من الاصدقاء على رأسهم اوسـابـيـوس أسـقـف نيكوميديا الذى كان ذا صولة عظيمة . وأوسابيوس أسقف قيصر ية وأوسيوس أسـقـف بـيـسـيـديـة و بـوليوس أسقف صور واغر يغور يوس أسقف بيروت وجميعهم سمحوا له بعقد جـمـعـيـات ديـنـيـة فى أبروشيات مختلفة ليكثر عدد معتنقى بدعته فضلا عن وجود أنصار له من كهنة الاسكندر ية

قـيـل انـه كـان يـنـشر بـدعـتـه بواسطة التلحين لما كان يعلمه من تأثير الصوت فى النفس . فـأثبت قطعا مشو به بـسموم هرطقته فى كتاب معروف باسم « تاليا » ووقعها على الآلات الموسيقية وعـلـمـهـا لـلـشعب الذى كان يتغنى بها صباح مساء . وفى وقت وجيز امتلأت بلاد الشرق بمؤلفات مـشـحـونـة بـهـرطقات ار يوس و بالتنديد على بطر يرك الاسكندر ية وكان ذلك قبل أن يتمكن هذا الـقـديـس من أن يعرف أهل كنائس الشرق بشقاق وسوء نيته فكتب اليه الاساقفة يطلبون منه أن يـسحب حكمه على ار يوس فرد عليهم برسائل مملوءة من الحكمة والعمل مبنية على (يو ١ : ١) « فى

البهي كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » فقال هذه الآية قد اوقفت العقل البشرى عند حد الاسرار الالهية فان يوحنا البشير لم يستحسن البحث فى ميلاد الابن لأن جوهر الكلمة الذى لا يكيف يفوق ادراك البشر بين بل الملائكة ولذلك لا أظن أنه يجب على أن اعد فى صفوف الاتقياء أولئك الذين يطلبون ما وراء ذلك ولا يلتفتون لما هو مكتوب « يارب لم يرتفع قلبى ولم تستعل عيناى ولم أسلك فى العظائم ولا فى عجائب فوقى » (مزمور ١٣١ : ١ و٢) أهـ

فهكذا لما احس هذا البابا بالشر المتفاقم من جراء أعمال اريوس اتخذطريقة فعالة لأيقافه عند حده ومنع سريان بدعته فكتب تلك الرسائل الانجيلية المحضة الى أساقفة كل الكنائس أوضح فيها الاسباب التى حملته على حرمان أريوس وقطعه من شركة المؤمنين وكيف أنه لا يسمح بقبوله مرة أخرى ما دام مصرا على ضلاله فاقتنع بعض الاساقفة بأقوال الكسندروس ورجعوا الى التمسك بالحق الا أن اشياع أريوس عقدوا مجمعين الاول فى بيثينة سنة ٣٢٢م والثانى فى فلسطين سنة ٣٢٣م قرروا فيهما لغو الحكم الصادر على أريوس من بطريرك الاسكندرية و بناء على هذا القرار رجع أريوس الى الاسكندرية لينازع مستقيمي الرأى فأستفحل الخلاف بين أنصاره و بين أنصار البطريرك وقد انتهت بهم الحال الى المجادلة على قارعة الطريق حتى أصبحوا هزءا لناظريهم من الوثنيين . فاضطر البطريرك تلقاء هذا الاضطراب أن يشهر حرمان أريوس و يطرده من المدينة مرة ثانية وقام أيضا تلميذ البطريرك الاسكندرى الشماس أثناسيوس بكتابة المنشور السنوى ضد بدعة أريوس و بين أن تعليمه يأول الى تعدد الالهة وقياس الغير المحدود بمقاييس بشرية والايمان ببعض الكتاب دون البعض الآخر ووقع هذا المنشور ٣٦ كاهنا و٤٤ شماسا . وكان لاوسابيوس أسقف نيكوميديا المذكور كرامة عند كونسطاسيا أخت الملك قسطنطين الكبير الذى كان حينئذ ساكنا فى نيكوميديا . فتمكن بواسطتها أن يستميل قسطنطين الملك الى أريوس . وكان الملك يعرف شيخا جليلا كان عمره حينئذ ٦٧ سنة من رؤساء الاساقفة اسمه أوسيوس أسقف قرطبة من اسبانيا الذى كان قد اعترف بالايمان فى عهد اضطهاد مكسيميان . وكان مشهورا بسعة علمه ومزيد اطلاعه فأستدعاه اليه وأرسله الى الاسكندرية ليتوسط لدى بطريركها فى أمر صلحه مع أريوس وأرسل معه خطابا رقيقا الى الاخصام ينصحهم فيه بأن يكفوا عن النزاع . وكان قسطنطين بسبب خداع أخته وأسقف نيكوميديا له ينظر الى أريوس كأنسان صالح ولذلك طلب من البابا الكسندروس أن يمتنع عن اضطهاده ظلما وكتب الى أساقفة الشرق مظهرا لهم أن أريوس كاهن بار وغيور على الايمان المستقيم

ولما حضر أوسيوس أسقف قرطبة الى الاسكندرية عقد مجمعا سنة ٣٢٤م لم يتمكن فيه من عمل أى شيء فى سبيل الاتحاد وذلك لكثرة التعديات التى جرت من الاريوسيين على مستقيمى الايمان وحدثت مشاغبات حطمت فيها بعض تماثيل الامبراطور ولأجل ذلك اشترك أوسيوس مع الكسندروس فى حرمان أريوس فى ذلك المجمع وعاد أوسيوس الى نيكوميديا وأوقف الملك على

جلية الخبر وأن أريوس وأعوانه هم المخطئون وأعلن له رغبة البطريرك الاسكندرى فى اقامة مجمع عام وأنه وهو يصادق على هذا الاقتراح . فارتضى قسطنطين و بناء على ذلك التأم ذلك المجمع المشهور فى مدينة نيقية سنة ٢٣٥ م حضره القديس الكسندروس برافقه تلميذه أثناسيوس و بعد جدال طويل سيأتى فى محله حكم المجمع بقطع اريوس وأتباعه ونفيه الى الليريكون وأثبت كل ما فعله القديس الكسندروس ثم كتب المجمع رسالة الى كنيسة الاسكندرية وأثنى فيها كثيرا على جهاد بطريركها فرجع القديس الى كرسيه فقابله الاكليروس والشعب بما يستحقه من الاحترام والاجلال رجل ضحى بكل شيء حفظ نقاوة ايمان ابن الله . وكثيرون من الذين انخدعوا بأوهام اريوس رجعوا الى حظيرة الايمان المستقيم

ويقال ان هذا البطريك العظيم هو الذى كسر صنم النحاس الذى كان فى هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا فى ثانى عشر هاتور و يذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد البابا الكسندروس كسر هذا الصنم فنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف فى الحيلة الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميخائيل رئيس الملائكة فان هذا خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذى جرت عادة أهل البلاد على عمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوا على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم الملاك ميخائيل وجمع أحجارا من صنم هيكل سيرابيس وصنعها صليبا ولم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن احترقتها جيوس المعز لدين الله أبى تميم معد لما قدموا فى سنة ٣٥٨ هـ وكانت تسمى كنيسة القيامة واستمر عيد ميخائيل عند مسيحيى مصر باقيا يعمل فى كل سنة الى يومنا هذا

أما البابا الكسندروس البار فبعد خمسة أشهر من عودته من مجمع نيقية مرض المرض الاخير وأشار قبل موته على الكنيسة المصرية أن تختار بعد وفاته أثناسيوس تلميذه بطريركا .. وقيل أنه فى آخر ساعاته قال « باطلا يهرب أثناسيوس انه لا ينال مأربه » ففتشوا على أثناسيوس فوجدوا انه قد هرب حقا ثم رقد هذا الحبر الارثوذكسى الغيور فى ٢٤ برموده سنة ٤٣ ش و ٣٢٦ م

(٤) أثناسيوس :

١ — البطريرك العشرون . ولد بمدينة الاسكندرية سنة ٢٩٦ م من والدين مصريين (١) وثنيين كانا معتبرين لكثرة غناهما وشريف نسبهما وكان وحيدا لهما وتوفى والده وهو صغير وحينما بلغ سن الرشد أخذت والدته تحسن له الزواج وتغريه على قبوله بطرق مختلفة وما كانت ترى منه الا الرفض والاباء مع حسن منظره وحدة صباه حتى قيل انها سلطت عليه مرة احدى البغيات لتفسد عفته وتستولى على ثباته فلم تفلح وكانت تأخذ البنات الحسان وتزينهن وتدخلهم عليه فى مرقده فكان اذا استيقظ ضربهم وطردهن وذلك لان هذا الغلام كان قد سر من عشرة أولاد المسيحيين الاتقياء الذين نذروا انفسهم للرب ورغب أن يكون واحداً منهم ولما شكت أمره لرجل ساحر وثنى طلب أن يأكل معه فأولت لهما وليمة عظيمة و بعد ذلك قال الفيلسوف الوثنى لا تتعبى نفسك فان ابنك يتبع طريق الجليلى فأخذت تبحث عن هذا الجليلى حتى أهتدت الى القديس الكسندروس البطريرك فبشرها باسم المسيح ونالت على يده المعموذية مع أبنها

وذات يوم بينما كان البابا الكسندروس منتظرا مجىء بعض الاكليروس لتناول الطعام معهم وكان جالس فى شرفة تطل على البحر حيث كان بعض الغلمان يلعبون . و بعد أن تأملهم جيدا وجدهم يعمدون بعضهم بحسب نظام الترتيب الكنسى تماما . ولما جاء الاكليروس أمرهم باستدعاء أولئك الغلمان فلما مثلوا أمامه رأى ما هو أعجب وذلك أن أحد هؤلاء الاولاد وهو أثناسيوس كان يجرى العماد بالطريقة القانونية لأترابه الوثنيين الذين لم يكونوا قد تعمدوا بعد و بعد مناقشة دارت بين البطريرك واكليروسه اتفق رأيهم على الاعتراف بصحة ذلك العماد والاكتفاء باجراء خدمة التثبيت للمتعمدين . ثم رشحوا اثناسيوس و بعض الاولاد الذى اشتركوا معه فى اجراء هذه الفريضة الى رتبة الكهنوت

والمستفاد من كل ذلك أن نجابة اثناسيوس وحذاقته ظهرتا عليه منذ حداثته وقد استكشف ذلك فيه معلمه الكسندروس البطريرك ولهذا أخذه من أمه ووضعه فى الدار البطريركية واعتنى بتهذيبه وتثقيف عقله بالعلوم فبرع براعة عجيبة ونال حظا وافرا من العلوم اللاهوتية والفلسفية حتى

---

(١) يدلك على قبطية اثناسيوس تتلمذه للقديس انطونيوس الذى لم يكن يعرف غير اللغة القبطية . ولما كان اثناسيوس بروميه بعث لرهبان مصر برسالة مكتوبة بلغتهم ولغته القبطية . وقال مؤلف كتاب « الدر المنظوم » ص ٣٠ وهو مارونى « ان اثناسيوس لما كان يكتب باللغة اليونانية أحصى بين أبناء الكنيسة اليونانية مع كونه قبطيا » أهـ وقال العلامة ستانلى « ان أوصاف شعره تشبه أوصاف شعر المومياءات المصرية المحنطة أى « شعر خفيف أسمر اللون ضارب الى الحمرة » ولا عبرة بأن اسمه قد يغرى على الحكم بأنه يونانى اذ نجد فى التاريخ اسما يونانيا بحتا مثل « انطون » قد تسمى به شخص لا مشاحة فى انه قبطى صميم » أهـ (الكرمة ٩ : ٤ ص ١٨٤)

غدا علامة بين أهل عصره . هذا فضلا عما كان متوشحا به من التقوى والقداسة . وقيل أنه تتلمذ للقديس انطونيوس ابى الرهبان واقتبس عنه فضائل النساك والمتعبدين . وكان يظهر فى كل وظيفة يتحصل عليها ما يؤهله لنوال أعظم منها فاذ كان تلميذا أصدر سنة ٣١٨م رسالة ضد الوثنيين دلت على غزارة مادته وقوة حجته فكان ذلك سببا فى أن أعجب به البابا الكسندروس فسامه شماسا و بعد ذلك صار رئيس شمامسة الكرسي البطر يركى سنة ٣١٩م ثم صار مساعد البطر يرك يحيل عليه المشكلات والمعضلات ليكشف عن غوامضها وفى هذا الا ثناء ظهرت مواهب أثناسيوس مع حداثة سنه وهو الذى حضر المجمع الاسكندرى الملتئم سنة ٣١٩م وأمضى كرئيس شمامسة رسالة بطر يركه ضد ار يوس كما وجد اسمه محررا فى أكثر الرسائل البطر يركية . ثم تقدم فى ميدان الحرب مع أر يوس الهرطوقى فاستصحبه البطر يرك معه الى مجمع نيقيه وهناك أخذ اثناسيوس رئيس الشمامسة ومشير البطر يرك يفند آراء الار يوسيين و يبطل أدلتهم و يدحض براهينهم السفسطية وأظهر من الغيرة على أزلية المسيح ما جعله موضوع اعجاب آباء مجمع نيقية كلهم فاندهشوا من حذاقة لبه وصحة فكره حتى قيل ان قسطنطين الملك قال له قبل انفضاض المجمع كأنه يتنبأ له « أنت بطل كنيسة الله »

وقال سقراط المؤرخ الكنسي « ان فصاحة اثناسيوس فى المجمع النيقاوى قد جرت عليه كل البلايا التى صادفته فى حياته » ومع ان آباء المجمع احتجوا على وجوده بصفته رئيس شمامسة فقط لكنه بعد افتتاح الجلسة صار يتكلم ويحاج خصومه كأنه هو بابا الاسكندر ية بعينه

و بعد نياحة البابا الكسندروس انتخب اثناسيوس خلفا له بناء على وصيته ومع ان اثناسيوس حاول الافلات من عبء هذه الوظيفة المحفوفة بالمشقات الا أن الكنيسة لم تجد من يليق لها أكثر منه فبحثوا عنه كثيرا حتى وجدوه فى مكان اختبأ به فأحضروه بفرح شديد ورفعوه الى رتبة البطر يركية فى أواخر سنة ٣٢٦ م وفى شهر بشنس سنة ٤٣ ش فى عهد قسطنطين قيصر وكان عمره وقتئذ ٢٨ سنة ووضع عليه الايدى لاول مرة خمسون أسقفا من أساقفة الكراسى المجاورة وقد حاول الار يوسيون أن يمنعوا انتخابه خوفا من مقاومته لهم فلم يفلحوا

هذا هو اثناسيوس بطل الارثوذكسية العظيم الذى قيل ان الله انتخبه لير يه كم ينبغى أن يتألم من أجله اسمه . فلم يكد يعتلى الكرسى المرقسى حتى تألب الار يوسيون لاسقاطه فوشوا به الى الملك قسطنطين الكبير بان ارتسامه لم يكن قانونيا ولكن كثير ين من الارثوذكسيين أثبتوا حقيقة ارتسامه ومنهم القديس باخوميوس الناسك المصرى الذى حين ارتقاء البابا اثناسيوس الى الكرسى رأى رؤ يا وفيها قال روح الله « انى قد أقمت اثناسيوس عمودا ونورا لكنيستى وستناله شدائد وتلقى عليه تهم كثيرة لاجل مناضلته عن حق الديانة . . الا انه بالقوة الالهية يظفر بكل التجارب و يبشر الكنائس بحق الانجيل » وقد أخذت بشائر هذه النبوة تظهر حالما استلم هذا الحبر عصا الرعاية فانه

اخذ ينشر كلمة الانجيل داخل القطر وخارجه . وكان أول اثمار مجهوداته تأسيس كنيسة الحبشة ورسامة فرومنتيوس أسقفا عليها سنة ٣٣٠م الامر الذى سنفصله فى اعمال ابطال الكنيسة القبطية بقسم مشاهير الكنيسة

وانتهز البابا اثناسيوس فرصة السلام والهدوء فقام برحلة يتفقد فيها رعاياه ومضى فى سياحته لغاية أسوان فاستقبله تحت رئاسة الراهبين العظمين باخوميوس و بلامون استقبالا عظيما وهم يرنمون المزامير

وقد ابتدأ جهاد هذا البطل بسبب عودة المنازعات بشأن القضية الار يوسية وذلك ان كونسطاسيا شقيقة الملك أوصت أخاها وهى على فراش الموت بقس ار يوسى عتنت به دائما لانه كان أبا اعترافها فلما فاز هذا الكاهن الار يوسى برضاء الملك أخذ يقنعه بمساعدة أوسابيوس أسقف قيصرية ببراءة أر يوس وأنه نفى ظلما لان اعتقاده موافق لمعتقد المجمع النيقاوى . فجازت المكيدة على قسطنطين واستدعى ار يوس من منفاه فحضر وقدم للقيصر صورة ايمان ملتو كانت حسب الظاهر ارثوذكسية فرفضى قسطنطين بقبوله وأرسله بمكاتيب توصية الى الاساقفة باورشليم فقبلوه فى شركتهم اكراما لخاطر الملك . ثم عفى قسطنطين عن كل الاساقفة الذين كانوا قد نفوا بسبب الار يوسية . فما استقر هؤلاء الذئاب فى كراسيهم ولا سيما أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثيوغنيس أسقف نيقية حتى عقدوا مجمعا فى انطاكية سنة ٣٢٩م حكموا فيه بعزل بعض الاساقفة الارثوذكسيين بحجة انهم من أتباع سابليوس . ثم أخذوا توصية من الملك وصورة ايمان ار يوس وأرسلوهما معه الى الباب اثناسيوس ليقر بقبوله فى شركة الكنيسة

فلما اطلع البطر يرك الاسكندرى على التباس ار يوس أبى قبوله واعتبر رضى الاساقفة فى أورشليم والملك عنه مخالفة لقوانين الكنيسه ثم طرده من الاسكندر ية فرجع الى الملك بالخيبة والفشل . أما البطر يرك فبادر حالا وأرسل للملك رسالة يقول فيها « انه لا يمكنه أن يقبل فى كنيسته رؤوس الهراطقة المحرومين من المجمع النيقاوى وأن الكنيسة عموما لا تقبل فى شركتها اناسا ينكرون الوهية يسوع المسيح » أهـ فتوهم الملك انه يفعل ذلك لاختلاف شخصى بينه و بين أر يوس وكان الار يوسيون يسعون سعيا حثيثا ليلطخوا صيته عند الملك فطفقوا يشنعون عليه بأنه وضع على مدينة مصر ضر يبة جديدة لربح كنيسته ولعمل حلل بيضاء من الكتان (توانى) للاكليروس ولكن عناية الله سخرت له كاهنين كانا عند الملك وهما البيبوس ومكار يوس فبرآه من هذه التهمة وفوق ذلك حضرت سفارة من حزب ميليتس من الاسكندر ية عند الملك و وشت بالبطر يرك أيضا بأنه أرسل مبلغا وافرا من المال الى فليومنوس عدو المملكة الذى كان عازما أن يملك بلاد مصر وأقاموا ثلاثة شهود ادعوا ذلك . ومن دعاوى الار يوسين عليه أيضا انه كسر كأسا مكرسة وهدم كنيسة . فلأجل ذلك أمر الملك بأن يحضر البطر يرك و يبرىء نفسه مما قرفوه به و يدفع تلك

التهم عنه . فحضر وكذب كل ما قرفوه به وأظهر خبث أعدائه فرده الملك الى كنيسته ومدحه كثير في رسالة يقول فيها « انى قبلت باكرام اثناسيوس اسقفكم كقبولى رجل مُتنور من الله ومما سمعته منه ورأيت فيه فقد ظهر لى انه رجل جليل القدر وان كنسيتكم في احتياج اليه لانه عالى الهمة وذو عناية بحفظ الحق والديانة ومحب السلام وقابل للصواب » أهـ

فلم يكتف الار يوسيون بذلك بل ازداد هيجانهم ولفقوا ضد القديس تهما جديدة وقدموها الى الملك فلم يبال بهم هذه المرة بعد ما اتضح له كذبهم فى الدعاوى الاولى وحولهم على أخيه دلماتيوس ليسمع شكواهم و بناء على ذلك ذهب البطر يرك الى انطاكية وقدم الادلة على برائته بما أخجل أعداءه وسر بلهم بعار الكذب مرة أخرى ورجع الى مقر كرسيه بكرامته مصحو با بمكاتيب رسمية علقها على جدران الاماكن العمومية بالاسكندر ية اظهار لبراءته ولما لم ينجحوا بهذه الطر يقة أيضا دبروا مكيدة أخرى وهى انهم استدعوا الاساقفة الى عقد مجمع فى قيصر ية وفلسطين لفحص التهم الموجهة الى البطر يرك الاسكندرى واذ كان هذا القديس عالما باغراضهم امتنع عن الحضور ولكنه اضطر أخيرا بأمر الملك الى الحضور وأخذ معه ثمانية وأر بعين من أساقفته الى المجمع الذى كان قد انتقل الى مدينة صور وانعقد فى سنة ٣٣٤ م وكان أعضاؤه من أساقفة الشرق وأكثرهم أر يوسيين والمتقدم فى المجمع أوسابيوس أسقف قيصر ية المعروف بأنه من أشد أنصار ار يوس تعصبا له وأناب الملك عنه ديونيسيوس من كبار الموظفين وأرسل للمجمع كتابا يحمل فيه على اثناسيوس و يقر أعمال حزب أوسابيوس

فجاء القديس اثناسيوس الى المجمع ومع انه كان ينبغى أن يكون هو المتقدم فيه بالنسبة لاهمية مركز بطر يركيته الدينية والمدنية ولكنهم لم يسمحوا له أن يجلس مع الاساقفة . ولما رأى ذلك القديس بوتامون أسقف هراقليا نهض من كرسيه و بعين تذرف الدموع قال لاوسابيوس القيصرى « من يحتمل أن تكون أنت جالسا على كرسى التقدم واثناسيوس يقف كرجل مذنب أما تذكر أنى ألتقيت وأياك فى السجن فى زمن اضطهاد الوثنيين وانى من أجل الايمان عدمت عينى اليمنى وأنت خرجت سالما من السجن فكيف أمكنك الخروج سالما » أ هـ ثم تبعه القديس بفنوتيوس وأخذ معه القديس مكسيموس أسقف أورشليم وخرجا من المجمع والدموع تقطر من عيونهم فلم يهتم الار يوسيون بذلك بل شرعوا يعددون ما اخترعوه من التهم الفاسدة ضد القديس .

ومن تلك التهم انه اقترف اثم الفسق مع بتول راهبة وأدخلوا امرأة زانية ادعت فى مجمعهم بأن اثناسيوس اغتصبها وسلبها بكارتها . فنهض تيموثاوس قس الكنيسة الاسكندر ية موهما اياها بأنه هو اثناسيوس اذ لم تكن تعرفه وقال لها « أنا أيتها المرأة الذى زنيت بك كرها » فأجابت تلك الفاجرة بجسارة غريبة « نعم أنت يا أثناسيوس أغويتنى وأفقدتنى عفتى التى نذرتها للرب » ثم

تظاهرت بالبكاء طالبة من المجمع أن ينتقم لها ممن أفسد عفتها الامر الذى أضحك الارثوذكسيين وأخجل الاريوسيين

ثم ادعوا على القديس بأنه ساحر ورغبة فى اتمام عمل سحرى دس السم لواحد من أتباع ميليتس اسمه ارسانيوس أسقف هبسيل (شطب) وقطع ذراعه واستخدمه فى السحر والشعوذة . وجاءوا بدليل على اثبات هذه التهمة وهو يد مبتورة من جثة قالوا انها يد أرسانيوس . وكان الاريوسيون قد اتفقوا مع ارسانيوس أن يهرب الى الصعيد ويختفي فيه حتى تجوز حيلتهم على الامبراطور . فذهل البطريرك لدى سماعه هذا الافتراء ولعلمه بأن أرسانيوس حى يرزق أنفذ شماسا الى الصعيد للبحث عنه . وكان ارسانيوس مقيما فى أحد الاديرة وقبل وصول الشماس اليه كان بينس رئيس الدير قد أرسله الى صور حتى لا يعلم مقره غير أن الشماس القى القبض على رئيس الدير وراهب آخر اسمه هلياس فى أثناء رجوعهما من تشييع ارسانيوس وأحضرهما أمام حاكم الاقليم حيث اعترف بينس بأن هذه التهمة لا يمكن أن تثبت ضد اثناسيوس لان العالم أجمع يعرف أن ارسانيوس لم يزل حيا

أما ارسانيوس فأقلع عن ضلاله ورذل بدعة اريوس وجاء الاسكندرية ليتوب بين يدى القديس اثناسيوس فلما رآه رؤساء الكهنة أرسلوه حالا الى صور لشدة الحاجة اليه فوصل اليها قبل تقديم تهمته ضد البطريرك بليلة واحدة فلما رآه القديس اثناسيوس شكر الله وأخفاه فى مكان قريب من المجمع

وفى اليوم التالى أخذوا يحتجون بشدة على القديس لانه قتل ارسانيوس وأخذوا يرفعون اليه اليد المبتورة قائلين « هذه تشتكى عليك يا أثناسيوس » فوقف القديس فى وسط المجمع وقال بسكون تام هل يوجد فيكم من يعرف ارسانيوس أجابوا انهم يعرفونه . حينئذ قام ارسانيوس فى الوسط . فلما قالوا هو حقا نزع القديس عن ارسانيوس رداءه وأظهر يديه صحيحتين ثم قال لمن هذه اليد الثالثة المقطوعة ؟

فلشدة ما أصابهم من الخزى اضطربوا وماجوا وانتهز أحدهم المدعو يوحنا هذه الفرصة للهروب لانه هو الذى دبر هذه المكيدة وعليه تقع مسئوليتها ولكنه انتظر حتى هدأوا ووسوس اليه الشيطان أن يقول « أن هذا دليل جديد على مقدرة اثناسيوس فى علم السحر لانه بقوة سحره أعاد ارسانيوس الى الحياة » فاشتد سخط القوم وزاد حنقهم على هذا البطريرك البائس وصاحوا جميعهم سحار . سحار . اقتلوه وهموا باهلاكه وكادوا يفتكون به لولا أن الامير ديونيسيوس خلصه من ايديهم وأنقذ حياته من العطب

ثم جددوا عليه تهمة انتهاك حرمة الاسرار المقدسة بايعازه الى أحد تلاميذه المدعو مكاريوس

ان يهدم كنيسة اسخيراس الهرطوقي عنوة ويحرق كتبها وحطم فيها كأسا مكرسة . وأصل هذه الحكاية ان قسا اسكندريا يدعى كمونوس انشق من الكنيسة وأخذ يعين قسوسا من العلمانيين فحوكم أمام مجمع بالاسكندرية وحكم عليه بالتجريد من رتبته هو ومن رسمهم وكان منهم رجل يدعى اسخيراس استهان بحكم المجمع ومضى الى قريته باقليم مريوط وصار يعقد فيها جمعية صغيرة في غرفة حيث لم تكن كنيسة هناك فأرسل اليه البطريرك القس مكاريوس ليؤنبه على فعله فوجده طريح الفراش فلم يكلمه فقط وبخ أباه على ما يأتيه ابنه فوعده أبو اسخيراس بارجاع ابنه عن عمله الردىء . غير أن اسخيراس بعد شفائه انضم لحزب ميليتس ورفعت دعواه سابقا الى الملك فبرهن البطريرك على عدم وجود كنيسة هناك وانه وقت ما أرسل اليه مكاريوس لم يكن يؤدى خدمة دينية بل كان مريضا بل أن اسخيراس نفسه فيما بعد أقر في محضر أمضاه ثلاثة عشر قسا من الاسكندرية ومريوط بما نصه « يشهد الله أن لا علم لى بما تقولون عن هذه التهمة التى لفقها بعضهم بل انني أصرح جهارا بعدم وجود كأس كسرها أحدهما أو أن شخصا ما مد يده بسوء نحو شيء من متاع كنيسة لا معرفة لى بوجودها ولكنني أقول الحق وهو ان بعضهم اضطرني اضطرارا للاقرار بتلك التهمة الملفقة » أهـ

ومع ان هذه الدعوى انتهت أمام الملك قسطنطين سابقا الا انه لما رفض البطريرك قبول اسخيراس وهو متمسك بمبادىء ميليتس عاد الاريوسيون فى مجمع صور وجددوا تهمته . ولعدم وجود دليل على صحة هذه التهمة أرسل ذلك المجمع ستة أساقفة اريوسيين لتحقيقها بمصر . فما وصلوا الى الديار المصرية حتى حرروا محضرا مشحونا بالاقاويل الكاذبة التى بنى عليها المجمع الشرير حكمه ضد القديس اثناسيوس بتجريده من درجة رئاسة الكهنوت وعزله عن الكرسي الاسكندرى . وعلى أثره انتقل الاساقفة الاريوسيون المجتمعون في صور الى أورشليم لتدشين الكنيسة التى أقامها القيصر قسطنطين هناك فأثبتوا حكمهم الاول فى مجمع خبيث عقد فى أورشليم سنة ٣٣٥ م

وكان القس مكاريوس تلميذ اثناسيوس قد طرح فى سجن صور بدعوى هدمه لكنيسة اسخيراس فعزم القديس اثناسيوس على رفع دعواه مباشرة الى الملك فاستصحب معه خمسة من اساقفته في أول سفينة أقلعت من صور الى القسطنطينية . غير أن الاريوسيين أقنعوا الملك بأن اريوس على ايمان مجمع نيقية ولان قوسطنس ابن الملك كان اريوسيا تقوى ذلك الحزب ونال حظوة عند الملك ولم يستطع البطريرك الاسكندرى أن يخاطب الملك لان اشراف الدولة لم يسمحوا له بذلك اكراما لخاطر قسطنس

وحدث ذات يوم أن الملك كان خارجا للنزهة فى موكب حافل فأوقفه شخص غير معروف ووضع يده على زمام جواده طالبا منه الانصاف فلم يعرفه قسطنطين فى بادىء الامر ولكن الرجال

الملتفين حوله أخبروه انه اثناسيوس فغضب قسطنطين وأطلق لجواده العنان ودفعته الجنود لكى لا يقترب منه . فحينئذ هتف اثناسيوس قائلا « أيها الملك اسأل جلالتكم شيئا واحدا وهو أن تحضر خصومى الذين حكموا على وتسمح لى بأن أتناقش معهم أمامك » فلم يسمع الملك رفض طلبه وأمر باحضار الاساقفة الار يوسين الى القسطنطينية . فلما وصلهم الخبر وهم فى أورشليم انزعجوا لعلمهم بقوة حجة خصمهم ورجعوا الى ابروشياتهم خائفين ولم يلب أحد منهم دعوى الامبراطور سوى أوسابيوس النيكوميدى و بعض الاساقفة الا انهم لما اجتمعوا باثناسيوس أمام الامبراطور لم يأتوا بذكر تهمة واحدة من التهم الاولى لعلمهم ببطلانها فاخترعوا تهمة جديدة وهى أن اثناسيوس عزم على أن يمنع المراكب التى كانت تأتى مصر الى القسطنطينية حاملة ضر يبة الحنطة

وكان قسطنطين غيورا على سلطته فاحتدم غيظا عند سماعه هذه التهمة الكاذبة ومع ان اثناسيوس أنكر صدور ذلك منه ولكن الامبراطور قاطعه ولم يرد أن يسمع منه كلمة واحدة لا سيما لما رآه يكلمه بدون تهيب وحكم بنفيه الى مدينة تر يف (١) فلما سمع القديس هذا الحكم قال للملك بشجاعة « ان الله سيقوم ديانا بينى و بينك أنت الذى قبلت شكوى اعدائى وصدقتها » ومن ثم انطلق البطر يرك الى منفاه مع بعض اساقفة أرثوذكسيين فوصل اليها فى ٥ فبراير سنة ٣٣٥ م حيث قوبل فيها باجلال عظيم من مكسيمينوس أسقف تلك المدينة وقسطنطين الصغير قائد جنود المملكة فى الغرب

فسر الار يوسيون بذلك وطلبوا من الملك أن يعيد أر يوس الى مقامه بالاسكندر ية . ولكنه ما كاد يصل اليها حتى قامت قيامة مستقيمى الرأى وقفلوا أبواب الكنائس فى وجهه فخشى الوالى حدوث شغب وامره بالخروج من البلاد المصر ية فغادرها الى القسطنطينية حيث لقى حتفه كما سيأتى ذكره

أما الكنيسة المصر ية فقد لبست شعار الحزن على ابعاد رئيسها الامين ولذلك كتب الارثوذكسيون فى مصر الى القديس انطونيوس كوكب البر ية ليتوسط لدى الملك فى ارجاع بطر يركهم فحرر له رسالة لم تأت بفائدة بل رد عليه الملك جوابا شديدا قال فيه عن البطر يرك الاسكندرى انه رجل جسور ومتكبر وغشاش . غير انه بعد موت ار يوس صمم قسطنطين على اعادة القديس اثناسيوس الى كرسيه فلم يمهله الاجل و بعد موته استولى ابنه قسطنس الار يوسى على الشرق وقسطنطين الثانى الارثوذكسى على الغرب . وقيل ان قسطنطين الكبير أوصى قبل موته بالبابا اثناسيوس فطلبه ابنه قسطنطين مستقيم الايمان من منفاه هو وجميع الاساقفة الارثوذكسين

---

(١) تقع فى الجنوب الغربى من فرنسا

وطيب خاطره وارجعه الى مركزه مع رسالة كان يمدحه فيها جدا و يقول له « أن اباه المعظم أرسله الى تريف لكى ينقذه من ايدى اعدائه » وكان قدوم البطريرك الى مدينة الاسكندرية فى شهر نوفبر سنة ٣٧٨ م بعد أن أبعد عنها مدة سنتين وأربعة أشهر فقوبل باحتفال حافل أبدى فيه الشعب المصرى من السرور والشكر ما لا يوصف

ولم يجسر قسطنس الاريوسى أن يضاد أخاه بل صبر قليلا حتى يجد فرصة مناسبة لقضاء مأربه . ولا ريب أن نبأ رجوع بطريرك الاسكندرية اليها وقع وقعا سيئا فى نفوس الاريوسيين الذين كانوا قد تقووا وعظمت شوكتهم فعملوا ثانية على الايقاع بعدوهم اثناسيوس مستندين على مساعدة قسطنس الملك الاريوسى الذى عين اوسابيوس أسقف نيكوميديا بطريركا على القسطنطينية رغما عن عدم رضاء الشعب

فعقد الاريوسيون مجمعا فى انطاكية سنة ٣٤٠ م حكموا فيه بعزل اثناسيوس بابا الاسكندرية وأقاموا مكانه رجلا منهم اسمه يسطس كان من ضمن القسوس الذين تشيعوا لاريوس وأوقع عليهم البطريرك الكسندروس حكم الحرم معه . ثم بعثوا بقرار هذا المجمع مع ثلاثة من القسوس الى رومية لعلمهم بأن اسقف رومية ينحاز اليهم اذا أظهروا احترامهم له . ولما لم يكن أسقف رومية ملما بحوادث الشرق أرسل خطابا رقيقا الى البطريرك الاسكندرية مصحوبا بالشكاوى المقدمة ضده من حزب اريوس وأهمها انه رجع الى كرسيه بدون قرار مجمع . فلما وصلت رسالة أسقف رومية الى بطريرك الاسكندرية عقد مجمعا فى الاسكندرية سنة ٣٤٠ م اجتمع فيه نحو ثمانين أسقفا احتج فيه على اعمال الاريوسيين وأرسل رسلا الى أسقف رومية بقرار ذلك المجمع الذى يتضمن عدم رضاء المصريين على بطريرك غير بطريركهم و برسالة أقاموا فيها الادلة القوية على براءته وطهارة ذيله من كل تهمة معزوة اليه وقالوا فيها «ان الغرض الوحيد الذى يرمى اليه أوسابيوس هو تعميم بدعة اريوس ونشرها فى مصر» ثم حرر القديس اثناسيوس رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة مظهرا فيها براءته وطاعنا فى قانونية المجامع الاريوسية بقوله «ان مثل هذه المجامع ليس لها أن تقاضى أسقف كنيسة الاسكندرية الذى لا يقاضيه الا مجمع مسكونى يمثل الكنيسة باسرها» أهـ

و بناء على ذلك اقترح أسقف رومية عقد مجمع لفحص شكاوى الطرفين ولكن حدث فى سنة ٣٤٠ م ان قسطنطين الثانى نصير الارثوذكسيين قتل فخلا الجو للاريوسيين فعقدوا مجمعا فى انطاكية سنة ٣٤١ م حضره الملك قسطنس برئاسة أوسابيوس بطريرك القسطنطينية أبدوا فيه الحكم الاول . ولكراهة الشعب الاسكندرى ليسطس المذكور سابقا عرض الاريوسيون الكرسى على أوسابيوس الحمصى فرفض لعلمه بمحبة المصريين لبطريركهم اثناسيوس . ولكن الاشرار وجدوا أخيرا رجلا عاتيا عنيدا يدعى غريغوريوس الكبادوكى أرسلوه الى الاسكندرية ليأخذ كرسى القديس اثناسيوس

اما غر يغور يوس هذا فأصله من مدينه كبادوكية ولكنه تعلم فى مدينة الاسكندرية ولقى من القديس اثناسيوس كل عناية واحترام . ولما تعين غر يغور يوس بطريركا على الاسكندرية قامت قيامة الشعب الارثوذكسي وتألفت جمعية قوية لتحتج على هذه الاعمال المستغربة وأظهروا استعدادهم لعدم قبول أى انسان يكون رئيسا عليهم سوى اثناسيوس . ولكن لما وصل غر يغور يوس الى الاسكندرية تقابل مع الوالى فيلاغر يوس وكان صديقه واتفق معه على الاستيلاء على الكنائس بالقوة وهجم مرة على الكنيسة قصد الايقاع بالقديس اثناسيوس وبعد أن مثل بالعابدين تمثيلا شنيعا تمكن القديس اثناسيوس من النجاة فقد أنقذته قوة الله من أيدى أعدائه اذ كان منزويا فى مكان خفى بداخل كنيسة القديس ثأونا وهى الكنيسة التى يصلى فيها البطريرك وله فيها مسكن خاص . فلما رأى ذلك الافتيات خرج مستترا راجيا ان يكف المبتدعون عن مثل تلك الشرور فى حال غيابه قيل انه فى أثناء محاولته الهروب اغمى عليه فحمله بعض الشعب الى الخارج وسهلوا له سبيل الهرب

أما غر يغور يوس فتصرف تصرف الاشرار اذ لما رأى الجو قد خلا له حجر على قسوس الاسكندرية تعميد أحد أو زيارة مريض أو ممارسة أى عمل من اعمال وظائفهم . وفى هذه الاثناء برز محضر امضاه الوثنيون واتباع اريوس فقط وفيه يتهمون اثناسيوس اتهامات فظيعة فصمم هذا القديس على ترك الاسكندرية وقصد الى رومه رجاء أن يقيم دعواه فى ذلك المجمع الذى اقترحه يوليوس أسقفها . وقبل مبارحته للاسكندرية كتب رسالة الى الارثوذكسيين ونصح لهم فيها أن يؤثروا الموت ألف مرة على أن يشتركوا مع الهراطقة . ثم كتب رسالة دورية بعث بها الى جميع أساقفة المسكونة قال فيها « انى استغيث بكم وبالارض والسماء مما حل بكنيستى . انى استغيث بكم كما استغاث ذلك الرجل الاسرائيلى الذى عندما ماتت زوجته — بعد أن اغتصبها منه اعداؤه — قسم جثتها الى اثنى عشر قسما بعث بكل قسم منها الى سبط من أسباط اسرائيل الاثنى عشر . ليتحدوا جميعا ويأخذوا بثأر تلك الزوجة التى تمثل الاسباط كلها » أهـ

اما الاريوسيون فأوفدوا الى أسقف رومية القس مكاريوس والشماسين مرتيروس وحزقيوس ليعلنوه بحكمهم على اثناسيوس ويطلبوا منه قطع كل علاقة معه فقوبلوا أسوأ مقابلة حتى اضطر القس مكاريوس الى الهروب ليلا واستمر الشماسان ينتظران انعقاد مجمع يفحص القضايا التى أتيا لاجلها . وفى ذلك الحين تلقى القديس اثناسيوس رسالة من أسقف رومية يستشيره فيها عن المكان الذى يستحسنه لعقد المجمع فيه فلم يجد أثناسيوس أفضل من رومية وكان قد ترك الاسكندرية قبل عيد الفصح عقب وصول غر يغور يوس اليها كما مر وأتى رومية يصحبه بعض الاساقفة وامونيوس أحد رهبان دير النطرون وهو أكبر الاخوة الذين اشتهروا بطول قامتهم وايسذوروس الراهب التقى لكى يؤيد احتجاجات مجمع أساقفته وكان قد تعلم اللغة اللاتينية ليخاطب بها أسقف رومية فتلقاه يوليوس أسقف رومية وملكها قسطنت بكل تجلة واكرام وحدد

أسقف رومية للمجمع شهر ديسمبر من تلك السنة وأرسل اثنين من كهنته وهما البيديوس و بوليكين ليخبرا أعضاء المجمع بحضور أثناسيوس و يدعيانهم الى الحضور

فلم يجتمع المجمع كما كان مقررا له لأن الار يوسيين خافوا افتضاح أمرهم كالسابق فى مجمع يضمهم مع أثناسيوس ولذلك أخروا الرسولين عندهم شهر ين كاملين عقدوا فى أثنائهما مجمعا بانطاكية عند ذهابهم اليها للاحتفال بتدشين كنيسة « الذهبية » وكان عددهم ٧٩ أسقفا وقرروا تأييد حرمان أثناسيوس وتجر يده من وظيفته وقيل أنهم شجبوا بدعة أر يوس ولكنهم لم يصرحوا بموافقة دستور المجمع النيقاوى و وضعوا عوضا عنه دستورا من أر بع صور كانت أساسا لشيعة النصف الار يوسية تلك الشيعة التى تتفق مع الار يوسيين فى القول « بعدم مساواة الابن لابيه فى الجوهر » وتخالفهم فى القول « بازلية وجود الابن فى حضن أبيه »

و بعد أن وضع الار يوسيون تلك الصور الار بع أرسلوها الى أسقف رومية على يد مندو بيه وأرفقوا بها رسالة يعنفونه بها لقبوله أثناسيوس فى شركته ويحتجون عليه بقولهم « ان الدعوة التى وردت الينا لحضور مجمع رومية لم تكن دعوى مجمعية بل فردية ولذا فانا لم نعتد بها » فكتب اليهم يوليوس يعرفهم بأنه لم يكتب اليهم ما كتب بصفته الفردية بل بصفته ممثلا لمجموع اكليروس ابروشيته ثم قال « ان القوانين الكنسية لا تخول حق الحكم على أسقف كرسى رسولى مثل اثناسيوس الا لمجمع أساقفة الكنيسة الاسكندر ية أو لمجمع مسكونى وانه فى الحالة الثانية يجب اخطار جميع الاساقفة أصحاب الكنائس الرسولية » أهـ (١)

ولم يكتف أسقف رومية بذلك بل شكل مجمعا فى شهر نوفبر من السنة ذاتها مؤلفا من نيف وخمسين أسقفا وفى هذا المجمع قرئت رسالة أساقفة مصر التى بها برأوه ونزهوه عن كل ما رماه به اتباع ار يوس من التهم و بعد الفحص حكم المجمع بأنه برىء من كل ما قرفوه به استنادا على قرار مجمع الاسكندر ية

وكان يوليوس أسقف رومية فى ذلك الوقت يلاطف اثناسيوس و يرجوه البقاء عنده فقبل هذا ذلك لعلمه بعدم ملاءمة جو الاسكندر ية له فى تلك الاحوال واستمر برومية سنة ونصفا وضع فيها نظام الرهبنة للرومانيين كما سيأتى معنا . وقد أدهش البابا أثناسيوس الناس قاطبة فى رومية باثارة قبرى القديسين بطرس و بولس على كل عجائب هذه المدينة العظيمة فكان يذهب اليهما ملقيا نفسه أمامهما بحرقة دينية عجيبة

---

(١) اثناسيوس فى احتجاجه الثانى وسوزومين ك ٣ ف ١٠ (عن مختصر تار يخ الامة القبطية ص ٤٥٣) أهـ

وقد استمر النزاع بين الفريقين حتى ضجر منه قسطنت قيصر الغرب وأمر بعقد اجتماع فى ميلان (بايطاليا) سنة ٣٤٥ م الغرض منه الفصل فى امر الخلاف فاجتمع المجمع وقرر أعضاؤه ضرورة عقد مجمع عام فانشرح صدر البابا الاسكندرى بذلك وذهب الى مدينة ميلان حيث قابل قسطنس الملك الاريوسى مقابلة خصوصية وحينئذ سار ليرى الآب الجليل أوسيوس اسقف قرطبة أما المجمع فانعقد فى سرديكا (فى اقليم الليريكون أى بلاد اليونان) مؤلفا من مائة أسقف غربى أرثوذكسى ومن سبعين أسقفا شرقيا أريوسيا وترأس المجمع اوسيوس اسقف قرطبة فطلب الغربيون أن يكون اثناسيوس عضوا فى المجمع فأنكر عليهم الشرقيون ذلك وتركوا المجمع مغضبين واجتمعوا وحدهم فى مدينة فيلبو ولم يستحوا من أن يحرموا آباء المجمع السرديكى وحرموا الاسقف الرومانى يوليوس لانه اشترك مع أثناسيوس وقد أردفوا ذلك الحكم برسالة مجمعية قالوا فيها « أن الغربيين يحاولون أن يدخلوا على الكنيسة قانونا جديدا ليحاكموا الاساقفة الشرقيين بمقتضاه » أهـ

أما المجمع السرديكى فواظب على عقد الاجتماعات التى اسفرت على الحكم ببراءة البابا أثناسيوس وتثبيت قانون ايمان نيقية وحرم الاساقفة الاريوسيين وفى مقدمتهم أورزاس وفالانس وحكموا بعزل غريغوريوس الكبادوكى ودعوه أسقفا دخيلا بل أنكروا عليه الاسقفية (١) الامر الذى أغضب الاريوسيين فهيجوا قسطنس على الارثوذكسيين فأرسل لواليه بمصر ان يشدد على اتباع أثناسيوس وأن يضع حراسا على أبواب الاسكندرية لكى لا يدخلها أثناسيوس واذا تجاسر ورجع الى كرسيه يأمر بقطع رأسه . فعمل الوالى كما أشار عليه قسطنس ونفى خمسة من القسوس الذين ينتمون الى البطريرك وكثيرون منهم أختبأوا فى البرارى والقفار فرارا من اضطهاد اتباع اريوس لهم . فالتزم من ثم القديس أثناسيوس أن ينفرد فى أحدى مدن (تراكيا) للعبادة

وبعد أن أرفض مجمع سرديكا أوفد أعضاؤه افراتيوس أسقف كولونيا (بايطاليا) وفنسانت أسقف كابو (بايطاليا أيضا) ليطلعا القيصر قسطنس على أحكامهم . فظهرت حينئذاك دسيسة دنيئة دبرها البطريرك الاريوسى الانطاكى ضد افراتيوس بان دس امرأة زانية فى مخدعه ليتهمه بالزنا غير أن هذه المكيدة انفضحت باقرار المرأة نفسها . فساء قسطنس الظن بهؤلاء المبتدعين وغير وجهه عليهم

---

(١) كان مما قرره هذا المجمع السرديكى منحه ليوليوس أسقف رومية نظرا لما أظهره من الثبات فى الايمان الارثوذكسى حق استئناف الحكم على الاساقفة اليه . بناء على ذلك يدعى الغربيون بأولويه كرسيهم على باقى الكراسى ولكن ليعلم أولئك المدعون أن ماسن فى هذا المجمع كان للاسقف يوليوس وحده لما أظهره من الميل للحق فقط ولم يكن غرض المجمع ان يكون قانونا عاما لكل اسقف بعده من الذين لم يكونوا متصفين بالصفات الحسنة التى كانت ليوليوس . ناهيك عن أن القانون يعطى ليوليوس حق استئناف الحكم على الاساقفة الغربيين ولا تعلق له بأساقفة الشرق ألبتة . أهـ

وحينئذ دعى الملك قسطنت الارثوذكسي الغيور القديس اثناسيوس برسالة رقيقة الى مدينة اكويلا فقصد البطر يرك مدينة رومية حيث ودع اسقفها يوليوس وتقابل مع الملك قسطنت فزوده برسالة الى أخيه قسطنس الار يوس بانطاكية شديدة اللهجة يقول له فيها « انه ينادى عليه بالحرب ان لم يرجع القديس اثناسيوس الى كرسيه » وحال وصول البطر يرك الى قسطنس كان هذا قد أبغض الار يوسيين لما اتضح له من شرهم فاستقبله باكرام وأقسم له انه سيحامى عنه فيما بعد وانه لم يعد يصدق كل ما يقال عنه . ثم قال للقديس بناء على مشورة أولئك الهراطقة . أطلب منه أن تعطى كنيسة واحدة للار يوسيين ليصلوا فيها فقال القديس « نعم ولكن بشرط أن يعطى الار يوسيون كنيسة واحدة للارثوذكسيين فى انطاكية » فتعجب الملك من هذا الجواب وابى الانطاكيون الا الاصرار على خلع اثناسيوس الا ان الملك لم يلتفت اليهم وأطلق سراحه فترك انطاكية قاصدا الاسكندرية ومر بأورشليم حيث قابله القديس مكسيموس أسقفها بسرور . وكان غر يغور يوس الدخيل قد قتل فى ثورة شنها عليه الاسكندر يون فتمهد بذلك السبيل أمام البابا الاسكندرى للعودة الى مركز بطر يركيته ولكن لعدم ثقته بوعد قسطنس تمهل الى شهر اكتوبر واذ لم يجد مقاومة جديدة رجع الى وطنه بعد ذلك الغياب الطويل

و بينما كان الحزن مخيما على الاسكندرية وأهلها واذا برسالة من أسقف رومية تبشرهم بقرب عودة راعيهم اليهم و يقول لهم « انى أحمد الله الذى وهبنى نعمة الاجتماع بمثل ذلك الرجل العظيم » أهـ وان القلم يعجز عن وصف الاحتفال الذى قو بل به البابا أثناسيوس عند رجوعه الى الاسكندرية

ونكتفى بقليل من كثير مما كتبه القديس غور يغور يوس النز ينزى فى وصف ذلك الاحتفال قال « ان القوم توافدوا من انحاء المدينة على اختلاف نزعاتهم للقائه وما كان بهم من الوجد والهيام براعيهم جعلهم يطيرون سرورا وكان ازدحامهم أشبه بالنيل فى عز فيضانه » ولما كانت المواصلات حينئذ على ظهور الحمير التى علتها الجماهير و بايديهم أغصان النخل والز يتون يلوحون بها تخيل غر يغور يوس وهو يصف دخول أثناسيوس فائزا دخول المسيح أورشليم كملك . وذكر غر يغور يوس الابسطة الثمينة التى كانت تفرش تحت قدمى البطر يرك وآلاف الايدى التى كانت تبلغ حدة تصفيقها عنان السماء . والهواء وقد تشبع بالاعطار الزكية التى فاح أريجها والانوار المتألقة فى شوارع المدينة

وقد روى بعض المؤرخين فى خلال ذكر احتفال فخم أقامه سكان الاسكندر ية لاحد حكامها المشهور ين المحبوبين محاورة بين شيخ وشاب كانا بين المتفرجين فقال الشاب للشيخ « هذا احتفال فخم لا يقيمه الناس للامبراطور قسطنطين لو بعث من لحده » فقال له الشيخ « ذلك لانك لم تر الاحتفال باستقبال أثناسيوس الكبير » أهـ

وما كاد البطريرك يستريح من عناء السفر حتى اعاد جهاده فى استئصال شأفة بدعة اريوس وخلع الاساقفة الاريوسيين ثم نشر رسالة فى عيد القيامة سنة ٣٤٧م قدم فيها الشكر لله على ما أولاه من نعمة الرجوع الى مقامه وختمها ببيان عن الاساقفة الذين رسمهم حديثا والاماكن التى عينوا فيها . ثم بعث برسالة الى السياح يخبرهم فيها ان الارثوذكسيين لم يكتفوا بالفرح لعودته اليهم وانما نشطوا الى الاعمال التقوية بقوله « ان الناس فى الاسكندرية شرعوا يحثوا بعضهم بعضا على ممارسة أفعال البر بحيث قد صارت تلك المدينة بستان الآداب وجنة الخلال الحسنة وحديقة الفضائل المسيحية وان كثيرون زهدوا فى الدنيا واستوطنوا الفيافى ليترهبوا . وان فتيات كثيرات نذرن لله بتوليتهن وشبانا كثيرين متزوجين عاشوا بالعفة مع نسائهم . والاغنياء وزعوا أموالهم على الفقراء وكان كل بيت نظير كنيسة » أهـ

وقد استمر البطريرك بعد رجوعه الى مصر ثلاث سنوات ذاق فيها مع رعيته طعم الراحة . غير انه حدث بعد ذلك أى فى سنة ٣٥٠ م ان رجلا جرمانيا يدعى مانيانس قتل قسطنت الملك الارثوذكسى واختطف مملكته ولم يكتف بذلك بل طمع فى الاستيلاء على القسم الشرقى . فأرسل الى مصر رجالا يبثون فيها روح التمرد على القيصر . غير ان حكمة البابا أثناسيوس حالت دون ذلك اذ أوصى الشعب بالخضوع للقيصر فلم تفلح مساعى مانيانس فى مصر وانتشب القتال بينه و بين قسطنس الى أن قتل سنة ٣٥٣ م

وعقب قتل قسطنت الملك الارثوذكسى استأنف الاريوسيون مقاومتهم للقديس اثناسيوس فاوغروا صدر قسطنس الاريوسى عليه ووسوسوا اليه بأن الله انتقم من قسطنت بالقتل لاجل مدافعته عن البطريرك أثناسيوس وانه من الواجب عزل هذا الرجل الذى كان سببا لموت أخيه . غير أن قسطنس لم يتمكن من أذية القديس أثناسيوس حينئذ لارتباكه فى القتال مع مانيانس المذكور فحرر رسالة لاثناسيوس مملوءة بعبارات الاحترام والمحبة

وبعد سنة من هذا العهد انتصر على مانيانس واستقل بالملك فوجه حربه الى الارثوذكسيين وعلى رأسهم اثناسيوس وقد احتال فى مبدأ الامر عليه ليعيده الى أوربا ثانية ليسهل عليه الانتقام منه ولكنه خاب فى مسعاه . ولما أحس القديس أن اعداءه أخذوا ينمون فيه و يدسون له الدسائس بعزم جديد أرسل فى شهر مايو سنة ٣٥٣ م خمسة أساقفة وثلاثة قسوس الى قسطنس لاثبات براءته مما عزى اليه سابقا وكان مع هؤلاء الاساقفة سيرابيون أسقف ثميبوس (١) ولكن هذه البعثة لم تصادف نجاحا

---

(١) كان يوجد مدينتان فى مصر قديما بهذا الاسم وكانتا أسقفيتين فى وقت واحد

وجمع قسطنس مجمعا فى ار يلاتى (من فرنسا) سنة ٣٥٣ م (٢) والزم أعضاءه ونائبى أسقف رومية (وهما فنسانت أسقف كابو ومارسيل أسقف كمبانيا بايطاليا) أن يصدروا أحكاما ضد أثناسيوس فأمضى القرار جميع الاساقفة ما عدا بولين أسقف تريف الذى أرسل الى المنفى حيث مات . وتهيج الغربيون لتوقيع نائبى أسقف رومية على قرار هذا المجمع لولا تداخل ليباريوس أسقف رومية برسالة بعث بها الى اوسيوس أسقف قرطبة قال فيها « انى لو خيرت بين الموت و بين اختصام أثناسيوس لفضلت الاول على الثانى » والتمس أسقف رومية هذا من القيصر أن يعقد مجمعا ثانيا فتم له ذلك وعقد المجمع سنة ٣٥٥ م فى ميلان وكان مؤلفا من ٣٠٠ أسقف جلهم ار يوسيون . وقد حدث فى هذا المجمع خصام شديد بين أربعة أساقفة قاموا للدفاع عن أثناسيوس و بين الامبراطور الذى اشتد غضبه لان القوم انكروا عليه سلطته الشخصية ومقدرته على معاقبة أسقف رأى أن يعاقبه بنفسه بدون قانون . وقد رد عليه الاساقفة وأغلظوا له فى المقال حتى قالوا له انهم لم يكونوا هنالك ليدرأوا له غلطته التى ارتكبها ثم أخبروه بصريح اللفظ قائلين « ان أثناسيوس بصفته بطريركا لا يحاكمه الامبراطور بل الاساقفة فلا تخلط جنابك بين القوانين الكنسية والاوامر الامبراطوريه » فاجابهم الملك بغيظ شديد « ان ارادتى هى القانون »

غير انه كانت النتيجة أن المجمع حكم ضد اثناسيوس ولما لم يقبل ليباريوس اسقف رومية ولا اكليروسه التوقيع على ذلك نفاهم الى مدينة (بيرا) بتراقيا وأقيم مكان الاسقف الرومانى شماس اريوسى يدعى فيلكس الثانى . وأثار قسطنس اضطهادا عنيفا على الارثوذكسيين قال عنه القديس باسيليوس « اننى ظننته ابتداء اضطهاد المسيح الدجال الذى تنبأ عنه بولس الرسول فى رسالته الى اهل تسالونيكى »

ثم ان القيصر كلف سريانوس والى مصر باخطار اثناسيوس بحكم النفى الصادر ضده وبتحويل الغلال التى كانت تعطى لفقراء الارثوذكسيين الى كنائس الاريوسيين . فجاء سريانوس الى القديس ومعه أحد رجال الامبراطور المسمى هيلاريوس وطلب منه شفهيا أن يرافقهما فرفض الطلب لعدم وجود امر رسمى من الامبراطور بيدهما . وقد ساعده على ذلك تعضيد جميع الشعب والاكليروس له تعضيدا تاما ولذلك أقسم سريانوس برأس الامبراطور انه لا يعمل شيئا ضد أثناسيوس حتى ترد اليه أوامر رسمية من مولاه . ومع ذلك فكل هذه الحوادث لم تثن عزم القديس بل ظل مثابرا على اكمال شؤون وظيفته بهمة رفيعة

و بعد مرور ثلاثة أسابيع فى سنة ٣٥٦ م بينما كان البطريرك يقيم صلاة الغروب بكنيسة العذراء التى بناها البابا ثاؤنا اذا بسريانوس حاصرها بخمسه الآف جندى فلما شعر البطريرك

(٢) ان المجامع التى عقدت فى مدة حكم قسطنس بسبب الخلاف بين اثناسيوس وجماعة أريوس تتجاوز الاثنى عشر

بذلك اوصى المصلين ان لا يهربوا هرباً يوجب الخجل ولا أن يقابلوا القوة بمثلها . والآن لنترك وصف ما جرى حينئذ للقديس نفسه فقد روى بعد ذلك يصف الحادثة قائلا :

« أما أنا فجلست على الكرسى الخاص لى واوعزت الى الشماس أن يتلو المزمور ١٣٦ وكان الشعب يردون عليه قائلين « لأن الى الابد رحمته » وحينئذ حان وقت الانصراف وكنا على وشك الذهاب الى منازلنا . ولما كان الظلام خارج الكنيسة حالكا جدا طرق العساكر جميع الابواب (١) طرقا عنيفا عندما كان الشماس يرتل مزمور الحمد والشكر هذا حتى ان دق الابواب كان يعرف فى آذان الشعب الذين كانوا مشتغلين بالصلاة والعبادة وكانوا يعجبون لهذا الطارق ليلا . ولما كان الشعب يرد على الشماس بهذه العبارة « لأن الى الابد رحمته » فتحت الابواب قهرا وولجها الجيش الرومانى وهو يصيح صياح النصرة والفوز كمن افتتح مدينة قوية وكانت سيوفهم مشهورة فى ايديهم تلمع فى شعاع سرج الكنيسة المنعكسة عليها فاندفع العساكر فى الكنيسة كالسيل الجارف وهرعوا قاصدين اياى . أما أنا فوقفت وأمرت الشعب بالفرار بقدر الامكان ولكن بعضهم اجتهد ان يعترض العساكر فى طريقهم فذبحهم الجنود وداسوهم تحت أقدامهم عندما كانوا يركضون نحو ردهة الكنيسة للقبض على الفارين . وقد ألح على القسوس لكى أفر ولكنى أبيت ذلك وقلت لهم « ان نفسى عندى ليست أعز من نفس أحد من الشعب » ولعلمى الاكيد بأنى ما دمت موجودا أمام أولئك الذين يسعون خلفى ليقتلونى فانهم يكتفون بى ولا يبحثون على الآخرين بل يتركونهم وشأنهم حيث لا علاقة لهم معهم . وقلت فى نفسى اننى لا أهرب حتى ينجو جميع الشعب ثم وقفت وطلبت من الحضور أن يصلوا الصلاة الاخيرة وحينئذ أشرت اليهم بالانصراف حالا . ولما انصرف أكثر الشعب جاء الرهبان مع الذين تخلفوا من القسوس وحملونى خارجا » أهـ

وكانت نجاة القديس أثناسيوس من ذلك الخطر باعجوبة من الله فانه بينما كان قائما فى كرسيه يعظ الشعب ويحثهم على الصلاة اندفع الجنود بشدة الى داخل الكنيسة وكادوا يحيطون بكرسيه لولا أن الله ضرب على عيونهم بغشاوة فما قدروا ان يميزوه وكانت المصابيح قد انطفأت بسبب الهياج فانتهز الاكليروس هذه الفرصة وأنزلوه جبرا من الكرسى وهو يمتنع والزموه أن يهرب فاجتاز العساكر بطريقة عجيبة بدون أن يراه أحد منهم . ولما وصل الجنود الى كرسيه وجدوه فارغا ففتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم خلقا كثيرا فأرسلوا للملك يشتكون من الظلم الذى أوقعه بهم سريانوس فبدلا من أن يلبى الملك شكوى الشعب و يرثى لحالهم مدح الوالى على ما عمل

أما القديس أثناسيوس فاختفى فى المدينة زمنا ثم فر الى الصحراء ولجأ الى برية طيبة وانفرد فيها متعبدا مع الرهبان ومشاركا اياهم فى عوائدهم وهكذا كانت عادة البابا أثناسيوس أن يلجأ فى أوقات ضيقاته الى مغاور المتعبدين على طول شاطىء النيل فاذا ما شاهدوه يهرعون اليه من

(١) كانت الكنائس فى ذلك الحين كانها حصون أو معاقل وفيها كل ما يحتاج اليه فى وقت الضيق

صوامعهم فراحين متهللين فيعلوه البشر و يناديهم بقول الكتاب « من هؤلاء الذين يطيرون كسحاب وكحمامات الى بروجها » ثم تراهم يحيطون به وهم يحملون المشاعل ورئيس الدير يسوق مطية البطريرك حتى مكانهم الحريزة وكان احد الاكليريكيين يأتيه بالقوت الضرورى وكان طعامه خبز الفلاحين الناشف الغير المختمر وكان اذا عطش اغترف من ماء النيل براحتيه واذا تعب واحتاج للراحة جلس على قطعة حصيرة رثة أو اذا نام افترش الثرىّ والتحف السماء . وكان يصرف أوقاته مختبئا فى نفق مظلم فى الارض أو منزو يا فى أحد القبور القديمة المهجورة و بالجملة فلم يدع مغارة أو كهفا الا وآوى اليه وكان عمره فى ذلك الحين ستين سنة

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن جبون المؤرخ فى كتابه « سقوط المملكة الرومانية » لم يكن يعبأ كثيرا بأمور الدينْ الا أن سيرة القديس اثناسيوس قد أثرت عليه كثيرا فكتب عنه بشفقة زائدة ومما رواه انه فى أثناء هروبه أختبأ ببئر جافة ولكن خادمة قد خانته واحضرت العساكر ليقبضوا عليه ولكنه كان قد خرج قبل وصولهم اليه . وروى أيضا انه زار ضواحى الاسكندرية وكانت توجد هناك عذراء فى العشرين من عمرها وكانت قد اشتهرت بجمالها الفتان . وفى ليلة من الليالى فاجأها زائر وطلب الضيافة وكان الوقت بعد نصف الليل وكانت اذ ذاك نائمة فى مخدعها ولكنها قامت ملبية لذلك الطلب فوجدت بطريركها الجليل وهو ملتف فى قميص قصير ورداء أحمر ففتحت له وخبأته فى منزلها وهناك أطعمته وألبسته وصارت كاتبة له لتساعده على مكاتباته مع الكنائس حتى انها هربت تلك المراسلات تهريبا . وهذه القصة روتها الفتاة فى اثناء شيخوختها مفتخرة بها

أما الاريوسيون فكانوا يطلبونه و يفتشون عنه بأمر الملك فى كل أطراف المملكة برا وبحرا كأنه عدو جميع البشر . ولكنه حتى وهو فى منفاه لم يكف عن العمل لما فيه الخير للاخرين فحرر احتجاجا بليغا وصف فيه صفوف البلايا التى أنزلها أعوان الملك بالارثوذكسيين وقد أتينا على فقرة منها سابقا و بعث بها الى قسطنس . ثم بلغه أن الاريوسيين يتهمونه بالجبن لهروبه من الاضطهاد فكتب دفاعا عن نفسه قال فيه « هم يعضون أصبع الندم لانهم لم يتمكنوا من قتلى . والآن هم يلومونني على هربى . غير عالمين انه لو كان فى الهرب جناية لكان فى الاضطهاد جنايات . اننى هربت لئلا أقتل . وهم يقتفون أثرى لئلا أنجو من القتل . فليكفوا عن اضطهادى لأكف عن الهرب وكيف لا يعلمون أن فى فرارى منهم حجة عليهم . ان المرء لا تفزعه الرقة واللين بل القسوة والشدة بل غلظة القلب والتوحش »

وفيما كان فى مغارته مواظبا على الصلاة نما اليه خبر أن الاريوسيين كتبوا صورة ايمانهم وانهم يكرهون الناس على قبولها والتوقيع عليها وان كثيرين ختموها خوفا من الملك . فحزن الراعى الصالح لما رأى الذئاب تتلف خرافه ونظير أسد يزأر فى البرية كتب أربع مقالات يحث فيها المؤمنين بغيرة شديدة على حفظ الايمان والثبات عليه . ومع ما كان يقاسيه و يعانيه فى منفاه من

التعب والنصب ما فتىء مهتما بكنيسته فكان يكاتب أساقفتها و يبعث بالرسائل اليهم وكانت أوامره نافذه المفعول كأنها صادرة منه وهو جالس على السدة البطر يركية . وقد كتب عدة خطابات لتعز ية الحزانى وارشاد الحائر ين عدا عن تآليف فى أهم المباحث كان أبناء عصره فى حاجة شديدة لها . ثم وضع منشورا أرسله للرهبان فى مبادىء مهمة وسطر خطابا لصديقه الحميم سيرابيون أسقف ثميوس . وكان اعظم عمل أتاه الكتاب المهم المتضمن مقالات مسهبة فى تفنيد بدعة ار يوس

وفى ذلك الحين كان الار يوسيون قد أقاموا على الكرسى الاسكندرى بطر يركا دخيلا يدعى جورجيوس من كبادوكية أيضا نظير غر يغور يوس السابق ذكره . وأشاروا على قسطنس أن يكتب رسالة الى ملكى الحبشة ازاناس وسازاناس يخبرهما فيها أن اثناسيوس هرطوقى وسيامته لفرومنتينوس أسقف الحبشة فاسدة . فيقتضى أن يرسلا اسقفهم لينال السيامة الصحيحة من جورجيوس . غير أن ملكى الحبشة لم يعبأ برسالة قسطنس لثقتها باثناسيوس وفرومنتينوس

وكان جورجيوس هذا قبل تعيينه فى الوظائف الكهنوتية سمسارا خادعا فى القسطنطينية ولكنه كان معروفا بالعلم وحالما تبوأ الكرسى المرقسى أتى من الاعمال الخبيثة مالا يأتيه انسان ذو عقل وشعور فان مدته فى الاسكندر ية كانت عبارة عن اضطهاد جديد حل بالمصر يين . وفى مبدأ الامر حاول اغراء أساقفة مصر على امضاء قرار ار يوسى واذ فشل فى مساعيه اشعل نار اضطهاده فكبل اثنى عشر أسقفا منهم بالقيود والاغلال وزجهم فى ظلمات السجون

ولما صفا الجو للار يوسيين بغياب القديس أثناسيوس عقد الملك مجمعا فى سرميوم (غر بى فرنسا) سنة ٣٥٧ م ترأس عليه الاسقفان الغر بيان اورزاس وفالانس وحضره قسطنس بنفسه . وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة حذف فيها لفظة (الجوهر) من قانون المجمع النيقاوى بمعنى أن الآب أعظم من الابن فى الرتبة والمجد وقد نجح الار يوسيون فى ارغام اوسيوس أسقف قرطبة على توقيع هذا القرار بعد أن اثخنوه ضر با بالعصى حتى تقطع جسمه وكان ليبار يوس أسقف رومية قد سئم من منفاه الذى قضى فيه مدة سنتين ونصف فدفعه حب الرئاسة الى قبول التوقيع على ذلك القرار وأقدم على ذلك خصوصا لما علم بموافقةاسقف قرطبة عليه . فكتب للار يوسيين ثلاث رسائل رجاهم فيها أن يتوسطوا لدى القيصر كى يعيده الى أسقفيته وأعلن لهم لعنه لا ثناسيوس وقطعه كل علاقة معه فرجع الى كرسيه واشترك فى تدبيره مع فيلكس الار يوسى الى الممات (١)

---

(١) ومن المدهش ان الغر بيين يحاولون تبرئة ليبار يوس من وصمة سقوطه فى الهرطقة مع ان تواريخهم المشهورة بتحو يل الحق الى باطل لم تجرؤ على انكار هذه الحقيقة واليك ما كتبه ليكورى معلم الكنيسة الكاثوليكية نقلا عن اورسى مجلد ٦ ك ١٤ عد ٧١ قال « اما البابا ليبار يوس الذى كان منفيا الى بير يا منذ ثلاث سنوات ففشلت روحه من الاهانات والانفراد لا سيا من حزنه لدى مشاهدته فيلكس شماسه الكاذب جالسا فى الكرسى الرومانى فأمضى احدى الصور المذكورة شاجبا القديس اثناسيوس ومشاركا الاساقفة الار يوسيين » أهـ (تار يخ الهرطقات مع دحضها ص ٨٣) وجاء فى كتاب « خلاصة تار يخ الكنيسة » للمعلم لومند الافرنسى ج ١ ص ١٩٢ « اما البابا ليبار يوس فكان أولا أبدى عزما شديدا الا انه فشل فيا بعد لما قاساه من زعيج المنفى فأمضى على شجب اثناسيوس لكنه ندم حالا على ما فعل وفى الحال نهض من سقطته وأصلح عثرته » أهـ وقد أثبت ذلك أيضا براهين لا تدحض بطر يركهم كيرلس مقار فى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » فليحكم أصحاب الحجى و ينصفوا

فلما علم الارثوذكسيون ذلك عقدوا مجمعا فى (اجان) اثبتوا فيه الدستور النيقاوى بدون نقص أو زيادة . وعقد اصحاب مذهب الاتفاق بين الطرفين مجمعا فى (انقرة) أيدوا فيه دستور مجمع انطاكية ومجمع سرميوم ولبث الاريوسيون يتخبطون فى أعمالهم وأقوالهم حتى انقسموا الى عدة شيع ومذاهب كانت كل منها تقرر ما يخالف الاخرى . وقد اجتمعت عدة مجامع فى انقره وانطاكية وسرميوم للتوفيق بينها فلم تفلح جميعها بل كانت تعمل على توسيع دائرة الخلاف بزيادة

أما القديس أثناسيوس فقد تصدع بسماع هذه الاخبار المحزنة التى كانت تصله تباعا ولا سيما سقوط صديقيه اوسيوس وليباريوس . غير أن اوسيوس قيل عنه انه أمضى القرار تحت تأثير اضطهاد ثقيل أضعف عقله وكاد يفقده الشعور والادراك ولكنه لم يلبث قبل موته حتى استرد ما عمل وتاب عن الهفوة التى ارتكبها فى ظروف صعبة

واثر عليه كثيرا نبأ أتى ينعي اليه مار انطونيوس الناسك الذى كان خير صديق وسند له واستمر القديس فى منفاه مدة خمس أو ست سنوات فى نهايتها بلغه خبر موت قسطنس الاريوسى وتولى مكانه يوليانوس الملحد

ومع ان يوليانوس كان يبغض المسيحيين بوجه عام الا ان كراهته لقسطنس دعته أن يأمر باعادة جميع المسيحيين ورؤسائهم الذين نفاهم هذا الملك وقيل انه أمر باعادتهم لكى يحارب بعضهم بعضا فتنحل عرى الوحدة المسيحية فرجع البابا أثناسيوس الى الاسكندرية فقوبل فيها بابتهاج ما عليه من مزيد وأما جورجيوس الاسقف الدخيل فكان له وقتئذ بغض شديد فى قلوب الجميع نظرا لما أتاه من الشرور ليس ضد المسيحيين فقط بل وضد الوثنيين أيضا حتى ان هؤلاء قتلوه قبل رجوع أثناسيوس بقليل أحرقوا جسده والقوا رماده فى البحر

فأخذ القديس أثناسيوس يصلح ما سبق اتلافه بواسطة الهراطقة وكانت له همة عالية لا تعرف الفتور فخيب آمال جميع أعداء الديانة المسيحية اذ رد الناس عن عبادة الاوثان وعن غواية الهراطقة ولذلك عقد مجمعا سنة ٣٦٢ م لم يحضره سوى ٢٠ من اساقفته الذين كانت البلايا قد ذهبت بمعظمهم وقرر فى هذا المجمع ما يجب اتباعه مع الاريوسيين الذين يعودون الى الارثوذكسية وأبلغ قراره هذا الى كل الكنائس ولا سيما كنيسة انطاكية التى انصاعت لارشاداته الحكيمة

فلما رأى يوليانوس الملك الكافر ان رجوع رؤساء المسيحيين دعا الى نموهم بخلاف ما كان يرجو سأل عن السبب فقيل له بواسطة الهراطقة لا يمكنك الانتصار على الدين المسيحى مالم تهلك اثناسيوس حامى هذا الايمان والذى زاده هياجا على اثناسيوس وصوله خبر عنه بانه عمد بعض النساء اليونانيات اللائى كن وثنيات واعتنقن الديانة المسيحية فأصدر امرا قاطعا لوالى الاسكندرية بنفى اثناسيوس من الاسكندرية حالا بحجة ان العفو الملوكى لم يشمله وهذا ما كتبه

يوليانوس للوالى « مع انك مهمل كثيرا فى أن تكتب لى عن مسائل متعددة وانا اغضى عن هذا الاهمال الا انه كان يتحتم عليك أن تخبرنى عن تصرفاتك مع اثناسيوس عدو الآلهة وكاره الاوثان وأنت تعلم حقيقة مقاصدى ضد هذا الرجل الذى اخبرتك عنها من زمن مضى وعليه فانى أقسم بالآله سيرابيس العظيم انه إن لم يبرح اثناسيوس الاسكندرية بل القطر المصرى فى أوئل شهر ديسمبر فانى أغرم جميع موظفى حكومتك غرامة قدرها ١٠٠ رطل ذهب قصاصا لهم واعلم اننى بطىء العقاب ولكننى بطىء العفو والصفح » أهـ

فبلغ القديس هذا الامر فى شهر اكتوبر سنة ٣٦٢ م فأسرع ليودع أصدقاءه الذين انفطرت قلوبهم حزنا على ذلك الفراق العاجل أما هو فكان يعزيهم بأن هذا الحادث نظير زوبعة عابرة تتلاشى فى وقت وجيز. ولما شعر ان الجنود أو شكت ان تقبض عليه نزل حالا فى مركب وسار فى النيل قاصدا الهروب الى « طيبة » ولما بلغ الحاكم أمر هروبه أسرع بجنوده وتبعه فى مركب آخر أكثر سرعة من مركب القديس فلما رأى الذين كانوا مع البطريرك أن سفينة الحاكم اقتربت منهم أشاروا عليه بأن يخرج الى البر ويهرب الى البرية ويختبىء فيها ولكنه لم يرد بل أمر رئيس المركب بشجاعة وهدوء أن يوجه السفينه نحو طالبى نفسه كأنه منطلق الى الاسكندرية فلما صار بازاء أعدائه نادى الحاكم على من فى مركب القديس مستفهما عما اذا كان أثناسيوس فيها أم لا فأجابة هو بنفسه « هوذا أثناسيوس قريب منكم » فأسرع الحاكم بالسير صاعدا فى النيل أما هو فنزل فى ممفيس (جيزة) واستمر بها ريثما يكتب رسالة عيد الفصح السنوية التى كانت ترسل الى كل الكنائس

وبعد ذلك قصد (طيبة) ليختفى هناك فعندما اقترب الى مدينة هرموبوليس (الاشمونين) التقى به نيودوروس رئيس دير طابانا بقرب سوهاج وكان قد جاء ليحتفل بقدومه احتفالا باهرا فاستمر البطريرك مدة فى هرموبوليس وانطينو واعظا ومبشرا الى أن بلغه فى منتصف الصيد أن الخطر محدق به من كل جانب فركب سفينة صغيرة هو والراهبان اللذان كانا يرافقانه على الدوام وحاولوا السفر ولكن الرياح عاكستهم واضطروا أن يقاسوا التعب العظيم فى جر السفينة وقضى القديس ذلك اليوم وهو يصلى بحرارة دون ان يلتفت الى رفيقيه ثم استفاق كأنه من نوم وقال لهم « هبوا انى قتلت » ثم صمت لما رأى الراهبين يبتسمان ثم اخبراه انه فى حال صلاته علما بالهام الهى أن يوليانوس قتل

وقد حققت الاخبار قول هذين الراهبين فقتل يوليانوس سنة ٣٦٣ م وتولى عوضا عنه يوبيانوس فهذا نشر حرية الاديان وقرر الغاء الامر الصادر من سلفه ضد اثناسيوس فرجع القديس الى كرسيه وحال وصوله بعث اليه الملك رسالة فيها يطريه لثباته وشهامته و يلتمس منه أن يرسل له رسالة تتضمن تعليم الكنسة الارثوذكسية فتداول أثناسيوس مع اساقفته فى أمر هذا الطلب ثم

كتب شرحا للتعاليم القويمه وقع عليه هو وأساقفته وأرسله للملك الذى سر منه جدا وأرسل يستدعى اليه القديس لمشاهدته لانه كان مشتاقا الى رؤيته . فذهب البابا أثناسيوس الى انطاكيه فقابله الملك مقابلة حسنة ورجع الى كرسيه بكرامة عظيمة ورأى الجوصافيا أمامه فجال فى ابروشيته المتعبة يعزى شعبه و يعظهم وكانت نتيجة مساعيه فى انطاكيه والاسكندرية رجوع عدد عظيم من الاريوسيين .

ومع علم الاريوسيين بصحة ايمان هذا الملك فقد تجاسروا وأوفدوا اليه بعضهم وعلى راسهم رجل كان قد سامه جورجيوس الكبادوكى يدعى لوسيوس . فقابلوا يوبيانوس بأنطاكية وطلبوا منه أن يعين للاسكندرية بطريركا . فأعلمهم انه سبق وكتب الى أثناسيوس ليرجع الى كرسيه فاخذوا يفوهون بمذمات ضد أثناسيوس مما دعى الى سخط الملك عليهم وتقدم أحد العساكر وافهم الملك بأن هؤلاء هم النفاية الباقية من حزب جورجيوس المحروم فطردهم من أمامه طردا مخزيا ولكنهم تبعوه فى طريقه فسخط على البحارة الذين لم يطوحوا لوسيوس فى اليم عند سفره معهم من الاسكندرية الى انطاكية

غير أن الدهر لم يبتسم للبطريرك الاسكندرى سوى سبعة أشهر اذ مات يوبيانوس الذى كان يرجو القديس كل خير للمسيحية على يديه وخلفه فى الملك والنتينوس ومع أن هذا كان مواليا لعقيدة الكنيسة الا انه أخذ لنفسه الغرب وسلم الشرق لاخيه فالنص الاريوسى فأمر حال جلوسه على كرسى الملك بنفى جميع الاساقفة الارثوذكسيين الذين سبق نفيهم بواسطة قسطنس ورجعوا بسماح يوليانوس . و بناء على ذلك أراد والى مصر أن يطرد أثناسيوس من كرسيه ولكن ما شعر بذلك وجهاء الشعب والاعيان حتى تجمهروا وجاءوا الى الوالى محتجين عن بطريركهم بأنه لا يدخلُ تحت هذا الامر اذ لم يرجع من منفاه بأمر يوليانوس بل بأمر يوبيانوس خلفه . ولما لم يقتنع الوالى أعلنوه بانه لا يمكن نفى اثناسيوس وشعر الوالى بحركة عظيمة قام بها الشعب فادرك ان نفى البطريرك يجر و بالا عظيما فأظهر رضاء موقتا

وفى شهر اكتوبر بينما كان القديس مقيما بزاوية فى كنيسة القديس ديونيسيوس علم أن الوالى مصمم على القبض عليه فأسرع بالفرار حتى أن جنود الملك فتشوا عنه فى تلك الليلة فى كل مكان بالكنيسة فلم يقفوا له على أثر . أما هو فأختبأ فى قبر أبيه وأستمر هناك أربعة أشهر كانت كلها اضطرابات وقلاقل بسبب ابتعاده مما اضطر الوالى الى أن يكتب لوالنص يقول له « انه لا يسكن هياج القوم الا بوجود بطريركهم بينهم » ولما علم والنص بذلك خاف من أن يغتاظ اخوه والنتينوس عليه وسمح للقديس بالاستقرار فى كرسيه فرجع اليه فى سنة ٣٦٨ م وله من العمر يومئذ ٧٢ سنة

ولم تكن شيخوخته لتحول بينه و بين استئناف العمل الروحي فجدد جهاده مبتدئا في سنة ٣٦٨ م بترميم كنيسة سيزار يوم التي كانت قد حرقت في شغب أحدثه الوثنيون في الاسكندرية في غمرة شهر يولية سنة ٣٦٦ م (١) ثم وضع أساسا لكنيسة أخرى دعيت فيما بعد باسمه . ثم وصل اليه خبر هرطقة ابوليناريوس أسقف اللاذقية الذي اعتقد أن لاهوت المسيح حل محل نفسه فوضع كتابين في تفنيد هذه البدعة . ولم يفتر عن مقاومة المبتدعين في كل مكان بل كان جادا في استئصال شأفتهم ولاجل ذلك كاتب داماسوس أسقف رومية يحثه على توقيع العقاب الكنسي على أورانس أسقف ميلان ونصير الشيعة النصف الاريوسية فأطاع داماسوس أمره ونفذ رغبته في سنة ٣٧٠ م . و بعد أن طهر الغرب من جراثيم الهراطقة التفت الى الشرق وأخذ في مراسلة القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك وغريغوريوس أسقف نيزينزا وغريغوريس نيصص الاساقفة الارثوذكسيين وغيرهم من الاساقفة الاريوسيين حاثا اياهم على قطع دابر الشيع المختلفة ومقاومة مبتدعيها

وفي ذلك الوقت طلب منه أن يقيم أسقفا لاهالي مدينتين في مقاطعة بنتابوليس فرسم لهم بحسب طلبهم ايسوذورس . و بعد هذا العهد حرم رجلا عظيما هو حاكم (ليبيا) وأرسل منشورا الى الكنائس يوضح فيه الاسباب التي دعته الى ذلك . وهكذا استمر يجاهر و يكافح و يناضل عن الحق الانجيلي مدة الخمس السنوات التي قضاها على الكرسي بعد رجوعه الاخير حتى انتهت حياته الدنياوية وابتدأت حياته السماوية الخالدة في ٧ بشنس سنة ٩٠ ش وربيع سنة ٣٧٣ بعد أن جلس على السدة البطريركية ٤٦ سنة وخمسة عشر يوما . ولما شعر بقرب حلول الاجل أوصى بتعيين بطرس أحد أساقفته خلفا له

وقيل ان القديس اثناسيوس كان قصير القامة جدا حتى أشار اليه يوليانوس الجاحد بالقزم تعييرا وتقريعا ولكن غريغوريوس النزينزي يؤكد لنا انه كان حسن الطلعة جميل المحيا عليه سمات التقوى والورع يخال للرائي انه ملك من الملائكة و ينقل عنه انه كان أيضا محدودبا بعض الاحديداب ذا أنف مقوس وفم دقيق ولحية قصيرة متصلة بشاربين كبيرين . وكان ذا شعر خفيف أسمر اللون ضارب الى الحمرة

---

(١) هذه الكنيسة كان قد أتم البابا اثناسيوس بناءها في سنة ٣٦١ م وكانت مبنية على اطلال القصر المسمى (سيزار يوم) أي قصر القيصر وهو قصر قديم للامبراطرة الرومانيين وكان لم يزل خاصا بالامبراطور . وفي مدة الصوم الكبير سنة ٣٥٤ م كانت كنائس الاسكندرية تزدحم بجمهور المصلين ازدحاما هائلا فطلب الشعب من البطريرك أن يقيم صلاة العيد في كنيسة سيزار يوم كان قد تم بناؤها ولم تكرس فخشي وقتئذ اجابة طلبهم بفتح هذه الكنيسة لان هذا القصر لم يكن قد سلم للكنيسة ووضع تحت تصرفها . فضلا عن أن اقامة الصلاة في كنيسة غير مدشنة أمر مخالف للقوانين الكنسيه . غير ان البطريرك اضطر الى اجابة طلب الشعب اعتبر ذلك عند اعدائه ذنبا جديدا له ١٠ هـ

وهذا ولما كان هذا الرجل العظيم قد ساهم الرسل فى جهادهم المدهش عن الايمان القويم وشاركهم فى اكاليلهم النورانية فقد جملته الكنيسة بلقب « الرسولى » الذى كان يلقب به معاصرو الرسل وخلفاؤهم وتلاميذهم الذين حذوا حذوهم ونسجوا على منوالهم فى جهاد الخدمة وتعب الكرازة والمحاماة عن الايمان . وقد شاطرهم ذلك البطريرك جهادهم واستحقاقهم ونال شرفهم ولقب أيضا « بالأكبر » باعتبار مقامه الذى ارتفع بسبب جهاده وقد قال عنه القديس غريغوريوس النزينزى « ان من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها » أهـ وأما عن تصانيفه فقد قال الانبا قزما « ان من يجد شيئا منها فليكتبه حالا على قرطاس . وان كان لا يجد قرطاسا فليدونه على أثوابه » أهـ وأبلغ وصف لعظم ذلك الجهاد الذى قام به أثناسيوس ذلك المثل الذى اشتهر حينئذ القائل :

« كل العالم ضد أثناسيوس وأثناسيوس ضد العالم »

قال أحدهم « ولعل الترجمة اللاتينية لهذه العبارة التاريخية أصل المثل الافرنجى المشهور Athanasius Contra Mundum أى أثناسيوس ضد العالم الذى يضرب لمن يثبت على رأيه رغم اجماع الناس على معارضته » أهـ

فلا غرو اذا نظم فيه شاعر الفرنجة من قصيدة سماها « القيثارة الرسولية » قوله :

اثناسيوس العظيم قلبا	اضحى مليك القلوب طرا
من بولس زانه رداء	فازداد قدسا ونال برا

وبلغ اعجاب الغربيين به ان نقلوا رفاته تدريجا نحو بلادهم من الاسكندرية الى القسطنطينية فالبندقية ففرنسا فاسبانيا (١)

وللقديس أثناسيوس مؤلفات عديدة جدا وكلها تبحث خصوصاً عن البدعة الاريوسية وما يتعلق بها وهى هذه :

(١) رسالة ضد الامم
(٢) رسالة فى التجسد
(٣) أربع رسائل ضد الاريوسيين
(٤) خطاب ضد الاريوسيين
(٥) رسالة فى هربه
(٦) احتجاج بعث به الى الامبراطور قسطنطين الكبير .
(٧) تاريخ البدع الاريوسية والمانيكية
(٨) كتاب فى تجسد الكلمة

(١) وقد احضر رفاته الى مصر فى عهد البابا شنودة الثالث فى ١٠ مايو سنة ١٩٧٣ م (الناشر)

(٩) رسالة جامعة الى الاساقفة
(١٠) رسالة فى قوانين مجمع نيقية
(١١) رسالة الى أسقف مصر وليبية
(١٢) أربع رسائل الى سيرابيون
(١٣) رسالة مجمعي أرمينى وسلوكية المحليين
(١٤) رسالة الى روفس
(١٥) رسائل الى أهالى انطاكية
(١٦) جدول الاسفار الالهية

وله أيضا رسائل فى الخطيئة غير المغفورة وفى سفر المزامير وغيره من اسفار العهد القديم وكذلك تنسب اليه سيرة انطونيوس الناسك

والآن نأتى بذكر بعض ما أثبته العلامة ستانلى من نوادر البابا أثناسيوس وأقواله وآرائه ننقله ملخصا : (١)

قيل انه سئل عن رأيه فى عماد الاشخاص وهم على فراش الموت فأجاب بهذه الاستعارة المفحمة « لقد قال أحد الملائكة لسلف سلفى (أى البابا بطرس خاتم الشهداء » لم ترسل الى هذه الخرائط محكمة الختام وهى خالية خاوية لاشىء فيها ؟ »

وكان مارا ذات يوم فى احدى ساحات الاسكندرية فلقى دهماء من غوغاء الوثنيين وحدث أن غرابا كان طائرا ينعق من فوقه وهو مار فسأله الغوغاء سخرية ومزحا ماذا يقوب الغراب فضحك أثناسيوس من وراء كمه ثم التفت اليهم مجيبا بقوله (ألا تسمعونه يقول لكم « غاق غاق غدا غدا » فهو ينذركم بشر لا حق بكم غدا اذ يصدر الامبراطور أمراً رسميا بمنع اقامة عيدكم الوثنى) وفعلا تم فى الغد ما أنبأهم به من قبل حتى بهتوا ولم يدروا كيف أتاه العلم بتعطيل عيدهم

أما الآراء المسيحية التى كان له الفضل فى الدفاع عنها وحفظها سالمة فنها

(١) كانت عقيدة اريوس التى تقول بفصل الآب عن الابن مأخوذة عن مبادىء تؤدى الى تعدد الآلهية أو بالحرى اعتقاده أن المسيح من جملة المخلوقات جعل عبادته وثنية ومحضة فقاوم البابا أثناسيوس هذه البدعة معتبرا أن اتحاد الابن بالآب ضرورى لفهم الاعمال الالهية على الوجه الافضل

---

(١) عن مجلة الكرمة ٩ : ٤ و ٥ و ٧ معربا بقلم داود افندى غالى

ولما كان في الكتاب ما يدل على عدل الآب ورحمة الابن اهتم البابا أثناسيوس ليزيل كل اعتراض بالتوفيق بين العدل والرحمة . على أن رأيه الاساسي كان ان « الفدا » نشأ عن الحب الغير المنقسم الصادر من الآب والابن على السواء لارجاع الانسان الى الاتحاد بالله

(٢) وكان من رأى اريوس عدم امكان فهم ما يختص بالله الغير المحدود بعقل الانسان المحدود حتى انه قال « ان الله غير مدرك ليس من الناس وحدهم بل أيضا من نفس الابن الوحيد المولود » (١) فنهض البابا اثناسيوس مناديا بكمال الآداب والطبيعة الالهية معلما أن الكمال الالهي انما يتمثل أمامنا ونتعرف به في صورة الكمال البشري

(٣) وكان اريوس يعتقد بوجود ذوات أخرى تجمع بين صفات الله و بعض صفات الانسان دون البعض الآخر فانتقل بذلك الى الاعتقاد بدين يخلط ما بين المسيحية والخرافات الوثنية فاثبت البابا أثناسيوس أن الدين ينحصر بين اثنين فقط الله والانسان وحفظ المسيحية ببساطتها من تلاعب أهل البدع

(٤) وكان يذهب البابا اثناسيوس الى اعتبار الاناجيل الاربعة متفوقة عن باقي أسفار الكتاب المقدس اعتقادا منه بأن سر التجسد يتطلب ذلك . وهذا التفوق لا يعتبر امتيازا كما توهم البعض بل اظهارا لان سر التجسد هو النقطة الجوهرية في الديانة

وكان في أوئل القرن الرابع ان قام خلاف بسبب أسفار الانجيل فوضع البابا اثناسيوس جدولا بالاسفار الصحيحة الموجودة بيننا الآن وسارت كنائس الشرق والغرب على ترتيبه وسقطت الاسفار المزورة

ومن محاسن أعمال البابا اثناسيوس وفضائله وتسامحه العجيب ما يأتي :

(١) الف بين المتوحدين الذين كانوا يعتبرون التزهد التعبدي أفضل من اصول الدين و بين الرهبان الذين كانوا يعتبرون هذه أفضل من ذاك فكان يجتمع بالطرفين وقال غريغوريوس النزينزي انه كان يبرهن للمتوحدين على ان الدين يستطيع أن يكون فلسفيا و يعلم الرهبان بأن الفلسفة في حاجة لارشاد الدين

(٢) ومما وضعه من القوانين في مجمع نيقية ان لا يرسم أسقف بأيدي أقل من ثلاثة أساقفة وحدث أن أسقفا توسم الكفاءة في شاب فرسمه اسقفاً فلم يشأ البابا اثناسيوس أن يتمسك بحرفية المبدأ عندما تأكد من كفاءة الاسقف الموسوم بل زاد أن رقاه مطرانا

(١) فيلو ستورجيوس ٢ : ٣

(٣) ومع انه اول من وضع كلمة (اومؤوسيوس) أى « مساو فى الجوهر » وقد كان هذا التعبير محبوبا لديه للغاية ولبث يعلم به طول حياته وكان قد أقنع مجمع نيقية بضرورة استعماله الا انه اضطر أن يترك استعماله لما رأى كثيرين يسيئون فهمه

(٤) وعقد البابا اثناسيوس مجمعا عاما سنة ٣٦٣ م للبحث فى أمر الذين كانوا قد ضلوا مع الاريوسيين وأتوا الآن خاضعين نادمين فحكم بقبولهم ووافق الكل على حكمه

وفى هذا المجمع عمل على حسم الخلاف العظيم الشأن الذى قام حينئذ بين اللاتين واليونان على بعض الفاظ فكان اللاتين يستعملون لفظة « ايبوستاتيس » بالمعنى الذى وردت به فى قانون الايمان النيقاوى أى كمرادف للفظة « أوسيا » و يترجمونها بلفظة الجوهر Substantia التى هى ترجمة حرفية للفظة الاصلية « ايبوستاتيس » أما اليونان فكانوا بدأوا يستعملون هذه اللفظة بمعنى « ابروس أو بون » أى « شخص وذات » ودعوا اللاتين سابيلوسيين (أى مفرقى الاقانيم على مذهب سابيلوس) وفى الوقت نفسه اتهم اللاتين اليونان بانهم اريوسيون . واقترح بعضهم ازالة للخلاف أن تستعمل اللفظتان معا

فلما رأى البابا اثناسيوس نيران هذا الخلاف تستعر جمع بين الفريقين وخاطبهما بشفقة مبينا لهما صحيح المعنى المقصود فاذا كلا الفريقين متفق معه فيما أراد فلما أنس منهما أن لا اختلاف بينهما أجاز لكل منهما أختيار ما يشاء من الالفاظ بعد أن قيدهما بما يراد به من الحقائق

(٥) وآخر فضائله انه قام بنصرة القديس باسيليوس الذى كتب اليه يستغيث به من شعبه الذى يعده من أهل البدع فأرسل البابا اثناسيوس خطابا لاهل آسيا الصغرى يقول « ان الذين يتهمون القديس باسيليوس يعذبون أنفسهم لغير داع الا انه قد تنزل لضعف الضعفاء فعدوا أنفسكم سعداء اذا تولى رعايتكم مثل هذا الرجل الممتلىء حكمة وصدقا » أهـ وقد كان القديس باسيليوس يشتهى أن يرى من أحسن اليه ولكن حالت الايام دون امنيته فكتب يصفه عن بعد ملقبا اياه بصموئيل الكنيسة ومثله بمنارة فاروس بالاسكندرية مشيرا بذلك الى انه كان نورا وهدى للكنيسة فى عصره وستكون تعاليمه نبراسا لها فى مستقبل عصورها

(٥) بطرس[٢] — البطريرك الحادى والعشرون :

كان تلميذا للبابا اثناسيوس الرسولى فتهذب بعلمه وتمثل بقداسته حتى رآه معلمه جديرا بالارتقاء الى رتب الكهنوت فرسمه قسا ونظمه فى سلك اكليروسه و بعد ذلك سامه أسقفا ولكثرة ثقته بعلمه وتقواه أوفده الى سورية سنة ٣٧١ م لمقاومة انتشار البدع فيها بالاشتراك مع القديس باسيليوس الكبير اسقف الكبادوك فى ذلك الجهاد . ولما شعر القديس اثناسيوس بقرب حلول الاجل أوصى بتعيينه خلفا له فاطاعة لامره ولمعرفة الشعب بما كان متصفا به من الفضائل أجمعوا

على انتخابه ورفعوه الى الكرسى المرقسى فى شهر بؤونة سنة ٩٠ ش و ٣٧٣ م فى عهد فالنص قيصر

وكان معلمه اثناسيوس قد غرس بفؤاده أصل الكراهة للهراطقة فنسج على منواله فى محاربتهم الامر الذى ذكر الاريوسيين باتخذالهم المتوالى أمام القديس اثناسيوس فهاج لذلك هياجهم وقامت قيامتهم على البابا بطرس ووشوا بحقه لدى الملك فالنص الاريوسى بانه لا يستحق أن يكون بطريركا للاسكندرية فصادف قولهم ارتياحاً من فالنص ولشدة تغيظه من أن المصريين انتخبوا لهم بطريركا حسب اختيارهم أراد أن ينتقم منهم فى شخص بطريركهم

وكان يوجد رجل مصرى اريوسى يدعى لوسيوس نال رتبة الاسقفية بطريقة غير قانونية خارج القطر المصرى وقد طمع فى الاستيلاء على الكرسى المرقسى فى عهد البابا اثناسيوس وقدم للاسكندرية لنوال بغيته ولكنه ما كاد يصل الى بيت أمه حتى انتشر حوله الارثوذكسيون كالجراد وحاولوا الفتك به لولا ان والى مصر انقذه من ايديهم وطرده الى خارج القطر المصرى لينجح

فهذا الشقى لما رأى أن فالنص صدق نميمة الاريوسيين ضد البابا بطرس انتهز الفرصة لقضاء مأربه فرضى به الملك بديلا للبطريرك الاسكندرى وفى الحال أرسل الى بلاديوس والى مصر الاريوسى يأمره بنفى البابا بطرس ليأخذ مركزه لوسيوس الهرطوقى . وسار لوسيوس الى مصر وخوفا من هياج الشعب عليه أرسل معه القيصر جيشا جرارا تحت قيادة ماجينوس أمين خزينة المملكة واوزويوس بطريرك انطاكية الدخيل وهجم القائد على الكنيسة التى كان فيها البابا بطرس رجاء اغتياله ففر البطريرك هاربا واختفى فى قصر خرب قريب من شاطىء البحر وهناك كتب رسالة رعويه لم تزل باقية الى الان يصف فيها هذه الحوادث التى وقعت يومئذ

وكان داماسوس أسقف رومية قد أنفذ رسولا من قبله الى الاسكندرية يحمل رسائل سلام ومحبة الى البابا بطرس فعند وصوله قبض عليه الوثنيون وسجنوه ليشتغل فى المناجم واذا رأى البطريرك الاسكندرية انه لا فائدة لرعيته من استسلامه للهلاك حول وجهه شطر مدينة رومه ليختفى فيها من وجه الشر ووصل اليها سنة ٣٧٤ م فقابله أسقفها داماسوس بما يليق به من الاكرام واستضافه عنده خمس سنوات كاملة

وكان ذهاب البابا بطرس الى روميه من حسن حظ كنيستها اذ انه حرك الاسقف الرومانى على ان يعقد مجمعا مكانيا يحرم فيه بدع ابوليناريوس ومارسيل ومكدنيوس لينفى عن كنيسة رومية شبهة موالاتها للهراطقة . فخضع داماسوس لمشورته وعقد ذلك المجمع سنة ٣٧٨ م وحرمت تلك البدع وكان القديس ملانيوس أسقف انطاكية قد اجتمع وقتئذ بتلك المدينة هوو ١٤٦ أسقفا شرقيا فبعث لهم داماسوس بقرار ذلك المجمع فصادقوا عليه جميعهم فالفضل فى تطهير كنيسة رومية من البدع حينئذ راجع الى الكنيسة الاسكندرية الا انها فتحت صدرها للخرافات والبدع بعد انفصالها عن تلك الكنيسة المجيدة مركز الارثوذكسية وخزانة التعاليم الرسولية

أما لوسيوس الاريوسى الاسقف الدخيل فحضر بمن معه من الجنود الى الاسكندرية ودخل اليها دخول الظافر المنتصر فأكرم والى مصر وفادته وساعده على اختطاف الكرسى المرقسى اختطافا وجلس عليه بالقوة رغم ارادة الشعب الذى أبى مطلقا أن يعترف بهذا اللص رئيسا عليه . وهجر الارثوذكسيون الكنائس مفضلين الاقامة بمنازلهم على الصلاة خلف الهراطقة . ولما نصحهم القائد وأبوا قبول نصيحته اضطهدهم بشدة

غير أن الشعب مع كل ما حل به من الويلات لم ينفك طالبا عزل لوسيوس الدخيل واعادة بطريركهم وأساقفتهم المنفيين وكانوا اذا رأوه يقولون له « انك يالوسيوس تحارب الله باضطهاد قديسيه » وفى شهر مايو سنة ٣٧٨ م اذا كان الملك فالنص مشغولا بمقاتلة سكان شمالى أوربا رجع البابا بطرس من رومية الى الاسكندرية وأجلسوا بطريركهم الشرعى على كرسيه ثانية . فاشتكى لوسيوس الشعب الاسكندرى الى فالنص ولكن هذا لم يلتفت اليه لانهماكه فى الحرب ثم قتل الملك الاريوسى فى السنة ذاتها فخابت آمال لوسيوس

ولما رأى الملك ثيودوسيوس الذى خلف فالنص ان كنيسة القسطنطينية قد تأخرت وانحط شأنها بسبب اهتمام ملوكها باضطهاد الارثوذكسيين أناط البابا بطرس القبطى باصلاحها وذلك لثقة الملوك العظمى فى رؤساء الكنيسة القبطية . فاستمر البطريرك الاسكندرى مدة يعالج أمراض كنيسة القسطنطينية وبعد ذلك كلف صديقه البار غريغوريوس النزينزى بالاهتمام بها فلبى طلبه وبدأ باتمام عمله . ورفع مسيحيو القسطنطينية عريضة لاغريغوريوس ممهورة بامضاء عدد كبير من الاساقفة ومصدق عليها من بابا الاسكندرية يطلبون فيها ان يأتى اليهم لاصلاح كنيستهم فقبل الطلب وجاء الى القسطنطينية ورسم عليها بطريركا واهتم باعادة مجد الكنيسة اليها ومع انه رفض كثيرا أن يرتقى الى رتبة الكهنوت ولكنه قبل اكراما لخاطر صديقه البابا بطرس

غير ان مكسيموس الكلبى وهو رجل ردىء السلوك تظاهر بالصداقة لاغريغوريوس وكان غرضه ان يدس له الدسائس لينال منه كرسى بطريركية القسطنطينية . وفعلا جاء الى الاسكندرية وأخذ يستعمل حيلته ومكره عند البابا بطرس ليحول نظره عن غريغوريوس و يقيمه بدله وكان مكسيموس يصف غريغوريوس بكل الصفات المذمومة فلبساطة البابا بطرس واخلاصه صدق وشاياته وأرسل وفدا الى القسطنطينية ليقوم بسيامة مكسيموس . وحال وصول الوفد كان غريغوريوس مريضا ولكن تقواه أجبرته على أن يذهب الى الكنيسة ليشترك مع المحتفلين برسامة قبول مكسيموس وثاروا عليه وطردوه من المدنية . فسار الى القيصر وتظلم لديه لكى يعيده الى مركزه فلم يصغ لشكواه فأتى البابا بطرس وطلب منه أن يستخدم نفوذه فى اعادته . وكانت أخبار صفاته السيئة قد وصلت الى مسامع البابا فلم يشأ أن يساعده بل طلب من الوالى ان ينفيه فنفاه

(٦) تيموثاوس[١] — البطريرك الثاني والعشرون

جلس على الكرسى الاسكندرى بعد بطرس أخوه تيموثاوس فى شهر برمهات سنة ٩٧ ش و ٣٨٠ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر وقيل انه كان يلقب بالفقير وذلك لانه وزع كل ما يمتلكه من حطام الدنيا . ومن أمره انه كان تلميذا للبطريرك القديس اثناسيوس الرسولى وشاطره فى كثير من أتعابه ومصائبه . وهو الذى فضح مكيدة الاريوسيين للقديس اثناسيوس فى مجمع صور وذلك عندما أتى الاريوسيون بالمرأة الزانية لكى تتهم اثناسيوس بأنه اغتصب بكارتها فوقف أمامها تيموثاوس وأوهمها بأنه هو اثناسيوس مما سجل على المرأة الكذب وعلى محرضيها الخجل

ولم تكن أتعاب هذا البابا بأقل من اتعاب سالفيه فانه كان مشتركا مع أخيه البابا بطرس فى معظم أعماله وكان عضوا فى مجمع الاسكندرية الذى كان يقوم بتدبير شئون كنيسة القسطنطينية وله عمل شريف فى المحافظة على قانون المجمع النيقاوى بدون زيادة أو نقص وذلك فان الكنيسة القديمة لم تسلم الا بالعشرين قانونا النيقاوية ولكن أساقفة رومية اجتهدوا فى القرن الخامس ان يعتبروا بعض قوانين مجمع سرديكا كقوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك اساقفة افريقيا وأرسلوا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينيه يطلبون نسخا كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنسخ البابا تيموثاوس العشرين قانونا الاصلية ووزعها على كل الكنائس معلنا بأن الكنيسة لم تقبل الا هذه العشرين قانونا

وقد ابتدأ جهاد هذا البابا بعد ذلك فانه ما كادت الكنيسة تتطهر من وباء بدعة أريوس حتى ظهرت هرطقة أخرى قام بنشرها مكدونيوس النصف الاريوسى بطريرك القسطنطينية ومؤداها انكار الوهية الروح القدس . فانعقد بسببها المجمع القسطنطينى (المسكونى الثانى) سنة ٣٨١ م كما سيأتى وحضره البابا تيموثاوس ورهط من أساقفته واشترك مع أعضاء هذا المجمع فى القضاء على تلك البدعة وحرموا أيضا اناسا آخرين لعقائد أخرى شنيعة تظاهروا بها فى المسيح

وكان لكرسى الاسكندرية المركز الاول بين كراسى المسكونة أجمع ولكن لما أخذ هذا المجمع فى أن يجعل هذا الكرسى فى الدرجة الثانية بعد رومية والقسطنطينية التى دعيت «رومية الجديدة» مراعاة لخاطر ملكى رومية والقسطنطينية اللذين أرادا رفع شأن اسقفيتى عاصمتها انسحب البابا تيموثاوس هو واساقفته من المجمع وعاد الى مصر احتجاجا على تصرف المجمع المخالف لتصرف الكنيسة بالاجماع مدة نحو أربعة قرون

واستمر البابا بطرس بعد ذلك مواظبا على رعاية شعبه كوكيل أمين حتى أتم جهاده وتنيح فى ٢٠ أمشير سنة ٩٧ ش وفى شهر فبراير سنة ٣٨٠ م

ورجع البابا تيموثاوس الى الاسكندرية وصرف ما بقى من حياته فى اتمام ما رآه واجبا عليه عمله فكتب تاريخا لحياة كثيرين من القديسين ووضع قوانين للكهنة وفى ايامه بنيت عدة كنائس واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس ثم رقد فى الرب فى ٢٦ أبيب سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م

(٧)تاوفيلس — البطريرك الثالث والعشرون :

روى عنه يوحنا النيقاوى المؤرخ القبطى انه ولد من ابوين مسيحيين فى مدينة ممفيس وتيتم منها وهو طفل وله أخت صغيرة فقامت بتربيتها جارية حبشية وثنية كانت لابويها . وحدث انها ذات ليلة أخذتها معها الى الهيكل لتؤدى فروض العبادة الوثنية فحال دخولها سقطت الاصنام الى الارض وتحطمت . ففرت بهما الجارية خوفا من انتقام كهنة الوثنيين واختفت قليلا ببلدة نيقيوس ثم جاءت الاسكندرية . وقد دبرت العناية الالهية أن تأخذهما الى كنيسة مسيحية لكى تعرف هذا الدين الذى طرقت شهرته كل اذن . فولجت باب كنيسة القديس ثاونا وجلست بازاء كرسى القديس اثناسيوس الذى لما رآها مع الطفلين أمر بابقائهم حتى تنتهى الخدمة . ثم استخبرها البطريرك عن حقيقة حالها ولما قصت عليه خبرها ردها الى الديانة المسيحية وأخذ منها الطفلين ووضعهما تحت عنايته الخصوصية . ولما كبرا قليلا وضع الفتاة فى دير لبثت به الى يوم زواجها برجل من بلدة المحلة (غربية) وفيها ولدت كيرلس الذى صار فيما بعد خلفا لخاله ثاوفيلس

اما ثاوفيلس فنظمه القديس اثناسيوس فى سلك تلاميذه فنما عالما تقيا ولما شوهد من الحذق والنشاط اختاره معلمه كاتبا لاسراره بعد أن رقاه الى درجة الكهنوت . وبعد وفاة معلمه استمر فى مدينة الاسكندرية يخدم فى كنائسها الى أن رقد البابا تيموثاوس فانتخب بطريركا مكانه بالاجماع فى شهر مسرى سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر لما رآه فيه الشعب من حسن السيرة وعظيم الغيرة على دين المسيح مما جعله موضعا لثقة ثيودوسيوس الملك الارثوذكسى الذى امر بتعميم الديانه المسيحية فى كل مكان واعتبارها الديانة الرسمية للمملكة الرومانية

ومما يدل على ثقة هذا الملك بالبطريرك الاسكندرى تكليفه اياه بأن يصلح ما وقع من الخلل ثانية فى مسألة عيد الفصح فانه فى سنة ٣٨٧ م صار الفرق بين العيد المصرى والعيد الرومانى مدة خمسة أسابيع كاملة . فوضع البابا ثاوفيلس تقويما للاعياد لمدة ٤١٨ سنة ووضع جدولا يحتوى على الايام التى يقع فيها عيد الفصح لمدة مائة سنة ابتداء من سنة ٣٨٠ م ولا تزال صورة هذا التقويم باقية الى يومنا هذا وفيها أوضح البطريرك بأن السيد المسيح صلب فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان (أبريل) لا فى الرابع عشر منه ثم وضع هذه القاعدة وهى : « اذا كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى يوافق يوم الاحد فعيد الفصح يتبعه بأسبوع » أهـ

ثم ان البابا ثاوفيلس دخل يوما يصحبه بعض الرهبان الى بستان للقديس اثناسيوس فتذكر انه كان يأكل مرة مع معلمه هذا وهو كاتم أسراره وقال له القديس انه يشتهى ان ينظف الاكوام التى رآها و يبنى فى موضعها بيعة على أسمى اليشع النبى و يوحنا المعمدان فتحدث بذلك كثيرا فسمعته امرأة كانت قد اتت من رومة بعد وفاة زوجها ومعها ولدها وصورة الملاك روفائيل فتحركت بغيرة الهية وقدمت الاموال اللازمة لتنظيف الاكوام و بعد اتمام العمل ظهر كنز مغطى ببلاطة قد نقش عليها ثلاث ثيتات (جمع حرف ثيتا القبطى) اشارة الى (ثاؤس) أى الله وثيودوسيوس أى الملك وثاوفيلس أى البطر يرك وقد استدل مما كتب على البلاطة أن ذلك الكنز يرتقى الى عهد الاسكندر الاكبر المكدونى فأخبر البطر يرك الملك ثيودوسيوس بأمر الكنز فقام الملك الى الاسكندرية بنفسه وعاين الكنز ثم اقتسمه بينه و بين ثاوفيلس فأنشأ البطر يرك بنصيبه كنيسة فى جانب البستان وكنائس جمة على اسم السيدة العذراء والملاك روفائيل فى جهات مختلفة بالاسكندرية . ثم شاد جملة اديره منها « الدير المحرق » (١) ورسم ولدى المرأة فيها بعد أسقفين

وكان القديس اثناسيوس قد تنبأ عن تلميذه ثاوفيلس قائلا « انه سيكون مطرقة قوية لهدم معابد الوثنيين » فبدأت هذه النبوة تتم عندما رأى هذا البابا أن المسيحيين فى مصر قد كثر عددهم وقل عدد عبدة الاصنام ونجم عن ذلك ازدحام شديد فى الكنائس اثناء احتفالات النصارى فى اعيادهم رغما عما جدده من الكنائس فخطر له بعد استشارة اعيان الشعب أن يخاطب الملك ثيودوسيوس لكى يستصدر منه أمرا بتحويل معابد الاصنام المهجورة الى كنائس . فوهبه القيصر جميع هياكل الوثنيين ليستولى عليها و يتصرف فيها كما يريد وأمر والى مصر ايفاجريوس أن يساعده بقوته اذا تعرض له أحد (١)

فبدأ البطريرك سنة ٣٨٩ م بهدم اطلال هيكل دارس خاص بباخوس (اله الخمر) فى الاسكندرية وبنى مكانه بانقاضه كنيسة باسم الملك ثيودوسيوس و بينما كان البناؤون قائمين بالبناء عثروا على تماثيل قبيحة الشكل عرضها البابا ثاوفيلس للفرجة اظهارا لقبح الديانة الوثنية فتهيج لذلك الوثنيون وقد زادهم غضبا علمهم بأن ديانة المسيح ترتفع على اطلال ديانتهم فاعتصبوا على المسيحيين بقيادة الفيلسوف أولمبيوس وفتكوا بكثيرين منهم وكانوا يقتلون كل من رأوه مارا بالشوارع حتى اضطر الوالى أن يخاطب الملك عما يعمله تلقاء هذه الحالة . فرد هذا عليه بأن المسيحيين الذين قتلوا يعتبرون شهداء ولذلك ينبغى مسامحة قاتليهم من الوثنيين

---

(١) سمى المحرق لوجوده بقرب حوض زراعى اشتهر بالحوض المحرق وذلك لنضوب المياه منه قبل غيره من الحياض

(١) يلاحظ فى هذا المقام ان كثيرين يتهمون البابا ثاوفيلس بالتعدى على حرية الاديان لهدم معابد الوثنيين لكن يلاحظ أيضا انه لم يقدم على ذلك الا لما رآها مهجورة لا تجرى فيها عبادة فان قسطنطين الملك كان قد ابطل الذبائح الوثنية خصوصا التى كانت تجرى تحت جنح الظلام لانها كانت ذبائح بشرية تعتبر كتقتل وجنايات فظيعة . فضلا عن ذلك فان معابد اليهود كانت موجودة ومع ذلك لم يتعرض اليها البطريرك لانهم كانوا يقيمون فيها عباداتهم

فلما رأى أهل الاسكندرية ذلك ثارت ثورتهم على الاقلية الوثنية منهم فتحصن هؤلاء في هيكل سيرابيوم وأخذوا يدافعون عن أنفسهم و يصدون هجمات الجماهير العديدة التى قامت ضدهم . وكان هيكل سيرابيوم هذا على جانب عظيم من المتانة والاتساع وكان مبنيا على قمة تل يصعد اليه بسلم يبلغ مائة درجة وكانت حجارته من الرخام والمرمر وحيطانه من داخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب . وفي وسطه ردهة واسعة وتحته سراديب وطرق سرية وهو مقسم الى غرف يختص بعضها بالكهنة و بعضها بالمصلين و بعضها بالضيوف وفيه مكتبة كبرى

ففي هذا الصرح الشامخ تحصن الوثنيون وكانوا كلما شاهدوا مسيحيا قريبا منهم قبضوا عليه وجذبوه عندهم وعذبوه لكى يبخر لاصنامهم واذا أبى كانوا يقدمونه ذبيحة وقد افتخر بعد ذلك هيلاريوس كاهن الاله جوبيتير بانه ذبح مرة بيده تسع ذبائح آدمية على مذابح الاصنام الكاذبة . ولما ازدادت تعدياتهم نصحهم الوالى بالحسنى ليكفوا عن شرهم ولكن أولمبيوس قائدهم كان يغريهم بفصاحته على عدم التسليم . ولما لم يذعنوا اضطر القائد اخيرا أن يشهر أمر الملك القاضى بهدم هيكل سيرابيوم . فوقع الرعب فى قلوبهم وتركوا الهيكل تحت جنح الظلام وتفرقوا أيدى سبا فلما علم ذلك الوالى والبطريرك أتيا باحتفال عظيم لكى ينقضا هذا الهيكا وكان آخر ما بقى من آثار الديانة الوثنية .

وكان فيه صنم كبير جدا يداه ممتدتان من الحائط الواحد الى الآخر وهو مصنوع من الخشب ومغطى بالمعادن ومطعم بحجارة كريمة وقد اسود لونه لتقادم عهده اذ كان موضوع اجلال المصريين مدة ٦٠٠ سنة وكانت تخرج منه أصوات لا يعرف مصدرها فكانوا يعتبرونها دليلا على عظمة هذا الاله الكاذب . فلما تقدموا لتحطيم ذلك الصنم خاف بعضهم اذ كانوا لا يزالون مصديقين بخرافات أجدادهم ووقفوا جامدين ظانين انه اذا كسر هذا الصنم يخرب العالم ولكن البطريرك أمر جنديا باجراء العمل حالا فرفع يده وضرب الصنم ضربة ازعجت جميع المشاهدين كأن عدوا قويا فاجأهم . ولكنه على أثر ضربة أخرى انكسرت بها رأس الصنم تحول خوفهم الى ضحك عندما رأوا انه قد خرج من جوفه جملة فيران كانت معششة فيه وحينئذ تقدم الآخرون وأكملوا تحطيمه وأحرقوه وذروا رماده فى الريح ونقضوا جميع أبنية هذا الهيكل و بنوا فوقها كنيستان احداهما شيدت فى مكان معبد ايزيس وسميت باسم الملك هونوريوس والاخرى أقيمت على الاطلال معبد سيرابيس وعرفت باسم الملك اركاديوس

وقد كتب سقراط المؤرخ الكنسى فيما بعد عن ذلك الهيكل ما يأتى — « عندما تهدم هيكل سيرابيس وأصبح أنقاضا بالية وجدت كتابة منقوشة على حجارته باللغة الهيروغليفية لها شكل صليب وهيئته تماما . فلما رآها المسيحيون والوثنيون قال كل فريق منهما ان هذه شارات ودلائل من ديانتنا خاصة بنا دون الغير ذلك لان المسيحيين يعتقدون أن الصليب علامة الفداء وتذكار الخلاص

الذى عمله المسيح للجنس البشرى ولذلك قالوا ان هذه الاشارات التى وجدت على الحجارة تدل على ديانتهم وتنبىء بها . أما الوثنيون فقالوا لا يبعد أن تكون هذه العلامات دلائل على المسيح وسيرابيس فى آن واحد وذلك لانها مشتركة بين المسيحيين من حيثية الشكل و بين الوثنيين من جهة الكتابة والحفر . و بينما كان الطرفان يتباحثان و يتجادلان فى هذا الشأن ظهر لهم وثنى اعتنق الديانة المسيحية وكان ملما بمعرفة الهيروغليفية عارفا باللغة المصرية القديمة فترجم لهما هذه الكتابة الموضوعة بشكل صليب واذا هى « الحياة الآتية » فلما سمع المسيحيون هذه الترجمة قالوا لم يبق بعد دليل على انها تشير الى ديانتنا وانها وضعت لتنبىء عنها . ثم ظهرت كتابات أخرى باللغة المصرية أوضحت معنى شكل الصليب هذا ايضاحا تاما ومعناها « انه عندما يبتدىء الناس يعيشون العيشة الجديدة (أى يصيرون مسيحيين) فلا بد من سقوط هيكل سيرابيوم) فلما طرق هذا القول مسامع الوثنيين اقتبل الكثيرون منهم الديانة المسيحية معترفين بخطاياهم تائبين الى ربهم عما فرط منهم ثم تعمدوا بمعمودية التوبة الصحيحة » أهـ

وكان لنهر النيل مقياس محفوظ فى هيكل سيرابيوم من عهد حكم البطالسة وقد نقله قسطنطين القيصر الرومانى الى كنيسته الكبرى سيزار يوم ثم أعيد الى هيكل سيرابيوم بأمر يوليانوس الجاحد . ولما هدم هذا الهيكل حمله المسيحيون باحتفال عظيم الى كنيسته مما حدا بالوثنيين لان يتنبأوا بغيظ بأن الآلهة ستنتقم منهم بانقاص مياه النيل جزاء اهانتهم لها . واتفق أن النيل فى تلك السنة لم يرتفع الى معدله فظن ضعاف العقول من الوثنيين أن ذلك نتيجة انتقام الاله سيرابيوم وأخذوا ينقمون على البطريرك والوالى فكتب هذا الى القيصر يخبره بالامر فرد عليه قائلا « اذا كان النيل لا يفيض الا بواسطة السحر أو الرقى أو بذبح الذبائح وتقديم المحرقات للاوثان فخير له أن لا يفيض وأن تبقى مصر ظمآنه الى الابد »

وقد ذهب البابا ثاوفيلس بعد ذلك الى القسطنطينيه مرتين الاولى فى سنة ٣٩٤ م ليحضر مجمعا عقد لفحص بعض المسائل ولحضور الاحتفال بتشييد كنيسة كبرى بنيت على أسمى الرسولين بطرس و بولس . وذهب ثانية فى سنة ٣٩٨ م ليقيم القديس يوحنا فم الذهب بطريركا على كرسى القسطنطينية وعاد الى كرسيه

وفى سنة ٣٩٩ م قصد البابا ثاوفيلس أن يضع حدا للخلاف الذى كان قائما بين يوحنا أسقف أورشليم وهومن رهبان وادى النطرون و بين أورنيموس وكان الخلاف بسبب العلامة أوريجانوس فرد اورنيموس بجواب جاف على البابا ثاوفيلس يقول « انك لم تعرف كيف يكون الجدل والمناقشة لانك تعيش مع رهبان يجلون قدرك و يرفعون مقامك »

وكانت حياة البابا ثاوفيلس فيما بعد ذلك مملوءة بالقلاقل والاضطرابات وقد بدأت أتعابه بسبب بدعة انتشرت بين رهبان سكيتى كان رأسها أفوديوس من بين النهر ين مؤداها ان الله ذو

صورة بشرية وذو أعضاء جسمية . وفى نفس تلك السنة نشر البطريرك رسالة عيد الفصح السنوية فاغتاظ أولئك الرهبان من عبارة وردت فيها وهى قوله « ان الله روح لا يدركه الفهم وليس هو مجرد انسان يقع تحت الحد والحصر » فهاج لذلك هياجهم على البطريرك لما رأوه يخالفهم فى الاعتقاد وترك أكثرهم صوامعهم وجاءوا كجيش جرار الى الاسكندرية وعزموا على الفتك بالبطريرك حالما يقع بصرهم عليه واحتشدوا حول داره وهم يتهددونه و يتوعدونه . واذ رأى أن قلوبهم ملأى بالغيظ ولم يجد له عضدا أسرع الى مرتفع وصعد عليه وخاطبهم بعبارات رقيقة تهدىء الخواطر الهائجة ومن ذلك قوله لهم « اننى اذا رأيت وجوهكم أشعر كأنى أشاهد الله لانكم على صورته ومثاله » فسكن ثورانهم قليلا وكانوا يظنون ان العبارة التى أوردها عن الله فى رسالة عيد الفصح اقتبسها من مؤلفات أوريجانوس ولذلك طلبوا اليه بشدة أن يحرم أوريجانوس وكل من يطالع كتبه فوعدهم بذلك . ثم انعكف على مطالعة مؤلفات أوريجانوس اذ لم يكن قد طالعها قبلا فتبين من بعض ألفاظها ما يشعر بضلاله . وفى أوائل السنة التالية شكل مجمعا حرم فيه أوريجانوس وندد بتعليمه فى رسالة عيد الفصح

وكان يوجد بين رهبان جبل نيتريا (الفرما) أربعة اخوة يلقبون « بالطوال القامة » نظرا لطول قامتهم كان أكبرهم يدعى أمونيوس وهو الذى سافر مع البابا اثناسيوس الى رومية وكان هؤلاء الاخوة من آب واحد وأم واحدة وقد اشتهروا بتقواهم الزائدة وغيرتهم الشديدة على الايمان . وكانوا للبابا ثاوفيلس خير نصير وأفضل مساعد فى ما قام به سابقا من جلائل الاعمال . لذلك رأى ضرورة مكافأتهم على خدمتهم له فعين أحدهم ديوسقوروس أسقفا لواحة هرموبوليس (المنيا والاشمونين) واستحضر لديه الباقين وأقام منهم يوساب وانتيموس قسيسين فى كنيسة الاسكندرية وهؤلاء الاخوة كانوا من أنصار العلامة أوريجانوس المولعين بمطالعة تصانيفه . فلما رأوا البطريرك قد شجب فيلسوفهم غضبوا وتركوا الاسكندرية بدون اذنه وعادوا الى قلاليهم بالدير والتجأوا الى رهبنتهم وتحزبوا معها وأرسلوا وفدا الى أحدهم ديوسقوروس أسقف هرموبوليس وطعنوا له فى ثاوفيلس وفى تنعم عيشته فقبل شكواهم وتحزب معهم وأصبح الرهبان منقسمين الى قسمين رهبان سكيتى الذين يعتقدون ان الله صورة بشرية ورهبان نيتريا الذين يعتقدون ان الله روح

ثم حدث حينئذ خلاف آخر بين البطريرك و بين ايسوذوروس أمين صندوق كنائس الاسكندرية وكانا قبلا صديقين و يظهر ان العداوة نشأت أيضا بسبب ميل ايسوذوروس لاوريجانوس والاخوة الطويلى القامة (١) بدليل ان ايسوذوروس رجع أيضا الى دير نيتريا وانحاز لمعضدى أوريجانوس مما حمل البابا ثاوفيلس على أن يظهر مقته لمن خالفوه فى الرأى بسبب أوريجانوس وأرسل منشورا الى رهبان دير سكيتى يأمرهم فيه أن يتجنبوا أولئك الرهبان ثم قطع أسقف هرموبوليس لانه قبلهم فى شركته . فأرسل اليه رهبان دير نيتريا وفدا يرأسه أمونيوس أكبر

---

(١) و يروى أن سبب الخلاف هو ولع البطريرك بتشييد الكنائس والاديرة وصرف أموال طائلة عليها وكانت رغبة ايسوذوروس توزيع المال على الفقراء والمساكين

الاخوة الطوال القامة ليحتج على تصرفه ضد أوريجانوس فكان هذا الاحتجاج سببا لزيادة الخلاف فرجعوا الى صوامعهم والغضب يملأهم . وخشى البطريرك نتيجة زرع الشقاق بين الرهبان فأخذ معه الوالى وقصد اليهم خوفا من تعديهم عليه وذلك لكى يقنعهم و يبرهن لهم من أقوال أوريجانوس انه مبتدع فلم يقتنع الرهبان وقفلوا كنيسة الدير فى وجهه وتسلحوا بالنبابيت المغطاه بسعف النخل ظنا منهم ان البطريرك أتى ليقنعهم بقوة الوالى فاستعدوا لمقاومة كل من يعترضهم و بذلك وقعوا تحت طائلة الحكم الذى يقضى بالحرم على كل من ينحاز الى أوريجانوس

أما الاخوة الطوال القامة فلما رأوا خطر مقاومتهم للبطريرك عظيما تركوا القطر المصرى قاصدين فلسطين وكان جماعة المسيحيين فى فلسطين يرمقونهم بعين الاحتقار والفتور لعلمهم انهم محرمون من بطريركهم ولكن بعض الاساقفة قبلوهم ولما لامهم البابا ثاوفيلس على ذلك لم يعودوا يمتزجون بهم

وكان عدد الرهبان التابعين للاخوة الطوال القامة يبلغ الخمسين فصمموا على الذهاب الى القسطنطينيه لرفع دعواهم أمام بطريركها القديس يوحنا فم الذهب . وفى سنة ٤٠٤ مثل أمامه أولئك الرجال وهم بثياب رثة ووجوه شاحبة بسبب مشقة السفر فشفق عليهم وسألهم عما يطلبون فالتمسوا منه أن ينصفهم من بطريركهم أو يرفعون دعواهم الى الامبراطور . فوعدهم فم الذهب خيرا وأعطاهم أماكن لراحتهم وأخبرهم أنه سيكاتب أخاه ثاوفيلس فى أمرهم . وكان حينئذ بالبلاط الملكى بعض اكليروس الاسكندرية الذين كانوا قد جاءوا اليه لاشغال تختص بوظيفتهم . فلما استشارهم فم الذهب فى الامر حذروه من قبولهم فى شركته لان بطريركهم منعهم وقد حرمهم وانه اذا قبلهم بدون اذن منه يعتبر عمله اهانة له

غير أن فم الذهب كان قد قبلهم فى شركته فلما أحس البطريرك الاسكندرى بذلك و بلغه ان الاخوة الطوال عازمون على رفع دعواهم للملكة افدوكسيا ظن ان فم الذهب هو المهيج لهذه الحركة وغدا الاخوة الطوال عنده أمرا ثانويا وعول على معاداة فم الذهب خصوصا عندما وصل اليه خطاب فم الذهب القائل « انى فحصتهم باعتناء فلم أجد فى اقرارهم ما يخالف الحق على ان الحزن قد استوعب قلوبهم ويخشى أن يقدموا عليك الشكاية للامبراطور فأرجو اذا أن تصفح عنهم لينتهى الامر والا طرحت هذه الدعوى المحزنة أمام المجمع » فغضب لذلك البابا ثاوفيلس غضبا شديدا ورد عليه بغيظ قائلا « اذا كنت لم تقف على مضمون الدستور الذى وضعه المجمع النيقاوى القاضى بعدم تداخل أسقف أو بطريرك فى المسائل التى لا تنحصر ضمن دائرة سلطته فأرجوك أن تطلع على هذا القانون وتدرسه حتى تريح نفسك من التعرض لى وتكف عن الصدام والجدال معى . أما اذا قضى على الزمان بالمحاكمة فسوف يحاكمنى أساقفة مصريون لا أنت ولا غيرك ممن هم بعيدون عنا يقتضى لوصولنا اليهم أو وصولهم الينا سفر ٧٥ يوما كاملا »

فقرأ فم الذهب هذا الخطاب الشديد اللهجة بالرضى والاذعان وأخذ يسعى جهده فى استرضاء خاطر الاخوة الطوال القامة ولكنهم أصروا على رفع دعواهم للملكة . وذات يوم بينما كانت افدوكسيا راكبة فى مركبتها الملكية تقدم الرهبان المصريون وطرحوا أنفسهم أمامها وشكوا اليها حالتهم فوعدتهم بالنظر فى طلبهم واستدعاء بطريرك الاسكندرية الى القسطنطينية . وكان لهذه الامبراطورة تأثير يذكر على قلب زوجها فأقنعته بضرورة عقد مجمع لمحاكمة ثاوفيلس يرأسه فم الذهب . وهذا العمل يعتبر من وجهة قانونية اجحافا بحق بطريرك الكرازة المرقسية ولهذا عندما بلغه الخبر استحكم فيه سوء الظن بفم الذهب وكتب الى ابيفانيوس أسقف قبرص الذى كان ضريبا له فى شدة الكراهة لمؤلفات أوريجانوس وأفهمه بأن فم الذهب من أنصار ذلك العلامة . فعقد ابيفانيوس مجمعا من أساقفة قبرص وحرم من يقرأ تلك المؤلفات . ثم تبعه ثاوفيلس فى عقد مجمع بالاسكندرية صادق فيه على قرار مجمع قبرص وأرسل قرار المجمعين الى فم الذهب الذى عرف من خلالها المكيدة التى تدبر له فقال « هذان الرجلان يريدان خلعى غير انى سأثبت فى مركزى لان الله هو الذى أقمنى فيه »

وفى سنة ٤٠٣ م سافر البطريرك الاسكندرى الى القسطنطينية فاستقبل فيها باحتفال باهر من بحارة المراكب المصرية التى كانت راسية هناك حاملة ضريبة الحنطة . وكانت الاحوال فى القسطنطينية قد تغيرت وتحول قلب الملكة عن فم الذهب بسبب تبكيته لها على افراطها فى الخلاعة فطلبت الى البطريرك الاسكندرى أن يعقد مجمعا يحرم فيه فم الذهب ويحكم عليه بالنفى وقد تم ذلك فى مجمع عقد بالقرب من خلكيدون فى مكان جميل يدعى بالسنديانة ونفى فم الذهب رغما عن سخط شعب القسطنطينية على ذلك الامر . غير أن الله اعاده فى نفس ليلة نفية بسبب زلزلة كادت تقوض المدينة وترك البابا ثاوفيلس مدينة القسطنطينية راجعا الى الاسكندرية

غير انه بعد مدة نصبت الملكة تمثالا لها فى ساحة قريبة من كنيسة أجياصوفيا فكانت أصوات الطرب حول تمثالها تختلط بأصوات المرتلين فى الكنيسة ولذلك ندد فم الذهب بهذا العمل تنديدا قاسيا فعملت مرة أخرى على التخلص منه فطلبت من الاساقفة عقد مجمع آخر يحاكمون فيه فم الذهب مرة أخرى وطلبت من البابا ثاوفيلس أن يحضر ولكنه أبى واكتفى بابداء رأيه وهو « ان القانون الثانى عشر من قانون مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤١ م قرر ان الاسقف اذا عزله مجمع ما لايسوغ ارجاعه الا عن يد مجمع آخر أعظم من الاول وان الاسقف اذا التجأ الى الامبراطور بغية رجوعه الى وظيفته بدون تبرئة المجمع له يجب عزله أبدا من الوظيفة الاسقفية » أهـ و بناء على ذلك نفى فم الذهب نفيا مؤبدا حيث قضى نحبه فى منفاه هذا

أما الاخوة الطوال القامة فكان قد تم الصلح بينهم و بين بطريركهم وذلك ان البابا ثاوفيلس كان قد اتهم فم الذهب فى مجمع (السنديانة) بأنه حرض رهبانه على العصيان عليه

فطلب المجمع الشهود فى هذه القضية فوجد ان ديسقوروس أسقف هرموبوليس قد تنيح ولم يبق سوى امونيوس أخيه الذى حمل الى السندبانة وهو يحتضر فلما رآه البطريرك فى حالة الموت ذرفت عيناه دمعا مدرارا من شدة التأثر وزال من قلبه كل جفاء

ولا ريب ان تاريخ البابا ثاوفيلس قد تشوه بمقاومته لفم الذهب الرجل الذى أجمعت كل الكنائس على محبته ولكن التاريخ نفسه يخبرنا انه فيما بعد تجلى له سوء صنيعه وشدة تطرفه ضد أخيه فم الذهب فندم على ما بدا منه ضده ثم قضى بقية حياته فى الاعمال النافعة فأضاف بعض القوانين الى الكنيسة يحتوى أحدها على أن الاكليروس يجب أن يختارهم الاكليروس عند تعيينهم ويختبرهم الاسقف و ينتخبهم الشعب بعد تمام رضائه ورغبته . ثم اشتغل فى انجاز بعض الامور المهمة بنشاط تام حتى أصابه الهزال والضعف ومات بارا تقيا كما يشهد بذلك مؤلف كتاب « الدلالة اللامعة » ص ١١٧ حيث يقول « أن ثاوفيلس قد مات بارا وانه معدود من كبار معلمى الكنيسة الجامعة » وكانت نياحته فى ١٨ بابه سنة ١٢٩ ش [١] و ١٥ اكتوبر سنة ٤١٢ م وخلف لنا تآليف جليلة مملوءة بالتعاليم المسيحية النقية وكلها تدور حول المحبة والرحمة والنصح والتناول والقيامة والعقاب والثواب . وهو أول من أطلق على الكنيسة المصرية اسم « الكنيسة القبطية »

---

(١) بحسب الجدول الذى وضعه الاسعد ابن العسال من علماء القرن الـ ١٣ تعتبر نياحة البابا ثوفيلس سنة ١٤٧ ش لا فى سنة ١٢٩ كما ذكرنا عن الانبا ساويرس المؤرخ وذلك لان ابن العسال يذكر ان مدة رئاسة البابا ديونيسيوس ٤٠ سنة بينما يذكر الانبا ساويرس انها ١٦ فقط ولكننا سنضطر للسير بموجب جدول ابن العسال منذ الان لانه تام وتاريخ الانبا ساويرس يقف عند القرن الثامن ولهذا لا عجب ان كنت ترى فيما بعد ان البابا كيرلس ارتقى الكرسى سنة ١٤٧ ش مع انه أخذ مكان سلفه حالا

القسم الثـانى

رؤساء الرهبنة ومشاهير الكنيسة
وبعض مجهوداتهم

(١) مكاريوس المصرى (٢) مكاريوس الاسكندرى
(٣) باخوميوس (٤) يوحنا
(٥) بيمين واخواته (٦) ديديموس الضرير
(٧) تأسيس كنيسة مسيحية ببلاد الحبشة بواسطة أتعاب المصريين
(٨) نشر الرهبنة فى العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية
(٩) نشر الدين المسيحى بين السودانيين والبدو بواسطة أفاضل الكنيسة القبطية
(١٠) بعض الذين وفدوا على مصر فى هذا القرن لدرس نظام الرهبنة

(١) مكاريوس المصرى — (ابومقار الكبير):

ولد بالصعيد (وقيل ببلدة شنشور بالمنوفية) سنة ٣٠١م من أبوين مسيحيين فقيرين هذباه على روح النسك وكان مشتغلا فى حداثته برعاية البقر. واتفق يوما انه برفقة بعض أترابه سرقوا جانبا من التين الذى لم يأكل منه سوى تينة واحدة ومع ذلك انتبه الى زلته وعرف أنه أغاظ الله بها وأخذ يبكى و يندم عليها وبمرارة نفس كان يتذكرها طول حياته.

وقيل أن أبويه رأيا قبل ولادته انه سيولد لهما ولد ينشر صيته فى كل مكان ولذا سمياه مكاريوس أى طوباوى. ولما نشأ فى القامة زوجاه بغير ارادته فتظاهر بالمرض أياما. ثم استسمح أباه بأن يمضى الى البرية لتبديل الهواء وشاهد كل البرية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكأنه علم أنها ستكون ميراثا له ولبنيه من بعده. فترك كل أعماله الاولى وتمسك باذيال الفقر وسعى جهده فى اقتناء الفضائل حتى نمى خبره الى أسقف جهته فكرسه شماسا لخدمة الكنيسة. ولما كانت

هذه الخدمة غير ملائمة لأمياله أراد أن يهرب الى مكان بعيد عن الاماكن المأهولة وأخذ يباشر فكرته الاولى وكان يصنع سلالا و يعطيها لرجل صالح يبيعها و يأتيه بثمنها ما يقتات به . ومن أظهر صفاته التواضع والوداعة حتى أن الشيطان حسده وحرك عليه بعض الاشرار فاتهموه بصنيع فعل الدنس مع عاهرة وضربوه بقساوة وجروه فى الشوارع مستهزئين به ولكنه لم يفتح فاه كمخلصه بل صبر على كل ما أصابه والأبلغ من ذلك انه لم يرفض ما ألزم به وهو انه يعول تلك الامرأة بتقديم الدراهم اللازمة لمعيشتها مدة حبلها فجد فى صنع السلال وكان يخاطب ذاته عندما يستحوز عليه الكسل قائلا « اشتغل بنشاط يا مكار يوس فقد صارت لك امرأة » ولما داهم المرأة الطلق تعذبت جدا واضطرت أن تعترف ببراءة مكار يوس مما اتهمته به فذهب اليه الذين أهانوه وطلبوا منه الصفح عن أذيتهم له

أما هو فخوفا مّن أن يجلب له حسن تصرفه كرامة واحتراما من أولئك الناس هرب من ذلك المكان وتوجه الى صحراء ليبيا ببر ية الاسقيط بوادى النطرون وكان قد بلغ من العمر ثلاثين سنة . ثم قصد القديس انطونيوس أبا الرهبان فقال عنه « هذا اسرائيلى حقا لا غش فيه » وتتلمذ له مدة ولبس منه اسكيم الرهبنة وأقام ببر ية الاسقيط وكان قد شاع صيت فضائله فى العالم فهرع اليه الجماهير من المؤمنين ليتعلموا منه . فلما رأى كثرتهم شاد لهم ديرا فخيما لايزال قائما الى اليوم وكان يعرف أولا بدير مكسيموس ودماديوس (١) ثم عرف باسم دير السيدة برموس (أى الدير الذى يسبق دير موسى) وأعقبه بآخر وهو دير أبى مقار . وكانت تلامذته تنهج على مثاله فى حب الفضيلة والتقشف وكانوا جميعا يداومون الاشتغال بايديهم لاكتساب معاشهم مثله

ولما بلغ الاربعين من عمره سنة ٣٤٠ م التزم أن يرسم كاهنا لخدمة الاسرار الربية وتوزيعها على أولئك السياح العائشين تحت تدبيره . ومن فضائله انه كان يحب الصمت والانفراد ليتمكن من أن يختلى بالله متفاوضا معه ومناجيا اياه . وكان يفضل عيشة النسك على الترف واستمر محافظا على صرامة عيشته بفطنة تامة . وذات يوم كان أحد تلاميذه يكلمه وقت الظهر وقد شعر بعطش شديد فطلب منه اذنا بتناول قليل من الماء فاجابه قائلا « اكتف الآن بأن تستريح تحت هذه الشجرة فى ظلها متذكرا بأنه يوجد كثيرون من البشر فى هذه الساعة سائرين برا وبحرا من دون أن يحصلوا على هذا الفى الذى أعطى لك لتستظل تحته » ثم قال له « تشجع يا ولدى فانا قد جزت مدة عشرين سنة كاملة من غير أن اصنع ما كانت تطلبه منى أميالى الطبيعية لا فى المأكولات ولا فى المشروبات ولا فى النوم . لأنى لم آكل سوى كمية قليلة من الخبز الذى كنت قبل أن آكله أزنه كيلا يتجاوز القدر المعتاد ولم أكن اشرب الا مقدارا صغيرا من الماء . وأما نومى

(١) هما ولدا فالنتنيانوس الاول قيصر الغرب الذى تولى العرش سنة ٣٦٤م فهجرا العالم وابهة الملك وتتلمذا للقديس مكار يوس

فكان برهات وجيزة متباعدة غير متصلة وذلك باسناد رأسي على الحائط حينا لم يعد في جلد على فتح عيني » أهـ

ومن الطرق التي وضعها القديس مكاريوس لرهبانه ليتمكنوا بالسير فيها من اماتة أجسادهم قوله لهم « انه يلزم السائح أن يعود ذاته على الاصوام كأنه يجب أن يعيش مائة سنة وأن يضاد ميله و يقهر آلامه النفسانية . وأن يتناسى الاهانات التي تصنع في حقه وأن يتجلد في احتمال المكاره . وأن يصبر على الاوجاع و يتكبد المصائب كأنه في كل يوم مزمع أن يفارق الحياة . على أن التفكر في النوع الاول وهو استطالة الحياة يحجز عن الراهب والسائح كل نوع من الاهمال والتراخي في الخدمة الالهية المسبب من الخوف ومن الامراض الجسدية . وأما التفكير في النوع الثاني وهو أن كل يوم يمكن أن يكون هو الاخير من الحياة فهذا يصيره أن يحتقر الخيرات الارضية . و يتهاون بالاتعاب والامراض والشدائد متأملا في الوطن الذى كل يوم يمكن أن يدعى من الله للانتقال اليه في الحياة الابدية » أهـ ولما سئل هذا القديس عن النوع الملائم لحسن الصلاة أجاب قائلا « انه ليس بضروري أن تكون الصلاة مستطيلة بل يكفي أن ترفع الايدى نحو السماء بالقول « يارب اصنع معي الرحمة بالنوع الذى يرضيك » وأما حينما تحاربنا تجربة ما فيلزمنا أن نقول « ياالهي أعني » على أن الله يعلم جيدا ما هو الموافق لنا فلا يتغافل عن معونتنا »

ولكي يوارى الله فضيلة صفيه وأعماله النسكية تحت غطاء التواضع جعله وهو يصلي ذات يوم يسمع صوتا يقول له « انك لم تبلغ بعد يا مكاريوس درجة سامية من الكمال الذى بلغته امرأتان عائشتان في بيت واحد بالاسكندرية وهما فلانه وفلانه » فما سمع القديس هذا الصوت الا ونهض لساعته وجد في السير حتى اذا وصل الثغر المذكور واستدل على بيتهما قرع بابهما ففتحت له أحدهما فاستدعاهما وخاطبهما قائلا « انى من أجلكما قد عانيت مشقة السفر على بعد الشقة ومتاعب البرية وما ذلك الا شوقا لا علم ماذا تصنعان وما هي حالة معيشتكما » فقالتا له « هل يمكنك أن تجد صلاحا في امرأتين متزوجتين يعيشان في لذة ونعيم ؟ » فألح عليهما فقالتا له « أننا أقترنا بسر الزواج مع أخوين من مدة ١٥ سنة وقد مضت هذه المدة بدون أن تخرج من فم الواحدة كلمة تغيظ الاخرى ولم يحدث بيننا خصام أو شبه خصام قط وان الواحدة منا لا تميز أولادها عن أولاد سلفتها بل تهتم بما يرضي أولاد الاخرى قبل أولادها » ثم قالتا له « اننا قد رغبنا الى رجلينا في أن يمنحانا رضاهما الطوعي لكي ننفرد للعبادة في أحد أديرة الراهبات ولما لم يصرحا لنا تعاهدنا أمام مخلصنا أن نعيش هكذا الى آخر رمق من حياتنا . ونطلب منه تعالى أن يساعدنا على القيام بعهدنا » فلما سمع القديس خبرهما هتف قائلا « حقا ان الله يمنح المتزوجين كما يمنح المتبتلين وانه تعالى لا ينظر الا للضمائر والقلوب ويمنح روحه القدوس لجميع الذين يخدمونه من أية هيئة كانت »

وفي سنة ٣٧٥ م أمر فالنص قيصر الاريوسي بطرد جميع رؤساء الاديرة الذين حافظوا على

الايمان الارثوذكسي القديم فنفذ لوسيوس هذا الامر بان نفى القديس مكار يوس وسميه القديس مكار يوس الاسكندرى وكثير ين من الرهبان الى جز يرة فيلى فى الصعيد الاعلى (١) . وكانت هذه الجز يرة لا تزال وثنية بالمرة وفيها هيكل للاصنام مشهورة وكان كاهن هذا الهيكل محترما فى نظر السكان حتى كادوا يؤلهونه . فلما وصل هذان القديسان ومن معهما من الرهبان الى تلك الجز يرة كانت ابنة ذلك الكاهن الوثنى مصابة بروح نجس فانطلقت الى الشاطىء الذى رسى فيه القديسان وصاحت قائلة «لم أتيتم يا عبيد الله الى هذا المكان الذى استوطناه من زمن بعيد . اطمعتم فى الاستيلاء على هذه الجزيرة بعد أن استوليتم على القطر كله . ها نحن نتركها لكم اذ لا قوة لنا على مقاومتكم» ولما صلى النساك على الفتاة فارقها ذلك الروح الشر ير فبرئت . وللحال اعتمد معظم أهالى تلك الجز يرة الوثنية . ولما سمع الشعب الاسكندرى بهذا الخبر طالب لوسيوس بشدة بارجاع هذين البار ين فاصدر أمرا خصوصيا بالرغم عنه باعادة هذين الرئيسين ومن معهما حوالى سنة ٣٧٦ م

وما رجع القديس مكار يوس الى بر يته حتى أستأنف أعماله التقو ية فظل يعلم المتوحدين و يرشدهم الى أن رقد بالرب فى ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ ش بالغا من العمر ٩٠ سنة تاركا بر ية الاسقيط تحاكى السماء موطن الملائكة ومقر التسبيح والتمجيد (٢) وقد نما عدد رهبانه الى ١٥٠٠ راهب . وكانت لهم مكانة كبرى ومنزلة عليا لما اشتهروا به من كثرة الحكمة ووفرة العلم

ولهذا القديس مؤلفات جليلة رد بها على مؤلفات الوثنيين ضد الديانة المسيحية لم يعثر العالم المسيحى منها أو بالحرى لم يصل ليده من تلك العصور المتقدمة الا كتاب عظاته المحتوى على خمسين عظة وكتب فى المبدأ باللغتين القبطية لفائدة رهبانه وأمته و باليونانية لفائدة أهل هذه اللغة الذين كانوا منتشر ين بمصر . ومع أن أكثر مؤلفات آباء الكنيسة اغتالتها يد الضياع الا أن نسخة عظات هذا القديس ظلت محفوظة حتى وقف عليها الانكليز وطبعوها بلغتهم ثم ترجموها الى العربية . وللقديس خلاف المواعظ بعض أقوال أخرى روحيه منثوره فى كتاب بستان الرهبان . وله سبع رسائل لاهوتيه طبعت بالفرنسيه فى مدينة طولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤ م

---

(١) جنوبى أسوان و بينها ثمانية كيلومترات وتعرف عند العوام باسم «أنس الوجود»

(٢) سرق جسد القديس ودفن بكنيسة شبشير طملاى بمركز منوف ٤٤٠ سنة ونقله البابا ميخائل ٣ الى البر ية ولم يزل بها لليو

(٢) مكاريوس الاسكندرى :

ولد فى الاسكندرية فى أوائل القرن الرابع من والدين فقيرين ولهذا اشتغل خبازا بضع سنين وكان يصنع الفطائر و يبيعها لينفقها فى ما يحتاج ولما كان الله قد انتخبه اناء مقدسا له لبث بين الموعوظين الغير المعمدين ثلاثين سنة . الا انه بعد ما اعتمد وتقوى بالنعمة لم تطب له عيشة أهل العالم فكان يتوق الى سماع أخبار النساك والسياح العائشين فى البرارى والقفار وعزم على الاقتداء بهم قائلا « ان قيمة نفسى توازى قيمة نفوس أولئك القديسين فلما لا أنسج على منوالهم »

ثم انطلق الى القديس انطونيوس وتتلمذ له وترهب بوادى النطرون فى أيام الانبا مكاريوس الكبير و بعد ذلك توجه الى برية متوحشة وأقام يعبد فيها سبع سنين بغاية التعنف اقتصر فى الثلاث السنين الاخيرة على أكل الحشيش والعروق النيئة المرة . وقد انتهى أخيرا الى حد الامساك فكان لا يأكل الا مرة فى الاسبوع لاعتقاده أن جسده هذا هو عدوه الالد و يقول عنه انه شريك الشيطان فى الاضرار بى فينبغى أن أذله وأضعفه حتى لايقوى على محاربتى

وكان يصرف نهاره فى الترتيل وليله فى الصلاة واذا غلب عليه النعاس كان يعذب نفسه بحيث يبقى أياما وليالى بدون أن ينام وقد ألزم نفسه بأن لا ينام فى كل ليلة أكثر من ساعتين واستمر هكذا طول حياته . ولكنه فى صوم الاربعين المقدسة كان يزداد فى تشقفه وقد قضى مرة هذا الصوم واقفا لم يجلس ولم ينم بل كان يصلى واقفا أم جاثيا ولم يأكل ولم يشرب الا فى أيام الآحاد

وذات يوم لسعته نحلة فقتلها ولكنه ندم فيما بعد على قتلها واراد الشيطان أن يدخل فى عقله الافكار النجسة فمضى وسكن فى مكان مملوء بالزنابير لا تقدر الحيوانات أن تسكن فيه خوفا من لسعاتها فأقام هو فيه ستة أشهر يتحمل لسع الزنابير السامة ولما ترك ذلك المكان كانت هيئته قد تغيرت الا انه انتصر على الافكار الشريرة

وبعد كل ذلك الجهاد الطويل لم يكن يشعر بانه عمل شيئا يؤهله لنيل الحياة الابدية وما كان يظن انه ابتدأ بالسير فى طريق الفضيلة ولهذا عزم على الذهاب الى بعض السياح ليسألهم عن كيفية العبادة الحقيقة ومن ثم قام الى برية الصعيد وتنكر بلبس أثواب خادم لئلا يعرفه أحد وقصد مجمع القديس باخوميوس بصفته عاميا يريد أن يترهب فلما رآه رئيس الدير شيخا منعه لعدم اقتداره على العيشة المتعبة أما هو فألح عليه بدموع ليقبله فقبله ودفع له جانبا من الخوص لكى يضفره . فانفرد فى مكان وظل يشتغل واقف على قدميه ثلاثة أيام بلا أكل ولا شرب حتى قال أحد الآباء للقديس باخوميوس « أخرج عنا هذا الرجل لأن ليس له جسد »

أما القديس باخوميوس فقد عرفه بارشاد الهى فاستقبله باحتفال عظيم فشق عليه هذا الامر وخرج من تلك البرية ولجأ الى مكان فوق جبال نيتريا . ولم يلبث فى هذا الموضوع طويلا حتى

بلغ خبره الى البطريرك الاسكندرى فأرسل اليه أناسا أتوا به ورسمه كاهنا فلما رأى نفسه قد اكتسب درجة كهنوتية أراد أن يزداد فى تقشفه واكتساب الكمال فترك كل البرارى المعروفة وانفرد فى أخوف برارى ليبيا التى أطلق عليها فيما بعد اسم برية القلالى نظرا لكثرة القلالى التى ابتناها القديس هناك لتلاميذه الكثيرين

وكان قد التف حوله أكثر من ٥٠٠٠ راهب ومتوحد فكان يرشدهم و ينفعهم فضلا عن قيامه بواجبات عبادته الشاقة فكان يصلى فى النهار مائة مرة و يقضى أكثر الليل فى الصلاة المتوالية . وروى انه بقى مرة يومين كاملين يصلى دون أن يتوه عقله دقيقة واحدة . أما موضوع تأملاته فما كان الا يسوع المصلوب . فكان يقطع كل أوقاته بالتأمل فى آلامه و يرثى لحال أمه التى كانت واقفة تحت صليبه ولهذا أوصى تلاميذه باكرامها والتشفع بها

وقد أتاه يوما الانبا بلاديوس واعترف عليه بان الافكار الباطلة تزعجه و بين له ميله لترك رياضات الصلاة فقال له القديس اياك أن تغلب بهذه التجربة الشديدة الخطر وانى أشير عليك بأن تطيل الصلاة كل ما تبلبلت بتلك الهواجس واياك أن تنقص منها شيئا البتة وقل للعدو ان كنت لا أقدر أن أصلى كما يجب فانى استمر فى مخدع الصلاة حبا بالمسيح

وكان لهذا القديس قوة اخراج الشياطين بمجرد اشارة الصليب . وقد أتى اليه أحد الكهنة مرة وهو يشكو من آكلة مريعة وخر قدامه طالبا عونه فتحنن عليه القديس وشفاه ثم قال له انما أصابك هذا المرض لانك تجاسرت على أن تقدم ذبيحة القداس الالهى فى حال الخطيئة المميتة ثم أمره أن لا يقدس قبل أن يتوب لله توبه صادقة

واضطهد فالنص الاريوسى هذا القديس ونفاه مع القديس مكاريوس المصرى كما سبق معنا . وحدث بينما كان القديس مسافرا فى النيل مع اثنين من قواد جيش الملك دنا منه أحدهما وقال له طوبى لكم أنتم الذين تستهزئون بالعالم فاجابه القديس مكاريوس حقا ما قلت و يا لسوء حظكم أنتم الذين لا تدرون أن العالم يستهزىء بكم

ولما رجع من منفاه سكن بريته الاولى ثم مات فى ٦ بشنس سنة ١١٢ ش و ٣٩١م وكان عمره ٨٩ سنة . وقد ذكر بلاديوس الذى عاشر القديس زمانا مديدا انه كان قصير القامة وضعيف المزاج . وله قوانين كثيرة طبعت فى باريس سنة ١٦٣٧ م ورسالة فى نفوس الابرار بعد الموت طبعت فى اوترخت بسويسرة سنة ١٦٩٦ م

(٣)باخوميوس :

هو الملقب بابى الشركة لأنه أول من ابتدأ بالعيشة المشتركة فى الاديرة تحت قانون واحد

ورئيس تعيش الرهبان تحت طاعته . ولد بطيبة (١) من أبوين وثنيين مثريين ربياه وأرشداه فى الاعتقادات الوثنية الكاذبة ولما أدرك رشده حاولا يوما أن يرغماه على عبادة الاصنام فلعنها وهزأ بعابديها وفي يوم آخر سقياه خمرا كانت قد قدمت للاوثان فتقيأها لساعته فاستنتج والده من ذلك أنه سيكون عدوا للاوثان .

ولما بلغ العشرين من عمره تطوع فى الجيش الرومانى وحارب فى بلاد الحبشة تحت قيادة والد قسطنطين الكبير الذى كان وقتئذ قائد جيوش ديوكلتيانوس قيصر وحضر مواقع حربية أظهر فيها شجاعة فائقة وهمة عالية ودخل يوما مع بعض الجنود مدينة ديوسبولى حيث كان يقطن كثيرون من المسيحيين الذين شفقة منهم على هؤلاء الجنود قدموا لهم ما لزم من الاكل والشرب وأعدوا لهم وسائل الراحة فتعجب باخوميوس من هذه الشهامة وسأل عن السبب الذى حمل أولئك الناس على معاملتهم بالمحبة والرحمة دون أن يعرفوهم فأجابوه بانهم مسيحيون وديانتهم تأمرهم بصنع الخير مع كل أحد مهما كانت جنسيته وديانته ومع انه كان قد درس علوما كثيرة ولكنه لم يعرف شيئا عن المسيحية التى مال بقلبه اليها وتوسل الى الله قائلا « ايها الاله القادر على كل شىء امنحنى أن أعرف بأى نوع تريد أن أسجد لك وأخدمك »

ثم غادر الجندية بعد نهاية الحرب وعاد الى وطنه وذهب حالا الى كنيسة ثيتوسكوبوس وانخرط فى سلك الموعوظين وهكذا فى عيد فصح سنة ٣١٤ م اعتنق المسيحية ونال سر العماد من الانبا سيرابيون (سرابامون) أسقف دندره (٢) وله من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة . وفى ليلة عماده شاهد فى الحلم فى رؤيا سماوية أن يده اليمنى ممتدة تحت ندى السماء الذى استحال على الفور الى تفاحة بيده وسمع صوتا يقول له « احتفظ يابخوميوس على ما يأتى عليك الآن الذى هو علامة النعمة العظيمة التى أراد المسيح ان يسكبها على قلبك »

وبعد عماده شعر بميل زائد نحو عيشة الكمال المسيحى واشتاق للعزلة والانفراد فتوجه الى أسوان وتتلمذ للانبا بلامون أحد شيوخ البرية الذى قال له « ان حياة السواح يا ابنى هى أكثر صعوبة مما تتصورها حتى أن كثيرين ابتدأوا بها ولم يستطيعوا أن يتمموها . فتأمل فى نوع عيشتى ففى فصل الصيف آكل مرة واحدة فى كل يوم وفى فصل الشتاء كل يومين مرة . وطعامى دواما الخبز والملح دون أن استعمل زيتا أو خمرا . كما أننى أقضى نصف الليل وأحيانا الليل كله فى تلاوة المزامير وفى التأمل فى الكتاب الالهى ولهذا انصحك أن تروض نفسك مدة على هذه العيشة و بعد ذلك تأتى الى وأصيرك رفيقا لى » فأظهر باخوميوس مزيد خوفه ولكنه تقوى داخلا بنعمة الله وأجاب الانبا بلامون قائلا « اننى أتكل على نعمة المسيح واستند على صلواتك من أجلى لانال قوة استطيع بها أن أعيش متمما واجباتى لغاية الموت » فسر القديس بلامون من حسن جوابه وألبسه

(١) هى الآن الاقصر ومن بقاياها مدينة أبو وذراع ابى النجا والقرنة

(٢) على شاطىء النيل الغربى أمام بندرقنا

اسكيم الرهبنة . فسار التلميذ في طريق الكمال و بالغ في اماتة جسده حتى فاق معلمه في صرامة العيش وطول الصوم والسهر. واتفق أن سائحا مريضا بمرض الكبرياء كان يصنع العجائب بقوة أبليس حتى انه كان يمشي على جمر نار ملتهب فلا يحترق فجاء الى القديسين وقال لهما هل حصل أحدكما على مثل هذا الايمان الذى حصلت عليه فاني أمشي في وسط النار بدون أن تمسني فأجاب الآب بلامون أن احسننا التواضع فيكون حينئذ ايماننا حسنا . فلما سمع باخوميوس هذا الكلام بدأ يزداد في فضيلة التواضع وأما ذلك المغرور فأسقطه أبليس في الزنا ومات شرمية

و بعد مدة سنتين تباعد يوما عن قلايته في مقرقريب من طابانا (١) ليلتقط حطبا ماشيا بين الشوك حافيا كعادته ولما كان يصلي جاثيا ظهر له ملاك الرب وأشار عليه ببناء دير في تلك الجهة التي كانت بلدة قديمة خربة . فمضى الى شيخه وقص عليه الرؤيا ثم ذهبا وسكنا في المكان المعين و بنيا هذا الدير (٢) و بعد أن شيدا عدة أمكنة هنالك ترك القديس بلامون تلميذه باخوميوس فيها ورجع الى مكان عزلته ولم يعد يواجه أحدهما الاخر الا مرة واحدة في كل سنة . وتوفي القديس بلامون بعد مدة ولكن باخوميوس تعزى بحضور أخيه البكر يوحنا لأنه لم يكن قد شاهد أحدا من اقربائه منذ تركه لوطنه وسر لأن أخاه اعتنق الديانة المسيحية وعشق سيرة الرهبنة . ولكنه كان غليظ القلب فتعب القديس باخوميوس كثيرا في سبيل تهذيبه حتى صيره أنيسا وديعا و بعد أن قضى خمس عشرة سنة في ذلك الدير مات بارا تقيا

فاستمر القديس باخوميوس بعد موت أخيه مواظبا على عيشة الوحدة والتقشف في ذلك الدير وأخذ الشيطان في محاربته بالافكار الرديئة التي كان ينتصر عليها بتأمل نار جهنم التي لا تطفأ ودودها الذى لا يموت . ثم ظهر له الشيطان بأشكال متنوعة لذيذة ومخيفة ليوقفه عن عبادته ولكنه تسلح ضده بالاسلحة الروحية وقضى بمعونة الله عز وجل أربعين ليلة لم ينم البتة ممارسا الصلوات والقراءة في الكتب الالهية حتى انغلب العدو أمامه كما أنه استمر مدة خمس عشرة سنة لا ينام فيها الا برهات وجيزة مستندا على عكازه من دون أن يقرب من الحائط . وقد اعطاه الله سلطانا على تماسيح نهر النيل فلم تكن تضره ابدا

واذ كان يصلي ليلة ظهر له ملاك الرب واعلمه بأن يتخذ العناية لتهذيب الآخرين فشرع يقبل في ديره جميع الذين احبوا السير على منواله حتى انه في زمن وجيز جدا وجد عنده مائة راهب أما الفرائض الرهبانية التي وضعها فقيل انه اقتبلها من الملاك نفسه

---

(١) و بالقبطة «طابنيسيس» وتعريبها «نخل ايزيس» وهي بلدة تابعة لابروشية دندرة . قيل انها جزيرة في النيل تعرف الآن بجزيرة الغريب . وقيل انها مدينة كانت على الشاطىء الايمن للنيل الجنوبي «فاو» بمديرية قنا

(٢) للانبا بلامون دير بناحية القصر والصياد بمركز نجع حمادى بمديرية قنا لم يزل عامرا الى اليوم

ولا يخفى ان الطريق التي سار فيها الانبا انطونيوس وجعلها فريضة لرهبانه من بعده وهى أن يحصل كل واحد منهم على قوته بتعب يديه كانت عسرة وشاقة وغير كافلة بحفظ الرهبانية ودوامها فى عالم الوجود والفضل للانبا باخوميوس صاحب الشركة الذى اتخذ طريقة سهلة قدر الناس بواسطتها أن يعتنقوا الرهبنة و ينتظموا فى سلكها فى كل زمان وهى انه وضع كل قنية الرهبان ومحصول تعب أيديهم فى مجمع واحد تحت سلطة أحدهم وتدبيره وجعلهم يعيشون عيشة روحيه ودعا ذلك ايكونونيا (شركة) وفرض عليهم أن يشتغلوا بأيديهم لربح الدير ولكنه ترك الحرية لكل واحد ليشتغل حسب قوته ونشاطه . ولم يكن الرهبان يأكلون الا وهم مجتمعون على المائدة وكما فرض لهم هذا القانون فرض لهم قانونا آخر لحياتهم الروحية ورسم فى ذلك القانون فرائض ليست بمستطيلة جدا اشفاقا على المتقدمين فى السن من الرهبان فكانوا يحضرون يوميا لتلاوتها أمام الهيكل بدون كلل و يتناولون الافخارستيا فى يومى السبت والاحد . ولما لم يوجد بين الرهبان أحد حاصلا على درجة كهنوتيه (وحفظ هذا الامر فى دير طابانا بعد موت القديس باخوميوس مدة تزيد عن المائة سنة) فلهذا كانوا يحضرون بعض الكهنة من الكنائس القريبة لاتمام خدمة القداس . وأما الوعظ فكان يصير مرتين أو ثلاث مرات فى كل سنة .

ووضع للرهبان أن يستعملوا الكتاب المقدس بارشاد الرؤساء حتى فى وقت شغلهم وأن يحفظوا المزامير غيبا . ومن لم يكن يعرف القراءة فكان يلزم بحفظها قبل لبس شكل الرهبنة ليتمكن من اشباع نفسه بتلاوة الكتب المقدسة . وكان على الرهبان أن يشتغلوا بايديهم للحصول على حاجتهم وترك القديس باخوميوس الحرية لكل واحد ليشتغل حسب قوته ونشاطه وكان كثير النصح لهم بترك الميل لمجد العالم وحدث أن أحد الرهبان المكلفين بالنسيج اشتغل فى يوم واحد ما يلزمه عمله فى يومين ووضعه على باب قلايته لكى يكتسب اطراء القديس فلما رآه وأدرك سر يرته قال للرهبان الحاضرين « تأملوا ان هذا الراهب يجهد نفسه بالتعب من الصباح الى المساء لاجل الشيطان وهكذا يضنى جسده من غير افادة لنفسه » ثم أمر ذلك الراهب بأن يحضر فى اجتماع الرهبان و يلتمس منهم أن يصلوا لاجله أمام الله ليهبه الغفران وفرض عليه أن يبقى فى قلايته خمسة أشهر يقتات بالخبز والماء فقط . ولاحظ مرة أخرى أن راهبا كان يصوم كثيرا محبة فى نيل الفخر فأمره بأن يحضر نصف النهار مع الرهبان الى المائدة ليأكل معهم من الخبز والحبوب المسلوقة أفضل من أن يصوم طالبا المجد الباطل

وذكر انه رأى يوما قوما من الرهبان الحديثين صاعدين الى شجرة تين ليأكلوا سراً فأمر القديس حينئذ بقطع الشجرة فشفع فيها البستانى الذى كان رجلا فاضلا معتبرا ولم يرد القديس أن يكسر خاطره فلم يقطعها ولكنه صلى و بعد صلاته يبست التينة . ومن القوانين أن يصلى الرهبان اثنتى عشرة مرة نهارا واثنتى عشرة ليلا و يصوم كل منهم حسب طاقته وغير ذلك من القوانين التى سار عليها غيره فيما بعد . وكان القديس يعامل الرهبان بالحلم والشفقة ولا سيما الشيوخ والمرضى منهم

أما الشبان فكان يتصرف معهم بالاناة والصبر و يدرجهم قليلا قليلا فى طريق الكمال ولم يلزمهم بتقشفات الدير الاعتيادية كلها بل أمر الطباخ بأن يصلح لهم طعاما خصوصيا فلم يعجب الطباخ هذا الامر حتى أنه فى بعض الايام لم يهيء لهم شيئا من الطعام لانه حسب زعمه لم ير هذا لائقا بالراهب ومن جهة أخرى كان يجد فرصة لجدل الجدائل لاجل فائدة الدير. فلما علم القديس بفعله هذا أمره أن يأتى بكل ما كان صنع من الجدائل وكان عددها نحو خمسمائة فوضعها كلها أمام الرهبان واحرقها ثم قال أن الطاعة لا تأذن للراهب أن يفحص عن تصرفات رئيسه فان ذلك مما لا يسوغ له انما عليه أن يطيع بسرعة وسرور. ومرة أخرى أرسل وكيل الدير ليبيع جدائل الدير وعين له ثمنها فلما مضى ذلك الوكيل اتفق أن أناسا قدموا له أكثر من الثمن الذى عينه له الرئيس فباعها بالثمن الاعلى فاذ علم القديس بذلك و بخه أيضا على مخالفته واوصاه أن يرد للشارى ما كان اخذه فوق الثمن المعين . ثم عزله من وظيفته وعاقبه بأن فرض عليه ممارسة أفعال شاقة وأمر الجميع أن ينبذوا كتب الهراطقة وكانت قوانين هذا البار محفوظة فى كل الاديرة التى كانت تحت اشرافه . وروى كاسيانوس الذى زار أديرة القطر المصرى بعد ذلك بأزمنة مديدة انه رأى أولئك الرهبان محافظين تماما على تلك القوانين لا سيما ما يختص برؤسائهم حتى اذا كان أحدهم يكتب وناداه الرئيس لا يتم كتابة الحرف الذى ابتدأ به بل يقوم اليه عاجلا وشهد بأنهم لم يكونوا يضعون فى قلاليهم الا الضرورى لقوتهم حتى يتلألأ على وجوههم نور الفضيلة وتسطع منها أشعة الصلاح .

وكان القديس باخوميوس أشد الناس سرورا بنجاح رهبانه الذين كان يأتى لمشاهدتهم كثيرون و يتعجبون ما يرونه من الصفات المقدسة فى أناس يشبهون الملائكة من كل الوجوه . غير ان ابتهاج القديس تحول الى حزن لما أعلن له الله عن حال رهبنته فى المستقبل وعن التغير العتيد أن يحدث فيها من قبل رؤسائها ولهذا شدد على الرهبان بحفظ قانونه جيدا ومقاومة الميل لمجد العالم مقاومة مستمرة بقوله « ترى ما الذى يجعل الانسان أن يهمل ذاته الا اذا انجذب الى محبة المجد الباطل . ولماذا ينتفخ متعظما مع انه ليس الا ترابا ورمادا . فلنبك بالاحرى على ذلنا وشقائنا ما دام لنا زمان للبكاء . حتى اذا انتهت أيام غربتنا لا نحتاج الى زمن آخر لنتوب فيه دون أن نحصل عليه . على انه طالما نحن فى قيد هذه الحياة نستطيع أن نندب خطايانا وننوح عليها . وأما فى جهنم فيقول المرتل « لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاو ية من يحمدك » (مز ٦ : ٥) فلتلزمنا تيارات من الدموع لنبكى البكاء الواجب على نفس تعيسة تكون رفضها العالم وما فيه رجعت تتشبك بمهماته وشهواته وتعود الى الافكار اللحمية والرغبات الارضية وعلى هذه الصورة تسقط من جديد فى ذلك الاسر الذى فازت أولا بالنجاة منه فلا نرتضى يا اخوتى الاعزاء بأن يفقدنا الحياة الابدية هذا العالم الغرار الفانى الزائل الذى لا يمكننا بوجه من الوجوه أن نتكل عليه » أهـ

ولما اشتهر أمر القديس باخوميوس وتردد اسمه على الالسنة أتت أخته مريم لز يارته فلم يرد أن يقابلها ولم يسمح لها بالدخول الى الدير بل أرسل البواب يقول لها أن أخاك فى سلام وقد دع

العالم فلا يود أن يراه ثانية وان كنت تشتهين التنسك وتصيرين قدوة صالحة للنساء فهو يبتنى لك ديرا لتعبدى الله فيه فلبت أخته دعواه وشيد لها ديرا خاصا سنة ٣٤٠ م واجتمع معها نساء كثيرات يعبدن الله تحت اشراف القديس باخوميوس

واستمر القديس على اسداء النصائح للرهبان الذين يرى فيهم عيبا ولما يراهم باقين فى حالتهم الرديئة يصلى من أجلهم دون أن يؤدبهم سريعا منتظرا فعل نعمة الله فى قلوبهم . وكان بين رهبانه عشرة أشخاص متقشفين للغاية ولكنهم كانوا ذوى ألسنة نمامة الامر الذى كان يكرهه القديس جدا . واذا أتفق يوما أن أحدهم جاء اليه يتكلم معه ضد قريبه كان يتركه و يقوم حالا وهو يقول له كلمات المرتل « الذى يقع بقريبه خفية كنت أطرده » وهكذا يصده عن النميمة ولكن هذه الطريقة لم تجعل أولئك العشرة يكفون عن ارتكاب خطيئة النميمة فالتجأ الى الله بالصلوات الحارة مدة أربعين ليلة من دون أن يرقد مطلقا أو يأكل سوى مرة فى كل أسبوع الى أن تنازل الرب وأوقف النمامين عن التكلم بالنميمة . ولما كان يقدم نصيحة لراهب كان يطلبها بكل لطف ومحبة واذا لاحظ أن أحد الرهبان تألم من كلمة صدرت منه لايستريح حتى يزيل منه ما ألم به من جرى كلامه

وأما من جهة الاذى الذى يصدر ضده فكان كأنه عديم الشعور به بل يقبله بكل فرح وسرور . ومن ذلك أن أحد رهبان دير طابانا طلب من الرئيس أن يرفعه الى وظيفة ايكونوموس فقال له هذا ان الآب العام باخوميوس لم يسمح بترقيته فامتلأ ذلك الراهب غيظا على القديس وذهب اليه مسرعا فوجده يشتغل مع الرهبان فى ظل حائط الدير فأنشأ يهينه بكلمات شديدة . أما القديس فأخذ يعتذر له كأنه مذنب فى حقه وأمر الرئيس بترقيته وبهذا اللطف عالج حدة الراهب فعدل عن الوظيفة وطلب الصفح والغفران عما أفرط به . وكان القديس لا يميز نفسه عن الرهبان فى شىء لا فى زمن الصحة ولا فى زمن المرض حتى انه لم يخدم منهم بل بالعكس كان هو يخدمهم ولم يتميز عنهم الا باتعابه وتواضعه وصبره على المكاره

وحوالى سنة ٣١١ م زار القديس اثناسيوس الرسولى جميع ابروشيات كرازته لتثبيت رعيته فى الايمان الأرثوذكسى وفى أثناء زيارته لكنائس طيبة رأى أن يمر من ضواحى دير طابانا . فالقديس باخوميوس خرج لملاقاته مع عدد كثير من رهبانه ولكى لا يعرف من البطريرك ولا من رفقائه زج نفسه بين الرهبان الآخرين كأنه أحقر من فيهم ولما قصد البابا اثناسيوس أن يرسمه قسا هرب الى تبنه (١) فقال البابا لاولاده قولوا لابيكم الذى بنى بيته على الصخرة التى لا تتزعزع وهرب من المجد الباطل « طوبى لك وطوبى لاولادك »

(١) هى جزيرة قرب دندره .

وحدث أن شابا يدعى ثيوذوروس ابن امرأة شريفة الاصل تأمل ذات يوم وهو فى الثانية عشرة من عمره في زوال هذا العالم و بطلان أمجاده وأدرك انه عديم المنفعة لمن يحبونه فعزم على السير فى طريق الزهد وتوجه الى القديس باخوميوس وعرض عليه نفسه فقبله لعلمه أن الله اصطفاه ليكون رئيسا للرهبان بعده

وعلمت أم ذلك الشاب بما نواه وسار فيه فاستولى عليها الحزن وتوجهت الى الدير وطلبت من القديس باخوميوس أن يرد لها ابنها فأجابها انه نذر نفسه لله فالتمست منه أن يدعوه اليها لتراه فأبى ابنها أن يراها معتذرا بقوله « من يضع يده على المحراث لا ينبغي أن ينظر للوراء » فتأثرت الام من قساوة ابنها بل من عزمه الشديد على السير فى طريق الفضيلة وأحبت أن تقتفى أثره فانضمت الى دير النساء (١)

وقد ميز الله صفيه باخوميوس بموهبة صنع العجائب والتكلم بالنبوات فتوافدت عليه الناس من كل مكان بعضهم لنوال الشفاء و بعضهم للاستشارة فى أمورهم . غير أن القديس لم يهتم بشفاء المرضى من رهبانه بل كان يشجعهم على احتمال كل ما يصابون به من قبل الله بشكر زائد حتى يكتسبوا رحمته ورضاه دواما . وأخص تلاميذه ثيوذوروس المذكور اعتراه يوما وجع شديد فى رأسه وطلب منه أن يشفيه فأجابه « اعتقد جيدا يا ابنى بأنه لا تأتي علينا الاوجاع والاحزان أو اية شدة كانت الا بارادة الله أو بسماحه فاحتمل اذا بصبر واتضاع هذا الوجع الذى أرسله لك الله وانتظر الى أن ينقذك منه تعالى متى يشاء . وأنه اذا كان عز وجل يتنازل لان يمنحك بواسطة هذا العذاب مدة مستطيلة من الزمان فيقدم لعزته الشكر عن ذلك نظير أيوب البار الذى فيما بين أوجاعه وآلامه لم يكن يفتر عن مباركة الرب وتأكد أيضا انه وان كانت الاصوام أو الصلوات و باقى أفعال الاماتات ممدوحة بلا ريب فان احتمال ما يفتقدنا به الله من الشدائد بصبر هو أجود وأكثر استحقاقا للمدح » أهـ

ولما كثر حول القديس ازدحام الناس الذين يقصدون أن يستشيروه فى أحوالهم بعلمه الالهى أنعم الله عليه بمعرفة اللغات كما أنعم بذلك على الرسل وسببه أن راهبا جاءه من رومية وقصد أن يرتشد منه فابتهل الأب الى الله من أجل فائدة هذا الراهب وقال « أنت تعلم أيها الاله اننى لعدم معرفتى لغات لا أقدر أن امنح ربحا باسمك للذين يأتون الى من أماكن بعيدة فاما أن تمنحنى معرفة لغة من يقدم الى لافيده أو لا تدع أحدا يأتى الى » فاستجاب الرب طلبه وسمع اعتراف الراهب وأرشده

---

(١) صار ثيوذوروس فيما بعد وكيلا على الرهبان للقديس باخوميوس و بعد نياحة هذا القديس أقيم رئيسا عاما لهم .

و بعد أن بنى القديس باخوميوس أديرة كثيرة واجتمع فيها ما ينيف على السبعة الالاف راهب وفى دير طابانا اجتمع ألف واربعمائة راهب أراد الرب أن ينقله اليه فبعد الصوم المقدس لسنة ٣٤٨ م افتقد الله رهبان أديرة القديس باخوميوس بمرض أمات منهم فى مدة وجيزة نحو مائة راهب أكثرهم من الاتقياء ثم ان القديس باخوميوس مرض أربعين يوما اجتازها بكل سكينة الروح وبهجة القلب وقبل رقاده بيومين جمع لديه رهبانه وخاطبهم قائلا « اننى اشاهد يا أولادى الاعزاء ان الله عن قرب يريد أن يدعونى اليه . أما أنا فمن دون خوف أقبل نحو الموت . لانى واثق بصلاح الله الغير المتناهى . فاحفظوا أنتم فى ذهنكم الاشياء التى أوصيتكم بها مرات كثيرة . فكونوا ساهرين فى الصلوات حارين فى اعمالكم . واهربوا من المخاطبات مع أولئك الذين يمكنهم أن يسلبوا منكم فضيلة الايمان أو يعكسوا استقامة عوائدكم .بل تقدرون أن تتفاوضوا مع أناس خائفين من الله . الذين بواسطة سيرتهم الفاضلة يكونون لديكم نموذجا صالحا يفيدكم للبناء ولتعزية أنفسكم . فأنا الآن أشعر بانحلال قواى و بدنو ارتحالى بانفصال نفسى من جسدى . . فانتخبوا اذا فيما بينكم بحضورى معكم رجلا يتخذ على ذاته تدبيركم بعد الله مهتما فى خلاصكم الابدى . أما أنا فأرى ان باترونيوس أليق لهذه الوظيفة » أهـ

فوافق كل الرهبان على اختياره وقبلوا باترونيوس رئيسا عليهم وكان هو أيضا مريضا وقتئذ فى دير آخر . ثم أوصاهم القديس باخوميوس باتباع قوانينه وتجنب الهراطقة و بالثبات فى الايمان الارثوذكسى وقدم لهم ثيوذوروس تلميذه أيضا ليقبلوا رئاسته فى الوقت المناسب واذ رأى ملاك الله يتقدم اليه بخطوات هادئة رسم على ذاته علامة الصليب وأسلم الروح فى ١٤ بشنس سنة ٢٢٢ ش و ٣٤٩ م وهو ابن ٧٤ سنة ودفن فى المكان الذى أوصى به

وقد ظلت رهبنة هذا القديس قائمة فى الشرق حتى القرن الحادى عشر . وقد روى انسلم أسقف هافلبرج بالمانيا من رجال ذلك القرن انه شاهد بالقسطنطينية ديرا باسم القديس باخوميس وبه ٥٠٠ راهب عاملين بقوانين ذلك القديس العظيم . أما سيرة هذا البار فقد دونها أحد رهبانه بالقبطية ونقلها عنه ايرونيموس فديونيسيوس الصغير . وقد عربها بعض القبط ثم ترجمها الموسيو اميلينو الى الفرنسية وطبعها فى باريس سنة ١٨٨٩ م . و بعد القديس باخوميوس ترأس مكانه باترونيوس كاشارته و بعد هذا ترأس ثيوذوروس المشار اليه آنفا والذى تنيح و بالدير ثلاثة آلاف راهب ورسم القديس اثناسيوس أموز أسقفا على دير طابانا وهو الذى اضطهده غريغوريوس الدخيل ونفاه

(٤)يوحنا الاسيوطى :

ولد فى ليكو بولى (أسيوط) سنة ٤٠٥ م من أبوين فقيرين وكان أبوه نجارا فتعلم صناعته ومارسها الى أن بلغ الخامسة والعشرين من عمره ورأى فى نفسه ميلا لعيشة الانفراد فانطلق الى البرية تتلمذ لناسك شيخ الذى رآه فى اتضاع تام فرفعه الى أرفع درجة من الكمال

وكان يوحنا معروفا بالطاعة الكاملة ومن دلائل ذلك ان معلمه وجد يوما غصن شجرة فأمره بغرسه وسقيه مرتين يوميا حتى يثمر. فعمل يوحنا بأمر رئيسه الشاق الغير المقبول عقلا وعادة وبكل خضوع وبدون اشمئزاز سار عليه لمدة سنة كاملة وكان يسير نصف ساعة الى العين التي يستقي منها الماء للغصن وأمره رئيسه مرة أخرى أن يقلع صخرة عظيمة يعجز كثيرون عن تحريكها فأطاع ولبث يفرغ جهده في قلعها مع علمه باستحالته وقال كاسانيوس « أن هذا القديس بتلك الطاعة العمياء رقي في أمد قريب الى درجة سامية من درجات التأمل والبر »

وبعد نياحة معلم القديس يوحنا زار جملة أديرة مدة خمس سنين تمم فيها درس فروض الكمال ثم صعد الى اكمة مرتفعة على جبل بقرب مدينة ليكوبولي ونقر في صخورها مغارة وقطن فيها أربعين سنة لم يشاهده فيها أحد ولم يكن يظهر الا من كوة صغيرة في المغارة كان يفتحها نادرا ولم يكن يقتات الا القليل من البقول والماء ومع ذلك كان يبش في وجوه زائريه ومنع النساء من المجيء اليه

وقد اشتهر بحكمته وعلمه بالمستقبلات حتى ان القائد الروماني الذى كان معسكرا في أسوان كان يستشيره في أموره العائلية والسياسية لاعتقاده برجحان رأيه ووفور فضيلته . وطلب منه مرة أن يسمح لزوجته بمقابلته وكانت قد أتت من مكان بعيد لتستشيره فاعتذر له بكونه عزم منذ سكناه بالمغارة على عدم مشاهدة أمرأة قط . الا أن القائد قال له ان امرأتي تموت من شدة الحزن اذا لم تراك فقال له القديس امض وستراني امرأتك في هذه الليلة . فتركه القائد وهو يندهش . وفي تلك الليلة ترأى للمرأة في الحلم ونصحها بأن تكون رغبتها من رجال اله لا أن تشاهدهم بل أن تتمثل بأفعالهم التي تسمع عنها ثم دعا لها ولزوجها بالبركة ولما أخبرت زوجها بما شاهدت زادت حيرته وزار القديس مقدما له شكره

وبعد ذلك هجم البرابرة من الحبشة على الصعيد فخاف القائد واستشار القديس في أمرهم فقال له لا تخش كثرة عددهم اتكل على الله وهو يوقعهم في يدك فتم قوله

وأتاه مرة شريف حبشي كانت أمراته على باب الولادة منه أن يصلي من أجلها فوعده بنجاتها وسلامة ابنها وأخبره أنه سيصل اليها بعد الولادة بسبعة أيام وأمره بتربية ابنه في طريق الفضيلة وبعد أن تتم له سبع سنوات يضعه تحت اشراف أحد السياح لترويضه على عيشة النسك لينشأ سائحا متوحدا

واتصل خبر هذا القديس بثيودوسيوس قيصر الكبير فأرسل يأخذ رأيه في أمر الحرب التي كانت بينه وبين مكسيموس فأعلمه القديس بخبر انتصاره عليه قبل وقوعه فعظم شأن القديس في

نظر القيصر وأرسل أترو بيوس أحد وزرائه يلتمس منه بالحاح أن يأتي الى الملك فأبى يوحنا كلية ترك معبده ولكنه أخبره انه سيغلب في كل حرو به و بعد قليل يموت

واذ أدرك القديس يوحنا ان زمن نياحته قد أزف أمر أن لا يطلبه أحد مدة ثلاثة أيام وصرف ذلك الوقت مصليا ثم أسلم الروح في سنة ٤٩٤ م وقيل انه وجد بعد موته منتصبا على ركبتيه

واطلق على هذا القديس غالبا لقب « نبي مصر » ولم يكن يقتصر على خير نفسه و يكتفي بملازمته للعبادة بل اهتم بخير فقراء مديريته فكلف بعض تلاميذه بجمع صدقات من المحسنين وتوزيعها على المحتاجين . ولما رأى المسيحيون حسن عمله اتفقوا فيما بينهم على أن يقدموا له عشر ايرادهم فكان القديس يجمع هذه الاعشار و يوزعها على الفقراء والبائسين وقد سار هذا المشروع سيرا حثيثا و بزغت شمسه من أسيوط فانتشرت أشعته على كل مصر ومنها عم جميع الممالك المسيحية . وقد أسند المؤرخون مبدأ تقديم الاعشار عند المسيحيين الى هذا الراهب الاسيوطي . و بعد هذا العهد كانت هذه الاعشار تجزأ الى ثلاثة أقسام الاول لرواتب الاكليروس والثاني لعمارة الكنائس والثالث للفقراء . . ولا تزال هذه القاعدة في كثير من كنائس القطر حيث يجمع من المصلين صدقات على ثلاث مرات

(٥) بيمين السائح وأخوته :

ولد سنة ٣٥٠ م وكان له ستة أخوة هم انو بيوس أكبرهم و بايز وسمعان وألون ونسطور الملقب منذ القديم بالناسك وسارماص الشاب . قيل ان جماعة التدميرين الذين غزوا مصر قبلا استولوا على جميع ممتلكات والدهؤلاء الاخوة ثم أوردوه حتفه . وهؤلاء الاخوة السبعة اتفقوا معا على اعتناق سيرة الرهبنة واعتزل القديس بيمين عن الناس سنة ٣٨٥م وانفرد في برية الاسقيط بمصر حيث تبعه اخوته الستة

وكانت العيشة التي آثرها بيمين شديدة وصارمة للغاية اذ كان يقول « ان اللذة الشهوانية تطرد من القلب الندامة وخوف الله كما يطرد الدخان النحل فرائحتها تخمد النعمة وتنزع من النفس التعزية وحضور الروح القدس أيضا » غير أنه رأى في المستقبل ان هذه العيشة الغير الاعتيادية تنشيء في الانسان زهوا وفخرا ففضل عوضا عن أن يصوم ثلاثة أيام أو اسبوعا أن يأكل كل يوم بطريقة تجعله دواما شاعرا بالجوع . وعوضا عن أن يسهر الليل كله ينام منه أربع ساعات و يقضي نصف الباقي في الترتيل والصلاة والنصف الآخر في عمل يده . أما يومه فكان يقضي منه الى الساعة السادسة في عمله والى التاسعة في صلواته وما بقي يجمع فيه البقول التي يأكلها في

وكان القديس في حياته يكثر من زيارة الشيوخ لكي يستفيد من آدابهم ولم يضجر من تأمل قول الانبا موسى أحد معلميه « يجب أن يكون لخادم الله قلب منسحق بالندامة ولابد أن يتخشع كل التخشع لاجل ذنوبه و يراها دائما أمام عينيه على أنه لابد له حينئذ من أن يفتكر أبدا في زلات القريب ولا يحكم على أحد ما اذا لم يفوض له ذلك اما من باب المحبة وأما للقيام بواجبات وظيفته » أهـ

وفي سنة ٣٩٥ م اغار البرابرة على برية الاسقيط فانسحب هو واخوته الى فنبر ينوت بالقرب من هيكل قديم للاوثان وأقام هنالك عدة أعوام يسوس جماعة قليلة بمساعدة أخيه الاكبر انو بيوس وكانوا يكرمون بعضهم اكراما عجيبا . وحدث أن بيوس قضى اسبوعا في ذلك المعبد يرجم صباحا بالحجارة تمثالا كان فيه قصد اهانته و يأتي أمامه مساء جاثيا طالبا الغفران . فبيمين الذى شاهد تصرف أخيه هذا سأله عن مغزاه فأجابه انى لاجل تعليمك عملت هذا فالتمثال لم يكن يحزن وقت رشقه بالحجارة ولم يبتهج اذ كنت أطلب منه الصفح فعلى هذا النحو ينبغى أن نتصرف أمام أحزان ولذات العالم » ومن هذا الدرس تعلم بيمين أن يقول « انى أصم لا اسمع ما يقال عنى واعمى لا ألتفت الى نقائص القريب وأخرس لا أتكلم فيها ولا أحكم عليها بل أترك الحكم لله »

وكان أحد السواح المقيمين تحت ارشاده يذهب أحيانا الى احدى البلاد القريبة و يبيع لمعلمه ما يشتغله من السلال . فجاء يوما طالبا منه أن يرشده الى طريقة يبيع بها السلال فقال له « اذا اراد أحد أن يشتريها بأكثر من ثمنها فلا تبعها وأما بأقل منه فسلم وكن على الدوام منتبها لكى يربح الناس منك وسر لانك تخسر للاجلهم » واتفق أن القديس شعر بأن رجلا اشترى منه السلال لكى يعمل معه معروفا فدفع له فضته واسترجع منه السلال قائلا له « لا أريد أن أربح بخسارة الغير »

وأدرك القديس معنى قول السيد المسيح « من أحب أبا أو أما أو اخوة أكثر منى فلا يستحقنى » بمعنى انه لا ينبغى أن يحبهم محبة تعوقه عن اتمام عمل خلاصه . فذات يوم جاءته والدته كى تشاهده فهرب منها مختفيا ولكنها لاحظته فتبعته وهى تبكى متوسلة اليه أن يقف لتشاهده وتخاطبه . أما هو فأجابها « لا تبكى لانك عتيدة أن تشاهدينى فى السماء الى الابد اذا سرت فى طريقى » ومرة أخرى أرسلت اليه شقيقته تقول ان ابنها مسجون وقد وعد الحاكم باطلاقه اذا طلبت منه ذلك فرد عليها يقول « ليس لبيمين بنون يحزن عليهم فليفحصه الحاكم فان كان مذنبا فليعاقبه وان كان بريئا فليطلقه » فتعجب الحاكم من فضيلته وأطلق الشاب

ولم يكن تصرفه هذا قساوة منه على أهله لان محبته وشفقته تجلت لكثيرين من الحزانى والمصابين الذين كانوا يلجأون اليه فيجدون فيه معزيا جليلا وكان يشعر بعطف كلى على الخطاة

حتى انه كان يقول « يجب أن نستعمل مع كل الخطاة كل ما نملك من الرحمة والمحبة لأننا اذا وبخناهم بشدة حينما يصرخون لنا بذنوبهم نزيدهم حزنا ولكن ان كنا نهدىء روعهم ونطلب منهم أن يكفوا عن حزنهم و يلقوا اتكالهم على الله ونحذرهم من العودة للخطيئة فى المستقبل يمكننا ان نجذبهم الى التوبة بسهولة » .

ولما اشتهر القديس بيمين بصفات حسنة كثيرة فى أنحاء القطر وأخصها استقراء الاحوال وكشف المكنونات . أصبح مقصدا لكل متحير وكثر القادمون اليه من كل مكان وقال له أحدهم يوما لقد كنت أخشى ان توصد فى وجهى باب مغارتك لانه زمن صيام فأجابه « انى لا أعرف أن أغلق فى وجه أى انسان هذا الباب الخشبى بل انى اجتهد بكل قوتى أن أغلق باب لسانى » والتجأ اليه مرة أحد الرهبان لكى يعين له عملا يقوم به خلاف زرع الاراضى وأعطاء محصولها للفقراء فأجابه « ان هذا العمل الحسن لا يلزم أن يغير » ولما لامه البعض على تعيين فلاحة الارض كعمل خاص بالراهب قال « ان الذى يريد أن يفعل الخير لا يتخير نوعه بل فليعمل ما فى قدرته » وحينما طلب منه البعض أن يرشدهم الى كيفية ابادة الافكار الرديئة أجابهم « اهملوا تلك الافكار نظير المغلوق عليهم فى السجن . لا تصغوا اليها ولا ترددوها من جديد فى هواجسكم فتبيد من ذاتها كما تهلك الحيوانات التى لا توجد فى مكان ليس فيه هواء » ولما كشف له أحد الرهبان ضميره فى انه كان يتعذب من قبل تصورات مختلفة أجابه « كما أن الذباب لا يستقر على وعاء مملوء من الماء المغلى الشديد الحرارة بل يستقر على الوعاء المملوء بالماء الفاتر وهناك يتولد الدود هكذا لا يستطيع الشيطان أن يضر بتجاربه الذين تتقد فى قلوبهم محبة الله بل يستحوذ على الذى يكون قلبه فاترا فى محبة الله »

وأحد الاخوة ارتكب زلة فتعهد له بأن يكفر عنها بأماته ثلاث سنين فقال له « أخاف أن لا تثبت على هذا المقصد يجب أن ترضى باماته ثلاثة أيام وتعملها بحرارة » وآخر جاء يستشيره فى بعض الوسائط التى يستعملها لينجو من تجربة شديدة وقوية فأمره أن يبعد عن مسكنه مسافة ثلاثة أيام وثلاث ليال و يصوم كل يوم حتى المغرب مدة سنة . وقيل ان راهبا كان متعذبا جدا من أفكار التجديف وحاول مرارا أن يخطر القديس بأمره ولكنه خشى فلمح منه ذلك وطلب اليه أن يكاشفه بأمره فشكى له تجربته فقال له « اذا وسوس اليك الشيطان بمثل هذه الافكار قل له « ان تجديفك يقع عليك أما أنا فلا آخذ منه جزءا لان قلبى يبغضه » وذات يوم جاءه رجل من سورية وسأله اى دواء أنفع لصلابة القلب فأجابة « الحرارة فى الصلاة والمواظبة » وكان يحث الاخوة على دوام ممارسة الفرائض الالهية ولا سيما سر الافخارستيا فقال لهم « أن الظباء بعد أن تفترس الافاعى فى البرارى تلتهب من سمومها فتطلب الماء لكى تبرد غليلها هكذا نحن نقدر أن نجتاز بادية هذا العالم بدون أن نبتلع شيئا من سمها ولا ننجو من ذلك الا بتكرار مباشرة الفضائل الالهية »

وكانت الاجوبة الحكيمة التي يجاوب بها هذا القديس سائليه ناشئة من كثرة استنارته بشريعة الله ومواظبته على مطالعة الكتب المقدسة حتى انه قال فى هذا الموضوع « كما أن الماء الجارى على توالى الزمن يتمكن من اقتلاع الصخور الراسخة هكذا المداومة على تلاوة كلام الله تلين القلوب الجامدة » ولكى يعزى ذلك البار الذين كانوا لا يجدون تعزية من كلمة الله لعدم فهمها قال لهم هكذا « كما أن الرقاة الذين يرقون الحيات لا يفهمون فحوى تلك الكلمات التى ينطقون بها ومع ذلك تفعل مفعولها فى الحيات فتمنعها عن اللدغ هكذا كلام الله اذا تلى يستطيع أن يزعج الشياطين ولو لم يفهمه الذى يتلوه »

واعطى تلاميذه هذه القاعدة « لا تجاروا هواكم بل قاوموه فى كل حين لان الذين يتبعون أهواءهم لا يحتاجون للشيطان ليجربهم فهم أنفسهم مجربون أشداء » وكان يقول « لا يمكن أن يطرد الشر بالشر . اذا فعل معك أحد شرا فافعل معه خيرا لتغلب الشر الذى يفعله معك بالخير الذى تفعله معه » وأضاف الى ذلك ما نصه « ان المقلق والمتذمر والمتظلم لا يستطيع أحد منهم أن يكون راهبا وكذا ذوو الاميال الرديئة الشديدة ومن يجازى الشر بالشر » وكثيرا ما كان ينصح اخوته أن لا يكتموا التجارب فى أنفسهم قائلا « لا شىء أحب للعدو من أن يرى واحدا مصرا على عدم اخبار رئيسه أو مرشده بتجاربه » وقوله « يجب أن تكون عيوب المرء دائما نصب عينيه بحيث ان ذلك يمنعنا عن ملاحظة عيوب الغير » وقوله « ان الصوم والانسحاق يمنعاننا عن رؤية زلات الغير ولو كانت تظهر مسوخا للذين يغفلون عن خطاياهم . فلا ريب ان الذى يحكم على نفسه يقدر أن يعيش فى كل موضع ويحتمل بصبر كل الشتائم » وقال يوما لراهب « ان من يملك نقاوة القلب هذه التى بها تستحق النفس أن ترى الله هو مقتنع ان فساد قلبه قد جعله أردأ من القتلة أنفسهم » أما أخوه انوبيوس فأثبت هذا الحكم بقوله « ان الدينونه التى يدين بها الانسان نفسه تحجب زلات غيره فليس الانسان عادلا الا متى حكم على نفسه » وكان القديس بيمين يستعمل عادة هذا التشبيه هو « رجلان كان لكل منهما صاحب ميت فى بيته فذهب الواحد الى الآخر وكلاهما يبكى على جسم حبيبه يتأسف عليه ومن ثم سبيلنا أن نشفق بعضنا على بعض ونشفق على زلات القريب » . وللقديس خلاف هذه الاقوال كثير ولا سيما فيما يتعلق بالصمت واحتقار الذات . ومما يؤسف له اننا لم نقف على ما ذكرنا الا فى مؤلفات الاجانب لفرط اهمالنا فى حفظ آثار آبائنا

وبعد أن مضى البار بيمين مدة فى البرية يرشد و يعلم هجم البربر ثانيا على الجهة التى كان مقيما بها وكانوا يقتلون كل من وجدوه أمامهم حتى أضطر القديس أن يهرب هو والقديس ارسانيوس سنة ٤٣٠ م وأخيرا رقد فى الرب فى أواسط الجيل الخامس

(٦) ديديموس الضرير :

ولد بالاسكندرية سنة ٣٢٨ م وأصيب بمرض فى عينيه وهو فى الرابعة من عمره ففقد

بصره ولكن رغبته الشديدة للحصول على العلم ذللت أمامه كل عقبة فقد البصر ولا الفقر من تعلم الحروف الابجدية على لوح محفور وبهذه الطريقة تعلم النحو والمعانى والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة وفن الموسيقى . وكان متمكنا من كل علم من هذه العلوم تمكنا جعله متفوقا على اترابه ومناظريه . وقال ايرونيموس «أنه تعلم الهندسة أيضا التى تحتاج الى النظر أكثر مما سواها حتى كان أعجوبة لكل ناظر اليه فانتشر صيته وذاع اسمه فى كل مكان»

وكان ديديموس صديقا حميا للقديس انطونيوس فذات يوم شرعا يتخاطبان عن الكتب المقدسة فساله القديس فى أثناء مذاكراته ألعلك لا تحزن على كونك كفيف البصر ؟ فقال له ديديموس ان ذلك ليحزننى جدا . فقال القديس «انى لمتعجب من حزنك على فقد ما تشترك فيه معك أحقر الحيوانات كواسطة للشعور بها مادام لاشعور عندهم غير البصر ولا تفرح متعزيا لان الله خولك نظرا آخر لا يهبه تقدس اسمه الا لمحبيه فأعطاك عينين كأعين الملائكة تبصر بهما الروحيات بل بواسطتها أدركت الاله نفسه وسطع نوره أمامك فأزاح دياجير الظلام عن عينى قلبك فاستنرت» فتسلى ديديموس بهذا القول طول حياته

ولما كان شائعا حينئذ بين كثيرين أن اوريجانوس لا يمتاز عن المبتدعين والهراطقة . وكان هذا العلامة من الواقفين على الحقيقة والعارفين بسلامة ايمان أوريجانوس نشر شرحا وافيا لكتاب أوريجانوس المسمى «المبادىء» أوضح فيه خطأ الذين يعتقدون فى أوريجانوس الضلال وان ما يوجهونه اليه من الانتقاد هو مجرد أوهام لا قيمة لها ثم قال «ان الذين يتهمون أوريجانوس بالابتداع هم عديمو الفهم لا مقدرة لهم على ادراك الافكار العالية والحكمة الغامضة التى امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذى يعد من النوابغ المشهورين» أهـ

وبعد وفاة مقار السياسى مدير المدرسة اللاهوتية عين البابا اثناسيوس ديديموس خليفة له سنة ٣٤٠م فكان استاذا ماهرا ومدافعا قويا عن الايمان القويم فتقاطر طلاب العلم اليه من كل مكان وتتلمذ له روفينوس وايرونيموس اللذان أتيا مصر لدرس أحوال الرهبنة كما سيأتى . ولما كان كثيرون من ذوى البصر يتلقون العلم عن ذلك الضرير لقب حينئذ «الاعمى البصير»

ولما شاخ هذا الرجل العالم كان حزنه عميقا على المسيحيين الذين كانوا واقعين تحت اضطهاد يوليانوس الجاحد فصرف يوما كاملا فى الصلاة والصوم وهو يبتهل الى الله أن يرفع البلاء عن شعبه الى أن أضناه التعب فنام وفى أثناء نومه سمع صوتا من العلاء يقول له «قم وكل وقل لاثناسيوس ان القيصر قد مات» فكتب تاريخ اليوم والساعة اللذين سمع فيهما هذا الصوت فوافق بالتمام الوقت الذى قتل فيه يوليانوس

قال سقراط المؤرخ «ان ديديموس كان يعتبره الناس حصنا متينا وسندا قويا للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية وهو يعد خصما عنيدا كسر شوكه اتباع اريوس

واذهلهم فى مناظرته لهم . وله مصنفات عديدة لم يسبق منها فى عالم الوجود سوى أربعة فقط » أهـ وقد وضع من الكتب كتاب تفسير للمزامير ولانجيل متى و يوحنا وكتابا فى عقائد الدين وكتابين فند فيهما ضلال الار يوسيين وكتابا فى الروح القدس ترجمة ايرونيموس الى اللا تينية وعشرة كتب فى تفسير نبوة اشعيا وثمانية فى نبوة هوشع و بعث الى ايرونيموس بثلاثة كتب فى تفسير آيات من الاسفار المقدسة وكتب خمسة كتب فى نبوة زكر يا اقترحها عليه ايرونيموس وفسر سفر أيوب وغير ذلك . وايرونيموس تلميذه الذى عدد مؤلفاته كتب عنه فى سنة ٣٩٢م يقول « وهو حى الى الآن وقد جاوز الثالثة والثمانين من عمره » وتوفى ديديموس سنة ٣٩٦م

(٧)تأسيس كنيسة مسيحية ببلاد الحبشة بواسطة أتعاب المصريين :

فى بدء صعود البابا اثناسيوس الرسولى الى كرسى البطر يركية حدث حادث تاريخى هو فتح بلاد الحبشة للتبشير بالانجيل وذلك أن أحد فلاسفة مدينة صور واسمه ميرو بيوس أراد أن يقوم برحلة ر ياضية لبلاد الهند فأخذ معه اثنين من أقار به وهما صبيان مسيحيان اسم الاول فرومنتينوس والثانى ايديسيوس ففى أثناء رحلتهم فى بحر القلزم (البحر الاحمر) احتاجوا الى طعام فاقتر بوا من الشاطىء ورآهم البرابرة القاطنون هناك فهجموا عليهم لينتقموا من بحارة فى احدى السفن كانوا قد أساءوا اليهم فذبحوا ميرو بيوس وجميع البحارة والركاب ولم يستثنوا الا الصبيين اللذين كانا قد هربا الى مسافة قريبة فوجدوهما تحت ظل شجرة كبيرة يطالعان الكتاب المقدس و يصليان الى الله لينقذهما فأحاطوا بهما وأسروهما وقدموهما هدية الى ملك البلاد فى مدينة اكسوم فى عاصمة اثيوبيا (الحبشة) فى ذلك الحين . فجعل الملك ايديسيوس رئيس سقاته وفرومنتينوس أمين صندوقه

وعند موت الملك اعتقهما ولكن أرملة الملك طلبت منهما أن يمكثا فى بلادها ليساعداها على تربية أولادها الصغار فقبلا وساعدا الملكه بمشورتيهما فى أمور الحكومة حتى صارت حكومة الحبشة فى أيديهما على توالى الايام . وفى أثناء ذلك استخداما كل نفوذ لهما فى نشر الديانة المسيحية وساعدهما على ذلك تجار مسيحيون رحلوا للتجارة فى أقاصى تلك البلاد فنبت البذار الذى زرعاه ونما بسرعة

و بعد سنوات عديدة صار ولى العهد راشدا فلم يبق لهما وجه فى الاقامة بتلك البلاد فرجعا الى وطنهما أما ايديسيوس فسبق الى صور حيث رسم فيها قسا وأخبر روفينوس كاتب القصة بجلية الخبر ولكن فرومنتينوس عرج على مصر ليسرد الخبر على مسامع البابا اثناسيوس الرسولى

وحدث انه بينما كان هذا البابا جالسا فى مجمع مع زمرة من الاساقفة قيل له ان رجلا غريبا وفد حالا من البلاد الحبشية يرغب فى مقابلتهم . وعندما حظى فرومنتينوس بالمقابلة طلب اليهم أن يعينوا أسقفا ليرأس كنيسة الله الصغيرة فى بلاد الحبشة فصرح البابا اثناسيوس الى مجمع القسوس المجتمعين حوله قائلا كما قال فرعون عن يوسف « هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ »

ثم قـام بـرسـامـته وتكر يسه أسقفا للحبشة وسافر فرومنتينوس عائدا الى مقر وظيفته فاستقبلوه هنالك أفضل استقبال وسرت بذكره الاغانى نورد لك هنا مثالا منها تكاد تكون حرفية

حيوا سلامتنا بأصوات السرور   وتقدموا بمديحه مترنمين
ذا باب رحمتنا مع البر الغزير   غيث أتى من فيض رب العالمين

وقيل ان كثيرين من البرابرة شفوا من أمراضهم على يده وأن عددا عظيما اهتدى الى الايمان بالمسيح فأقام لهم كنيسة وترجم الكتاب المقدس الى اللغة الحبشية ولم يمض الا القليل حتى قبل معظم الاحباش الديانة المسيحية .. ولقب الاسقف رسميا فى بلاد الحبش (ابا سلامة) أى (أبو السلام) ولغاية يومنا هذا يقال لاسقف الحبشة (ابا سلامة) وصارت الكنيسة القبطية من ذلك اليوم هى صاحبة الحق فى ارسال الاساقفة الاقباط اليها

و يقال ان متى الرسول هو أول من نادى بالانجيل فى الحبشة وتبعه مار مرقس كاروز الديار المصرية حتى ان فرومنتينوس وجد أثرا للديانة المسيحية فى تلك البلاد وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قائمة ببلاد الحبشة الا فى عهد البابا اثناسيوس

(٨) نشر الرهبنة فى العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية :

سبق معنا ان الكاتب لسيرة القديس انطونيوس هو البابا اثناسيوس الرسولى كتبها فى حياة القديس انطونيوس نفسه واختلف الرواة فى السبب الذى حمل البابا على تحرير تلك السيرة فقال بعضهم انه كتبها تلبية لطلب نساك مصر أثناء اقامته بينهم وقال آخرون انه دونها فى رومية حين استضافه أسقفها وطلب منه مسيحيو تلك البلاد الذين كانت قد وصلت الى مسامعهم انباء القديس انطونيوس اللذيذة أن يقص عليهم خبره ولما أخذ يقص عليهم ذلك البطريرك أخبارا عن أبطال الرهبنة ونظامها كانوا يصغون اليه بكل ارتياح و بعد ذلك كتب لهم ترجمة القديس وقوانينه فصادفت منزعا فى نفوس الغربيين وأخذوا فى تأسيس رهبانيات كثيرة تسير على نظام رهبنة مصر وكثر اقبال الشبان الذين هجروا العالم وآثروا المكوث على قمم الجبال والقفار والصحارى والمغائر والوديان كما جرى فى برارى مصر الشرقية والغربية

ويمكننا أن نوفق بين الروايتين بما نذكره وهو ان البابا اثناسيوس كتب تاريخين للانبا انطونيوس أحدهما بناء على طلب رهبان مصر وثانيهما بناء على طلب مسيحيى رومية وهذا هو السبب فى وجود بعض اختلاف لا يضر بالجوهر بين مؤرخى الشرق ومؤرخى الغرب فى ترجمة القديس وذكر ايرونيموس تأييد لهذا القول « انه لما هرب هذا البطريرك الى رومية أخذ موجز

القديس انطونيوس الذى كان قد ألفه وان ناسا كثيرين بعد أن قرأوا الخبر هجروا العالم وترهبوا » أهـ وكان القديس اثناسيوس قد كتبه باللغة اليونانية وترجمه ايرونيموس الى اللغة اللاتينية

وانتشر ذلك التاريخ الذى كتبه البابا اثناسيوس عن القديس انطونيوس حتى بلغ مدينة تريف على حدود جرمانيا ، وقيل ان اثنين من ندماء الملك سمعا جماعة تقرأ ذلك التاريخ فتأثر منها جدا وتركا وظيفتيهما وآثر عيشة النسك وبلغت سيرة انطونيوس اسماع اغوسطينوس وقد قصها عليه بيلانو صديق زاره فأظهر تأثره الشديد وأتت به هذه القصة الى المسيح

وبالجملة فقد سار خبر القديس انطونيوس الى جميع الاصقاع الغربية حتى فى بريطانيا سموا بعض كنائسهم باسم هذا البطل المصرى بل وجد على أقدم الانصاب المسيحية فى اسكوتلنده نقش يمثل مار انطونيوس مع صديقه الانبا بولا . وكذلك المصورون المسيحيون فى اسبانيا وهولاندا وغيرهما صوروه مجاهدا ضد التجربة

(٩) نشر الدين المسيحى بين البدو وتعميدهم بواسطة أفاضل الكنيسة القبطية :

من كبار رهبان هذا الجيل الآب موسى القبطى الذى كان يعيش فى صومعة موجودة فى الصحراء الواقعة بين مصر وفلسطين . وكان مشهورا بالتقوى وله منزلة سامية لما أجراه الله على يديه من الآيات والمعجزات بين قبائل البدو المقيمين بتلك الجهات تحت رعاية ملكة اسمها مافيا كان زوجها متحالفا مع الرومان وبعد وفاته صاروا يغيرون على كل بلاد المشرق ولم يكن فالنص الملك الاريوسى قادرا على صدهم عن حدود بلاده لاهتمامه بمقاومة سكان جنوبى فرنسا . فأرسل فالنص للملكة مافيا يطلب عقد صلح معها فاشترطت عليه أن يعين لبلادها موسى أسقفا مع انها لم تكن مسيحية بعد . فأرسل موسى بأمر الملك ليرسم أسقفا من بطريرك الاسكندرية ولكنه رأى أن لوسيوس البطريرك الاريوسى مضطهد الارثوذكسيين هو الذى يقوم مقام البطريرك الارثوذكسى فرفض مطلقا أن يرسم من بطريرك هرطوقى قائلا « أننى أحسب نفسى غير مستحق لهذه الوظيفة السامية ولكن اذا كانت دواعى الحال عند الحكومة ماسة لتوظفى فيها فلا مندوحة لى من قبول هذه الوظيفة ولكنى لا أقتبلها من لوسيوس ولا هو يضع يده على ليرسمنى لانها يد ملوثة بدماء الابرار القديسين »

فاغتاظ منه لوسيوس وحاول أولو الامر أن يقنعوا موسى بقبول الرسامة ولكنه أبى بتاتا أن ترتفع يد موسى الاثيمة على رأسه فأخذه الحراس الى أحد الاساقفة المنفيين لأجل تمسكهم بالايمان

ولما تعين موسى أسقفا انتشرت بواسطته الديانة المسيحية انتشارا واسعا بين جماعة البدو . ولما رقى يوستنيان العرش الامبراطورى صارت جميع هذه البلاد مسيحية بالمرة

فمن هنا يتضح ان الكنيسة القبطية لم تقتصر على قبول الايمان المسيحى لنفسها بل عملت على نشر هذا الايمان فى الاقطار البعيدة التى لم تكن قد آمنت بالمسيح وككنيسة تبشيريه أرسلت من قبلها مرسلين الى جهات عديدة من أنحاء المعمورة لهذه الغاية . وهنا ننقل ما كتبته فى هذا الشأن « لجنة التاريخ القبطى » بكتابها « خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر » ص ٢٣٠ : « وقد كتبت أخيرا فى ذلك الآنسة مرغريت مرى تقول « بينما كان المسيحيون فى أفسس وكورنثوس وغيرهما من الاصقاع عبارة عن جماعات صغيرة متفرقة . كان مسيحيو مصر هيئة منتظمة بلغت من القوة حدا أفضى الى جعل النصرانية الدين الرسمى للقطر المصرى قبل القرن الرابع للميلاد ولهذا يحق لمصر أن تفتخر بأنها أول قطر مسيحى فى العالم . والفخر الاكبر انها حتى قبل بلوغها هذا الشأن كانت ترسل المبشرين من أبنائها الى سكان أوربا الوثنيين . وقد مخرت سفن أولئك المبشرين فى البحر الابيض المتوسط الى أن بلغت سواحل فرنسا الجنوبية . فتخلف بها بعض منهم وواصل الباقون سفرهم على ظهر سفن ساحلية غالبا حتى عبروا مضيق جبل طارق واتجهوا شمالا بمحاذاة سواحل اسبانيا والبرتغال وفرنسا الى أن وصلوا الى التيارات الخطرة التى تكتنف رأس بوشانت ثم استقبلوا عرض البحر وشقوا عبابه الى ايرلندا الجنوبية فنزلوا بها وبثوا دعوتهم فيها وأسسوا كنيسة بريطانية أرسلت مبشريها بعد ذلك الى الاقطار الاخرى . وليس ذلك فقط بل ان بعض المرسلين المصريين سافروا فى الطريق القديم الذى كانت تسير فيه السفن التجارية وبلغوا بريطانية ذاتها فنزلوا على ساحلها الغربى الذى لبث الفينيقيون قرونا عديدة يؤمونه للتجارة

« وقد جلب المبشرون المصريون معهم الى الجزر البريطانية نظام الرهبنة الذى أحدث أثرا بالغا فى أوربا فى القرون الوسطى . وآثار سفراتهم هذه يجدها الباحث مدونة فى بيان كتبه يوخريوس أسقف ليون المتوفى سنة ٤٥٠ م وقال فيه « ان الرهبان المصريين استقروا فى فرنسا » أهـ

ويجدها أيضا فى تذكار الرهبان المصريين السبعة الذين ماتوا فى ايرلندا وخلدوا فى دعاء أوينجس وأخير يجدها فى تاريخ تلك الطائفة التى قطنت جلاستنبرى وسارت فى حياتها على نمط الرهبان المصريين » أهـ

(١٠) بعض الذين وفدوا على مصر في هذا القرن لدرس نظام الرهبنة :

منهم روفينوس (١) وسيدة تدعى ميلانو (٢) وروى الاول عن حالة الرهبنة في مصر حينئذ أخبارا كثيرة منها ان أسقف مدينة اوكيرسخيوس أخبره أن في تلك المدينة عشرة آلاف راهب وان معظم الهياكل الوثنية تحولت الى أديرة وان اثنتى عشرة كنيسة أخرى بنيت في تلك المدينة لهذا الغرض . وشاهد في الفيوم وفي سوهاج أديرة كثيرة تجمع ألوفا من الرهبان ووقف بالقرب من هرموبوليس (الاشمونين) على دير به خمسمائه راهب بينهم أبولو ينوس وقد ترهب وهو في الخامسة عشرة من عمره وهو من أصل طيب وتحصل على كثير من العلوم وكان مقاوما لجورجيوس البطريرك الدخيل وأقامه البابا اثناسيوس أسقفا وصار رئيسا على الدير المذكور

وعثر روفينوس في خلوة خلف مدينة انطونيوس (دير البرشا) على راهب يدعى الياس قطن مغارة واسعة مدة سبعة وسبعين سنة قضاها وحيدا . وكان عمره حينئذ ١١٠ سنة والفاه مصابا بالفالج الذى اهزله واضعفه ولم ير الياس خارج مغارته ولم يسكن مكانا غيرها كما أنه شفى مرضى كثيرين وكان طعامه ثلاث أوقيات من الخبز يوميا وثلاث زيتونات كل مساء

ووجد مغارة أخرى كان يسكنها ثيون وهو راهب اشتهر بعلمه وتضلعه في اللغات اليونانية والمصرية واللاتينية وممن أتوا مصر أيضا ايرونيموس (٣) وكاسيانوس (٤) وقد أظهر هذا دهشته مما شاهده من قساوة الرهبان على أنفسهم حتى أنهم كانوا يضطرون الى حمل ما يلزمهم على منكبيهم و يسيرون بهذه الاحمال الثقيلة مسافة قد تزيد عن ثلاثة أو أربعة أميال . وروى عن رؤساء الرهبان حينئذ انهم لم يكونوا يكلفون تلامذتهم بأية خدمة وحكى أحدهم بأن رئيسه كرونيوس في شيخوخته كان يملأ الجرة و يطوف بها على الرهبان ليسقيهم . ورئيس آخر يدعى

---

(١) من ايطاليا أتى مصر لدرس قوانين رهبنتها ليستعين بها على تحسين حالة الرهبان الغربيين . وكان مغرما بكتابات اوريجانوس وتشاحن بسببها مع صديقه ايرونيموس و بعد رجوعه الى بلاده ترجم كتاب اوريجانوس الموسوم بالمبادىء وصدره بما كتبه بامفيلوس محاماة عن اوريجانوس و بتقريظ ايرونيموس نفسه المصدرة به ترجمته لشرح اوريجانوس على سفر نشيد الانشاد وقد ذيل الكتاب المذكور برسالة منه وضع فيها ما أدخله أصحاب اوريجانوس وخصومه في كتاباته من الزخارف والدسائس المضحكة .

(٢) سيدة رومانية من أصل طيب صحبت روفينوس الى مصر ومكثت تتعبد بأحد اديرتها حتى قبض عليها الاريوسيون ونفوها

(٣) ولد سنة ٣٣١ م في مدينة ستر يدون وسافر الى بلاد كثيرة وتقلب في وظائف كهنوتية ثم أتى مصر وأغرم بمؤلفات أوريجانوس ثم عدل عنها وصار يقاوم كل من أحبها و بسببها تخاصم مع صديقه روفينوس كما علمت مع أنه استعان في مؤلفاته العديدة بكتب أوريجانوس

(٤) مكث في مصر بين سنتي ٣٩٠ و ٤٠٣ م ونقل جملة قوانين للرهبنة المصرية الى اللغة اللاتينية لتكون نبراسا لرهبان الغرب .

ثيوذوروس، كان يعد المائدة لتلاميذه ولما سئل فى ذلك أجاب « لست سيدا حتى أسمح للناس بأن تخدمنى » ومن أشهر من وفدوا الى مصر أيضا القديس ارسانيوس (١) من مدينة رومية

وممن كتبوا عن الرهبنة حينئذ « بلاديوس » طاف أديرة كثيرة. ووضع لها تاريخا قيما . نشأ فى مصر الوسطى وسنة ٣٩٩م أصيب بمرض فسافر الى فلسطين للاستشفاء فأقيم أسقفا فى هلينو بوليس بمقاطعة بيت عنيا وكان من المتشيعين للعلامة أوريجانوس ومن أصدقاء القديس يوحنا فم الذهب ولما نفى هذا القديس قبض على بلاديوس وأودع السجن مع أساقفة كثيرين من أنصار أوريجانوس وفم الذهب . وفى سنة ٤٠٥ م نفى بلاديوس الى أسوان . و بعد وفاة البابا ثاوفيلس صرح له بالاقامة فى اقليم مصر الوسطى فصرف فيه أربع سنوات و وضع فيها تاريخه واتمه سنة ٤٤٠ م

---

(١) أصله من عائلة شريفة أختير مؤدبا لاولاد ثيودسيوس قيصر الكبير ولكنه آثر عيشة النسك وهرب الى مصر الى برية شيهات وقدم نفسه الى رئيس ديريدعى يوحنا والتمس منه أن يقبله فلكى يمتحنه الرئيس أعرض عنه هو ورهبانه وجلسوا للاكل وهو واقف أمامهم ثم طرحوا له لقمة فتناولها بخضوع وأكلها فقبل بين الرهبان وعينت له صومعة فوق جبل المقطم ولما تولى تلميذه اركاديوس بن ثيودسيوس قيصر الملك أحب أن يرقيه ويهبه عطايا فأرسل يقول له « ان من مات عن العالم لا يهتم بالدراهم » وطلب منه أن يوزع ما وهبه له للفقراء والمساكين . وقيل أن البابا ثاوفيلس البطريرك أتى لزيارته فطلب منه أمرا واحدا وهو أن يعود بدون أن يقابله لانه عزم على أن لا يرى اناسا قط . وحدث ان احدى شريفات رومية قدمت مصر لزيارته وسارت اليه من الريف الى البرية مشيا على الاقدام فأبى أن يقابلها فشكت منه للبابا ثاوفيلس فطيب خاطرها وقال لها أن قديسا مثله لا ينتظر منه أن يتطلع الى امرأة

وكان يستشير فى أموره راهبا بسيطا ولما سئل عن ذلك أجاب « انى مع ازدياد تفقهى بعلوم البشر أقل دراية من هذا الشيخ البسيط » ولما كان كثير السكوت سئل عن ذلك أيضا فقال « كثيرا ما تكلمت فندمت . وأما عن الصمت فلم أندم »

وعاش فى البرية أربعين سنة أجهد فيها نفسه بالنسك الزائد حتى كان يصرف ليله بالصلاة ولا يرقد سوى ساعتين عند الفجر . وكان يعيش من عمل يديه ووقت القداس يقف خلف عمود حتى لا يراه أحد ومن كثرة البكاء زال جمال منظره وسقط شعر جفونه وانحنت قامته من الكبر ثم تنيح بسلام

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

الفصل الاول
حوادث الاضطهاد

(١) اضطهاد ديوكلتيانوس (٢) اضطهاد غاليريوس
(٣) اضطهاد مكسيميان (٤) تاريخ الشهداء
(٥) عهد قسطنطين الملك المؤمن
(٦) اضطهاد الاريوسيين بمساعدة قسطنس
(٧) اضطهاد يوليانوس
(٨) اضطهاد فالنص الملك الاريوسى
(٩) ثيودسيوس الملك الارثوذكسى .

(١) اضطهاد ديوكلنيانوس :

تعاقب جملة ملوك على كرسى المملكة الرومانية بعد فاليريان لم يقم أحد منهم باضطهاد على مصر حتى آل العرش أخيرا الى ديوكليتانوس سنة ٢٨٤ م وكان العامل على مصر يومئذ رجل اسمه اخيلوس انتهز فرصة الارتباكات التى سادت على المملكة الرومانية واستقل بمصر ونادى بنفسه ملكا عليها وجعل مقره طيبة وأقام فيها أربعة أعوام لم يتمكن غاليريوس الوالى الرومانى فى خلالها من اخضاعه . فاضطر ديوكليتانوس أن يحضر بنفسه الى مصر ليقتص من اخيلوس على هذه المخالفة والجرأة ويخلص البلاد من يده ولدى وصوله حاصر الاسكندرية وضيق عليها تضييقا شديدا و بعد ثمانية أشهر فتحها عنوة واستولى عليها فأحرق المدينة وفتك باهلها فتكا ذريعا

وكان قد ظن أن المسيحيين هم الذين أثاروا هذه الفتنة وناصروا اخيلوس فاستعمل معهم الظلم والعسف وتجاوز الحدود فى ذلك وأرتكب ما لا يخطر على بال أحد من المآثم والمظالم واقتفى أثر اخيلوس العاصى الذى هرب الى داخل البلاد فكان القيصر اينما حل يوقع بهم و يقتلهم ويهدم كنائسهم ويخرب معابدهم و يعذب رؤساءهم و يسبى نساءهم وأولادهم . وسبى كثيرين من مدينة الاسكندرية وأباح لجنوده باقى أهلها ليفعلوا بهم ما يشاؤون فعاثوا فى الارض واهلكوا الحرث والنسل وقتلوا وفتكوا ونهبوا وسبوا وأراقوا الدماء أنهارا واشتدوا شدة لم يسبق لها مثيل

واستمر ديوكلتيانوس يعذب المسيحيين بأفظع أنواع العذاب رغبة فى تمزيق شملهم وحملهم على السجود للاصنام . وروى بعض الاباء أن ديوكلتيانوس ركب ظهر فرسه وأمر جنده أن لا يتركوا القتل حتى تسيل الدماء على الارض وتعلوا حتى تصل الى ركبة فرسه . فكان من الالطاف الالهية أن سقطت به الفرس على الارض فتلوثت ركبتاها بالدم فتم قوله وابطلوا القتل . غير أن كثيرين من المسيحيين كانوا محبوسين وقد حكم عليهم بالموت أو بالنفى ولما شعروا بأن ديوكلتيانوس ينوى بهم شرا تركوا مصر وفروا الى بلاد أخرى

وقد استمر الاضطهاد جاريا على المسيحيين فى مصر ثلاث سنوات ففى نهايتها أصيب ديوكلتيانوس بالجنون بعد أن ذاق المسيحيون ما لا يوصف من العذاب وروى أوسابيوس المؤرخ الذى أتى مصر بعد هدوء الاضطهاد بقليل ورن باذنيه صدى أنين المنكوبين قال :

« انه يعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء فى صعيد مصر من أعذبة قاسية وآلام تشيب من ذكرها النواصى فقد كانوا يأتون بهؤلاء الشهداء ويخدشون أجسامهم و ينزعون عنها الجلد الى أن ينكشف اللحم وهكذا يفعلون بباقى أجزاء الجسم الى أن يموتوا . أما النساء فكانت تربط أحداهن فى احدى رجليها وترفع فى الهواء بواسطة آلة مخصصة لذلك بعد أن يخلعوا عنها ملابسها و يكشفوا كل جسمها وتظهر أمام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الانسانية وتأباه النفوس الابية

« وكثيرون ماتوا بواسطة الاشجار بالطريقة الآتية وهى انهم كانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متقاربتين بآلة وضعت لهذا الغرض ثم يجيئون بالشهيد و يربطونه بهذين الغصنين ومن ثم يتركانها ليعودا الى أصلهما فهذا يعتدل لجهة اليمين مثلا والآخر للشمال والشهيد بينهما تتمزق أضلاعه وتنسحق عظامه سحقا و يتطاير جسمه فى الفضاء

« ولم تكف هذه الفظائع أياما وشهورا بل كانت تستمر سنينا طوالا وهى فى أفظع حالاتها وكثيرا ما كان يصدر حكم بقتل عشرة أشخاص فى لحظة واحدة وأحيانا يقتلون عشرين رجلا مرة واحدة وأحيانا ثلاثين وستين . ومرة حكم على مائة رجل بالموت فماتوا فى يوم واحد مع زوجاتهم وأولادهم الصغار وذلك بعد أن ذاقوا من العذاب ألوانا »

وقد روى أوسابيوس أيضا قائلا « وقد شاهدت بعينى بينما كنت واقفا بقرب النطع جما غفيرا من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة فكان بعضهم تجز رؤوسهم و بعضهم يحرقون فى أتون النار المتقدة حتى ان السيف الذى كانت تقطع به الرؤوس ثلم وفل حده وتحطم تحطيما لكثرة ما سحق من الرقاب . وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يتنفسون الصعداء

« فما تقدم يتضح ولا شك اننا شهود عدول على ما شاهدناه بأعيننا من الغيرة الخارقة والقوة الالهية الصحيحة والفرح فى الروح القدس الذى ملأ قلوب هؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح ابن الله ايمانا متينا جعلهم يقتبلون الموت بصدور منشرحة وثغور باسمة . حتى انه عندما كان يصدر الحكم على واحد منهم بالاعدام كان الآخرون يندفعون من كل صوب مزدحمين فى المحكمة أمام القاضى معترفين له بأنهم مسيحيون غير مبالين بما يلحق بهم من أعذبة مريعة واضطهادات شنيعة بل كانوا يجاهرون بكل جرأة وشجاعة بديانتهم الحقيقية التى تعلم بوجود اله واحد عظيم خالق السماء والارض والبحر وكل ما فيها

« ومن العجيب الغريب انه عندما كان يصدر الحكم النهائى بموتهم كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل حتى انهم كانوا يرنمون و يرتلون أغانى الحمد والشكر لله الذى أهلهم لان يموتوا لاجله . وكانوا يظلون يفرحون و يطربون الى آخر نسمة من حياتهم عندما تفارق أجسادهم أرواحهم

« نعم ان هذا غريب ولكن الاعجب من هذا كله ان الافراد الذين اشتهروا بغناهم وثرواتهم والذين عرفوا بطيب محتدهم وشرف نسبهم وذاع صيتهم فى الآفاق خصوصا لانهم برعوا فى الفسلفة والعلم ونبغوا فى المعرفة والعرفان هؤلاء كانوا يحسبون كل هذه الامجاد والمزايا من سقط المتاع و يزدرون بها ازدراء فى جانب أهمية الدين الحقيقى والايمان الصحيح بربنا ومخلصنا يسوع المسيح » أهـ

(٢) اضطهاد غاليريوس . سنة ٣٠٤ م :

كان غاليريوس صهر ديوكلتيانوس يؤمل من وراء الاضطهادات القاسية التى اضطهد بها المسيحيين أن يفنى جموعهم و يقلل عددهم ولكنه رأى ان ذلك الدين كان ينتشر انتشارا عظيما جدا كل ما اشتدت عليه الوطأة من الحكومة فأصدر غاليريوس أمرا جديدا فى خريف سنة ٣٠٨ م يقضى باعادة الاضطهاد على المسيحيين . وقد اشتد غيظه عندما رآهم لا يخشون الاضطهاد بل كانوا يقابلونه بثبات الايمان وقوة العزيمة . فكلف المضطهدون بتشديد الاضطهاد عليهم وكان العامل على اشعال هذه النار من جديد مكسيميان دازا الذى أفرغ كل ما فى وسعه لالحاق كل بلية بمسيحيى مصر فكان يفتك بأغنيائهم و يسخر فقراءهم فى مناجم المعادن فى مصر واستغنى بهم عن المجرمين الذين كانوا يشتغلون فيها وكانوا يحكمون عليهم بالاشغال المؤبدة حتى لا يحلموا يوما بأنهم سيعتقون من ذلك العمل وكان منهم كثيرون من الاساقفة والرؤساء الذين افتدوا أنفسهم على توالى الزمن بشروط معلومة

وفى سنة ٣١١ م ابتلى الله غاليريوس بمرض عضال عز شفاؤه فظن ان ذلك بسبب هياجه

على المسيحيين فأمر بابطال الاضطهاد وقيل انه اعتنق الديانة المسيحية ولكن المسيح لم يقبل توبته الكاذبة فقضى على حياته

(٣) اضطهاد مكسيميان :

مع ان غالير يوس أبطل الاضطهاد الا أن مكسيميان دازا الذى تنازل له ديوكلتيانوس عن العرش سنة ٣٠٥ م لم يكف عن اظهار غيظه وتوجيه شره للمسيحيين ففاق جميع أعداءهم فى القساوة البربرية عليهم وأمطرهم وابلا من العذاب راح فيه ألوف من الشهداء الابرار قال أحد المؤرخين «حتى كانت القتلى منهم تحمل على عجل وترمى فى البحر»

واستشهد حينئذ البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب «بآخر الشهداء» وذلك لانه صلى قبل قطع رأسه بأن يكون دمه آخر دم يسفك من دماء المسيحيين وقد حقق الله سؤاله . فان مكسيميان اضطر أن يبطل الاضطهاد لاشتغاله بالقتال مع قسطنطين غير انه هزم أخيرا ولعظم قنوطه تناول سما فأخمدت أنفاسه

(٤) تاريخ الشهداء :

دام الاضطهاد على المسيحيين منذ أيام ديوكلتيانوس عشر سنوات متتابعة استشهد فيها الالوف العديدة من المسيحيين وقيل ان الذين قطعت أعناقهم فى اضطهاد ديوكلتيانوس فقط سنة ٣٠٣م لاجل اقرارهم بالمسيح كان نحو ١٤٠٠٠٠ من النفوس ما عدا ٧٠٠٠٠٠ هلكوا بالحبس والنفى . و بعض المؤرخين يقولون ان عدد الشهداء حينئذ يبلغ ٨٤٠٠٠٠ نسمة و يظهر انه مجموع شهداء اضطهادات الثلاثة الملوك ديوكلتيانوس وغالير يوس ومكسيميان . ومن ذلك الحين أخذ عدد الاقباط يتناقص من عشرين مليونا الى عشرة ملايين .

ولما رآه الاقباط من آيات الظلم وقساوة الاضطهادات التى كان يتفنن فيها المضطهدون اعتبروا أول ملك ديوكلتيانوس أقسى ملك اضطهدهم تاريخا لهم تؤرخ به الوقائع و يسمونه «تاريخ الشهداء» لكثرة ما سفك فيه من دماء المسيحيين و يبتدىء هذا التاريخ المعول عليه الآن بالكنيسة القبطية من يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ م ليكون تذكارا لاولادهم يعرفون منه انهم لم يشتروا حريتهم الدينية الا بدم زكي ثمين . الا أن تاريخ الميلاد القبطى ينقص عن التاريخ المعلوم الغربى ثمان سنين فسنة ١٩٢٣ الحالية هى سنة ١٩١٥ قبطية

(٥) عهد قسطنطين الملك المؤمن :

جلس على العرش سنة ٣٠٦م كان مشهورا بالرأفة وكمال الشفقة وغاية الشجاعة والبسالة . وكان محبا للديانة المسيحية محاميا عنها . واستنجد به يوما الايطاليون ليخلصهم من جور مقنقوس ملكهم فسار اليه بعدد قليل من الجنود ولكنه لما رأى كثرة عدد جنود خصمه تردد فى الامر

و بينما هو متحير رأى هو وكثير من عساكره شكل صليب على دائرة كوكب الشمس مكتوب عليه بالرومانية «بهذا تغلب» ثم رأى فى المنام ايضا حبرا من أحبار المسيحيين يأمورهم بأن يتخذ صورة الصليب شعار ملكه على سلاح جنوده واعلامه فتقوت عزيمته وأمر فجعلوا شعار الصليب على جميع الاسلحة والرايات فى المملكة الرومانية . وقد كان قبل هذا شعار القياصرة عبارة عن صورة صنمية فاتخذ قسطنطين لنفسه بيرقا مطرزا بالقصب ومكللا بالجواهر على شكل صليبى ورقم عليه اسم المسيح بالحروف الرومانية وصور المسيح متوجا بتاج الذهب وأمر جميع جنوده أن يرسم كل منهم صورة المسيح على كنانته وسلاحه ففعلوا جميعا . وتقدم لمحاربة خصمه ففاز به وانتصر عليه ومن ثم اعتنق المسيحية ونال سر العماد

٦) اضطهاد الاريوسيين بمساعدة قسطنس :

ملك على الشرق قسطنس ابن قسطنطين سنة ٣٣٧ م فأعز الاريوسيين وناصرهم على الارثوذكسيين فاضطهدوهم اضطهادات مرة توازى اضطهادات الوثنيين . وعزل قسطنس البابا اثناسيوس وعين مكانه رجلا شريرا يدعى غريغوريوس وقواه بجنوده فهجم بهم مرة على المؤمنين بينما كانوا يباشرون العبادة فى يوم جمعة الصلبوت وانضم اليهم رعاع اليهود والوثنيين وأخذوا يبطشون بالمصلين فهتكوا حرمة العذارى الطاهرات وقبض غريغوريوس الدخيل على أربعين عذراء وعراهن وضربهن بالسياط وقتل عددا وافرا من الشعب آملا أن يكون اثناسيوس بين المقتولين فدنسوا الاماكن المقدسة وأحرقوا الكتب الالهية ثم نهبوا خزائن الكنيسة وأمتعتها وقتلوا كثيرين من الرهبان بينما كانوا يدافعون عن كرامة بيت الله

وقد استمر غريغوريوس يرتكب فظائعه حتى انه اضطهد عمة البابا اثناسيوس الى أن ماتت وبعد موتها منع أن تدفن فى مقبرة المسيحيين . ثم التهم الاموال التى كانت تجمع للارامل والايتام . واضطهد الراهب بوتامون أحد أعضاء المجمع النيقاوى وهو رجل لا تزال اثار اضطهادات ديوكليتانوس له بادية فى وجهه وجسمه فأمر غريغوريوس بجلده حتى مات من تأثير الضرب بعد أيام قليلة ولما بلغت أخبار هذه المساوىء مسامع القديس انطونيوس ابى الرهبان كتب رسالة لاغريغوريوس يلومه فيها على هذه التصرفات المنافية لروح المسيحية فازدرى بالرسالة ومزقها

و بعد موت غريغوريوس عين قسطنس مكانه جورجيوس ضربيه فى الشر فجدد اضطهاد الارثوذكسيين و بدأ فظائعه بأن طرد ثلاثين أسقفا من الاسكندرية ونفاهم حتى اختفت آثارهم بالمرة بعد أن عوملوا معاملة قاسية شديدة حتى ان بعضهم مات فى الطريق قبل أن يصل منفاه وغيره مات بعد وصوله بقليل

وذكر القديس اثناسيوس فى احدى رسائله بعض شرور هذا الوغد بقوله «ولم ينته أسبوع عيد الفصح حتى كنت ترى العذارى الفتيات يطرحن فى السجون اضطهادا وتعذيبا وكان

العساكر يربطون الاساقفة بسلاسل واغلال ويجرونهم فى الشوارع . وكان اعوان جورجيوس يدخلون مساكن الايتام والارامل عنوة واقتدارا و يسلبون ما فيها . وكانوا يدفنون المسيحيين أحياء تحت جنح الظلام ثم يضعون علامات على منازلهم ليعرفوها حتى اذا أصبح الصباح نهبوا ما فيها بدون مقاومة . ولم يقتصر هذا الشر على الاكليروس فقط بل أن أقاربهم كانوا فى خطر لا لذنب بل لانهم أقرباؤهم ولم يقف الاشرار المضطهدون عند هذه الفظائع بل تجاوزوها كثيرا وتمادوا فى غيهم وعتوهم لدرجة أوجبت نفور الشعب واشمئزازه من هذه الحالة حتى ان أعضاء الكنيسة لم يطيقوا تأدية الصلاة فيها بعد عيد الفصح بل كانوا يذهبون الى المقابر و يصلون فيها لانهم كرهوا الصلاة مع جورجيوس فلما علم هذا الظالم الغاشم بكره الشعب له حرض ضدهم ضابطا من الشيعة المانوية اسمه سباسيان فصار نحوهم فى نفر من الجند مسلح بسيوف قاطعة وسهام لامعة وحراب نافذة وهجم على هذا الشعب الضعيف فى يوم الرب المبارك الذى قدسه لعبادته لقتل الانفس البريئة . فلما وصل الى المقبرة لم يجد الا رجالا يعدون على الاصابع لان أكثر الناس قد عادوا الى منازلهم عندما مال النهار فلم يرحم هؤلاء البائسين الابرياء بل أعمل فيهم الصارم البتار و برهن بعمله هذا على القسوة وعتو وجدا فى مثل هذا المتوحش اللئيم و بعد أن أودى بالرجال حول نظره نحو أولئك العذارى الطاهرات فأضرم نارا تأجج سعيرها وادناهن منها وهددهن بالاعتراف بمذهب اريوس والانحياز اليه . أما هن فلم يملن عن اعتقادهن ورفضن طلبه هذا كما انهن احتقرن النار وحسبنها ماء زلالا فلذلك اشتد حنق هذا الوحش الضارى عليهن فجردهن من ثيابهن وظل يضربهن على الوجوه حتى تغيرت سحنتهن ولم يكن أحد يعرفهن فيما بعد . ولقد ألقى هذا الضابط القبض على نحو أربعين رجلا وجلدهم بالسياط جلدا تقشعر منه الابدان وترتعد لهوله الفرائص وذلك بأن مزق ظهورهم بعصى خضراء قطعت من النخل بشوكها حتى ان بعضهم عملت لهم عملية جراحية لاخراج الشوك من لحمه و بعضهم لم يحتمل العذاب والآلام فمات من شدة الضرب . أما الذين عاشوا بعد هذه المصائب فنفوا الى الواحات الكبرى بما فيهم واحدة من أولئك العذارى ولم يكن هذا العاتى يسلم لاقارب الموتى بأخذ جثث موتاهم ولكن لما تعهد له هؤلاء الاقارب بعدم الاحتفال بموتاهم والامتناع عن تأدية الفرائض الدينية المعتادة لهم أذن لهم أولئك القساة بدفنهم كما وافق أغراضهم حتى يخفوا عن أعين العالم دلائل قسوتهم وغلاظتهم التى لم تخف بل ظلت ظاهرة فى بطون التواريخ الى الآن وعلى خطة الجهل والعمه هذه سار أولئك المجانين سيرا لم يؤثر فى أهل الايمان الصحيح تأثيرا يذكر لان أصدقاء وأقارب الذين ماتوا فى هذا الاضطهاد كانوا يفرحون و يطربون لان اخوانهم بقوا محافظين على ايمانهم الى ساعة موتهم ولو أنهم أسفوا لعدم التصريح بدفن جثثهن وهو عمل يدل على منتهى الفظاظة والخشونة فى صدور الفجار الذين تجردوا من الانسانية فأصبحت اعمالهم واضحة عند الله والناس » أهـ

(٧) يوليانوس الجاحد أو المرتد :

هو ابن عم أخى قسطنطين الكبير ملك سنة ٣٦٢ م وقد رفض الديانة المسيحية وتمسك بالوثنية فتقوى فى أيامه وثنيو الاسكندرية وانتعشت مدرستهم الفلسفية . وكان يوليانوس يحترم

العجل أبيس معبود المصريين احتراما عظيما للغاية حتى انه لما كان على أهبة الركوب لقتال سابور ملك الفرس و بعث اليه أوقديقس نائبه على مصر يخبره بأن المصريين عثروا على شكل العجل أبيس معبودهم الذى مات وأنه تبين لهم انه معبودهم بعينه فرح بذلك واستبشر بالنصر على سابور اذ كان يحب العجل المذكور حبا كثيرا

(٨) اضطهاد فالنص الاريوسى :

جاء بعد يوليانوس يوبيانوس سنة ٣٦٣ م وكان مسيحيا ارثوذكسيا فأحسن للبابا اثناسيوس وللارثوذكسيين وتمتعت الكنيسة فى أيامه بسلام ورد الى الايمان رجال الجيش الذين كانوا قد زاغوا عن الايمان فى أيام يوليانوس واقفرت هياكل الوثنيين . الا أن مدة هذا الملك المؤمن لم تطل أكثر من نصف سنة وخلفه فالنص الاريوسى سنة ٣٦٤ م الذى فاق جميع من تقدموه فى اظهار القساوة نحو الارثوذكسيين فنفى أساقفتهم وضيق على المؤمنين كثيرا . وفى عهده حدث اضطراب فى مدينة الاسكندرية وتعدى الوثنيون على كنيسة سيزاريوم وحرقوها فى يوليه سنة ٣٦٦ م

وأقام فالنص بطريركا دخيلا على الكرسى المرقسى ولكى يثبت والى مصر الاريوسى مركز هذا الدخيل قصد بفرقة من الجند كنيسة القديس ثاؤنا وهجم على هذا المكان المقدس وأوقع لرعب فى قلوب المصلين واندس بين الجنود سفلة اليهود ورعاع الوثنيين اذ وجدوها فرصة مناسبة للانتقام من المسيحيين وأخذوا فى تدنيس المذابح واهانة المصلين بتوحش زائد ففتكوا بالرجال وهتكوا أعراض النساء داخل الهياكل . وقد بلغ الفحش بأحد هؤلاء الوحوش أن تعرى عن ثيابه وسط النساء وأخذ يجدف على اسم الله القدوس بألفاظ البذأة التى ترتعد لها الفرائص

ومع ذلك أصر الارثوذكسيون على عدم اعتبار بطريرك فالنص فاستدعى القائد رؤساء كهنتهم اليه وأخذ يحثهم على الخضوع له بالوعد تارة و بالوعيد أخرى ولما لم يجد منهم أدنى قبول أنزلهم فى سفينة مخلعة وتركهم تحت رحمة الماء والهواء فهلك بعضهم ونجا البعض الآخر حيث قذفته الامواج الى سواحل افريقية وهليو بوليس (سورية)

ثم عول بلاديوس الوالى على زيارة الاقباط فى منازلهم ليقنعهم بوجوب الخضوع للوسيوس واذ لم يجد منهم الا الرفض والاباء أوقع بهم من الويلات اشدها . ثم استحضر هو والبطريرك الدخيل أحد عشر أسقفا من أساقفة القطر وعرض عليهم الامر القيصرى القاضى بوجوب انكار لاهوت المسيح وخيرهم بين التوقيع عليه والنفى ففضلوا النفى والموت على خيانة الايمان الارثوذكسى فنفوا الى قرية بفلسطين كان معظم سكانها من اليهود المتعصبين ضد المسيحيين

ثم عمد القائد والبطريرك الدخيل الى زيارة الرهبان ساكنى أديرة وادى النطرون فسارا اليهم بفرقة من الجنود قاصدين ارغامهم على انكار الوهية الابن فقام الرهبان يدافعون عن أنفسهم

دفاع الابطال مفضلين أن يسفكوا آخر نقطة من دمائهم دون أن يثلموا شرف مخلصهم . فضجرا منهم ونفيا رؤسائهم ظنا منهما انهم هم الذين يقوونهم ولكن أملهما خاب اذ رأيا ايمانهم أمنع من جبهة الاسد

وكان بين الاساقفة الذين حكم عليهم بالنفى ميلاس أسقف رينوكولورالعريش الذى تتلمذ للقديس انطونيوس والذى لم يفارقه الا ليمنح تاج الاسقفية . ومن بديع ما حفظه التاريخ عن هذا الاسقف انه فى الوقت الذى جاءه نواب الوالى يطلبونه للنفى كان مشتغلا بتنظيف قناديل الكنيسة فقابلهم و يداه ملوثتان بالزيت وثيابه يعلوها التراب فظنوه خادما وسألوه عن الاسقف فذهب بهم الى دار الاسقفية حيث أعد لهم وليمة فاخرة ولما كرروا عليه السؤال قال لهم « أنا هو الاسقف الذى تطلبونه » فاعجبوا باتضاعه وعرضوا عليه الفرار فابى الا الذهاب مع اخوته الاساقفة الذين كانوا يهزأون بالعذاب المعد لهم

ومن الذين قبض عليهم فى ديروادى النطرون روفينوس الشاب والسيدة ميلانو وقد ذكرنا أنهما أجنبيان وفدا على مصر ليترهبا فيها . وكان لميلانو يد طولى فى ايواء كثيرين من الرهبان وانطلقت بنفسها للقائد ودافعت عنهم وسجن روفينوس مدة ثم نفى خارج القطر المصرى . ونفيت ميلانو الى قيصرية فلسطين هى وكثيرمن الاساقفة والرهبان . وكان أهالى قيصرية يترحبون بهؤلاء المصريين المنفيين و يقدمون لهم الاحترام اللائق بهم

ومما يستحق الذكر فى هذا الصدد أن فالنص كان قد نفى أسقف مدينة أورفا (كائنة بين النهرين) بسبب تمسكه بايمان مجمع نيقية واعترافه بقانون البابا أثناسيوس وأقام بدله أسقفا آخر وكلف الوالى مودستوس بأن يجبر الكهنة والشمامسة على الاشتراك مع الاسقف الجديد والا فينفيهم الى أقاصى المملكة فجمعهم مودستوس وحاول اقناعهم لكنه لم يستفد منهم شيئا بل أجابه أحدهم باسم الجميع قائلا « ان لنا راعيا شرعيا ولا نعرف راعيا غيره » فأرسلوا جميعا الى المنفى . فتشجع الشعب بمثلهم وأبوا الاشتراك مع أسقف الزور . فكانوا يخرجون من المدنية وقت تلاوة الفرض ويجتمعون فى البرية للصلاة . فلما علم الملك بذلك اغتاظ على الوالى وأنبه تأنيبا شديدا لعدم اهتمامه فى منع هذه الاجتماعات وأمره بأن يجمع كل من كان عنده من الجنود و يشتت بهم هذا الجمع . أما مودستوس ولئن كان مقاوما للارثوذكسيين الا أنه لم يحب أن يبادر الى طريق القساوة فانذر المؤمنين سرا بان لا يمضوا اليوم التالى الى مكان الاجتماع للصلاة لأن الملك أمره بأن يعاقب جميع الذين يجتمعون فيه . فكان يؤمل بأن يمنع بهذا التهديد عقد الاجتماع ويهدى بهذه الطريقة غضب الملك . أما الارثوذكسيون فقد ازدادوا بذلك سرعة وتلهفا للمضى الى مكان الصلاة فبادروا اليه باكرا جدا وكانوا أكثرعددا من ذى قبل .

فلما أخبر الوالى بذلك استولت عليه الحيرة ولم يدرما العمل الا أنه أخذ فى المسير نحو هذا

المكان وصحبته جنود كثيرون أمرهم بأن يقعقعوا و يضجوا ليرعبوا الشعب ويحملوه على الفرار. فلما كان جائزا في المدينة شاهد امرأة مسكينة تخرج مسرعة من بيتها ولا تبالي بغلق بابه وعلى يديها طفل وهي تهرول في سيرها وتجر ذيل ردائها على الارض ولا تهتم أن ترفعه عن الثرى حسب طريقة البلاد ومرت هكذا في وسط صفوف العساكر السائرة أمام الوالي مجدة في السير بدون أدنى خوف بتة. فأوقفها مودستوس وقال لها: أين تمضين مسرعة أيتها المرأة؟ أجابته انني ماضية الى الحقول حيث جمع المؤمنين. قال لها الوالي: ألا تعلمين بأنه قد صدر أمر الملك بقتل جميع الذين يوجدون هناك؟ قالت له: نعم أعلم ولهذا أنا أجد في السير لابلغ الى ذاك المكان خوفا من أن تفوتني فرصة احتمال الاستشهاد. قال لها: ولم تأخذين هذا الطفل معك؟ قالت له: لكي يشترك معي في هذا المجد.

فتعجب مودستوس من بسالة هذه الامرأة وعاد الى البلاط الملوكي وأخبر الملك بما جرى واقنعه بالعدول عن هذا العمل حيث لا تعود عليه فائدة من اضطهاد المؤمنين لأن الاضطهاد كان يقويهم و يثبتهم على ايمانهم و يزيدهم شجاعة ومحبة.

(٩) ثيودوسيوس الملك الارثوذكسي:

كانت أحوال الارثوذكسيين قد ساءت بعد موت فالنس فاجهد ثيودسيوس قيصر الذى تولى سنة ٣٩٢ م ذاته في اعادة مجد المسيحية الى رونقه الاصلي واتحد مع رؤساء الارثوذكسيين على ابطال عبادة الاوثان ورغب الى مجلس رومية ليصدر مرسوما في هذا الشأن فأبى عليه ذلك فأبطل ثيودوسيوس المجلس وألغاه وخلع أربابه ورسم بهدم جميع معابد الاوثان وهياكلها ونهى عن تقريب القربان لها في البيوت وعن أن تقام فيها شعائر دينية وأن تكون الديانة المسيحية الديانة الرسمية في سائر الاقطار الرومانية ونهى عن التفرق في الدين وسلوك مذهب الاعتدال

ورسم ثيودوسيوس في سنة ٣٩٥ م بمحو الديانة المصرية الوثنية وأن لا يباح في بلاد مصر الا التمسك بالدين المسيحي فأغلقت الهياكل والمعابد المصرية ومن ثم عم الدين المسيحي كل القطر واحتفل النصارى بأداء طقوسه علنا. قال بعض المؤرخين «وكان للمصريين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فحل محلها دين المسيح الآمر بالتوحيد ومع ذلك فقد بقي من العاكفين على دين الوثنية كثير بصعيد مصر ولم يمح هذا الدين الا بتوالي الايام وكرور الاعوام. واشتهر أهل مصر من هذا التاريخ باسم «قبطة مصر» فطائفة الاقباط من أهالي مصر الآن هم المتنصرون من ذرية الامة المصرية القديمة وهم بقية ذلك الشعب الذى قدر واقتدر وفاز واشتهر» أهـ

* * *

الفصل الثانى
مشاهير الشهداء

(١) مارمينا العجايبى (٢) القديسة دميانة
(٣) القديسة كاترينا
(٤) القديسة ثيوذورة والقديس ديديموس
(٥) القديس تيموثاوس وزوجته (٦) شهيدان أجنبيان

(١) مارمينا العجايبى :

ولد سنة ٢٥٠ م بمريوط وكان أبوه من مديرى الاقاليم فى آسيا الصغرى ونقل الى مصر. ولما مات عين مينا فى منصبه . وبعد ذلك وقع اضطهاد ديوكلتيانوس فترك منصبه ولجأ الى البرية غير أن ضميره وبخه على فراره الذى حسبه هروبا من الاعتراف بالايمان فرجع الى المدينة وجاهر بايمانه فحاول الحكام أن يغيروا رأيه شفقة به ولكنه استمر ثابتا فقبض عليه وعذب عذابا شديدا وأخيرا قطعت رأسه فى ١٥ هاتور بعد أن أجرى الله على يديه المعجزات الكثيرة وبعد زمن وجد جسده فأقيمت عليه كنيسة بأمر ملك القسطنطينية بجهة مريوط لا تزال آثارها ظاهرة للآن وتوجد عدة كنائس باسمائه فى أنحاء القطر

(٢) القديسة دميانة :

هى الابنة الوحيدة لمرقس والى البرلس والزعفران ووادى السيسبان باقليم الغربية . وكانت جميلة الطلعة حتى أجمع المؤرخون على تسميتها «ربة الجمال والكمال» ولما بلغت سن الخامسة عشرة نذرت أن تعيش بتولا فابتنى لها والدها قصرا خاصا اعتزلت فيه واعتزل معها أربعون عذراء قبطية من بنات أكابر الولاية

واتفق أن والدها ارغمه ديوكلتيانوس قيصر على أن يبخر للاصنام فلما سمعت ذلك أسرعت اليه وأنبته على سقوطه الشنيع وحضته على الرجوع للسيد المسيح قائلة «خير لك يا أبى أن تموت شهيدا فتحيا مع المسيح من أن تحيا وثنيا فتموت مع الشيطان» أهـ فتاب وصرح أمام القيصر بايمانه فأمر باعدامه . ولما علم القيصر أن أبنته هى التى حرضته على عدم الامتثال لامره انفذ اليها قائدا معه مئة جندى لكى يحملها على انكار ايمانها أو يقتلها . فانتهرت القائد عندما بلغها أمر القيصر وأفهمته انها لا تطيعه فشرع القائد يعذبها واللواتى كن معها وتفنن فى تعذيبهن والتنكيل بهن فاحتملن كل ذلك بصبر وبعد ذلك قطعت رؤوسهن

ثم جاء القديس يوليوس الاقفهصى كاتب سير الشهداء وأخذ الاجساد ودفنها بالاكرام . ثم اثبت سيرتهن فى سجل الشهداء وأمر قسطنطين الكبير فبنيت كنيسة فوق قبر القديسة ودشنها البابا الاكسندروس فى ١٢ بشنس ورسم لها أسقفا وقسوسا وشمامسة

وللقديسة دميانة دير عظيم ببلقاس يؤمه المؤمنون فى ١٢ بشنس من كل سنة حاملين اليه الهدايا وبنيت على أسمها كنائس عديدة بالقطر المصرى .

(٣) القديسة كاترينة :

ولدت بالاسكندرية فى ختام القرن الثالث من أبوين وثنيين ولما بلغت من السن ثمان عشرة سنة كانت قد تحلت بالجمال الباهر والعلوم الزائدة التى أوضحت لها بطلان الديانة الوثنية . ورأت ذات ليلة فى الرؤيا السيدة العذراء تحمل طفلها يسوع وتطلب منه أن يقبل كاترينة عبدة له وهو يعرض عنها لأنها لم تكن بعد قد اعتمدت فاستيقظت من نومها وسعت لنيل العماد حتى نالته ومن ثم ظهرت لها تلك الرؤيا والطفل يقبل اليها و يظهر رضاءه عليها .

وفى سنة ٣٠٧ م قدم الى الاسكندرية القيصر مكسيموس الثانى وأصدار أمرا باعدام كل مسيحى لا يضحى للاوثان وحينئذ اشتعلت نيران الاضطهاد والقديسة كاترينا تواصل جهادها فى سبيل تثبيت المؤمنين ولم تكتف بذلك بل بلغت بها الشجاعة أن ولجت هيكل الاوثان ومكسيموس يضحى لها وو بخته على عظم جهله بتقديمه ذبائح لآلهة كاذبة فاندهش القيصر من جمالها المفرط وشجاعتها النادرة واستدعاها الى بلاطه زاعما انه ينتصر عليها و يفوز بها . أما هى فطلبت منه أن يحضر اليها علماء الوثنية لتباحثهم فى أمر ديانتهم . فحضر منهم خمسون عالما ونزلت معهم فى ميدان الجدال وأخذت تبرهن لهم على فساد عبادتهم للجمادات التى لا تحس ولا تشعر حتى أفحمتهم وصرح بعضهم بتركه لتلك العبادة من تلك الساعة و بعد أن أوضحت لهم فضل الديانة المسيحية ونقاوة التعاليم الانجيلية قبل الايمان باقى الفلاسفة .

ولما انتشر خبر هذه الحادثة خشى الوثنيون انتشار المسيحية بينهم بسببها فحرضوا القيصر على قتل كاترينا والفلاسفة والا زالت عبادتهم فاستحضروا لكى ينكروا ديانتهم فابوا فقتل الفلاسفة وطرح كاترينا فى السجن لعلها تتبع ديانته وتقبله زوجا لأن جمالها كان قد سبى فؤاده وجعل ينفذ اليها الرسل لاقناعها باطاعته فكانت ترسل معهم كلمات التوبيخ حتى استحالت محبته غيظا وأمر الجنود بأن يعروها أمامه من ملابسها و يعلقوها من يديها ورجليها ففعلوا هكذا وضربوها بمخالب حديدية حتى تمزقت وملأ دمها البلاط واتصلت جراحها ببعضها حتى صارت جرحا واحدا ثم اعيدت الى السجن ووضعت تحت الحفظ حتى يعود القيصر من رحلته فى مدن مصر

وكانت فوستينا امرأة القيصر قد طرق سمعها أخبار كاترينا فعزمت ليلة على زيارتها فى سجنها ونامت فرأت القديسة تضع اكليلا على رأسها وتقول لها ان المسيح وهبه اياك فاشتد شوقها اليها وسارت اليها بصحبة بيرفيريوس القائد وبعد أن علمتهما طريق الحق نالا العماد بعد أيام قليلة

ولما رجع القيصر من رحلته ورأى كاترينا ثابتة على ايمانها جهز لها دواليب مركبة بسيوف بارزة وتحتها شكل صندوق ووضعها فيه ودارت الدواليب ولكنها تحطمت فجاءت اليه امرأته وقالت له ألا تكفى هذه العجائب لاقناعك بصحة ديانة كاترينا . واذا علم انها وبرفيريوس صارا مسيحيين قطع رأسيهما حالا . ثم أمر بقطع رأس القديسة فتوسلت الى الله حينئذ أن يجيبها الى أمرين الاول أن يخلص الكنيسة من الاضطهاد والثانى أن لا يدع أحدا يبصر جسدها بعد موتها . ثم صلت وبعد ذلك قدمت رأسها للجلاد فقطعها وهى فى السنة التاسعة عشرة من عمرها

(٤) القديسة ثيوذوره والقديس ديديموس :

ولدت القديسة ثيوذوره فى نهاية القرن الثالث من ابوين مسيحيين عظيمين واتصل خبر جمالها الفتان بأولاد الاشراف فطلبوا يدها ولكنها آثرت العفة فنذرت نفسها لله وكانت تقضى أوقاتها بمنزلها تصلى وتقرأ الكتب المقدسة . واشتد اضطهاد ديوكلتيانوس وهى فى سن السابعة عشرة واشتكى عليها بانها مسيحية فاستحضرت أمام بركولوس الوالى فانذهل والحاضرون معه من فرط جمالها ولما تحقق من شريف نسبها وعظيم أدبها سألها لماذا لا تتزوجين يا ربة الجمال البارع فأجابته لأنى وعدت أن أكون عروسا لواحد فقط هو سيدى يسوع المسيح . فاخبرها بالامر الصادر ضد عذارى النصارى بانهن اذا أبين التبخير للاوثان يطرحن فى دور البغاء فيخسرون بتوليتهن . فأجابته انى واثقة ان مخلصى يحفظنى ويحفظ كل الذين يخلصون له العبادة من كل شر ودنس . ولما أطال معها الكلام اجابته جوابا قاطعا بأنها لا تنثنى عن عزمها مهما هددها فقال لها انى آسف على جهلك وعنادك وسأمهلك ثلاثة أيام لعلك تثوبين الى رشدك فقاطعته قائلة « هب أن الثلاثة الايام قد انقضت فافعل بى ما تشاء » فأمر الوالى أن تحفظ فى مكان أمين

ففى هذه الثلاثة الايام شاع خبر شجاعتها فى كل مكان فدحت حتى من الوثنيين أما هى فكانت تستعد للموت واذ رآها الوالى بعد الثلاثة الايام ثابتة على عزمها أمر أن توضع فى بيوت البغاء لتفتض ولكنها لم تجزع لأنها كانت تنتظر خلاص الرب الذى دبر لها طريقة حسنة لنجاتها . وذلك أن شابا مسيحيا يدعى ديديموس فكر فى خلاصها فلبس أثواب جندى وتقلد سيفا ومشى مسرعا ينظر نظرة الوقح وطلب الدخول عليها فسمح له الحراس تلقاء مبلغ من الدراهم اعطاه لهم فدخل عليها ولما رأته استولى عليها رعب مقدس فقال لها لا تجزعى لأنى أرسلت من قبل الله لانقذ طهارتك فافعلى ما أقول لك البسى أثوابى هذه وأنا ألبس ثوبك وانصرفى متنكرة وأنا أقوم هنا عوضا عنك فقبلت البتول مشورته وخرجت دون أن يعرفها أحد لأنها غطت وجهها بالرداء كمن يستحى أن يراه أحد عند خروجه من مكان ردىء

و بعد ذلك انكشفت حيلة ديديموس فقدم الى الحاكم بثوب القديسة فسأله المغتصب قائلا من أرسلك لتخالف أمر القيصر فأجابه « ان الاله الذى اعبده هو الذى أرسلنى لأصنع ما صنعت » فقال له الحاكم « ان لم تخبرنا أين تكون ثيوذوره فموتا تموت ». فأجابه ديديموس « لست أعلم عنها شيئا الا انها خرجت من ماخور البغاء نقية طاهرة » فسأله الحاكم عن اسمه ومذهبه فاجابه « اسمى ديديموس ومذهبى مذهب النصارى وكنت مقيدا بسلاسل الآثام فحلنى السيد المسيح وأطلقنى بنعمته » فأمره المغتصب أن يسجد للاصنام فأبى ولما رآه ثابتا فى ايمانه أمر بقطع رأسه وطرح جسده فى النار

فسمع خبر الحكم فى كل مكان و بينما كان الجند يسوقونه لمكان الاعدام رؤ يت ثيوذوره تجرى خلفه بسرعة حتى وصلت اليه وقالت له بلهجة التوبيخ « لماذا هكذا يا أخى تختلس اكليلى » ؟ فقال لها « اذكرى يا اختى احسانى اليكى ولا تكافئينى عليه بعدم المعروف لانى لم أكن أروم بما فعلته الا أن أنال حكم الموت لأجل مخلصى فحكم به على لا عليك » فاجابته « كلا يا أخى لم يحكم عليك بالموت الا لاجلى واذ كنت قد رضيت لك بأن تنقذ بكوريتى ولكن لا أرضى أن تأخذ اكليل الاستشهاد منى فدعنى على الاقل أسبقك الى أخذه » واستمرا يتجادلان فى من منهما يتقدم الآخر الى الموت وقد أخذت المشاهدين الدهشة وكثيرون منهم سكبوا دموعهم لهذا المنظر المؤثر وتعجب الوالى نفسه مما حصل الا أنه لم يجسر أن يطلقهما خوفا من القيصر فأمر بقطع رأسيهما وهكذا نالا اكليلى الشهادة فى سنة ٣٠٤ م

(٥) القديس تيموثاوس وزوجته :

كانا من قرية فى الصعيد يقال لها برابى وكان تيموثاوس شماسا فى الكنيسة وتزوج من أمراة مسيحية تدعى مورا ولكنها كانت أقل منه ايمانا . و بعد زواجه بعشرين يوما حضر ارسانيوس والى انصنا (١) وحاكم بلاد الصعيد الى قريته واستدعى اليه تيموثاوس وأراه آلات العذاب المريعة وهدده بها ان لم يدفع اليه ما عنده من الكتب المقدسة . ويجحد ايمانه المسيحى . فقال له القديس « لو كان لى أولاد لاسرعت بتقديمهم اليك ولا أقدم اليك الكتب المقدسة كما أنى أفضل الموت ألف مرة من أن أترك ديانتى المسيحية » ولما قال هذا تقدم الجنود لتعذيبه فأدخلوا فى أذنيه سيخا محمى فعمى فقالوا له ها قد عميت لرفضك السجود لآلهة المملكة فأجابهم « نعم لقد فقدت هذه العيون التى من دأبها النظر الى الاباطيل أما نفسى فيضيئها عينا المسيح » فعلقوه برجليه على خشب وعلقوا حجرا ثقيلا بعنقه وتركوه هكذا وهو يطلب مساعدة نعمة الله

(١) انصنا كانت مركز الولاية وخربت منذ زمان بعيد وعلى اطلالها الآن بلدة الشيخ عبادة بمركز ملوى . واريانوس حاكمها هذا الذى اشتهر بقساوته الشديدة على المسيحيين لم يلبث فى غباوته بل آمن بالمسيح وذلك انه اذ كان يعذب شهيدا الجرح بسهم كان أمر الجلادين أن يرموا به الشهيد فارتد اليه وانغرس فى عينه و بعد موت الشهيد نال الشفاء بأزاء قبره بوضع شىء من تراب القبر على عينه واعترف بيسوع المسيح ومات شهيدا

وعلم الحاكم ان له أمرأة تزوجها من مدة قريبة فاستدعاها اليه وحسن لها أن تردع زوجها عن عزمه ليفوز بحياته و يظهر أنه كان قد بقى له بصيص من النظر فانطلقت اليه بعد أن لبست أفخر ثيابها وتطيبت وجعلت تخاطبه ليرجع عن الايمان و ينجو بحياته حتى لا يرملها وهى صغيرة فالتفت اليها القديس وو بخها بصرامة وقال لها « كنت أظنك تشجعيننى على احتمال العذاب لأحظى بسعادة الله . لا أن تحشينى على ما يفقدنى تلك السعادة و يطرحنى فى أتون النار الابدية فكونى أمينة للمسيح مثلى حتى تشتركى معى فى مجده »

فتأسفت مورا على خطيئتها و باشارة زوجها انطلقت الى الحاكم واعترفت أمامه بالمسيح فأمر بقص شعرها وقطع أصابعها ثم طرحت فى أناء مملوء من الزيت المغلى فلم يؤثر عليها وهى ثابتة صابرة شاكرة الرب الذى خلصها من الضلال و بعد ذلك صدر الامر بصلبها مع زوجها وجعل صليبها تجاه صليبه لكي ينظرا بعضهما بعضا فيشتد حزنهما وعذابهما . وفيما كانت ماضية لمحل الصلب قابلتها أمها وطوقتها بذراعيها وهى تبكى بكاء مرا أما هى فلم تظهر حزنا بل فرت من بين يدى والدتها حيث وصلت الى المكان وهناك نالت مع زوجها اكليل الشهادة

وغير هؤلاء الشهداء من لا يحصى عددهم حفظ أسماء بعضهم كتاب السنكسار

(٦) شهيدان أجنبيان :

ومن الشهداء الاجانب الذين تعترف بهم كنيستنا شهيدان مشهوران عندنا هما :

(١) القديس مركوريوس الشهير بأبى سيفين :

ولد برومية من أبوين مسيحيين فى عهد ديسيوس قيصر وانتظم فى سلك الجندية فلقب بمركوريوس أى رئيس الجند و بأبى سيفين اشارة الى سيف الروح الذى كان له خلاف سيف المملكة . و بعد أن جاهد فى سبيل رفع شأن الديانة المسيحية أستشهد فى قيصرية فلسطين فى ٢٥ هاتور سنة ٢٥٠ م وفى أيام البابا يوحنا الرابع والستين نقلت رفاته الطاهرة الى مصر القديمة فى ٩ بؤونة

(٢) القديس جاورجيوس الشهير بمار جرجس :

ولد سنة ٢٨٠ م بالكبادوك (بآسيا الصغرى) . وقد انتظم فى الخدمة فى عهد ديوكلتيانوس وارتقى الى رتبة قائد ولما استعرت نار الاضطهاد الذى أثاره هذا القيصر باع كل ما يملكه ووزعه على المساكين استعدادا لحمل الآلام لأجل مخلصه . و بينما كان يوما سائرا فى مدينة نيكوميديه وجد منشور القيصر القاضى باضطهاد المسيحيين فمزقة وتوجه بنفسه الى الملك وأنشأ يدافع عن المسيحيين فأمر الملك بتعذيبه فذاق منه أنواع العذاب اشكالا وألوانا وكان عليها صابرا حتىّ آمن كثيرون عندما رأوا عظم ثباته ومنهم الملكة نفسها ومن ثم قطعت رأسه ورأس الملكة معا فى ٢٣ برمودة سنة ٣٠٢ م و بعد ما دفن جسده فى لد بفلسطين التى هى وطن والدته نقل الى مصر القديمة

فى ١٩ أبيب . وهذا الشهيد هو موضوع احترام المسيحيين جميعا لا سيا مسيحيو مصر وروسيا وانجلترا . و يصوره المصورون بهيئة فارس بيده رمح يطعن به تنينا اشارة الى انتصاره على الشيطان . و بنيت كنائس قبطية كثيره على اسمه

* * *

القسم الرابع
المجامع والبدع والانشقاقات

(١) مجمع نيقية — (٢) مجمع القسطنطينية
(٣) درجات الكنائس — (٤) اريوس
(٥) مكدونيوس — (٦) مرقس المصرى
(٧) شيعة المصلين — (٨) خلاف فى مقام السيدة العذراء
(٩) انشقاق ميليتس

(١) مجمع نيقية :

و يسمى المجمع المسكونى الاول . وكان الداعى لانعقاده انتشار بدعة اريوس الهرطوقى واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها . فكتب القديس الاكسندروس بابا الاسكندرية الى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمع مسكونى لفض هذا النزاع وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها وذهب اوسيوس اسقف قرطبة الى الملك وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين وكتب منشورا يستدعى فيه جميع اساقفة المملكة للاجتماع فى مدينة نيقية [١] فلبى الدعوى حالا ٣١٨ أسقفا من كل أقاليم العالم المسيحى ما عدا القليل والاكثرون منهم كانوا قد اعترفوا بألوهية سيدنا يسوع المسيح وتعذبوا لاجل ذلك فى زمن اضطهادات الوثنيين

وكان أعظم الحضور شأنا الاكسندروس بابا الاسكندرية وهوالبابا الوحيد فى ذلك العصر وكان بحكم وظيفته هو المدعى ضد اريوس وكان بصحبته أثناسيوس رئيس شمامسته وسكرتيره الخاص الغير البالغ من العمر ٢٥ سنة وكانت تلوح على وجهه هيئة الملائكة كما روى

---

(١) تقع فى ولاية بيثينيه وكانت العاصمة الثانية لها بعد نيكوميديا وكان لهذا المجمع تأثير عظيم على أهل تلك المدينة وكان فى تلك الايام كلما أرادوا حصر عدد الآباء الذين حضروه اضافوا واحدا على العدد الحقيقى يرمزون بذلك الى أن الروح القدس كان حاضرا معهم

صديقه غريغوريوس النزينزى . وكان معهما من ممثلى كنيسة الأسكندرية الانبا بوتامون أسقف هرقلية بأعالى النيل والقديس بفنوتيوس أسقف طيبة العليا وكانا قد عذبا فى زمن الاضطهاد وقلعت عيناهما بالسيف وكويت حواجبهما بالحديد المحمى بالنار

ويليهم فى الاهمية اسطاسيوس أسقف انطاكية ويوساب أسقف قيصرية ومكاريوس أسقف أورشليم وبولس أسقف قيصرية الجديدة ويعقوب أسقف نصيبين وعطا الله أسقف أديسا وحضر غيرهم من أرمينية وبلاد الفرس وأيضا من الغوط القاطنين عبر نهر الدانوب . ومن آسيا الصغرى يوساب عن نيكوميديا وغيره من انصار اريوس ومارسليوس أكبر معارضى اريوس الذى كان ينوب عن اثناسيوس فى مجادلة اريوس اذا غاب . وحضر عن جزيرة قبرص الاسقف اسبريدون وغير هؤلاء كثيرون وكان عدد ممثلى بلاد الشرق يبلغ ٢١٠ والثمانية كانوا يمثلون البلاد الغربية التى كانت أقل مدنية وعلما . وهؤلاء الثمانية كانوا يمثلون ايطاليا واسبانيا والغال وبريطانيا والليريكوم (البوسنة والهرسك) والسرب والبلغار أو دولماطيا . ولكبر سن سلفستروس أسقف رومية أوفد من قبله نائبين هما وثين وويكندس وكذلك مطروفانوس أسقف القسطنطينية اذ كان مريضا أرسل القس اسكندر نائبا عنه وكان أهم أساقفة الغرب اوسيوس أسقف قرطبه

وحضر اريوس وأتباعه وهم اوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاوغنس مطران نيقية ومارس أسقف خلكيدون ومعهم عشرة فلاسفة وخلاف هؤلاء واولئك كان المجمع مكتظا بعدد عظيم من الذين أتوا غيرة على لاهوت المسيح ومنهم من أتوا بغية الفرجة لعلمهم باهمية المجمع الذى ضم ممثلى كنائس العالم للبحث فى أهم المسائل وبلغ عدد جميع المشاهدين نحو الالفين كان بينهم بعض الفلاسفة الذين لم يسمح لهم بالدخول بل كانوا يقابلون الاعضاء فى الخارج ويناقشونهم . وكان الشمامسة لابسين رداء طويلا والاساقفة والكهنة برنسا كبيرا من الصوف وكلها من اللون الابيض

واجتمع المجمع سنة ٣٢٥ م ولا يعرف جيدا الشهر الذى اجتمع فيه المجمع فيقول بعضهم فى ٢٠ ايار (مايو) وغيرهم فى ١٩ حزيران (يونية) . أما مكان المجمع فكان فى الساحة الوسطى فى القصر الملوكى . ودخل بعض موظفى البيت الملوكى ورجال البلاط وعدد من الاسرة المالكة ورام قسطنطين أن يحضر المجمع لكى يزيده شرفا فقط لأنه قال للاباء «ان الحكم على قضايا الايمان لا يختص بسلطة ملك بل انما خصه السيد المسيح بالاساقفة فقط »

فدخل الضابط الذى يتقدمه فوقف الجمع ثم دخل هوماشيا الهوينا ووضع فى الوسط كرسى من ذهب له فأبى أن يجلس عليه وجلس فى آخر المجمع ولكن الاساقفة أشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويجلس فى الموضع الذى أعد له ففعل وبعد أن جلس جلسواوجلس الاساقفة عن يمينه ويساره ويتقدم الجالسون من اليمين البابا الاكسندروس ورئيس شمامسته أثناسيوس ويوساب القيصرى ويتقدم الجالسون عن اليسار اوسيوس القرطبى واريوس وأكبر أعوانه وأصطف الجمهور على جانبى القاعة

ومن المعلوم أن أوسيوس أسقف قرطبة اعتبر رئيسا للمجمع الا أن الجميع سلموا للبابا الاكسندروس أن يتقدمهم فى كل عمل . ثم قام الملك وألقى خطابا باللاتينية ترجمه له يوساب حض فيه على الاتحاد وفض المشاكل بالحكمة . وكان موعد انعقاد الاجتماع فى ٢٠ مايو فدارت فيه بعض المناقشات والمفاوضات لغاية ١٤ يونية عندما حضر الملك ووضع قانون الايمان فى التاسع عشر من الشهر وختم المجمع أعماله فى ٢٥ أغسطس

وكان أهم الحاضرين فى ذلك المجمع وقبلة أنظار الجميع أثناسيوس رئيس شمامسة البابا الاكسندروس فهو الذى كان يتولى الدفاع ضد اريوس وأتباعه نظرا لما أظهره من البراعة قبل انعقاد المجمع فى مناضلة الاريوسيين فى بعض مجادلات جرت بينه و بينهم فافحمهم وكان يناظرهم فى كل مادة من المواد و يكشف مغالطاتهم و يعرضها على المجمع للنظر فيها . فأعجب به الجميع ولا سيما الملك وصار الكل يقصدونه للسلام عليه والتكلم معه و يضربون معه مواعيد لمقابلته وهو مشتغل بفحص الاوراق وأخذها وردها . وقد اعترض الاريوسيون على وجود اثناسيوس بالمجمع بصفة رئيس شمامسة ولكن الملك لم يعبأ باعتراضهم معتبرا وجوده ضروريا . ولهذا لا تزال الكنائس الغربية تعتبر رتبة « رئيس شمامسة » من الدرجات الكهنوتية وذلك لأن أثناسيوس مع عظم شأنه بمجمع نيقية لم يكن الا رئيس شمامسة

وبدأ المجمع اعماله فى فحص ما قدمه الرعاة من الشكاوى ضد اخوتهم وما كان ادهش تصرف الملك اذ خرج من جيبه ملفا من هذه الاوراق و بعد أن و بخ مقدميها لعرضهم تهما ضد اخوتهم وأقسم بالله أن لا يقرأ شيئا منها ثم طلب موقدا ودفع اليه تلك المعروضات والتشكيات السرية . ثم أفسح المجال لرئيس المجمع ولكنه بقى فى قاعة الاجتماع وأهتم كل الاهتمام بسماع المناقشات وفعلا اشترك فى بعضها

ثم انعقدت الجلسة الاولى وكان الملك قد أعطى الحرية لكل من يتفاوض من الاساقفة فكثر الجدال واللغط والغضب وانقضت الجلسة الاولى بدون جدوى . وفى اليوم التالى تقدموا للمناقشة فوقف اريوس وقال « ان الابن ليس مساويا للاب فى الازلية وليس من جوهره وان الاب كان فى الاصل وحيدا فأخرج الابن من العدم بارادته وان الآب لا يرى ولا يكيف حتى للابن لأن الذى له بداية لا يعرف الازلى وان الابن اله لحصوله على لاهوت مكتسب » فحال سماع الآباء هذه الكلمات ضجوا ضجيجا هائلا وصموا آذانهم كيلا يسمعوا هذا التجديف . وقرئت بعض أناشيد اريوس فزاد سخط الاساقفة لما حوته من الضلال ولم يطيقوا سماعها فزقوها مما دعى الى هيجان أنصار اريوس واضطر الملك أن يسكتهم بالقوة وأخذ اريوس يدافع عن معتقده فانبرى له أثناسيوس وافحمه بردود قوية . وقد وجدت صورة هذه المحاورة بكتاب قديم بمكتبة البطريركية القبطية ندرجها هنا لما فيها من الفوائد الغزيرة : (١)

(١) أخذا عن الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٢٨٩ — ٢٩٢

«قال اريوس ان سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا خلقني أول طرقه (أم ٨ : ٢٢) قال اثناسيوس معنى ذلك هو أن الرب ولدني لان النص العبراني يذكر عوض خلقني (قناني) أي ولدني كما يقال قني بالله ولدا أي ولد و يؤيد هذا التفسير ما ورد في نفس الفصل اذا يقول : منذ الازل مسحت منذ البدء كنت معه قبل أن يخلق الجبال وقبل أن يصنع الارض لما ثبت السموات كنت هناك : وما يتلوه من الاقوال التي تدل على ولادة الابن الازلية كما نص داود النبي «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ٢ : ٧ و ١١٠ : ٣)

ار ـــ ان الابن قال أبي أعظم مني (يو ١٤ : ٢٨) فعلى هذا يكون الابن أصغر من الآب ولا يساو يه بالجوهر

اث ـــ ان الابن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية «لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لاني قلت اني ماض الى الآب لأن أبي أعظم مني» أي انه بناسوته يمضي الى الاب الذي هو أعظم من ناسوت الابن والا كيف يتكلم بلاهوته انه يمضي الى الآب حال كونه في حضن الآب. (يو ١ : ١٨) و يؤيد ذلك انه في نفس الفصل يتكلم باللاهوت و يبين مساواته لابيه بالجوهر بقوله «من رآني فقد رأى الآب وأنا في الآب والآب في وكل ما للآب فهو لي وكل ما لي فهو له لأننا نحن واحد».

ار ـــ ان المسيح قال «اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض» (مت ٢٨ : ١٨) فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له

اث ـــ يعني أن الابن بولادته الازلية من الآب قد ملك كل سلطان أوانه قال ذلك بحسب كونه متأنسا لأنه في أثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس

أر ـــ ان المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده» فاذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون الها ؟

أث ـــ ان المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السراني لا أعلم هذه المسألة أي لا أعلمها علما يباح به لأن بطرس قال له يارب أنت تعرف كل شيء

أر ـــ ان المسيح قال أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتي بل مشيئة من أرسلني (يو ٥ : ٣٠) فاذا هو عبد للآب ودونه

اث ــ ان المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه الها صار انسانا كقوله «ان شئت فلتعبر عنى هذه الكأس» «الهى الهى لماذا تركتنى» «انى صاعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم» ومثل ذلك صلاته الى أبيه مرارا كثيرة . وبصفة كونه الها قال «من رآنى فقد رأى الآب» «انا فى الآب والآب فى» «وأنا والآب واحد» وفى نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال تعالى «كما ان الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الاب» . وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواة لاهوته للاهوت أبيه فى الازلية والعظمة والقدرة

أر ــ أن يوحنا قال فى بشارته عن الابن «كل شىء به كان و بغيره لم يكن شىء مما كان» (١ : ٣) فهذا القول يدل على ان الابن آلة استخدمها الآب لصنع الخلائق فالابن اذا ليس الها خالقا

اث ــ ان الآب خلق بالابن أى بواسطة الابن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بابنه فالملك وابنه يعد ان بانيى المدينة . ولا سيما أن يوحنا صرح بلاهوت الابن وأزليته ومساواته لابيه فى الجوهر والقدرة والابداع فى بشارته وفى رسائله حيث قال «الذى كان منذ البدء الذى سمعناه الذى رأيناه الذى لمسته أيدينا» (١ يو ١ : ١) وأيضا «الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (١ يو ٥ : ٧) وفى الرؤيا «أنا هو الالف والياء البداية والنهاية الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء» (رؤ ١ : ٨) وقوله «للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان الى أبد الابدين» (رؤ ٥ : ١٣) وفى أول الفصل الواردة فيه آية الاعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الابن بقوله «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الابن ليس باله خالق لكنه آلة لصنع الخلائق . وقد اعترف داود النبى بان الابن خالق كما قال «أنت يا رب فى البدء أسست الارض والسموات صنع يديك» ولا ريب أن هذا القول يخاطب به النبى ابن الله كما فهم ذلك الرسول (عب ١ : ١) فقد اتضح أن ابن الله خالق نظير أبيه واله مساو له فى الجوهر والعظمة والمجد» أهـ

وطلب من يوساب القيصرى وسميه النيكوميدى أن يتبرأ من هرطقة اريوس فوقعا فى حيرة وارتباك شديدين ولم يتفقا على قاعدة ترضيها وترضى المجمع ثم تلا يوساب القيصرى عقيدة قال انه تسلمها من الاساقفة الذين سبقوه ظاهرها عكس باطنها

فنصح الامبراطور للحضور أن يوافقوا عليها . وكان يوساب وحزبه يقبلون كل عبارة يبديها الارثوذكسيون ولكنهم يؤولونها بحيث تضعف قوتها فى ما وضعت له وأفاضوا فى نصوص الكتاب لتأييد تنصلهم . فسئلوا ان كانوا يقبلون أن يكتب فى العقيدة عن طبيعة الابن انه من الله فقالوا نعم

لأننا نحن أيضا من الله والكتاب يقول «لكن لنا اله واحد الآب الذى منه جميع الاشياء» (١ كو ٨ : ٦) و يقول أيضا «هوذا الكل قد صار جديدا . ولكن الكل من الله» (٢ كو ٥ : ١٧ و ١٨) فسئلوا اذا كانوا يعترفون ان الابن ليس مخلوقا بل هو قوة الاب وحكمته وصورته وانه هو الله حقا : فنظر بعضهم الى بعض وتشاورا همسا ثم قالوا . اننا نوافق على ذلك لاننا نحن البشر ندعى صورة الله ومجد الله (١ كو ١١ : ٧) وأشياء كثيرة يقول عنها الكتاب انها قوته كقول المزمور «جميع قوة الرب خرجت من مصر» حتى ان الجراد سميت بقوات الرب واما من جهة القول بأنه اله حقيقى فلا مشاحنة فيه اذ انه جعل أو تعين هكذا . ولم يلق أحد الفريقين أية عبارة يعبر بها عن فكرة الا وقام الفريق الآخر باضعاف قوتها ونفيها

فاقترح اثناسيوس أن تضاف كلمة Homo — ousion أى «مساو فى الجوهر» أو «ذو جوهر واحد» للتعبير عن هذه الحقيقة بطريقة موجزة واضحة فعارض اليوسابيون فى استعمال هذه اللفظة بدعوى انها ليست من الكتاب وغير ملائمة وقابلة للتأويل ثم اقترحوا استبدالها بلفظة Homi — ousion أى «مشابه فى الجوهر» والفرق بين الكلمتين حرف واحد وهو «يوتا» باليونانية والقبطية ولكن ما أعظم الفرق بين اللفظين فى المعنى !! و بقدر معارضتهم بقدر ما ظهر للاغلبية انها هى العبارة المقصودة بالذات للتمييز بين من يؤمن بصحة لاهوت المسيح و بين من يعتقد بما هو أقل من ذلك . فصودق على اقتراح اثناسيوس بأغلبية هائلة ولم تزد الاقلية عن سبعة عشر صوتا وقوبلت هذه النتيجة بالسرور التام وتقرر أن يكون قانون الايمان هكذا :

«نؤمن باله واحد الله الآب الضابط الكل الخالق السماء والارض ما يرى وما لا يرى . نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو الاب فى الجوهر الذى به كان كل شىء هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطى تألم وقبر وقام من بين الاموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى فى مجده ليدين الاحياء والاموات الذى ليس لملكه نقضاء» أهـ

و يلى هذا القرار الالهى حرم ار يوس واتباعه وحرم بدعة سابليوس الذى أذاع ار يوس أن معارضيه يقبلونها و بذلك أوضح المجمع النقطتين الاساسيتين فى التعليم عن كلمة الله وهما تمييز الاقانيم فى اللاهوت وصحة لاهوت المسيح

وقد وقع على هذا القرار جميع اعضاء المجمع برضاء كلى ولم يبق على عقيدة ار يوس سوى خمسة أشخاص منهم يوساب النيكوميدى يوساب القيصرى الا انهما أمضيا بعد تردد ولم يلبث سوى الاثنين اللذين حرما بالاسكندر ية وهما سيكوندس أسقف بطليموسة وثيوناس أسقف مار يكة وقد

وبخ الاول أسقف نيكوميديا لانه وقع خوفا من النفى وقال له انى أبلغك من قبل الله بانه فى خلال عام واحد سيصيبك ما أصابنى

وبعد أن حكم المجمع بحرم اريوس وبدعته أمر بنفيه وبحرق كتبه وباعدام من يتستر عليها وما يأتى يؤخذ منه رأى المجمع فى اريوس وهو من رسالة أنفذها المجمع الى كنائس افريقية قال . «قبل كل شيء وقع البحث أمام الملك قسطنطين الكلى التقوى فى اثم اريوس ورفقائه وعدم تقواهم وحتم بصوت الجميع ان تعليمه العديم التقوى ليكن اناثيما وهكذا أيضا فلتكن أقواله وعباراته التجديفية التى استعملها لانه قال مجدفا ان ابن الله من القدم وانه وجد زمان لم يوجد فيه وقال ان ابن الله من تلقاء ارادته قادر على الفضيلة والرذيلة وقال انه مخلوق وعمل فكل هذا حرمه . والمجمع المقدس لا يطيق استماع هذا التعليم العديم التقوى أو بالحرى هذه السفاهة وهذه الاقوال التجديفية وقد سمعتم أو تسمعون ماذا جرى فى حقه لئلا نظهر نحن اننا تعدينا على انسان أخذ استحقاق شره ولكن شره غلب بهذا المقدار حتى أدخل معه فى الهلاك ثيوناس المرمريكى وسيكوندس من عكا لانهما حكم عليهما كما حكم عليه » أهـ

ولما انتهى المجمع من القضاء على اريوس وبدعته صرف همه للفصل فى مسائل أخرى

(١) منها مسألة تحديد يوم عيد القيامة فقرر بالاجماع أن يكون العيد المذكور فى موعد واحد بجميع البلدان أى يوم الاحد الذى يلى البدر الذى يكون فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا قبل اليهود أو معهم وقرروا ان بابا الاسكندرية هو الذى يبلغ الكنائس الاخرى عن اليوم الذى يقع فيه هذا العيد فى العام التالى وذلك لان الاسكندرية فى ذلك العهد كانت مركز العلوم الفلكية وجرت العادة وقتئذ أن بطريركها يحسب ميقات البدء بعد الاعتدال للسنة القادمة ويبلغ أسقفى رومية وانطاكية وهما يبلغان سائر الاساقفة

(٢) ثم نظر المجمع فى أمر الشقاق الذى أحدثه ميليتس بهضمه كأسقف حقوق رئيسه البطريرك وتقدمه لرسامة أساقفة وقسوس بلا رأى رئيسه فقرر من جهته فى القوانين ٥ و ٦ و٧ بحفظ حقوق بطريرك الاسكندرية على مرؤسيه واعطاه الحقوق التى كانت لاخويه اسقفى رومية وانطاكية

ثم أرسل المجمع هذه الرسالة الى المصريين بحكمه فى هاتين المسألتين وهاك هى :

«بقى علينا الآن طياشة ميليتس والذين رسمهم والآن أيها الاخوة الاحباء نخبركم قضاء المجمع على هذه القضية . اننا اذا راعينا الحقيقة نجد أن ميليتس لا يستحق اكراما أو صفحا على ما اقترفه من أمر الشقاق الذى أحدثه الا أن الشفقة والحنان يحتمان علينا أن نعامله بالرأفة واللطف ولذلك أذن له المجمع بالاقامة فى بلدته مسقط رأسه وأمره أن لا يمارس أية وظيفة كهنوتية سواء

كانت رسامة أحد أو ترشيح أحد للرسامة و يتحتم عليه عدم الظهور فى أى أقليم أو مدينة بهذا المظهر ولا أن يدعى شيئا حرمه عليه المجمع بلى تبقى له صفته الشخصية فقط . أما الذين عينهم هو فى وظائف وتثبتوا فيها بواسطة رسامة قانونية فيجب قبولهم فى عضوية الكنيسة بالشروط الآتية وهى : ان تبقى لهم وظائفهم ورتبهم ولكنهم يعتبرون أقل درجة فى كل شيء من الآخرين الذين عينهم رئيسنا المحترم البطريرك اسكندر واقامتهم الكنائس الاخرى . كذا لا سلطة لهم على تعيين أو ترشيح من يشاءون ولا أن يعملوا عملا ما بدون تصديق أحد أساقفة الكنيسة الجامعة الذين يعدون من أنصار البابا اسكندر ومساعديه . وعند موت أحد هؤلاء القسوس الذين سامهم ميليتس سابقا ينبغى تعيين واحد بدله من الذين تنطبق حالتهم على النظامات الحديثة على شرط أن يكون ذا أهلية واستحقاق فيختاره الشعب و يصدق أسقف الاسكندرية على انتخابه . فهذا الامتياز يمنح لجميع الاساقفة على السواء الا ميليتس فلا يعطى هذه السلطة نظرا لسلوكه السابق المغاير للصواب والتعقل بل يجرد من كل سلطة وسطوة لاجل طياشته وخيلائه ولانه رجل لا يبعد عليه أن يحدث شقاقا جديدا مثل الذى أتاه قبلا . فهذه المسائل تهم مصر وكنيستها الرفيعة الشأن على الخصوص وعليه فاذا سن قانون آخر غير هذا أو حدثت رسامة كاهن ليست قانونية فيكون لغبطة الحبر المفضال البطريرك الاكسندروس حق التداخل فى هذا الامر وان يفحصه فحصا دقيقا و يبت حكمه لانه ليس بصاحب صوت فقط فى الذى يحدث ولكن له الرئاسة العليا والسلطة التامة فى تنفيذ أى عمل يريده

« ولقد يسرنا أيضا فى هذا المقام أن نخبركم بما قر عليه الرأى فى مسألة تحديد يوم عيد القيامة المبارك فان هذه المسألة انتهت بمساعدة صلواتكم وأصبح جميع الاخوة المسيحيين فى الشرق الذين كانوا يعيدون هذا العيد مع اليهود تماما يعيدون من الآن فصاعدا مع الرومانيين ومعنا ومع الذين حفظوه منذ القديم معنا » أهـ

(٣) ثم نظر المجمع فى مشكلة معمودية الهراطقة التى كانت بين أساقفة افريقيا وآسيا الصغرى و بين أسقف رومية فاعترف المجمع بمعمودية واحدة وحدد أن لايقبل بعض من الهراطقة لا بالمعمودية لان معموديتهم المعروفة اسما هى بالفعل غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس . والبعض الآخر أن يقبلوا بلا معمودية لكون المعمودية المتممة عليهم لبثت غير فاسدة ولا ممسوسة من آرائهم لتعلقها بمواضيع أخرى لا تمس المعمودية

فبذلك رذل المجمع رأى أسقف رومية بخصوص عماد الهراطقة ولقد قال فى هذا الصدد بنديكتوس ١٢ أسقف رومية (١٣٣٤ — ١٣٤٢ م) « ان اسطفانوس قد علم بوجوب اعادة العماد الذى يتم على يد الهراطقة وعلم كبريانوس بعكس ذلك أما المجمع النيقاوى فقد خالف هذين التعليمين حيث قرر أن المتعمدين من أيدى الهراطقة عمادا صحيحا لا يعاد عمادهم بعكس الذين

اعتمدوا منهم عمادا فاسدا » أهـ (١) وقال أوغسطينوس أعظم قديسي الكنيسة اللاتينية « ان الحكم النهائي في قضية عماد الهراطقة كان للمجمع المسكوني الذي له وحده هذا الحق أما رأى اسطفانوس فانه فضلا عن فساده لم تكن له قوة على اقناع كبريانوس وهكذا كان حكم الكنيسة مجتمعة حجة لا ترد لاثبات الحقيقة فيما يختص بالعقيدة الارثوذكسية » أهـ (٢)

(٤) حكم على ذوى الكهنوت أن يكونوا من أصحاب الزوجات وقد أراد جل الاعضاء أن يقرروا ضرورة تبتل كل رتب الاكليروس الا أن رأيهم لم يقبل وكان أشد معارضيه القديس بفنوتيوس أسقف طيبه الذى أشير اليه بأنه فقد عينه اليمنى و يده اليسرى فى الاضطهاد وهو أعزب اذ صرح بأنه ليس من الواجب التثقيل على ذوى الكهنوت خشية حدوث ضرر للبيعة عوض النفع فأثر كلامه فى الجميع لانهم عرفوا أنه لا ينتفع من القرار أو عدمه واكتفى المجمع بالحكم على الكهنة المترملين بعدم اعادة الزيجة

و بعد ذلك سن المجمع عشرين قانونا لم تزل بحمد الله موجودة سالمة الى عصرنا هذا . وهذه القوانين وسائر الاحكام أيضا أنيط نشرها بكل واحد من أساقفة الكراسى الاولية فى أبروشيته . ومن جملتهم أوسيليانوس فى افريقية واوسيوس فى الغرب كله . ولم يذكر شيء بخصوص أسقف رومية البتة يتعلق بنشرها فلا أحد انتظر منه تصديقا عليها ولا استأذن منه لينشرها . وكما ان مسألة نشر القوانين فى الشرق والغرب تنفى صحة الدعوى بسلطانه فان فحوى القوانين أيضا ينفيها نفيا واضحا

وقد اجتهد أساقفة رومية فى القرن الخامس أن يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا التى توجب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى أسقف رومية الى قوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك أساقفة افريقية وأرسلوا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخا كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنقلوا نسختين صحيحتين احداهما من الاسكندرية والاخرى من القسطنطينية فكان فحوى الجواب ان الكنائس الارثوذكسية لم تقبل الا هذه العشرين قانونا و بعض هذه القوانين يعارض كل المعارضة قوانين مجمع سرديكا التى أرادوا أن يثبتوا بها رئاسة أسقفهم المزعومة ويهدمها واليك هى :

قال القانون الرابع « ينبغى أن يقام الاسقف على الخصوص من جميع أساقفة الابروشية . فان كان عسرا اما لضرورة شديدة أو لبعد المسافة فلابد من اجتماع ثلاثة معا بعد اشتراك الغائبين فى الاصوات وموافقتهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية . أما تثبيت الاجراءات فنوط فى كل

---

(١) راجع بوسويه فى مقدمة دفاعه عن اقرار الاكليروس الفرنسى رقم ٤٨

(٢) راجع كتاب العماد لاغسطينوس (ك ٢ ف ٤ : ٥ وك ٣ ف ٢ : ٢)

ابروشية بالمترو بوليت » فهذا القانون فضلا عن ايضاحه مساواة رؤساء الابروشيات بعضهم لبعض بلا امتياز هو ضد العادة المرعية اليوم فى الغرب بأن كل أسقف عندهم حتى بطاركة الطوائف التابعة لهم « المعروفة بالمكتلكة » محتاج الى تصديق من البابا أو بالحرى ان هذه العادة الغربية هى ضد المجمع المسكونى وهى لاغية .

وقال القانون الخامس « لقد رأينا حسنا أن تعقد مجامع فى كل ابروشية مرتين فى السنة لكى تفحص أمثال هذه المسائل (الكنسية) باجتماع عمومى من جميع أساقفة الابروشية » وهنا أيضا مرجع المسائل الكنسية لا الى البابا بل الى مجامع الابروشيات

وقال القانون السادس « لتحفظ السنن القديمة التى فى مصر وليبية والخمس المدن بان تكون السلطة على هؤلاء كلهم لاسقف الاسكندرية . بما أن هذه العادة مرعية للإسقف الذى فى رومية أيضا . ومثل ذلك ليحفظ التقدم للكنائس فى انطاكية وفى الابروشيات الاخرى . وبالاجمال ليكن واضحا أن كل من صار أسقفا بلا رأى الميترو بوليت قد حكم المجمع الكبير أنه لا يجب أن يكون أسقفا وأما اذا قاوم اثنان أو ثلاثة عن عناد شخصى لصوت الجميع العام رغما عن كونه مصيبا وموافقا للقانون الكنسى فليعمل بصوت الاكثيرين »

وقال القانون السابع « بما أنها جرت العادة والتسليم القديم أن يكون الاسقف الذى فى الية « أورشليم » ذا كرامة فلتكن له التبعية فى الكرامة مع المحافظة على رتبة الميترو بوليت الخاصة بها »

فواضح هنا أن هذين القانونين يثبتان لكل أسقف من أساقفة الكراسى الاولى رئاسته لا كأنهما يثبتان أمرا جديدا بل بناء على العادة القديمة وعلى الخصوص القانون السادس يثبت دائرة الكرسى الاسكندرى الذى كانت حقوقه قد ديست من ميليتس الاسقف المبتدع المار ذكره الذى ساقه عناده الى انه داس حقوق البطريرك الاسكندرى وكان يقيم شرطونيات بلا رأيه . ولهذا السبب جدد المجمع وثبت حقوق الاسقف الاسكندرى المداسة لتكون مرعية فى دائرته كما أن حقوق أسقف رومية لم تزل مرعية في دائرته . وكذلك حقوق الانطاكى وحقوق كل أسقف من الاساقفة المتقدمين . ثم قرر فى القانون السابع أن تكون التبعية فى الكرامة أى الجلسة للاورشليمى بعد الانطاكى

فهذه قوانين مجمع مسكونى صريحة تبين لكل أسقف دائرته ولا تعين ولا تشير الى أسقف عام على كل الكنيسة حالة كون المذاكرة فى مثل هذه المسائل كانت توجب ذلك لو كان له أصل أو على الاقل كانت توجب وكلاء البابا أن يدافعوا عن حقوقه و يقرروها (١) ولنختم بشهادة البابا

(١) تاريخ الانشقاق ج ١ ص ١١٧ — ١١٩

اثناسيوس الرسولي فى رسالته الى الانطاكيين وهى : « ان الكنيسة فيها رؤساء كثيرون متساوون فى الكرامة يقودهم رئيس واحد ربنا يسوع المسيح » (٢)

* وبعد أن انتهى المجمع من أعماله أولم قسطنطين لاعضائه وليمة عظيمة فى بدء السنة العشرين لملكه أى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يولية فاجتمع الآباء الروحيون على مائدة الملك . و يقول أوسابيوس المؤرخ « أن اجتماع آباء الكنيسة فى سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخيمة كان يشبه صورة ملكوت المسيح وقد تجلى هذا المنظر أمامى كحلم أكثر مما هو حقيقة . » أهـ وكان الامبراطور يحادث ضيوفه بكل بشاشة ثم ألقى عليهم خطاب الوداع ناصحا اياهم بالتزام خطة السلام . وبعد ذلك وزع عليهم الهدايا وسلمهم الاوامر الى حكام البلاد التى هم تابعون لها آمرا هؤلاء الحكام بأن يوزعوا على الكنائس كل سنة مقدارا من الحنطة لمؤونة رجال الاكليروس والارامل والعذارى والفقراء التابعين للكنائس ثم طلب منهم البركة وأعد لهم الركائب لعودتهم الى أوطانهم فعادوا اليها بسلام

(٢) **مجمع القسطنطينية :** « و يسمى المجمع المسكونى الثانى » وسبب انعقاده التعاليم الكفرية التى أذاعها مكدونيوس بطريرك القسطنطينية عن الروح القدس والتى اضطربت البيعة لاجلها . واذا كان الملك ثيودوسيوس الارثوذكسى يرغب فى استئصال شأفة البدع والهرطقات أمر بانعقاد هذا المجمع فى مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ م

وكان فى هذا المجمع رجال قديسون عظام نذكر منهم نكتاريوس بطريرك القسطنطينية وتيموثاوس بابا الاسكندرية وملاتيوس أسقف انطاكية وكيرلس أسقف أورشليم وغريغوريوس الثاؤلوغوس وغريغوريوس النيسى وامفيلوشوس أسقف أيقونية و بيلاجيوس أسقف اللاذقية وثيوذورس أسقف طرسوس واكاكيوس أسقف حلب وافلوجيوس أسقف اداسيس وغيرهم كثيرون مجموعهم ١٥٠ أبا ولم يكن من رومية أحد لا أسقفها ولا نواب له ولا تليت رسالة من الاسقف نيابة عنه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فوافق أسقف رومية وكل الكنيسة الغربية على أعماله ولم يزل هو وكنيسته يعترفون بأنه مجمع مسكونى وقال المؤرخ صوزومينوس (فاجتمع من الذين يعتقدون بمساواة الثالوث فى الجوهر نحو ١٥٠ وفى رئاستهم تيموثاوس المتقلد ادارة كرسى الاسكندرية خلفا لاخيه بطرس الذى كان قد توفى لا من عهد بعيد » (١)

وقد بحث المجمع فى جملة هرطقات أهمها هرطقة مكدونيوس المار ذكره الذى اعتقد بأن الروح القدس مخلوق . ولما طرحت قضيته أمام المجمع بدأ يثبت بدعته فقال ان الروح القدس مخلوق

---

(٢) ذوسيثاوس ١ : ٧

(١) صوزومينوس ٧ : ٧ و ٩

مرتكنا على قول الكتاب « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) فأجابوه قائلين « أيها الانسان لا يوجد لدينا الا روح واحد وهو روح الله ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئا غير حياته واذا قلنا ان حياته مخلوقة فعلي زعمك انه غير حي واذا كان غير حي فهناك الكفر الفظيع والرأى الشنيع » ولما أبى أن يرجع عن أفكاره أنزلوه من درجة البطريركية وحرموا كل من يقول بقوله وأثبتوا دستور الايمان النيقاوى الذى كان ينتهى بقوله « نعم نؤمن بالروح القدس » فأضاف مجمع القسطنطينية عليه هذا القول « الرب المحيى الكل المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويتمجد الناطق فى الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الاموات والحياة الجديدة فى العالم الآتى ، آمين »

وحرم المجمع كل من يزيد على هذا الايمان الذى سنه آباء المجمع النيقاوى وأكمل فى هذا المجمع المقدس شيئا آخر أو ينقص منه أو يحدد حدا مضادا لما حدد فيقع هذا الحرم على الكنيسة البابا وية التى زادت بعد الروح القدس المنبثق من الآب لفظة والابن كما ستقف عليه فى باب البدع فى القرن الثامن .

ثم نظر المجمع فى هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية ومن أمره انه كان شديد المناضلة فى اثبات لاهوت المسيح ضد الاريوسيين ولما كانت مناضلته بدون فطنة سقط فى البدعة اذ أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح واعتقد أن اللاهوت قام بوظيفتها وامتزج مع الناسوت امتزاجا كليا حتى انه احتمل معه أوجاع الصليب والموت وجعل تفاوتا بين الاقانيم الثلاثة فقال ان الروح القدس عظيم والابن أعظم منه والآب اعظم من كليهما فحرم هذا المجمع تعليمه

وكان رئيس المجمع ملانيوس الانطاكى ثم توفى قبل انحلاله فتولى الرئاسة غريغوريوس الشاؤلوغوس . وكان متوليا مؤقتا للكرسى البطريركى بالقسطنطينية قبل ذلك بمدة قليلة ولكن تيموثاوس بابا الاسكندرية قاومه فاستعفى مسرورا لانه علم أن الذى يتولى بعده الكرسى البطريركى ورئاسة المجمع صديقه نكتاريوس

ثم سن المجمع سبعة قوانين تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها وروعى فى وضعها خاطر ملكى رومية والقسطنطينية فوضعت هذه فى الرتبة الثانية بعد رومية ووضعت الاسكندرية بعدهما فاستاء البابا تيموثاوس من تصرف المجمع الذى يدل على تناسيه لجهاد باباوات الاسكندرية الافاضل وعدم اعتبار المعروف منذ القديم وهو أن لكرسى الاسكندرية المركز الاول فاحتج البابا تيموثاوس على هذا القرار وخرج من المجمع غاضبا

ويتبين من مراجعة نص القوانين التى سنها المجمع فى هذا الشأن أن اساس النظام الكنسى ليس الاعتبارات الدينية بل المدنية ودونك نص القانون الثانى « لا يتعدين الاساقفة الذين

خارج اداراتهم على الكنائس التى خارج حدودهم ولا يشوشن الكنائس . بل وفقا للقانون لاسقف الاسكندرية ان يسوس أمور مصر فقط . ولاساقفة الشرق أن يسوسوا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذى في قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . ولاساقفة ولاية آسيا أن يسوسوا أمور آسيا فقط . وللذين فى البنطس أمور البنطس فقط وللذين فى ثراكى أن يسوسوا أمور ثراكى فقط . فلا يتعدين أساقفة خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات أو معاطاة أمور أخرى كنسية من دون أن يدعوا . والمحافظة على القانون السابق تدوينه فى الادارات تقتضى صريحا أن يسوس أحوال كل ابروشية مجمع الابروشية كما هو محدد فى نيقية . وأما كنائس الله التى بين الامم البربرية (يعنى خارج المملكة) فيجب أن تساس حسب عادة الآباء المرعية »

والقانون الثالث « أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم فى الكرامة بعد أسقف رومية لكونها (أى القسطنطينية) رومية جديدة » أهـ

فهذان القانونان ينفيان الرئاسة التى يدعيها الغربيون لاساقفتهم فان القانون الاول منع تعدى أى أسقف كان على حقوق سواه وحكم بأن الامور الكنسية المشاعة يفصل فيها مجمع الاساقفة لا أسقف رومية وذلك استنادا على قوانين مجمع نيقية

(٣) **درجات الكنائس :** ويجدر بنا فى هذا الصدد أن نتكلم عن مقام كل كرسى من كراسى الاسقفيات المسيحية لان كلا منها ينازع الآخر فى الادعاء بالاسبقية والاعتبار . وكل مدقق فى الحوادث التاريخية يقر بأن المراكز الدينية كانت تقاس قيمتها بقيمة المدن الكائنة فيها . فانه مع ان الكنيسة فى مبدأ الامر كانت تعلم بالتساوى بين جميع أفراد الرتب الكهنوتية ولكنه لما دعا الحال الى عقد مجامع للبحث فى المشاكل الدينية احتاج الامر الى واحد ليكون هو المتقدم فى تلك المجامع فلكى لا يفهم أحد ان هذا التقدم ناشىء عن امتياز لاسقف عن الآخر قالوا اذا كان المجمع قاصرا على أساقفة مدينة واحدة وما حولها من القرى يكون التقدم لاسقف المدينة . واذا كان المجمع مؤلفا من أساقفة مدن عديدة يتقدم فيه أسقف المدينة الاكثر شهرة . و يوجد سبب آخر قضى على المؤمنين أن يوجهوا نظرهم الى بعض المراكز الاسقفية أكثر من غيرها وذلك بالنسبة لانها كانت مقرا لبعض الرسل واتصلت الى الاساقفة بسلسلة الخلافة ودعيت « الكراسى الرسولية »

فالمراكز الدينية التى حازت أحد هذين الامتيازين كانت لها أسبقية على التى لم تحزها ولكن التى امتازت بالاكثر من المراكز التى اقترنت أهميتها المدنية بتسلسل أساقفتها عن خلافة رسولية واشتهرت عن سواها هى فى الشرق الاسكندرية . وانطاكية . وأفسس . وكورنثوس . فى الغرب . رومية . ولما كان المركز الكنسى الذى يفقد أهميته المدنيه يفقد أهميته الدينية أيضا فان كرسى أورشليم فقد منذ القديم أهميته بعد خراب هذه المدنية ولحقه بعدئذ كرسيا أفسس وكورنثوس

ولكن الكرسي الاسكندرى ارتفع عن بقية الكراسي لان مقره مدينة الاسكندرية كانت عاصمة الديار المصرية وامتازت بانها كانت محط رجال العلوم والمعاملات التجارية للعالم أجمع

ولما تداخل ميليتس المشار اليه آنفا وأحدث انشقاقه وتعدى على سلطة بطريرك الاسكندرية برسامة أساقفة بدون أخذ رأيه قرر المجمع النيقاوى ضرورة مراعاة حقوق بطريرك الاسكندرية . وكذلك كرسي رومية عاصمة العالم وقتئذ وانطاكية عاصمة الشرق استمرا متمتعين بحقوقهما منذ عهد الرسل ولكن الكنيسة البابابوية تنادى ليلا ونهارا ان رئيسها هو رئيس الكنيسة العام واليك الادلة على كذب قولها

جاء فى كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » ص ٣٣٧ — ٣٤٠ ما يأتى : « ان الحق الذى يجب أن يعلن هو أن تقدم الكنائس بعضها على بعض لم يكن مبنيا الا على التقدم المدنى المحض . ولذلك فاننا نرى آباء المجمع القسطنطينى (المسكونى الثانى) عندما أصبحت القسطنطينية مماثلة لرومية فى الرفعة المدنية قد بادروا الى مساواتها بها فى الرفعة الدينية حيث قرروا فى القانون الثالث أن تكون لها الدرجة الثانية بعد رومية وان تلقب رومية الجديدة وهكذا أصبحت أسقفية القسطنطينية (البيزنطيه) التى أغلفها المجمع النيقاوى فى قانونه السادس لصغر شأنها وقتئذ مقدمة على أسقفيتى أسكندرية وانطاكية

ولقد جاء فى القانون الـ ٢٨ من قوانين مجمع خلكيدون الذى ترذله كنيستنا القبطية وتقدسه الكنيسة اللاتينية « ان المدنية التى حظيت بالملك (رومية الجديدة) وجب أن تمتاز فى المسائل الكنسية أسوة بمدنية رومية القديمة » وجاء أيضا فى القانون الـ ١٧ من قوانين هذا المجمع انه « اذا شاد القيصر مدينة جديدة فلتكن منزلتها الكنسية ملائمة لمنزلتها المدنية » على أن ذلك القرار لم يكن من مبتكرات مجمع خلكيدون فقد سبقه اليه مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤٢ م اذا قرر فى قانونه الـ ٩ « أن يكون النظام الكنسى تابعا للنظام المدينى » (١) وكذلك قرر مجمع تور ينو بايطاليا المنعقد سنة ٤٠١ م « أن يكون التقدم للاسقف الذى يبرهن على تقدم مدينة أسقفيته من الوجهة المدنية (وذلك على أثر النزاع الذى حدث بين أسقفيتى أرلس وفينا (جنوبى فرنسا) بشأن التقدم الكنسى)

وعلى ذلك يكون تقدم كنيسة روميه الدينى قد بنى على تقدمها المدنى . لما هو معلوم من انها كانت عاصمة العالم الوثنى يؤمئذ . وهذا هو تليمون الكاثوليكى يقول فى تاريخه الكنسى (م ١٦ ص ٧٠٧) « ان مجمع خلكيدون لم يعلل تقدم الكنيسة الرومانية الا بتقدم مدينة رومية مدنيا »

---

(١) راجع مجموعة المجامع م ٢ ص ٥٦٦

وقال سليدن (فى تاريخه م ٩ ص ٢٦٢) «ان ملك فرنسا (فرنسوا الاول) لم يكن ليرى فى سلطة الباباوات حقا الهيا بل بشريا محضا » وقال فوشيه فى كتاب حرية الكنيسة الجليكانية (الفرنسية) (م ا ص ٧١) « لم يكن من سبب فى تقدم أساقفة رومية سوى عظم مدينتهم » وأخيرا قال ارهادوس بيليوس أستاذ اللاهوت الادبى فى كلية الجزويت بكان بفرنسا فى كتابه « أرزاق الكهنة » المطبوع سنة ١٦٤٤ م ما نصه « ان تقدم الباباوات الرومانيين ان هو الا منة منحت لهم من الجامع والقياصرة (لا من الله) وهكذا كان ذلك التقدم من وضع البشر »

وفضلا عن ذلك فان الدرجة الاسقفية واحدة لا يؤثر فيها ارتقاء الايبروشية أو انحطاطها . وهذا هو ايرونيموس يقول فى رسالته الـ ٨٥ الى ايفاجر يوم « ان الاسقف ثابت فى وظيفته سواء أقام فى رومية أو فى رجيو

(مدينة صغيرة شمالى ايطاليا) فى القسطنطينية أو فى جيبيو «مدينة صغيرة بايطاليا » فى الاسكندرية أو فى تانيس » أهـ هذا فضلا عما اعترف به البطريرك القبطى الكاثوليكى كيرلس مقار فى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » « ان تقدم رومية القديمة كان يرمى الغرض منه الى صفة عرش المملكة و بالنتيجة انه لم يكن له أدنى صبغة الهية » أهـ

واليك شهادة القديس اغناطيوس (وهو من أساقفة انطاكية) قال « ان جميع الاساقفة الذين تعينوا الى أقاصى المسكونة هم وكلاء المسيح ورأيهم رأى المسيح » (١) والقديس كبريانوس يقول بصريح العبارة « ان الرتبة الاسقفية واحدة » و يقول أيضا « كما أنها أقيمت كنيسة واحدة للمسيح فى كل العالم منقسمة الى أعضاء كثيرة هكذا الرتبة الاسقفية واحدة منقسمة الى عدد أساقفة كثيرين » (٢)

والدليل على صدق هؤلاء الافاضل وعلى أن الكنيسة لم تكن تعتبر فى عصورها الاولى أية كنيسة منها أسمى من الاخرى ما نراه فى تصرف الاباء فى المجامع المسكونية الاولى حيث كانوا يقررون أحكامهم لاباسم كنيسة خصوصية بل باسم الكنيسة المسيحية فى كل العالم التى تجمع كل الكنائس رسولية كانت أو غير رسولية . فقط كانوا يقدمون فى الكرامة رئيس الكنيسة الذى يعرفون عنه الغيرة على الايمان والشهرة فى الدفاع عنه كباباوات الكرسى الاسكندرى مثلا اذ طلبوا منهم أن يترأسوا المجامع المسكونية الثلاثة الاولى

---

(١) الى أفسس فصل ٣

(٢) فى وحدة الكنيسة فصل ٥ ورسالة ٥٥

وإذا أردتم برهانا على أن المجامع لم تكن تحكم الا باسم الكنيسة عامة فاليكم بعض ما دونه كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك فى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » من ص ١٩١ — ٢٠٧ « ولكن هل أصدر المجمع النيقاوى حكمه مقيدا بأوامر باباوية وهل اعتبر أن ما يصدره من الاحكام يكون باسم البابا ؟ ذلك ما يدعيه الغربيون وهى دعوى فاسدة مبنية على أساس واه لانه من الحقائق المقررة ان البابا سلفستروس لم يبعث برسائل للمجمع حينئذ بل ان المجمع أبلغ حكمه لكنيسة رومية أسوة بباقى الكنائس كحكم الهى سماوى مؤيد بالروح القدس ...

« واليكم شهادة القديس اثناسيوس الرسولى الذى قال « ان آباء نيقية عندما أصدروا حكمهم فى قضية الفصح قالوا « هذا ما وجدناه حسنا » لان هذه المرة كانت الاولى التى فيها سن قانون عام فى هذا الموضوع « يوم تعييد الفصح » أما عند الكلام على الايمان فلم يقل الآباء هذا ما وجدناه حسنا بل قالوا « هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة » ثم جاهروا بمعتقدهم ليدلوا على ان ايمانهم ليس بحديث العهد بل هو نفس الايمان الرسولى وان ما سطرته أيدى هؤلاء الآباء لم يكن من عملهم بل هو الايمان عينه المسلم من الرسل الى الكنائس » أهـ

وما يقال عن مجمع نيقية يقال أيضا عن مجمع القسطنطينية فانه كان مؤلفا من ١٥٠ أبا شرقيا ولم يكن لاسقف رومية فيه نصيب البتة حتى انه لما دعى للحضور كباقى الاساقفة اعتذر عن الحضور ولم يرسل حتى من ينوب عنه . وانعقد المجمع بدون أن تكون له أقل علاقة به بالمرة بل وابلغ من ذلك ان التاريخ يشهد ان داماسوس الاسقف الرومانى كتب حينئذ لأباء المجمع القسطنطينى المائة والخمسين ليأتوا الى رومية لكى ينضموا الى مجمع كبير كنسى غربى مزمع أن ينعقد ولكن المائة والخمسين أبا رفضوا بتاتا أن يلبوا هذه الدعوة وأجابوا الاسقف الرومانى بشجاعة بأن كنائسهم تكبدت الصعوبة حتى خرجت من الزوبعة العظيمة التى صدمتها وأشاروا الى كسل الغربيين الواضح الذين بدل ما أنهم يأتون الى القسطنطينية وذلك فى طاقتهم يطلبون سفر الشرقيين الى رومه فى الوقت الذى ابتدأت كنائسهم أن تنتعش وأصبحت فى حاجة الى وجودهم فى حضرتها .

وقد أصدر المجمع القسطنطينى حكمه فى قضية لاهوت الروح القدس مستندا لا على صوت الكنيسة الرومانية التى لم تكن تعرف عن المجمع شيئا بل على صوت الكنيسة العام كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس النيسى أحد أعضاء المجمع حيث يقول فى أثبات ان الروح القدس اله حق ومساو فى الجوهر للآب والابن « انه يكفينا هذا الدليل التقليدى الذى تسلمناه من آبائنا والذى

(١) كتاب « المجامع » فصل ٤

تسلمه آباؤنا من الرسل » (١) وأخوه القديس باسيليوس قال لمكدونيوس قبل اشتهار المجمع القسطنطيني « ان أحذر ان تفصل الروح القدس من الآب والابن فان التقليد يمنعك من ذلك . هكذا علم السيد وهكذا كرز الرسل وهكذا حفظ الآباء وهكذا اعترف الشهداء و يكفيك أن تقر بما تعلمت « (٢) فأين صوت الكنيسة البابا و ية وسلطانها اذا . ليحكم البابا و يون عقولهم لعلهم يرتدعون (٣)

وليس من ينكر انه كان للكرسي الاسكندرى الاولو ية على الكراسى الاسقفية عامة وكان كرسى رومية حسدا منه يتقد غيظا لتقدم كرسى الاسكندر ية عليه واعتبار الملوك له أكثر منه . ولكن بطاركة الاسكندر ية الذين اشتهروا بالرقة واللطف وحسن المجاملة رضوا باشتراك أساقفة رومية فى حل المشكلات معهم ولو أفضى الى التنازل عن أفضليتهم . ولكن الرئاسة الفعلية والخطاب العام الذى يصدر سنو يا وفيه تار يخ عيد الفصح كان مصدرهما الاسكندر ية

أما الكرسى الاورشليمى فقد استرد مجده فى القرن الرابع وأخذ يترقى بسبب اعتبار المسيحيين للاماكن المقدسة . ولهذا فى القانون السابع من القوانين التى أصدرها مجمع نيقية وضع الكرسى الاورشليمى فى الدرجة الثانية أما الرئاسة العامة فكانت للاسكندر ية فعلا ولرومية ادعاء . و يتضح ذلك من مراجعة التار يخ حيث يقرر ان الذين قاوموا البدع وعقدوا المجامع وترأسوا عليها وقاسوا الو يلات فى سبيل تأييد الايمان هم باباوات الاسكندر ية الذين كانوا يعتبرون مسئولين أمام الكنيسة عن حفظ سلامة الايمان بينما كان أساقفة رومية يتمتعون بالراحة حتى ان ليبار يوس لما نفى بسبب تمسكه بتعاليم اثناسيوس الرسولى لم يطق النفى فجحد الايمان ورجع الى كرسيه ثانية

قال العلامة ستانلى فى كتابه فى تار يخ البابا اثناسيوس الرسولى : — « وأصبح البطر يرك الاسكندرى بعد مجمع نيقية » قاضى المسيحية فى كل العالم » تطاع أحكامه فى جميع أنحاء المعمورة المسيحية فى كل الامور العلمية دنيويها ودينيها و بلغ نفوذه أو كاد يبلغ نفوذ باباوات رومه فيما بعد فى أمور الكنيسة الغر بية » أهـ حتى قال غر يغور يوس النز ينزى « ان رأس كنيسة الاسكندر ية هو رأس العالم » وهذا نص قوله « ان القديس اثناسيوس اذ صار أسقفا على الاسكندر ية اؤتمن على ادارة الشعب ورئاسته و بقول واحد اؤتمن على كل المسكونة » أهـ (١)

(١) مؤلفه ضد اتوميوس كتاب ٤

(٢) ضد بدعة سابليوس رسالة ٢٤

(٣) عن كتاب « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » لكيرلس مقار بالفرنسية ونقلناه عن كتاب « الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة » ج ١ ص ٣٧٦ و ٣٧٩

(١) خطاب ٢١

واذ كان يظن أسقف رومية انه الرئيس الاول للكنيسة هدم أمله لما قام قسطنطين الكبير بتشييد مدينة القسطنطينية ولقد منحها كل امتيازات رومية القديمة واقتضى الحال أن يحسب أسقفها بدرجة أسقف رومية . ولم يجسر أحد بأن ينكر على القياصرة هذه البدعة ففى مجمع القسطنطينية المسكونى المارذكره أقيم بطريرك القسطنطينية بموجب القانون الثالث فى الرتبة الاولى بعد أسقف رومية ووضع كرسيا الاسكندرية وانطاكية بعدهما

أما اذا كان قد أعطى لكرسى رومية رتبة أولى فذلك ليس على كل الكنيسة بل على جميع الكنائس الغربية فقط لانه هو وحده فى الغرب مؤسس من الرسل فيما ان فى الشرق كراسى كثيرة مثله مؤسسة من بطرس ومن سائر الرسل . كما ان الاعتبار المدنى لا الدينى هو الذى كان يميز بعض الكراسى عن بعضها كما ذكر

فاذا كان رؤساء كرسى رومية يفتخرون على رؤساء الاسكندرية بحصولهم على التقدم عليهم فى مجمع القسطنطينية فعليهم أن يتأكدوا أن الاسباب التى أوجبت تقدم رومية أن الامبراطره الذين كانوا على مذهب اريوس لم يكونوا يعبأون بها ولا يهتمون بأمرها بل كانوا يصرفون جهدهم فى مقاومة بطريرك مصر والحط من شأن كرسى الاسكندرية لان هذا الكرسى كان الوحيد المقاوم لهم دون باقى الكراسى الاسقفية فى العالم المسيحى أجمع

(٤) **اريوس :** ولد فى ليبية القيروان بافريقيا سنة ٢٧٠ م وكان له المام بعلوم كثيرة وبالنسبة لفصاحته ولطف معاشرته ومحبته للمجد الفارغ كان يسعى دواما لاحداث أمور جديدة فجاء الى الاسكندرية طامعا بأن ينال وظائف كنسية فدخل المدرسة اللاهوتية وتقدم فى علومها تقدما باهرا وداخلته الكبرياء وأحب أن يرقى درجات رفيعة بواسطة فصاحته

وفى مبدأ أمره انضم الى ميليتس أسقف ليكوبوليس وساعده على العصيان ضد القديس بطرس بابا الاسكندرية ولكنه اذ رأى ان انضمامه لحزب ميليتس لا يساعده على التقدم تركه وصالح القديس بطرس فسامه شماسا سنة ٣٠٦ م ولكنه كان مشتركا مع ميليتس اشتراكا خفيا

أما هرطقة اريوس التى بدأ باذاعتها فى عهد البابا بطرس فكانت علة لنكبات عديدة حلت بالكنيسة . وأساس هذه البدعة ان الكنيسة كانت تعلم منذ القديم بأن الله واحد فى ثلاثة أقانيم ولكنها لم تبحث فى نسبة أحدهم للآخر وحقيقة الفرق بينهم ولم تحكم فى شيء من هذه القضايا غير انه لما ظهر سابليوس الذى كان ينكر تمييز الثلاثة الاقانيم فى اللاهوت قائلا انه توجد ثلاثة أسماء لاله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت المختلفة فحكمت الكنيسة مضادة له بانه يوجد فرق بين كل من الآب من الابن والروح القدس أى انه يوجد ثلاثة أقانيم متميزون فى اللاهوت

وكان مذهب أريوس كأنه شرح لتعليم سابليوس فذهب الى أن الابن يختلف عن الآب في الجوهر وانه (أى الابن) أول وأشرف كل ما خلقه الآب من العدم وانه هو الواسطة التى كون بها الكون . ومع ذلك فهو حسب اعتقاد اريوس أدنى من الآب فى الطبيعة والمنزلة والآب أقدم من الابن لان الابن مخلوق به . وتمكن أريوس بدهائه وفصاحته من أن يجذب اليه بعض الانصار فكانوا يجادلون المؤمنين فى شوارع الاسكندرية و يصرخ الواحد منهم فى وجه الآخر قائلا « يا هرطوقى من الاكبر . الوالد أم المولود » وآخر يقول « هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته » فبالطبع لم يفهم هؤلاء البسطاء السذج ان لفظة ابن نسبية مجازية بل اتخذوها حرفية (١)

ومن حيل أريوس انه جعل شعبه فى كنيسة بوكاليس التى رسمه قسا عليها البابا ارشلا انهم يرتلون معا بعد قراءة كل مزمور كالآتى « المجد للآب بالابن فى الروح القدس » ظنا منه ان غالبية الشعب لا يلاحظون تحريفه للاصل الذى هو « المجد للآب والابن والروح القدس » وصار أتباعه يعلمون النساء فى الشوارع هذا السؤال « أيمكن أن يوجد ولد قبل أن يولد ؟ »

واذ كان البابا الاكسندروس يعلم أمام اريوس مرة ان الكلمة ابن الله مساو للآب وان له طبيعة وذاتا واحدة مع الآب عارضه اريوس وحكم ان هذا التعليم هو نفس هرطقة سابليوس وقال ان المسيح غير مساو للآب فى الجوهر والعظمة وانه مخلوق بارادة الآب حادث غير أزلى وانه حال كونه أكمل خلق الله كان بحسب اختياره المعتوق ذا طبيعة متغيرة يمكنه اتيان الفضيلة والرزيلة ولكنه اعتنق الصلاح والفضائل فأشركه الله من أجل أعماله الصالحة بطبعته الالهية مجملا اياه بهذه الالقاب أى كلمة وابن وحكمة

وان كان اريوس يحسب كقيم هذه الهرطقة الا انه لم يكن مبتدعها على الاصح بل القائم بنشرها وامتدادها و يقال انه أشرب هذه التعاليم من لوسياس الانطاكى . غير أن الذين أخذ عنهم أريوس معتقده لم يكن لهم تأثير كما كان لاريوس الذى تمكن من نشر بدعته وجعل كثيرين يعتنقونها ولعل سبب ذلك هو رد الفعل الناتج من شدة تمسك المؤمنين حينئذ بالامور الروحية واحتفاظهم على معانيها وقوتها احتفاظا لم يدعهم يسقطون فى أزمنة الاضطهادات المرة

وكان أريوس فى أول امره يبث تعاليمه خفية ولكنه لما أذاع ضلاله جهارا حرم لاجله مرارا وتكرارا و بسببه انعقد مجمع نيقيه فحكم بهرطقته ونفاه الى الليريكون هو ومن شايعه بعد أن قرر القانون الآتى « أن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه وانه لم يوجد قبل أن يولد وانه وجد من لا شىء أو من يقول أن الابن وجد من مادة أو

(١) انظر لفظة ابن النور ولفظة ابن جهنم وأمثالها فى الانجيل ولا تنس شيوع لفظة ابن السبيل وابن الفضل الخ

جوهر غير جوهر الله الاب وكل من يؤمن انه خلق أو من يقول انه قابل للتغيير و يعتريه ظل دوران » أ هـ

غير انه فيما بعد تمكن اريوس من الرجوع من منفاه بواسطة أخت قسطنطين الكبير وحاول الرجوع الى مركزه بالاسكندرية ولكن البابا اثناسيوس الرسولى طرده منها فاجتهد أتباع أوسابيوس النيكوميدى نصيره أن يجعلوه يحوز القبول فى شركة كنيسة القسطنطينية فاستقدموه اليها واستدعاه الملك ليطلع على ايمانه وكان اتباع اوسابيوس قد قروا للملك بانه متمسك بالرأى القويم فقدم له صورة ايمانه خطا وأقسم له بأنه لم يتمسك ولن يتمسك بايمان سواه . وعنى بهذا الايمان ما كان مكتوبا فى ورقة مخبأة معه فأوهم ظاهر كلامه انه متمسك بالايمان القويم فانخدع الملك بهذا القسم وأمر أن يقبل فى شركة الكنيسة و يعرف عند اسكندر بطريرك القسطنطينية كراع فرفض هذا البطريرك قبوله وجعل يبذل جهده فى كشف الحقيقة وان اعتراف اريوس بالايمان القويم انما هو مخاتلة . غير أن الملك بقى مصرا على رأيه وعين يوما لقبوله

فاما اسكندر وكان قد بلغ سن الشيخوخة فمضى الى الكنيسة موعبا حزنا وجعل يذرف الدموع السخينة طالبا الى الله أن يصرف عن كنيسته هذا الخطب الذى ألم بها . وفى ذلك النهار عند العصر اذ كان اتباع اريوس وأنصاره يطوفون به فى أزاقة المدينة باحتفال عظيم حتى انتهوا به الى ساحة المدينة اعتراه رعب واقشعرار فأحس كأن احشاءه قد تمزقت فسقط فجأة ميتا . وقيل انه فيما كان فى وسط ذلك الاحتفال يروم دخول الكنيسة منتصرا فلم يكد يدنو منها حتى شعر بنفسه مضطرا الى قضاء أمر طبيعى فانفرد بذلك فى مكان خفى . ولما أبطأ فى الرجوع ذهبوا اليه فالفوه ميتا مطروحا على وجهه ملطخا بدمائه وامعاؤه مندلقة الى الارض بين الاقذار

وأما تعاليمه فلم تمت بموته بل انتشرت بعد موته أكثر مما انتشرت فى حياته وامتدت الى أمد بعيد وازداد اتباعه كثيرا حتى تمكنوا من محاربة الارثوذكسيين و بعد ذلك وقع الانشقاق بين الاريوسيين فانقسموا الى عدة شيع

وهكذا بقيت التعاليم الاريوسية ممتدة فى اسبانيا والولايات الجرمانية أكثر من ٣٠٠ سنة واما بريطانيا فلم تمتد فيها سطوتها الا عند انعقاد المجمع الانطاكى سنة ٣٦٣ م وفى أيام ثيوديسيوس الثانى صدر أمر باستئصال الاريوسية وابادتها بموجب قانون تقرر فى السلطنة الرومانية وذلك سنة ٤٢٨ م ومن ذلك العهد الى الان لم تعرف فرقة بالحقيقة أريوسية حسب تعاليم اريوس . لكن يقال أن سرفتس احياها فى حدود القرن السادس عشر وأيد هذا القول اراسمس فذاعت تعاليمها وازعجت الكنيسة كما يظهر من حكم كنيسة انجلترا الصادر بهذا الشأن ومآله ان الاريوسيين الذين وجدوا غير قابلى الاصلاح ينفون الى بعض القلاع فى شمالى والس أو والنجفور لكى يعيشوا هناك من تعب ايديهم ولا يسمح لاحد أن يخالطهم الا خفرتهم ولا أن يخرجوا من هناك حتى يتحقق صدق قدسيتهم ورجوعهم عن غيهم الى الايمان القويم

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن كيرلس مقار بطر يرك الاقباط الكاثوليك ذكر فى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » أن الكنائس الغربية جحدت الايمان ثلاث مرات معتنقة مذهب أريوس قال : « على أن الكنائس الغربية لم تجحد الايمان مرة واحدة بل ثلاث مرات : الاولى سنة ٣٥١ م وذلك فى مجمع ارلس حيث كان فنستوس أسقف كابونائبا عن البابا ليباريوس . فان هذا الاسقف ومعه جميع الاساقفة الغربيين قد نزلوا على ارادة الامبراطور قسطانس وحكموا على القديس اثناسيوس بالاجرام وقرروا ارثوذكسية الاساقفة الاريوسيين . والثانية سنة ٣٥٥ م ذلك فى مجمع ميلانو حيث صدق ٣٠٠ أسقف غربى على خلع القديس أثناسيوس وقبول الاريوسيين فى شركة الكنيسة ولم يفضل العذاب وآلام النفى على جحود الايمان ودوس العدل من هذا العدد الكثير الا ثلاثة أساقفة هم أوسابيوس أسقف فرسايل وديونيسيوس أسقف ميلانو ولوسيفورس أسقف كاجلياري . والثالثة سنة ٣٥٩ م وذلك فى مجمع ريمينى الشهير حيث اجتمع ٤٠٠ أسقف غربى . ثمانون منهم من الاريوسيين والباقون من الارثوذكسيين وقد آل الامر بهم الا ١٨ منهم الى جحد دستور الايمان النيقاوى والتوقيع على خلع أثناسيوس والاعتراف بارثوذكسية الاريوسيين

أضف الى هذا الالحاد الذى ارتكبه مجموع الاسقفية الغربية الحاد البابا ليباريوس نفسه بصفته أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة فى الغرب كله فان ليباريوس هذا بعد ان سئم من آلام النفى مدة سنتين وتاقت نفسه الى أن يعود الى التربع على كرسى رومية الكبير .. جحد ايمان نيقية وقطع القديس أثناسيوس من شركة الكنيسة واعتنق الاريوسية (١)

(٥)مكدونيوس عدو الروح القدس :

كان أولا من حزب الاريوسيين وتمكن هؤلاء بواسطة نفوذهم عند قسطنس قيصر من أن يرسموه بطريركا لكرسى القسطنطينية سنة ٣٤٣ م فدخل المدينة محفوفا بالجنود وثار شغب بين المؤمنين والاريوسيين قتل فيه كثيرون . وكان مكدونيوس يضطهد أتباع بولس البطريرك الشرعى المعزول حتى قيل انه أرسل فخنقه

وفيما بعد تغير قسطنس عليه لأنه نقل جثة أبيه قسطنطين من مدفن الى آخر فأمر بطرده من كرسيه فطرد منه سنة ٣٦٠ م على أنه لما كان بطريركا لم يكن يعلم الا تعليم اريوس الا انه لما عزل أراد أن يكون مبتدعا بدعة جديدة . وكان المبتدعون الذين سبقوه قد انكروا لاهوت الآب ولاهوت الابن فاراد هو أن ينكر لاهوت الروح القدس فادعى أن الروح القدس عمل الهى منتشر فى الكون وليس باقنوم متميز عن الآب والابن واعتبره انه مخلوق بشبه الملائكة لكنه ذو رتبة اسمى منهم

---

(١) نقلا عن « الخريدة النفيسة » ج ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٩

ثم أخذ يبث ضلاله فى كثيرين وكان قد نفى الى مكان يدعى بيلى فشاخ هناك وعاجلته نقمة الله الا أن بدعته استمرت بعد موته وكان أخص القائمين بنشرها تلميذه مار انتينو أسقف نيكوميديا وامتدت بدعته فى أديرة كثيرة للرهبان وانتشرت فى تراسه و بيثينيه وكان العامة يدعون أتباع مكدونيوس « أعداء الروح القدس »

ولما رجع البابا اثناسيوس من منفاه الى كرسيه سنة ٣٦٢ م عقد مجمعا بالاسكندرية شجب فيه هذه البدعة وتبعه بعض الاساقفة فشجبوها . ولما وصل خبرها الى مسامع ثيودوسيوس قيصر أمر بانعقاد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م التأم فيه ١٥٠ أسقفا شرقيا فحكموا على مكدونيوس وقضى المجمع بسلطانه على تلك البدعة الحديثة الغير البالغة

(٦) مرقس المصرى :

اصله من مدينة منفيس (بالجيزة) ذهب الى اسبانيا وتلمذ له أولا امرأة اسمها اغاياتم جذبت تلك المرأة أحد معلمى الفصاحة اسمه البيديوس وهذان الاثنان علما بريشيليانوس الذى سميت البدعة باسمه فيما بعد . أما تعليمهم فكان فى أعمقه نفس تعليم المانيين ممتزجا أيضا بأضاليل أخرى فكانوا يقولون أن النفوس من جوهر الله وانها تنحدر باختيارها الى الارض جايزة فى السموات السبع بواسطة درجات قوات للمحاربة ضد الملك الشرير الذى كان يضعها فى اجساد لحمية مختلفة و يزعمون بغير ذلك من الاضاليل التى لا طائل تحتها

(٧)شيعة المصلين :

وقد انتشرت فى سوريا ومصر بدعة مؤداها أن فى عقل كل انسان روحا شريرا لا يمكن أن يفارقه الا بالصلوات المستمرة والترنم المستديم . ومتى هرب الروح هروبا نهائيا تعود النفس الى الله خالية من كل دنس لأنها ذرة منه

(٨) خلاف فى مقام السيدة العذراء :

وقد نشأ فى هذا القرن مذهب اعداء مريم الذين يقولون انها لم تلبث عذراء بل ولدت بعد ميلاد يسوع المسيح أولادا من القديس يوسف . و يقال انه فى ذلك الزمان بعينه انتشر تعليم آخر يضاد التعليم المذكور وهو أن فى البتول القديسة شيئا من اللاهوت وقد دعى أصحاب هذا التعليم كوليريديس لانهم كانوا يعبدون العذراء بتقديم بعض أقراص من طحين تسمى باليونانية كوليريديس ومنها اسمهم . وكان أكثر النساء متمسكات بهذا الاعتقاد وكن فى بعض الايام يزين عجلة مع كرسى مربع موشح بأقمشة من كتان و يقدمن للبتول خبزا ثم تأخذ كل منهن جزءا من ذلك الخبز وذلك عبارة عن اقامة قداس . و يظهر انه من هذا المذهب تسرب الى ذهن بنى الاسلام أن المسيح دعا القوم ليتخذوه وأمه الهين من دون الله . من قوله فى سورة المائدة

(٩) انشقاق ميليتس :

هو أسقف مدينة ليكوبوليس (أسيوط) وقد روى عنه البابا أثناسيوس انه فى أثناء اضطهاد ديوكلتيانوس نجى نفسه بأن ذبح للاوثان رغما عن النصيحة التى أرسلها اليه أربعة من الاساقفة كانوا فى السجن ثم ذاقوا كأس الحمام . ولم يكتف بذلك بل انتهز فرصة غياب البطر يرك وجلس على كرسى البطر يركية وأخذ يتداخل فى شؤونها وصار يرسم قسوسا بل سلم أساقفة لابروشيات أخرى غير ابروشيته حتى بلغ عددهم ثلاثين أسقفا جاهروا فيما بعد بخروجهم على الكرسى الاسكندرى واستقلالهم عنه وادخلوا أنظمة يهودية فى عبادتهم .

فعقد البابا بطرس آخر الشهداء مجمعا حكم فيه بحط ميليتس من درجته وأبلغه الحكم فلم يذعن بل صرح بانشقاقه وظاهره اريوس الهرطوقى . وبعد هذا كله اعتزل ميليتس فى بلدته عن كل عمل . وفيما بعد نظر مجمع نيقية فى أمر انشقاق ميليتس فقرر بشأنه ما ذكر بالرسالة التى أرسلها للكنيسة المصرية وذكرت فى الكلام على أعمال مجمع نيقية

وقد رضخ ميليتس لحكم هذا المجمع وخضع للبابا الاسكندروس خليفة البابا بطرس الى أن مات سنة ٣٣٠ م بعد أن انضم للاريوسيين فى حبرية البابا اثناسيوس الرسولى . وقد خلفه فى رئاسة حزبه يوحنا اركاف الذى اشتهر بعدائه للبابا أثناسيوس . أما حزب ميليتس فقد بقى بعد موت اركاف قائما فى مصر حتى القرن الخامس وكان يقوده بعض الرهبان الذين أدخلوا على مبادئه شيئا من قوانين اليهود والسامريين

* * *

القرن الخـامس

القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) كيرلس[١]	(٢) ديوسقورس	(٣) تيموثاوس
(٤) بطرس[٣]	(٥) أثناسيوس[٢]	(٦) يوحنا[١]

(١) كيرلس[١] — البطريرك الرابع والعشرون :

وهو ابن أخت البابا ثاوفيلس ولهذا اعتنى بتربيته وتعليمه اعتناء زائدا فأدخله أولا المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية فدرس العلوم الفلسفية التي تلزم لكل من يقوم مدافعا عن الدين المسيحى ضد الهراطقة والمبتدعين . وبعد ذلك أرسله الى جبل النطرون الى برية القديس أبى مقار ليتتلمذ لسيرابيون الحكيم الذى أوصاه البابا ثاوفيلس بأن يهذبه بعلوم الكنيسة فأقام هناك خمس سنين يقرأ الكتب الالهية ولم يكن ينقطع عن المذاكرة حتى فى أغلب الليالى . فكان يقف وفى يده سيف حديد فاذا نعس ينخسه فيستيقظ . ولبث مواظبا على ذلك حتى برع فى فهم الاسفار المقدسة براعة غريبة . ومن ثم استدعاه خاله الى الاسكندرية وبقى معه فى قلايته يقرأ بين يديه . ولما رآه مستحقا للرتب الكهنوتية رسمه شماسا وكلفه بالقيام بالوعظ فحاز اعجاب سامعيه وكان موضوع فرح جميع الكهنة والعلماء حتى انهم اذا تكلم يشتهون أن لا يسكت لحلاوة ألفاظه

ثم انعكف على مطالعة أقوال آباء الكنيسة حتى ألم بها الماما كليا . ففرح به خاله البابا ثاوفيلس وشكر الرب الذى رزقه ولدا روحانيا مثل هذا نشأ بالنعمة والحكمة وكانت له سيرة حسنة . فأشتهر بشهرة عظيمة وحاز صيتا بعيدا حتى انتخبه الشعب والاكليروس بصوت واحد لتبؤ الكرسى المرقسى خلفا لخاله ثاوفيلس فى هاتور سنة ١٤٧ ش حسب جدول ابن العسال و ١٢٩ ش حسب تاريخ انبا ساويرس وسنة ٤١٢ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير ولو أنه قام وقتئذ حزب آخر طالبا تيموثاوس رئيس الشمامسة ليكون بطريركا الا أن مساعى هذا الحزب لم تنجح فتوطد كيرلس على الكرسى البطريركى حيث قام بجهاده العظيم

ووقت تولى هذا البطل لكرسى البطريركية كان فى مدينة الاسكندرية كثيرون من الهراطقة واليهود الذين عظمت شوكتهم وصار لهم نفوذ عظيم . فالهراطقة تقووا بسبب تظاهرهم بالعبادة الشاقة حتى صار لهم أسقف خاص يدعى ثيومتوس . واليهود جعلت لهم الرشوة مكانة عند الولاة والقضاة

فبدأ هذا البطر يرك جهاده باضطهاد النوفاسيين أتباع نوفاسيانوس الهرطوقى الذين كانوا يأبون أن يحلوا الناس من خطاياهم فناصبهم وأوضح لهم سوء معتقدهم الذى يجعل الله جلت قدرته عديم الرحمة ولما لم يرعووا عن غيهم ألزمهم بالخروج من المدينة وطرد أسقفهم وجرده من جميع أملاكه ومقتنياته وأخذ منه ذخائره التى كانت تحت يده . أما اليهود فمع أنهم أفرغوا كنانة جهدهم حتى يفسدوا عقول الحكام والولاة بالهدايا ولكنهم لم يفلحوا . و بالنسبة لكراهتهم الشديدة للبابا كيرلس اشاعوا ذات ليلة أن النار أشتعلت فى كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يبادروا اليها من كل جهة زاحمين الشوارع كبارا وصغارا مسرعين لاطفاء النار . فانتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقساوة وحشية . ولما اتضحت جلية الامر صباحا قامت قيامة المسيحيين وعزموا على الانتقام من اليهود ولما لم يقدر البابا أن يمنعهم تنازل لهم بعد عناء شديد بأن يكتفوا بطردهم من المدينة بدون أن يمسوا أحدا بضرر فطردوهم وهدموا كل مجامعهم واستولوا عليها وما فيها . ولما بلغ الامر لاورستا والى المدينة لام البطر يرك على ذلك فاخبره انه لولاه لجرت دماء اليهود فى الشوارع كالانهار. وفى هذا الحين أيضا جرت حادثة الفيلسوفة هباشا الشهيرة التى غدر بها بعض الطائشين بدون ترو و بدون أن يعلم البابا كيرلس مطلقا

وهذه الحوادث جرت فى بدء رئاسة البابا كيرلس ثم اشتغل بعدها بوضع مقالات وميامر حتى أن أكثر رؤساء الاسكندرية استخدموا نساخا لينقلوا اليهم ما وضعه هذا البطر يرك . وكان قد سمع بان يوليانوس الفيلسوف والملك الكافر وضع عشرة كتب ضد الدين المسيحى وكانت موضوع فخر الشبان الوثنيين فحاول أن يجمعها ويحرقها ولما لم يتمكن من ذلك كتب الى القيصر ثيودوسيوس يستعين به على ذلك فلبى القيصر طلبه وجمع كتب يوليانوس وأبادها وأرسل يلتمس منه أن يصلى من أجله . ثم أخذ البطر يرك فى الرد على أقوال يوليانوس وطفق يفندها جميعها حتى قضى عليها

وكان هذا البابا على رأى خاله ثاوفيلس البطر يرك من جهة فم الذهب ولذلك لم يذكر اسمه فى صلوات القداس . وكتب اليه اتيكوس بطر يرك القسطنطينية فطلب اليه أن يذكره كحسب عادة الكنيسة نظرا الى البطاركة المؤمنين فلم يرض بذلك . فاتفق يوما انه رأى فى الحلم القديس يوحنا فم الذهب الكنيسة مع زمرة من الملائكة متسلحين وهم يخرجونه خارجا و بينما هو على هذه الحال اذا بالسيدة العذراء قد حضرت وطلبت الى القديس يوحنا من أجل كيرلس ليبقيه فى كرسيه . فتنبه حينئذ البابا كيرلس وعلى الفور أخذ يكرم القديس يوحنا وضم اسمه الى قائمة أسماء القديسين (١) وأمر الرعية كلها باكرامه

(١) كانت هذه القائمة عبارة عن لوحات مصنوعة اما من الخشب أو العاج أو الذهب أو الفضة ومحفورة عليها الاسماء التى تذكر فى القداس وهى :

(١) اسم العذراء مريم والرسل و بعض مشاهير القديسين .
(٢) أسماء الاشخاص المعروفين الذين ماتوا على المبدأ الدينى الصحيح .
(٣) أسماء بعض الاشخاص الاحياء الذين ترى الكنيسة انهم مستحقون للاكرام والاجلال

وفى ذلك الحين ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية المنافق وابتدع هرطقة شنيعة مؤداها انكار الوهية السيد المسيح وابتداء فيها بانكار كون السيدة العذراء والدة الاله قائلا « انى اعترف موقنا أن كلمة الله هو قبل كل الدهور الا انى انكر على القائل بأن مريم والدة الله فذلك عين البطلان لأنها كانت امرأة والحال انه من المستحيل أن يولد الله من امرأة ولا أنكر أنها أم السيد المسيح الا أن الامومة من حيث الناسوت » أهـ و بذلك قسم هذا المبتدع السيد المسيح الى شخصين معتقدا أن الطبيعة الالهية لم تتحد بالانسان الكامل وانما ساعدته فى حياته فقط . فامتدت بدعته حتى وصلت الى رهبان مصر و بعض الاكليريكيين القبيحى السيرة فتأثر بعضهم من براهينه السفسطية وأرادوا أن يقلعوا عن تسمية العذراء بوالدة الاله . وحالما طرقت هذه الاخبار اذن البابا كيرلس أسرع وكتب فى رسالة عيد الفصح يفند هذه البدعة تفنيدا قويا وأرسل هذه الرسالة الذين ما كادوا يطالعونها حتى زال كل ريب منهم . وانتشرت هذه الرسالة فى جهات عديدة حتى وصلت الى القسطنطينية وتداولها المصريون فيها و بواسطتها تعزى الشعب القسطنطينى وتمكن فى الايمان المستقيم

أما نسطور فلم يرتدع ببراهين هذه الرسالة بل ازداد غيا وأوعز الى أحد كهنته المدعو أفوسيوس ليرد عليه مبررا فيها رئيسه . وشرع نسطور يذيع عن القديس كيرلس بأنه تابع لابولينار يوس الهرطوقى وأنه اخترع هذه التهم ضده وحرك رهبان مصر ليشيعوا عنه أمثال تلك الاقوال الباطلة . أما البطريرك الاسكندرى فكراع أمين أرسل لنسطور رسالة يبرر فيها نفسه مما اشاعه عنه و يوضح له حقيقة الايمان و ينصحه بمحبة اخوية أن يعدل عن رأيه و يصلح خطأة وختمها بقوله « وعلى ذلك تأكد أنى مستعد لاحتمال كل سوء وعذاب السجن والموت لاجل ايمان يسوع ، فازداد نسطور شرا وأصر على ضلاله وكتب الى القديس بتكبر وقاحة محتقرا اياه ومزدريا به ومخبرا اياه ان العائلة الملوكية راضية عليه وعلى أعماله

وكان لرؤساء الكرسى الاسكندرى نواب فى مدينة القسطنطينية للقيام بمصالح البطريركية فى البلاط الملوكى . فخاطبهم البابا كيرلس بشأن نسطور لكى يلاحظوا تصرفاته ويحيطوه علما بها . ولكن حدث أن كهنة نسطور تكلموا مع نواب القديس كيرلس قائلين بأن أسقفهم صحيح الايمان وأنه يرغب فى السلام فمع كون النواب كانوا يعرفون عن نسطور عكس ذلك فقد كاتبوا رئيسهم بهذا الامر وأرسلوا اليه صورة مفادها أن نسطور مبتدع . فبعد فحص القديس كيرلس لتلك الصورة أرسل اليهم طالبا اخفاءها والسعى لدى نسطور ليوقع على صورة الايمان الصحيح لتكون أساسا للصلح

وكان القديس كيرلس قد كتب بنفسه لنسطور عدة رسائل يقنعه فيها بالاقلاع عن غوايته ولكن نسطور احتقر رسائل القديس ولم يقتنع بها و ينحاز الى الايمان الرسولى . وابتدأت تتقاطر على

القديس كيرلس الرسائل من كل جهة تسأله بأن يوضح لهم حقيقة الايمان ليروا ما ذهب اليه نسطور فى الاعتقاد . فكان يجيب كل سائل بما يُشفى برسائل اشتهر أمرها وحازت رضاء الجميع

ولما رأى القديس كيرلس أن القيصر يدافع عن نسطور ويحامى عنه لاعتباره اياه رجلا فاضلا عالما كتب اليه رسالة يوضح له فيها ضلال نسطور وكتب أيضا رسائل أخرى لبعض أفراد العائلة القيصرية شرح فيها سر التجسد . فكتب رسالتين احداهما للملكة افدوكسيا زوجة القيصر و بولكاريا شقيقتها . والثانية لاركاديا ومار يا شقيقتى القيصر حيث كانتا ناذرتين العفه لله مع بولكاريا . مبينا لها فى هاتين الرسالتين حقيقة الايمان والاضرار الناشئة للدين المسيحى من بدعة نسطور ويحرض على العمل لاستئصال شأفة هذه المنازعات

وفى سنة ٤٣٠ م وفد على القسطنطينية من أوربا أسقف من اتباع بيلاجيوس (وهم قوم يجولون فى البحار والقفار لا مقر لهم) مع جماعة من رفاقه فكتب نسطور الى كليستينوس أسقف رومية يعلمه بوصول هذه البعثة التى تعتبر تابعة له و يسأله رأيه فيما يجب أن يجريه معهم وقصد بهذه الحيلة أن يستميل اليه جانب الاسقف الرومانى ضد خصمه كيرلس ولذلك ختم رسالته اليه بالشكوى من معاملة كيرلس له وتفهيمه آراءه . ولما لم يرد عليه الاسقف بسرعة كتب اليه نسطور ثانيا فى هذا الصدد فجاوبه كليستينوس بانه لم يستعجل فى الرد ليتمكن من معرفة الموضوع . ولما كان الاسقف الرومانى عالما بتفوق البابا الاسكندرى عليه فى علم اللاهوت كتب يطلب منه ايضاحا للمسألة فكتب اليه القديس كيرلس كتابا يعلمه فيه بحقيقة نسطور وأرسله مع واحد مخصوص اسمه يوسيذونيوس واوصاه بأن لا يعطى أسقف رومية الكتاب ما لم يتحقق أن نسطور كتب له

فلما وقف أسقف رومية على الحقيقة عقد مجمعا حكم فيه على نسطور بأنه هرطوقى مبتدع وكان قرار المجمع تهديدا لنسطور لكى يقلع عن ضلاله ولذلك كتب اليه أسقف رومية يقول « ان لم ترفض واضحا و بنية مستقيمة هذا التعليم المضل ولا تعتقد الاعتقاد الصحيح بسيدنا يسوع المسيح فى مدة عشرة أيام فأنا افصلك من شركتى واقطع كل علاقة معك » وارسل هذا القرار الى القديس كيرلس ليعلن نسطور به . فأرسل هذا البابا الى بعض أساقفة الشرق يطلب منهم أن يقنعوا نسطور بالرجوع عن آرائه ومنهم اكاكينوس مطران حلب الشيخ البالغ من العمر يومئذ مائة سنة . ثم عقد مجمعا فى الاسكندرية قرئت فيه كل رسائله فارتاح اليها وحكم بصحتها وحرر رسالة لنسطور بين فيها كيف ينبغى أن يؤمن . ثم وضع القديس كيرلس اثنى عشر بندا يشمل كل بند منها على قضية وحرم كل من يعمل بخلاف ذلك وكلف نسطور بأن يمضى عليها . وهذه هى الا ثنا عشر بندا التى أصدرها :

(١) من لم يعترف ان عمانوئيل هو اله حقيقى ومن أجل هذا ان العذراء الطاهرة هى والدة الله كونها ولدت جسدانيا الكلمة المتجسد الذى من الله لكون الكلمة صار جسدا فليكن محروما

(٢) من لم يعترف بان كلمة الله الآب صار واحدا مع الجسد كالاقنوم وان المسيح واحد فقط مع جسده وهو اله وهو انسان فليكن محروما

(٣) من فرق من بعد الاتحاد بالمسيح الواحد الى أقنومين وضايقهما فى بعضهما بعضا بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان ولم يحسن أن يوحدهما بوحدانية طبيعية فليكن محروما

(٤) من ميز تلك الاصوات المذكورة فى كتب الانجيليين أم فى رسائل الرسل أم نطق بها الآباء القديسون أم قالها المسيح على ذاته وفرزها الى اقنومين أم الى اثنين قائم بذاته و يفهم أن البعض منها هى لائقة لانسان خصوصى وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله وان البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده فقط فليكن محروما

(٥) من تجاسر وقال أن المسيح الذى يستعمل السلطان الالهى انه انسان ساذج ولم يحسن أن يقول انه اله بالحقيقة وابن واحد بالطبيعة الذى كالاتحاد الاقنومى واشترك معنا فى اللحم والدم لكون الكلمة صار جسدا على ما فى الكتب فليكن محروما

(٦) من قال ان كلمة الآب هو اله أم رب المسيح وليس يحسن الاعتراف بأن المسيح نفسه هو اله وهو انسان لكون الكلمة صار جسدا على ما فى الكتب فليكن محروما

(٧) من قال ان الله الكلمة كان يفعل فى الانسان يسوع وان عزة ابن الله الوحيد اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة فليكن محروما

(٨) من تجاسر وقال ينبغى أن يسجد للانسان الذى أصعد الى السماء مع الله وان يمجد معه أو يسمى معه الها كان واحدا مع آخر وهو يضطر أن يعترف أن زيادة فى كل حين ولا يمجد عمانوئيل بسجدة واحدة و يوصل اليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسدا فليكن محروما

(٩) من قال ان ربنا يسوع المسيح الوحيد كان ممجدا من قبل الروح القدس بقدرة غريبة منه وانه بنعمة الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على خروج الارواح النجسة و به يتم الايات اللاهوتية فى البشرية ولا يقول أن الروح خاصة له وانه كان يفعل به آيات اللاهوت فليكن محروما

(١٠) ان الكتاب المقدس يقول ان المسيح صار رسولا وعظيم أحبار ايماننا وانه قرب نفسه لله لاجلنا ولاجل خلاصنا بخورا طيبا لله الآب فأما من قال ان كلمة الله ليس هو الذى صار رسولا ورئيسا للكهنوت وتجسد وصار انسانا مثلنا بل انه أخذ جسدا خارجا عنه وهو انسان فقط من امرأة

دون الكلمة . ثم ومن قال أيضا أن المسيح قرب نفسه لله الآب لاجل نفسه ولم يحسن القول انه قرب نفسه لاجل خلاصنا نحن البشر فقط لأنه لم يحتج الى قربان اذ لم يعرف خطيئة فليكن محروما

(١١) من لم يعترف بأن جسد الرب شاف محيي كونه لكلمة الله الاب و يعكس الحق و يقول انه آخر خارج عنه اجتمع بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهرا يقول انه محيي على ما قلنا . لكون الله الكلمة كان ساكنا فيه غير متحد به باتحاد اقنومي ولم يحسن كما سبق قولنا أنه معطى الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذى هو قادر أن يحيى الكل فليكن محروما

(١٢) من لم يعترف بأن الله الكلمة تألم فى الجسد وصلب فى الجسد وذاق الموت وانه بكر الاموات مثلما انه الحياة وهو المحيى كالاله فليكن محروما أهـ

* * *

فلما وصلت كتابات القديس كيرلس الى نسطور رفض التوقيع عليها بحجة عدم استقامتها وأخذ يكتب على كل فصل منها فصلا ضده ختمه بالحرم وكتب كثيرون من أساقفة نسطور ضدها منهم اندراوس أسقف سميساط وثاوذوريتوس أسقف كورش الذى كتب بايعاز يوحنا بطريرك انطاكية وكتب أيضا فى تجسد الكلمة ضد آراء القديس كيرلس وكتب ايبا اسقف اداسيس (أورفا) مدافعا عن نسطور . وهكذا انقسمت الكنيسة الى شطرين فكانت كنائس رومية وأورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبابا كيرلس . وكنيسة انطاكية تابعة لنسطور

ولما انتشرت رسائل البابا الاسكندرى فى القسطنطينية اقتنع بها الشعب وأبغضوا نسطور للغاية . ولكن نسطور استعمل نفوذه عند القيصر ضد خصومه غير أن هذا وقف فى ذلك الحين على رسالة كتبها اليه القديس كيرلس يطلب فيها عقد مجمع عام و يقول له فيها « ان آباءك كانوا غيورين على مجد الكنيسة فيلزمك أن تأمر بعقد مجمع عام تفحص فيه قضية نسطور الذى يحاول أن يشتت بيعة المسيح ونحن تلقاء ذلك نصلى من أجلك ومن أجل مملكتك »

وكان بعض رهبان القسطنطينية قد جاهروا ضد نسطور فطردهم واضطهد بعضهم اضطهادا شديدا فانضم الشعب القسطنطينى الى القديس كيرلس فى طلب عقد المجمع وكان لما قرأ القيصر الرسالة الكيرولسية تحرك بقوة الرب ولبى الطلب وأمر بعقد مجمع مسكونى وأرسلت مكاتيب الدعوى الى الاساقفة ونادى بأن يكون هذا المجمع بمدينة أفسس سنة ٤٣١ م وعين لافتتاحه يوم عيد العنصرة

فتقاطر الاساقفة من كل مكان الى هذا المجمع وأتى البطريرك الاسكندرى يصحبه خمسون أسقفا مصريا فى مقدمتهم شنودة الاخميمى و بفطر السوهاجى الراهبان وحضر يوبيناليوس أسقف

اورشليم فاستقبلهم ممنون أسقف أفسس وهو مصرى الاصل هو وكثير من الاساقفة القويى الرأى وضموا اصواتهم الى صوت أخوانهم المصريين ففاقوا فى العدد خصومهم النسطوريين

وجاء نسطور الى افسس ومعه أربعون أسقفا من التابعين له وتأخر عن الحضور أساقفة الشرق و يوحنا الانطاكى ونواب أسقف رومية . و بعد أن انتظرهم المجمع ستة عشر يوما أرسلوا يعتذرون عن تأخرهم و يعدون انهم بعد خمسة أو ستة أيام يصلون . ثم فهم المجمع من مطرانين شرقيين نقلا عن يوحنا الانطاكى بانه لا مانع من انعقاد المجمع قبل مجيئه الى أفسس . وكان البابا الاسكندرى قد أخذ تحريرا ملوكيا يأمر بعدم تأجيل العمل . وفوق ذلك فقد دعت اعذار صحية الى الاستعجال فى فتح المجمع وقبل انعقاده أخذ بعض الاساقفه يترددون على نسطور و ينصحونه بالحسنى لكى يكف عن عناده و يسالم القديس كيرلس فلم يذعن لهم

وقد بدأت جلسات المجمع تحتشد فى شهر يونية من تلك السنة وأرسل الى نسطور ليحضر فأبى ولما وصل الخبر الى القيصر اعتذر لديه نسطور بأنه يخشى من الذهاب الى المجمع وحده لئلا يقتل لان اعداءه أكثر من انصاره ولما كان القيصر لم يحضر المجمع ليترك له الحرية التامة أرسل من قبله نائبا يدعى كانديديانوس نسطورى المذهب وأوصاه القيصر بالمحافظة على النظام فقط دون التداخل فى شؤون الاساقفة . قيل أن هذا النائب أراد قبل انعقاد جلسات المجمع ان يضطهد الارثوذكسيين لكى يخافوا ويحكموا لصالح نسطور فأخذ القديس كيرلس ومن معه وحبسهم فى مكان فيه حنطة فسأل البطريرك أصحابه أى شىء تحت أرجلنا قالوا له قمح فقال : « الشكر لله المبارك الذى أعطانا الغلبة لأنهم جعلونا فى بيت الحياة » غير أن ذلك لم يؤثر على الارثوذكسيين بل زادهم فى ايمانهم

وكان المجمع مؤلفا من مائتى أسقف تحت رئاسة البابا الاسكندرى (١) وحال انعقاده اعترض نسطور عليه طالبا منه انتظار نواب بقية الكنائس وساعده مندوب القيصر فى هذا الطلب . أما الآباء فلم يرجعوا عن عزمهم لمعرفتهم بسوء نيته . ولما كان رؤساء المجمع يقيمون الصلاة انفرد عنهم نسطور وأبى حضور المجمع فأنفذوا اليه ثلاثة أساقفة يسألونه أن يحضر معهم للصلاة فلم يمكنهم مندوب القيصر من مقابلته وتكررت له الدعوة ثلاث مرات بواسطة الاساقفة والانذارات واخيرا كتب نسطور كتابا موقعا عليه هو و ١٦ مطرانا و ٥٠ أسقفا يقول فيه انه لا يحضر المجمع قبل وصول يوحنا الانطاكى وأساقفته . فلم يبال المجمع بهذه الاعتذارات الباطلة وأخذ فى عقد الجلسة الاولى

---

(١) يدعى البابا ويون أن البابا كيرلس كان نائبا عن أسقفهم فى المجمع اذ أقامه رئيسا عليه عوضا عنه والقول ساقط من أصله اذ لو كان كيرلس نائبا عن أسقف رومية أو رئيسا من طرفه كما يدعون ما الحاجة الى ارسال النواب من قبل أسقف رومية ولماذا لم يذكر فى امضاءات البابا كيرلس انه نائب عن أسقف رومية جريا على العادة لو كان ذلك صحيحا ؟

فتليت رسائل القديس كيرلس و بنوده الاثنا عشر ورسالة كليستينوس أسقف رومية الى نسطور وقرار مجمعى رومية والاسكندرية فصدق المجمع عليها بأنها أرثوذكسية . وصدق على الاحكام السابقة من بيلاجيوس وكليستينوس الهرطوقيين . وقرر أن لا يسن قانون غير دستور الايمان المعروف وأن لا يزيد أحد فيه ولا ينقص منه شيئا وحرم كل من يفعل خلاف ذلك

أما حكم المجمع ضد نسطور فهذا نصه : « حيث أن نسطور الكلى النفاق قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا اياه ولم يقبل الاساقفة الذين أرسلناهم اليه من قبلنا فلم يمكنا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآتية . ولأننا تحققنا من رسائله وتآليفه ومن أقواله ومناضلته عن آرائه قبل افتتاح هذا المجمع فى هذه المدينة مما ثبت عليه بشهادات راهنة بأنه قد اعتقد الاعتقاد الاثيم فالتزمنا ضرورة بناء على القوانين المقدسة بأن نبرز ضده هذا الحكم ليس من دون حزن ودموع فهو تعالى بواسطة هذا المجمع المقدس فليعدمه الدرجة الاسقفية وليكن مفروزا من أية شركة كهنوتية » أهـ ثم كتبوا اعلانا الى نسطور هذه صورته « من المجمع المقدس الملتئم فى أفسس برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا الكلى العبادة والحسن الديانة الى نسطور يهوذا الثانى . اعلم انه لاجل تعاليمك الاثمية النفاقية وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا السينودس (المجمع) بموجب قوانين الشرائع الكنسية وحكم عليك بالفرز من كل درجة والعدم من كل وظيفة والابتعاد عن كل خدمة كنسية » أهـ

ثم أن هذا المجمع فى تحديده أعلن بحسب تعليم القديس كيرلس والتعليم المحفوظ فى الكنيسة من عهد الرسل بأن سر تجسد ابن الله قائم فى اتحاد لاهوته مع ناسوته فى اقنوم الكلمة الازلى بدون انفصال ولا امتزاج . وان مريم العذراء هى والدة الاله . وكانت الجلسة الاولى قد استغرقت من الصباح الى المساء وقد مكث الشعب الافسسى النهار كله منتظرا حكم المجمع

وحالما أعلن الحكم ضد نسطور كانوا يصيحون « ليحيى كيرلس عضد الايمان » و « ليحيى الاساقفة الشرفاء المحامون عن لاهوت سيدنا يسوع المسيح وعن الامومة الالهية لمريم البتول » ثم أن الشعب أوقدوا شموعا ورافقوا الآباء الى منازلهم وكانت النار توقد كالنجوم فى الشوارع واستمر الشعب يسبحون الليل كله

غير أن نسطور لم يرجع عن غيه وأصر على عناده وقصد أن يشين شأن البابا كيرلس و يعزله عن كرسيه مستعينا بمندوب القيصر . فهذا النائب أرسل نسطور الى الملك مصحوبا بكتابات له لم يخبر فيها باخبار المجمع الحقيقية بل طعن فيه وفى تصرفاته وكتاباته وملأها بالاقاويل الكاذبة والتهم الشنيعة ضد القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس بانهما ظالمان قاسيان

والذى عكر صفو السلام أكثر هو انه بعد خمسة أيام وصل يوحنا الانطاكي ومعه اثنان

وثلاثون أسقفا . فحالما علم بما قرره المجمع امتلأ غيظا ونسب كيرلس الى الاستبداد والفساد واعتبر عمل المجمع عجلة ثم ألف بوقاحته مجمعا لصوصيا مركبا من أربعين اسقفا نسطوريا وحكم فيه بجسارة حكما غيابيا بقطع القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس من درجة الكهنوت ورفض الاثنى عشر القضية المختصة بالايمان وبفصل آباء المجمع من الشركة الى أن يتوبوا ويجتمعوا ثانية ويلغوا ما قرروه ويحرموا بنود كيرلس الاثنى عشر وأرسل هذا القرار الى القيصر وامرأته والاكليروس وشعب القسطنطينية والمجلس الاعلى وأضاف عليه تحاريرتتضمن الطعن على البطريرك الاسكندرى والمجمع وأسباب ابطاله ويطلب اعادة فحص القضية

وفي ذلك الحين وصل نواب أسقف رومية الى أفسس وهما الاسقفان اركاديوس وبروياكتوس والقس فيلبس . فاجتمع مجمع القديس كيرلس مرة ثانية في ١٠ يونية وقرئت فيه أعمال الجلسة الاولى ورسالة أسقف رومية . وفي اليوم التالى عقدت الجلسة الثالثة فوقع فيها نواب أسقف رومية على أعمال المجمع السابقة وفي ٢٦ يونية عقدت جلسة رابعة بناء على طلب القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس ضد يوحنا الانطاكى لقطعه اياهما فعقدت في اليوم التالى جلسة خاصة دعى فيها يوحنا مرة ثالثة بانذار . فانفذ رئيس شمامسته الى المجمع ومعه كتاب يتضمن أقواله فأبى المجمع الا حضوره شخصيا فاجابهم يوحنا أن ينتظروا أمر القيصر . فحكم المجمع حالا بالقطع على يوحنا وعلى ثلاثة وثلاثين أسقفا معه وأظهروا براءة القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس . وللمجمع أيضا جلستان سادسة وسابعة ففي السادسة أثبت دستور الايمان المؤلف في المجمعين الاول والثانى . وفي السابعة حررت أسقفية قبرص من الخضوع لبطريركية انطاكية وسنت ثمانية قوانين لم تزل الى اليوم

أما يوحنا الانطاكى فكتب الى القيصر ضد مجمع كيرلس ملتمسا منه أن يحضر أمامه ثلاثة أساقفة من كل حزب الى نيكوميديا . ولما اطلع القيصر على كل الاخبار الكاذبة التى وصلت اليه من حزب نسطور دون أن يطلع على أخبار المجمع الحقيقى أصدر أمرا ملوكيا للقديس كيرلس وللمجمع مؤنبا موبخا محرضا على الاتحاد وزيادة الفحص عما يخص الايمان وأمر بعقد مجمع جديد يقرر فيه قرارات جديدة يتفق عليها الجميع

فالشرقيون كتبوا للقيصر يشكون من سوء معاملة كيرلس لهم أما المجمع القانونى فجاوبه يعلمه بحسن صنيعه وخوفا من أن يقع جوابه في أيدى اضداده وجه نظره الى القديس دلماتيوس وهو رجل كان جنديا في الحرس الامبراطورى وأصبح زاهدا حتى ظل مقيما في صومعة ثمان وأربعين سنة . فأرسل اليه القديس كيرلس ولشريكه في الرهبنة اوطاخى رسالته للقيصر مع رجل أمين ضمن قصبة يتوكأ عليها كعكاز حيث أمكنه بهذه الطريقة أن يجوز الحراس برا وبحرا وهو يتظاهر بأنه شحاذ حتى أوصل الرسالة الى دلماتيوس المومأ اليه . فلما اطلع على الخبر طلب جميع الرهبان الذين

فى أديرة القسطنطينية وسار هو فى مقدمتهم باحتفال مشى فيه جميع سكان هذه المدينة الكبرى وهم يرتلون المزامير بحماس شديد الى أن بلغوا البلاط الامبراطورى حيث واجهوا القيصر ثيودوسيوس واخبروه بالحقائق فاقتنع بها . فخرج دلماتيوس من حضرة الملك ورجع الى كنيسة القديس موكيوس وخطب فى الجمهور الارثوذكسى المحتشد فيها مبشرا بأن القيصر أدرك الصواب وسمح لنواب مجمع القديس كيرلس أن يطلعوه على صورة أعمالهم . فلما اطلع القيصر عليها ارتاح وطاب خاطره ووعد الارثوذكسيين بالتعضيد والمساعدة

الا أن الامور لم تستقر على ذلك لان كونتا اسمه ايريناوس وقد صار فيما بعد مطرانا على صور غير فكر القيصر وخدعه مرة أخرى فأصبح حائرا لا يدرى كيف يفعل ولكن اكاسيوس الشيخ أسقف حلب أبدا له رأيا هدأ روعه وهو أن يعزل القديس كيرلس وممنون ونسطور فابرز القيصر حكما قضى فيه بذلك وقبض على القديس كيرلس وممنون وسلما الى الكونت يعقوب ليسجنهما أما نسطور فاحتفظ به كانديديانوس الامير

فاغتم آباء المجمع لهذه الاهانة التى حصلت للقديس كيرلس وحرروا رسائل عديدة الى الاكليروس القسطنطينى والى غيرهم محتجين بشدة على التعدى الذى حصل وهؤلاء طلبوا من القيصر أن يفحص عن الحق فسمح بحضور ثمانية أشخاص بالنيابة عن كل حزب لترفع الدعاوى أمامه وكان من حزب يوحنا ثاوذوريتوس أسقف كورش و بولس أسقف حمص فقابلهم فى خلكيدونية

أما القديس كيرلس فشرع فى مدة سجنه أن يؤلف تفسيرا مطولا لحروماته الاثنى عشر . و بعد أن اقتنع القيصر أمر بطرد نسطور الى ديره القريب من انطاكية و باعادة كيرلس وممنون الى منصبيهما . وأقام على كرسى القسطنطينية واحدا من رجال كيرلس اسمه مكسيميانوس . وأمر بنهى المجمع و برجوع الاساقفة الى مراكزهم فقام القديس كيرلس من أفسس الى الاسكندرية وهناك قابلته رعيته بابتهاج عظيم وجاء الجمع يهنئونه بانتصاره على عدو المسيح . وعقب وصوله كتب رسالة مطولة الى القيصر أوضح فيها الحق نافيا عنه كل ما عزى اليه من التهم

ولم يكتف النسطوريون بذلك بل أوقدوا نار الشقاق وعقدوا مجمعين أحدهما فى طرسوس والآخر فى انطاكية أعادوا فيهما حرم كيرلس و بنوده ورفضوا أحكام المجمع الافسسى واعتبروا أعضائه لصوصا وكيرلس ذئبا خاطفا وتمسكوا بمبادىء نسطور . فاستاء القيصر من تصرفهم هذا وأشار عليه مكسيميانوس بطريرك القسطنطينية أن يطلب بابا الاسكندرية و يوحنا الانطاكى و يأمرهما بالاتحاد والوفاق . فلم يرتض القديس كيرلس فى مبدأ الامر بصلح يلثم شيئا من الآراء القديمة الا انه أخذ يراسل يوحنا الانطاكى وأرسل اليه كاسينوس وأمونيوس الشماسين صحبة ارسطولاوس المعتمد القيصرى الى انطاكية برسالة تتضمن قبوله اياه فى شركة الكنيسة ان كان

يوقع على الصك المرسل معهم والمتضمن حرم نسطور ورفض بدعته . فلما وصل هؤلاء الى انطاكية وجدوا البطرك يركان في مجمع عقده مع أساقفته . فلما عرض عليه الصك قبل التوقيع عليه بعد تغيير بعض كلمات لم يفهمها وأرسله للقديس كيرلس بيد بولس مطران حمص فلما وصل هذا الى الاسكندرية سمح له القديس كيرلس أن يلقي خطابا ففاه بخطاب بليغ سر به السامعون وأظهروا استحسانهم بالتصفيق المتكرر له وكان ذلك سنة ٤٣٣ م

ثم انه كان قبل هذه الحوادث قد أرسل القديس كيرلس رسالة كانت عنده من أقوال اثناسيوس الرسولي الى انكيطس أسقف كورنثوس فوقعت في أيدي الحزب النسطوري فشوهوها ببدعتهم الاثيمة ولما حضر مطران حمص الى القديس كيرلس اعترض عليه بفحوى تلك الرسالة فأعطاه القديس الصورة الصحيحة فبعدما قرأها تحقق صحتها ورجع الى يوحنا الانطاكي وأطلعه عليها وزاد هذا اقتناعا شرح كيرلس بنوده الاثنى عشر التي كان فيها بعض العبارات البعيدة المعنى وهكذا تسالم البطر يركان واستلم يوحنا رسالة القديس كيرلس المتضمنة قبوله في الشركة

غير أن بعض الاساقفة الارثوذكسيين لم يعجبهم صلح القديس كيرلس مع يوحنا الانطاكي ولاموه على عبارتين وردتا في قرار الصلح وهما أولا قول يوحنا « لانه صار اتحاد الطبيعتين فلذلك نعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد وبحسب معنى هذا الاتحاد الخالي من الاختلاط نعترف بأن القديسة هي والدة الاله » وثانيا قوله « واما الاقوال الانجيلية والرسولية المقولة عن الرب فتعلم ان علماء اللاهوت يجعلون بعضها عامة كأنها تفي لاقنوم واحد و يفصلون بعضها لاختلاف الطبيعتين و ينسبون تلك الواجبة لله للاهوت المسيح و ينسبون الوضيعة لناسوته » ومن الذين عارضوا القديس كيرلس على قبوله لهذا القرار أكاكيوس أسقف ميليتيني واولوجيوس كاهن القسطنطينية وغيرهم ممن قالوا ان قرار يوحنا هذا دك أركان مجمع أفسس

كما أن أساقفة الشرق لم يوافقوا على هذا الاتفاق ورفضوا الاشتراك مع القديس كيرلس وخرجوا من تحت طاعة يوحنا واستقلوا بأنفسهم تابعين مذهب نسطور . ومع أن اسم القديس كيرلس صار يتردد على كل فم وأصبح مشهورا بالغيرة الحقيقية على سلامة الايمان الا أن بعض الاساقفة الاشرار نظير أوثار يوس والاديوس ومكسيميانوس كانوا يشيعون عنه بأنه هرطوقي تابع لتعاليم ابولينار يوس المبتدع وقد زوروا عن القديس كليستينوس أسقف رومية على لسان القس فيلبس أحد نوابه بأنه برر نسطور الى آخر ما هنالك من الاقاو يل التي شاعت ووصلت الى مسامع القيصر حتى اضطر القديس كيرلس أن يضع عدة مؤلفات في سر التجسد مبررا نفسه من كل ما اشيع عنه . وقد ظهرت أخلاقه المسيحية عندما صفح عن ثاوذور يتوش أسقف كورش دون أن يضطره الى نفي الاعتراف بالاهانات التي وجهها الى شخص القديس و بذلك اكتسب محبة الجميع

وقضى ما بقى له من الحياة بعد ذلك الجهاد الطويل فى خدمة مخلصة بكل أمانة وعاش خمسا وستين سنة قضى منها زهاء الثلاثين سنة فى رئاسة الكرسى الاسكندرى ثم تنيح بسلام فى ٣ أبيب سنة ١٧٩ ش ٤٤٤ م

أما مؤلفاته فهى جليلة الشأن وهذه أسماء المحفوظ الآن منها :

(١) تفسير الاسفار الخمسة وسفر اشعياء واسفار الانبياء الصغار وانجيل يوحنا

(٢) كتاب ضد نسطور (٣) وآخر ضد يوليانوس

(٤) رسائل عديدة فى الثالوث الاقدس (٥) رسائل عديدة فى التجسد

(٦) فى العبادة الروحية (٧) مواعظ ورسائل

(٨) كتب عديدة شتى . و يطلق على أحد الليتورجيات (القداديس أو صلاة القربان) اسم القديس كيرلس وهو القداس الذى وضعه مار مرقس الرسولى ولكن لما كان القديس كيرلس قد رتبه نسب اليه

(٢) ديوسقوروس :

البطريرك الخامس والعشرون . ارتقى الكرسى المرقسى فى مسرى سنة ١٧٩ ش و٤٤٤ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير خليفة للقديس كيرلس وكان ضريبه فى شدة الغيرة على سلامة كنيسة المسيح وفى أيام هذا البابا انشطرت الكنائس المسيحية الى شطرين وهما ذوو الطبيعة الواحدة وذوو الطبيعتين ولنأخذ فى استدراج تلك الحوادث الخطيرة لكى نقف على الحقيقة وندرك سر هذا الانشقاق

انه حال قيام ديوسقوروس على الكرسى الاسكندرى لم تكن الكنائس المسيحية على وفاق تام مع بعضها وعلة ذلك طمع أساقفة رومية الغير المتناهى ورغبتهم التى لا حد لها فى السيادة العامة على الكنيسة المسيحية فى كل العالم . ولم يكن الاسقف الرومانى يخشى بطش أحد من رؤساء الكنائس سوى بابا الاسكندرية . فان القسطنطينية مع كونها كانت عاصمة المملكة الجديدة ولكن بطاركتها كانوا ضعيفى الشوكة وكثيرا ما تداخل بطاركة الاسكندرية وأساقفة رومية فى شئونها بينما الاسكندرية مع كل الجهاد الذى قامت به أمام أعداء الكنيسة وازدياد المقاومات ضدها كل يوم بسبب ذلك فانها لبثت محتفظة بمتام الرئاسة الفعلية

ولقد سعى أسقف رومية سعيا متواصلا للاتحاد مع بابا الاسكندرية كما يظهر ذلك من خطاب أرسله ليو الى ديوسقوروس فى شهر يونيه سنة ٤٤٥ م يلتمس منه فيه المؤاخاة والعمل على التداخل فى أهم الامور سوية مادام الاثنان متساويين فى الرتبة والدرجة الا أن بابا الاسكندرية ض بخطابه عر حائط وهزأ به لما يعلمه من غاياته الدنيئة

ولم يكن أسقف رومية وحده هو الذى يحسد رؤساء الكرسى المرقسى لكن أساقفة الشرق بأسرهم كانوا يغارون منهم لتعويل القياصرة على آرائهم فى المسائل الكنسية وذلك لما أحرزوه من الصيت الجليل فى العالم المسيحى أجمع بسبب مقاومتهم للهراطقة وانتصارهم على أعداء الديانة نظير اريوس ونسطور حتى اعتبر رأى رؤساء الكنيسة الاسكندرية هو رأى المملكة ذاتها . لهذا السبب كان أسقف رومية وأساقفة الشرق يتحينون الفرص المناسبة لاذلال شأن الكرسى المرقسى فقاد لهم الحظ ظهور بدعة جديدة فى ضواحى القسطنطينية

وذلك انه كان فى أيام البابا ديوسقوروس ارشمندريت رئيس دير فى القسطنطينية اسمه أوطاخى عدو ألد لنسطور لم يكتف بما حدده المجمع الثالث المسكونى ضد تعليمه بل تطرف فى تعبيره عن سر التجسد الى أن قال بوحدة طبيعة المسيح وان جسده مع كونه جسد اله ليس مساو يا لجسدنا فى الجوهر لان الطبيعة البشرية على زعمه قد ابتلعت واندثرت فى الطبيعة الالهية

فثاوذوريتوش أسقف كورش الذى اشتهر باعتناقه لمذهب نسطور وتطوعه للدفاع عنه أخذ يكتب ضد أوطاخى و يشهر بتعليمه حتى بلغ الامر البابا ديوسقوروس فظن أن النسطوريين الذين كسر شوكتهم سلفه القديس كيرلس يتحفزون للقيام فخوفا من أن يضيع مجهودات سالفيه ولما هو معروف عن فساد مبدأ ثاوذوريتوش وتعريضه برسائل القديس كيرلس كتب ضده للقيصر ثاودوسيوس الثانى مظهر الخوف من أن الكنيسة الانطاكية أوشكت أن تكون كلها نسطورية . ولشدة ثقة القياصرة بغيرة آباء الكنيسة القبطية على سلامة الايمان أصدر ثاودوسيوس قيصر أمرا ضد الانطاكيين وحظر على ثاوذوريتوش الخروج من دائرة ابروشيته

غير أن الانطاكيين وطنوا أنفسهم على الدفاع فأرسل البطريرك دمنوس سفارة الى القيصر لتعرفه بأن أوطاخى مبتدع مثل ابوليناريوس ولكنهم لم يفلحوا . فقام أوسابيوس أسقف دوريليوم من أعمال فريجيه أحد المتحزبين لنسطور يحج أوطاخى . ولما لم يقنعه قصد القسطنطينية سنة ٤٤٨ م وشكاه الى فلابيانوس بطريركها وكان هذا أيضا نسطوريا فشكل مجمعا اقليميا مركبا من ٢٩ أسقفا و ٢٣ أرشمندريتا ودعى أوطاخى الى هذا المجمع فامتنع فى مبدأ الامر خوفا من غدر المجمع به ولكنه حضر فى الجلسة السابعة بصحبة صديقه خريسافيوس من موظفى بلاط القيصر فسأل أوسابيوس أوطاخى « هل يعترف بأن المسيح مساو للآب فى جوهر اللاهوت ومساو لأمه فى جوهر الناسوت ؟ فأجاب بأنه يعترف بأن المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد وانه بعد الاتحاد طبيعة واحدة . فحكم على أوطاخى بأنه مبتدع وجرده المجمع من رتبته الكهنوتية ثم أيد مذهب نسطور بأنه ذو طبيعتين من بعد الاتحاد

ولئن كان أوطاخى فى مبدأ أمره قصد بعقيدته ازالة بدعة نسطور غير أن تطرفه فى المدافعة نظمه فى سلك الهراطقة الا انه بعد صدور الحكم عليه أخذ يرفع صوته قائلا انه مظلوم وكان أسقف

رومية مقصدا لكل مبتدع اذ كان يسره ليحس بأنه رئيس الكنيسة العام ان يرفع رؤساء الكهنة دعاويهم اليه . ولما كان مستقيمو الرأى يطرحون مشاكلهم أمام أبصار باباوات الاسكندرية لم يكن يطلب مساعدة أسقف رومية الا المبتدعين الذين كانوا يشتكون اليه ويملقونه فكان ينتصر لهم رغما عن ضلالهم . فلهذا لما رأى أوطاخى نفسه قد شجب رفع اليه أمره فرد عليه لاون أسقف رومية برسالة معزية سنة ٤٤٠ م يشجعه فيها و يدعوه ابنه في الايمان الكاثوليكى لانه تحقق صدق عقيدته

ثم ذهب أوطاخى صحبة صديقه خريسافيوس موظف البلاط القيصرى المذكور ورفع دعواه أمام القيصر وتظاهر بأنه محكوم عليه جورا الى أن رضي القيصر بعقد مجمع مسكونى فى مدينة أفسس (١) وأرسل القيصر الى ديوسقوروس البابا الاسكندرى ثلاثة مكاتيب الاول يطلب فيه منه أن يحضر معه عشرة مطارنه وعشرة أساقفة و يبادر الى أفسس ويمنع قبول ثاوذوريتوس والثانى يأمر فيه بقبول الارشمندر يت برسوم بين آباء المجمع بصفته قائم مقام جميع الارشيمندر يتين الشرقيين . والثالث يمنع حضور ثاوذوريتوس ثم يقول له « واننا نظن ان بعضا من اتباع نسطور يجتهدون وقصدهم أن المذكور يحضر فى المجمع المقدس . فلاجل ذلك قد تحسن برأينا أن نرسل لحضرتكم هذه الرسالة وبها نعرف قدسك وقدس المجمع اننا متقدون بقوانين الآباء الاطهار ونوهب لقدسك سلطانا ونجعلك متقدما ليس فقط ما يخص ثاوذوريتوس بل وبما يخص كل المجمع المقدس الخ » أ هـ .

فلما شعر فلابيانوس بطريرك القسطنطينية بأنه سيقع تحت الحرم نظير باقى النسطوريين التجأ الى أسقف رومية ملجأ الهراطقة وكتب اليه يستعين به (٢) وكان قد وصل حينئذ للاون

(١) ان وقائع هذا المجمع والمجمع الذى عقد بعده بخلكيدون مأخوذة أصلا عن كتاب « اعمال مجمع خلكيدون » وهو تاريخ طبع بالعربية في رومية سنة ١٦٩٤ م بأمر الكنيسة الرومانية هداية لمخالفيها ولكنها لما رأت ان به حقائق كثيرة تتنافى مع رأيها ندمت على طبعه ونشره وحرقت ما تمكنت من جمعه وقد اخذنا نحن صورة هذه الحوادث عما كتبه المرحوم الايغومانوس فيلوثاوس بكتاب « تاريخ الانشقاق » ج ١ وعما نقل عن كتاب اعمال مجمع خلكيدون بكتاب « الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة » ج ١

(٢) كتب الآب ملاتيوس الارثوذكسى يستجير عندما قاومه لغير سبب داماسوس اسقف رومية . فاستاء القديس باسيليوس الكبير من استخفاف داماسوس بقوانين الكنيسة واستجار بالبابا اثناسيوس الرسولى و بعث يقول له « ان نشر الوية السلام فوق ربوع كنيسة انطاكية منوط بك وحدك . لان ما أصاب هذه الكنيسة يفتقر الى شفقتك الانجيلية وحكمتك الرسولية . ان كنيسة انطاكية أيها القديس لم تمزقها ايدى الهراطقة بل ايدى اولئك الذين يدعون انهم ارثوذكسيون (يريد اساقفة رومية) وهم شر من الاريوسيين (راجع رسالته الـ ٦٦) ثم اعقبها برسالتين أشد منها لهجة قال فيها « ان الهراطقة يحتمون بالاساقفة الرومانيين الذين يغرسون بذور الشقاق اين حلوا » (رسالة ٦٩ و ٨٠) .

ثم كتب القديس باسيليوس لاوسابيوس اسقف ساموساط الذى كان موفدا لرومية لفض ذلك النزاع يقول « لقد غنمت بما جرى بينك و بين الرومانيين . وكنت أود لو لم يكن عندى به علم لان ذلك الانسان (داماسوس اسقف رومية) متكبر متغطرس ومن طبيعة أولئك المتغطرسين ان ينتفخوا كلما لاطفتهم . على اننا لا ننتظر غير رفق الله بنا فان ادركنا فحسبنا ذلك والا فاى تعضيد يمكن أن ننتظره من الغربيين الغلاظ الاكباد الذين لا يعرفون الحقائق ولا يحتملون أن يتعلموها . اى تعضيد يمكن ان ننتظره من اولئك الذين فضلا عن تشبع ادمغتهم بالآراء الفاسدة يحاربون من يذكر لهم الحقيقة فيغرسون الهرطقة بايديهم » (رسالة ٢٣٦) أهـ فليقرأ الباباويون لعلهم يعتبرون .

أسقف رومية اعلان من القيصر ثيودوسيوس يقول فيه « أنه عهد بفض المشاكل الى مجمع يلتئم فى مدينة أفسس تحت رئاسة البطريرك الاسكندرى » فحالما وقع بصره على هذا الخبر طار شعاع الشر من عينيه واحتدمت نار الغيرة والغيظ فى قلبه وكشر عن ناب العداء والخصام نحو ديوسقوروس ونسى « محسوبه » أوطاخى الذى وعده بالمساعدة . ولما لم يحصل على أمنيته بالسيادة يوما ما و يدعى ولو مرة واحدة ليرأس ولو مجمعا واحدا امتنع عن الحضور الى أفسس وأرسل نوابا الى المجمع كما هى عادته فى اظهار الابهة الفارغة وهم الاسقف يوليوس والقس ريناتوس والشماس ايلاريوس وكاتب ليكتب الوقائع التى تصير يدعى دولشيسيوس وأعطاهم مكتوبا الى الملك ورسالة أخرى الى فلافيان وهى المعروفة « بالطومس » أو « بطومس لاون » (١) شرح فيها رأيه فى هذا المعضل وكان على أتم الموافقة لمعتقد نسطور . وهذه الرسالة التى أرسلها لفلابيانوس فقط كان يجب أن يرسلها رأسا الى المجمع ولكنه استبد برأيه مصمما على اعتبار المجمع غير قانونى حتى قبل أن تعقد جلساته و يظهر تقريره ومن هنا يتضح أنه كان عازما على مقاومته ولو قرر كل صواب مادامت الرئاسة انتزعت منه وأعطيت لخصمه ديوسقوروس واذ وصل نواب هذا الاسقف تلقاهم فلافيان بمزيد الاحترام واستضافهم عنده بكرم زائد

ولما تكامل عدد أعضاء المجمع اجتمع فى كنيسة السيدة العذراء ١٣٠ أسقفا وأرسل القيصر اثنين من قبله نائبين عنه وهما البيذيوس واولاجيوس وأمرهما بأن الذين كانوا قضاة فى أمر أوطاخى يحضرون بدون أن يفوهوا بكلمة وأن لا يحضر المجمع ثاوذور يتوس البتة ولا أحد من زملائه ومما قاله لهما فى الرسالة التى زودهما بها « تصرفا فى الامور بأحسن نظام . واحضرا فى مجلس الشرع واعلمانا الامر كله » أهـ

وترأس المجمع ديوسقوروس بابا الاسكندرية بأمر القيصر ثم جلس بعده نواب أسقف رومية ثم يوبيناليوس أسقف أورشليم فدمنوس أسقف انطاكية ففلابيانوس أسقف القسطنطينية فاسطفانوس الافسسى فأسقف قيصرية . ولما افتتحت الجلسة الاولى تليت تحارير الملك وأثبت قبول نيابة نواب رومية . ثم قرىء الامر بقبول برسوم . ثم طلب رئيس المجمع (ديوسقوروس) من نواب القيصر ما عندهم فى ذلك فقرئت رسائل القيصر الى نوابه والمجمع بخصوص اجراءات افلابيانوس ثم شرعوا فى موضوع الايمان فقال نائب أسقف رومية ان قدس أسقفهم لاون أرسل معهم رسالة فأمر الرئيس بقبولها . ولما قدمت الى القس يوحنا سكرتير المجمع ليتلوها رأى نفسه مضطرا الى قراءة رسائل أخرى من القيصر الى رئيس المجمع قبل رسالة أسقف رومية . فتليت رسائل القيصر و بعد ذلك قال الرئيس « يظهر لنا أن القيصر أمر بعقد هذا المجمع بسبب المشاغبة التى جرت فى القسطنطينية ولذلك يلزمنا أن نبحث أولا فى هذه المسألة و بعد ذلك نقارنها بأعمال آبائنا القديسين التى فرضوها فى المجامع المقدسة » فوافق المجمع على رأيه

---

(١) طومس كلمة يونانية معناها كتاب أو رسالة

حينئذ قال أسقف أورشليم ينبغي أن يحضر أوطاخي بنفسه للمجمع و يدافع عن نفسه . فجاء أوطاخي وقدم اعترافا مثل اعتراف المجمع الثالث بدون أن يذكر شيئا من المسألة المختلف عليها فقرىء . ثم طلب البيدوس المقدم قراءة بقية الاعمال فقبل الرئيس طلبه وسأل آباء المجمع عن رأيهم فأجابوا بالقبول الا نواب رومية فانهم طلبوا قراءة رسالة أسقفهم إلى فلانيانوس قبل قراءة الاعمال . فوقف أوطاخي واشتكى للمجمع ضد هؤلاء الرجال لانهم لما أتوا المدينة أقاموا في بيت فلابيانوس الذي أحسن وفادتهم وقدم لهم هدايا جزيلة والتمس من المجمع أن يمنعهم عن ابداء رأيهم لئلا يحكموا عليه تبعا لأهوائهم . فعمل الرئيس برأى الجمهور وقرئت الاعمال فظهر منها أن أعمدة الايمان الاقوياء هم باباوات الاسكندرية الافاضل الذين جاهدوا جهاد الابطال في الدفاع عن تعاليم المسيح وحفظوها نقيه سالمة فعبقت رائحة فضيلتهم في المجمع كالعبير وذكر بالاخص القديس كيرلس على أثر قراءة رسائله التى أقر عليها جميعها . ثم قال افسطاثيوس مطران بيروت ما فعل كيرلس حين فهمت كتاباته على غير معناها الى أن أورد عنه قوله « لا ينبغي لنا أن نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة متجسدة في الله الكلمة » وهذا القول أثبته القديس كيرلس بشهادة القديس اثناسيوس الرسولي فأجاب المجمع « ليس من يقول ان المسيح اثنان بعد الاتحاد ولا من يفصل الغير المنفصل »

ولما وصلوا في القراءة الى سؤال اوسابيوس لأوطاخي « هل تعتقد بطبيعتين في المسيح بعد التجسد » عارض آباء المجمع بحدة وقام جملة من الاساقفة الحاضرين وصرخوا بأعلى اصواتهم « ارفعوا اوسابيوس واحرقوه . ليشق الى اثنين كما حاول ان يقسم المسيح . كل من يقول بطبيعتين محروم » فقال ديوسقوروس « هل تسلمون بان المسيح بعد التجسد صار له طبيعتان ؟ » فأجاب الآباء بالاجماع « كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محروما » فقال ديوسقوروس « لنؤيد هذا الكلام » فقال الآباء بالاجماع « لأنه اعتقاد الآباء »

و بعد ذلك سأل رئيس المجمع الاعضاء عما يرونه في اوطاخي . فأجاب اسقف اورشليم بما انه اعترف بايمان مجمع افسس الاول (المسكوني الثالث) فانا أرى انه ارثوذكسي واحكم بتثبيته في درجة الكهنوتية وفي ديره . فوافق باقي الاعضاء على رأية بقولهم « يظهر من قول اوطاخي انه ارثوذكسي » فلما رأى الرئيس هذا الاجماع قال « انى قد ثبت أنا أيضا حكم هذا المجمع وحكمت بأن يحصى أوطاخي في عدد الكهنة و يتولى ديره كما كان سابقا »

ثم قدم للمجمع احتجاج من رهبان أوطاخي على حرم فلابيانوس لهم فقال لهم الرئيس « لا يحلكم من حرمكم الا اعترافكم بالايمان الصحيح » فصاح كبيرهم « ان ايماننا هو ايمان مجمعي الآباء في نيقية وأفسس . ايمان اثناسيوس وكيرلس و باقي الاساقفة الارثوذكسيين » فرأى أسقف أورشليم أن يقبلوا في شركة المؤمنين فرضي المجمع بذلك و برأهم جميعا

و بعد فحص قضايا كثيرة نظير هذه قال الرئيس « يجب أن نطبق أعمالنا على أعمال الآباء الذين سبقونا » ثم اتفقوا على أن تقرأ أعمال المجمع الثالث فقرىء ايمان المجمع وحكم في الجلسة السادسة بالقصاص على الذين يعلمون الضلال

وكان أوطاخي قد أدعى بتحريف أعمال مجمع القسطنطينية مستشهدا بنقيب الوظائف الملوكية فعارض كلامه فلابيانوس . فطلب الرئيس البينة كتابة فقال له فلابيانوس « انك قطعت أمامي السبيل لايراد كل احتجاج وان كان حقا » فاستشهد البابا ديوسقوروس بالمجمع المقدس على انه لم يمنعه عن شيء وكرر طلب الاحتجاج منه فاستمر فلابيانوس على عناده من الجهة الواحدة لم يتنازل عن قوله بطبيعتين بعد الاتحاد وأيد رأيه غير مكترث بتحديد المجمع الافسسي الاول . ومن الجهة الاخرى لم يؤمن على الحكم الذى أصدره بحل أوطاخي و بالحالة هذه ظهر مضادا لاولئك الآباء . فتعين لهم حينئذ عزله من الرئاسة وحكم بذلك جميعهم واحد بعد واحد بما فيهم البابا ديوسقوروس رئيس المجمع .

ثم نظر في الجلسة الثانية شكايات كثيرة قدمت الى المجمع ضد أساقفة نسطوريين و بناء عليها حكم المجمع بتجريد كل من ثاذوريتوس أسقف كورش وتهمته النسطورية وطعنه في حق القديس كيرلس وهيبا أسقف الرها ودمنوس أسقف انطاكية لمدافعته عن تعليم نسطور وعين بدله مكسيموس . وايرنياوس أسقف صور الذى كان نسطوريا ومتزوجا بامرأتين ورسم عوضا عنه فوتيوس ثم عرض المجمع أعماله على القيصر فأمن على تحديدهم وحكمهم وتقرر حرم فلابيانوس وستة من أساقفته وكل من لا يقول أن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد حسب اعتقاد كيرلس والمجمع المقدس

واننا نضرب صفحا عن كل ما يدعيه رؤساء كنيسة رومية بأن هذا المجمع استعمل القوة في تنفيذ جميع قراراته وتسميتهم اياه « بالمجمع اللصى » الذى سمى به مجمع أفسس الاول من النسطوريين وغير ذلك مما لا يستغرب صدوره من قوم أكل حب الذات صدورهم وأفقدهم عقلهم فجعلهم يهرفون بما لا يعرفون . وقد كان من المنتظر أن يختلق أساقفة رومية مثل هذه التهم لما يجدون أنفسهم خلوا من فضائل يجارون بها باباوات الكرسي المرقسي وكل من يقف على حوادث ميل أساقفة رومية للرئاسة العامة وكيف انهم في سبيل الحصول عليها أراقوا دماء الابرياء لا يندهش اذا سمعهم يندددون بالمجمع الثاني في أفسس

واننا لفي غاية العجب كيف انهم يعتبرون المجمع الثالث المسكوني الافسسي الاول و يؤمنون على أعمال رئيسه القديس كيرلس وفي الوقت نفسه يشجبون المجمع الافسسي الثاني مع أن المعارضين والذين وقعت عليهم الاحكام في كلا المجمعين هم رؤساء الحزب النسطوري الذين حضروا المجمعين وقاوموهما فهل غيرت الايام قلب أسقف رومية من نحو النسطوريين أم أن الميل

لمقاومة البابا الاسكندرى الزمه بأن يتنازل عن المعتقد القديم رغبة فى أن يجد طريقة لمقاومته فاعتنق مذهبا باطلا ليؤيد مركزه بأنصاره ؟ ومن يطالع كتابات الغربيين عن نسطور لا يعسر عليهم أن يلمس أثر ميلهم اليه واجتهادهم فى الاعتذار عنه .

ومما يوضح ما نقول هو أنه حدث بعد انفضاض مجمع أفسس الثانى ان نواب أسقف رومية خرجوا منه بالخيبه اذ لم يتمكنوا من نجاة فلابيانوس وحزبه فتجمهروا معا عصبة واحدة وانطلقوا الى رومية يشكون لاسقفهم ما أصابهم من الخذلان وكان أسقف رومية يتوهم أن الرسالة التى ارسلها لفلابيانوس يتخذها المجمع كقانون للايمان أو كوحى الهى فلما خاب رجاؤه من ذلك أضمر سوءا لجميع آباء المجمع وعلى رأسهم ديوسقوروس و يلوح لنا أن الشيطان كان يرسم فى مخيلة أسقف رومية صورة سلطته العامة على كل الكنائس و بذلك يفقده صوابه و يسهل له ارتكاب كل محرم فى سبيل الحصول على تلك السيادة الموهومة .

فأخذ لاون الاسقف الرومانى يعمل جهده فى الحط من قوة خصمه وتخفيض شأنه فلم يدع واسطة لمقاومة البابا الاسكندرى ومناجزته الا وطرق بابها فكتب كتابا الى ثيودوسيوس قيصر يقول له فيه أن الديانة المسيحية تكاد تضمحل ما لم يلغ حكم ديوسقوروس فى مجمع أفسس . ثم كتب لبولكاريا شقيقة القيصر وكتب لكنيسة القسطنطينية يحرضها على نبذ قرارات المجمع . ولما لم تفده كل هذه الحيل والوسائل رمى نفسه بين يدى فالنتنيان قيصر رومية والتمس منه أن يطلب من ثيودوسيوس قيصر الشرق أن يسمح باقامة مجمع عام فى رومية حيث يكون نفوذه أقوى من نفوذ خصمه . قال المؤرخون « ان محبة الذات أو خذلانه فى نيل الرئاسة المطلقة اضطراه الى سكب دموع غزيرة كاذبة أمام أفدوكيا زوجة قيصر رومية وأمه ابلاكيديا لكى تحملا القيصر على الكتابة لثيودسيوس فلم يسع فالنتيان الى الاجابة لكثرة الالحاح وكتب لزميله قيصر الشرق » . غير أن ثودوسيوس القيصر الارثوذكسى أبى اجابة الطلب لثقته فى البابا ديوسقوروس ورد على قيصر الغرب قائلا « ان ما جرى يكفى وهو حسن ولا حاجة الى مجمع آخر » ومما ينبغى الاشارة اليه ان فالنتنيان كان يلقب لاون فى جواباته لثيودوسيوس بالبابا الاعظم الا أن ثيودوسيوس كان يسميه البطريرك المحترم أو رئيس الاساقفة الموقر . وكان تاريخ هذه الخطابات فى فاتحة سنة ٤٥٠ م

غير أن الحظ قد عاد وخدم لاون فانه فى شهر يوليه من تلك السنة انتقل ثيودوسيوس الى رحمة مولاه بدون خلف فقامت مكانه بالملك اخته بولكاريا الراهبة ونكثت عهد العفة وتزوجت بقائد جيشها مركيانوس وسلمته ادارة المملكة . فلما تغيرت أحوال المملكة استحضر لاون أسقف رومية زعماء الحزب النسطورى ليستعين بهم على ديوسقوروس ومنهم ثاوذوريتوس أسقف كورش وهيبا أسقف الرها وغيرهما و بعث بأنصار السوء هؤلاء الى مركيان قيصر يلتمسون منه السماح بعقد مجمع تفحص فيه أعمال مجمع أفسس

فلما رأى البابا ديوسقوروس ان لاون تمادى فى عدوانه وأفرط فى المعاكسة شرع فى حرمانه وتجريده من وظيفته وذلك لانه سعى فى ابطال قرارات مجمع نظامى شرعى فجمع مجمعاً قطع فيه لاون من شركته لقبوله أولئك الهراطقة . وهذا المجمع عقد بعد موت ثيودوسيوس قيصر وبذلك ينهدم قول المفترين الذين يدعون بأن بابا الاسكندرية كان يعمل ما يعمل معززا بقوة القيصر

وكان موظفو بلاط قيصر الشرق الجديد بعضهم يتحزب لنسطور والبعض الآخر للارثوذكسيين الا أن الحزب الاقوى كان نسطوريا وذلك لان بولكاريا وزوجها مركيان كانا من هذا الحزب . كانت بولكاريا شديدة الكراهة للبابا ديوسقوروس بالنسبة لما وصل اليه من السلطة والنفوذ . فرأت هذه الفرصة مناسبة لهدمه واتخذت ذريعة لذلك اتهامه بالهراطقة . وكان أول عمل عدائى وجهته لديوسقوروس هوانه كان لهذا البابا نائب فى القسطنطينية فارتقى بواسطته الى كرسى البطريركية . فابتدأت بولكاريا مقاومتها لديوسقوروس بأن أجبرت نائبه بالقسطنطينية على حرم أوطاخى ونسطور والمصادقة على مبادىء لاون

ثم كتب مركيانوس زوج بولكاريا الى لاون يقول له فيه « انى مستعد لعقد مجمع تحت رئاستك واذا كان فى السفر مشقة عليك فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع » فرد عليه لاون بأنه ينبغى فى هذا المجمع البحث عن طريقة يتمكنون بها من الصفح عن الأساقفة الذين سلكوا مسلك ديوسقوروس ووافقوا على رأيه . وكان يؤمل لاون أن يكون مقر المجمع رومية غير أن القيصر لم يكن يرغب ذلك فأصدر أمرا باقامته فى مدينة نيقية مما أساء لاون ومنعه عن الحضور فأرسل نوابا عنه ادعى فيما بعد انهم ترأسوا الجلسات باسمه ولكن الحقيقة ان مركيانوس انتخب تسعة عشر عضوا من كبار المملكة ليترأسوا المجمع بالنيابة عنه

أما الذين حضروا هذا المجمع فمن قائل انهم ٣٣٠ ومن قائل انهم ٥٠٠ وقيل أن البابا ديوسقوروس لما حضر مع أساقفته وشاهد ذلك الجمع الغفير هتف نحو القيصر قائلا « أيها الملك الاعز ما هذا الجمع الذى أراه وما سبب اجتماعه . ان الايمان لفى غاية الكمال والآن لسنا ننتظر قيام هرطقة توجب اجتماعا مثل هذا فدع الاساقفة ليذهب كل الى مركزه » فأجابه بعضهم « أن القيصر ليس بمتحقق ان كان المسيح طبيعة واحدة أم طبيعتين » فوقف البابا ديوسقوروس وقال « ان اعتقاد البيعة لا ينبغى أن يزاد عليه أو ينقص منه فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرز الاباء » ولما تردد قليل مثل هذا الكلام قال ديوسقوروس « أسألكم فأجيبونى . لما دعى المسيح الى عرس قانا الجليل دعى انسانا أم الها فأجابوه انسانا . قال لهم ولما حول الخمر كان تحويله له باللاهوت أم بالناسوت . أو فوض اللاهوت أن يعمل ذلك وللناسوت أن يسكت . وان كان حسب رأيكم باللاهوت فليس ذلك بعجب عجيب وأمر غريب اذ كان اللاهوت قادرا على كل شىء وانما العجب بالناسوت لاتحاد اللاهوت به . وها أنا أقول أن ذهبى الفم يدعو مريم والدة الله . ولم يقل والدة نصف الله . وكيرلس يدعو المسيح الها واحدا بالحقيقة وابنا واحدا بالحقيقة وان

اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ اذا عبر الكور واتحد بالنار فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئا واحدا . أما احتجاجكم عن ذلك بايجاب وقوع الآلام على اللاهوت فعنا الدليل الكافى من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون ما كانت تعاقب أنفسهم وتتألم والله قبل الآلام بجسده ولاهوته منزه عن قبول الآلام بالكلية » أهـ

فاقتنع كثيرون بهذا الكلام ثم خطب البابا ديوسقوروس داعيا للملك حتى انزعج المقطوعون واللاونيون واختلوا بالملك ووشوا اليه بحق البابا ديوسقوروس بانه يريد سلب سلطانه وان لاون يرغب بحط ديوسقوروس استقرار الكلمة له وان ترك الحرية لديوسقوروس لا تتمم أغراضهم وطلبوا منه الحرية فى أعمالهم ليخرجوا ديوسقوروس من المجمع . فلم يكد عدد المجتمعين يكمل حتى صدر اليهم الامر حال وصولهم الى نيقية بأن يرحلوا الى خلكيدون بالقرب من البوسفور وعقد المجمع بها وافتتحت الجلسات فى اليوم الثامن من شهر أكتوبر سنة ٤٥١ م فى كنيسة خلكيدون . ولما عقدت الجلسة الاولى كانت أول طلبات نواب لاون اخراج ديوسقوروس من المجمع . ولما لم يقبل رئيس المجمع ذلك أصر النواب على طلبهم معترضين بلسان أوسابيوس عدو أوطاخى بأن ديوسقوروس عقد مجمعا بدون استئذان الكرسى الرسولى (الرومانى) وأضافوا بأن ديوسقوروس الذى أتى ليدان لا ينبغى له الجلوس معنا لان ذلك يجلب علينا احتقارا . فازدرى نواب الحكومة بكلام هؤلاء الاشرار وقر رأيهم على بقاء ديسقوروس فى المجمع . وأجاب هذا البابا على تهمتهم بكل ثبات قائلا « انى لم أكن فى حاجة الى استئذان أسقف رومية فى عقد المجامع التى صدر أمر القيصر بتشكيلها » ثم طلب قراءة القرارات التى صدرت فى المجمع الاخير مما يخص الايمان فأجابه الرئيس « ينبغى أن تصبر الى قراءة الاعمال »

وكان لاون قد أعاد ثاوذوريتوس الى كرسيه فسمح له بالدخول الى المجمع حينئذ فأحدث دخوله ضجة عظيمة سمع فيها صوت أساقفة مصر وايليريا وفلسطين يقولون « ارحمونا يا قوم . قد اضمحل الايمان . اعلموا أن القوانين توجب طرد هذا خارجا فاطردوه أنتم عنا »

فأجاب أساقفة الشرق النسطوريين « لقد أرغمنا ديوسقوروس فوقعنا على أوراق بيضاء اطردوا أتباع مانى وابوليناريوس مضادى الايمان اطردوا ديوسقوروس »

قال المصريون « ان ثاوذوريتوس شتم المسيح ولعن كيرلس فان قبلناه اهنا المسيح ورفضنا كيرلس »

وأخذ الفريقان يتحاوران معا بمثل هذا الكلام وشرع كل حزب فى أن يوجه الى الآخر شديد المطاعن حتى أشرف المجمع على ان يكون ميدانا للمحاربة لولا أن مندوبى الحكومة استعملوا نفوذهم فى اعادة النظام والسكينة ووقف واحد منهم وخطب فى المجمع قائلا « انه لا يجدر بالاساقفة وأئمة الدين أن يأتوا مثل هذه الاعمال المشينة من صياح وصراخ بل يجب عليهم أن يكونوا

قدوة للشعب فى الهدوء والسكينة . ونحن نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل البهتان والدليل عوضا عن القول وأميلوا آذانكم لسماع ما يتلى عليكم »

ثم أخذ الكاتب يتلو قرارات مجمع أفسس الثانى وكان أعضاء الحزبين يقاطعونه بضجيج الاستحسان أو الاستهجان . وكان البابا ديوسقوروس فى وسط ذلك الهيجان ساكنا هادئا مستعملا الحكمة مجردا سيف البرهان عوضا عن الثرثرة الفارغة التى كانت سلاح نواب رومية الوحيد وكان مما فاه به فى هذا المجمع قوله « قد علمتم أن القيصر لم يجعل لى وحدى الامر بل ليوبيناليوس وتلاسيوس أيضا ومنح لهما التدبير فنحن بما حكم به أذعن لنا المجمع بأسره فلماذا ينسبون الى وحدى تدبير هذه الامور حالة كون سلطان الثلاثة متساويا وقد استصوب المجمع ما حكم به فأقروا بأصواتهم ووضعوا خطوطهم بأيديهم وأخبرنا القيصر بذلك وهوثبت بأمر عال كل ما حكم به المجمع المقدس » أهـ

فأجاب أساقفة الشرق ما معناه « انهم لم يشتركوا فى حرم فلابيانوس الا تحت تأثير الارهابات والتخاويف » وكان معظم المتكلمين شمامسة . فاعترض الاساقفة المصريون على تداخلهم الغير قانونى طالبين اخراج كل من ليس له حق الكلام فى المجمع فلم يسمع لهم ولم يجب طلبهم

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع المشتكين على ديوسقوروس « من الذى أرغمكم على الامضاء ؟ » أجابوه ديوسقوروس ورهبان أوطاخى الذين عددهم ٣٠٠ راهب فأجابهم أساقفة مصر « لو كنتم مسيحيين حقا لما أرهبكم التهديد لان الارثوذكسى لا يخاف . ها نحن الآن مستعدون للموت دون أن نحيد قيد شعرة عن ايماننا فلو كنتم مؤمنين حقا لما وقعتم على الاوراق حسب ادعائكم لان المسألة تختص بجلالة الايمان الذى ينبغى للمؤمن الحقيقى أن يسفك آخر نقطة من دمه فى سبيل تأييده »

ولما استأنفوا قراءة بقية الاعمال كثر الهياج واللغط فأظهر نواب الحكومة الاستياء الشديد مرة أخرى فقال ثاوذوريتوس ان كتبة ديوسقوروس هم علة هذا الضجيج . فأجاب البابا بهدوء « لا يوجد معى سوى كاتبين فقط وهما لا يقويان على احداث مثل هذا السجس »

ثم سئل البابا ديوسقوروس لماذا لم تقرأ رسالة لاون فى المجمع فأجاب أمرت بقراءتها مرتين . فسألوا يوبيناليوس شريكه فقال « أجلنا قراءتها حتى ننتهى من قراءة رسائل القيصر وبعد ذلك لم يطلب منا قراءتها »

وبينما كانت تقرأ الاعمال كان أساقفة الشرق يعترضون اعتراضات سقيمة فتارة ينكرون ما قالوه أو كتبوه حتى قال لهم ديوسقوروس « لقد تجاسرتم على نكران كل شىء فالافضل أن يقولوا

انـنا لم نكن حاضر ين بالمرة » وأخرى يعترضون على البابا الاسكندرى بما أملته عليهم أهوأهم . فمن ذلـك انهم أخذوا عليه قوله فى مجمع أفسس « انى أفحص قوانين الآباء الذين اجتمعوا فى نيقية وفى أفـسس » ولما اعترض أوسابيوس على لفظة « أفحص » أجاب الباب ديوسقوروس « أن الفحص لازم لان مخلصنا قال « فتشوا الكتب » ولكن كان لكم وجه للاعتراض لو قلت أجدد »

ولما قرىء ايمان أوطاخى قال البابا ديوسقوروس « فان كان أوطاخى يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو لا يستحق العقاب فقط بل النار أيضا أما أنا فمهتم بالايمان ولست بشأن أحد من النـاس بل فكرى شاخص الى اللاهوت فلا أبالى بأحد ولا أهتم بأحد سوى بنفسى و بالايمان المستقيم الصحيح »

و بعد ذلك أنكر باسيليوس خطابه المحرر فى دفتر الاعمال فقال رئيس المجمع « اذا لماذا وقعت على القرار بحرم فلابيانوس » فأجاب « انى التزمت أن أطاوع ١٣٠ أسقفا » فقال له ديوسقوروس « الآن من فمك تتبرر ومن فمك تدان لقد استحيت من الناس وأهنت الايمان خوفا منهم »

واذ رأى الاساقفة الشرقيون أن قولهم « أجبرنا على التوقيع » يوجب عليهم شديد اللوم قالوا أخيرا « أخطأنا كلنا ونطلب الغفران » ولاجل ذلك قبلوا وانتقلوا الى الجهة الاخرى التى كان فيها الاساقفة النسطوريون فقالوا لهم « مبارك قدومكم »

ثم سألوا البابا ديوسقوروس لماذا حكم على فلافيان بالحرم والنفى فأجاب « ان الاسباب التى بنى عليها الحكم على فلافيان واضحة صريحة هى انه كان يعتقد بوجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد . أما أنا فلى شهادات من أقوال الآباء اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس تؤيد انهم كانوا يعتقدون بعدم وجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد بل ان الكلمة المتجسدة اتخذت طبيعة واحدة فقط . فاذا كان فى اعتقادى خطأ فيكون أصله من خطأ هؤلاء الآباء المحترمين الذين أقول أنا بقولهم ولا أتحول عن مبدأهم . وحتى يكون المجمع على ثقة من قولى أخبره أننى نقلت أقوالهم هذه بالحرف الواحد واعتنيت كثيرا فى ضبطها على الاصل والتحقق من صحتها » أهـ

وكان نواب لاون يتذمرون من ترك الحرية لديسقوروس ليبدى أفكاره فأجابهم الرئيس « ان هذا المجمع يقتفى آثار العدل والحق فى أعماله فهو يمنح حرية الافكار الصحيحة لجميع الاعضاء على السواء » و بذلك انتهت الجلسة الاولى وعينوا موعدا لانعقاده بعد خمسة أيام

غير أن أساقفة الشرق ومندوبى أسقف رومية رأوا أن السماح لديوسقوروس بالكلام فى المجمع يؤول الى تبرئته ولهذا استعجلوا فطلبوا عقد المجمع بعد ثلاثة أيام بدل خمسة وجعلوا حضور المجمع قاصرا على أساقفة الشرق و بعض أساقفة الغرب ومنعوا أساقفة مصر ومندوبى الحكومة

وديوسقوروس بل وضعوا على باب بيته حراسا حتى لا يتمكن من الخروج . ولما حاول الخروج ليحضر المجمع منعه الحراس بأسنة رماحهم

وفى تلك الجلسة بل المؤامرة التى تشابه من كل الوجوه مؤامرة كهنة اليهود على المخلص استحضر النسطوريون شهودا زورا قدموا عرائض يطعنون بها عرض البابا ديوسقوروس بما طعن به الاريوسيون البابا اثناسيوس الرسولى قبله ثم وضع المجمع حكمه بتجريده من رتبته بدون أن يؤتى به ليدافع عن نفسه وأعلن بالحكم حالا وأرسل الحكم الى القيصر وزوجته وأساقفة مصر الموجودين بخلكيدون وكل ذلك جرى بغاية الاستعجال الامر الذى جعل مندو بى الحكومة يحتجون و يطلبون سحب الحكم ولكن بدون جدوى . فحرى بالمؤرخين اذا أن يطلقوا على هذا المجمع لقب « اللصى » فالحقيقة تؤيده عليه وتنفيه عن مجمع أفسس الثانى

غير أن مقاومى البابا الاسكندرى رأوا فيما بعد أن حكمهم باطل وغير معتبر شرعا لعدم قيامه على أسباب قانونية توجب عزل خصمهم وكاد أن يذهب صرخة فى واد بالنسبة لمعارضة مندو بى الحكومة له فجددوا النظر فى قضية البابا ديوسقوروس وطلبوه للحضور ولكنه لما علم أن مندو بى الحكومة انسحبوا من المجمع امتنع وقال لمن دعوه « انى قصدت مرارا الذهاب الى المجمع فمنعنى الحراس الواقفون على باب منزلى » وكان سبب امتناع البابا عن حضور ذلك المجمع علمه بسوء نية أعضائه وشر ما عزموا عليه وهذا ما فهمه ممن أرسلوا اليه ليدعوه الى المجمع

أما المجمع فأيد الحكم على البابا ديوسقوروس وكان من بين أعضائه من لا يريد الحكم عليه ولكنهم اضطروا خوفا من بطش القيصر . ولما اطلع البابا على قرار عقيدتهم وطلب منه توقيعه قرأه أمام بعض أساقفته فعلقوا عليه حاشية من أربعة أركان الورقة المكتوب فيها تفيد حرم هذه العقيدة ومن يتمسك بها .

ولما بلغ مركيان رفض ديوسقوروس التوقيع على قرار المجمع هو وأساقفته هم بقتله فأشير عليه باحضاره أمامه فأمر به فحضر وأومأ الى ديوسقوروس أن يذعن لرأى القيصر ليستمر فى مركزه فقال ديوسقوروس « ان القيصر لا يلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها و يدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب وخير له أن لا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق » فقالت بولكاريا زوجة القيصر وكانت جالسة بازائه « ياديوسقوروس قد كان فى زمان أبى انسان قوى الرأى مثلك فحرم ونفى من كرسيه (تعنى به يوحنا فم الذهب) فقال لها « نعم وقد علمت ما جرى لامك وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه الى أن مضت الى جسد القديس يوحنا واستغفرت فعوفيت » فحنقت بولكاريا من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان بالنسبة لشيخوخته وتناولته أيدى الرجال فنتفوا أكثر لحيته فأخذ ضرسيه وشعره وأرسلهما لأبنائه فى مصر قائلا لهم : « هذاثمرجهادى »

حينئذ أصدر القيصر أمرا بنفيه الى غاغرا (١) وذهب يقوده الجند الى منفاه وهم يعاملونه بقساوة كلص قاتل وكان مرافقا له من اكليروسه القديس مكاريوس أسقف اتكو والقس بطرس والشماس ثاو يسطس كاتب سيرته وتوجه الى محل نفيه فعبر بيت المقدس وفلسطين وعرفهم ايمانه فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة على أمانته . و بعد نفيه حاول أعضاء المجمع أن يجبروا أساقفته على التوقيع على قرارهم ولكنهم أبوا بتة ولما وعدوهم بحمايتهم من المصريين اذا هم وقعوا رفضوا اطاعتهم وهكذا انفض هذا المجمع بعد أن شق كنيسة المسيح

أما خصوم البابا الاسكندرى فلما رأوا أن السماء والارض تعلنان ظلمهم له ادعوا زورا و بهتانا بأنهم حرموه ونفوه لانه شريك أوطاخي وتلك تهمة كاذبة فالكنيسة القبطية تشجب أوطاخي وتعتبره هرطوقيا والفرق ظاهر بين اعتقادات أوطاخي واعترافات وأقوال البابا ديوسقوروس التى صرح بها فى بهرة المجمع منكرا فيها الامتزاج والاختلاط والاستحالة بكل صراحة ورفض أوطاخي مادام حائدا عن استقامة الايمان العام . وتبعته فى ذلك الكنائس التى تعتبره كالكنيسة القبطية والسريانية وغيرهما . وقد كتب وهو فى منفاه رسالة ضد أوطاخي الى شخص اسمه ابريطن مسجلة ضمن كتاب « اعترافات الآباء » يقول فيها « يجب علينا أن نقلع ونخرج عن كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات وأما نحن فما نؤمن هكذا بل ان الله الكلمة صار جسدا بحق و بقى بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته . لكن قوما يظنون و يقولون اننا اذا قلنا أن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد فى هذا القول موافقين لمجمع خلكيدون ونحن نجيبهم ونقول « اذا كان أهل مجمع خلكيدون يعترفون ان الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فانا نوافقهم » ثم يختم البابا ديوسقوروس كلامه بطبيعة واحدة للاقنوم الواحد الذى هو الابن الواحد المتجسد مستشهدا باثناسيوس كما تقدم و بكيرلس » أهـ

واذا اعترض الغر بيون بقبول ديوسقوروس لاوطاخي فى مجمع أفسس الثانى فنقول ان ذلك لا يؤخذ دليلا على اشتراكه معه فى الهرطقة وذلك لان اعتراف أوطاخي كان فى ظاهره مستقيما موافقا لايمان المجامع السابقة ولم يكن حجاب هرطقته مكشوفا بعد . وعندما ظهرت حقيقة معتقد أوطاخي رفضه البابا الاسكندرى ورفض القول بتغير وتألم اللاهوت ورفض آراء أبوليناريوس بانكار النفس الناطقة ورفض التعليم بالاختلاط والامتزاج والاستحالة خلافا لاوطاخي ولم يكن يقع شيء يؤثر على وحدة الكنيسة لولا سوء تصرف نواب رومية

واستمر البابا ديوسقوروس فى منفاه حتى توفى فى أول توت سنة ١٩٥ ش و ٤٥٧ م بعد أن قضى فيه نحو أر بع أو خمس سنين يعانى آلاما شديدة من سكان ذلك المكان القساة بصبر تام كما كان قد سبق واحتمل بكل أناة وسكون تلك الاهانات المرة التى اهانه بها أنصار مجمع خلكيدون .

(١) هى جزيرة بغلاغونيا من آسيا الصغرى .

فى القسطنطينية وسلك بغاية الحكمة والرصانة ولم يرد بكلمة واحده على أولئك السفلة الذين كانوا يشتمونة ويحتقرونه أثناء مروره بالشوارع

وروى أن البابا ديوسقوروس ومن كان معه من الاساقفة المصريين شرعوا فى منفاهم ينشرون نور الانجيل و يبشرون أهل ذلك المكان حتى تمكنوا من أن ينصروا كثيرين منهم وقد أظهر الله على أيديهم آيات وعجائب

وحدث أن تاجرا مصريا زار البابا ديوسقوروس فى منفاه فتألم لما شاهد ما وصل اليه من الاحتقار فذكره البابا بما أصاب الرب يسوع من الهوان وأعطى التاجر تلميذ البطريرك قطعة ذهبية ذات قيمة لينفق منها على معلمه ووعد أن يرسل غيرها فلما علم البابا ديوسقوروس بذلك قطع القطعة ووزعها على فقراء المكان ضد رغبة تلميذه . ومما أجراه هناك من المعجزات ان أعسم طلب منه بحرارة أن يسمح له بنقطة دم يسمح بها نفسه فشرط له القديس جزءا من جسمه وأعطاه من دمه ما أدهن به وصلى عليه ففاز بالشفاء الكلى . وارتفع شأن البطريرك الاسكندرى فى عيون أهل منفاه بعد أن كانوا يعاملونه بقساوة وأصبح موضوع احترامهم واكرامهم

وقال الانبا ساو يرس المؤرخ « وقد استمر ديوسقوروس بجزيرة غاغرا حتى أخذ اكليل الشهادة من مركيان الملك » أهـ ولعله يقصد انه مات من شدة ما لاقى من الصعوبات من ذلك الملك . فناحت الكنيسة المصرية على رئيسها واستمرت محافظة على الايمان الذى قضى حياته فى الدفاع عنه . ومع أن الحكومة حاولت أن تقيم للمصريين بطريركا خلافه الا انهم رفضوا مطلقا الاشتراك مع الهراطقة واشتركت الكنيسة الحبشية مع أمها الكنيسة القبطية فى رفض قرارات مجمع خلكيدون وأبت الاعتراف بسلطة البطاركة الاروام الذين كان القيصر يعينهم على الكرسى

فليقل لنا الباباو يون . من كان يعترف بسلطان أسقفهم العام على الكنيسة حينئذ . ولماذا لم يخضع البابا ديوسقوروس له اذا كان يعرفه رئيسا له واذا كان البابا ديوسقوروس عاصيا فكيف نرى شعبا بأجمعه يطيعه وهو الرئيس الاصغر و يعاند الرئيس العام عليهم أى أسقف رومية . فلا يستطيع أن يسلم من له قليل من العقل انه لم يكن يوجد فى تلك الامة التى كان عددها حينئذ يربو عن العشرة الملايين ولو مليون واحد مستنير يعرف أن أسقف رومية هو رئيس الكنيسة الاعظم فيخضع له و يسلم برأيه

أما الذين سلموا فى مصر برأى مجمع خلكيدون فلم يكن بينهم مصرى وطنى واحد ولكن جميعهم كانوا من الفئة اليونانية القاطنة بمصر وهى الفئة التى كانت تروج بهذه البلاد كل بدعة يبعثها الينا الغرب ولا ريب ان الطائفة الاريوسية التى شغلت الكنيسة المصرية مثلا كانت بالضرورة يونانية بينما أن الشعب الارثوذكسى الذى كان يسميه أعداؤه بالسابليين أو فيما بعد

بالاوطاخيين كان بالضرورة وطنيا وهذه الطائفة الوطنية الارثوذكسية أو ان شئت قل المصرية كانت تشمل تلك الهيئة العظيمة نعنى بها هيئة المتعبدين والرهبان وهؤلاء كانوا أقباطا صميمين كما يتبين جليا من أسمائهم ومن جهلهم اللغة اليونانية وكانت تشمل أيضا الجزء الاكبر من مسيحى الاسكندرية . ونفس الهيئة اليونانية بمصر هى التى كدرت سلام كنيستنا بالتسليم برأى المجمع الخلكيدونى وصار الاقباط من تلك الساعة يلقبون اتباع ذلك المجمع بالسنوديين (أى المجمعيين) أو الامبراطوريين احتقارا لهم كما اختصت الكنيسة المصرية نفسها وكنائس سوريا التى على مذهبها بلقب « الارثوذكسية » أى ذوات الرأى المستقيم

ومع أن أسقف رومية تمكن بواسطة مجمع خلكيدون من سحق خصمه العنيد ديوسقوروس الا أنه لم يكن راضيا تمام الرضا على ذلك المجمع وذلك لانه لم يتحصل على غايته القصوى التى كان يسعى اليها وهى التصديق من الامبراطورة أو المجمع بأولوية الكرسى الرومانى واعضائه الرئاسة على باقى الكراسى فضلا عن أن المجمع قرر فى المادة الثامنة والعشرين تجريد كرسى رومية من هذه الدعاوى الفارغة وبأن لا حق له فى الاسبقية على الكنائس الشرقية . وقد اغتاظ لاون لانه كان يقصد ادخال هذه العبارة فى القرار الذى صدر بحرمان ديوسقوروس وهى « نحن نواب بابا رومية رئيس الكنيسة الجامعة نحرم ديوسقوروس بمصادقة المجمع » الا أن المجمع (ويظهر انهم نواب الحكومة فى ذلك المجمع) رفض هذه الجملة واكتفى بالثانية وهى (رئيس أساقفة رومية العظمى) ونفس بروتيريوس الذى عينه المجمع الخلكيدونى بطريركا لمصر بدل ديوسقوروس مع انه صافى لاون وصادقه الا انه لم يتنازل له عن أولوية الكنيسة القبطية فى اصدار رسائل عيد الفصح التى كان يكتبها بطاركة مصر على الدوام

(٣) تيموثاوس ٢ — البطريرك السادس والعشرون :

لم يكن أوقع حزنا فى نفس المصريين نظير الخبر الذى أنبأهم بأن رئيسهم ديوسقوروس قد عزل بدون حق شرعى فأخذ منهم الغيظ كل مأخذ واستمروا معتبرين اياه الرئيس الوحيد وبسبب ذلك اشتعلت نيران البغضاء بين المصريين وبين الرومانيين المقيمين فى مصر

ولما نفى القيصر البابا ديوسقوروس أرسل مندوبا من قبله بصحبة اربعة أساقفة لانتخاب بطريرك جديد للمصريين فهاج لذلك سخط المصريين عامة وعارضوا شديد المعارضة فى اقامة خلف لبطريركهم طالما كان حيا . غير ان القوة تغلبت وأقام الحزب الرومانى شخصا يدعى بروتيريوس بصفة بطريرك على الاسكندرية . وكان هذا الرجل موضع ثقة البابا ديوسقوروس حتى عهد اليه بادارة الكنائس أثناء غيابه الا انه لم يراع الامانة وصادق على أعمال مجمع خلكيدون وعلى رسالة لاون علنا لينال عطف منتخبيه الاروام

ولما قضى الامر برسامة بروتيريوس قامت قيامة الامة المصرية واشتد هياجها ضد ذلك الخائن المنافق حتى اضطرت الحكومة لان ترسل جنودا من قبلها لاخضاع هذا الشعب الثائر. ولكن المصريين قاوموا تلك القوة باستبسال حتى هزموها فغضب الوالى وعول على الانتقام منهم فقطع جراية الخبز التى كانت تصرف للتكايا والمساطب وقفل الحمامات العمومية ومنع المجتمعات . ثم أرسل يطلب قوة أخرى من الامبراطورة فأمدته بألفى رجل ولكنهم لم يقووا على قمع الثورة حتى اضطر الوالى أخيرا أن يعقد صلحا شروطه ابطال كل الاوامر السابقة التى أصدرها ضد المصريين مع استمرارهم على عدم اعتبار الرجل الذى عينته الامبراطورة بطريركا بدون رضاهم وكانوا قد عقدوا مجمعا عظيما حرموه فيه لموافقته الخلكيدونيين ولقبوله مركز بطريرك لا يزال حيا

أما بروتيريوس الذى كان عارفا بشدة كراهة الشعب له لم يكن ينتقل من مكان الى آخر الا بحراسة بعض العساكر. ولما رأى هذه القوة طوع أمره أخذ يسطو على الكنائس والاديرة و يسلبها و ينهب مالها حتى جمع ثروة وافرة جعلته مطمح أنظار اللصوص . فسطوا على منزله فى احدى الليالى وقتلوه وسلبوا كل ما وصلت اليه أيديهم . وقيل انه لما شاع الخبر جاء بعض الرعاع وسحبوا جثته وطافوا بها فى شوارع المدينة و بعد أن مثلوا بها أشنع تمثيل حملوها الى الملعب الذى بناه بطليموس وطرحوها للنار المضطرمة فالتهمتها

ولا ريب أن ما وقع ببروتيريوس هذا كان عقابا من الله لما أتاه من الفظائع ومنها قتل القديس مكاريوس أسقف ادكو كما سيأتى فى تاريخ هذا البار

غير أن الاساقفة الارثوذكسيين استمروا بدون بطريرك فى حياة البابا ديوسقوروس ثم بلغهم خبر نياحته فبكوه بحرقة واستدعوا تيموثاوس و يلقب بايلورس من منفاه الى الاسكندرية وكان متأصلا أى من القائلين بوحدة المسيح الطبيعية وكان مركيان القيصر المحامى عن مجمع خلكيدون قد مات وتولى عوضا عنه لاون الشراكى . فانتهز الاساقفة تلك الفرصة وأسرعوا فى تنصيب تيموثاوس على كرسى البطريركية فى بابه سنة ١٩٥ ش و ٤٥٧ م فى عهد ذلك القيصر وهذا البابا قال عنه يوحنا النيقاوى المؤرخ « انه عاش عيشة صالحة بينما كان راهبا فى دير القلمون بمديرية الفيوم الى أن تعين قسا فى كنيسة الاسكندرية ثم خلف ديوسقوروس بعد وفاته وهو مثال التقوى والدين »

وكان والى الاسكندرية متغيبا عنها اثناء أنتخاب هذا البطريرك فساءه اجراء الانتخاب بدون اذنه وشرع فى نفيه من الاسكندرية لولا ما عرفه فى الشعب من احترام رؤسائه الارثوذكسيين . أما البابا تيموثاوس فاستمر مجاهدا ضد أنصار المجمع الخلكيدونى الذين هددوا سلامة الكنيسة فحرم جميع الكهنة الذين تبعوا بروتيريوس وأصروا على التمسك بمبادئه وعقد مجمعا حكم فيه بحرم

المجمع الخلكيدوني ورسالة لاون وتبرأ من كل شركة مع كنائس رومية وانطاكية والقسطنطينية التي كانت في بدء الامر ارثوذكسية ولكنها انحازت فيما بعد للخلكيدونيين بتأثير القيصر وامرأته

فرفع أولئك الكهنة المحرومون وعددهم ١٤ من مائة أسقف أو أكثر شكواهم الى القيصر والى بطريرك القسطنطينية . وأرسل أيضا البابا تيموثاوس وفدا من الاساقفة والقسوس بكتاب الى القيصر وعضد هذا الوفد جماعة قوية الشوكة ظهرت في القسطنطينية لمقاومة المجمع الخلكيدونى وابطال قراراته . ومع ان القيصر كان من أنصار مجمع خلكيدون ولكنه لم ير بدا من الامر بطلب جميع رؤساء الديانة في المملكة بأسرها لعقد مجمع عام تفحص فيه أعمال مجمع خلكيدون عما اذا كانت صحيحة أو باطلة و يقول المؤرخون ان معظم الاساقفة أضطروا أن يراعوا خاطر القيصر و يؤيدوا معتقده فأقروا بصحة قرارات مجمع خلكيدون الا أسقفين فقط أشتركا مع تيموثاوس البابا الاسكندرى في أعتبارها باطلة .

ومع ذلك لم يجسر القيصر أن يمد يده بسوء الى البطريرك الاسكندرى خوفا من هياج المصريين عليه . وكادت الأمور تهدأ لولا أن أسقف رومية استمر في طغيانه وأقنع الامبراطور بضرورة نفي بابا الاسكندرية . فصدر الأمر لوالى الاسكندرية بذلك فأسرع هذا بسرور ونفى تيموثاوس وأخاه أناطوليوس الى غاغرا سنة ٤٦٠ م .

و بعد نفي هذا البابا انتخب الملكيون (١) رجلا يدعى تيموثاوس كان يلقب « صاحب القلنسوة البيضاء » قيل أنه كان ذا صفات حسنة أستمال بها قلوب الشعب اليه مع أنهم كانوا يعتبرونه دخيلا ولكنه كان يذكر في القداس أسم البابا ديوسقوروس الامر الذى أساء أسقف رومية والامبراطور وسر منه الارثوذكسيون الذين كانوا يقابلونه بالتحية قائلين « أننا وان لم نقر على انتخابك فاننا نحبك للغاية » وقيل أنه لما رجع تيموثاوس الارثوذكسى من النفى الى كرسيه مرة ثانية رجع تيموثاوس الملكى الى ديره بدون أن يقاوم أقل مقاومة .

واستمر البابا تيموثاوس الارثوذكسى منفيا مدة سبع سنوات حتى آل الملك الى باسيليكوس الارثوذكسى فالتمس منه قويمو الرأى أن يعيد بطريركهم من منفاه فأمر بعودته ورجع البابا تيموثاوس الى مقره وحال وصوله الى الاسكندرية عقد مجمعا سنة ٤٦٨ م بلغ عدد أعضائه ٥٠٠ من الاساقفة حكم فيه ثانية برفض مجمع خلكيدون وأقر على التعليم بوحدة المسيح الطبيعية ورفع قراره الى القيصر فقبل القرار وأصدر منشورا ضد المجمع الخلكيدونى ورسالة لاون قبلته كل

(١) سمى انصار مجمع خلكيدون بالملكيين لانهم كانوا على رأى الملك او الامبراطور الرومانى فى الديانة لان جل الملوك الرومانيين بعد هذا التاريخ كانوا من أقوى انصار الخليكدونيين ومن اشد اعداء الارثوذكسيين . ودعى الارثوذكسيون بالمتأصلين أى الذين لم يغيروا معتقدهم .

الكنائس الرسولية وصار مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الاولى فى المملكة عموما . وأستمر البابا تيموثاوس فى جهاده حتى توفى فى ٧ مسرى سنة ٢١٨ ش و ٤٧٧ م .

(٤) بطرس ٣ — البطريرك السابع والعشرون و يلقب « ببطرس منغوس » كان قبل رسامته قسا وربما كان تلميذا للبابا ديوسقوروس وكان صديقا لسلفه البابا تيموثاوس أقيم بطريركا فى توت سنة ٢١٩ ش و٤٧٧ م فى عهد زينون قيصر . ولم يكد يعتلى الكرسى البطريركى حتى عقد مجمعا بالاسكندرية حرم فيه مجمع خلكيدون ورسالة لاون . وكان القيصر الارثوذكسى باسيليكوس قد نزل عن الكرسى ورجع اليه زينون الخلكيدونى وكان هذا مغتاظا على البابا بطرس لانه عين بطريركا بدون تصريح منه فاتخذ عقده لهذا المجمع وسيلة لاضطهاده فأمر بنفيه ورجوع تيموثاوس صاحب القلنسوة البيضاء الا ان البابا بطرس لم يفارق الاسكندرية بل لبث مختفيا فيها مدة خمس سنوات .

ومنعا للقلاقل فكر تيموثاوس هذا أن يعين قاعدة يجرى بموجبها انتخاب البطاركة بالأسكندرية فتألف وفد يرأسه رجل يدعى يوحنا التلاوى (نسبة الى تلامنوفية) وسار لمقابلة القيصر يرجوه أن يترك الحرية للاقباط فى أنتخاب بطاركتهم . فظن القيصر ان يوحنا رئيس الوفد يسعى فى الحصول على البطريركية ضد رغبته فحلف يوحنا امامه بانه لا يبغى ذلك ولهذا أجاب القيصر طلب الوفد . غير أنه بعد موت تيموثاوس سنة ٤٨٢ م رشح يوحنا نفسه لمركز البطريركية وأرسل يعلن جميع الأساقفة بانتخابه . وممن أخطرهم بذلك أسقف رومية والقيصر و بطريرك القسطنطينية . فوصلت رسالة أسقف رومية فى ميعادها وتأخرت رسالة القيصر و بطريرك القسطنطينية . فحقد القيصر عليه لمكاتبته أسقف رومية قبله وتذكر وعده بعدم قبول البطريركية . فارسل القيصر الى اسقف رومية يعلمه بانه غير راض على انتخاب يوحنا لبطريركية الاسكندرية لأن ذلك يدعو الى ازدياد الاضطرابات وأنه عازم على اعادة بطرس بطريركها الحقيقى . وكان أسقف رومية قد أنتفخ بالرسالة التى ارسلها اليه يوحنا وتوهم ان له حق الرئاسة فى انتخاب باباوات الاسكندرية ولذلك جاوب القيصر بأنه راض عن يوحنا لابطرس فاستخف القيصر بأوهامه الفارغة وطرح خطابه فى سلة المهملات وأمر بنفى يوحنا و برد البابا بطرس من منفاه . أما يوحنا فلم يرجع الى مصر بعد نفيه مع أنه رفع دعواه الى اناستاسيوس خليفة زينون لوجود معرفة قديمة العهد بينهما ظنها تنفعه ولكن القيصر أعرض عنه واكتفى بتعيينه اسقفا فى احدى الابروشيات .

و بعد رجوع البابا بطرس من منفاه تلقى رسالة من أكاكيوس بطريرك القسطنطينية يرجوه فيها أن يقبله فى امانته . وكان اكاكيوس من انصار مجمع خلكيدون ولكنه ندم فيما بعد واراد ان ينضم للارثوذكسيين وذلك انه بينما كان البابا بطرس هاربا من امام الخلكيدونيين ومعه الانجيل المقدس قابله الشماس يوليانوس الاسكندرى الذى كان بالقسطنطينية وقال له : —

« انى لما كنت فى القسطنطينية أرسل الى اكاكيوس شماسا يدعونى الى المكان الذى كان يبيت فيه فلما سرت اليه قال لى أيها الشماس يوليانوس هل انت مزمع ان تشترك معى فى الصلاة أم لا فاجبته قائلا لا . لان ذلك من المستحيل فانه لا توجد هنا الارثوذكسية يعنى لا تصل . ثم أمرنى أن أجلس وكنا كلانا منفردين فى ذلك المكان ولما حمل الانجيل قال لى هكذا أنطلق الى الاسكندرية وفتش على الانبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك انا الان بقولى وحق الكتب المقدسة أنى أرغب من كل نفسى أن اتوب واطرح عنى هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة فانى بينما كان المغبوط تيموثاوس موجودا فى هذه المدينة بمنزل (باسيليكوس) أرسلت نحوه شماسى (كريزاريون) وبيده كتابى المخطوط بيدى وفيه تبت وحرمت مجمع خلكيدون وطومس لاون والاوطاخيين وكل هرطقة غير ان ثيوكتيستيس الوالى المعتنق مذهل أوطاخى المعترف بتعليم باطل لما وجد الشماس فى الساحة أخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد انى قد حرمت فيه أوطاخى فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب ولم يكن ليعلم بذلك تيموثاوس المغبوط لانه كان ساكنا فى الدور الاعلى . وقد كنت ظننت ان الشماس طرد بايعاز الطوبانى تيموثاوس وبما ان الحزن أستولى على بسبب ضرب شماسى لبثت لا أبدى أدنى حركة خائفا على تكدير سلام تلك الايام وحيث أنى الان أخشى أن تدركنى ساعة الموت ويحل بى قضاء الله أطلب وانا مستعد ان أفعل كل ما يريح فؤادك وانى لمتندم وتائب وحارم لكل هرطقة » (١) .

ثم طلب البطريرك أكاكيوس من الشماس يوليانوس المذكور ان يحمل اليه رسالة للبابا و يتوسط عنده ليقبله ومن ثم تبادلت بين البابا بطرس واكاكيوس جملة رسائل حتى تحقق البطريرك الاسكندرى صدق توبة البطريرك القسطنطينى واتفقا معا على الإتحاد ووعد اكاكيوس باقناع الملك برفض مجمع خلكيدون وأرسل البابا بطرس بعض شيوخ الرهبان الاتقياء الى القسطنطينية ليحضروا المجمع الذى عقد فيها سنة ٤٨١ م لاجراء مراسيم الاتحاد ووضع مندو بو الكنيسة منشورا مشهورا باسم « هيوتيكون » أى « كتاب الاتحاد » وحكم فيه على تعاليم أريوس ونسطور واوطاخى معا واثبتت بنود كيرلس وأيدت مجامع نيقية والقسطنطينية وافسس ورفض طومس لاون ومجمع خلكيدون . ورفع المنشور الى الملك فصادق عليه وامر بتنفيذه وأرسل الى جميع الاساقفة والقسوس والرهبان والعلمانيين فى الأسكندرية ومصر وليبية والخمس المدن الغربية .

ثم تبادلت رسائل أخرى فى أمر هذا المنشور بين البابا بطرس وأكاكيوس حتى أتفقا علية وبناء على ذلك قبل رؤساء الطبيعة الواحدة التوقيع على « كتاب الاتحاد » فامضاها البابا بطرس منغوس بطريرك الاسكندرية وبطرس القصار اسقف أنطاكية . وأمضى عليها من رؤساء أنصار مجمع خلكيدون اكاكيوس أسقف القسطنطينية وكاد المشروع يتم لولا ان بعض اساقفة مصر ومنهم

(١) حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك ج ١ : ١٦١

يعقوب اسقف صا وميناً أسقف منية طامة لما شعروا بأن بطريركهم أتحد مع اكاكيوس بطريرك القسطنطينية الذى كان معروفا عندهم بالتخرب لمجمع خلكيدون ولطومس لاون ظنوا ان بطريركهم بقبوله التوقيع على « كتاب الاتحاد » وافق أنصار مجمع خلكيدون وطومس لاون فانفصلوا عن شركته غير ان البطريرك تلافى الخطر وأرسل فاستدعى الى الاسكندرية جميع الاساقفة وعقد مجمعا أطلعهم فيه على ما دار بينه و بين بطريرك القسطنطينية من الرسائل وقرأ لهم « كتاب الاتحاد » فاقتنع جيعهم سوى بعض المتحزبين الذين لبثوا مصرين على عنادهم وأطلق عليهم لقب (الاسيفايين) « أ . الذين بلا رأس » لانهم حرموا من رأسهم أو قائدهم .

ثم ان أسقف رومية الذى كان مبدأه ومبدأ اسلافه وخلفائه أن يزيدوا الشقاق أستحكاما فى الكنيسة المصرية وأن يوجدوا شقاقا آخر بين كنائس الشرق والغرب جريا وراء مآربهم الشخصية فلهذا قاوم مشروع الاتحاد لا لسبب الا لانه لم يخرج من تحت يد جنابه . كما ان بعض المتحزبين من انصار مجمع خلكيدون كتبوا رسالة لاكاكيوس يلومونه فيها على اشتراكه مع منغوس فلم يكترث أكاكيوس لكتاباتهم بل أقنع كثيرين منهم على موافقة كتاب الاتحاد و بعضهم لم يوافق وأرسل واحد منهم يدعى كيرلس وهو رئيس دير الذين لا ينامون الى أسقف رومية يستنجد به فارسل اسقف رومية لسفيره بالقسطنطينية ان لا يعملا شيئا بلا اتفاق مع كيرلس . وعوضا عن ان يخاطب رؤساء الديانة فى الامر كتب للقيصر طالبا نفى منغوس واعادة يوحنا التلاوى وسحب كتاب الاتحاد وأرسال أكاكيوس الى رومية ليعتذر عن نفسه . فرد عليه القيصر بان يوحنا نفى لحنثه فى القسم وان منغوس صحيح الايمان واستاء اككيوس من كتابات اسقف رومية التى تدل على كبرياء متناهية واصر على الاشتراك مع البابا بطرس . فعقد اسقف رومية مجمعا حرم فيه البابا بطرس واكاكيوس . ولما بلغهما الخبر عقد كل منهما فى عاصمة بطريركيته مجمعا حرم فيه أعمال مجمع خلكيدون ورسالة لاون .

ثم توفى اكاكيوس وجاء بعده افراو يطاوس ولم تطل حياته فخلفه اوفيميوس فأرسل اليه البابا بطرس خطابا عن رسائل سلفه افراو يطاس يحرم فيه المجمع الرابع وكان اوفيميوس هذا على المذهب الملكيين فقطع العلاقات الارثوذكسية مع البابا بطرس . والذين اتحدوا مع باباوات الاسكندرية جهارا من بطاركة القسطنطينية هم افراو يطاوس سنة ٤٩٦ م وتيموثاوس ١ سنة ٥١١ م وانتيموس سنة ٥٣٥ م وسرجيوس سنة ٦٠٨ م و بيروس سنة ٦٣٩ م و بولس سنة ٦٤٣ م و بطرس سنة ٦٥٢ م وتوما سنة ٦٥٦ م وثيوذوروس سنة ٦٦٦ م و يوحنا سنة ٧١٢ م . واستمر هذا البابا على كرسيه مدة ثمان سنوات وثلاثة أشهر ثم لحق بآبائه فى ٢ هاتور سنة ٢٢٥ ش وأكتوبر سنة ٤٩٠ م .

(٥) **اثناسيوس ٢** — البطريرك الثامن والعشرون . ولما تنيح البابا بطرس قدم للكرسى الاسكندرى اثناسيوس فى شهر كيهك سنة ٢٢٥ ش و ٤٩٠ م فى عهد زينون قيصر انتخبه الشعب

والاكليروس باجماع الآراء وكان كاهنا فى بيعة الاسكندرية ووكيلا لكنائسها مشهورا بصلاحه واستقامة ايمانه . و يلقب بالصغير تمييزا له من البابا اثناسيوس الرسولى الملقب « بالكبير» . ولم يكن فى أيام هذا البطريرك فى الاسكندرية آخر سواه وخضعت ابروشيات القطر المصرى باجمعها له وذلك لان الكنائس الرسولية باجمعها رفضت اعتبار مجمع خلكيدون وحرمت رسالة لاون

وقد صرف هذا البطريرك همته مشتركا مع القيصر اناستاسيوس فى اعادة السلام الى الشرق عموما ومصر خصوصا . وكانت رغبة القيصر ان لا تقوم المنافسات الدينية مرة أخرى بل ينبغى ان تترك الحرية لكل انسان فى اختيار أى مذهب أو دين يعتقد به . ولما رأى بعض الاساقفة ميالين للبحث والجدال عزم على تغييرهم كى لا يكدروا صفو جو الكنيسة مرة أخرى . و بذلك ساد روح السلام على الكنائس بأسرها الا الكنيسة الكاثوليكية التى لم يكف رؤساؤها المحترمون عن معاكسة كل من لا يوافقهم على اعتبار مجمع خلكيدون . وما أحسن قول بعضهم فى ذلك « انهم (اساقفة رومية) لم يكفهم مقاومة الأحياء بل كانوا يجتهدون فى معاكسة أناس انتقلوا الى الدار الأخرى فكانوا يطلبون بالحاح شطب اسم ديوسقوروس بابا الاسكندرية واكاكيوس بطريرك القسطنطينية من بين اسماء الاساقفة . بينما كان هذان فى دار لا رئيس فيها الا الله وحده والتى يقول كل مسيحى حقيقى انه لا يحب البقاء فيها اذا صح ان حضرات اساقفة رومية وكلاء بطرس هم المفوضون فيها » أهـ

ولم يظهر من الارثوذكسيين الذين اتحدوا مع الكنيسة القبطية أقل تحزب حتى انه لما توفى اكاكيوس بطريرك القسطنطينية وخلفه افراو يطاوس نسج على منواله متبعا « كتاب الاتحاد » رافضا مجمع خلكيدون . غير ان اوفيميوس الذى خلف افراو يطاوس كما سبق طرد الارثوذكسيين فغضب عليه القيصر وعقد مجمعا حكم عليه فيه بالنفى وأقام بدله مكدونيوس

واقام البابا اثناسيوس الثانى على الكرسى المرقسى نحو سبع سنين كانت كلها خالية من الاضطراب وكانت الكنيسة سالمة من كل اضطهاد وتوفى فى ٢٠ توت سنة ٢٢٩ ش و ٤٩٧ م

(٦) **يوحنا ١** — البطريرك التاسع والعشرون . كان يلقب « بالراهب » رسم بطريركا فى باؤونه سنة ٢٩٩ ش و ٤٩٧ م فى عهد لاون قيصر لاشتهاره بالحكمة والتعقل اللذين عرف بهما سلفه . فسلك مسلك من تقدمه من الآباء القديسين وكانت البيعة والشعب فى ايامه فى أمن وسلام .

ولما توفى زينون وقام مكانه اناستاسيوس البار رأى ان مكدونيوس بطريرك القسطنطينية قد قطع العلاقة مع الكنيسة الاسكندرية واثبت أعمال مجمع خلكيدون وأخذ يكاتب اسقف رومية فأخذ القيصر يقنع مكدونيوس بان يحرم المجمع الرابع فأبى . ولذلك عقد القيصر مجمعا بالقسطنطينية سنة ٥١١ م حكم فيه بانزاله عن كرسيه ونفيه وأقيم عوضا عنه رجل فاضل يدعى تيموثاوس وحال

ارتقائه عقد مجمعا أيد فيه الامانة الارثوذكسية وحرم مكدونيوس وارسل اليه الحرم مع سفارة و كان الخلكيدونيون يرفضون التسبيحات الثلاثة وهى « قدوس الله قدوس القوى الخ . . » لان بها القول « يا من صليت عنا » وكان مكدونيوس قد أبطلها من كنيسة القسطنطينية فاعاد القيصر ترتيلها ثم حرم المجمع الخلكيدونى وعقد وفاقا مع يوحنا بابا الاسكندرية وساويرس بطريرك انطاكية الذى خلف بطرس القصار.

واستمرت البلاد المصرية فى عهد البابا يوحنا فى أمن وطمأنينة دون كل المملكة الرومانية التى كانت فى قلاقل مستمرة . و يلاحظ ان القلاقل لم تكن لتنشأ فى مصر لولا تداخل اسقف رومية فى شؤونها فكانت وظيفته كوظيفة من يحرك النار اذا هدأت لكى يزداد اضطرامها . وفى هذا الوقت كانت يد هذا المدعى أقصر من ان تمتد الى الكنيسة المصرية فساد فيها روح السلام . بغير انها تكدرت أخيرا بسبب داء عياء أصاب كثيرين من الأهالى . ثم تنيح البابا يوحنا فى الرابع من بشنس ٢٣٤ و ٥٠٧ م بعد ان أقام على الكرسى نحو تسع سنوات

* * *

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة

(١) شنوده (٢) ايسيذوروس (٣) مكاريوس

(١) شنوده . ولد هذا الانبا (١) ببلدة شندويل (٢) من ابوين مثريين كانا يمتلكان قطعانا كثيرة من الاغنام وكان شنوده يرافق الرعاة الى المراعى ونبتت فى قلبه وهو فى سن الحداثة بذور التقوى فكان يصرف وقته فى الحقل فى الصلاة والعبادة والصوم و يترك طعامه للرعاة

ولما اخبر الرعاة والده بذلك أخذه الى دير بالصحراء قرب سوهاج كان الرئيس فيه الانبا بيجول وطلب منه ان يضع يده عليه ليباركه فقال له الانبا بيجول « باركنى انت لانك ستصير ابا لجماعة كثيرة »

(١) انبا كلمة دخلية على اللغة العربية ومعناها سيد و باضافة الالف واللام اليها هكذا الانبا يعنى السيد .

(٢) بجوار اخميم بمديرية جرجا .

ونشأ شنوده نشأة صالحة واعتنى خاله بتربيته تربية حسنة ومن معاشرته للرهبان الاتقياء اقتبس عنهم كل الفضائل وفاقهم في الزهد وصار راهبا صالحا استحق ان يتقلد رئاسة الرهبان بعد خاله فجعل يشتغل بهمة عالية فنظم ادارة الدير ووسع نطاقه و بلغ عدد الرهبان في عهده ٢٢٠٠ بالدير الابيض و ١٨٠٠ بالدير الاحمر (١) واكسبه جهاده الحسن نفوذا ساميا ليس على الرهبان فقط بل على جميع البلاد المجاورة لذلك الدير وكان يأتي اليه أكابر الامة ليستشيروه في امورهم المهمة فكان يكشف لهم ما خفي من اسرارهم حتى اعتبروه كأحد الانبياء العظام الذين يخاطبون الله رأسا

وحدث مرة ان قائدا كان سائرا للقتال فمر في طريقه على دير الانبا شنوده ليأخذ رأيه في الحرب وكان الانبا شنوده قد اعتزل في مكان بعيد للعبادة واوصى الرهبان بمنع كل زائر يقطع عليه اختلائه مع الله . فلما جاء القائد اخبره الرهبان بالامر ولكنه صمم على ان لا يبرح الدير الا اذا قابله وضرب بعساكره حول الدير واستمر الرهبان يقدمون الطعام للجنود حتى ملوا فاوفدوا للانبا شنوده كاتبا كان له دالة عليه ليدعوه للقائد و ينقذهم من هذه النفقات . فلما علم الانبا شنوده بالامر قام لمقابلة القائد وقضى معه وقتا ثم طلب منه القائد ان يهبه احدى حياصاته (احزمته) ليتمنطق بها وقت الحرب فأعطاه احداها . قيل انه لما حمي وطيس الحرب لبس ذلك القائد الحياصة فهزم اعداءه هزيمة تامة

وكان الانبا شنوده شديد الغيرة على الديانة المسيحية فذات يوم اتاه بعض الكرامين الاقباط طالبين منه ان ينصفهم من سيدهم الوثني الذي لم يدفع لهم اجورهم بحجة ان الكروم لم تثمر جيدا . فسار الانبا شنوده الى ذلك الوثني برهط من رهبانه والزمه بدفع حقوق المسيحيين فدفعها مكرها وحدث ايضا ان رجلا يدعى بطرس جاءه طالبا بركته فوبخه توبيخا شديدا لانه كان متزوجا بابنة اخته . فقال له الرجل ان للفتاة ارثا لم يرد ان يزوجها لاجنبي خوفا عليه . فعنفه القديس شنوده وقال له «ألم تقرأ ما ورد في الانجيل» «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» ؟ فلما سمع الرجل ذلك بكى وطلب من الاب ان يرشده الى طريق الخلاص فأرشده وقام الرجل واحضر ٥٠٠ قطعة من الذهب وقدمها للقديس ليوزعها على الفقراء تكفيرا عن خطيئته . فأبى الانبا شنوده ان يمسكها بيده وأمره أن يبحث عن شخص امين ينفذ له غرضه . فسار الرجل حتى وصل الى انبا بولس رئيس دير بوش وسلمه المبلغ وعاد الى امرأته وكشف لها ما جرى ثم وهبها املاكها واملاكه وطلقها ورجع الى دير الانبا شنوده وقضى بقية حياته راهبا

ولما تولى البابا كيرلس الاول الكرسي البطريركي رأى في الانبا شنوده رجلا فصيحا

(١) الدير الابيض و يسمى دير الانبا شنوده وبجواره الدير الاحمر أو دير الانبا بيشوى . وهما قائمان للآن غربي سوهاج .

غيورا على كنيسته القبطية وتعاليمها الارثوذكسية فكان يهتدى برأيه فى كثير من المسائل العويصة . وفى سنة ٤٣١ م استصحبه البابا كيرلس هو والقديس بقطر السوهاجى الى مجمع افنسس المسكونى الثالث فاظهر الانبا شنوده كفاءة علمية كبرى فى دحص بدعة نسطور المنافق (١) وقيل ان انبا شنوده دخل مرة الغرفة التى كان الاساقفة يتحاورون فيها وكان فى وسطها كرسى وضع عليه الانجيل المقدس . فجاء نسطور ورفع الانجيل عن الكرسى وجلس عليه . فاحتدم الانبا شنوده غيظا من هذا التصرف المعيب وتقدم الى نسطور وصفعه على وجهه قائلا « لماذا تحب ان تكرم نفسك أكثر من كتاب الله ؟ » فسأل نسطور عنه فقيل له انه احد رهبان مصر فاحتج هو وأنصاره على السماح لراهب بالدخول فى مجمع الاساقفة ثم سأل القديس قاصدا الاستهزاء به من أنت ؟ فاجابه الانبا شنوده بقوة عارضته قائلا « ألا تعلم من انا . انا رجل ارسله الله ليزيح النقاب عن شرورك و يطلب لك القصاص على خطاياك وغرورك » فحالما سمع نسطور هذه الكلمات خر على الارض كمن اصابه صرع . قيل ان البابا كيرلس فى تلك الآونة رقى الانبا شنوده الى الدرجة الكهنوتية التى تخول له الحضور فى مجمع الاساقفة

و بعد انتهاء المجمع عاد الانبا شنوده الى رهبانه . وفيما بعد اذ علم ان هناك من يحاولون العبث بالتعليم « بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة » ذلك التعليم الارثوذكسى الذى اجمعت عليه الكنيسة منذ تأسيسها وثب وثبة الاسد و باشتراكه مع القديس ديوسقوروس البابا الاسكندرى حارب أولئك المعتدين وكان يقضى عليهم وعلى ما يحاولون لو لم تحل دون ذلك منيته حيث رقد بالرب فى ٧ ابيب سنة ١٦٨ ش

وللانبا شنوده مواعظ بليغة ومؤلفات نفيسة وضعها باللغة القبطية و بقيت محفوظة بالدير الابيض حتى عثر على بعضها المستر ماسبرو وعلى البعض الآخر المستر زويجا فالمسيو ميلينو الذى نشرها بالفرنسية سنة ١٨٨٩ م

(٢) **ايسوذوروس الفرمى** . ولد فى مدينة الاسكندرية سنة ٣٧٠ م من عائلة شريفة نظرا الى التقوى والغنى وكانت بينه و بين البابوين ثاوفيلس وكيرلس صلة قرابة . وقد تربى من حداثته تربية حسنة فنشأ عالما بأصول الدين و باقى العلوم ولا سيما اللغة اليونانية حتى انه اعتبر احد آباء الكنيسة الجامعة وأحد علماء عصره

---

(١) لم نجد بين اسماء القديسين المصريين الذين تعتبرهم الكنيسة الكاثوليكية اسم الانبا شنوده وذلك لمقاومته انصار الطبيعتين وفاتهم انهم باسقاط هذا القديس من بين القديسين قد ناقضوا البابا كيرلس الكبير عماد الارثوذكسية المعتبر عندهم عمودا للدين الذى قرر ان انبا شنوده لم يكن قديسا فقط بل قديسا ونبيا أيضا (الاجرومية القبطية لمالون الجزويت ص ٣ و ٤)

ولكن فضله ظهر واضحا عند ما طرح مجد العالم خلفه وازدرى بملذاته وآثر عيشة الوحدة والزهد فاحسن بكل ما يملك على الفقراء والمساكين وهرب ليلا وانفرد يعيش سائحا مع بعض النساك فى جبل صغير قريب من مدينة بيلوسيوس المدعوة الآن فرموس (١) ولذلك دعى باليونانى و باقى اللغات الغربية ايسوذوروس بيلوسيوطا و بالعربى ايسوذوروس الفرمى

وصرف هذا البابا جملة سنين مواظبا على العبادة وكان محبا للصمت ميالا للانفراد للصلاة والتأمل مع الله واظهر قساوة شديدة على جسده فأذله بالتقشفات الشاقة والاصوام الزائدة . وفيما بعد رأى نفسه مدعوا الى الانذار بالتعاليم المستقيمة والمجاهدة عن الحقائق الدينية والآداب فقام بذلك دون ان يخشى عظماء العالم . وعقب اقتباله درجة الكهنوت شرع فى وضع رسائل عديدة ومتباينة المواضيع ووجه كل خطاب منها الى كل شخص ذى دعوة أو رتبة أو وظيفة خصوصية من كل سن وجنس ورتبة حتى أنه اتصل الى ازمنتنا هذه من رسائله ما يتجاوز الالفين . وفحوى رسائله يدل بالاخص على الروح المسيحية التى كانت تملأ قلبه وتبرهن على تعمقه فى معرفة الكتب المقدسة فكان بارعا فى تشويق الناس الى الفضيلة وتكريههم فى الرذيلة و بليغا فى معرفة تواريخ البيعة والقوانين والتهذيبات الكنسية المختصة بكل ذى وظيفة منها . وكانت رسائله تقابل من الجميع بثناء زائد حتى ان بعض المؤرخين يقول انها لم تكن أقل اعتبارا من أنفاس القديس يوحنا فم الذهب نظرا الى الغيرة على استئصال الرزائل والعوائد الرديئة وتهذيبها بموجب تعليم الانجيل

وكان القديس قد طالع ما كتبه القديس يوحنا فم الذهب بكلف زائد وتشبع من روحه لاسيما من كتابه المدعو « واجبات الكهنوت » واقتفى أثره ونسج على منواله حتى انه استحق ان يدعى تلميذا خصوصيا له . وكان اعتباره القلبى لفم الذهب شديدا بهذا المقدار حتى انه لم يكتف بان يسلك بموجب تعليمه فقط ولكنه كان يدافع عنه بجرأة أمام قريبه البابا ثاوفيلس البطريرك الاسكندرى . وهذه المدافعة هيجت عليه اعداء القديس فم الذهب فأتهموه معه بتهم كثيرة تحمل بسببها اضطهادات قاسية . وهكذا بعد وفاة البابا ثاوفيلس بذل مجهوده لدى خليفته وابن اخته البابا كيرلس ليوضح له سمو فضل القديس يوحنا وحمله على ان يضع اسمه بين اسماء القديسين وكان للبابا كيرلس فى محاربته للنسطوريين النصير الشديد

ومما حرره هذا القديس فيما يختص بواجب ذوى الرتب الكهنوتية أمام الاهانات التى تصادفهم قوله : « اننا نخطىء على حد سواء حينما ننتقم لانفسنا بأخذ الثأر عن الاهانات الصادرة فى حقنا وحينما لا ننتقم عن الاهانات الصادرة فى حق الله . فيجب علينا اذا ان نحتمل بدعة وصبر الاهانة حينما تلحق باشخاصنا فقط وان نستعمل الحنو والتساهل فى غفرانها . واما حينما تلحق

(١) بيلوسيوس باقليم الوجه البحرى وكانت أقوى حصن حربى على حدود مصر من الشمال الغربى .

الاهانة بالعزة الالهية فوقتئذ يكون عدلا و واجبا ان نتصف بالغيرة وان نظهر الغيظ المقدس والغضب المؤسس على حب الله من اننا نحتمل ذلك بجبانة ونخشى بدناءة اغاظة غيرنا ولكن نحن نصنع ما يضاد هذا الأمر على خط مستقيم . أى اننا نتقد غضبا ونشتعل بنار الغيرة ضد اعدائنا فيما يصادفنا واما فيما يخص الله وكنيسته فنحن فاترون متغاضون خالون من كل حرارة . فوسى الاكثر حلما ودعة من جميع الناس قد احتمى غضبا ضد الشعب الاسرائيلى حينما صنعوا العجل الذهبى ليسجدوا له . وفى هذا الحادث ظهر غضبه أكثر قداسة من أى تنازل وحلم ودعة كانت . وايليا تسلح بالغيرة المتقدة ضد عابدى الاصنام . والقديس يوحنا المعمدان ضد هيرودس الملك . والقديس بولس الرسول ضد عليم الساحر. فهؤلاء القديسون انتقموا من الاهانة المتصلة بالله فى الوقت عينه الذى فيه كانوا يتغاضون عن الاهانات التى تتصل باشخاصهم . فأى نعم ان الله هو أكثر اقتدارا بما يحد على الانتقام لذاته بعدله الرهيب ولكنه مع ذلك أراد تعالى ان الناس الصالحين يشتركون فى المحاماة عن الحق منتقمين بقدرما هو ممكن لديهم عن الافتراء المصنوع فى حق عزته الالهية . فهذا هو الترتيب الذى كان القديسون يتصرفون بموجبه و به كانوا يحصلون على ثبات فضيلتهم وفلسفتهم الحقيقية » أهـ

وغيرة القديس ايسوذوروس المقرونة بالشجاعة فى تهذيب الآخرين امتدت الى رئيسه اوسابيوس اسقف بيلوسيوس خليفة الانبا آمون فاذ رآه يتصرف تصرفات غير عادلة و ينشىء خطابات بعدم حكمة حتى انه سبب شكوكا كثيرة فى كنائس الاقليم المصرى أخذ يجابهه بالحقيقة و يعلمه بانه شط عن الصواب . وأبلغ من ذلك قيام القديس بتوبيخ حاكم المقاطعة وتأنبيه على المظالم التى كان يرتكبها وعلى عدم مراعاة حقوق الكنيسه

وقد اتت توبيخاته هذه باثمار تامة وكان اسلوبه فى التوبيخ بديعا يتضح من قوله فى احدى رسائله « امر ضرورى هو ان نوبخ البعض بقساوة والبعض بعذوبة وليونه لانه لا يمكن اكتساب الجميع بنوع واحد ولا يستطاع معالجة الامراض كلها وشفاؤها بدواء هو بعينه » أهـ

والمعلوم ان الافاضل الذين أخذوا على انفسهم تقويم المعوج واصلاح الفاسد يكثر اعداؤهم والناقمون عليهم ولا عجب ان وجد كثيرون ينقمون على القديس ايسذوروس و يضطهدونه أما هو فلم يكن يتألم من اضطهاداتهم لانه كان يعلم أنه فى هذا الطريق سار القديسون قبله فكان يتسلح بقوة وصبر وثبات على الاحتمال بدون ضجر. وتمكن أعداؤه من طرده من مكان نسكه وارسلوه الى المنفى فكانت غبطة القديس بما جرى له شديدة حتى أنه خاطب صديقا له فى احدى رسائلة قائلا « انه ان كان من يصنع الواجب عليه و يتمم حسنا التزاماته يقتضى ان يعامل بالردى وان تحيق به الاضطهادات والمصائب وان من يصنع الشر يلزم ان يمدح و يكافأ بالإنعامات فلا شك بأنه يجب على الانسان ان يختار النوع الاول بصنيع الخير دون ان يلتفت مطلقا الى الاضطهاد الذى

يلحق به من جرى ذلك لأننا اذا قطعنا النظر عن المجازاة السماوية عينها التى وعد الله ان يجازى بها الفضيلة ثم عن العقاب المريع نفسه المعد فى جهنم للانتقام عن الرزيلة فالفضيلة وحدها وبذاتها هى اكليل ومكافأة البار. كما ان الشرير يجد قصاصه وعقابه فى الشر والرزيلة ولهذا تجد الفضيلة دائما محبوبة على حد سواء ولو انها اضطهدت بالتهم الباطلة نفسها . والرزيلة هى دائما مستحقة البغضة مهما تشرفت من الناس الضالين » أهـ

وقد شاهد القديس مبتدعين كثيرين وانتشرت فى أيامه هرطقات متعددة ولكن جميعها لم تكن كافية لان تبلبل أفكاره اذا كان يعلم أنه لابد ان تأتى العثرات (مت ١٨ : ٧) و يتأكد ان هذه الامتحانات التى تتلقاها الكنيسة آيلة لنجاحها ولابد ان تنتصر عليها أخيرا

ولما أكمل القديس جهاده رأى فى نفسه اضطراما شديدا للوصول الى مقر الراحة الابدية ولهذا حينما داهمه المرض الاخير تعزى وابتهج وهكذا رقد بالرب بهدوء وسلام فى ٤ شباط سنة ٤٤٥

(٣) مكاريوس اسقف ادكو: (١)

هو أحد مشاهير النساك ومن أبطال الكنيسة القبطية فى هذا القرن الذين دافعوا بكل قوتهم وضحوا حياتهم فى سبيل تأييد اعتقادها الذى حفظته الكنيسة منذ نشأتها سالما وهو ما يختص بوحدة مخلصنا الطبيعية . وكان من حداثته متصفا بالوداعة والتواضع ولما رسم اسقفا لابروشية ادكو كان يصعد على المنبر ليعظ الشعب فيشتد بكاؤه ونشيجه ولما سئل عن سبب بكائه أجاب « انى اشاهد خطايا الشعب كما ينظر الزيت فى الوعاء »

وظهرت غيرته على مجد ابن الله ومحافظته على كرامته فى هذه الحادثة وذلك ان بعض الوثنيين كانوا يختطفون أولاد المسيحيين و يقدمونهم ضحية لاصنامهم فلما سمع القديس هذا الخبر قام الى بلدة الوثنيين المجاورة لمدينة ادكو يصحبة ثلاثة رجال فقط . ولما انتهوا الى الهيكل وشاهدوا ابنيته الشامخة والتفاف الوثنيين حوله كالجراد والاسلحة بأيديهم طار لب الثلاثة الرجال ولا سيما عندما فاجأهم الوثنيون وهم يتقدمون نحو الهيكل وقالوا للقديس « لماذا اتيت الى هنا وما حاجتك عندنا » اما القديس فلم يتطرق اليه وجل بل اجابهم بمثل حماستهم قائلا « لقد جئت لارى ما تفعلونه بأولاد المسيحيين الذين تختطفونهم لتقدموهم ذبيحة لالهتكم الكاذبة . فقالوا له أن هذا الخبر كاذب ومن ابلغك اياه نمام . فأجابهم ان كنتم صادقين فدعونى اتبين الامر بنفسى فى داخل الهيكل

---

(١) وجد بالفاتيكان كتاب قديم بخط اليد يؤخذ منه ان ناسخه تلقى ما فيه من الاقوال عن لسان البابا ديوسقوروس البطريرك الاسكندرى نفسه حينما كان فى منفاه . وهذا الكتاب يحتوى على تاريخ سفرة ديوسقوروس الى مجمع أفسس وماتم فيه . ومن ذلك الكتاب أخذت ترجمة القديس مكاريوس أسقف ادكو. وادكو هذه مركز رشيد بمديرية البحيرة .

فسمحوا له بالدخول ودخل معه رجل واحد ممن كانوا معه نظرا لخوف الاثنين اللذين بقيا خارجا وما تقدم القديس داخل باب الهيكل حتى رأى عشرين رجلا بأسلحتهم متقدمين اليه وهم يهددونه بذنوا اجله وحملوه ليقدم ذبيحة لاحد آلهتهم ولم يؤخرهم سوى ان رئيس كهنتهم هوميرس لم يكن موجودا فاستدعوه وقد انتهز الرجل الذى كان مغلولا مع القديس هذه الفرصة وأسر اليه قائلا : هذا وقت الصلاة فأجابه القديس « لاتخف لابد ان يسوع ينقذنا من هذا الموت المريع » ولم ينته من هذه الكلمة حتى سمع الاثنان على الباب صوت و يصا احد المؤمنين يطلب اطلاق سراحهما فان هذا المؤمن لما علم بانطلاق القديس للهجوم على هيكل الوثنين خشى عليه منهم فجمع عددا غفيرا من المؤمنين وسار الى الهيكل وكسر الباب وخلص القديس وزميله من الموت وهما على حافته . وقيل انه استخدم قوته في حرق جميع الاوثان التى وجدها فى الهيكل وطاف البلدة يحرق كل ما تصل اليه يده منها حتى ان الاهالى اذ رأوا آلهتهم تحرق امامهم دون ان تقوى على انقاذ نفسها أو تؤدى من أهانها اعتمد منهم كثيرون

و بعد ذلك أمر ثيودوسيوس قيصر بعقد مجمع فى أفسس تفحص فيه هرطقة اوطاخى فسار القديس الى الاسكندرية ماشيا على قدميه وفى عزمه ان ينطلق أيضا الى مجمع افسس ماشيا ولما كان القيصر ارسل سفينتين لنقل البابا ديوسقوروس وحاشيته تقدم ربانها الى القديس مكار يوس وبعد ان اوضح له صعوبة السير على الاقدام الى افسس طلب منه ان يشرفه بنزوله فى مركبه فأبى القديس وقال له « لا تحلو لى الراحة فى سبيل خدمة الله بل يطيب لى معها التعب » ولكن ربان السفينة لم يتركه بل استمر يلح عليه و يلتمس منه الركوب معه فقال له القديس « الله يباركك يا ابنى لا تلح فى طلبك أذ لا يمكننى الركوب كما انى لا املك شيئا ادفعه لك كاجر» فقال الربان : اذا كان الاجر هو الذى يمنعك من السفر معى فسافر فى مركب البطر يرك مجانا فابتهج القديس وسر لانه استحق ان يرافق خليفة مارمرقس ولكنه أتخذ له مكانا قصيا من السفينة وجلس فيه . غير ان البابا ديوسقوروس لما علم بوجوده استدعاه اليه وأجلسه فى مكان مناسب ولما كان القديس لا يعرف الا لهجة واحدة من لهجات اللغة القبطية كان المترجم ينقل أقوال كل منهما للاخر

ونظر احد الشمامسة الى القديس بازدراء ودهش كيف يحتفل البطر يرك واساقفته برجل بسيط كهذا ليس له المام بالعلوم واللغات فوبخه البطريرك توبيخا شديدا والزمه بان يطلب منه الصفح والقديس لا يعلم ما جرى ولم يشعر الا والشماس يسجد أمامه فأقامه متحيرا وسأل عن السبب فافهمه اياه البطريرك وطلب للشماس العفو فأجابة « التمس من المولى ان يغفر خطاياك يا ابنى »

ومن ذلك الحين صار القديس موضوع احترام جميع المسافرين فى السفينة ولما وصل الى مجمع افسس قام بخدمات جليلة لبطريركه . وفى مجمع خلكيدون المرذول أظهر غيره كلية وثباتا عجيبا فى المحافظة على ايمان الكنيسة القديمة فحكم عليه بالنفى مع بطريركه ديوسقوروس

ولكنه فيما بعد تخلص من النفى بمساعدة تجار مصريين كانوا قد أنتهوا بسفرهم الى حيث منفى الاباء وجاء معهم متنكرا موفدا من قبل البابا ديوسقوروس لتثبيت المؤمنين . وكان وصوله فى الوقت الذى ارسل فيه مركياتوس قيصر رسولا من طرفه يحمل صورة قرار مجمع خلكيدون ليرغم المصريين على التوقيع عليها فجمع رسول القيصر اكليروس الاسكندرية وعظماءها وأخذ يحضهم على الاعتراف بطبيعتين ويحسن لهم قبول طومس لاون فانتصب الانبا مكاريوس وأخذ بشجاعة فائقة يلقى على مسامع الحاضرين خطبة زيف فيها ذلك الاعتقاد وروى وقائع ذلك المجمع المزور وبرهن على ان اعماله كانت خلافا لكل قانون دينى ومدنى

وحدث ان بروتيريوس الذى اقامه البابا ديوسقوروس وكيلا عنه قبل ذلك المذهب مشترطا رسامته بطريركا فحنق الانبا مكاريوس لرؤيته رجلا يخون من ائتمنه وطفق يوبخه توبيخا عنيفا فاغتاظ منه بروتيريوس ودفعه بقدمه فى بطنه فسقط على الارض وتوفى للحال بالنسبة لشيخوخته وكان البابا ديوسقوروس قد تنبأ له قائلا « أنك تنال الشهادة فى الاسكندرية لاجل دفاعك عن أيمان ابن الله » فتم قوله ونال القديس اكليل الشهادة

(٤) بعض مشاهير:

واشتهر فى هذا القرن ايضا آباء كثيرون بالفضيلة والتقوى منهم الانبا ايسوذوروس تلميذ القديس مكاريوس المصرى والايغومانوس يوحنا استاذ القديس ارسانيوس الرومانى والقس يحنس القصير(١) وأنبا بيشوى والقديس موسى الاسود الحبشى و يضيق بنا المقام عن ذكر تاريخهم وفى كتاب السنكسار عنهم ما يغنى

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(١) اركاديوس واضطهاد مركيان وبولكاريا
(٢) اضطهاد ليو ومساعدة باسيليكوس وزينون المؤمنين

(١) اركاديوس واضطهاد مركيان وبولكاريا :

وملك بعد ثيودسيوس على الشرق ابنه اركاديوس سنة ٣٩٥ م فسار على منهج أبيه وأمر بأن تغلق جميع هياكل الاصنام فى ديار مصر ومنع التدين الا بالدين المسيحى فتأيد هذا الدين وصار

---

(١) ولهذا القديس دير بمركز ملوى باسمه يقال فى بعض الروايات انه لما اضطهد المماليك الاهالى لجأ المسيحيون منهم الى هذا الدير والى قرية الشيخ عباده لاعتقاد المسلمين بانهم مسكونان بالشياطين (تقوم المؤيد لسنة ١٩٠٨ ص ٢٩٤) .

الناس يدخلون فيه أفواجا حتى هجرت هياكل الاصنام فأعطى القيصر بطريرك الاسكندرية تصريحا ليتصرف فيها كما يشاء فهدمت وأقيم مكانها كنائس وضيق اركاديوس على الاريوسيين وأمر بأخذ الكنائس منهم بعد ان حكموها نحو اربعين سنة واسقط من جيشه من كان اريوسيا وطرد من كان في ديوانه وخدمه منهم .

وملك بعد اركاديوس ابنه ثيودوسيوس الصغير سنة ٤٠٨ م وبعد موته خلفته اخته بولكاريا سنة ٤٥٠ م وكانت قد نذرت الرهبنة ثم نكثت العهد وتزوجت برجل متقدم في السن من أكابر المجلس يدعى مركيان ويلاحظ أنه بعد ان ملك ثيودسيوس الكبير سنة ٣٨١ م عمت مصر الديانة المسيحية وزادت العناية بتشييد الكنائس وفتح المدارس وتأسيس الاديرة وايقاف الاطيان والرزق عليها وكانت بولكاريا تحسد رؤساء الكرسي الاسكندري على ما وصلوا اليه من الشهرة والاعتزاز وحصولهم على شرف سام يفوق شرف الملوك وخشيت أمتداد نفوذ بطاركة القبط في القصر الملكي وارتفاع كلمتهم على كلمة الحكام الرومانيين وخافت من استقلال هؤلاء البطاركة ببلادهم وتأكدت ان ذلك في امكانهم لعلمها بان البطريرك الاسكندري يستطيع ان يقيم و يقعد بلاده بكلمة تصدر منه . فعملت على اذلال شرفهم في شخص البابا ديوسقوروس ورأى اسقف رومية ان ذلك من مصلحته ليحل محل البطريرك المصري في السطوة والنفوذ فاتفق معها على تدبير مكيدة لذلك القديس فابتدعوا هرطقة مؤداها ان المسيح طبيعتين ومشيئتين وأرادوا ان يرغموا البابا ديوسقوروس وكنيسته على التسليم بها والا يطرد من مركزه وتضطهد كنيسته وكانت النتيجة أنهم عقدوا ذلك المجمع الشرير بخلكيدون وحكموا فيه بنفيه وكتب مركيانوس الى جميع مملكته يأمر بقتل كل من لا يقول بقول مجمع خلكيدون فاضطهد الكنيسة المصرية أضطهادا عنيفا ومع ذلك لم توافق الملك والملكة على رأيها واستمرت معترفة برئاسة بطريركها عليها وأدى كل ذلك الى تعاظم أسباب الشحناء والبغضاء بين الاقباط الوطنيين و بين الرومانيين المقيمين بمصر وزادت عوامل الجفاء والخصام بينهما خصوصا عندما عينت الملكة بطريركا لمصر غير ديوسقوروس فخضع له الاروام اما الاقباط فأبوا الاعتراف بسلطته عليهم مطلقا ورفضوا جميع قرارات مجمع خلكيدون رفضا باتا وكانوا يعتبرون ان الهزء بأعماله برهان على صدق وطنيتهم واخلاصهم لبلادهم وحبهم لكنيستهم . وسارت الكنيسة الحبشية على عقيدة أمها الكنيسة القبطية وأبت الخضوع لبطاركة بولكاريا ورفضت مطلقا رسامة مطارنتها بيد غير يد بطريرك الاقباط الارثوذكس ولا تزال على هذا الرأى الى يومنا هذا

واستفحل الخلاف بين المصريين والاروام الذين كانوا معضدين من الحكومة . وانتشب القتال مرارا بينهم و بين المصريين فأريقت دماء كثيرين من هؤلاء . ولما أقيم بروتيريوس بطريركا من قبل الحكومة ولم يسلم برئاسته الارثوذكسيون حمل عليهم مندوب الملكة بفرقة من الجند كانت

معه حال اجتماعهم ليلة عيد القيامة للصلاة ففرق شملهم وقتل كثيرين منهم وأستولى على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها للبطريرك الدخيل

(٢) اضطهاد ليو ومساعده باسيليكوس وزينون المؤمنين :

والقيصر ليو الذى جاء بعد بولكاريا سنة ٤٥٧ م كان يميل الى ترك الحرية للمصريين فى ما يختص بدينهم لولا اغراء أسقف رومية اياه على اضطهادهم فشدد عليهم ونفى بطريركهم وسفك دماء ثلاثين الفا من مسيحى الاسكندرية بدعوى أنهم خالفوا رأيه ، وملك بعده باسيليكوس سنة ٤٧٤ م وكان قويم المعتقد فأحسن الى الارثوذكسيين وعقد مجمعا بالقسطنطينية برئاسة البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية الذى أستدعاه من منفاه وحكم فيه برفض أعمال مجمع خلكيدون وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة وقرر حرم نسطور واوطاخى

وجلس بعده على العرش زينون الملك البار سنة ٤٧٧ م وكان فى مبدأ الامر خلكيدونى المذهب فنفى البابا بطرس منغوس من الاسكندرية ولكنه فيما بعد اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة فرد البطريرك من المنفى وعقد بمشورته ومشورة بطرس القصار البطريرك الانطاكى واكاكيوس بطريرك القسطنطينية مجمعا فى هذه المدينة وحكم فيه برفض أعمال المجمع الخلكيدونى فأيد هذا الحكم وأثبته بمرسومه المسمى هينوتيكن « أساس الاتحاد » وكاد ينجح فى لم شعث المتنافرين لولا معارضة أسقف رومية ومقاومته كما هو شأن أساقفة رومية الذين كان من دأبهم أن يوسعوا فرجة الخلاف فى الكنيسة المصرية لاعتقادهم أن صيدهم لا يحلوا الا فى الماء العكر. غير أن معارضة أسقف رومية لزينون لم تعد بفائدة فأعز هذا المتأصلين التابعين للبابا ديوسقوروس ورفع شأنهم وكان يحمل الى ديرابى مقار بوادى هبيب كل سنة ما يحتاج اليه من القمح وغير ذلك

القسم الرابع
البدع والانشقاقات

(١) مجمع أفسس المسكونى الثالث :

انعقد سنة ٤٣١ بأمر ثيودوسيوس قيصر تحت رئاسة البابا كيرلس الاسكندرى حضره مائتا أسقف لمحاكمة نسطور الذى أنكر أن السيدة العذراء والدة الاله وعلم باقنومين فى السيد المسيح فحكم المجمع بحرم هذه البدعة وأثبت ان فى السيد المسيح اقنوما واحدا وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ثم وضعوا مقدمة دستور الايمان التى هى « نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الاله لانك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا . المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب ارحم يارب بارك آمين » ثم أمروا بأن يقرأها كل المسيحيين من الكهنة والشعب شيوخا وصبيانا ورجالا ونساء فى الصلوات والقداسات و بعد أن ثبتوا الكنيسة بالقوانين انصرفوا الى بلادهم

هذا واننا نختم الكلام على هذا المجمع بقسم من القانون الثامن من قوانينه يتعلق فى ادارة الكنائس واستقلالية كل واحدة منها وهو : « لا يجوز لاحد من الاساقفة الوقورين أن يمد يده الى ابروشية غير ابروشيته ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رئاسة أسلافه وان كان أحد وضع يدا واغتصب ابروشية وجعلها فى دائرته فليردها لكى لا تخالف قوانين الآباء ولا يدخل دخان سلطة عالمية تحت برقع الخدمة الكهنوتية ولا نضيع الحرية رويدا رويدا ونحن غافلون . الحرية التى منحها لنا بدمه الخاص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكونى أن تحفظ لكل ابروشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ الابد سالمة صحيحة وفقا للعادة المرعية منذ القديم بأن كل ميتروبليت له الرخصة أن يحصل على المساواة فى الاعمال لصيانته وان برز أحد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكونى المقدس أن يكون ذلك لاغيا » أهـ

(٢) نسطور:

ولد بجرمانيقية المعروفة الآن بمرعش فى سورية وأظهر فى مبدأ أمره غيرة ضد الاريوسيين

والابولينـاريوسيين حتى ارتقى الكرسى القسطنطينى وقال فى خطاب يوم رسامته « سلمنى أيها الملك الارض خالية من الهراطقة فاسلمك السما » ولكنه كان يخفى تحت هذا التظاهر الكاذب كبرياء شديدة وقال بعضهم « أن نسطور حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل الى هرطقته » فانه ما عتم أن جلس على الكرسى حتى أخذ يعلم انه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى أم الله بل والدة المسيح الانسان وقصد بذلك أن يمهد السبيل الى انكار الوهية المسيح الذى قسمه الى شخصين معلما أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط. وصرح مرة فى خطبة قائلا « كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس » وقال أيضا « كيف يكون لله أم فاذا يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأمهات الهتهم فى ملاعبهم وقد كتب الرسول عن لاهوت المسيح انه بلا أب ولا أم ولا ميلاد . ان مريم لم تلد الها بل ما يولد من الجسد ليس الا جسد وما يولد من الروح فهو روح . ان الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت انسانا آلة للاهوت »أهـ

فحالما سمع مؤمنو القسطنطينية هذا الكلام من نسطور قاموا ضده ونادوا بسقوطه ولكنه تشبث بخطائه وأتاه مرة بعض الرهبان يعلنونه عدم مطابقة اعتقاده للايمان القديم فأمر بسجنهم فى الكنيسة وأمر خدامه بنزع ملابسهم وضربهم فصاروا يرفسونهم و يلطمونهم وأوثقوهم بعامود ثم هشموا أكتافهم وطرحوهم على الحضيض وكانوا يضربونهم على بطونهم

ولما انتشرت بدعته قاومها البابا كيرلس كما ذكر وقرر حرمه ونفى الى ديره الاول عله يرعوى عن غيه فلم يقلع عنه بل صار ينفث سمومه برهبان ذلك الدير ولذلك نفى الى أخميم بصعيد مصر وأخيرا مات ذلك الشقى بغوايته وقيل انه لشدة يأسه كسر رأسه

أما أتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة بالرها ثم طردوا منها فلجأوا الى نصيبين وشرطنوا لهم رئيسا أطلقوا عليه لقب « جاثليق » واستمروا يذيعون بدعتهم و يوجد منهم لليوم فريق فى جبل سنجار على حدود العجم وفى ملبار بالهند

(٣) أوطاخى :

كان راهبا مترأسا على دير بالقرب من القسطنطينية به ٣٠٠ راهب وكان قد قاوم نسطور وأساقفته برسالة وشكاه لمجمع أفسس حيث ذهب بشخصه ليشهد على ضلاله ولهذا كان أصدقاء البابا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الايمان . وفى سبيل المدافعة عن مقام المسيح ضد نسطور تطرف فى التعبير عن طبيعته فقال ان طبيعته الناسوتية اندمجت فى اللاهوتية وحرم هذا التعليم فى المجمع الافسسى الثانى سنة ٤٩٤ م الذى ترأسه البابا ديوسقوروس الا أن أوطاخى اعترف بايمان مجمع نيقية فحل من حرمه وقام بنشر مذهبه الآب بارسوما وتلمذه صموئيل بن الارمن سنة ٤٦٠ م

الا أن السوريين تركوا بعدئذ نظام التعليم الاوطاخي بفضل جهاد الآب بطرس القصار البطريرك الانطاكي

(٤) بدعة رهبان سكيتي :

ومؤداها أن الله ذو صورة بشرية وأعضاء جسمية . وقد كان من أنصارها راهب اسمه سرابيون قد بلغ من الكبر عتيا وكان مبجلا معتبرا في ديره ببرية شيهات وهذا كان يعبد الله كأنه انسان بحصر اللفظ . ولبث على اعتقاده هذا مدة من الزمن حتى وقعت بينه و بين رئيس الدير وشماس عالم مباحثه اقتنع منها بأخطائه . وأهل هذه البدعة سلموا بها من سقم فهمهم للكتاب المقدس منها بأخطائه . وأهل هذه البدعة سلموا بها من سقم فهمهم للكتاب المقدس وأخذهم بمعناه الحرفي وتفسيرهم لما جاء فيه عن الله كأن له عين أو أذن أو يمين أو شمال أو وجه الخ تفسيرا حرفيا . ولما اقتنعوا بوجوب تفسير بعض أقوال الكتاب روحيا أقلعوا عن بدعتهم الوخيمة

(٥) بدعة مجمع خلكيدون :

وهو ان للسيد المسيح طبيعتين ومشيئتين وهو اعتقاد القائلين به الى مذهب نسطور المبتدع القائل بشخصين في السيد المسيح . وليس من ينكر ان الكاثوليك يعتقدون ان المسيح اثنان لان اصطلاحهم على القول بأن المسيح اقنوم الهي بحت لا ينفي اعتقادهم بأنه اثنان بعد قولهم أنه كيانان وشيئان وذاتان وطبيعتان بل لا ينفي قول لاون أسقفهم في طومسه المشهور « وحقا يأتي المسيح اثنان (اثنين) الاله والانسان » (١)

أما الذين يخشون من ان التسليم بطبيعة واحدة في السيد المسيح يجرهم الى الاعتقاد بالاختلاط والامتزاج فليسمعوا قول القديس ساويرس الانطاكي « اننا اذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتي اللاهوت والناسوت نقول أيضا ان ذلك يكون بغير امتزاج ولا اختلاط ولافساد بل مع بقائها على ما كانتا عليه فطبيعة الانسان من طبيعتي النفس والبدن وطبيعة الجسم من طبيعتي الهيولي والصورة من غير أن تنقلب النفس بدنا ولا الهيولي صورة و بالعكس » أهـ (٢)

والغريب ان الباباويين الذين ينكرون وحدة المسيح الطبيعية في الوقت نفسه يسلمون بها باعتقادهم ان السيدة العذراء هي أم الله لان اعتقادنا بأن العذراء هي أم الله هو عين الكفر ان لم نسلم بطبيعة واحدة في المسيح وفي ذلك يقول أحد الآباء سائلا المخالفين « هل ولدت مريم الها أم

---

(١) راجع كتاب اعمال مجمع خلكيدون المطبوع بالعربية برومية سنة ١٩٦٤ م .

(٢) مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ١٤٧

انسانا فان قلتم الها ضللتم لان الله لا يولد وان قلتم انسانا كانت أم انسان لا أم اله وذلك تنكرونه وان قلتم ولدت الها وانسانا كانت أم اله وانسان فلها ابنان أحدهما اله والآخر انسان وهذا قول ينقضه العقل و يزيفه فاذا لا يصح الا أن تقولوا ان الاله والانسان صارا واحدا ولذلك مريم ولدت واحدا فالذى ولدته لا الها بالاطلاق ولا انسانا بالاطلاق ولا الها وانسانا بل الها متأنسا وهذا هو الحق » أهـ

وليس من ينكر ان الكنيسة الرومانية قبل الانشقاق و بعده أحيانا كانت تسلم برأى الكنيسة القبطية أى بطبيعة واحدة للسيد المسيح واليكم شهادة صاحب كتاب « تاريخ الانشقاق » وهو أحد كهنة كنيسة الاروام الارثوذكس التى تتفق مع الكنيسة البابا وية لا معنا فى هذه القضية قال فى ج ١ ص ١٩٢ « وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين فى المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس أسقف قبرص فى أواسط القرن الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناد على قول الانجيل « والكلمة صار بشرا » وقول بولس « رب واحد يسوع المسيح » و يعترف بطبيعة واحدة للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم » أهـ

والاسقف الرومانى انوريوس فى سنة ٦٢٥ م دافع عن مشيئة واحدة فى السيد المسيح بشهادة مؤرخى الكاثوليك أنفسهم فقال ليفونسيوس ليكورى أحد الذين يعترفون بقداستهم فى كتابه « تاريخ الهرطقات » ص ١٠٨ ان انوريوس قال « اننا نعتقد مشيئة واحدة فى المسيح لان اللاهوت لم يأخذ خطيئتنا بل طبيعتنا كما خلقت قبل انفسادها بالخطية » أهـ وقال ليفونسيوس أيضا « ان البعض من المؤرخين الكاثوليك استنتجوا من هذا ان انوريوس سقط فى هرطقة المونوطوليتيين » أهـ وشهد بذلك أيضا المعلم لومند اليسوعى مؤلف كتاب « خلاصة تاريخ الكنيسة » ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩

و وافق انوريوس على الاعتقاد بمشيئة واحدة أسقف رومانى آخر وهو يوحنا الرابع سنة ٦٤٠ م كتب للملك قسطنطين الثانى يحامى عن انوريوس يقول « ان البعض كانوا يعتقدون ان فى يسوع المسيح ارادتين متضادتين فلهؤلاء أجاب البابا انوريوس ان يسوع المسيح الاله الكامل والانسان الكامل اذ أتى ليصلح فساد الطبيعة البشرية فحبل به وولد دون خطيئة وكذلك لم تكن مشيئتان متضادتان ومشيئة جسده لم تضاد قط مشيئة روحه » (تاريخ الهرطقات ص ٣٠٩)

وقال ليفونسيوس أيضا تعليقا على ذلك « لا ننكر ان انوريوس أخطا اذ أمر بالصمت على من يقول ان المسيح مشيئة واحدة لانه متى كان الكلام فى ضلال فالامر بالصمت عنه يكون نفس محاماة الضلال وحينما وجد الضلال وجب اشهاره ومصادمته وبهذا قام نقص انوريوس »

(الهرطقات ٣٠٩) أهـ فها قد رأينا ان أعظم قديسى الكنيسة الكاثوليكية يجاهر بخطأ ونقص أحد باباواتها فأين اذا تلك العصمة الموهومة ؟

وجاء في كتاب « الايمان الصحيح في السيد المسيح » ص ١٤٢ الذى ألفه أسقف رومانى خطابا لرؤساء كهنة القبط والحبش والارمن والسريان يستدعيهم به الى الانضمام لرأيه فى الطبيعة والمشيئة ما نصه : « ان الكنيسة الكاثوليكية تطعن بالحرم من لا يعتقد بأن المسيح هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة وان سألت أين يوجد هذا الحرم أجيبك على الفور كما تدون فى المجمع الانرانى المنعقد بأمر القديس مرتينوس البابا سنة ٦٤٩ م فى القانون الخامس بهذه الالفاظ « من لا يعتقد بموجب رأى الآباء القديسين انها موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة فى المسيح خاصة وحقا دلالة على أن المسيح الاله أخذ جوهرنا كله كاملا ما عدا الخطيئة فليكن محروما » أهـ والادهى أن هذا القانون لم يصدر قبل المجمع الخلكيدونى بل بعده وهو يدل صراحة على أن الكنيسة الباباوية كانت تحرم من لا يقول بطبيعة واحدة فى المسيح

وقال صاحب كتاب « تاريخ الهرطقات » عن المسيح ليلة آلامه « فان كان الناسوت وحده قد أطاع وصلى وتألم واذا لم تكن تقدمة المسيح وصلاته وتوسطه أفعالا صادرة عن الكلمة بل عن الناسوت فقط بنوع ان الاتحاد أقنومى لم يساعد بشىء ليكون مبدأ أفعاله كاملا فينتج من ذلك ان ناسوت المسيح كان يفعل من ذاته وان كان الامر كذلك فيجب أن يقال انه كان حاصلا على قيام بنفسه وكان له أقنوم خاص متميز عن أقنوم الكلمة وها هوذا فى المسيح أقنومان كما يزعم نسطور» أهـ فليسمع الباباويون قول قديسهم هذا الذى نقض به رأى برو يار اللاتينى الذى كان يزعم ان ناسوت مخلصنا وحده أطاع وصلى وتألم وان تقدمته وصلاته وتوسطه لم تكن أفعالا صادرة عن الكلمة كأنه مبدأ طبيعى وفعال بل انها كانت أفعال الناسوت خاصة وانه فى مدة وجوده فى القبر بطل ان يكون ابن الله الى غير ذلك من الآراء المرذولة التى كان يمكنه أن يوفر على نفسه تعب الرد عليها بتلك المحاولة اذا سلم بوحدة المسيح الطبيعية

وفى كتاب « اعتراف الآباء » المعتبر بكنيستنا القبطية طائفة كبيرة من شهادات الآباء العظام المعترف بقداستهم من الكنائس المسيحية تشهد بطبيعة واحدة للسيد المسيح فننقل بعضها كتاب « نفح العبير» ص ٢٠٦ — ٢٢٦ :

قال القديس اغناطيوس البطريرك الانطاكى الاول الشهيد فى رسالة له « نحن نؤمن ان المسيح الاله تألم بالجسد كالانسان وهو غير متألم كالاله وذاق الموت بالجسد وهو غير مائت كالاله فاذا سمعت أن الله تألم عنا وان الله الكلمة مات لاجلنا فافهم انا نوصل الطبائع الى وحدانية اللاهوت والناسوت »

وقال القديس اغريغوريوس العجائبي من كتاب له في الامانة « الله الحقيقي الغير جسد ظهر في الجسد وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل ليس هو شخصين ولا هو طبيعتين ولا نقول انا نعبد رابوعا الله وابن الله وانسانا والروح القدس ومن أجل هذا نحرم المنافقين »

وقال القديس اثناسيوس الرسولي من مقالة له على التجسد الالهي وقد استشهد بها القديس كيرلس الاسكندري أكثر من مرة وهي واردة في تاريخ المجمع الافسسي دفعتين في الجزء الاول والثالث « وليس نقول عن هذا الابن الواحد انه طبيعتان واحدة نسجد لها والاخرى لا نسجد لها بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد »

وقال أيضا في رسالته الى ابيكتيتوس وقد استشهد بها القديس كيرلس وتحررت في تاريخ المجمع المسكوني الثالث الافسسي دفعتين في الجزء الثاني والثالث وهكذا « وكيف يتجاسر الذين يدعون مسيحيين على أن يشكوا في هل ان السيد الذى ولد من مريم هو ابن الله بالجوهر والطبع وانه بحسب الجسد هو من زرع داود من جسد القديسة مريم ومن هم الذين يتجاسرون بهذا المقدار حتى يقولوا ان المسيح الذى تألم وصلب بالجسد ليس هو برب ولا بمخلص ولا اله ولا ابن الآب »

وقال القديس باسيليوس الكبير في تفسيره قول الحكيم « ان الرب خلقنى » « وليس انا نقول على الابن الوحيد انه اثنان ولا نقول ان اللاهوت (منفرد) بذاته ولا اللاهوت بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقنوما واحدا »

وقال القديس اغريغوريوس أخو باسيليوس المشار اليه في مقالة له على عماد سيدنا وصوت الآب الشاهد له بالبنوة هكذا : — قال (أعنى الله الآب) « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » ليس هو ابنى وآخر ابن مريم « ليس هو واحدا الذى ولد في المغارة وآخر غيره سجدت له المجوس . له هو الذى اصطبغ وغيره لم يصطبغ بل هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »

وقال القديس يوليوس أسقف رومية المومأ اليه في رسالته المذكور انه أرسلها الى ديونيسيوس أسقف قبرص في أواسط القرن الرابع « وبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للاخرى وان يعتمدوا بالتي للاهوت ولا يعتمدوا بالتي للناسوت ولكن ان كنا نعتمد بموت الرب فهى طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت الغير المتألم والجسد المتألم لكي تكون صبغتنا هكذا في الله وتكمل بموت الرب »

وقال القديس غريغوريوس النزينزي الناطق بالالهيات في مقالته على اللاهوت « هو ابن واحد وليس المسيح طبيعتين بعد الاتحاد ولا مفترقا ولا مختلطا في ما اجتمع من الجهتين طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدا »

وقال القديس العظيم يوحنا الذهبى فمه فى المقالة الثالثة من تفسيره رسالة أفسس « ولكنى أبين الامر ان الله الكلمة أخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل فى كل شىء وله اقنومه فيه أعنى الكلمة فلاجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسدا »

وقال القديس ثاودوطسس أسقف انكوريا من خطبة له على الميلاد السيدى وتليت خطبته هذه فى المجمع الافسسى المقدس وسجلت بالجزء الثالث من تاريخ المجمع المشار اليه « لان الذى اتحد لا يسمى اثنين بل واحد وان قسمتها بالعقل وتأملت كل واحد منها بمفرده فقد حللت الاتحاد والوحدة »

وخير ما نختتم به هذه الشهادات شهادة البابا كيرلس الاسكندرى فى ختام كتابه الى ثيودوسيوس قيصر « اننا لا نعرى الناسوت من اللاهوت ولا نعرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذى لا يمكن تفسيره بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليها لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف فى الغاية بوجه عجيب » أهـ

القرن السادس

القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) يوحنا ٢	(٢) ديوسقوروس ٢
(٣) تيموثاوس ٣	(٤) ثيودوسيوس ١
(٥) بطرس ٤	(٦) دميان

(١) يوحنا ٢ :

البطريرك الثلاثون . قضى بضع سنين راهبا قبل رسامته مقيما فى دير الغار الذى كان على مقربة من بلبيس (بمديرية الشرقية) وكان يلقب بالحبيس بالنسبة لبقائه مترهبا فى مكان واحد مدة طويلة . وكان ذا قرابة بسلفه البابا يوحنا الاول . وحال ارتقائه الكرسى المرقسى فى باؤنه سنة ٢٣٤ ش و ٥٠٧ م فى عهد اناستاس قيصر كانت الكنيسة المصرية قد أخذت قسطها من الراحة والحرية فاتسع نطاقها واستردت ما فقدته من المراكز الدينية بسبب الاضطهاد . وتلقى هذا البابا عقب جلوسه على السدة البطريركية رسائل عديدة من رؤساء الاساقفة الارثوذكسيين يهنئونه بوظيفته و يؤيدون له الاعتراف بالايمان الصحيح و يرفضون كل هرطقة خصوصا هرطقات نسطور وأوطاخى وابوليناريوس معترفين بوحدة المسيح الطبيعية

وكانت الرسائل متبادلة على الاخص بينه و بين بطريرك انطاكية المدعو ساو يرس الذى اشتهر بالتعصب للطبيعة الواحدة وبمقاومة مجمع خلكيدون وكان قبل رسامته مقيما فى الاسكندرية ثم اختير بطريركا لانطاكية . وقد اسف القيصر فيما بعد لتعيينه أياه بطريركا على انطاكية لانه كان لا يعرف للتسامح فى عقيدته معنى وقد حاول القيصر أن يجعله يتنازل عن مبدئه سواء بالقوة أم باللين فلم يجد الا الاباء الشديد

فأرسل الانبا ساو يرس بطريرك انطاكية هذا الذى جلس على كرسى القديس اغناطيوس الكبير سنوديقا الى البابا يوحنا الاسكندرى بالاتحاد فى الامانة و يبشر فيها بالاتفاق بينهما فى الامانة الواحدة الارثوذكسية التى للآباء القديسين . فقبلها البابا يوحنا شاكرا هو وأساقفته وقرأوها فى كنائسهم وفى جميع أنحاء الكرازة المرقسية واصعدوا صلوات وشكروا السيد المسيح الذى أعاد الاعضاء المقطوعة الى مواضعها . وكتب أيضا البابا يوحنا الى القديس ساو يرس جوابا يشرح فيه

الامانة المستقيمة ففرح به هذا الآب فرحا عظيما . وأقام البابا يوحنا بطريركا احدى عشرة سنة وتنيح فى الثانى عشر من بشنس سنة ٢٤١ ش و٥١٧ م .

(٢) ديوسقوروس ٢

البطريرك الحادى والثلاثون . ولما تنيح البابا يوحنا كان له كاتب يدعى ديوسقوروس ابن عم البابا تيموثاوس الاول . وكان رجلا كاملا محبوبا من الشعب حتى طلب القيصر نفسه تعيينه . الا أن الكنيسة القبطية لم تكن لترضى مطلقا بتداخل القياصرة فى انتخاب بطاركتها . فهدأ ديوسقوروس خواطر الشعب بوعده اياهم برفض تعيين القيصر و يسلم ذاته لهم لينتخبوه أو لا ينتخبوه حسب ما يتفق مع ارادتهم ومع قوانين الكنيسة . فلبث المصريون مدة دون أن يرسموه حتى هدأت الاحوال فأقيم بطريركا بكنيسة ماريوحنا وتمت رسامته فى شهر هاتور سنة ٢٤٢ ش و٥١٧ م فى عهد اناستاس قيصر باحتفال عظيم . وقام البطريرك بالخدمة وتناول الاسرار المقدسة

وقد امتدح المؤرخون هذا البابا بالنسبة لحسن تصرفاته وجميل طباعه التى يندر من يتصف بها . وعقب رسامته مباشرة كتب رسالة الى الآب ساو يروس يذكر له فيها نياحة البابا المغبوط يوحنا وجلوسه بعده على الكرسى الرسولى . فكتب اليه يعزيه و يعلمه انه مشترك معه فى الامانة المستقيمة التى ينبغى المداومة على التعليم بها والمحافظة عليها

وحدث ان القيصر اناستاسيوس غضب على قوم بالاسكندرية فخاف الجميع وطلبوا من البابا ديوسقوروس أن يذهب لمقابلة القيصر فى القسطنطينية و يتوسط لديه حتى يرضى عليهم . فسافر البطريرك الى القسطنطينية وتمكن من الحصول على عفو عام للكل . وقيل ان هذا البابا الموقر صادف تعديات كثيرة واهانات مرة من أنصار مجمع خلكيدون فى القسطنطينية ولكنه احتملها بصبر تام ولم يرد أن يجاوب أولئك الاشرار بكلمة واحدة بينما كانوا يوجهون اليه قوارص الكلام أثناء مروره فى شوارع القسطنطينية العمومية

ولم تطل حياة هذا البطريرك العظيم فلم يلبث على الكرسى البطريركى سوى ثلاث سنين وفى قول آخر سنة واحدة ونصف وتنيح فى السابع عشر من بابه ولحق بآبائه فى سنة ٢٤٤ ش و ٥٢٠ م

(٣) تيموثاوس ٣ :

البطريرك الثانى والثلاثون . اختير للكرسى البطريركى فى هاتور سنة ٢٤٤ ش و ٥٢٠ م فى عهد يوستينوس قيصر الاول لما اتصف به من التعقل والحكمة وكان من المتمسكين بوحدة المسيح الطبيعية والمتعصبين ضد مجمع خلكيدون نظير ساو يرس بطريرك انطاكية ولذلك جدد معه العلاقات حال استلامه مقاليد الرئاسة وحرر له رسالة متضمنة الايمان الصحيح . واتفق بعد سيامته

ان توفى انستاسيوس القيصر المؤمن وأقيم بعده رجل ردىء من أنصار مجمع خلكيدون اسمه يوستينوس سنة ٥٢٧ م ، فلما جلس على كرسى القيصرية بذل جهده ليعيد كل المؤمنين الارثوذكسيين الى اعتقاد مجمع خلكيدون ووجه نظره بالاخص لمسيحيى مصر قاصدا اضطادهم لانهم كانوا أكثر من غيرهم كراهة لمجمع خلكيدون ورسالة لاون . وعين لذلك قوة عسكرية وفدت على الاسكندرية لكى ترغم أهلها على قبول قرارات المجمع الخلكيدونى

ولما عرف البابا تيموثاوس الخطر المحدق برعيته أرسل وفدا الى القيصر يطلب منه الغاء هذه الاجراءات خوفا من حدوث ثورة تصطلك من هولها الركب . وتقابل هذا الوفد مع امرأة القيصر وكانت على مذهب المصريين فأقنعت القيصر بالعدول عما دبره بخصوص ذوى الطبيعة الواحدة فقبل وأرسل الاوامر الى جيشه بمبارحة الاسكندرية والذهاب الى أقاليم شمالى افريقيا الغربية

ولكن القيصر عاد فيما بعد وشرع فى عقد مجمع بالقسطنطينية الغرض منه اجبار الارثوذكسيين على اعتناق مذهب الخلكيدونيين ودعا اليه جميع رؤساء الكنائس فحضر منهم كليسوس أسقف رومية وابوليناريوس الذى صيره القيصر بطريركا ملكيا على الاسكندرية فيما بعد واوطيخوس بطريرك القسطنطينية والاساقفة الذين تحت أيديهم

وكان أول من حتم عليهم القيصر بحضور المجمع البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية وساويرس بطريرك انطاكية . فأما البطريرك الاسكندرى فلما كان يعلم غرضه السيء أبى قبول هذه الدعوة واستمر فى مركزه مدبرا رعيته . فهاج لذلك غضب القيصر وأمر بالقبض عليه لينفى فتعرض لهذا الامر الارثوذكسيون وهددوا كل من يمد يده الى بطريركهم . فأمر الملك والى الاسكندرية بأن يردهم بالقوة فحدثت اذ ذاك مجزرة عظيمة أسفرت عن قتل عدد عظيم من الارثوذكسيين و بذلك أمكن للوالى القبض على البطريرك ونفيه فاستمر ثلاث سنوات فى المنفى قاسى فيها شدائد عظيمة جدا و بعدها رجع الى مركزه

أما الآب ساويرس بطريرك انطاكية فانه قبل دعوة القيصر لحضور المجمع فى القسطنطينية وذهب اليه ومعه بعض علماء الاساقفة منهم فيلوكسينوس أسقف مابوغ . فلما وصل الى القسطنطينية أكرمه الملك فى البداية اكراما عظيما ظانا انه بذلك يستجلبه الى الخلكيدونية و يساعده على تعميم اعتبار طومس لاون . ولكنه لما جاء يوم انعقاد المجمع حضر جميع الاساقفة الى الآب ساويرس الشجاع فقال ان لم يحرموا أولا طومس لاون والمجمع الخلكيدونى المرذول فلا أقبل الاجتماع مع أحد . ففى الحال أمر القيصر باضطهاده فنزلت عليه البلايا وحلت به الشدائد وألقى فى السجن هو و بعض أساقفته والبعض الآخر نفى وأقيم مكانه رجل خلكيدونى المذهب يدعى بولس . و بعد سنتين أفرج عنه بسؤال الملكة ثيوذوره المؤمنة فهرب من القسطنطينية وجاء القطر المصرى فقابله البابا تيموثاوس بكل احترام وخوفا من سطوة الحكومة كان يهرب من مدينة الى مدينة ومن دير الى

دير حتى انطلق أخيرا الى مدينة سخا (بمديرية الغربية) واختفى في بيت ارخن ([1]) يدعى درتاوس كان مشهورا بالاهتمام بأمور الشيوخ والرهبان الذين رفضوا ضلال يوليانوس الهرطوقى وكان الاب ساويرس يكاتب الاساقفة أصحابه الذين بالاسكندرية و يعزيهم و يصبرهم و يوصيهم أن يثبتوا على الشدائد

أما البابا تيموثاوس فبعد رجوعه من منفاه لبث مستمرا على مبادئه الارثوذكسية حتى ظهر يوليانوس الاليكريشى من القسطنطينية وأخذ في نشر بدعة أوطاخى فحرمه وفصله من شركة الكنيسة . وخرج الآب ساويرس من مكمنه واشترك مع البطريرك الاسكندرى في مقاومة هذه البدعة وكتب الآب ساويرس رسالة الى يوليانوس يفند له فيها بدعته . ثم قضى البابا تيموثاوس ما بقى من حياته مجاهدا في سبيل الامانة المستقيمة مشتركا مع الآب ساويرس ودحض جميع مقالات يوليانوس . وكانت مدة مقامه بطريركا على كرسى الاسكندرية سبع عشرة سنة توفى في الثالث عشر من أمشير سنة ٢٦٠ ش و ٥٣٦ م

(٤) ثيودوسيوس ١ :

البطريرك الثالث والثلاثون . وبأمر الله اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسى بعد نياحة البابا تيموثاوس الثالث وبتدبير السيد المسيح ــوا على اختيار الآب ثيودسيوس لكرسى البطريركية . فى أبيب سنة ٢٦٠ ش و٥٣٦ م في عهد يوستنيانوس قيصر الاول وكان معروفا بالعفة مشهورا بالنبوغ في العلوم الكنسية . وبعد رسامته عقد مجمعا حرم فيه مجمع خلكيدون ورسالة لاون وسائر الهراطقة وخصوصا يوليانوس الذى كان ينفث سمومه في القويمى الرأى حينئذ بالديار المصرية . فاغتاظ يوليانوس وأراد أن يدبر له مكيدة . فوقع نظره على ارشدياقن البيعة الاسكندرية . وكان رجلا طاعنا في السن يدعى قيانوس وكان قائما وقت رسامة البابا ثيودوسيوس بطريركا مع الاساقفة والكهنة واستمر في البيعة حتى نصبوه وكتبوا تقليده وقدموه لرتبة الرئاسة على الكرسى الرسولى وكملوه باتفاق جميع الشعب المسيحى المحب لله

فاحتال يوليانوس الهرطوقى وبعض الاشرار نظيره على قيانوس هذا وخدعوه بقولهم له انه كان ينبغى أن تكون رتبة البطريركية له لا سواه واستمروا يغشونه حتى اغتر بأقوالهم الرديئة وسمح لهم أن يأخذوه الى بيت قس ردىء الفعل محب للمال يدعى ثيوذوروس وهناك رسموا قيانوس بطريركا . ثم مضى يوليانوس الهرطوقى الى صديقه يوحنا والى الاسكندرية وأجزل له الهدايا ورشاه بالاموال حتى رضى بطرد ثيودوسيوس البطريرك من كرسى الاسكندرية وأخفى أولئك الاشرار عن الوالى ما دبروه بخصوص اقامة قيانوس مكانه . ثم قاموا في الحال وعزموا على الهجوم

---

[1] كلمة يونانية معناها هدية الله .

على البطريرك ليلا . وبينما كان القديس في تلك الليلة قائما بصلاة نصف الليل اذا به يسمع ضجة عظيمة أدرك منها عظم الخطر المحيط به فخرج من مخدعه حالا وهرب الى جهة خرسمانوس ومكث هناك ستة شهور دون أن يعلم القيصر بكل ما جرى

وقد صادف البابا ثيودوسيوس متاعب جمة من أولئك الاوباش أى قيانوس المخالف ومن معه . وكان الوالى مجتهدا فى انقاذه منهم خوفا من اغتيالهم له فتشاور مع بعض الاباء وانزلوه فى مركب فى البحر ومضوا به الى قرية مليج من اعمال مصر واجتمع فى الاسكندرية حينئذ ثلاث فرق من المسيحيين احداها (المستقيمو الرأى) وقد نسبوا لبطريركهم المنفى ودعوا بالثيودوسيين والثانية (الخياليون) اتباع يوليانوس وسلفه أوطاخى والثالثة (الخلكيدونيون) أو الملكيون التابعون لمذهب المملكة

واستمر البابا ثيودوسيوس سنتين فى منفاه حتى قلق الارثوذكسيون وطلبوا من الوالى بالحاح ان يعيده لهم فخاف منهم واخرج قيانوس من المدينة وأرسل يخبر الملكة الارثوذكسية بذلك . فلما بلغ الخبر مسامع الملكة كلمت زوجها بحكمة محدثه اياه بكل ما جرى للبابا ثيودوسيوس . ففرح القيصر فى قلبه بما حل بمن لم يشاركه فى أمانته الفاسدة الا أنه ترك الحرية لزوجته تعمل ما تريد . فتصرفت الملكة بتعقل وأرسلت الى والى الاسكندرية تستخبر منه عن قانونية رسامة ثيودوسيوس

فجاء رسل الملكة الى الاسكندرية وحال وصولهم اخبرهم الوالى وكل من نال رشوة من قيانوس ان رسامة قيانوس حق وانه هو الاولى فى الرسامة غير ان قولهم لم يثبت اذ اجتمع نحو مائة وعشرين رجلا من الكهنة ومقدمى المدينة وكتبوا تقريرا يعترفون فيه بقانونية بطريركية ثيودوسيوس . ثم اجتمعوا برسل الملكة فى البيعة واجتمع معهم جميع اهالى الاسكندرية وأخذوا يستفهمون من جميع الحاضرين عن ثيودوسيوس وهل رسامته شرعية فاجمعت كلمة الكل على صحتها وانها تقدمت رسامة قيانوس بشهرين . وبينما هم يبحثون حضر قيانوس بنفسه امام تلك الهيئة واعترف بالحقيقة طالبا الصفح عن تعديه ووضع توقيعه مع المعترفين وصرح بانه خادم مطيع للبابا ثيودوسيوس وانه يرتضى بان يكون ارشدياقنا كما كان . ففرح الجميع بذلك ممجدين الله وزاد سرورهم برجوع بطريركهم المغبوط اليهم بسلام

ولما رجع البطريرك الى كرسية خضع قيانوس له ثم تقدم بالشكر لرسل الملكة وارسل معهم رسالة للقيصر وامرأته يخبرهما فيها بكل ما جرى فلما وصل الرسل وسلموا الرسالة للقيصر واطلع على كل ما فيها اضطربت افكاره الخلكيدونية وقال فى نفسه هوذا أنا سلمت كرسى الاسكندرية لثيودوسيوس ولكننى لا أضمن مساعدته لى على تعميم عقيدتى ولو اضفت الى كرسيه جميع ولايات افريقية . وفى الحال أملى عليه الشيطان كتابا لوالى الاسكندرية ومقدميها وللبابا ثيودوسيوس ليجتذبه فيه الى اعتقاد مجمع خلكيدون وطومس لاون ويساعده على نشره ووعده مكافأة على ذلك

ان يمنحه كرسى البطريركية والولاية فى مصر و يكون جميع اساقفة افريقية تحت طاعته . ثم هدده بأنه اذا لم يطع ولم يرض فليخرج من البيعة يمضى الى حيث يشاء

فلما قرأ البابا المجاهد المغبوط البطريرك ثيودسيوس المعترف بالمسيح كتاب القيصر هتف امام رسل الملك والوالى والجمع المحتشد قائلا « ان ابليس أخذ السيد المخلص واصعده على جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له كل هذه اعطيكها ان سجدت لى . هكذا انتم أتيتم تعدوننى بان أصير غريبا عن المسيح الملك الحقيقى حبا فى مجد الدنيا الباطل » ثم رفع يديه أمام الجميع وقال « بالحقيقة أحرم طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل من يعترف بهما فهو محروم من الان والى الابد آمين » ثم قال للوالى ولجميع جيش القيصر « ليس لمولاكم سلطان الا على جسدى الفانى ولكن نفسى فى يد مخلصى والان هوذا البيع وكل ما فيها امامكم ومهما أردتم فافعلوه وأما انا فتابع لايمان آبائى الذين تقدمونى اثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس وتيموثاوس وغيرهم الذين صرت أنا نائبا لهم بغير استحقاق » ثم قام وخرج وقال « من كان يحب الله فليتبعنى » فخرج وراءه الارثوذكسيون . ولم يشأ الوالى ان يقبض عليه بل تركه يذهب الى حيث يشاء كأمر القيصر فخرج من المدينة وقوة السيد المسيح ترشده بل ان الوالى نفسه اهتم بأمره وأعد له كل ما يحتاج اليه وحمله فى مركب الى صعيد مصر حيث أقام أربع سنين يعلم الشعب والكهنة والرهبان فى الديارات و يثبتهم على الامانة الارثوذكسية و يصبرهم على احتمال الاضطهاد حتى الموت

أما رسل القيصر فرجعوا اليه واعلموه بالخبر فاندهش هو وجميع رجال بلاطه من ثبات ثيودوسيوس على أمانته ورفضه كل تلك الهبات . وأقام القيصر عوضا عنه رجلا يدعى بولس النيسى وكان هذا الرجل اجنبيا عن مصر شب ودب فى طرسوس و بدون ان يعلم المصريون من أمره شيئا رسمه القيصر فى القسطنطينية فصار هذا الرسم قاعدة لبطاركة الملكيين ان يرسموا بالقسطنطينية و يسيروا للاسكندرية . وقد تم هذا كله سنة ٥٤١ م . وجاء بولس الى الاسكندرية تحرسه قوة عسكرية هائلة ولكن المصريين لم يقبلوه ولم يعبأوا به ولم يحسبوا لوجوده بطريركا عليهم أدنى حساب ولم يفاتحه أحد منهم بكلمة واحدة بل كانوا يلقبونه يهوذا الثانى . ولم يكونوا يعرفون لهم بطريركا آخر سوى ثيودوسيوس المنفى الذى كانوا يطيعونه ويخضعون لأوامره التى كان يرسلها اليهم

واستمر بولس سنة على هذا المنوال حتى اضطر أخيرا ان يخبر القيصر بان المصريين يهربون منه كما يهرب الحمل من الذئب . فرد عليه القيصر بكتاب يأمره فيه أن يغلق ابواب البيع التى بمدينة الاسكندرية ويختم عليها بخاتمه ويجعل عليها حراسا حتى لايدخلها أحد مطلقا . وقنع بولس من الرئاسة بوضع يده على الكنيسة الكبرى المسماة بالكنيسة القيصرية ثم استحوذا بمساعدة الجيش على عدة كنائس مهمة غيرها .

أما المسيحيون فلما سمعوا بأمر قفل الكنائس حزنوا مفرطا ومكثوا سنة كاملة بدون ان يصلوا في كنيسة ما ولم يكن يعزيهم سوى كتب بطريركهم المنفى التي كانت ترد اليهم بين آن وآخر. ولما زاد قلقهم أجتمعوا وتشاوروا في بناء بيعة فتم لهم ذلك وبنوها بقوة المسيح غربي الاسكندرية في الموضع المعروف بالسواري والصربيون على اسم الانجيليين ثم بنوا كنيسة أخرى شرقي الملعب غربي الاعمدة قليلا على اسمي قزمان ودميان وبنوا كنائس أخرى سموا احداها الكنيسة الملائكية نكايه في الكنيسة القيصرية

فلما علم بذلك القيصر أنفذ وفتح جميع البيع وجعلها تحت سلطان الخلكيدونيين . فلما علم البابا ثيودوسيوس ناح وبكى وطلب الرب من أجل ثبات أمانة شعبه وكان يصلي ويقول « يا ربي يسوع المسيح أنت أشتريت هذا الشعب بدمك الشريف وأنت المهتم بهم فلا تتخل عنهم بل لتراعهم عنايتك »

ولم يكن بولس البطريرك الدخيل مبغوضا من المصريين فقط بل من بعض الرومانيين أيضا بالنسبة لدنائة اعماله . ولما رأى قوة الحكومة تحت يده شرع في أن ينتقم من الجميع . وبدأ اعماله بنقل ايلياس قائد جنود الوجه القبلي الى مكان اخر حتى يضعف قوة الاقباط في الصعيد. فشعر بيوس احد شمامسة الكنيسة الاسكندرية بالامر فأرسل كتابا لايلياس يخبره به فوقع الكتاب في يد أحد أتباع بولس فجاءه به ولذلك أمر بولس بالقبض على الشماس المسكين متهما اياه باهمال مصلحة الكنيسة وتبديد ايرادها وسلمه الى عهدة درون والي مصر فاستمر يعذبه الى ان أسلم روحه

فرفع أقرباء الشماس بيوس دعواهم الى القيصر فأمر بعزل درون الوالي وعين بدله ليبريوس وأمره باجراء تحقيق دقيق في قضية بيوس ولكن بولس البطريرك الدخيل ودرون الوالي السابق أخذ كل منهما يلقى التبعة على الاخر فاسفر التحقيق عن ادانة كليهما فحكم بالاعدام على درون وبالنفي على بولس وحكم عليه بالعزل والحرمان من بطريركيتي انطاكية واورشليم . وعين القيصر عوضه رجلا يدعى زيلوس . ولم يكن لهذا البطريرك أي أعتبار لدى الاقباط وعاملوه بنفس المعاملة التي عاملوا بها بولس قبله غير معترفين بأحد رئيسا عليهم سوى ثيودوسيوس .

وحدث أن يوستينوس قيصر توفي وملك عوضه يوستنيانوس وكان أشد كرها للارثوذكسيين غير أنه في مبدأ أمره نهج منهجا يختلف عن خطة سلفه وأظهر لينا نحوهم وأمر باستحضار ثيودوسيوس اليه من النفي وترك له نوعا من الحرية واذ خاف لئلا يؤول ذلك الى تعميم الارثوذكسية تظاهر بأنه يريد عقد مجمع بالقسطنطينية ينهي فيه القضايا التي تدور عليها المنازعات وكتب رسالة مملوءة عطفا للبابا ثيودوسيوس ووعده بان لا يلحقه أذى وأوصى حامل الرسالة ان ينطلق به حتى يتقدمه الى العاصمة

فعزم البطريرك على مقابلة القيصر واستعان بقوة السيد المسيح وأخذ معه عددا من علماء كهنته ولما وصلوا الى القسطنطينية دخل الى القيصر وأمرأته فلما عاينوا سكينته وتواضعه وفضله استقبلوه حسنا وأنزلوه فى مواضع أعدوها له ومن معه . ثم أستدعاه القيصر اليه مرارا وهو يكلمه بكل رقة ليستميله الى جانب مجمع خلكيدون ولكنه لم يفلح فى تغيير عقيدته . ولما تقابل معه البطريرك ثالث دفعه وأخذ يعده بالكرامة ان هو أطاع رأيه قال له « لا حياة لا موت ولا غلاء ولا عرى ولا سيف يصد قلبى عن أمانة آبائى » فغضب عليه الملك وألقاه فى احد سجون القسطنطينية مدة و بعد ذلك نفاه واستمر فى المنفى حتى أدركته المنية فرقد فى الرب بعد ان قضى مدة اثنتين وثلاثين سنة بطريركا صرف منها ٢٨ سنة فى اماكن النفى ووضع من المقالات والتعاليم فى مدة بطريركيته الشيء الكثير. وانتقل بسلام الى السيد المسيح الذى كان يحبه فى اليوم الثامن والعشرين من شهر بأؤونه سنة ٢٨٣ ش و٥٦٨ م

وكانت علاقة هذا البابا بالاب ساويرس بطريرك أنطاكية متينة للغاية . وكان الاب ساويرس فى مدة البابا ثيودوسيوس لازال فى بيت دروتاوس المار ذكره وكان هذا الرجل قد امكنه ان يمضى الى ارسطاماخوس الوالى وسأله ان يترأف على شيوخ الرهبان الذين فى البرية بان ينعم عليهم ويمكنهم ان يبنوا بيعا عوضا عما أخذه منهم الهراطقة . وكان الأب ساويرس قد وضع كتبا قهر انصار الطبيعتين واستمر مجاهدا طول حياته حتى مر عليه ثلاثون سنة منذ رسم بطريركا على انطاكية وهو صابر على اضطهاد المخالفين . ثم تنيح مسرورا بمقابلة المخلص الذى دافع عنه طول حياته

(٥) **بطرس ٤** — البطريرك الرابع والثلاثون . لما نفى يوستينيانوس قيصر البابا ثيودوسيوس المرة الاخيرة وضع منشورات بحرم بعض مشاهير المصريين والفلسطينيين وارسل لبطريركه زويلوس فى مصر ان يوقع عليه فرفضى فى مبدأ الامر ولكنه رجع وامتنع فنفاه وعين غيره رجلا يدعى أبوليناريوس الذى أتى من القسطنطينية الى الاسكندرية بلباس قائد ومعه قوة عسكرية لتوطيد رئاسته فلما قدم الاسكندرية ودخل الكنيسة نزع ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم الناس برجه فانصرف وجميع عسكره وأظهر أنه اتاه كتاب من الملك يقرأه على الناس وضرب الناقوس فى الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس للصلاة حتى لم يبق احد فصعد المنبر وقال :— « يا أهل الاسكندرية ان لم تتركوا مقالة ديوسقوروس أخاف عليكم لئلا يرسل القيصر من يقتلكم و يستبيح اموالكم ونساءكم » فهموا برجمه وهو على المنبر فأشار الى العسكر فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس عدد كثير وفر منهم عدد وافر الى الديارات بوادى هبيب واخذ الملكيون كنائس المتأصلين وأمر القيصر ابوليناريوس ان يجتهد فى مقامه الارثوذكسيين حتى لا يظهر احد من اساقفتهم بمدينة الاسكندرية ومن يومئذ صار كرسى الارثوذكسيين بوادى هبيب

و بعد وفاة البابا ثيودوسيوس أظهر ابوليناريوس فرحه لظنه بان الجو قد خلا له ليعلن رئاسته العامة على الكنيسة القبطية . وعمل وليمة للكهنة وأهل المدينة وتوهم أنهم يوافقونه لان الاباء الاساقفة لم يكن أحد منهم يستطيع الظهور بالاسكندرية بالنسبة لتشديد القيصر عليهم . ولكن بمشيئة الله تولى الاسكندرية رجل فاضل فسمح للارثوذكسيين ان يقيموا لهم بطريركا فى السر . فخرجوا الى دير الزجاج (١) كأنهم يريدون الصلاة وأرسلوا الى الوجه البحرى واحضروا ثلاثة اساقفة واقاموا قسا يدعى بطرس بطريركا وتعزى به الشعبه وتقوت أمانتهم ولكنهم لم يكونوا يقوون على الدخول به الى المدينة علانية خوفا من ان يعلم بذلك ابوليناريوس او القيصر وكان ذلك فى مسرى سنة ٢٨٣ ش و٥٦٨ م في عهد يوستينس قيصر الثانى

فلبث البطريرك مقيما بمكان يبعد عن الاسكندرية مقدار تسعة أميال فى بيعة على اسم يوسف البار وكانوا يحملون اليه جميع ما يحتاج . غير انه فيما بعد شعر ابوليناريوس بالامر فغضب جدا وكتب للقيصر يعلمه بما كان ولكن قبل وصول كتابه الى يوستنيانوس ضربه الرب بمرض عضال قضى على حياته أما البابا بطرس فكان بهى الطلعة جميل الصفات محبا للمتعلمين ولهذا استخبر عن كاتب له يكون ملما بعلوم الكنيسة فارشدوه الى راهب يدعى دميان بدير تابور فمضى اليه البطريرك وتحدث معه وطلب منه ان يشترك فى اتعاب تدبير الكنيسة ورجاه بان يذهب ليقيم معه فى الدير . فاطاعه دميان ومضى معه الى حيث يقيم . وكان هناك اديرة كثيرة العد يسكنها جمع غفير من الرهبان و بجوارها ٣٠ ضيعة تسمى (سكاطينا) سكانها ارثوذكسيون . وكانت الاديرة والضيع جميعها تحت ادارة البابا بطرس . وفى ايام هذا البابا وفد على مصر يعقوب البرادعى وكان من امره ماسيذكر فى سيرته

أما شعب انطاكية فلم يكن اضطهاده أهون من اضطهاد شعب مصر . و بعد وفاة الاب المغبوط ساويرس أجلسوا مكانه انسانا اسمه ثاوفانيوس واقاموه فى دير يعرف بدير أمونيوس لان الهراطقة هناك كانوا نظير هراطقة مصر يضايقون الاساقفة المستقيمى الايمان . ثم ان البابا بطرس قضى حياته مجاهدا فى كرم الرب حتى تنيح بعد سنتين من رسامته بطريركا فى الخامس والعشرين من بؤونه سنة ٢٨٥ ش و ٥٧٠ م ومن ايام البابا بطرس صارت قاعدة لزمن طويل ان يرسم البطاركة بدير أبى مقار بوادى هبيب .

(٦) دميان — البطريرك الخامس والثلاثون . ولما تنيح البابا بطرس أجلسوا مكانه كاتبه دميان الراهب فى مسرى سنة ٢٨٥ ش و ٥٧٠ م فى عهد يوستينس قيصر الثانى وكان قبل ذلك قد أقام فى دير ابى يحنس ست عشرة سنة تحت ارشاد رجال قديسين يتعبد بتقشف زائد . ومن ثم انتقل

(١) كان بأرض بلدة معمل الزجاج بمركز كفر الدوار وخرب من زمن بعيد .

الى دير تابور اى دير الاباء فى زمان عمارة الاربعة الاديرة بوادى هبيب وحالما ارتقى الكرسى البطريركى قاوم بعض الذين بقوا من حزب ميليتس لما اشتهروا به به الافعال الرديئة وقد كانوا مختلطين بالرهبان فأمر بطردهم خوفا من أن يفسدوا عقولهم .

ولما تنيح الاب ثاوفانيوس بطريرك أنطاكية أقيم مكانه رجل من كهنة البيعة يدعى بطرس وكان غليظ القلب مظلما فى أفكاره مضطرب العقل مقاوما للامانة المستقيمة . و بالنسبة للاتحاد الذى كان بين الكنيستين كتب بطرس هذا الى البابا دميان سنوديقا ففرح به فى مبدأ الامر ولكنه بينما هو يفحص الكلام المدون فيه وجد فيه عثرة فى الاعتراف بالثالوث المقدس ومؤدى كلام بطرس أن تعليم الثالوث فى غير محله ولا داعى لذكره بالمرة فطلب أن يجذبه الى الايمان برفق حتى لا ينثلم الاتحاد بين الكرسيين وكتب اليه مقالة يذكر فيها أعتراف المجامع المسكونية والاباء القديسين بالثالوث المقدس . فلم يرعو بطرس عن غيه وكتب للبابا دميان رسالة شديدة اللهجة يؤخذ منها انه مصر على ضلاله فعقد البابا مجمعا حكم على بدعته بالحزم وعليه هو بالقطع وكان سببا لوجود خلاف بين المصريين والانطاكيين مدة عشرين سنة حتى قصف الله عمر بطرس المخالف .

واستمر البابا دميان يسوس رعيته باهتمام مجتهدا فى الابتعاد عن كل ما يولد الانشقاق وهو منزو فى صومعه بدير النطرون نظرا لقيام الملكيين واخذهم جميع كنائس الاسكندرية وكان بطريرك الملكيين قد مات سنة ٥٦٩ م وخلفه بطريرك آخر اسمه يوحنا أصله من قواد الجيش تمت رسامته فى القسطنطينية وأرسل الى مصر ليقبض على ايراد الكنائس فيها والتاريخ يصف يوحنا هذا بمحبته للسلام والهدوء ولهذا لم يستعمل القوة فى اجبار الاقباط على ترك مذهبهم بل تركهم يعبدون الله بحرية تامة

أما البابا دميان فقضى بقية حياته بوضع الميامر والمقالات ومقاومة أصحاب البدع الذين كانوا يأتون اليه ويجادلونه فكان الرب يعطيه الغلبة عليهم الى ان تنيح بسلام الرب فى شيخوخة حسنة بعد أن أقام بطريركا مدة ست وثلاثين سنة . وكانت وفاته فى اليوم الثامن عشر من بؤونه سنة ٣٠٩ ش و٦٠٣ م

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) يعقوب البرادعى (٢) من هم اليعاقبة
(٣) بعض مشاهير

(١) يعقوب البرادعى :

وفد على مصر فى أيام البابا بطرس الرابع . كان كثير العبادة والزهد لا يلبس سوى خرق البراذع قمصى البرادعى و يلقب بالزنزلى ايضا . ولد فى بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلا من الرها بمقاطعة أيطاليا فى أواخر القرن الخامس . ونشأ أولا فى دير بالقرب من الرها يدعى دير الشقوق و بعد وفاة اسقف هذه المدينة رسم اسقفا عليها سنة ٥٤١ م

ثم توجه الى القسطنطينية ليدافع عن الايمان الارثوذكسى و يفتقد الاباء البطاركة الذين طرحوا فى السجون وتحصل بواسطة مساعدة الملكة ثيوذورة المؤمنة على ان يرسم من الثلاثة بطاركة المعزولين وهم ثيودوسيوس الاسكندرى وسايروس الانطاكى وانتيموس القسطنطينى مطرانا عاما على كل الكنائس الارثوذكسية

وقبل رسامته كانت أيدى ملوك الروم تعبث بانصار الطبيعة الواحدة وكاد هؤلاء ييأسون أذ مات بعضهم والبعض الاخر أسر فنهض يعقوب واشتغل مدة اسقفيته كلها وهى ٣٣ سنة فى لم شعث طائفته وكا ن لابسا برذعه بمثابة ثوب شحاذ يطوف بها فى انحاء الولايات الرومانية لكى يضم سكانها الى حظيرة الكنيسة القبطية و يدخل فى اذهانهم مذهبا واعتقادها بهمة لا تعرف الكلل ماشيا تحت الاخطار والاهوال من بلد الى بلد لا يعرف الخوف ولا يشعر بالخطر المحدق به من موظفى الحكومة ومن الكهنة الرومانيين

وصار يشرطن قسوسا واساقفة و يضم الشيع المتفرقة الى مراكز معلومة و يوفق بين المتخاصمين وهدى اتباع اوطاخى وجعلهم يتركون اعتقادهم الفاسد و يتمذهبون بمذهب الكنيسة القديم . الى ان جدد للارثوذكسيين مركز بطريركيتهم فى انطاكية وترأس مجمعين كرس لهم فيهما بطريركين واحد بعد الاخر بعد وفاة القديس ساو يرس وهما سرجيوس و بولس

وهكذا استقر مذهب الطبيعة الواحدة فى كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين وسور يا وقبرص وفلسطين و بلاد الارمن وانقسمت طوائفه الى ثلاث وهى السر يان والارمن

والمصريون وتنطوى تحتهم الحبشة . فالسريان كان عندهم ١١٦ أسقفا و بطريرك انطاكى يسمى دائما اغناطيوس ومركزه ماردين والارمن لهم ايضا بطريرك يقيم فى استراغ و يسمى العام . و يرجع الكل فى امرهم الى البطريرك الاسكندرى

والذى حدا بيعقوب للحضور الى مصر هو السعى فى اعادة السلام بين كنائسها وكنائس سوريا وسبب ذلك ان يعقوب كان قد رسم بطريركا ارثوذكسيا لانطاكية يدعي بولس ولكن لسبب الاضطهاد الذى لحق به أضطر ان يوافق الخليكدونيين . فاستاء يعقوب منه وأصدر قرارا بحرمه وكان بولس قد فرق القسطنطينية بعد ان هاجر امام الامبراطور بارثوذكسيته وتاب عن زلته وأتى الى يعقوب فقبله وضمه الى عضوية الكنيسة غير ان المصريين عابوا على يعقوب قبوله بولس مرة أخرى حتى ان البابا بطرس أصدر قرارا بحرم بولس فحضر يعقوب الى مصر للمفاوضة فى هذا الامر وترأس مجمعا عقد فى الثغر الاسكندرى اقتنع فيه برداءة سلوك بولس وسيرته السابقة بالاسكندرية مسقط رأسه فسلم يعقوب بعزله ولكنه يبقى عضوا فى الكنيسة لانه تاب وأعلن عزله بواسطة ثلاثة اساقفة ومن ثم سافر يعقوب من مصر ليباشر جهاده

اما بولس فكان له انصار عديدون رفضوا قرار مجمع الاسكندرية بشأنه وكاد الشقاق يستفحل فعزم يعقوب على زيارة مصر ثانية فى ايام البابا دميان الـ ٣٥ ولكنه أصيب بمرض فى الطريق فعرج على دير فى حدود مصر ولما بلغ البطريرك الاسكندرى خبر مرضه ذهب اليه ليزوره فوجده قد مات فى سنة ٥٧٨ م . وقد شهد المؤرخون بان هذا الرجل كان بارا تقيا وقادرا فى فصاحته وعلمه وانه لو لم يهىء الله وجوده لما قام لقويمى الراى قائمة و بعد موته ترك الكنائس الارثوذكسية نامية احسن نمو فى كل تلك الاماكن . وجملة ماكرز من الكهنة والشمامسة مائة الف قسيس وشماس وعشرين اسقفا ومطرانا و بطريركين

(٢) من هم اليعاقبة ؟

و يدعى المؤرخون اللاتين والاروام ان اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة قد اكرموا يعقوب المذكور بتسميتهم يعاقبه باسمه ولذلك دعا الخلكيدونيون الكنيسة القبطية بالكنيسة اليعقوبية وهو قول ملقى على عواهنه يدل على جهل قائله اذ لا توجد هناك علاقة بالمرة بين الكنيسة القبطية و يعقوب كما ان يعقوب لم يكرز فى مصر بل كرز فى الولايات الاخرى .

و يظهر ان الخلكيدونيين قصدوا باطلاق لقب « اليعقوبية » على الكنيسة القبطية ان ينتقموا لانفسهم منها لانها اطلقت عليهم لقب « الملكيين » ولكن لسنا بمخطئين فى تسمية الرومانية بالكنيسة الملكية لانها أنحازت الى الملك أو الامبراطور الرومانى مذهبا وسياسة واول من اطلق اسم اليعاقبة هو افتيخوس بطريرك الملكيين فى القرن العاشر ولكنه أطلقه على السريان الذين كانوا خاضعين رسميا ليعقوب البرادعى . وما نشرت كتابات افتيخوس بين الافرنج ورأى بعض

مؤرخيهم ان تعاليم الاقباط لا تختلف عن تعاليم السريان فخرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأى الى تسمية الاقباط باليعاقبة أيضا .

وربما اطلقوا هذا اللقب سهوا او جهلا منهم ولكنه كان سببا فى جر كثيرين الى الوقوع فى هذا الخطأ حتى من بعض أبناء الكنيسة القبطية ومنهم ابن العسال وابودقن الذى قال ان هذه التسمية وصلتنا من ابى الاسباط اتماما لنبوة الملاك جبرائيل للعذراء ان المولود منها « يملك على بيت يعقوب الى الابد » وقال المقريزى المؤرخ المسلم « ان اصحاب مرقيان دعوا اصحاب ديوسقوروس باسم اليعاقبة او اليعقوبية واطلقوا عليهم جميعا هذا الاسم واختلف فى تسميتهم بذلك فقيل ان ديوسقوروس كان يسمى قبل بطر يركيته باسم يعقوب وانه كان يكتب وهو منفى الى اصحابه بان يثبتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذا أسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفى الى اصحابه فنسبوا اليه . وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساو يرس بطريرك أنطاكية وكان على رأى ديوسقوروس فكان ساو يرس يبعث يعقوب الى سائر المسيحين و يثبتهم على أمانة ديوسقوروس فنسب النصارى الى يعقوب المذكور » ا هـ وقال آخرون ان ذلك نسبة الى يعقوب الرسول .

فيتضح ان المؤرخين الذين اتفقوا على تسمية كنيسة مجمع خلكيدون بالكنيسة الملكية لم يتفقوا فى روايتهم على نسبة تسمية اليعاقبة للكنيسة القبطية وكل أقوالهم فى هذا الشأن مردودة اذ قد التبس عليهم فيها وجه الصواب لاسيا وان البابا ديوسقوروس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول بمصر ولا كرز يعقوب البرادعى بمصر رادا الاقباط الى مذهب الطبيعة الواحدة بل كانوا هم المتمسكين به دون غيرهم ولم يعرف الاقباط منذ أول عهدهم بالمسيحية الى اليوم الا بالاقباط الارثوذكس وكنيستهم « الكنيسة القبطية الارثوذكسية » .

بعض مشاهير :

وممن اشتهر فى هذا القرن من الاقباط :

اولا — يوحنا البرلسى . أحد الذين وضعوا كتاب السنكسار(١) راهب ببرية شيهات ثم رسم اسقفا على البرلس فى رئاسة البابا دميان الـ ٣٥

ثانيا — قزمان . أولع بالسياحة فطاف أماكن عديدة ومع انه وضع كتبا كثيرة الا أنه لم يبق منها الا كتاب « وصف البلدان طبقا لقواعد الدين المسيحى » .

---

(١) ان الذين جمعوا كتاب السنكسار واهتموا بتدو ينه هم (١) يوليوس الاقفهصى (نسبة لأقفهص بمركز الفشن) وكان معتنيا بآثار الشهداء فى اضطهاد ديوكلتيانوس فى آخر القرن الثالث

(٢) يوحنا البرلسى (نسبة الى البرلس بمديرية الغربية)

(٣) ميخائيل أسقف أتريب (من اطلالها تل اتريب بجوار بنها العسل) .

ثالثا — ديوسقوروس . عالم قبطى وضع كتابا فى علم النبات بناء على طلب اميرة رومانية .

رابعا — أعمال أخرى للمصريين . وكتبت فى هذا القرن نسخة من سفر التكوين محفوظة فى مكتبة فينا ببلاد النمسا وهى تحتوى على اكثر من ٨٨ صورة كما ان علماء العالم بأسره كانوا يفدون على الاسكندرية لتصحيح مابأيديهم من النسخ القديمة التى لا توجد من يعرف باصولها سوى علماء الاسكندرية .

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) اناستاسيوس
(٢) يوستنيانوس (١)
(٢) يوستنايوس ١
(٤) ثورة الاقباط فى عهد موريس

(١) اناستاسيوس :

تولى هذا الامبراطور سنة ٤٩١ م وكان واقفاً على أحوال مصر وملما بكل ما فيها لانه مكث بها مدة منفيا من وجه سلفه وكان مقيما فى مركز منوف بمديرية المنوفية حيث كان له اصدقاء كثيرون . وحدث ان احد الاعيان اشار عليه بزيارة راهب اشتهر بالتقوى يدعى ارميا يقيم فى احدى بلاد المركز ليدعو له بالخير . فزاره يصحبه بعض اصحابه الذين طلبوا من الراهب ان يباركه فباركهم جميعا ولم يبارك اناستاسيوس ببركة خاصة . وبعد انصرافهم صرح اناستاسيوس بحزنه لذلك واظهر خوفه من ان يكون الراهب قد عرف ان خفاياه سيئة فأبى أن يباركه فحاول أصحابه أن يزيلوا هذا الظن منه ولكنهم لم يفلحوا فعادوا الى الراهب واخبروه بالامر فاستدعاه اليه ولما اختلى به هو وثلاثة من اصحابه اخبره بانه رأى يد الله مرفوعة فوق رأسه فلم يرما يجعله يباركه بعد الله ثم أوصاه قائلا « ان الله الذى عينك لمنصب الملك يطلب منك ان تعيش صالحا بعيدا عن الافعال الرديئة غير موافق لانصار مجمع خلكيدون لان من يصادق على ذلك المجمع يحل عليه غضب الله »

وقد تمت نبؤة الاب ارميا فجلس اناستاسيوس على عرش الملك وطلب بعض وجوه الاقباط من هذا الاب ان يوفد اليه بعض تلاميذه لزيارته فأرسلهم تحت رئاسة راهب يدعى وريدنوس من أقارب ذلك الناسك واوصاهم بان لا يقبلوا منه هبة أو عطية الا ان يكون بخورا و بعض أوان تحتاج

اليها الكنائس ولما كان هذا الامبراطور منفيا بنى كنيسة أرسل اليها مع أولئك الرسل أوانى من الذهب والفضة وبخورا ونذوراً عظيمة المقدار كما أنه هدى بعض أصحابه من المصريين هدايا فاخرة وعين بعضهم فى وظائف سامية فى الحكومة .

وصفوة القول أنه لم يقيم بين القياصرة من عمل مثله على اسعاد مصر وارجاع السلام اليها . وكان نظير سلفه فى احترامه للمذهب القديم وامداده لذويه بعمارة كنائسهم واديرتهم واحسانه الى رهبانهم ودفع المرتبات السنوية لهم . ولما رأى ان الانشقاقات الدينية هى التى تبدد السكينه نفى كل الاساقفة الغربيين الذين رآهم ميالين لزرع بذور الخصام والمنافسة فهدأت الاحوال فى كل كراسى البطريركية الا فى كرسى رومية فان اساقفنه كانوا قد استمرأوا عيشة المناشذة والمناجذة فخرج من بين تابعيهم رجل يدعى وبطاليانوس متعللا بأخذ الثأر للكثلكة وهو فى الحقيقة أنما يطلب الملك فجمع الجموع الكثيرة حوله وحاول أن يغتصب العرش من اناستاسيوس واكنه أنهزم شر هزيمة .

وفى أيام هذا القيصر هجم الفرس على مصر وانتشب القتال بينهم وبين الرومانيين مدة أصيبت فيها البلاد بمجاعة فادحة . وفى اثناء اشتدادها تبرع احد المسيحيين اليهود بتوزيع مقدار عظيم من الحنطة على المحتاجين فى يوم عيد القيامة فتزاحم الجياع على ابواب الكنائس حتى هلك منهم ٣٠٠ ألف نفس فى ذلك اليوم .

(٢)يوستينوس[١]

تولى سنة ٥١٨ م وكان رجلا عاميا أميا فتشيع للمجمع الخلكيدونى جهلا منه وصرف همه فى مقاومة الارثوذكسيين . ومن دلائل الغطرسة التى درسها عن اسقف روميه أمره بقطع رأس القديس ساويرس بطريرك انطاكية ففر القديس من وجهه ولجأ الى مصر فأخذ فى اضطهاد بطريرك الكنيسة القبطية وأمر بنفيه وبسبب ذلك جرت مذبحة هائلة هلك فيها نحو مائتى ألف نفس . ثم نفى أساقفة أرثوذكسيين فى جهات كثيرة

(٣)يوستنيانوس[١]

تولى سنة ٥٢٧ م وكان فى اوائل ملكه مشغولا بتوطيد دعائم عرشه وبعد ذلك أهتم باجراء صلح بين الكنيستين اليونانية والرومانية .. ثم أدار وجهه نحو المصريين فاضطهدهم بشدة قاصدا ان يرغمهم على الاعتراف بقرارات مجمع خلكيدون واضطهد الاب ثيودوسيوس طويلا كما مر بسيرته وخلع الاساقفة الارثوذكسيين فى القسطنطينية وارغم كثيرين بعد التعذيب على الاعتراف بالطبيعتين .

غير ان الملكة ثيوذورة وسائر علماء البلاط كانوا من حزب المتأصلين أو ذوى الطبيعة

الواحدة ولم يكونوا راضيين بهذه المعاملة الرديئة والقساوة الشديدة اللتين سار بهما الملك ضد الارثوذكسيين وكانوا يعزون المضطهدين و يقومون بكل ما يحتاجه المسجونون من القوت . وكان لثيوذورة السلطان المطلق على زوجها لجمالها وحكمتها فنصحته بالتزام خطة الاعتدال فهدأ قليلا ولكنه رجع الى تهوره فيما بعد واضطهد الارثوذكسيين وسلب كنائسهم حتى اضطر الاقباط الى تشييد خلافها وسموا احدها الكنيسة الملائكية نكاية فى الكنيسة القيصرية الكبرى التى اغتصبها منهم القيصر

وحدث مرة أنه أمر أسقفا أرثوذكسيا أن يعترف بقرار مجمع خلكيدون أو يعمل أعجوبه فأجابه ان العجائب لغير المؤمنين وطلب من الله أن يظهر اعجوبته فى نفس الملك فأصبح وجهه متورما فجزع وطلب من زوجته أن تطلب من الراهب أن يصلى من أجله فصلى فنال الشفاء . واعتزل الراهب مدة الصوم الكبير فوشى الخلكيدونيون للملك فاستدعاه اليه بحجة أن قانون الوحدة يوجب عدم تركها قبل يوم خميس العهد ولكن الملك عاجلته المنية قبل مجيء ذلك اليوم .

وقد ساعد ولاة مصر بطاركة الاروام على سلب حقوق بطاركة المصريين فتعصب الاقباط ضد اليونانيين وأبطلوا لغتهم من كنائسهم ومجتمعاتهم وصاروا يصلون بلغتهم الاصلية وترجموا كل الكتب الدينية اليها

وفى عهد هذا القيصر حدثت فتنة فى الاسكندرية بسبب بطريرك الاروام فانتهزها اليهود وفتكوا بكثيرين من المسيحيين . ولبث الخلكيدونيون يعبثون فى الارض فسادا واشتد غيظ المصريين من القيصر عندما أصدر أمرا يحرم فيه أوريجانوس بطل الكنيسة الاسكندرية حتى لم يعد يطيق أى مصرى أن يرى رومانيا أمامه فانفصلوا عنهم وصاروا قسمين واختص كل جماعة منهما بلون فاختار المصريون اللون الاخضر والرومانيون الازرق

(٤) ثورة الاقباط فى عهد موريس :

وجاء بعد يوستنيانوس يوستينس ٢ سنة ٥٦٥ م وكان اشفق على العباد من سلفه و يظهر ان ذلك من تأثير زوجته ابنة أخت الملكة ثيوذورة فترك الناس يدينون بما يشاؤون فتمكنت الكنيسة القبطية من استرجاع مراكز من التى اغتصبت منها وتحسنت أحوال شعبها ورعيتها . وخلف يوستينوس طيباريوس ٢ سنة ٥٧٨ م الذى تنازل عن الملك لموريس سنة ٥٨٢ م وفى أوائل حكمه حدثت ثورة فى مصر فى الوجه البحرى تحت زعامة ثلاثة أخوة من الاقباط هم ابوسخيرون ومينا و يعقوب من بلدة عقيلة (١) وسببها ان حاكم قسم سمنود (غربية) القى القبض على رجلين

(١) هى الآن زاوية صقر بمركز ابى حمص بحيرة .

قبطيين من ذوى الوجاهة والاعتبار أحدهما يسمى قسا بن صموئيل والآخر بانون بن آمونى فهجم الثائرون على الرومانيين فى جهة بنا وابى صير (بالقرب من سمنود) وطردهم منها فأرسل واليها الى الامبراطور يشكوه أمره فأمر الامبراطور يوحنا والى الاسكندرية بقمع الثائرون الذين كانوا قد وضعوا يدهم على اقاليم الوجه البحرى وحاولوا الاستيلاء على الاسكندريةفاغتصبوا الحنطة التى كانت مرسلة اليها

وحدثت من جراء ذلك مجاعة اهتاج منها سخط القوم على الوالى وكادوا يفتكون به لولا بعض أعيان الاقباط الذين ردوا عنه اعتداء الغوغاء

ومع ان يوحنا والى الاسكندرية كان صديقا للثلا ثة الاخوة الا أنهم استمروا فى مقاومتهم فعزله القيصر وعين بدله رجلا يسمى بولس وتمكن اسحق ابن اكبر الثلا ثة الاخوة من الانتصار على الرومانيين فاستولى على كثير من مراكبهم وسعى خلفهم الى قبرص يكتسح أمامه قوتهم الحربية حتى خاف الامبراطور من سوء النتيجة وطلب الى يولوجيوس بطريركه فى مصر أن يعقد صلحا مع الثلا ثة الاخوة

وكان يوليوس البطريرك الرومانى على جانب عظيم من دماثه الاخلاق فاكتسب رضاء المصريين عنه واجتمع مع الثلا ثة الاخوة لاجراء الصلح فى مسقط رأسهم فأبوا القبول الا اذا أعاد الامبراطور صديقهم يوحنا الوالى فأجاب طلبهم ورجع الوالى الى منصبه وعين لقيادة الجيش رجلا يدعى ثيوذوروس

وحدث ان قائد الجيش الجديد أخذ القبطيين المأسورين وثلا ثة آخرين من عظماء المصريين كانوا قد سجنوا معهما وأوقفهم على شاطىء النيل المقابل للشاطىء الذى احتشد عليه الثائرون وأمرهم بطرح السلاح والا يقضى على الخمسة الرجال فتوسل المأسورون الى الثائرين أن يكفوا عن القتال شفقة بهم فألقى معظم هؤلاء الاسلحة وعبروا النهر وتقابلوا مع أصحابهم المقبوض عليهم ولم يبق فى ساحة النزال الا الثلا ثة الاخوة و بعض أصدقائهم وظلوا يقاتلون الجيش الرومانى باستبسال ولكنهم غلبوا أخيرا وفروا الى مدينة صان (شرقية) فقبض عليهم الرومانيون ومضوا بهم الى الاسكندرية ومروا بهم فى الشوارع ليعتبر بهم العصاة ثم طرح الثلا ثة الاخوة وابنهم اسحق فى السجن ولبث يوحنا الوالى يدافع عنهم طول مدة ولايته بدون جدوى حتى تعين مكانه وال جديد فقطع رؤوس الاخوة ونفى اسحق نفيا مؤبدا . وأمر الامبراطور بأخذ ممتلكات الثائرين وحرق مدينتى عقيلة وصان

ولم تكد نار هذه الثورة تخمد حتى قامت ثورات أخرى فى خمس مدن وهى صان وخربتا

و بسطة وسنهور وأخميم وغيرها وانتهت جميعها بمذابح وحشية من الوطنيين الذين لازمهم الفشل فى كل تدابيرهم

وبالجملة فلم يكد ينتهى القرن السادس حتى بلغت العداوة بين المصريين والرومانيين أشدها خصوصا عندما أنفذ القيصر أمر الى نائبه بمصر بطرد جميع الاقباط من خدمة الحكومة وعدم قبول أحد منهم فى مصالحها قصدا منه فى اذلالهم فكان ذلك من أقوى البواعث على قنوط الاقباط واعتزالهم الروم بالكلية وقطع كل العلاقات معهم . وكان كل ما اشتد الضيق بالاقباط كلما أزدادوا تمسكا برأيهم وطمعا فى نوال الاستقلال الدينى الذى اشتروه بتلك دماء الالوف المؤلفة منهم

القسم الرابع

البدع والانشقاقات

(١) اختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح
(٢) اختلاف آخر فى ماهية الاقانيم الالهية وفى لاهوت المخلص وناسوته
(٣) بدعة بقية حزب ميليتس
(٤) الاسيفياليون (الذين بلا رأس)
(٥) نزاع بسبب العلامة أوريجانوس
(٦) نزاع على الثلاثة التقديسات
(٧) مسألة الفصول الثلاثة

(١) اختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح :

غلبت بين أنصار الطبيعة الواحدة فى هذا القرن اختلافات قامت بسبب البحث فى ماهية جسد المسيح . فيوليان الهيليكارنسوسى سنة ٥١٩ م اعتقد ان الطبيعة الالهية اتحدت بجسد المسيح منذ حبل به حتى تغير الجسد فى طبيعته وصار عديم الفساد فوافق على ذلك قيانوس ومنه تسمى المعتقدون بهذه العقيدة قيانيين . وانقسم المقرون بهذا التعليم الى ثلاثة أحزاب . فنشأ بينهم اختلاف فى هل كان جسد المسيح مخلوقا أم غير مخلوق فانقسموا الى قسمين سمى الواحد بعبدة المخلوق وخرج منهم حزب ثالث اعتقد ان جسد المسيح قابل الفساد ولكن بقوة اللاهوت لم يصر بالحقيقة فاسدا . واقلع الغيانيون ورجعوا الى حضن الكنيسة فى عهد البابا الاكسندروس ال ٢ بعد أن تمسكوا بضلالهم ١٧٠ سنة

وعارض رأى يوليانوس طائفة أخرى علمت بأن جسد المسيح كان نظير جسدنا قابل للفناء والفساد فالذين يسمون بالكربتيكولين ولاسيا ثيومستيوس شماس اسكندرى استنتجوا من هذا التعليم ان المسيح وان كان باللاهوت يعلم كل شيء ولكن ناسوته يجهل أمورا كثيرة ولانهم يعتقدون بوحدة المسيح الطبيعية استنتج الآخرون من تعليمهم انهم اشركوا الطبيعة الالهية فى الجهل ولهذا سموا غنيتيين . وروى موسيهم المؤرخ البروتستانتى ان البابا ثيودوسيوس الاسكندرى كان من اصحاب هذا الرأى وانه حمل فى حدة الجدال ضد الهراطقة على ان يقول « ان انسانية المسيح كانت تجهل اليوم الاخير» فقالوا انه نسب الجهل للاهوت لاعتقاده بوحدة الطبيعتين . الا أن هذا الرأى لم يدم لان الذين صرحوا به فى معرض الدفاع عن الايمان انتبهوا الى غلطتهم وعدلوا عنها

(٢) اختلاف آخر فى ماهية الاقانيم الالهية وفى لاهوت المخلص وناسوته :

وروى مؤرخو اللاتيين والاروام ان البابا دميان البطريرك ال ٣٥ ذهب بأن لكل من الاقانيم الثلاثة وجودا خاصا وان للثلاثة معا وجودا رابعا عاما وهكذا قامت شيعة مربعى اللاهوت وسموا أربعيين أو دميانيين . وعنها انشقت شيعة قاومت تعليمها باتباعها مذهب سابليوس القديم . ثم قام واحد من معلمى الفلسفة فى الاسكندرية اسمه استفانوس النيوبى ذهب انه لا فرق بين الاهوت والناسوت فى المسيح فتبعته سميت بالنوبيين . الا ان كل هذه الاختلافات التى قامت بين أشياع الطبيعة الواحدة تلاشت جميعها عندما قام يعقوب البرادعى وأخذ يؤلف بين آرائهم و يرد من ضل منهم الى محجة الصواب . وصاروا الكل على رأى واحد هو رأى ديوسقورس البابا الاسكندرى

(٣) بدعة بقية حزب ميليتس :

وظهرت بدعة أخرى بين الذين بقوا من حزب ميليتس الذى انشق عن الكنيسة فى عهد البابا بطرس آخر الشهداء فكانوا اذا قصدوا أن يقدموا الاسرار الالهية يقضون الليل كله يترنحون بشرب الخمور وحجتهم فى ذلك ان السيد المسيح قبل أن يسلم لتلاميذه السر المقدس شرب معهم خمرا . فقاوم البابا دميان هذه الفيئة ولما لم يذعنوا أمر بنفيهم من بين الرهبان خوفا من أن تمتد البدعة اليهم

(٤) الاسيفاليون (الذين بلا رأس) :

وهم الذين انفصلوا عن الكنيسة فى أيام البابا بطرس البطريركا ال ٢٧ لانه قبل الاتحاد مع بطريرك الاسكندرية الذى كان أحد الذين حكموا على البابا ديوسقوروس. ثم انقسمت هذه الشيعة الى أحزاب ثلاثة هى الانثرو بومرفيتين والبارسنوفيتيين والاسأنتين وتبع هذه الاحزاب احزاب أخر وقد بقى من كهنة الذين لا رأس لهم قسوس فى أيام البابا دميان وكانوا يسكنون شرقى

مصر فتسلط عليهم فكر شيطاني بأنهم يقيمون لانفسهم أسقفا خوفا من ملاشاة ذكرهم فاختارو أكبرهم بارسنوفة ورسمه الثلاثة القسوس أسقفا . فلما سمع أهل غربي مصر منهم بذلك غضبوا جدا لانهم فعلوا ذلك بغير مشورتهم فانفصلوا عنهم ولم يساعدوهم و بذلك لم يكن لهؤلاء من يعمدهم أو يقربهم أو يصلي لهم فوسموا لهم أسقفا ولكنهم استمروا ينقصون شيئا فشيئا حتى بادو بالكلية

(٥) نزاع بسبب العلامة أوريجانوس :

ان الحروم الكثيرة التي صدرت ضد العلامة أوريجانوس لم تؤثر على مقامه ومركزه عند رهبان مصر المطلعين بتدقيق على مؤلفاته العديدة والعارفين باتعابه وطهارة سيرته . فترجم انسان اسمه بلاتر في الغرب بعض مؤلفاته الى اللاتينية . وفي الشرق ولا سيما في سوريا وفلسطين كان الرهبان يدافعون عنه بغيره صحيحة و وافقهم على ذلك بعض الاساقفة ولاسيما ثيوذوروس الذى من قيصرية كبدوكية

فحدث ان افرآم بطريرك انطاكية حكم على اوريجانوس وأضاليله لاعتباره أياها مساعدة مذهب الطبيعة الواحدة الذى كان يكرهه فطلب اولئك الرهبان من بطرس الاورشليمي قطع افرآم فأبى وأرسل مندوبين من قبله الى القسطنطينية ليقدم ليوستنيانوس قيصر شكاية ضد أوريجانوس . فعقد القيصر مع مينا بطريرك القسطنطينية مجمعا أصدر منه أمر مستوفيا بحرم أوريجانوس وعقائده ونهى عن مطالعة كتبه . و بعد ذلك حكم في مجمع مسكوني عظيم جمعه القيصر سنة ٥٥٣ م على آراء أوريجانوس بأنها سامة للكنيسة

(٦) نزاع على الثلاثة التقديسات :

أن الكنيسة منذ القديم رتبت قرأة التريساجيون (أى الثلاثة التقديسات) وقيل ان أول من أذاعها هو اغناطيوس الثاوفورس والذى أمر بترتيلها قبل قراءة الانجيل هو بطرس الرسول

وجاء في كتاب البصخة المطبوع حديثا « ان يوسف ونيقوديموس لما شرعا في تحنيط السيد أمسك يوسف يده وقال هذه اليد العظيمة التي كونت المخلوقات وأنا أكفنها ففتح المسيح عينيه وتبسم في وجهه فصرخ عند ذلك يوسف قائلا « قدوس الله الخ » أهـ وهذا نص : —

« قدوس الله قدوس القوى قدوس الحي الذى لايموت . يا من ولدت من العذارء أرحمنا »

« قدوس الله الخ . يا من صلبت عنا ارحمنا »

« قدوس الله الخ . يا من قمت من بين الاموات وصعدت الى السموات ارحمنا

ولما ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية وأراد أن يحذف من طقوس الكنيسة كل ما يدل ولو ظاهرا على نسبة الآلام للاهوت منع اطلاق لقب والدة الاله على السيدة العذراء ولما رأى ان بعض

عبارات هذه التقديسات تخالف مبادئه حذفها واكتفى بأن تكون هكذا « قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت . ارحمنا » وأمر جميع الكنائس بترتيلها على هذه الصورة فخضعت لاشارته الكنائس التى نشأ فيها ودرس علومه بينها وهى كنائس سوريا والشرق

وفى أيام البابا بطرس منغوس بطريرك الاسكندرية كان معاصرا له الآب بطرس القصار بطريرك انطاكية أحد الذين وقعوا على منشور الاتحاد فأشارالبطريرك الاسكندرى على البطريرك الانطاكى بأن يعيد للثلاثة التقديسات ما حذف منها لكى تحفظ كما رتبت فى العصر الرسولى . فأصدر بطريرك انطاكية منشورا لجميع الابروشيات التابعة له يأمر فيه بترتيل الثلاثة التقديسات كما وضعها الرسل فعملت الكنائس بأمره ولاسيما كنيسة القسطنطينية

ولما انتشرت هذه الزيادة لم يرض عنها الخلكيدونيون فأشاعوا بأن بطرس القصار يقصد بذلك أن ينسب للاهوت الولادة والآلام والموت أطلقوا عليه لقب « صالب اللاهوت » غير ان الملكة ثيوذورة أقنعت القيصر يوستنيانوس فصدق عليها رسميا . قال العلامة موسيهم المؤرخ « وكانت النتيجة ان المسيحيين الغربيين رفضوا الترنيمة لانهم فهموا انها تشير الى صلب الاقانيم الثلاثة وأما المسيحيون الشرقيون فاستمروا يستعملونها دائما الى وقتنا هذا بدون خطيئة لانهم يعيدون الترنيمة الى المسيح وحده أو الى أقنوم واحد فقط فى الثالوث » أهـ (١)

فيفهم من قول هذا المؤرخ ان الذين أبوا أن يرتلوا التريساجيون بالصورة الاصلية ظنوا ان ذكر قدوس فيها ثلاث دفعات فى كل مرة اشارة الى الثالوث الاقدس فلهذا حكموا بأنها بدعة ولكن الكنيسة لا تعتبرها هكذا ولم تقصد بها أن تخاطب الثالوث الاقدس كأنها تقول « قدوس الله الاب قدوس القوى الابن قدوس الحى الذى لا يموت الروح القدس » بل المراد مخاطبة الابن المتأنس فقط معترفة فى الاولى بولادته وفى الثانية بصلبه وفى الثالثة بقيامته وصعوده

قال الشيخ حبيب أبو رابطة أحد علماء الكنيسة السريانية فى القرن الحادى عشر من رسالة له ضد أحد النساطرة أيد بها التقديس المثلث كما تترنم به الكنيسة القبطية « ان الاربعة الحيوانات رتلوا التقديس المثلث بقولهم « قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شىء الذى كان والكائن والذى يأتى » (رؤ ٤ : ٨ و٩) ولا ريب انهم كانوا يخاطبون الابن فقط كما يستدل من قرينة الكلام ومن مراجعة (رؤ ١ : ٧ و٨ و٢٢ : ١٢ و ٢٠) وان اعترض معترض بأن قول الحيوانات « والذى يأتى » انما يريدون به اقنوم الابن لكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتا مجردا

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢٠

فنجيبه قائلين . أن هذه العبارة التى قيلت من بعد التجسد لا يراد بها فى الانجيل أو خلافه الا الابن حالة كونه متجسدا . فاسمع ماذا قال الملاكان وقت صعود المسيح له المجد « ان يسوع هذا الذى ارتفع عنكم الى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء » (أع ١ : ١١) أهـ .

وقال العلامة موسهيم أيضا « وحدثت منازعة جسيمة بين اليونانيين سنة ٥١٩ م فى انه هل يليق القول ان أحد الاقانيم صلب فاستعمل كثيرون هذه العبارة لكى يلحوا على الناظره الذين تطرفوا فى تفريق طبيعتى المسيح والرهبان السيكثيون فى القسطنطينية الذين هم أصل هذه المنازعة ولكن الآخرين حسبوا هذه العبارة مطابقة لضلال صالبى اللاهوت أو الافتيخيين فرفضوها و وافق أورمسداس أسقف رومية حين استشاره الرهبان السيكثيون وحصلت منازعات جسيمة سامة . وأخيرا المجمع الخامس و يوحنا الثانى خليفه أورمسداس استرجع الصلح للكنيسة باستصواب استعمال العبارة » أهـ (١) ولا تزال كنيستا الموارنة والسريان الكاثوليكيتين التابعتين لقصر الفاتيكان ترغان هذه الترنيمة فى جمعة الحاش (الآلام) وتشيران بها الى أقنوم الابن المتأنس . ومؤلف كتاب « تاريخ سوريا » وهومارونى ذكر فى كتابه ج ٥ ص ١٤٩ عن مؤسس كنيستهم وهو يوحنا مارون مايأتى « و يعزى الى يوحنا مارون رسالة فى التريساجيون أى التقديسات الثلاثية قدوس الله قدوس القوى قدوس الذى لا يموت عنوانها جواب على من يزعمون اننا نعزو الصلب الى الثالوث الاقدس اذ نزيد على التقديسات « يا من صلبت من اجلنا » ثم ذكر فى ص ١٥٠ فقرة من كتاب ليوحنا مارون فى هذا المعنى فى شرح رتبة القداس فصل ١٩ قال فيها « اننا نبين لسؤالكم أيها الابناء الاحباء هل ينبغى أن يترنم بالتقديسات مع الزيادة عليها « يا من صلبت من أجلنا » ومتى يترنم بذلك ؟ فاعلموا ان هذه التسبحة توجه تارة الى الثالوث الاقدس وتارة الى أحد الاقانيم الالهية فقط واذا وجهت الى الثالوث الاقدس المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها « يا من صلبت » ... ومتى وجهت هذه التسبحة الى الابن فلا مانع من أن يزاد عليها ذكر الآلام والصلب والموت والدفن والقيامة و باقى أسرار تدبير مخلصنا اذ لا مراء ان الابن تألم وصلب ومات من أجلنا » أهـ هذا وان يوحنا مارون المشار اليه قضى حياته يدافع عن وحدة مشيئة المسيح خلافا لمذهب الكنيسة البابوية بأن فى المسيح طبيعتين ومشيئتين

(٧) مسألة الفصول الثلاثة :

علمنا انه كان من انصار الطبيعة الواحدة فى بلاط القيصر الملكة ثيوذورة المشهورة بالتمسك بايمانها ودوميتيانوس كاتم أسرار القيصر فانضم اليهم ثالث وهو ثيوذوروس القيصرى المذكور الذى كان القيصر يعتبره ويجله فسافر الى القسطنطينية و بينما كان يوستينيانوس ينكل بالارثوذكسيين أقنعة بالاتفاق مع الملكة ان مجمع خلكيدون أخطأ بقبوله النسطوريين قبل أن يحرم مؤلفاتهم ثم

(١) تاريخ الكنيسة ص ٢٤٤

أفهمه ان الخلكيدونيين قبلوا بينهم ثيوذوروس المبسوسيتى وثاوذوريتوس اسقف كورش وايباس الذى من اديسا (الرها) ان هؤلاء هم أصل الشيعة النسطورية والمدافعون عنها وكتب كل منهم كتابا ضد القديس كيرلس ومع كل ذلك قبلهم المجمع الخلكيدونى وأعز شأنهم . فلما وقف يوستنيانوس على الحقيقة أصدر سنة ٥٤٤ م منشورا يحرم فيه الفصول الثلاثة وهى مؤلفات ثيوذوروس المبسوسيتى وكتابات ثاوذوريتوس ضد القديس كيرلس والرسالة التى أرسلها ايباس خطابا الى مارس الفارسى ثم حرم مؤلفيها وطلب من جميع البطاركة والاساقفة فى أنحاء المملكة الرومانية المصادقة على هذا الحرمان والتوقيع على المنشور الصادر به وكان عبارة عن تسفيه أعمال مجمع خلكيدون وتسفيه آراء القائلين بصحة قراراته لان أولئك الكتاب الثلاثة كانوا من معضديه فاضطر كثيرون من الاساقفة على توقيع المنشور وتهدد من يمتنع بالعزل

وكانت الملكة ثيوذورة قد استدعت ويجيليوس اسقف رومية الى حرم مجمع خلكيدون بمساعدة البطاركة انتيموس القسطنطينى وثيوذوروس الاسكندرى وساويرس الانطاكى والقول بقولهم فأجاب طلبها ووافق على رأيها وحرم من يعتقد بطبيعتين فى المسيح ولا يعترف بجوهر واحد فقط ومن يقول انه صلب من حيث هو انسان ولا يعترف ان ابن الله نفسه صلب وشجب الفصول الثلاثة ومؤلفيها النسطوريين الذين قبلهم مجمع خلكيدون . أما أساقفة افريقية والليريكوم فالزموه أن يسترجع ذلك الشجب لانه لا أحد منهم يحسبه أسقفا وأخا أن لن يستصوب الفصول وذلك المجمع

وبعد ذلك طلب منه يوستنيانوس أن يمهر منشوره فراوغ كثيرا وماطل فطلب منه القيصر بأن يحضر الى القسطنطينية فقام من روميه وبينما كان يركب السفينة فى نهر تيبر أخذ شعب رومية يرشقه بالحجارة قائلا « فليرافقك صيتك الردى . فليرافقك الموت . لقد صنعت شرورا فى رومية . فلتلاقينك الشرور حيث تذهب » ولما قابل الملك سلمه كتاب معروفا باسم « جوديكاتم » حكم فيه على الفصول الثلاثة وقد اجتهد فى مجمع عقد فى العاصمة أن يقنع الاساقفة الغربيين ليمضوه فلم يستطع بل قاموا ضده وطعنوا فيه بأنه خان الايمان ودنس الكنيسة بعقيدة خبيثة (فليسمع الذين ينادون بعصمة باباواتهم فى تعاليمهم)

ولم يكتف يوستنيانوس بذلك بل عقد مجمعا ثانيا سنة ٥٥١ دعا اليه اساقفة افريقية والكريكيوم وأمرهم بشجب مجمع خلكيدون فلم يوافقه منهم كثيرون . وفى تلك السنة نفسها اصدر امرا ثانيا ضد مجمع خلكيدون أشد من الاول وطلب من اسقف رومية أن يوقع عليه فأبى وفر واختبأ بكنيسة ماربطرس بالقسطنطينية فطارده يوستنيانوس ولكنه تمكن من الهروب الى خلكيدون وبعد ذلك أمنه الملك على حياته ليحضر مجمعا مسكونيا عقده فى القسطنطينية سنة ٥٥٣ م وحضره ١٦٥ أسقفا خلكيدونيا حكموا جميعهم على الفصول الثلاثة . وكان ويجيليوس فى المدنية متمارضا فعرضت عليه قرارات المجمع ليوقعها فامتنع فنفاه القيصر ثم ندم وأمضى تلك الاحكام وعاد الى

كرسيه ولكنه وجد أساقفته قد انفصلوا عنه لانه بامضائه على ذلك القرار قد رذل مجمع خلكيدون

وقد حضر هذا المجمع أبوليناريوس البطريرك الامبراطورى بالاسكندرية أما الكنيسة القبطية فمع كونها كانت ترى قرارات يوستنيانوس طبقا لاعتقادها ولكنها أبت أن تشترك معه فى تدبير المكائد للآخرين. ورفضت منشوره رفضا قطعيا اذ كانت قد آلت على نفسها أن لا تحرم انسانا انتقل من هذا العالم الى العالم الآخر اذا رأته مخطئا اكتفت بأشهار أخطائه .

فالآن لنا فرصة نقارن فيها بين تصرفات أساقفة رومية وتصرفات بطاركة الاسكندرية وكيف ان هؤلاء كانوا يترفعون عن السعى للايقاع بالغير بينما كان أولئك لا يجدون فرصة يتمكنون فيها من نشر الاذى على رؤساء الكنائس الاخرى حتى ينتهزوها . ولنا أيضا أن نقارن بين ارتياب أساقفة رومية بايمانهم وتمسك بطاركة الاسكندرية به . . وكيف لا يخجل الغربيون اذا ذكروا مع تاريخ أسقفهم ويجيليوس تاريخ ديوسقوروس البابا الاسكندرى ورأوا البون العظيم بين تلون ذاك وثبات هذا وكيف ان التهديدات المرة لم تزعجه بل استمر محافظا على ايمان كنيسته الى أن جاد بآخر أنفاسه . وأما أسقفهم فكان يتلون كل يوم بلون وسهل عليه أخيراً أن يسلم فى ايمانه حبا فى سواد عيون الفخفخة الكاذبة

القرن السابع

القسم الاول
تاريخ البطاركة

(١) انسطاسيوس	(٢) اندرونيقوس
(٣) بنيامين[١]	(٤) اغاثو
(٥) يوحنا[٣]	(٦) اسحق
(٧) سيمون[١]	

(١)انسطاسيوس :

البطريرك السادس والثلاثون . كان من أبوين وجيهين أقيم بعد البابا دميان وكان رجلا حكيما مزينا بالفضائل وكان قسا فى كنيسة الانجيليين وكنيستى قزمان ودميان بالاسكندرية مشهورا بالتضلع فى كتب البيعة وفهم الأمانة فأجمعت كلمة الشعب على انتخابه فى أبيب سنة ٣٠٩ ش و٦٠٣ م فى عهد فوقا قيصر المغتصب وقد عرفنا فيما سبق ان البطاركة كانوا ممنوعين من الدخول الى الاسندرية ولكن هذا البابا كان قوى القلب يمضى الى المدينة ويدخلها فى كل وقت ويرسم فيها الكهنة . ثم أخذ يعمل مع قومه حتى استرد ما استولى عليه الملكيون من كنائس المتأصلين ورمم منها ما انشعث فى أيام الاضطرابات فأخذ البيعة التى هى بربوة اثارات وبيعة على اسم رئيس الملائكة ميخائيل . وكان له تعب عظيم من جماعة تيباريوس وابلساريوس الذين صار عليهم اسم قيانوس وأصحاب المجمع الخلكيدونى

وعين وقتئذ رجل شرير يدعى أولوجيوس بطريركا للملكيين وكان حانقا على البابا انسطاسيوس جدا وحاول ان يوقع به ولكن الله لم يسلمه فى يديه وفى الغالب كانت وظيفة البطاركة الملكيين سياسية أكثرمنها دينية بدليل انه لم يكن لهم عمل سوى تنفيذ ارادة الامبراطور واتفق انه قام حينئذ رجل يدعى فوقا وقتل القيصر وجلس موضعه وكان ظالما عاتيا فكتب له اولوجيوس فى البابا انسطاسيوس باقوال كاذبة منها قوله أن البطريرك لما كرز فى بيعة يوحنا المعمدان حرمه هو وجميع الملوك المنتصرين للمجمع الخلكيدونى فلما سمع فوقا ذلك كتب لوالى الاسكندرية أن يغتصب من البطريرك بيعتى قزمان ودميان وجميع اوانيها ويدفعها لاولوجيوس . فأخذت البيعة بالقوة ورجع البابا انسطاسيوس الى الدير وقلبه ملآن بالحزن .

وفى ايام البابا انسطاسيوس افتتح كسرى ملك الفرس بلاد الشام و وصل حدود مصر يتهددها و يتوعدها وكان كثيرون من مسيحيى سور يا قد فروا الى مصر ملتجئين اليها من ظلم الفرس فعمل البابا انسطاسيوس كل ما فى وسعه لتخفيف و يلاتهم وتنفيث كربهم . وكان البطريرك الرومانى الذى خلف تاودروس الذى جاء بعد أولوجيوس يدعى يوحنا الملقب (بالرحيم) وذلك لانه كان على جانب عظيم من رقة الاخلاق المسيحية فتسابق مع البابا الاسكندرى فى مؤاساة هؤلاء المنكوبين والحق يقال ان يوحنا قدم مساعدة تذكر للبابا انسطاسيوس اذ كان أوسع منه ثروة لأن البطاركة الملكيين كانوا واضعين ايديهم على ايراد الكنائس القبطية ودخلها كله ولم يكن لدى البطريرك المصرى سوى ما يجمعه من المحسنين لسد احتياجاته . فسار البابا انسطاسيوس مع يوحنا بغاية الوداد والصداقة الخالصة من كل نفاق لما تبينه فيه من التقوى الصحيحة

وكان البابا انسطاسيوس فى ايامه يشتهى ان يجمع الله بين الكرسيّن الاسكندرى والانطاكى الذى فرقه بطرس فسمع الله لطلبته ومات بطرس المذكور وجلس عوضه على كرسى انطاكية رجل صالح عالم يدعى اثناسيوس فسبق البابا انسطاسيوس وكتب له سنوديقا مملوءا حكمة وجعله فيه شريكا له وأخا فى اصلاح ما أفسده بطرس الضال فقبل انستاسيوس رسالته وجمع الاساقفة واخبرهم بالامر فسروا جميعا لعودة الاتحاد بين كرسيى ثيودسيوس وساويرس اللذين كانا يعملان لتأييد الايمان جنبا الى جنب فقام الاب اثناسيوس وأخذ معه خمسة أساقفة وسار فى موكب الى الاسكندرية فلما وصل اليها و بلغ خبره البابا الاسكندرى قام باكليروسه وخرج ماشيا حتى تلقاه بالتسبيح والفرح ودخلوا جميعا الدير القائم على ساحل البحر شرقى بحرى الاديرة وجلسوا هناك بسلامة ثم أقاموا الصلاة وتناولوا من الاسرار المقدسة وخطب فيهم الآب اثناسيوس خطبة بليغة واستمر ضيفا كريما لدى البابا انسطاسيوس شهرا كاملا وهما يتحاوران و يتسامران فى الامور الروحية

وكان البابا انسطاسيوس مهتما بامور البيعة بحرص عظيم ومشتغلا بالعلوم الروحانية وأقام على الكرسى اثنتى عشرة سنة حافظا للامانة المستقيمة كتب فيها اثنى عشر كتابا رتبها على حروف الهجاء القبطى أى انه ابتدأ فيها أول سنة بحرف (لولا) وفى الثانية بحرف (فيتا) وهكذا الى أن كتب الكتاب الثانى عشر ووسمه بحرف (الفلا) ثم أراد السيد المسيح أن ينقله الى كورة الأحياء فى الثالث والعشرون من كيهك سنة ٣٢٠ ش و ٦١٤ م .

(٢) اندرونيقوس — البطريرك السابع والثلاثون :

جلس على الكرسى بعد البابا انسطاسيوس فى امشير سنة ٣٢٠ ش و٦١٤ م فى عهد هرقل قيصر وكان عالما غنيا جدا محبا للصدقة شماسا فى كنيسة الانجيليين وكان أهله من مقدمى المدينة

حتى انهم ولوا ابن عمه ديوان الاسكندرية ومن أجل قوة سلطانه لم يقدر الهراطقة أن يخرجوه من الاسكندرية الى الاديرة فأذنت له الحكومة بالبقاء في الاسكندرية بغاية ما يكون من الحرية فجلس في قلاية في بيعة الانجيليين أيامه كلها ولذلك مد السلام رواقه على الكنيسة المصرية طول حياته

وكان كسرى ملك الفرس قد استولى على مصر سنة ٦٢٠م ولشدة تضيقه على المصريين لم يتمكنوا من اقامة خلف للبابا اندرونيقوس وكان يوحنا بطريرك الملكيين قد توفى قبل البطريرك المصرى بسنة ولم يتمكن هرقل قيصر الرومان لشغوليته بالدفاع عن القسطنطينية عاصمة ملكه ان يعين لهم بطريركا فى مصر فاستمرت الكنيستان المصرية والرومانية بلا رئيس حتى شرع المصريون فى انتخاب بطريرك لهم فتنبه الاروام وأرادوا محاكاتهم خوفا من أن يستقل البطريرك المصرى و يستولى على ايراد الكنائس الذى صار فى حيازتهم ولم ينتظروا أمر القيصر بل انتخبوا رجلا يدعى جرجس ورسموه بطريركا لهم أما الاقباط فوقع اختيارهم على رجل خائف من الله مؤمن اسمه بنيامين من دير يعرف بدير قنوبوس أتى اليه فى ذلك الوقت لان هذا الدير لم تخربه الفرس مع ما اخربوه وكان بنيامين هذا من أهل مريوط (١) من عائلة اشتهرت بالثروة الكثيرة والنفوذ الواسع مما ساعد هذا البطريرك فى ما قام به من الاعمال العظيمة لخير الكنيسة وجعل له شهرة فائقة وكان فى الدير تحت ارشاد شيخ قديس يدعى ثاؤنا رباه بخوف الله حتى برع فى العلوم الروحية وبلغ درجة فائقة فى القداسة وكانت أكثر قراءته فى انجيل يوحنا حتى حفظه ورأى فى احدى الليالى فى نومه رجلا فقيرا وقف به وقال له «افرح يابنيامين الحمل المتواضع والراعى معا الذى يرعى قطيع السيد المسيح» فاضطرب مما سمع واخبر به معلمه فافهمه ان هذا صوت شيطان ليقوده الى الكبرياء ثم قال له ان لى خمسين سنة فى هذا الدير ولم أر شيئا مثل ذلك .

غير ان بنيامين كان يتزايد كل يوم فى الفضيلة حتى كان وجهه يتلألأ كوجه ملاك ولكثرة اعجاب معلمه به أخذه ومضى به الى البابا اندرونيقوس وشرح له حاله فطلب البابا أن يقدمه اليه فلما شاهده رأى نعمة المسيح عليه فسأله عما شاهد فروى له الحقيقة فامسكها البطريرك تلك الليلة ولما كان الصباح عزم ثاؤنا على الرحيل للدير ببنيامين فنعه البطريرك عن ان يأخذه وابقاه لديه ثم رسمه قسيسا وصيره وكيلا له وفرح به البابا أندرونيقوس فرحا عظيما ولما دنت وفاته أوصى ان يكون بعده ثم تنيح البابا اندرونيقوس بعد ما قضى على كرسى البطريركية ست سنين ورأى اضطهاد الفرس الكريه للمسيحيين وصبر على ما حل به ومات شيخا وهو حافظ الامانة المستقيمة امانة آبائه وكانت نياحته فى ٨ طوبه سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠م

---

(١) هى الان تبع الغيتة بمركز كفر الدوار وخربت من زمان بعيد .

(٣) بنيامين [١] — البطريرك الثامن والثلاثون :

جلس على الكرسى الاسكندرى فى امشيرسنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠م فى عهد هرقل قيصر بعد معلمه اندرونيقوس . وجميع بطاركة الكرسى المرقسى قبل البابا بنيامين كانوا من الاسكندرية وهو أول بطريرك اقيم من المدن والبلاد وكان مسقط رأسه مريوط كما ذكر وكانت حياته كلها سلسلة أوجاع وآلام . فانه لم يكد يرسم بطريركا حتى أوفد هرقل قيصر الرومان واليا الى أرض مصر يدعى كيروس ليكون بطريركا وواليا عليها . ولكى ينال هرقل رضاء المصريين كلف كيروس بنشر مشروع الاتحاد الذى سيأتى ذكره القائل بان المسيح «مشيئة واحدة» بدل قولهم «طبيعة واحدة» . فأبى البابا بنيامين قبول أى تعليم يؤثر على ما تقلده من آبائه . فأخذ الوالى فى اضطهاده حتى رأى حياته فى خطر وقيل ان ملاك الرب تراءى له وقال له «اهرب انت ومن معك من هنا لانه شدائد عظيمة تنزل عليكم ولكن تعز فلا يستمر هذا الجهاد سوى عشر سنين» فكتب منشورا الى سائر الاساقفة فى اقاليم مصر ينصحهم فيه ان يختفوا من وجه التجربة الآتية عليهم . وجمع كهنة الاسكندرية واوصاهم بالسهر على الرعية ثم خرج من طريق مريوط وهو ماش على رجليه ليلا ومعه اثنان من تلاميذه حتى وصل الى اسقيط القديس مكاريوس وكان هذا عقب الخراب الذى دهثم هذه البرية من الفرس فلم يجد فيها الا نفراً قليلا فتركهم وانصرف الى الصعيد وسكن هناك فى بلاد تيباس واختفى فى دير صغير حتى تمت العشر سنين

وفى هذه الاثناء هجم العرب على مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا عليها وقرب عمرو منه كبار الاقباط وكان بينهم رجل يسمى شنودة فتقدم اليه وأعلمه بخبر البطريرك وما كان من أمر هروبه واختفائه وطلب منه أن يأمر بعودته فلبى طلبه وكتب امانا وارسله الى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور دون ان يخاف مطلقا ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه واظهر له الولاء واقسم له بالامان على نفسه وعلى رعيته وقيل انه طلب منه ان يصلى لاجله حتى اذا رجع منتصرا من حروبه الاخرى يجيبه الى كل ما يطلبه فدعا له البطريرك وتم لعمرو ما اراد بدعائه وعزل البطريرك الذى اقامه هرقل . ورجع البابا بنيامين الى مركزه معززا مكرما وهكذا عادت المياه الى مجاريها بعد غياب ثلاث عشرة سنة منها عشر سنين فى عهد هرقل وثلاث سنين قبل ان يفتح المسلمون الاسكندرية واعطاه عمرو الكنائس التى اغتصبها الاروام ثم أخذ فى جذب الذين اضلهم هرقل فرجع منهم كثيرون وظهر الارثوذكسيون الذين كانوا مختفين حسب مشورة بطريركهم ثم ظهر ملاك الرب للبطريرك طالبا منه ان يبنى بيعة بدير مطرا لانه يتنجس بافعال الخلكيدونيين الرديئة دون كل الكنائس والاديرة التى هتكوا فيها الاعراض واهرقوا فيها الدماء

ثم وجه البطريرك التفاته نحو الاديرة التى أخربها الفرس اثناء تملكهم لمصر واجتهد فى تصليحها فرمم عمارات اديرة برية شيهات بوادى النطرون فبنى دير الانبا بيشوى واعاد اليه رهبانه ولما نما عددهم وأخذوا قسطهم من الراحة قصد بهم الى دير ابى مقار فرمموه وبنوا به كنيسة عظيمة

ودعوا البطر يرك لتكر يسها . وكان شنوده كبير الاقباط حينئذ قد كلف البابا بنيامين ببناء كنيسة على اسم القديس مرقس ولكن الأجل لم يفسح له

وكان مع هذا البطر يرك انسان مملوء نعمة وحكمة اسمه اغاثو وكان قسا فى الكنيسة وهو من اهل مر يوط كان فى زمن هرمل يتز يابزى العلمانيين فى مدينة الاسكندر ية و يطوف فى الليل ليثبت الارثوذكسيين المختفين و يقضى حوائجهم و يناولهم من الاسرار المقدسة وفى النهار كان يحمل على كتفه قفة فيها آلات النجارة و يتظاهر امام المضطهدين بانه نجار حتى لا يعترضوا سبيله . فمكث هكذا ١٠ سنين الى حين ظهور المسلمين ورجوع البابا بنيامين فجعله وكيلا له فى تدبير البيعة . واصيب البابا بنيامين بمرض فى رجليه استمر فيه سنتين وقبل وفاته ارسل مطرانا جديدا الى الحبشة ومعه راهب اسمه تكلاهيمانوت عرف بقداسته وتقواه ولا زال الحبش يكرمونه ويجلونه الى هذا اليوم و يقولون انه أول من أوجد الرهبنة فى بلادهم . ثم لحق البابا بنيامين بآبائه وتنيح فى اليوم الثامن من طو به سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م بعد ان جلس على كرسى البطر يركية تسعا وثلا ثين سنة

أما البطر يرك الرومانى كيروس فقد مر بنا خبر عزله وقيل انه لشدة حسرته لسبب خيبته وفشله مص خاتما مسموما فمات لوقته ولا يعلم من القيصر أو الملكيين بمصر اختار خلفه بطرس الذى لما عرف ان للبابا بنيامين السلطة والرئاسة فى مصر لم يعجبه البقاء فيها فآب الى القسطنطينية مع المهاجر ين اليها واستمر الكرسى الرومانى بعد بطرس خاليا مدة ستين سنة

(٤) اغاثو — البطر يرك التاسع والثلاثون :

جلس على كرسى البطر يركية بعد معلمه بنيامين وكان صالحا كاسمه وهو من الاسكندر ية واحزنه كثيرا رؤ ية أولاده فى ايدى الامم وتحت سلطانهم . ولما فتح العرب عدة ولايات وجزر للروم فى امشير سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م فى عهد خلافة على ابن أبى طالب . نهبوا كل ما فيها وسبوا اهلها وأتوا بهم الى مصر فكان البابا اغاثو يبتاع منهم الرجال والنساء بالفضة والذهب و يأتى بهم الى بيوت المسيحيين خوفا من ان يسلموا

وقد تضايق هذا البابا كثيرا من تصرفات رجل اسمه ثيودوسيوس من اتباع كنيسة الأروام بمصر كان رئيسا فى جماعة الخلكيدونيين فهذا مضى الى دمشق وقدم رشوة وافرة الى الخليفة يز يد بن معاو ية واخذ منه أمرا يتسلط به على شعب الاسكندر ية ومر يوط وكل ما يتبعهما واستمد هذا الرجل سلطته من الحاكم الاسلامى بواسطة الخداع والمكر فسعى فى مضايقة البابا اغاثو واقلقه وطلب منه مالا واخذ منه ٣٦ دينارا جز ية كل سنة عن تلاميذه وقرر عليه دفع كل ما ينفقه على النواتية فى الاسطول . ثم ضيق عليه ضيقا عظيما فما كان البابا يستطيع الخروج من باب قلايته حتى ان ثيودوسيوس أوصى اتباعه قائلا «اذا رأيتم بابا الارثوذكسيين خارجا ليلا أو نهارا ارجموه بالحجارة

واقتلوه وانا المجاوب عنه » وكان غرضه من ذلك ان يكون بطر يركا عوضه اما البابا اغاثو فكان يصلي من أجله حسب وصية السيد المسيح

وفي أيام هذا البطر يرك عمرت البيعة التي على اسم ابى مقار وكثر الاخوة حتى انهم بنوا القلالي بقرب البهلس . وحدث ان رجلا تقيا حكيما يدعى يوحنا من سمنود كان راهبا بدير انبا مكار يوس في الاسقيط اصيب بمرض عضال عديم الشفاء وفي ذات ليلة رأى في نومه انسانا مهيبا لمسه فأبرأه وخاطبه بان يقوم بالواجب الذى سيكلف به فقام من وقته ومضى الى دير من اعمال الفيوم ومعه تلميذاه واختفى هناك . فظهر للبابا اغاثو في رؤ يا ايضا من قال له ادع اليك القس يوحنا ليعينك و يساعدك وهو الذى يجلس بعدك على الكرسى . فانفذ كهنته الى انبا مينا اسقف الفيوم يطلب منه ان يرسل يوحنا اليه . ومع ان اسقف الفيوم كان يحب يوحنا الا انه لم يستطع مخالفة البطر يرك . فأتى يوحنا الى الاسكندر ية ففرح به البابا واشار عليه البعض بان يرسمه اسقفا لبعض الكراسي ولكنه أبى

وقضى البابا اغاثو بقية ايامه مهتما برسامة الكهنة المستحقين للشرطونية الخائفين من الله والناس يشكرون الله على لفعاله حتى اكمل كل ايامه بشيخوخة حسنة وأقام ١٧ سنة على كرسيه وتنيح في ١٦ هاتور سنة ٣٨٣ ش وسنة ٦٧٧ م وجعل جسده مع البابا بنيامين .

وحدث عندما توفي هذا البطر يرك ان اسرع ثيودوسيوس الخلكيدوني الى البطر يركية وأوصد جميع ابوابها وختمها بالشمع الاحمر بدون مسوغ شرعى و بدون قانون يخول له هذا التداخل المذموم واستاء الارثوذكسيون من هذه الوقاحة وقاومه ارخن بسخا يدعى اسحق مستعينا عليه بوالى سخا ورفع الارثوذكسيون الامر الى الوالى المسلم فنظر في الامر ورفع هذا الحيف الثقيل الى ان انتقم منه الرب بضربة قوية في احشائه وهى علة الاستسقاء وصار يأكل بدون شبع حتى مات ميته سيئة

(٥) يوحنا٣ — البطر يرك الار بعون :

بعد نياحة البابا اغاثو كان الآب يوحنا قد حاز صيتا حميدا واكتسب شهرة في القداسة والفضيلة فانتخب بالاجماع لكرسى البطر يركية في أول كيهك سنة ٣٨٣ ش و ٦٧٧ م في عهد خلافه معاو ية بن ابى سفيان وكان ابن ثيودوسيوس الخلكيدوني قد تولى عوضه ولكنه كان احسن منه اخلاقا وصار للبابا يوحنا كالولد وكان يحبه و يثق به ويهديه الى الطرق المستقيمة .

وكانت معظم الكنائس الارثوذكسية في الاسكندر ية حينئذ في يد الملكيين منذ وضع اليد عليها ثيودوسيوس فلما أستولى عبد العز يز على مصر اتخذ له كاتبين ارثوذكسيين وهما اثناسيوس وكان له ثلاثة اولاد وهو من أهل الرها من اعمال سور ية والاخر اسمه اسحق له ولد واحد من

شبرا . فكتب البطر يرك الى هذين الكاتبين يعرفها حال الكنائس وكيف هى بيد الخلكيدونيين الذين لقلة عددهم لم يكونوا يشغلونها بل اغلقوها بالشمع حتى لا يصلى فيها الارثوذكسيون . واستخدم هذان الكاتبان نفوذهما وارسلا رسلا الى الاسكندرية كلفاهم بفتح الكنائس وتسليمها جميعها للبطر يرك القبطى .

وكان هذا البابا بهى الطلعة يلوح لكل من يرى وجهه أنه يرى وجه ملاك وقد اؤتى من عند الله نعمة شفاء المرضى وعفة النفس والجسد ومسالمة جميع الناس حتى بلغ صيت افعاله الحميدة الى العظماء فجزلوا له الهدايا . وحدث ان الوالى وهو سعيد بن يزيد مضى الى الاسكندرية كعادة من يتولى ليأخذ خراجها بدون ان يبلغ خبر وصوله اذن البطر يرك فلم يخرج لمقابلته فسعى حينئذ قوم اشرار من الاروام فى مقدمتهم ثاوفانيس وهو زوج أخت ثيودوسيوس الخلكيدونى وقالوا للوالى ان البطر يرك ابى الاحتفاء بك لكثرة تبجحه وازدياد كبريائه ووفرة ماله . فغضب الوالى واستدعاه اليه وأوقفه بين يديه وسأله عن سبب تأخيره عن الخروج للقائه فأجابه « يعلم الله أننى لم أفعل هذا لغلظ رقبة ولكن لعدم علمى وذلك لضعفى ولعدم أمكانى الخروج من المدينة الى موضع آخر » فاضطرم غيظ الوالى وسلمه لجنوده الى ان يقوم بدفع مائة الف دينار. وكان ممن أستلموه رجل يدعى سعد عديم الرحمة قاسى القلب فأخذه الى بيته أول يوم فى جمعة الالام ليعذبه حتى يقوم بالمال .

وكان مع البطر يرك رجلان من أولاد الاخيار اراس القس الامين على مال البيعة معروف بالدعة عند كل أهل المدينة والشماس كاتبه رجل حكيم محب للناس . فلما أوقف ذلك الرجل البطر يرك أمامه وقال له اريد منك المائة الف دينار التى أمر الوالى ان تقوم بها فاجابه البابا بسكينة وهدوء « اتطلب منى مائة الف دينار ولا أملك منها الف درهم لان الهى فى شريعتى أمرنى ان لا اقتنى المال لانه أصل كل الشرور. فكل ما تشاء أفعل جسدى بيدك ونفسى بيد الله » فلما سمع الكافر ذلك حنق على البابا للغاية وأمر ان يحضر له وعاء نحاس مملوءا جمرا وأوقف البطر يرك عليه ليقول أنه يقوم بالمال حتى ذاب شحم القدمين من قوة النار ولكن البطر يرك لم يتحرك ولم يلفظ كلمة استغاثة كأنة كان واقفا على وثير الفراش غير ان الله جلت قدرته أوقع بزوجة الوالى ضيقا فأنفذت رسولا يقول له « أحذر أن تفعل سوءا بالبطر يرك رجل الله لانى بليت الليلة بسببه »

فأمر الامير سعيد بان لا يمسه بسوء بل يجتهد ليأخذ منه ما يقدر عليه بلطف فعاد سعيد الى بيته وكان يوم ثلاثاء البصخة وأخذه الى السجن والاغلال فى عنقه والسلاسل فى يديه ورجليه وجعل يتهدده بان يدفع المال واستحضر له ثياب يهودى واقسم أنه لم يدفع ما هو مقرر عليه يلبسه اياها و يلطخ وجهه برماد و يطوف به حول المدينة . أما البطر يرك فكان يجاوبه بكل شجاعة قائلا « لا تستطيع أن تمد يدك الى بسوء بغير أمر الله » فقال له انى أترك نصف المبلغ فادفع النصف

الاخر لكي اطلقك . فأجابه البابا كل ما أملكه هوثيابي التي على جسدي واستمر الرجل ينازعه الى ان انتهى بالقيمة المطلوبة الى عشرة الاف دينار . فأفهمه البطر يرك أنه لا يقوى على دفعها .

واتصل الخبر بالكتاب الاقباط الموظفين بالاسكندرية اف المبلغ أنتهى الى عشرة آلاف دينار فأوعزوا اليه سرا ان يقبل الدفع وهم يجمعونها خوفا من أن يجرى على البيعة اضطهاد بسبب ذلك ثم تقدموا الى الوالى وطلبوا منه أن يحضر البطر يرك امامه ليسمع قوله فلما شاهد وجهه الملائكى رق لحاله واستحضر له وسادة ليجلس عليها ثم قال له الوالى « السلطان لا يقاوم » فاجابه البطر يرك « يطاع السلطان فيما يجب ويخالف فيما يبغض الله فقد قال الانجيل « لا تخافوا ممن يقتل الجسد وليس له سلطان على النفس ولكن خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعا يعنى الله القادر على ذلك وحده » فقال له الوالى « الهك يحب الحق والصدق » فاجابه البطر يرك « الهى كله حق وليس فيه كذب بل يهلك من ينطق بالكذب » فقال له الوالى « كل ما دفعه لك النصارى فادفعه لى ولا اطلب منك سواه » فأشار الموظفون على البطر يرك أن يقبل فقبل واطلقه الوالى بكل كرامة ففرح المؤمنون ونال اعداء البيعة حزى جسيم

وخرج البطر يرك من دار الامارة راكبا والارثوذكسيون يحيطون به وأستمروا يسبحون و يرتلون حتى وصلوا الى البيعة وكان يوم خميس العهد فصلى على اللقان وغسل أرجل الشعب وأقام الصلاة وقرب الاسرار ورجع الى قلايته بسرور زائد يمجد الله

أما ثاوفانيس رئيس مر يوط الذى اشتكى البطر يرك فغضب عليه الامير لاشتهار فضائحه وسلمه الى احد كتابه ليلقيه في السجن ثم أرسل من يقتله بعد أن عذبه عذابا شديدا . وأعطى الله البطر يرك حظوه ونعمة لدى الوالى فأمر فى جميع المدينة أن لايخاطب أحد البطر يرك الا باللين ولا ينبغى لاحد ان يذكر أمامه عنه كلمة سوء وأن لايتعرض له أحد فى دخوله ولا فى خروجه . وقد ساعد الرب البطر يرك فجمع هو والاراخنة والكتاب المؤمنون وجميع الشعب الارثوذكسى حتى أوفى الامير ما قرر له ، و بعد ذلك أهتم مع رعيته ببناء بيعه القديس مارمرقس الانجيلى وأتمها فى ثلاث سنين بكل ز ينة وأشترى لها دورا كثيرة وأملاكا بمصر ومر يوط والاسكندر ية و بنى طاحون كعك ومعصرة ز يت حار .

ومما حدث فى أيامه أشتراك الارثوذكسيين مع اهل اغراوه واهل اسخيطس لانهم كانوا خلكيدونيين وكان هذا البابا كثير الصدقات فحدث فى زمنه غلاء استمر ثلاث سنين وأعانه الله على القيام بحال ضعفاء المدينة طول تلك المدة ولولاه لهلكوا من شدة الجوع فكان يدفع لهم قوتهم دفعتين فى كل جمعة و يدفع لهم ايضا دراهم .

وقد شاء الرب أن يصاب بمرض النقرس فى رجليه فتعذب منه كثيرا وسار الوالى الى مصر

فسار معه الى ان وصلا اليها فلحقه نخس فى جنبه فأخبر الوالى بذلك فحزن عليه وأنفذ الكتاب ليفتقدوه وأعدوا له مركبا لينحدر الى الاسكندرية وحال وصوله كان الاباء الاساقفة قد علموا بخبر مرضه فدخلوا اليه وكان بصحبتهم غريغوريوس اسقف القيس و يوحنا اسقف نقيوس و يعقوب اسقف ارواط و يوحنا اسقف سخا وتيدر اسقف مليدس وجماعة من الشعب وكانوا كلهم فى حزن عميق لعلمهم بدنو أجله ثم حملوه الى بيعة مارمرقس التى بناها هو وأدخلوه أمام المذبح الكبير فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر و بعد ان اكملها أعترته غيبوبة فحملوه الى مخدعه وفيه أسلم الروح فى ١٠ كيهك سنة ٣٩٢ ش وسنة ٦٨٦ م وجعل جسده فى المكان الذى بناه لنفسه قبل نياحته فى كنيسة مارمرقس الرسول

و بعد نياحته أصدرعبد العزيز أمرا يقضى فيه على الاقباط بان لا ينتخبوا بطريركهم الا فى بابيليون وكانوا قبلا ينتخبونه فى الاسكندرية ومن ذلك الحين لغاية القرن الحادى عشر والبطاركة ينتخبون ببابيليون ولكن رسامتهم تتم فى كنيسة الملائكة بالاسكندرية كما أنه على البطريرك المنتخب أن يدفع مبلغا من المال لكنائس الاسكندرية لاجل تعميرها وحفظها من الزوال .

(٦)اسحق — البطريرك الحادى والاربعون :

وكان قبل نياحة البابا يوحنا أنه طلب من الرب أن يرشده الى من يصلح للجلوس بعده على الكرسى ولما علم عن أخ تقى متعبد فى دير ابى مقار كان قد تتلمذ لزكريا أيغومانس ذلك الدير والذى ارتقى فيما بعد الى كرسى اسقفية مدينة سياس فكتب البطريرك واحضره اليه وطلب منه ان يكتب كتابا فافسده حتى لا يعين فى وظيفة ما زهدا منه فى مجد العالم فلما علم البطريرك نيته قال له حسنا ما كتبته ووضعه تحت عنايته وكان هذا الراهب يدعى اسحق مجتهدا فى أعماله وفى الكتابة والنسخ فأشركه معلمه معه فى خدمة البيعة وحدث بعد نياحة البطريرك أنه اجتمع الاساقفة وفى مقدمتهم غريغوريوس أسقف القيس و يعقوب اسقف ارواط و يوحنا اسقف نيقوس وجماعة من الشعب وتشاوروا مع كهنة الاسكندرية ومع الكاتب المتولى واتفقوا على أن يقدموا الشماس جرجس من سخا بطريركا بدون أخذ رأى الوالى وكان حينئذ عبد العزيز بن مروان وقالوا فى أنفسهم ان تقمقم علينا الوالى اخبرناه أننا أقمنا جرجس بطريركا بوصاية سلفه يوحنا . ثم أخذوا الشماس وقسموه قسا والبسوه اسكيم الرهبنة وأذاعوا الخبر بانه غدا يقام البطريرك وغاب عن ذاكرتهم قول الرب « فى قلب الانسان مشورات كثيرة ولكن مشورة الرب هى التى تثبت »

فلما كان الغد أجتمعوا بارشدياقن المدينة وكان أسمه مرقس وهو رجل فاضل فمنعهم وقال ان لم تحضروا يوم الاحد كما جرت العادة لا أرسمه . وحينئذ وصل قوم من أتباع الوالى وطلبوا أخذ البطريرك الذى رسموه ليمضوا به الى الوالى فى مصر فساروا به وهناك ظهر ان الذى أوصى به البابا

يوحنا هو اسحق لا جرجس فغضب الوالي وأمر بتقديم من سبقت الوصاية عليه وقد حاول الشماس أن يدفع أموالا يستميل بها الوالي الى حزبه ولكنه لم يفلح فقطعه الاساقفة من درجته ثم عادوا الى الاسكندرية ووضعوا الايدى على الآب اسحق وأجلسوه على الكرسي في نفس الشهر والسنة اللذين توفي فيهما سلفه في عهد خلافة عبد الملك بن مروان

ومن أمر هذا البابا أنه ولد في شبرا من أعمال الغربية وقيل من البرلس من أبوين اشتهرا بالغنى والشرف ولما تقدم قليلا في العمر أدخل المدرسة فكان فيها آية في العلم والتقوى حتى عين كاتبا في الديوان فنال ثقة جميع رؤسائه وأصبح معروفا بالصفات الحسنة عند الجميع . وكان في عيشته متقشفا للغاية يلبس على جسده من داخل لباس شعر وفوقه رداء فاخر وكان يكتفي من الطعام بما يسد سغبه

وقد حركه والداه الى الزواج كثيرا بدعوى اقامة نسل ولكنه أبى وتبينت أغراضه السامية عندما استعفى من وظيفته وقصد دير أبي مقار وتتلمذ للاسقف زكريا وقد لاح له من جمال وجهه وبهاء طلعته وحسن صفاته أنه من عائلة ذات شرف فخشي سطوة أهله وارسله الى الطرانه ليقيم بها عند احد الكهنة الافاضل حتى يقف على حقيقة امره

وكان ذووه بعد مبارحته لهم قد اخذوا يبحثون عليه في كل مكان ولاسيما في الاديرة حتى كلفوا البطريرك بان يساعدهم في التفتيش عنه ولكنهم لم يفلحوا ولم يعثروا له على أثر فحزنوا عليه حزنا مفرطا . وبعد ذلك استدعاه الاسقف زكريا والبسه اسكيم الرهبنة ووضعه تحت ارشاد شيخ يدعى الانبا ابراهيم وامره بان يذهب ليختفي في دير (باماهو) حتى ينتهي الانزعاج الحاصل بسببه . فاستمر الشاب اسحق في ذلك الجبل مدة ستة أشهر خطر له في نهايتها ان يزور اهله ليهدى بالهم ويرفع عليهم تعب البحث عنه . فعرض الامر على الشيخ ابراهيم واقنعه به فسارا معا الى بلده حتى صارا بالقرب منها وقد آذنت الشمس بالمغيب فالا الى مكان يملكه أهله ليبيتا فيه فوجدا راهبا استقصى منه عن احوال أهله فحدثه بما جرى لهم بعد فراقه ولذلك عرفه بنفسه وطلب اليه ان يستدعى له رجلا يدعى الشماس فيلوثاوس من اقربائه وكان مملوءا من خوف الله فلما تقابل معه طلب منه ان يخبر اهله بأمر مجيئه بشرط أن يضمن له عدم حجزهم اياه والسماح له بالرجوع الى الدير فقبل ذلك وانطلق الى والدى اسحق واخبرهما بالامر فذهبا الى مكان اقامته ومعهما جمع كثير من أهله ومعارفه وكانت ساعة التقائهم بها مفعمة بالسرور الزائد . ثم التمسوا منه ان يبقى عندهم شهرا فقبل وبعده رجع الى معلمه الاسقف زكريا ولبث عنده حتى استدعاه البطريرك اليه كما سلف

ولما جلس هذا البابا على الكرسي المرقسي أخذ في أتمام واجباته فاقام البيعة الكبيرة التي للقديس مرقس وكانت حيطانها قد مالت وجدد محل البطريركية بالاسكندرية وعلى يديه تجددت

كنائس عديدة للارثوذكسيين لم يتمكنوا من أن يبنوها اولا و بنى بيعة بحلوان وسبب بنائها ان الوالى ابتنى له بها قصرا وأمر أراخنة الصعيد وسائر الاقاليم بان يبنى كل واحد منهم لنفسه مكانا بحلوان وقد أصيب هذا البابا بمصائب متنوعة بعضها من اثناسيوس جابى الخراج ولكنه فيما بعد كف عن ايصال الاذى اليه عندما أشرف أبنه على الموت فاضطر ان يستدعى البطر يرك ليصلى عليه و بواسطة صلاته نال أبنه الشفاء .

وعقب ذلك حضر للبطر يرك وفد من احدى ممالك السودان يشرح له سوء الحالة فى تلك البلاد و يقول له انه لم يبق عندهم من الاساقفة ما يكفى للخدمة الدينية و يطلب تعيين من يلزم . وكان حينئذ خلاف شديد بين ملكى النوبة وملك الحبشة و بسبب ان الاول كان مسيحيا بالاسم واتفق مع المسلمين على محاربة الثانى وغرضه من ذلك الحصول على العبيد المخصصين للجز ية المسنو ية فخشى البطر يرك أن يرسل اساقفة لئلا ينالهم أذى من جرى هذا الخلاف فرأى أن يكتب للملكين ليصطلحا و يكفا عن المشاحنة وكتب لملك النوبة الذى أظهر العداوة للمسيحيين يقول له « ان عليك مسئولية عظمى من الله اذا عملت على تعطيل بشارة الخلاص وتسببت فى خراب الكنائس الجنوبية واضمحلالها » و يظهر أنه كتب اليه يحذره من التحالف مع المسلمين

فسعى قوم من اهل المكر لدى عبد العز يز والى مصر قائلين أنه أخذ فى مكاتبة ملوك السودان والحبش ليتحد معهم على خلع نير المسلمين عن مصر فغضب الوالى وقبض على البطر يرك وأمر بقطع رأسه ولكن بعضهم توسط فى الامر ورجا الوالى ان ينتظر حتى تسترجع الخطابات و يعرف ما فيها . فارجا الوالى تنفيذ الحكم على البطر يرك وأنتهز كتاب الاقباط الماهر ين تلك الفرصة وكتبوا خطابات قلدوا فيها خط البابا اسحق وسطروا بها كل ما فى الخطابات الاولى وحذفوا منها كل ما يخص المسلمين وأنما فعلوا هذا الامر خوفا على البطر يرك ولئلا يلحق البيعة ضرر. وقبل ان يصل البطر يرك الى الوالى عرفوه أن الرسل حضروا ومعهم الخطابات فاسرع فى طلبهم وقرأ الكتب فلما وقف عليها لم يجد شيئا يذكر فسكن غضبه وأنفذ للوقت واعاد البطر يرك الى الاسكندر ية لكنه حرمه فيما بعد من مزايا كثيرة . واستمع البطر يرك بعد ذلك مجاهدا فى خدمة كنيسته حتى أنهى على الكرسى البطر يركى ثلاث سنوات وتوفى فى اليوم التاسع من هاتور سنة ٣٩٥ ش و ٦٨٩ م و بعد نياحته جعل جسده فى المكان الذى أنشأه فى بيعة مار مرقس .

(٧)سيمون ١ — البطر يرك الثانى والار بعون :

و بعد ان تنيح البابا اسحق كان الشعب والكهنة مهتمين فى من يقدموه بعده على كرسى البطر يركية . فوقع بين كهنة بيعة مار مرقس الانجيلى وكهنة بيعة الانجيليين فى المدينة خصام . فبعضهم كان يزكى يوحنا الايغومانوس بدير الزجاج بدعوى انه رجل عالم كاتب وآخرون يرشحون أنسانا يدعى بقطر أيغومانوس دير تفسر وكان رجلا فاضلا وقد مال الكتاب الاقباط الى رأى كهنة

بيعة الانجيليين لانها هى البيعة الكبيرة وكان بها مائة واربعون كاهنا غير ان الفريق الاول الذى رشح يوحنا كان يساعده الكاتب المتولى وكتب تادرس أرخن مدينة الاسكندرية الى الوالى يذكر لهم يوحنا أيغومانوس دير الزجاج وهو الذى وقع عليه الاختيار ليكون بطريركا .

غير ان أرادة الله لم تصادق على تعيين هذا أو ذاك بل أقامت رجلا كان فى دير الزجاج قديس خائف الله فاضل عالم يدعى سيمون من بلاد الشرق سريانى الجنس أرثوذكسى المذهب جاء به أبواه الى الاسكندرية منذ صباه ودفعا به الى ذلك الدير اكراما لجسد القديس ساويرس البطريرك الانطاكى الذى كان مدفونا فيه وفى أيام البابا اغاثو اخذ تادرس ارخن الاسكندرية المذكور سيمون هذا الى يوحنا أيغومانوس دير الزجاج ليدرس عليه العلوم فنال منها قسطا وافرا حتى رآه البابا اغاثو لائقا لدرجة الكهنوت فرسمه قسا وكان الثانى بعد معلمه يوحنا فى طقس الدير . فكتب الامير وارسل يستحضر يوحنا فسار معه سيمون تلميذه و بعض كهنة الاسكندرية والارخن تادرس فلما وصلوا دفعوا الكتاب للامير وفيه اسم يوحنا فطلب أن ينظره فلما حضر أمامه سر به جدا لانه كان شخصا بهى المنظر ثم سأل الاساقفة عنه فأطروا حسن سلوكه ولهذا أظهر موافقته على تعيينه بطريركا

وكان هذا التدبير خلافا لمشيئة الله ولذلك تحرك احد الاساقفة يقول هذا لا ينبغى ان يكون لنا بطريركا . فنزل على الجميع سكوت حتى لم يقو على مجاوبته أحد فسأله الوالى من تراه يصلح اذا . فاجابه ان المستحق لهذه الرتبة هو سيمون فامر الوالى باحضاره ولما شاهده سأل عن جنسه فقيل له أنه سريانى من أهل الشرق . فقال للاساقفة أما كان الافضل ان تختاروا لكم بطريركا من بلادكم فاجابوه ان الذى اخترناه احضرناه بين يديك والامر لله ولك فسأل الوالى سيمون عن يوحنا وهل يليق أن يكون بطريركا فاجابه انه لا يوجد فى كل مصر ولا فى الشرق من يستحق هذه الرتبة مثل يوحنا فهو ابى الروحانى من صغرى وسيرته كسيرة الملائكة . فتعجب الامير من كلامه وحينئذ خرج صوت من جميع الاساقفة والكتاب والاراخنة قائلين ليحيى الله الامير لنا سنين كثيرة سلم الكرسى لسيمون فهو مستحق للبطريركية فلما سمع الامير شهادتهم عن انسان غريب لم يعرفوه الا منذ يومين فقط سمح لهم باقامته بطريركا فضوا به وقدموه على الكرسى فى بيعة الانجيليين فى شهر كيهك سنة ٣٩٥ ش و ٦٨٩ م فى عهد خلافة عبد الملك بن مروان ولقد أمتنع سيمون كثيرا عن قبول الرسامة ولكنه رضى أخيرا وقبل يوحنا ذلك بكل فرح وابتهاج حبا فى راحة رعيته وميلا منه الى السلام والوئام . وكانت نتيجة هذا ان العواطف الحسنة والمحبة المتبادلة ملأت قلب سيمون وأفعمت فؤاد يوحنا فعينه سيمون وكيلا له ومتصرفا وكان يهتدى برأيه و يسير على نصيحته مدة الثلاث سنوات التى عاشها يوحنا بعد تعيين سيمون وعند وفاته وضع البطريرك يده على عينيه وكفنه بنفسه وأخذ بركته ودفنه وأقام عنده اربعين يوما حتى بنى له قبرا ووسعه حتى اذا مات يدفن معه فيه .

ثم كتب البابا سيمون سنوديقا الى يوليانوس بطريرك أنطاكية وارسلها مع اساقفته يذكر له فيها الاتحاد بين الكرسيين الاسكندرى والانطاكى . فلما وقف عليها وجدها مملوءة من الحكمة والعلم ففرح جدا وخطب فى بيعته باسم البابا سيمون وكتب له جوابها وأعاد رسله باكرام زائد فكان فرح عظيم من الشعب الارثوذكسى وسلام واتحاد فى البيعة التى كانت تنمو كل يوم وقد بقى هذا البطريرك يحافظ على نواميس الرهبنة كما لو كان فى ديره . وكان البابا سيمون على جانب عظيم من التقوى والتقشف ولم يكن يعطى نفسه راحة ولم يمتعها بطيب الاكل بل كان غذاؤه دواما خبزا وملحا مخلوطا بكمون و بقل وماء وقيل انه لم يأكل لحما قط ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لانه كان يطلب الانفراد لا تمام قوانين الصلاة وكان اذا قابل الكهنة يحرضهم على النسك والامانة و يوبخهم على عيشة الافراط حتى ضجر منه بعض الكهنة العالميين وصاروا يبغضونه بغضا شديدا وتآمروا فيما بينهم على اهلاكه فضى قوم منهم الى بعض السحرة وقدموا له مالا ليركب لهم سما قاتلا فأخذوا السم ووضعوه فى الاناء الذى كان يشرب فيه البطريرك وجاءوا به اليه ليشرب منه . وكان قد تناول من الاسرارالربانية فلم ينله سوء فأعادوا عملهم مرة ثانية فلم يصب بأذى وتم قول الانجيل « يحملون حيات وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم » (مر ١٦ : ١٨)

فاندهش الكهنة والساحر مما جرى فأخذوا تينا وجعلوا فيه سما أقوى فعلا عن الاول وكلفوا أحد الكهنة بأن يطعمه اياه صباحا قبل أن يأكل شيئا فلما تناول منه تحركت عليه أحشاؤه ولزم الفراش مريضا واستمر كذلك أربعين يوما وهم ينتظرون موته غير أن الرب أقامه صحيحا . أما اولئك الاشرار فقد جزاهم الرب حسب فعلهم وذلك ان الوالى لما جاء الى المدينة ورأى البطريرك متغيرا مما جرى له سأل عن السبب فقيل له من الكتاب ان أربعة من الكهنة سقوه سما فأمر بحرقهم أحياء مع الساحر فلما أخرجوهم الى موضع يسمى الفاروس لكى يحرقوا ركع البابا على وجهه أمام الوالى وبكى بدموع غزيرة وطلب منه أن يعفو عنهم ولا يؤذيهم بسببه فتعجب الوالى من جميل أخلاقه وعفى عن الكهنة ولكنه أحرق الساحر عبرة لسواه

و بعد ذلك ولى الآب يوحنا النيقاوى تدبير الاديرة وكان من أمره ما سيأتى ذكره فى باب المشاهير . ثم ولى بعده آخر اسمه مينا من دير ابى مقار وكان رجلا وجيها قوى الحجة محبا للاخوة وحدث أن الاساقفة اجتمعوا عند الوالى للبحث فى بدعة للطلاق التى تفشت بين بعض أغنياء الاقباط وكان بينهم أساقفة من أتباع الهراطقة ثاوفيلسطس الخلكيدونى وتاودرس الاوطاخى وجرجس البرسنوفى وغيرهم و بينما كانوا مجتمعين فى أحد الاعياد طفق الوالى يشنع عليهم بأنهم كفرة يجعلون لله زوجة وولدا ثم عيرهم بعدم اتفاقهم والتفت الى كل من الثلاثة الاساقفة الهراطقة وسأله « من من هؤلاء الاساقفة الثلاثة أقرب اليك » فأجاب كل منهم « البابا سيمون » ثم سأل البابا سيمون أخيرا هكذا فأجابه بصوت عال وقال « لا أحب ولا أقترب الى واحد من هؤلاء وأنا

أحرمهم وأحرم هرطقاتهم واعتقاداتهم المرذولة » فصادق الجميع على كلامه وأجابوا ان قوله هو الصواب

وجرى بعد ذلك أن نصارى بلاد الهند وخاصة اقليم مليبار كان منهم من هاجر من بلاد سورية وبعضهم آمن بكرازة توما الرسول وساروا على منوال نصارى الشرق بواسطة معاشرتهم لهم وصاروا يساسون دينيا من بطاركة انطاكية كما تساس الحبشة من الاسكندرية ولذلك كانوا معتادين أن يرسلوا الى بطريرك انطاكية وفدا يرسم لهم من هم فى حاجة اليهم من الاساقفة ولما لم يتمكن الوفد من الوصول الى بلاد سورية لما كان فى طريقها من الموانع والعثرات جاء الى الاسكندرية الى البابا سيمون يطلب منه أن يقيم لهم أسقفا للهند فخشى البطريرك بأس الوالى واعتذر بأنه لا يمكنه أن يقوم بهذا العمل بدون اذن منه . فخرج الوفد من عنده فاجتمع به قوم من أتباع مجمع خلكيدون وحضروا به الى بطريرك الملكيين فأخذ انسانا من مريوط ورسمه لهم أسقفا ورسم لهم كاهنين وسيرهم سرا الى الهند

وبعد أن ساروا مدة عشرين يوما قبض عليهم فى الطريق قوم من العرب فهرب القس الهندى وعاد الى مصر ومضوا بالثلاثة وأحضروهم موثقين الى الخليفة مروان فى دمشق فلما علم أنهم من مصر ومريوط اقتص منهم وأرسلهم الى ابنه عبد العزيز والى مصر موبخا اياه لعجزه عن معرفة الامور الجارية فى بلاده ويخبره أن بطريرك النصارى المقيم بالاسكندرية قد بعث بأخبار مصر الى الهند مع رسل من قبله و يأمره بضربه مائتى سوط وتغريمه بمائة ألف دينار يرسلها له بسرعة مع الرسل الواصلين اليه

فوصلت الاخبار الى عبد العزيز فى الساعة الثانية من الليل وكان البابا سيمون حينئذ بحلوان بصحبة أحد أساقفته فأرسل واستحضره لديه مع اثنين من كتبته وهدده بالقتل ان لم يعترف بالحقيقة فروى له الخبر بأن قسا هنديا جاء يطلب منه أقامة أسقف فاجتمع بدون اذن من الوالى فلم يصدقه بل زاد فى توعده وأخبره بما حكم به عليه الخليفة وهدده بهدم جميع البيع وقتل كل الاساقفة فطلب منه أن يسأل الاشخاص الذين قبض عليهم ليعرفوه ان الذى أرسلهم خلافه . فقال له الوالى أنا لا أعرف بطريركا بالاسكندرية سواك فأبى البطريرك أن يخبره بما فعل بطريرك الملكيين لئلا يوقعه فى بلية شأن المسيحى الحقيقى الذى لا يسعى فى ضرر الآخرين . ولما كان الوقت ليلا طلب البطريرك من الوالى مهلة سبعة أيام ليدعو فيها الله ليكشف عن الحقيقة فقال له لعلك تريد أن تهرب أو تقتل نفسك فأجابه انى تحت تصرفك فما أردته بى فافعله فأعطاه مهلة ثلاثة أيام فخرج من عنده وسأل الله بدموع أن يظهر براءته فعند مغيب شمس اليوم الثانى نظر أحد كتبة البطريرك القس الهندى ماشيا على شاطىء البحر فضى به الى البطريرك فأخذه فى اليوم الثالث الى الوالى والتمس منه أن يعفو عمن يقع عليهم اللوم بعد ظهور الحقيقة فوعده بذلك فقدم اليه القس الهندى فأعلمه بكل ما جرى فلما علم الامير الحقيقة أرسل الهندى الى السجن وأمر بطلب بطريرك الملكيين

وكتب الى أبيه يخبره ان بطر يرك النصارى بالاسكندرية ليس له ذنب فيما جرى وذكر له صلاحه وفضيلته . ثم تقدم البطر يرك للوالى طالبا منه أن ينجز وعده بالعفو عن المذنبين فعفى عن الهندى و بطر يرك الملكيين وأطلق الاساقفة الى كراسيهم وأمرهم أن يبتنوا بيعتين بحلوان وكان الاساقفة ينفقون من عندهم على عمارتيهما ووكل الوالى غر يغور يوس أسقف القيس بتشييدهما

ولم يكد البابا سيمون يتخلص من هذه المحنة حتى وقع فى غيرها فان قسا يدعى مينا كان أقامه وكيلا على الوقف وترك له حرية التصرف على كل ما تملكه البطر يركية غير أنه أساء التصرف و بدد أموال الوقف وسار سيرة غير حميدة وكان البطر يرك ينصحه دواما قائلا له « احذر من أن تبقى فى منزلك شيئا مما لله لئلا ينزل بك البلاء » فلم يسمع لقوله بل سلط لسانه على البابا سيمون وأنشأ يسلبه بالاقاويل الكاذبة . فوقعت عليه من قبل الله صاعقة قوية عقدت لسانه عن الكلام . فحزن البطر يرك لاجله ولاجل مال البيعة الذى كان تحت يده وسأل السيد المسيح ان يقيمه . فلما كان نصف الليل بلغ البابا أن مينا على حافة الموت فأرسل من قبله كاتبا يسأل زوجته عما اذا كان زوجها أخبرها بشىء عن مال الوقف فلما وصل الكاتب الى البيت علم أن مينا قد مات . ولما توفى ألبسوه ثوب الكهنوت وأضجعوه على السر ير كعادة أهل الاسكندرية فدخل اليه رسول البطر يرك وانحنى عليه ليقبله فقام لوقته وتعلق برقبته وقال « الله الواحد اله الآب الطوباوى البابا سيمون » . وأخذ الرجل يبدى علامات شكره لله الذى أعاد اليه الحياة بدعاء البابا سيمون فأسرع التلميذ وأخبر البطر يرك بما جرى ثم توجه القس مينا الى البابا سيمون وسلم له جميع مال البيعة وطلب منه الصفح عن كل ما فرط منه . أما البابا سيمون فوسم جملة أساقفة مختبر ين فى العلوم منهم زكر يا أسقف سخا واطلموس أخوه أسقف منوف العليا وغيرهما وأقام تسع سنين ونصفا ثم اعتل فى يوم الخميس وكان حينئذ بحلوان بسبب رسامته الاساقفة وارسالهم الى الجهات المختصة بهم فقال لتلميذه هيا بنا نمضى الى وادى هبيب لنأخذ بركة الآباء القديسين فمضى الى الاديرة و بعدها رجع للاسكندرية حيث توفى فى الرابع والعشرون من أبيب سنة ٤٠٢ ش و ٧٠٠ م ودفن بدير الزجاج كطلبه وقيل ان المسلمين سموه فمات مسموما

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة
يوحنا النيقاوى ([1])

كان أسقفا لابروشية نقيوس فى النصف الثانى من القرن السابع . ولما كان خبيرا بأحوال الرهبان قلده البابا سيمون البطريرك ال ٤٢ رئاسة الاديرة . وحدث ان أحد الرهبان المحبين للشهوات أخرج عذراء من ديرها ودخل بها وادى هبيب وارتكب معها الاثم . فلما ظهر ذلك بين الرهبان جزعوا وارتعبوا وانتهى الخبر الى مسامع الانبا يوحنا فقام بتأديب الراهب وضربه ضربا موجعا حتى مات بعد عشرة أيام من شدة الضرب

فلما بلغ الاساقفة فى مصر خبر موت الراهب اجتمعوا سرا وسألوا الانبا يوحنا عن القضية فاعترف أمامهم انه هو الذى ضربه فأوجبوا عليه القطع لكونه تعدى على الواجب وحرموا عليه أن يتقدم لرفع الاسرار الربية بل يتناولها كراهب . فلما سمع الحكم وقف فى وسطهم وقال « لقد قطعتمونى ظلما هكذا يجعلكم الله غرباء عن كراسيكم الى تمام الزمان الذى حكمتم به على » وجرى فعلا ان بعض الاعيان كانوا يخالطون غير زوجاتهم ولما منعهم الاساقفة وشوا بهم الى الحاكم فاستحضرهم من بلادهم وظل مدة يستجوبهم حتى مات الانبا يوحنا وكان حينئذ قد بلغ من العمر أقصاه و يظهر أن تلك الاساءة أحزنته فقضت عليه

وكان هذا الانبا كثير الاطلاع على صحف الاقدمين حاصلا على قسم موفور من المعارف الدينية والادبية ومن أهم مآثره المؤلف الذى وضعه فى تاريخ مصر باللغة القبطية وهو يعد من أفضل كتب التاريخ نظرا لاحتوائه على كثير من الحوادث التى جرت فى أيام الفتح العربى ومنها ما وقع فى أيامه وشاهده بعينه . وقد وجد ما دونه به مطابقا لما كتبه كبار المؤرخين عن تاريخ مصر القديم . وقد ترجم هذا المؤلف الثمين من القبطية الى اليونانية فالعربية فالحبشية ولكن لم تبق من ترجماته سوى النسخة الحبشية التى نقلها الى العربية الشماس غبريال المصرى الراهب الذى كان قائدا للجيش الحبشى منذ ٣٠٠ سنة . وقد اهتم الدكتور زوتنبرج بنشر هذا التاريخ باللغتين الفرنسية والحبشية معا

---

(١) نسبة الى نقيوس بمركز منوف وتسمى باللغة القديمة (ابشاتى) و بقربها الآن زاوية رزين وآثار الكنائس باقية بها .

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(هرقل) :

فى زمن تولى فوقا كرسى القيصرية قام ضده هرقل والى افريقية قاصدا الاستقلال بحكم مصر فناصره المصريون على فوقا لا سيما أهالى نقيوس الذين أعترفوا بحكم هرقل عليهم وساروا اليه تحت رئاسة أسقفهم ثيوذوروس ووكيله مينا . ولكن جيش هرقل هزم أخيرا وأسر الاسقف ووكيله فرفعا الكتاب المقدس بايديهم ليعفوا عنهما ولكن بعض أنصار فوقا أتهموهما بكسر رأس تمثال للملكهم كان بنقيوس فقطع قائد جيش فوقا رأس الاسقف وعذب وكيله بالجلد بالسياط الى ان دفع ثلاثة آلاف قطعة من الذهب فدية ولكنه مات بعد يومين من اطلاقه من شدة ألم الضرب . ورفع القائد يد القساوة على الذين تظاهروا بالميل لهرقل فجلد كثيرين منهم وقطع رؤوس الباقين

غير أن هرقل عاد فشد أزره وهجم على الاسكندرية وقام المصريون بأسرهم معه . وكان يوجد راهب بسمنود يدعى ثاوفيلس اشتهر بالقداسة وقضى أربعين سنة فوق قمة عامود يعبد الله فتوجه اليه قائد جيوش هرقل واستفهم عن مصير جيشه فتنبأ له خيرا وفاز القائد بجيش فوقا واستتب الملك لهرقل فى مصر سنة ٦١٠ م

(٢)فتح الفرس :

ولم يكد يتم النصر لهرقل حتى قام الفرس لغزو بلاد الشرق و بعد أن أتموا فتح بلاد الشام وأخذوا خشبة الصليب الى بلادهم زحفوا على القطر المصرى وتمكنوا من الاستيلاء عليه فهجموا على الكنائس والاديرة وعاثوا فيها فسادا . وأعلن القائد الفارسى فى الاسكندرية انه مستعد أن يعطى كل مصرى من ابن ثمان عشرة سنة الى ابن خمسين عشرين دينارا فلما خرجوا الى خارج

المدينة سلط عليهم السيوف فقتل منهم ثمانين ألف رجل . ولما فعل هذا رحل الى الصعيد وكان فى مدينة نقيوس قوم دسوا اليه بأن الرهبان الذين فى الجبال والمغاير وعددهم سبعة آلاف راهب يملكون خيرات جزيلة فأرسل جيشه ليلا وأحاط بهم وفى الصباح أمر بقتلهم جميعا . و بلغت الاديرة التى أخربوها بضواحى الاسكندرية ٦٢٠ ديرا كان يسكنها رهبان وراهبات ودمروا أديرة الرهبان بوادى النطرون . وبقيت مصر فى يد الفرس عشر سنوات ساموا فيها المصريين الخسف والعذاب أشكالا

(٣) عودة هرقل لفتح مصر :

وفى مدة فتح الفرس لمصر كان هرقل مشغولا بتوطيد ملكه على جميع المملكة الرومانية ولما تم له ما أراد حول وجهه نحو مصر ارادة استخلاصها من يد الفرس الا أنه شعر بضرورة الاتحاد مع الاقباط ليفوز بغرضه فاستدعى اليه اثناسيوس بطريرك انطاكية وطلب منه الانضمام للكنيسة الملكية فأبى مدافعا عن ايمانه القديم قائلا « لو اعتقدت أيها الملك الجليل بطبيعتين فى المسيح فينبغى أن تسلم أن لكل طبيعة منها فعلا خاصا قائما بها وانها تفعل على حدتها بدون اتحاد الطبيعة الاخرى واشتراكها فى الفعل . فيكون المسيح اذا بناء على هذا الاعتقاد واحدا بالاسم واثنين بالفعل لان الفاعل فيه ليس واحدا بل اثنان » فمال هرقل الى كلامه ومضى الى القسطنطينية وسأل سرجيوس بطريركها عما اذا كان الفاعل فى المسيح واحدا أم اثنين فأجابه أن الفاعل واحد لان المشيئة واحدة والارادة واحدة غير منقسمة فاقتنع بذلك وأراد أن يوحد المذاهب المسيحية على هذا المبدأ وهو ان المسيح واحد وفعله واحد ومشيئته واحدة بدون أن يأتى بذكر للطبيعة الواحدة أو الاثنتين

ثم كلف هرقل سرجيوس بطريرك القسطنطينية وكيروس أحد أساقفة المملكة الغربية وبعض أساقفة اليونان بأن يضعوا منشورا يسمونه « الاكثيسيس » أى « مشروع الاتحاد » لا يذكرون فيه اسم المجمع الخلكيدونى الذى يبغضه المصريون بل يقررون فيه أن للمسيح « مشيئة واحدة » ومن ثم عين كيروس المذكور بطريركا للاسكندرية وأنفذه الى مصر بهذا المنشور وطلب من بطريرك الاقباط أن يقبله فرفض بحجة انه لا يبحث فى منشور يحرره ملك كل اهتمامه بالغزو والفتح ولا شأن له بالمسائل الدينية . ولما رأى كيروس بطريرك الملكيين أن الاتفاق السياسى بين هرقل والمصريين يتوقف على الاتفاق الدينى حاول أن يرغم البطريرك القبطى البابا بنيامين على توقيع المنشور رغما فهدد حياته وحياة كثيرين من وجهاء الاقباط حتى اضطر معظمهم أن يتركوا مدينة الاسكندرية وهرب البابا بنيامين ولما لم يقف له على أثر قبض على أخيه مينا وأنزل به بلايا عظيمة وأشعل فى جنبه المشاعل حتى خرج شحم كليتيه الى جنبه وسال على الارض وقلع أسنانه باللكم لاعترافه بالامانة الارثوذكسية . وكان هرقل قد أوصى جنوده بأنه اذا قال أحد ان مجمع خلكيدون حق أعفوا عنه ومن قال انه ضلال اطرحوه فى البحر ففعلوا ذلك وملأوا جملة جوالق رملا وطرحوا مينا فى البحر وهم يمسكون الجوالق وقالوا له قل ان مجمع خلكيدون حق ونحن نرحمك فأبى وكان هذا على ثلاث دفعات ثم دفعوه الى عمق المياه فراح شديد التمسك بايمانه .

وكان البابا بنيامين قد أوصى الاساقفة أن يختفوا من وجه الاضطهاد فأطاعه بعضهم و بقى الاكثرون فلما أمر هرقل بالزام الارثوذكسيين بقبول مجمع خلكيدون ضل عدد كبير من أولئك الاساقفة بعضهم بالعذاب وآخرون بالمواعيد وغيرهم بالخداع ومن هؤلاء كورش أسقف نقيوس و بقطر أسقف الفيوم

ثم أقام هرقل أساقفة خلكيدونيين فى بلاد مصر كلها الى انصنا وكان يبلى الارثوذكسيين بلايا صعبة ومازال يطارد رعاتهم و يضطهدهم و يذل أفرادهم و يغتصب كنائسهم و يسلب منازلهم وهم صاغرون و يفتك بهم وهم صابرون بدون أن يتبصر فى عواقب الامور حتى أشرفت مملكة الرومان على الهلاك وأصبحت فى حال انحطاط زائد بسبب التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية

وقد رجعت سلطة الرومانيين الى مصر فى وقت بلغ فيه سخط المصريين عليهم اشده لا سيما لما رأوا ان ملوك القسطنطينية كانوا يرون شغلهم الوحيد هو ارغامهم المصريين على التمذهب بمذهب مجمع خلكيدون ولكن هؤلاء لم يغفلوا عن هذا فثبتوا فى مبادئهم وحفظوا لغتهم وحافظوا على شريعتهم الدينية وترجموا جميع تعاليمهم الى لغتهم ولا يخفى ان ذلك جمع كلمتهم وشد عرى اتحادهم فقووا وثار فى خاطرهم أمر الاستقلال . ولهذا السبب كثرت القلاقل فى البلاد وصغرت الحكومة الرومانية فى عيون المصريين لا سيما لانهم كانوا يشاهدون قرب سقوطها وما كان يهددها من كل الجهات . فاستعمل الحكام والولاة العنف والقوة فى تنفيذ أغراضهم فكان هذا داعيا الى انقلاب الاهالى على الحكام وتعديهم عليهم والسعى فى اخراجهم

وكانت معظم هذه القلاقل تتناول الوجه البحرى . أما الوجه القبلى فكان أحسن حالا وأنعم بالا لان الامبراطرة لم يكونوا يهتمون به كثيرا فكان أهله معروفين بالغيرة الدينية والعمل على تقدم المسيحية وارتقائها فأزهرت فيه وأشرق نورها ولهذا السبب عينه نجد للآن ان اغلب الاقباط يسكنون الوجه القبلى لانه كان أكثر أمانا لهم من الوجه البحرى

(٤) أصل المقوقس :

وقد أقام هرقل على مصر واليا من قبله هو « المقوقس » ومقوقس على ما ذكر بعضهم كلمة يونانية معناها حاكم والعرب يسمونه عظيم القبط أما اسمه فكان جرجس بن مينا وهو يونانى الاصل الا انه كان يميل للقبط و يرثى لحالهم . ولا ريب فى رومانية المقوقس اذ لم يكن قياصرة الرومان يقيمون ولاة بمصر الا اذا كانوا من جنسيتهم . واذا كان الامر كذلك فلماذا تواطأ المقوقس مع العرب على قومه الرومان ؟ الواضح ان المقوقس لما رأى انتفاض قصبة المملكة الرومانية فى مصر وكان محبا للمال للدرجة القصوى ضم لحوزته كل الضرائب التى كان يأخذها من المصريين

للحكومة . ولما رأى ان هرقل مزمع أن يعيد سلطته لمصر ولابد يطالبه بدفع ما اختلسه من المال اضطر أن يسهل للعرب سبيل الاستيلاء على مصر

وروى المؤرخون ان محمدا صاحب الشريعة الاسلامية أرسل فى السنة السادسة للهجرة كتابا الى المقوقس يدعوه فيه الى الاسلام فأكرم المقوقس رسله وأرسل معهم هدية من ضمنها جارية قبطية تسمى مارية اتخذها سرية فرزق منها بولد سماه ابراهيم ولكنه لم يعش ولم ترزق منه بغيره . وقد استنتج ان من ذاك الحين كان بين المقوقس وزعماء العرب صلات وعلاقات سرية . وقيل ان المقوقس كان يراسل صاحب الشريعة الاسلامية و بقى السر مكتوما لا يعلم به أحد حتى استخلفه عمر بن الخطاب فتم للمقوقس ما أراد من استيلاء العرب على مصر . و يقال ان الخطاب الآتى هو الذى أرسله نبى المسلمين للمقوقس :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون »

الله

رسول محمد

وهذه صورة جواب المقوقس : — « بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك و بعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام » والكتابان مرتاب فيهما

(٥) الفتح الاسلامى :

وكان جيش العرب فى فاتحة هذا القرن حاملا لواء الظفر فى كل مكان وظل يخترق الهضاب والبطاح ويجوب الفيافى والبلاد حتى وصل الى حدود مصر تحت قيادة عمرو بن العاص فدخل مدينة العريش وذلك فى سنة ٦٣٩ م ومنها وصل الى بلبيس وفتحها بعد قتال طال أمده نحو شهر ولما استولى عليها وجد بها ارمانوسه بنت المقوقس فلم يمسها بأذى ولم يتعرض لها بشر بل أرسلها الى أبيها فى مدينة منف مكرمة الجانب معززة الخاطر فعد المقوقس هذه الفعلة جميلا ومكرمة من عمرو وحسبها حسنة له

واحتلت جيوش العرب الوجه البحرى فصاروا يرتكبون فيه الفظائع فوقف فى وجههم اثنان من الاقباط هما مينا وقزمان وترأسا جماعة مدربة فكانوا يدفعون عنهم غائلة الاعتداء الاجنبى

عربيا كان أم رومانيا . قيل أن عمرو عندما وصل الى نقيوس فتك بأهلها فتكا ذريعا ولم يبق أحدا ممن كانوا فى الشوارع أو الكنائس وصار يتقدم الى داخل البلاد حتى وصل الى بابيليون ودام القتال بين عمرو وبين الروم سبعة أشهر كان يتظاهر المقوقس فى أثنائها بأنه ضد العرب وهو معهم فخابر الروم فى أمر التسليم بالتى هى أحسن فأبوا كل الاباء فانسحب من الحصن ولم يبق فيه سوى عدد قليل من القبط لم يقووا على مقاومة العرب فعمدوا الى الهرب قاصدين منف فتتبعهم العرب وكان يفصلها جسران من المراكب فرفعهما القبط فبقى العرب محاطين بالماء من كل الجهات

ولما رأى المقوقس اشتداد بأس العرب تفاوض معهم فكتب اليه عمرو يقول ليس لك ولقومك سبيل للنجاة الا اذا اخترت واحدا من هذه الشروط :

١ — اما الجزية .

٢ — أو الاسلام .

٣ — أو استمرار القتال .

فجمع المقوقس رجال حكومته وتفاوض مع رسل من قبل عمرو واتفق رأيهم على ايثار الجزية ورضوا بها على صلح يكون بينهم يعرفونه . فاجتمع المقوقس وعمرو وتقرر الصلح بينهما بوثيقة مفادها أن يعطى الامان للاقباط ومن أراد البقاء بمصر من الروم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وفى نظير ذلك يدفع كل قبطى دينارين ما عدا الشيخ والولد البالغ من العمر ١٣ سنة . والمرأة وأحصى من دفع الجزية فى تلك السنة من القبط فكان عددهم ستة ملايين . وكان عدد الاقباط قد نقص بعد اضطهاد ديوكلتيانوس ولكنه أخذ يتزايد بعد انتشار المسيحية حتى بلغ مجموعهم ابان دخول العرب أربعة وعشرين مليونا تقريبا

ولما رأى هرقل ما كان من استيلاء العرب على مصر مات محزونا مرذولا وأقسم عمرو الايمان المغلظ بتنفيذ وعده مع المصريين . وذكر المؤرخون انه بعد استتباب السلطان للعرب فى مصر وبينما كان الفاتح العربى يشتغل فى تدبير مصالحه بالاسكندرية سمع رهبان وادى النطرون وبرية شيهات ان أمة جديدة ملكت البلاد فسار منهم الى عمرو وسبعون ألفا حفاة الاقدام بثياب ممزقة يحمل كل واحد منهم عكازا فخاف عمرو أن يكون هذا الجيش قوة مقاومة ولكنهم تقدموا اليه وطلبوا منه أن يمنحهم حريتهم الدينية ويأمر برجوع بطريركهم من منفاه فأجاب عمرو طلبهم وأظهر ميله للاقباط فازداد هؤلاء ثقة به ومالوا اليه خصوصا لما رأوه يفتح لهم الصدور ويبيح لهم اقامة الكنائس والمعابد فى وسط الفسطاط الذى بناه بمساعدة الاقباط وجعله عاصمة الديار المصرية ومركز الامارة على حين انه لم يكن للمسلمين معبد فكانوا يصلون ويخطبون فى الخلاء

وقرب عمرو اليه كثيرين من الاقباط واعتمد فى اصلاح شئون البلاد ووظفهم بوظائف عالية فكان منهم الحكام والرؤساء والكتاب وجباة الخراج فقاموا بخدمة البلاد بامانة حتى عم الرخاء وساد الامن وقسم عمرو القطر المصرى الى كور أو أعمال يرأس كلا منها حاكم قبطى تأتيه القضايا ينظر فيها و يصدر أحكامه . وخطب عمرو فى جيش المسلمين وكان من خطبته قوله «حدثنى عمر أمير المؤمنين (رضه) انه سمع رسول الله (صلعم) يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم فيها صهرا وذمة فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم » أهـ ثم بنى عمرو جامعه المعروف بهمة مهندس قبطى يدعى بقطر

وذكر ابن القفطى وأبو الفرج الملطى وغيرهما ان عمرو لما فتح الاسكندرية كان من جملة علمائها رجل اسمه يحيى (يوحنا) الغراماطيقى فدخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوما «انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به » فقال له عمرو «ما الذى تحتاج اليه » قال «كتب الحكمة التى فى الخزائن الملوكية » فقال له عمرو «هذا ما لا يمكننى أن آمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فكتب الى عمر وعرفه قول يحيى فرد عليه كتاب عمر يقول فيه «وأما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله (القران) ففى كتاب الله غنى عنها وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو فى تفريقها على حمامات الاسكندرية واحرقها فى مواقدها فاستنفدت فى مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب

(٦) محاولة سرقة رأس مارمرقس :

بعد استيلاء المسلمين على الاسكندرية دمروا أسوار المدينة وأشعلوا النيران فى معظم الكنائس و بينها الكنيسة القديمة لمار مرقس حيث كانت بقايا جسم القديس مدفونة . و يؤخذ من رواية الانبا ساويرس المؤرخ ان بقايا القديس خلصت بمعجزة الهية لانه بينما كانت النيران متأججة فى الكنيسة دخل اليها بحارة المراكب وفتشوا تابوت القديس ظانين ان فيه مالا ولما لم يجدوا أخذوا الثياب من على جسمه و بقيت عظامه فيه . وجاء بعد ذلك رئيس مركب شنوده أحد عظماء الاقباط فوجد رأس القديس فأخذها وخبأها فى جوف مركبه ولما أراد أن يسيره خارج الاسكندرية لم ينتقل فأخبر شنوده بذلك ففتش السفينة فوجد بها رأس القديس فمضى وأعلم البابا بنيامين بالخبر وكان شنوده قد شاهد فى رؤيا القديس مرقس يطلب منه أن يبنى له كنيسة فى موضع عينه له فاعترف بان شكل الرأس كالشكل الذى شاهده فى الرؤيا وحالا اخذها من المركب فاقلعت فورا وجميع الذين شاهدوا هذه الاعجوبة كانوا يمجدون الله وقيل ان عمرو بن العاص عندما قص عليه

البطرريرك هذه المعجزة أعطاه ١٠٠٠ دينار لكي يبتنى بها كنيسة احتراما للرأس وسميت بالمعلقة وكانت قائمة جنوبى الاسكندرية

وعاد البابا بنيامين الى المدينة والرأس فى حضنه وصنع لها تابوتا من الابنوس و بنى عليها بيعة ومن ذلك الوقت صار كل البطاركة الذين يرسمون يضعون الرأس أمامهم وقت التكريس مغطاة ببرقع جديد و يقدمونها للشعب لتقبيلها وفيما بعد جدد هذه البيعة البابا يوحنا السمنودى البطريرك ال ٤٠ وفى مدة البابا زكريا البطريرك ال ٦٤ وجد أحد الامراء الاتراك رأس القديس مار مرقس ولما سمع بأن المسيحيين يعلقون عليها أهمية كبرى عزم على حملها الى القاهرة وتمكن الشماس بقيرة أحد مستخدمى الحكومة أن يشتريها منه بمبلغ ٣٠٠ دينار وقدمها للبطريرك حيث كان في دير أبى مقار . وفى أيام البابا خريستوذلو البطريرك ال ٦٦ كانت الرأس المقدسة محفوظة فى منزل أبى يحيى بن زكريا وقد مرض مرضا شديدا فخشى المؤمنون ان تختم الحكومة بيته بعد موته لحفظ ما فيه فأخذوا تابوت الرأس وحملوه الى بيت مجاور واذ رأوا المحل غير آمن أرادوا نقله الى بيت الآب مانهوب راوى هذا الخبر ولكن هذا الرجل الذى كان مقربا للسلطان ابى حفظ التابوت عنده فعهد به الى القس سمعان . الا أن رجلا افريقيا اسمه على ابن بكير من أهالى برقة وقف على سر المسألة ورفعه الى الحاكم فى رسالة فألقى القبض على كل المهتمين بالامر ولما سئلوا أمام حاكم الاسكندرية كوكب الدولة طلب منهم أن يردوا رأس القديس أو يدفعوا مبلغ عشرة آلاف دينار التى كان يظن بحسب فكره أن اليونانيين كانوا مستعدين لدفعها ثمنا لباقى الاعضاء و بعد أن لبثوا مكبلين بالحديد ٣٧ يوما دفع أحدهم أبو الفتح ٩٠٠ دينار فاطلق سراحه بعد ثلاثة أيام وأعيدت رأس القديس الى المسيحيين فكانت موضوع احترامهم فى مدة حكم الملك الكامل . و وجدت رأس القديس فى منزل ابن السكرى حيث كانت قد اكتشفت من عدة سنين مضت

وقيل ان رجلا روميا اشترى الرأس فى عهد البابا خروستوذولو بار بعمائة دينار و بنى عليها حائطا خشية من وصول الايدى اليها وان البابا مرقس ال ٧٣ جاء هذه الدار و بات هناك الى ثانى يوم وكيرلس ابن لقلق ال ٧٥ لما وضعت عليه اليد خرج الى دار ابن السكرى التى فيها الرأس .وقيل انها كانت رأس البابا بطرس خاتم الشهداء لان رأس مار مرقس كانت معه على جسده لما نقله الروم الى البندقية والله أعلم

وكنيستنا القبطية تخبر ان رأس الرسول مرقس نقلت من دار ابن السكرى الى ضريح البطاركة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ولم تزل باقية به وذلك انه لما جلس البابا بطرس ال ١٠٤ واحتضن الرأس علم أن هناك من يحاولون سرقة الرأس فأمر بحفظها بكل عناية فى ضريح البطاركة بالاسكندرية

(٧)فتح السودان والخمس المدن الغربية :

وكانت البلاد السودانية والخمس المدن الغربية قد صارت قبيل الفتح الاسلامى العربى كلها مسيحية تعترف بسيادة بطريرك الاقباط عليها . وكان السودان عبارة عن ممالك مسيحية عديدة مستقلة ومنظمة . فسير اليها عمرو قوة عسكرية تحت قيادة عبد الله بن سعد فلزم قتالهم مدة وفى أثناء محاصرته لمدينة دنقلة دمر كنيستها الكبرى فجزع النوبيون وسلموا للعرب فاشترط عليهم هؤلاء أن يسمحوا للمسلمين بالاقامة معهم وأن يبنوا لهم جامعا يقومون هم بانارته ونظافته ثم حكموا عليهم بدفع ضريبة سنوية من العبيد الاقوياء وكان هذا مبدأ تجارة الرقيق . أما الخمس المدن فلم يستطع عمرو اخضاعها واكتفى بما أخذه منها من الغنائم والاسرى الذين جعلهم عبيدا

(٨) الاقباط فى صدر الحكم الاسلامى :

وكانت مدة ولاية عمرو بن العاص فى مصر وخلافة عمر بن الخطاب أحسن أوقات الراحة التى ذاقها الاقباط وقيل ان قبطيا فقيرا اتى عمر الخليفة وشكا اليه ان بن العاص لطمه فاستدعى عمرو وقال له « ولد الناس احرارا فلماذا تستعبدوهم » وأمر القبطى ان يلطم الامير. ولكن لما تولى الخلافة عثمان بن عفان سنة ٦٤٤ م فصل عمرو وعين بدله عبد الله بن سعد فاشتد على الاهالى وجمع منهم ضرائب باهظة فجبا فى أول سنة اربعة عشر مليونا من الدنانير بزيادة مليونين عما كان يجبوه عمرو فسر الخليفة بهذه الزيادة وقال لعمرو « يا أبا عبد الله درت اللقحه باكثر من درها الاول » فاجابه عمرو « لقد أضررتم بولدها ان لم يمت الفصيل » أى ان هذه الزيادة لابد ان تضر اهل البلاد اذ لم يزد عددهم عن الاول

وفى اثناء ذلك انفذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من المسلمين وفى اثناء قتالهم بالاسكندرية كانوا يعبثون فسادا فى القرى و ينهبون ما بها و يقتلون سكانها فخشى القبط استيلائهم على البلاد مرة ثانية فناصروا العرب و باء الروم بالخيبة والخذلان

و بعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين بموت على ابن أبى طالب الذى خلف عثمان بن عفان . إبتدأت الدولة الاموية التى كان أول خلفائها معاوية بن أبى سفيان سنة ٦٦١ م . وفى مبدأ الدولة الاموية كان الاقباط ملازمين الهدوء والسكينة لاستقامة الحال معهم وظلوا محافظين على شروط معاهدتهم مع عمرو فلم يطلبوا الاستقلال وكان حينئذ فى استطاعتهم نواله اذا طلبوه . ولما زادت شرور عبد الله ابن سعد طلبوا استبداله بصديقهم عمرو فأعيد اليهم فصار فرحهم عظيما ولما مات حزنوا عليه وكان لهم الحق فى ذلك الحزن لأنه لم يتول مصر واحد أحسن اليهم مثله كما سنرى . واستخلف الخليفة معاوية على مصر بعد عمرو سعيد بن يزيد فاضطهد بطريرك الاقباط اضطهادا شديدا .

(٩) خلافة مروان بن الحكم سنة ٦٨٤ م :

ولى على مصر ابنه عبد العزيز وكان فى مبدأ امره محاسنا الاقباط ولما بنى مدينة حلوان نقل اليها بيت المال وكان الأمين عليه رجل قبطى يسمى انتناس وابتنى بها القصور الشاهقة ولعلمه بان الاقباط همْ اصحاب البلاد وذوو الثروة والاقتدار كلف اغنياءهم ان يبنى كل منهم له دارا بمدينته الجديدة ولكى يحبب اليهم سكناها أمر البطريرك ببناء بيعتين فيها لكى يزيد فى حسن رونقها بالنسبة لجمال الكنائس فى تلك الايام وقد سبق معنا انه وكل بعمارة البيعتين الانبا غريغوريوس اسقف القيس (١) وكان بين عبد العزيز والبابا اسحق الـ ٤١ ائتلاف فكان البطريرك يكثر التردد على حلوان لزيارة الأمير

وبعد ذلك داخل عبد العزيز فكر بعد أن أخضع البلاد كلها له بانه لا يوجد فيها من له السلطان مثله الا البطريرك فتغير عليه وامر الاقباط بان لا ينتخبوا بطريركهم بعيدا عنه أى فى الاسكندرية كما جرت العادة بل فى بابيليون وأعلى الضرائب عليهم وكان الاكليروس الى ذلك الحين معافين من الجزية فالزم كل واحد منهم بدفع دينار فى السنة والبطريرك بثلاثة آلاف دينار . ولما انتهى اليه خبر الانحطاط الزائد الذى وصلت اليه المملكة الرومانية لم يعد يعبأ بمهادنة الاقباط فمد اليهم يد الاذى وشرع فى نهب اموالهم وسلب مقتنياتهم وأمر بكسر الصلبان التى فى كورة مصر حتى صلبان الذهب والفضة ثم كتب عدة رقاع وجعلها على أبواب البيع بمصر والريف يقول فيها « محمد عظيم رسل الله وعيسى أيضا رسول الله والله لم يلد ولم يولد »

القسم الرابع
البدع

(١) مشروع هرقل (٢) بدعة الطلاق

(١) مشروع هرقل :

وقد مر بنا الكلام عنه فى الحوادث « المملكة والكنيسة » وهو ان فى المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ولقب بمذهب المونوثيليته . ومع ان بطريرك الروم الارثوذكس بالقسطنطينية قبله حينئذ الا ان راهبا يونانيا اسكندريا يدعى صفرونيوس قاوم هذا المذهب واذاع فى اماكن كثيرة تعليم المشيئتين وفيما بعد اقيم بطريركا لاورشليم فجمع مجمعا ايد فيه رأيه الا ان القيصر اثبت التعليم

(١) بمديرية المنيا كانت مدينة عظيمة اشتهرت بصناعة المنسوجات الصوفية التى كانت تسمى بالمرعز وقد تخربت الآن ولم تبق الا أطلالها

بمشيئة واحدة فى مجمع عقده بالقسطنطينية تحت رئاسة سرجيوس بطر يركها وتبعه فى الرأى خلفاؤه بيرس و بولس و بطرس وتوما وثيوذورس و يوحنا . ودعا سرجيوس انور يوس اسقف رومية لقبول مذهبه الجديد فقبله ونادى به الا ان خلفاءه شجبوه وكذلك قسطنطين اللحيانى حرم تعليم المشيئة الواحدة و بطاركة القسطنطينية وانور يوس فى مجمع عقده سنة ٦٨٠ م ونقض اليونان حرم هذا المجمع بقرار فى مجمع آخر سنة ٧١٢ م ثم ايدها مجمع آخر وهكذا استمر الشقاق سائدا بينهم الى ان بطل التعليم بالمشيئة الواحدة من كنائس الخلكيدونية ولم تستمر تعلم به الا كنيسة الموارنه التى اسسها يوحنا مارون فان هذا قضى حياته يدافع عن ذلك التعليم وسارت طائفته على مبدئه الى ان انضمت للكنيسة البابو ية سنة ١١٨٢ م

(٢) بدعة الطلاق :

وجرى فى ايام البابا سيمون الـ ٤٢ ان قوما من الاقباط تركوا نساءهم واخذوا غيرهن فجعل الاساقفة يردعونهم عن هذا العمل فاغتاظوا منهم ومضوا الى الوالى وقالوا له ان الاساقفة منعونا عن الزواج واضطرونا الى ارتكاب فعل الزنا فغضب وجمع الاساقفة من كراسيهم الى مدينة الاسكندر ية فاجتمع منهم ٦٤ اسقفا ولم يعلموا سبب حضورهم ولما علموا السبب اطلعوا الوالى على الحقيقة و بعد مناقشة فيما بينهم حكموا بقطع اولئك القوم ان لم يتركوا النساء الغر يبات

القرن الثامن
القسم الاول
تاريخ البطاركة

(١) الاكسندروس [٢]	(٢) قزمان [١]
(٣) ثيوذوروس	(٤) خائيل [١]
(٥) مينا [١]	(٦) يوحنا [٤]

(أ) الاكسندروس [٢] — البطريرك الثالث والاربعون :

و بعد وفاة البابا سيمون لم يتمكن الاساقفة من اقامة خلف له فخلا الكرسي بعده ثلاث سنين و بعد ذلك طلب اثناسيوس احد موظفي الاقباط في الديوان من الوالي ان يسمح للأنبا غريغوريوس اسقف القيس ان يتولى ادارة اعمال الكنيسة فكتب له أمرا بذلك واستمر الانبا غريغوريوس اربع سنوات يدير الحركة حتى سنة ٧٠٣ م فقد انتخب باجماع الآراء القس الاكسندروس من نباموسيروكان راهبا وديعا عالما بالكتب المقدسة و بعد الاستئذان من الوالي أقيم بطريركا في يوم عيد مار مرقس الذى هوآخر برمودة سنة ٤٠٤ ش و٧٠٣م في عهد خلافة عبد الملك بن مروان وكانت ايامه الاولى كلها صفاء وهناء وشمل الجميع سرور عظيم وساد السلام على البيعة المقدسة

غيران الشيطان الذى لا يدع كنيسة الله في راحة اثار ضيقا تألم هذا البابا بسببه كثيرا وذلك انه بعد عبد العزيز ولى الخليفة ابنه عبد الله على مصر فسار في طريق الجور حتى ان البطريرك لما مضى للسلام عليه كعادة البطاركة سأل عنه فقيل له انه بطريرك النصارى فقبض عليه وسلمه لاحد حجابه وقال له أنزل ما تريد به من الهوان حتى يدفع ثلاثة آلاف دينار فاخذه واقام مدة ثلاثة ايام والمسيحيون يتوقعون ان يتنازل عن شيء من القيمة فلم يكن ولهذا وقع خوف عظيم على جميع المؤمنين بالنسبة لذلك المبلغ الباهظ الذى لم يكن في طاقتهم دفعه ثم تقدم الشماس جرجس الى الحاجب وقال له « هل تطلب نفس البطريرك أم المال » فاجابه المال فقال له اذا سلمه لى مدة شهرين انا أطوف به على أولاده المؤمنين فاجمع له هذا المال فجال به الشماس في الوجه البحرى حتى حصل على المال وسلمه للوالي .

ثم تولى بعد عبد الله الامير قرة سنة ٧٠١ م وكان متولى ديوان الاسكندرية من الاقباط رجل يدعى تاودروس كانت بينه و بين البطريرك عداوة فلما وصل قرة الى مصر توجه اليه البطريرك ليؤدى واجب السلام عليه فنسج على منوال سلفه وقبض عليه وألزمه ان يدفع من المال

مقدارما دفع لعبد الله فقال له البطر يرك انى لا أملك هذا المبلغ لان مخلصنا أمر جميع تابعيه بان لا يقتنوا ذهبا ولا فضة وما اتاه عبد الله معى كان من قبيل الظلم الفاحش وقد استعطيت كل المبلغ الذى ارغمنى على دفعه فطلب منه الوالى ان يبرر كلامه هذا بقسم فابى البطر يرك ان يحلف فقال له الوالى لا بد من دفع هذا المبلغ ولو بعت لحمك فالتمس منه البطر يرك ان يسمح له بز يارة الوجه القبلى ووعده بان يرسل له كل ما يتحصل عليه ففرح أهل الصعيد بالبطر يرك فرحا عظيما لعدم مشاهدتهم بطاركة بعد البابا بنيامين الذى كان مختفيا عندهم . وحدث ان سائحا يدعى فيلسطس وهو مقيم على صخرة وكان معه ولداه الراهبان . فأمرهما بان يهيئا له مكانا خلاف الصخرة . فبينما هما ينظفان الارض وجدا كنزا عظيما فى خمسة أوان فأخفيا عنه واحدا واظهرا له الار بعة فشكر الله وقال هذا نصيب البابا الاكسندروس الذى رأى الرب ضيقته . ثم استدعى كاتب البطر يرك والراهب جرجس وكيله واعطاهما الار بعة أوان ليسلماها للبطر يرك . فجربها الشيطان فدفناها اما الراهبان فنسيا ما اختلاساه وتركا عيشة الرهبنة ولبسا الملابس الفاخرة وظهرا بمظهر سيء حتى ارتاب فى امرهما الوالى فقبض عليهما فاعترف احدهما بكل ما جرى وان الار بعة أو ان الباقية طرف وكيلى البطر يرك فامر حالا بغلق الابسقو بيون (الدار البطر يركية) واخذ كل ما فيها من الأوانى والذهب والفضة والكتب والمقتنيات واستحضر البطر يرك وهم بقتله بسبب قوله انه ليس معه ذهب وكبله بالحديد وطرحه فى السجن سبعة أيام ثم أخرجه ليقوم بدفع الـ ٣٠٠٠ دينار فرجع يستعطى من المسيحيين حتى تحصل على المبلغ ودفعه

ولم يكد يستريح من هذه المشقات حتى سعى به أناس أشرار لدى الوالى بان لديه قوما يضربون الدنانير و بينما كان جالسا فى الساعة التاسعة من النهار لتناول طعام الافطار رأى ان البطر يركية قد أحيطت من كل جانب بالجنود فقبضوا عليه وعلى أصحابه وطرحوه على الارض وضربوا أصحابه وعوقبوا حتى سالت دماؤهم وكادوا يموتون . وما زالوا يوسعونهم اهانات وضربات حتى اليوم الثانى من امشير سنة ٣٤٠ ش اذ تحقق لهم كذب التهمة التى وجهت اليهم

ولم تكف هذا البطر يرك البائس هذه البلايا الخارجية ولم تقف و يلا ته عند هذا الحد حتى قامت عليه زوابع داخلية من نصارى الاسكندر ية وكهنتها طالبين منه أن يؤدى لكنائسها ما كان مقررا على البطر يركية دفعه لها وكانت هذه العوائد قد انقطعت من مدة سنين بسبب الغرامات الفادحة التى اضطر البابا الاكسندروس أن يقوم بدفعها للحكومة . فأخذ البطر يرك يترضاهم و يطيب خاطرهم بالكلام اللين معتذرا عن عدم الدفع بما شاهدوه من نهب جميع مال البيعة حتى صارت الكاسات التى كانت ترفع فيها الاسرار المقدسة من زجاج عوضا عن الذهب والفضة ولكنهم لم يرعووا وأخذوا يوجهون اليه شديد التوبيخ فعرفهم ان كنائس الاسكندر ية لا حق لها فى ما تطلب لان تلك المرتبات كانت انعاما من الحكومة وأول من رتبها قسطنطين الكبير للمساعدة ولكنها انقطعت فيما بعد . فصارت البطر يركية تجرى صرفها باختيارها . فحالما سمعوا هذا الكلام ضجوا

وطلبوا منه بالحاح أن يدفع ما لهم فلما رآهم لا يرتدعون بالكلام اللين انتهرهم وطردهم من عنده فخرجوا يشنعون عليه ولم يكفوا عن المقاومة الا بعد مدة

وكان في أيام هذا البابا على كرسي انطاكية البطريرك يوليانوس الذى اقام على الكرسي من ايام البابا يوحنا بطريرك الاسكندرية الى ايام البابا الاكسندروس ثم توفى وحاول اساقفة المشرق اقامة آخر عوضه فمنعهم الوليد الوالى بدعوى انه لا يمكن اقامة اسقف في حياته . ولكنهم عمدوا الى انسان خائف الله يدعى ايليا واجلسوه على الكرسي وحال جلوسه كتب سنوديقا الى البابا الاكسندروس صحبة اسقف يدعى استفانوس فجاء الى البابا بينما كان يتفقد ديارات وادى هبيب فقبله بفرح وكتب للبطريرك الانطاكي جوابا لرسالته

وكان ارخن مدينة الاسكندرية يدعى تادرس فاستعان به لدى الامير طبيب يدعى انوبيس من اهل الاسكندرية لكي يقدمه بطريركا وكان روميا خلكيدونيا وذلك ايضا بمساعدة كاتب اسمه انسطاسيوس من الاسكندرية دفع للوالى الف دينار ليوافق على رسامته بطريركا فقبل الوالى هذا الطلب وأقيم هذا المرطوقى بطريركا وكان يهزأ بالبابا الاكسندروس لاسيما اذا لحقته تجربة حتى ظهرت افعاله الرديئة فقام عليه الشعب طالبا قطعه فاحتمى بالبابا الاكسندروس والتمس منه أن يغفر له ما بدأ منه ورغب أن يقبله في الامانة الارثوذكسية فصفح عنه . ثم حدث حينئذ وفاة ايليا بطريرك انطاكية فقام عوضه أسقف تقى يدعى اثناسيوس فكتب هذا سنوديقا للبابا الاكسندروس فجاوبه عليها جوابا مملوا بعبارات المحبة .

ولما تولى حنظله بن صفوان سنة ٧١٣ م أراد ان يرسم على أيدى كل من النصارى صورة الأسد . ثم قبض على البطريرك ليسمه فامتنع فلم يدعه الوالى فالتمس منه أن يسمح له بمهلة ثلاثة أيام فدخل البطريرك الى مخدعه وسأل الرب ان لا يتركه يوسم بل ينقله من هذا العالم بسرعة فنظر الله لضيقته وافتقده بمرض في اليوم الثالث وكان يتزايد عليه كل يوم وقبل وفاته أرسل قوما من قبله للوالى يستعطفونه لكئ يسمح له بالانطلاق الى كرسيه لاشتداد المرض عليه فابى الوالى ظانا انه يكذب ولما اشتد عليه المرض استدعى تلاميذه وطلب منهم أن ينزلوه في مركب الى الاسكندرية فبعث الوالى قوما وراءه ليمسكوه ويحضروه امامه فوجدوه قد توفى فقبضوا على تلاميذه وعذبوهم عذابا شديدا وكانت مدة اقامة هذا البابا على الكرسى ٣٤ سنة ونصفا وكانت وفاته في ٢ امشير سنة ٤٣١ ش و٧٢٦ م

(٢) قزمان[١] ـــ البطريرك الرابع والاربعون :

كان راهبا قديسا من برية ابى مقار وكان من أهل بناموسير فاجلسوه على الكرسى البطريركى بغير اختياره في شهر برمهات سنة ٤٣١ ش و٧٢٦ م في عهد خلافة هشام بن عبد

الملك وكان ميالا الى الانفراد والعبادة ولما رأى رتبة البطر يركية ثقلا عظيا عليه وواجبا خطيرا غير قادر على القيام باعبائه اخذ يتوسل الى السيد المسيح بجواره ليلاً ونهاراً ان ينقله من هذا العالم فلما كان تمام خمسة عشر شهرا تنيح بمجد وكرامة فى آخر يوم من بؤونه سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م

وكان بظاهر مر يوط دير يعرف بطمنوه تحت رئاسة رجل أسمه يحنس أعطى نعمة جز يلة وكان الرب يشرفه بصنع العجائب على يديه وكان له تلميذ يخدمه اسمه ثيوذوروس فاق من فى الدير بافعاله الصالحة وفى حياة البابا الاكسندروس قال له معلمه يحنس . اعلم يا ابنى انه فى السنة التى يتنيح فيها الاكسندروس أتنيح انا معه وانت تجلس على كرسى الرسول الجليل مار مرقس وليس بعد البابا الاكسندروس ولكن بعد الذى يأتى بعده

(٣) ثيوذوروس — البطر يرك الخامس والار بعون :

فتم قول هذا الشيخ الجليلى اذ ان الاراخنة والاكليروس حالما سمعوا نبأ وفاة البابا قزمان اهتموا بانتخاب من يصلح للبطر يركية فذكر لهم بمشيئة الرب الآب ثيوذوروس من دير أبى يحنس فمضوا الى الدير وأخذوه وأحضروه الى الاسكندر ية وكرسوه فى شهر ابيب سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك ونالت الكنيسة فى أيامه اكمل قسط من الراحة بفضل عدالة الخليفة هشام . الا ان البطر يرك صادف متاعب جمة لدى مشاهدته الفظائع التى أتاها الولاة واستمر صابرا على ما رأى حتى أفتقده الرب واخذه اليه بشيخوخة حسنة و بنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بلا مقاوم لها ولا شقاق فيها فى جميع أيامه وأقام على الكرسى الرسولى ١١ سنة ونصفا وتنيح فى سابع يوم من أمشير سنة ٤٤٤ ش و٧٣٨ م و بعد وفاة هذا البابا استمرت الاضطهادات قائمة على قدم وساق فلم يتمكن المصر يون من اقامة خلف له وزادت الصعوبة حينما بدأ الانشقاق بين كنائس الاسكندر ية و باقى الكهنة فى القطر المصرى . فانتهز الخلكيدونيون هذه الفرصة وعقدوا مجمعا بمصر وأحضروا ثلا ثة أشخاص ليختاروا منهم واحدا ليجعلوه بطر يركا .

ولما بلغت فظائع القاسم الوالى الى الخليفة أمر بطرده من مصر فذهب بعض الاساقفة وقابلوه وهو منطلق وطلبوا منهم السماح لهم باقامة بطر يرك فطلب منهم رشوة فأبوا ان يعطوه وتنبأوا عنه بانه لا يرجع الى مصر مرة أخرى فرجع الاساقفة فوجدوا الخلكيدونيين قد سبقوا وأخذوا واحدا منهم كان خياطا يدعى قزمان وجمعوا مالا طالا وقدموه للقاسم قبل سفره ليأمر باقامته بطر يركا و وسموه مفتخر ين على الارثوذكسيين

وتولى مصر بعد القاسم جعفر بن الوليد فاجتمع مجمع الاساقفة فى ٢٨ مسرى سنة ٤٤٤ ش وكان معهم كهنة الاسكندر ية والاراخنة . وكان بين هؤلاء الاساقفة الذين اجتمعوا لتقدمة البطر يرك الانبا موسى اسقف اوسيم فمضوا الى الوالى وسألوه ان يأذن لهم باقامة بطر يرك فقال لهم اذا استقر رأيكم على واحد أرونى اياه فانطلقوا الى بيعة أبى شنوده فى مصر وشرعوا يصلون

و يطلبون من الله ان يوفق لهم من يصلح للبطر يركية فذكر لهم ابرام اسقف الفيوم الانبا بطرس اسقف مر يوط وكان هذا قد أقام جميع ايامه فى بر ية أبى مقار ولكنه كان ضعيفا لكبرسنه فلم يقر الرأى عليه فاجتمعوا فى اليوم الثانى فقدم احد الشعب اسم إحد الاساقفة فقال اسقف مصر اذا رضى به الجميع فهو أصلح من سواه فقال المقدم انتخاب البطر يرك من حق الشعب والرسامة من حق الاساقفة فقال اسقف الفيوم لكم الحق فى ان تنتخبون أى انسان ولكن أذا لم يكن صالحا فى نظرنا فلا نرسمه واستمروا فى مباحثة ومناقشة مدة عشرة أيام فكان كهنة الاسكندر ية و بعض الاساقفة متفقين على رسامة واحد و يقولون لا نرسم سواه وكان اساقفة الصعيد غير موافقين على رسامته فلما كان يوم ١٤ توت وقع بينهم انشقاق عظيم لحقهم بسببه حزن و بكاء فاستحضروا بينهم الانبا موسى أسقف أوسيم والانبا بطرس اسقف ترنوط وكان الاول مر يضا والثانى معه مقيمين بجبل اوسيم بدير نهيا الذى فى بر الجيزة غر بى مصر فاستدعيا الى المجمع فجاؤا بالانبا موسى محمولا على قطعة خشب نظراً لضعفه وعدم اقتداره على ركوب الحيوانات وأتى الانبا بطرس راكبا دابة . وحضرا الى المجمع ورأيا المناقشات الحادة التى كانت تجرى فيه وكل حزب يتشبث بتزكية من وقع اختياره عليه وكان الانبا موسى ملقيا وسط المجمع من شدة الوجع فغضب من هذا الانشقاق وأمسك بيده جر يدة وطرد كهنة الاسكندر ية وأتباعهم الذين كانوا اكثر تعصبا وانقضى النهار ولم تتفق الاراء على أحد .

فلما كان نصف الليل استيقظ شماس مع الانبا موسى وقال له أعرف أنسانا يستحق الانتخاب دون غيره فسأله عنه فأجابه هو القس خائيل ببيعة ابى مقار وهو انسان فيه روح الله ومشهور بالتقوى والعلم فصرخ الانبا بطرس وقال هذا الشماس تكلم بروح المسيح وفى الغد عندما ذكر اسم هذا القس اجمعت الاراء على انتخابه وقاموا بسرعة وتوجهوا للوالى واخبروه بما جرى وسألوه أن يكتب لشيوخ وكهنة وادى هبيب ليسلموا لهم الاب خائيل المذكور فكتب لهم و بينما كانوا ذاهبين اليه قابلوه فى الطر يق مع زمرة من الرهبان قاموا من الدير وقصدوا المضى الى الوالى ليلتمسوا منه رفع الحيف عن الكهنة لاسيما الغرامة الباهظة التى كانت تدفع عند انتخاب البطاركة فشكروا السيد المسيح على هذا التدبير الحسن ورجعوا به الى قصر الوالى فوافق عليه فمضوا واقاموه بطر يركا باحتفال عظيم فى ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش وسنة ٧٣٩ م وحدث بعد رسامته مطر استمر ثلاثة ايام فتفاءل الشعب خيرا وذلك لانقطاع المطر عنهم مدة سنتين .

(٤) خائيل [١] — البطر يرك السادس والار بعون :

جلس على كرسى البطر يركية فى ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش وسنة ٧٣٩ م فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك وسمى نفسه خائيل أى الاخير ولم يرض ان يدعى ميخائيل تواضعا منه حتى لا يكون اسمه كاسم رئيس الملائكة ونال حظوة لدى الوالى حوثرة الذى كان يحضره و يتحادث معه فى أمور شتى ولما آلت الخلافة الى مروان تقدم اليه قوم من الخلكيدونيين برئاسة بطر يركهم قزمان

برشوة قائلين كان لنا كنائس كثيرة بمصر اخذها منا الاقباط وليس لنا الان بيعة واحدة ونرجو ان تكتب للوالي ان يسلمنا بيعة ابى مينا بمر يوط فأعطاهم الخليفة اوامر الى الوالى عبد الملك ليكشف الحال بين الارثوذكسيين والخلكيدونيين ليعرف من بنى هذه البيعة ليسلمها اليه . فاستدعى الوالى بطر يركى الاقباط والروم وكان الصوم قد قرب ورافق البابا خائيل موسى اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وطالت المناقشة بين الطرفين مدة اربعين يوما حتى مل الوالى وطلب من وكيل له اسمه عيسى ان يستكتب كلا الطرفين حقيقة مستندة فتقدم اليه الخلكيدونيون بالهدايا وجمع البابا خائيل اساقفته وكتب كتابا مملوا بالادلة الكافية لاقناع الوالى بان كنيسة مارمينا ملك الارثوذكسيين غيران الرشوة أعمت عينى الذى كلف بالبحث فى القضية ومال الى جانب الخلكيدونيين مع ظهور الحق فى جانب الارثوذكسيين غيران الله لم يدعه يقرر شيئا فعزل قبل ابداء الحكم وولى آخر عادل فلما سمع أقوال الطرفين حكم باثبات ملكية الكنيسة للارثوذكسيين ولما رأى الخلكيدونيون حبوط مؤامراتهم الشيطانية حاولوا الاتحاد مع الارثوذكسيين ولكن بعد استجوابهم اتضح لهم سوء نيتهم فأبوا قبولهم

وحدث بعد ذلك أنه كان فى دنقله من بلاد النوبة ملك شر يريدعى أبراهيم وقعت بينه وبين اسقفها كر ياكوس خصومة بسبب اجتهاد الاسقف فى ردع الملك عن خلاله الرديئة فاغتاظ الملك منه وكتب للبطر يرك طالبا قطعه والا يحمل رعاياه على السجود للاصنام فبعث البطر يرك اليه يسترضيه ولكنه أصر على عناده فحضر كر ياكوس الاسقف الى مصر وانعقد مجمع بسببه رأى ان يبقى كر ياكوس باحد اديرة الاسكندر ية و يرسل اسقف آخر للنوبة خلافه فلم يرض كر ياكوس قبول هذا الحكم لانه مظلوم فحكم المجمع بتوقيفه عن الخدم بالكنيسة وكرسوا اسقفا آخر يدعى يؤانس وارسلوه ليأخذ مركزه ومضى كر ياكوس الى دير من اديرة النوبة ومضى فيه بقية حياته منفردا عن العالم .

وجرى بعد ذلك ان تولى حفص بن الوليد فاضطهد المسيحيين اضطهادا مر يعا للغاية واعتنق كثيرون الاسلامية وفر الاساقفة الى الاديرة خوفا من خطر السقوط فجمع البطر يرك والاساقفة مجمعا حكم فيه بضرورة استمرار الاساقفة فى كراسيهم وحرم من يتجاوز هذا الحكم .

ثم آل الحكم بعد حفص الى عبد الملك بن مروان فاستفرغ جهده فى مضايقة الاقباط وقبض على البابا خائيل وطلب منه مبلغا جسيما لا يقوى على القيام بدفعه فأمر ان يقتل البطر يرك وتوضع رجلاه فى خشبة عظيمة وتطوق رقبته بطوق حديد ثقيل وكان معه انبا موسى اسقف اوسيم وتادرس أسقف مصر وغيرهما فوضعوهم فى خزانة مظلمة نقرت فى صخر لا تصل اليها أشعة الشمس واستمروا فى هذا الضيق من ١١ توت الى ١٢ بابه وكان معهم ايضا ٣٠٠ من الرجال والنساء وكان المرضى والمعتلون يأتون الى البطر يرك فى السجن لكى يصلى عليهم و يشفيهم وكان

بعضهم محكوم عليه بالسجن لذنب جناه فانتهز البابا خائيل تلك الفرصة وجعل ينصحهم ليتركوا آثامهم و يتوبوا الى الله فرجع منهم كثيرون .

وكان على مائدة الخليفة رجل مؤمن فكان مرارا يفتقد البطر يرك و يعزيه و يطيب خاطره . فلما تمت سبعة عشر يوما من الشهر المذكور أمر الوالى باحضار البطر يرك ومن معه وطلبه بدفع المبلغ فالتمس منه البطر يرك ان يترك له فرصة يمضى فيها الى الصعيد وما يتمكن من الحصول عليه من المسيحيين يدفعه له . فسار الى الصعيد وناله تعب جسيم وكان المصر يون قد اصابهم العسر المالى بسبب كثرة المغارم الفادحة . لكن البابا خائيل كان يمر بينهم كملاك سلام يشفى المرضى بقوة الرب و يرد الذين هجروا الايمان الارثوذكسى وأتى الوالى بما جمعه فلم يرتض به وألقاه فى السجن فشعر بذلك كر ياكوس ملك النوبة فغضب وقدم بجيوشه الى مصر وقتل من كان فى طر يقه من المسلمين حتى جاء الفسطاط فعسكر فيه وهدد عبد الملك الوالى فأطلق البطر يرك ورجاه ان يتوسط بينه و بين ملك النوبة فأجرى بينهما صلحا . ومن ثم صار البطر يرك موضوع احترام الوالى لاسيما لانه شفى له ابنته التى كانت مصابة بروح نجس .

و بعد اطلاق سراح البطر يرك رفع الاسرار المقدسة فى بيعة الشهيدين سرجيوس وواخس وتناول من يده جمهور غفير من الشعب وقد منع أحدهم لانه أكل قبل مجيئه الى الكنيسة وعلم ان قوما من المسيحيين كانوا يأكلون قبل التناول ولا يعتبرون ذلك خطيئة فحرر منشورا قضى فيه بمنع جميع الذين يتقدمون للتناول وهم غير صائمين . ثم ابتدا بتعمير الكنائس التى كانت فى زمان البابا الاكسندروس قد سلب منها رخامها وخشبها فأعادها الى رونقها الاصلى

غير ان الزمان على ما يظهر لم يدع الكنيسة المصر ية تذوق طعم الراحة وقتا الا ليذيقها الشقاء أوقاتا فقد حضر مروان الى مصر ونكث هو وعبد الملك عهدهما للاقباط وأخذا فى اضطهادهم بقساوة بر بر ية حتى هاج هياج الاقباط وقاموا يدافعون عن انفسهم ببسالة وتمكنوا من ان يهزموا جيش مروان ولكنه فيما بعد استجمع قواه وقاتلهم بشدة وكانت الكنيستان القبطية والرومية بجانب بعضهما فى الدفاع ضد مروان فهزم الاقباط اخيرا وقبض على البطر يركين القبطى والرومى . وقد افتدى قزمان بطر يرك الاروام نفسه بدفع ألف قطعه ذهب أما البابا خائيل فارسل اليه الوالى يقول ادفع مقدار ما دفع قزمان وانا اطلقك فاجابه ليس فى بيعتى شىء وانا اجعل نفسى عوضا عن المال . فثقل رجليه بقطعه حديد وألقاه فى السجن وابتدأ يعذبه مدة تسعة أيام ثم أحضره لديه وأمسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه وكان فى يده قضيب فضربه به مائتى دفعة على رأسه بكل قوته ولكن عناية المسيح لم تسمح بان يناله ضرر و بعد ذلك أمر الوالى بضرب عنقه وأنزل قلنسوته على وجهه حتى تؤخذ رأسه فقدم رقبته بسرعه وشرع السياف فى الضرب وكان يصيح أنه سيأخذ رأسه ثلاث دفعات كما جرت العادة وفى ثانى دفعة عدل الوالى عن قتله لما سمع أنه كان ينصح البشامرة الثائر ين من الاقباط بالعدول عن مقاتلته وارتأى ان يرسله الى رشيد

وكلفه بأن يكتب للثائرين يأمرهم بالكف عن العصيان مخبرا اياهم بان كل ما ناله من الاذى حدث بسبب عصيانهم

فلما بلغ الخبر البشامرة الثائرين تهيجوا اكثر وقاوموا مقاومة عنيفة حتى أكرهوهم على الهرب بعد ان أصيبوا بخسائر فادحة . فعزز مروان قوة جيشه وسمح لهم ان يذيقوا الاقباط العذاب اشكالا وألوانا فاوقعوا بهم من الويلات ما تصطك لسماع أخبارها الركب وتشيب لها نواصى الولدان . ومما زاد الخطب هولا ان فى سنة ٧٥١ م دخل أبو العباس مصر بجيش زاخر وهو يقصد أخذها من يدمروان . وكان الاقباط فى ضيق شديد فانحازوا اليه وطلبوا مساعدته وعندما وصل السفاح الى مصر عسكر بجيشه على شاطىء النيل تجاه مروان الذى كان لا يزال قابضا على البابا خائيل وموسى اسقف اوسيم و بعض الاساقفة .

ولما علم مروان ان بعض الاقباط عقدوا صلحا مع ابى العباس اشتد به الغضب واستدعى اليه البطريرك واوقفه امام الاقباط الذين كانوا مع خصمه فى الجهة المقابلة وأمر جنوده باهانته فمدوا اليه ايديهم بسرعة وشرعوا ينتفون شعر لحيته من عارضيه ورموا شعره فى البحر . وكان المصريون وجيش ابى العباس يشاهدون ذلك بغيظ شديد وكانوا يتمنون لو يجدون مراكب يعبرون بها النهر ليقتصوا من مروان على هذا الظلم الفظيع . ثم عادوا الى الانبا موسى واذاقوه العذاب مما لا يطيق احتماله الاقوياء فضلا عن شيخ ضعيف مثله

ثم رحل مروان وأمر أن يقف البطريرك ومن معه فى الشمس على الشاطىء واستمر بقية اليوم وليلته وفى الغد جاء مروان ومعه الجلاد وجلس على شاطىء البحر وأمر باحضار البطريرك اليه فأبى الاساقفة الذين معه الا مرافقته فجاءوا جميعهم الى مروان وأوقف البطريرك بين يديه عشر ساعات ووجه اليه وحوله عدة سيوف مسلولة وآلات الحرب . واما الذين رافقوا البطريرك من الاكليروس والشعب وعدتهم عشرة فاوقفهم على يساره فى ناحية وسلمهم الى قوم قساة وجعل مع كل واحد ثلاثة من الجنود وجعلوا يضربونهم باعصاب البقر ولما أشتدت حرارة الشمس أعد مروان آلات العذاب المختلفة لانهم لم يتفقوا على طريقة يقتلونهم بها . وكان البابا خائيل فى تلك الاثناء يبسط يديه و يصلب على وجهه و يبارك من معه . وكان الاقباط وجيش ابى العباس يشاهدونهم من البر الشرقى وجماعة من المسلمين يبكون عليهم . ثم أمر مروان يزيد أقسى جنوده ان يأخذ البطريرك الى مجرى المتنزهات فاقتيد ومن معه بفظاظة متناهية والبطريرك يصلى للرب ان يثبت ايمانهم . وقد بلغت القساوة على اولئك البائسين مبلغا استدعى اشفاق عبد الله بن مروان الكبير فبكىَ عليهم وتقدم وهو يسكب الدموع الغزيرة الى ابيه طالبا ان يطلق سراحهم ثم قال له . انت تعرف اننا لا نقدر على مقاومة جيش الخراسانيين فنضطر الى الذهاب للسودان واهله كما نعلم من اولاد هذا الشيخ البطريرك فان قتلته لا يقبلونا .

فيتطلع مروان الى جيوش الخراسانيين فرآهم فى كثرة ازعجته وايقن أنه لا يقوى على محاربتهم فاعاد البطريرك ومن معه الى الاعتقال وكان ذلك المكان بالجيزة وكان فيه أربعة سجون فأدخلوهم فيها موثقين وربطوا فى قدم كل واحد منهم قطعة حديد ثقيلة وجعلوهم خلف ثلاثة ابواب من الخشب دون ان يشاهدوا ضوءا أو ينفذ اليهم هواء وكان واحد منهم ينظر الى الشرق وآخر للغرب . واستمروا فى ضيق شديد حتى أشرفوا على الموت غير أنهم تعزوا باقوال البطريرك المزوجة بالمواعيد الالهية التى كانت تخفف عنهم آلامهم وتنبأ لهم الانبا موسى أنهم يخرجون من السجن ومروان فى قيد الحياة ولم يجسر احد بالسؤال عنهم والا عرض نفسه للموت . واستمروا عشرة ايام والكنيسة تصلى من أجلهم .

وقد تمت نبوة الانبا موسى عندما قام الخراسانيون وعدوا البحر الى الجهة الغربية وضيقوا الخناق على مروان وجيشه فانهزم امامهم وترك جيشه وهرب وجاء ابنه الصغير ليحرق السجن الذى كان فيه البطريرك بالنار وما كادت النار تشتعل حتى اكرهه اعداؤه على الهروب وجاء بعض ذوى الشفقة واطفأوا النار واطلقوا المسجونين وحلوا قيودهم وجاءوا بهم الى كنيسة مارمرقس بالجيزة وكانت ليلة الاحد الاول من مسرى (١) .

ولما أستولى أبو العباس على مصر أحسن الى المسيحيين ورثى لحالهم وسامح البشامرة الثائرين بالخراج ودفع لهم خراجا وطلب منه البطريرك ان يعطيه مؤونة للبيع فى كل البلاد فأجابه الى ما التمس . غير ان هذه الراحة لم تدم سوى اربع سنين كانت كاحلام النائم وتغيرت بعد سفر السفاح من مصر وتركه الولاية لسواه فأساء الولاة التصرف واعادوا الكرة على النصارى فهم البطريرك يدافع عنهم محتجا بما اظهره ابو العباس من الامان لهم ولكنه لم يفلح فى دفاعه عنهم واستمر المسيحيون فى ضنك حتى شوهدت مياه النيل ناقصة عن منسوبها المعتاد ذراعين وذلك لاظهار قوة الله . وكان الاساقفة حينئذ قد أخذوا يتوافدون على البطريرك فى عيد الصليب كما جرت العادة ان يعقدوا مجمعين فى السنة .

ولما كان اليوم السابع عشر من شهر توت وهو يوم عيد الصليب فكر الاساقفة ان يقيموا صلوات خصوصية فيها يرفعون تضرعاتهم لله حتى يرحمهم و يزيد فى مياه النيل وتقدموا يصحبهم جميع كهنة الجيزة واكثر اهل الفسطاط وحملوا الاناجيل والمباخر ودخلوا البيعة الكبيرة التى كانت للقديس مرقس وكان اساسها فى البحر ولم تكن البيعة تسع الناس لكثرتهم حتى ان باقيهم أقام بالحقول والحدائق .

---

(١) اما اسماء الذين كانوا معتقلين مع البطريرك فهى :ـ البطريرك وموسى أسقف أوسيم ويحنس كاتب سيرة البطريرك وأسقف طنبذا ويمنا كاتبه وزكريا أسقف اتريب و بطرس أسقف بوصير وجرجس تلميذه واثناسيوس ارشى بيعة ابى مقار و يعقوب أسقف سنجار وتلميذه و بطرس من سمنود .

فتقدم البطريرك ورفع الصليب وكان معه انبا مينا اسقف منف يحمل الانجيل المقدس وباقى الكهنة يتبعونها وهم يحملون الصلبان والاناجيل المقدسة ووقفوا على شاطىء البحر قبل طلوع الشمس وصلى البطريرك وانبا مينا والشعب يرد عليهم « كير ياليصون » (يارب ارحم) الى تمام ثلاث ساعات من النهار حتى بهت جميع الموجودين من يهود ومسلمين وغيرهم من صراخهم الذى سمعه الله تعالى اسمه وزاد النيل ذراعا فبلغ الخبر مسامع الوالى وجميع الناس فغار علماء المسلمين والتمسوا منه ان يرافقهم فى الغد لاقامة الصلاة حتى يرفعوا مياه النيل كالنصارى فالتزم من ثم الوالى أن يدعوا ارباب الاديان ليصلوا الى الله بشأن ذلك فدعا علماء الاسلام فصلوا وجاء بعدهم حاخامات اليهود فصلوا والمياه لم ترتفع بل أخبرهم احد قياسى النيل ان ما زاده امس نقصه اليوم

فاغتاظ الوالى والمصلون وامر بالكف عن اقامة الصلاة بالمرة خوفا من أن يزيد النيل مرة ثانية بصلاة الاقباط فيعتريهم الخجل الا أنه لما رأى الخطر يتهدد البلاد من قلة المياه اضطر ان يدعو النصارى للصلاة فحضر البطريرك وحاشيته واحتفل برفع الاسرار الربية واستمروا الى الساعة السادسة من النهار ولما القوا مياه غسل الاوانى المقدسة فى البحر فحلت على مائه البركة الالهية واخذ يرتفع حتى زاد ثلاثة اذرع

فأحب ابوعون الوالى النصارى وواساهم وعمل الخير فى كنائسهم واستمر البابا خائيل بعد ذلك يجاهد فى خدمة الله فكان يطوف على رعيته مفتقدا اياها شافيا المرضى رادا الضال . ثم كاتب البقية الباقية من حزبى ميليتس و يوليانوس الهرطوقيين ليردهم عن ضلالهم فلم يردوا عليه فسار اليهم بنفسه واخذ يقنعهم فلم يسمعوا قوله فتركهم ساخطا عليهم فحل عليهم غضب الله واصابهم وباء شديد فافنى جلهم

أما كنيسة انطاكية فى عهد البابا خائيل فكان قد توفى بطريركها اثناسيوس وأقيم بعده يوحنا الذى اقام ثلاث سنين ثم لحق بسلفه واستمر كرسيه بعده شاغرا . وحدث بسبب البطريركية نزاع شديد بين بعض اساقفة سوريا و بين البابا خائيل وذلك ان أمرأة المنصور ابى جعفر كانت عاقرا فسمعت عن تقوى اسحق اسقف حاران وعمله العجائب فاستدعته فحضر لديها وصلى لاجلها فتم لها ما ارادت ورزقت ولدا فصار الاسقف اسحق عندها موضوع الاكرام والتبجيل . وحدث بعد وفاة يوحنا بطريركا انطاكية ان اسحق سأل الوالى أن يخلفه فأجيب سؤاله حالا وتهدد بالموت كل من يتعرض له . وقيل أنه تسبب فى قتل مطرانين قالا له أنك بصفتك أسقف حاران لا يلزمك ان تتقوى بالسلطان وتغتصب الكرسى .

و بعد ذلك كلف الخليفة بان يكتب الى والى مصر يأمره بان يتمم كافة رغائب اسحق لدى بطريرك مصر . ثم كتب كتابا الى البابا خائيل وارسله صحبه مطرانى دمشق وحمص وكاتبين

له أحدهما قس والاخر شماس . فلما أطلع البابا خائيل على الكتاب لم يقدم رأيا قبل مشورة الاساقفة فاستدعاهم اليه ولبث مجتمعا بهم مدة شهر وقرر أخيرا انه لا يشترك مع بطر يرك أخذ رتبته بقوة السلطان . وكان الامر للوالى من قبل الخليفة أنه اذا رفض بطر يرك مصر اجابة طلب اسحق يرسل اليه فخير البطر يرك بين المصادقة على بطر يركية اسحق و بين السفر للسلطان فقبل السفر لولا شفقة الوالى عليه لشيخوخته ومشقة الطر يق وحاول ان يقنعه بالمصادقة فأبى واخذ يتأهب للسفر ولم يؤخره عنه الا بلوغه خبر وفاة اسحق سبب النزاع وقيام آخر مقامه يدعى اثناسيوس وهذا أيضا توفى فى اليوم الثالث لرسامته وقام بعده رجل كان خلكيدونيا واعتنق الامانة الارثوذكسية يدعى جرجس فلم يمر عليه الا القليل حتى قبض عليه وأودع السجن بسعاية اسقف من اساقفته يدعى داود يرغب ان يأخذ مكانه وكانت أمه خادمة لابى جعفر المنصور . ومن ذلك الحين انقطعت العلاقات بين الكنيستين الانطاكية والاسكندر ية مدة ما . وكانت البيعة فى أيام البابا خائيل الاخيرة فى سلام . ثم تنيح ومضى الى الرب فى ١٦ برمهات سنة ٤٦٨ ش و ٧٦٧ م بعد أن اقام على الكرسى ثلاثة وعشر ين عاما

(٥) مينا[١] — البطر يرك السابع والار بعون :

و بعد نياحة البابا خائيل اجتمع الشعب والاساقفة لانتخاب خلف له فذكر القس مينا الراهب من سمنود ببيعة ابى مقار وكان قيا من شبو بيته وتلميذا للبابا خائيل . وما جلس على الكرسى فى شهر برمودة سنة ٤٦٨ ش و٧٦٧م فى عهد خلافة المنصور بن محمد حتى أخذ يصلح ما أفسدته يد الاضطهاد وذاقت الكنيسة طعم السلام بعد ان حرمت منه مدة طو يلة . غير ان الشيطان عدو السلام اثار الشر على البابا مينا بواسطة راهب يدعى بطرس من قر ية تسمى دسيمه طمع فى نوال الاسقفية ولم ينلها لعدم استحقاقه فأخذ يشيع المذمات على البطر يرك حتى استدعاه اليه وجعل ينصحه لكى يعدل عن شره فلم يرعو بل سافر الى سور ية وزور مكاتيب باسم البابا مينا الى بطر يرك أنطاكية ومطارنته يقول فيها ان كنيسة مصر وقعت فى شدة وأصيبت باضطهاد عظيم فاعتنى به البطر يرك وجمع له مالا وزوده بتوصيات الى العظماء لينال منهم خيرا واستمر مستعملا غشه حتى وصل الى مدينة دمشق التى يقيم بها الخليفة فبدأ يذيع الاخبار بان بيت مال الخليفة خال من المال و بطر يرك نصارى مصر له دراية بعمل كيميا الذهب ولاجل هذا ملأ كنائسه من الاوانى المصنوعة من الذهب والفضة وعزز كلامه هذا بدفع رشوة لموظفى بلاط الخليفة حتى يقدموه له

وكان ابن الخليفة قد مات فلما وقع نظره على بطرس رآه يشبه فى صورته صورة ولده الميت فدخل به الى زوجته النائحة لكى تتعزى فسرت برآه وأقام عندهم عدة شهور ونال حظوة فى عينى الخليفة حتى صرح له باستعداده لقضاء جميع مآربه فطلب منه ان يقيمه بطر يركا عوض مينا بطر يرك مصر فكتب الخليفة الى الوالى عبد الرحمن وكلفه بان يجهز لبطرس ثيابا فاخرة و يرقم عليها

بالخط العربى «بطرس بطر يرك مصر» وكتب اسم الملك فكتب بطرس من جهله بعد اسمه لفظة «عبد الملك»

ولما وصل الخبر للوالى ارسل يستدعى البطر يرك القديس فتوسل الى الرب ان يخلصه من هذه التجربة وسار للوالى الى مصر منشرحا لاستحقاقه ان يتألم من أجل المسيح . فاعلمه الوالى بجلية الخبر فشخص الى بطرس وشجبه بشجاعة فأراد الوالى ان يقنعه بالحسنى باطاعة امر الخليفة فاجابه «لا ينبغى ان أطيع الخليفة وأقاوم الله» فسأل الوالى بطرس عما يريد أن يفعله فاجابه أنه يروم ان يستحضر لديه كل الاساقفة و يلزمهم بطاعته و يشخص الى الاسكندرية ليستلم كنائسها فاعتقل البطر يرك وتادرس اسقف مصر حتى يدعو البطر يرك بقية الاساقفة فكتب اليهم يستدعيهم الى الفسطاط فاسرعوا فى الحضور وقام بطرس يوم الاحد بينما كانوا يقيمون الصلاة فى الكنيسة وتقدم بجسارة وصعد الى الهيكل ليقول صلاة الشكر كالبطر يرك والقلنسوة المكتوب عليها أسم الملك على رأسه فلما شاهد الآباء الاساقفة هذا التصرف الشنيع اسرع انبا مينا اسقف صنبو وأنبا موسى اسقف أوسيم وأمسكا بالقلنسوة ورميا به من على الهيكل وقال له بقيه الاساقفة «لا تقف أمام الهيكل لئلا تنجسه» فأمر بان توضع فى رقابهم وأرجلهم السلاسل الحديديه وطرحوا فى السجن فاستمروا فيه أياما قلائل وطلب بطرس من الوالى ان يأتى بهم من السجن و يوقفهم بين يديه ففعل فأمر بطرس ان يستحضر الاوانى المصنوعة من الذهب والفضة لتحمل الى بيت الملك فاجاب البطر يرك بان الكنيسة لتوالى الاضطهادات عليها عدمت كل اثاثها» وقال له بطرس «انا أعرف ان لديك كتابا تستطيع ان تصنع به ذهبا وفضة» فاجابه البطر يرك «أنى لا أعرف شيئا من ذلك» فحلف بطرس برأس الخليفة ان يلزم البطر يرك ومن معه أن يشتغلوا فى طلى المراكب بالزفت فلزم البطر يرك والاساقفة هذا العمل مدة سنة ووجوههم تكاد تصهرها الشمس حتى كان يبكى عليهم كل من شاهدهم ثم أعيدوا الى السجن ومازال بطرس يطالبهم بتسليم أوانى الكنائس

وكان الوالى غير راض على تصرف بطرس القبيح ولكنه لم يشأ مقاومته خوفا من الخليفة . غير أنه لما رآه تجاوز الحد فى شره عنفه على ما يأتيه ضد كبير النصارى . فهدده بطرس قائلا «اتريد أن أطيع البطر يرك وأخالف الملك» فخشى الوالى ان ينم فيه لدى الخليفة فقبض عليه وكبل يديه ورجليه بالحديد وطرحه فى السجن والقاه فى مطبق ضيق وأفرج عن البطر يرك ومن معه فمضوا الى الاسكندرية ودخلوا البيعة بفرح عظيم وواصلوا جهادهم فى خدمة الكنيسة

ولما تمت ثلاث سنين و بطرس فى السجن تغير الوالى الذى كان يمقته وعين عوضه فاطلق جميع المسجونين ومنهم بطرس فانطلق الى الخليفة وأعلن اسلامه وروى من الاخبار الكاذبة ضد البطر يرك والوالى المعزول ما شاءت له نياته السيئة وطلب من الخليفة ان يعطيه قوة كبيرة لكى ينتقم من البطر يرك أشر أنتقام لكن الرب لم يسمح فقبل وصوله الى مصر مات الخليفة فخزى

بطرس ومضى الى بلده فعرفه كل من التقاه وأبى جميع معارفه الاختلاط به حتى أضطر أن يستغفر الاساقفة ليرضى عنه الناس ولكنهم رذلوه وظل مرذولا حتى مات أشر الميتات .

و بعد ذلك تنيح البابا مينا بسلام بعد ان مضى مدة ثمان سنين على الكرسى المرقسى وكانت وفاته فى آخر يوم من طوبة سنة ٤٧٨ ش و ٧٧٦ م

و بعد وفاة البابا مينا بقيت البيعة بدون بطر يرك حتى أجتمع الاساقفة وفكروا فى أقامة خلف له وذكروا عدة أسماء وأقاموا عدة أيام حتى ينتخب الرب من دعاه لهذه الخدمة . وكان آباؤنا اذا اجتمعوا لـلاتفاق على اقامة بطر يرك يكتبون أسماء كثيرة فى رقاع صغيرة و يضعونها على الهيكل و يصلى الاساقفة والكهنة والشعب الارثوذكسى الى الرب بنية خالصة و يصيحون (كيير ياليصون) ثم يجعلون غلاما صغيرا يمد يده ليأخذ رقعة من جملة الرقاع فالذى يخرج أسمه يقدمونه بطر يركا

فلما فعلوا ذلك كان ببيعة القديس أبى مينا قس أسمه يوحنا تلميذ للبابا خائيل وهو مولود فى نبا وأبى صير وترهب فى وادى هبيب ولم يكن أسمه بين المكتوبين فذكره لهم شيخ شماس معددا فضائله فكتبوا أسمه وصلوا وفعلوا كما تقدم ذكره ثلاث دفعات فخرج اسمه فى الثلاث المرات والجميع يتعجبون و يقولون «حقا مستحق» فقدموه وجلس على الكرسى

(٦)يوحنا[٤] — البطر يرك الثامن والار بعون :

و بعد جلوس البابا يوحنا على الكرسى المرقسى فى شهر أمشيرسنة ٤٧٨ ش و ٧٧٦ م فى عهد خلافة محمد المهدى كتب سنوديقا ممتلئة حكمة الى الاب المغبوط جرجس بطر يرك أنطاكية يجدد له فيها أتحاده معه فى الامانة . وكان الآب جرجس قد القى فى السجن كما ذكر وجلس عوضه ابن خادمة الخليفة الذى لم يخاطب الكرسى الاسكندرى بتة حتى مات وعاد الآب جرجس بعد عشر سنين وجلس على كرسيه ثانية فلما وقف على رسالة البابا يوحنا سر منها للغاية ورد عليها بمثلها

وكان البابا يوحنا حسن الخلق ونال حظوة عند الملوك والولاة مداوما لعمل الخير فاهتم ببناء بيعة ومسكن بطر يركى فشيدهما باتم ز ينة وز ين كل بيع الاسكندر ية بمساعدة الولاة والشعب . وفى أيامه كان علم السلام يخفق على الكنيسة بأسرها حتى عمل تذكارا له بهذه المدينة وانتشرت سيرته الصالحة على كل لسان حتى ان المخالفين كما هى عادتهم أخذهم الحسد وكان رئيس الهراطقة حينئذ رجل يسمى يوليانوس وكان طبيبا ماهرا مشهورا ومحترما لدى الملوك المسلمين لاجل صناعته فحاول كثيرا ان يستولى على بعض الكنائس القبطية غير أنه لم يستطع لهياج الشعب وخاب مسعاه فضلا عن ان تهمه لم تلق من يصغى اليها لثقة الجميع باستقامة البطر يرك الاسكندرى

فواصل البابا يوحنا جهاده فى بناء البيع حتى ان الشعب الارثوذكسى لما شاهد شغفه بتشييد الكنائس كان الكثيرون منهم يسلمون له أموالهم ليبنى بها البيع تذكارا لهم . وكان فى بيعة ابى ميناقيا يدعى مرقس من الاسكندرية اشتهر بتقواه وعلمه اجادة القراءة والترتيل فى الكنيسة حتى كان الكثيرون يبكرون الى البيعة لئلا تفوتهم قراءته فاتخذه البطريرك له تلميذا وقدمه فى الرتب الكهنوتية ولكنه كان يزداد تواضعا وطلب منه معلمه أن يلبسه اسكيم الرهبنة فأخذه الى دير ابى مقار وكرسه فيه وتنبأ عنه احد الشيوخ قائلا «أنه سيكون خليفة مرقس الرسول»

ولما رجع البطريرك من الدير طلب منه رجلان صالحان يدعى احدهما كوريا والاخر برنابا أن يستأنف اهتمامه و يشيد كنيسة باسم الملاك ميخائيل فكلف شماسه مرقس بالاشراف على عمارتها فكان نشيطا ناجحا فى عمله فوسوس الشيطان الى يوليانوس الهرطوقى أن يذكر أمام الخليفة ان البابا يوحنا أخذ أملاك الحكومة و بنى فوقها كنائس غير انه بعد الفحص ظهر كذب ذلك المخالف وجعل الرب فى قلب الخليفة ان يأمر البطريرك باتمام البيعة فتم بناؤها فى مدة خمس سنين وكانت تدعى بيعة التوبة . وكان مساعدا للبطريرك شماس كاتب اسمه يوحنا صار فيما بعد اسقفا لكرسى سخا بعد وفاة البطريرك .

وبعد ذلك نزل غلاء عظيم على مدينة الاسكندرية فحل البلاء بكثيرين من الناس حتى حزن قلب البابا عليهم وصلى طالبا رفع هذا الويل عنهم وكلف تلميذه مرقس أن يمد يده لاغاثة كل محتاج وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده واستمر يحض الاغنياء على مساعدة الفقراء حتى شفق الرب ورفع الغلاء

وحينئذ تنيح الاب جرجس بطريرك انطاكية وأقيم عوضه أنسان قديس يدعى كرياكوس فلما اتصلت به اعمال البابا يوحنا كتب اليه يجدد معه علاقة الاتحاد التى كانت قد انقطعت مدة بسبب الاضطهاد الذى كان واقعا على الكنيستين فرد عليه البابا يوحنا برسالة كلها اخلاص ومحبة

وحدث ايضا ان انبا جرجس اسقف مصر تنيح فكتبت رعيته الى البطريرك تلتمس منه اقامة شماسه مرقس عوضه فأجاب طلبهم واستدعى الشماس ليقيمه اسقفا فأبى بتة فشدد عليه وأرغمه على قبول القسوسية ليصير اسقفا بعدها ولكنه التمس منه ان يعفيه من هذه الخدمة الشاقة فلم يقبل البطريرك طلبه فلاذ مرقس بالهروب واضطر البطريرك ان يكرس لشعب مصر قسا يدعى ميخائيل اسقفا لهم .

فحقد البطريرك على مرقس بسبب هروبه منه وكتب لشيخ قديس بالبرلس يسمى جرجس يخبره فيه أنه وجد على مرقس لعصيانه عليه وعدم قبوله للاسقفية فأرسل اليه الشيخ

جرجس يقول له ان عدم قبول الاسقفية من الله الذى سيجعله بطر يركا بعدك فتعجب البطر يرك وطلب الشماس مرقس اليه ورفع شأنه ووضعه عنده موضع الاحترام والتبجيل

وتوجه البطر يرك الى فسطاط مصر ليجمع خراج الكنائس فحرك الشيطان واليا مبغضا للمسيح على ان يهدم بيع مصر ولكن الرب أماته قبل ان يبدا بعمله المذموم وعين مكانه انسان محب للنصارى فساعدهم على ترميم البيع التى كان سلفه قد شرع فى هدمها . وكان البطر يرك قد قضى اشغاله بمصر وعول على العودة للاسكندر ية وكان عيد الميلاد قد قرب فطلب منه شعب مصر ان يبقى عندهم ليرفع لهم الاسرار المقدسة و يناولهم . فلما دخل البيعة رآها بغير سقف فتنهد وطلب من الرب ان يقو يه ليكمل بناء كافة البيع غير ان الرب ابقى هذا العمل الجليل لخليفته . فلما اكمل الخدمة شعر بضعف اصابه ولحقه وجع برأسه فطلب من الاساقفة ان يمضوا به الى الاسكندر ية ليموت فيها فحملوه فى مركب وكان معه ميخائيل اسقف مصر وجرجس اسقف منفيس فلما وصل الى الاسكندر ية ثقل عليه المرض ولحق بأبائه بعد ان اوصى بمرقس ليكون بعده فى اليوم السادس عشر من شهر طو به سنة ٥٠٢ ش و ٧٩٩ م قيل أن يوم موته هو يوم ميلاده و يوم تعيينه بطر يركا . واقام على الكرسى اربع وعشر ين سنة

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة

(١) انبا صموئيل أسقف اوسيم　　(٢) انبا موسى اسقف اوسيم

(١) انبا صموئيل اسقف اوسيم :

عاش عيشة الزهد فلم يقتن لنفسه شيئا من مقتنيات العالم فلم يكن له سوى ثوب واحد وكان بهى الطلعة حسن السيرة يعظ الخطاة والمرتدين عن الايمان فيسمعون له و يطيعون قوله . وكان مع البابا الاكسندروس الثانى وقت ان دعاه جابى الخراج وهو ينوى به شرا ففرا كلاهما معا فتبعهما الجابى فوجد البطر يرك قد مات والقى القبض على هذا الآب وأتى به الى عبد الله الوالى الذى اتهمه بانه حرض البطر يرك على الهروب وطلب منه ان يدفع عوضه ألف دينار: وكان الانبا صموئيل فقيرا لايملك قوت يومه فاعتذر للوالى بعدم قدرته على دفع المبلغ فلم يقبل منه وسلمه الى شرطيين لتعذيبه فاخذاه وقدماه الى قوم من البرابرة لهم طباع الوحوش فجذبوه وصاروا يجرونه فى شوارع مصر حتى أتوا به الى باب بيعة مار جرجس وجمع كثير يجرى خلفه .

وبعد هذا العذاب عادوا يطالبونه بدفع المبلغ ولما رأوه عاجزا عن تقديمه نزعوا عنه ثوبه وألبسوه مسح شعر وعلقوه بذراعيه وهو عريان وجميع الشعب ينظرونه وهم يضربونه بسياط من جلود البقر حتى جرى دمه على الارض واستمروا معه على هذا الحال اسبوعا وكبار الموظفين يتوسطون له عند الامير وأفهموه بان لا يد له في هروب البطريرك حتى اطلقوه بعد ان تجرع كؤوس الآلام اشكالا ولا ريب ان ذلك العذاب قضى عليه فلحق بآبائه

(٢) الانبا موسى اسقف اوسيم :

من اعلام آباء الكنيسة في هذا الجيل نشأ على حب الطهارة والبتولية من صغره وتعلم علوم البيعة وصار شماسا ثم قصد برية شيهات وترهب عند رجل قديس فمكث في خدمته مدة ثمان عشرة سنة سالكا طريق الفضيلة والنسك الزائد . ولما اشتهر أمره أختير أسقفا لاوسيم فرعى رعيته أحسن رعاية ولم يقتن شيئا في كل زمانه وعرف بالتقوى والشجاعة وكان يقضي جل أوقاته في الاصوام والصلوات حتى لم يكن يتيسر للناس مقابلته الا في يومي السبت والاحد وكان غيورا على الايمان المستقيم ففي أول رسامته كان في مدينة اوسيم اديرة كثيرة لاصحاب ميليتس المنشق فوعظهم بكلام كثير وكان جلهم قد لبسوا الاسكيم من يده فلما لم يطيعوه نفاهم جميعا

واعطاه الرب موهبة صنع الايات والعجائب فشفى كثيرين من امراض مختلفة وتنبأ كثيرا عن حوادث قبل وقوعها فكان كما قال . وقبل انتخاب البابا خائيل الاول كان والي مصر يضايق الاقباط فتنبأ الانبا موسى عن آخرته السيئة وتم قوله وتولى بعده حفص بن الوليد فطلب منه الانبا موسى ان يسمح لهم بانتخاب بطريرك فسمح لهم

ولما جرى الاضطهاد على البيعة هرب كل الاساقفة الى كراسيهم الا ان أبروشية الانبا موسى تعلقت به لكي لا يتركها فريسة للذئاب فكان يطوف الجيزة وأعمال مصر مفتقدا المؤمنين ومثبتا اياها . واتاه يوما بعض اراخنة مصر وطلبوا اليه ان يصلي الى الله ليرفع الكرب عنهم وعن شعبه لانهم كانوا قد أحصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوهم أربعة وعشرين الفا فقال لهم آمنوا يا أولادي «ان الوالي الذي يضطهدكم يهلك في بحر هذا الشهر» فكان كما قال ولما بلغ أمره حوثرة الوالي الذي خلف ذاك قرب اليه القديس وكان يستشيره في الامور المهمة

وحدث بعد ذلك خلاف بين الارثوذكسيين والخلكيدونيين على البيع فخاف الشمامسة ان يدفع الخلكيدونيون رشوة للوالي فيسلم لهم في بيع الارثوذكسيين ولذلك طلبوا من الانبا موسى ان يرشي الوالي مثلهم فأجابهم «يا أولادي لا يليق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا رشوة لاحد كما لا يليق بهم ان يأخذوا من احد فان الله لا يتخلى عنا حسب وعده» وقد حقق الرب قوله فحكم بالكنيسة للارثوذكسيين

وفي أثناء ثورة البشامرة ضد الحكومة سأل تلميذ له عن النتيجة فأجابه لا يترك الله بيعته الى التمام بل يخلصها وهذه المملكة تبيد وتحل أخرى محلها و بعد مدة وجيزة ضيق ابن مروان الوالى على البابا خائيل فاتى هذا صباح يوم احد الى اوسيم والجنود تقوده فعندما ابصرهم الانبا موسى قال هذا هو اليوم الذى أتوقعه ومن اراد ان يبذل نفسه فليتبعني لانى اشتهى من زمان ان اسفك دمى الدنس عوضا عن الدم الزكى المسفوك عنا . ولكن عظيم هو حزنى لان جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جدا اذ لا نجد انسانا يشاركنا فى هذه التضحية .

ولبس القديس ثوبا وترك جميع ما فى بيعته وتبع البطريرك ولما مثلوا امام الوالى طرح الانبا موسى على ركبتيه ورفعت رجلاه الى فوق وضرب بدبابيس نحاس على جنبيه ورقبته وكان الجنود المكلفون بضربه يقولون له اعطنا مالا ونحن نتركك فلم يكن يجاوب بكلمة واحدة

وأمر الوالى بقطع رقبة البطريرك وساقه السياف الى موضع القتلى فجرى الانبا موسى خلفه ولم يشأ ان يتركه فمنعه السياف وهو لا يمتنع حتى غضب منه ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به فمد القديس راسه الا ان بعض الموظفين منعوا الجلاد من ان يضربه . وكان الجنود يشهدون عنه قائلين بلغتهم العربية «نعم هذا الخادم لربه» ثم وضع فى السجن مع البطريرك وقيدت رجلاه مع كثيرين من الاساقفة فتنبأ لهم الانبا موسى بانهم يخرجون بالسلامة وتم قوله لان مروان مضطهدهم انهزم فخرجوا من السجن سالمين الى كراسيهم .

واستمر القديس موسى مرافقا للبابا خائيل طول ايام تجاربه ولما أكمل ايام جهاده مرض وعرف ان وفاته قد دنت فاستدعى اليه رعيته واوصاهم ثم باركهم وتنيح بسلام

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(١) عصبه بن عبد العزيز
(٢) خلافة الوليد بن عبد الملك وولاية عبد الله ابن اخيه
(٣) ولاية قره بن شريك
(٤) خلافة سليمان بن عبد الملك وولاية اسامة بن يزيد
(٥) خلافة عمر بن عبد العزيز (٦) خلافة يزيد بن عبد الملك
(٧) خلافة هشام بن عبد الملك (٨) ولاية حنظلة بن صفوان

(١) عصبة بن عبد العزيز :

وولى بعد عبد العزيز على مصر ابنه عصبه (ويسميه الانبا ساويرس الاصمع) فبذل جهده فى اضطهاد الاقباط وساعده على ذلك شر يريدعى بنيامين كان شماسا فى الكنيسة ولكنه اعتنق الديانة الاسلامية وتصادق مع عصبه وصار يوغر صدره على الاقباط حتى فسر له الانجيل باللغة العربية وكان يقرأ كتب النصارى عله يجد فيها طعنا بالمسلمين وتمكن من ان يجعل عصبه يستخدم ضدهم كل طريقة جائرة ليقلل عددهم ويذل من شأنهم فألزمهم بدفع مغارم باهظة ولما رأى الاقباط ان المسلمين معافون من دفع الجزية التى أصبحت وقرا ثقيلا على عاتقهم بسبب الزيادات التى كان يضعها عليهم الولاة خلافا للعهد وما كان يصيبهم من متوليى الخراج من الجور والعسف فى تحصيلها آثر بعضهم الاسلام تخلصا من المغارم الفادحة ومن هؤلاء بطرس والى الصعيد وتادرس اخوه وثاوفانس ابن عمدة مريوط وكهنة وعلمانيون لا يحصى عددهم

وتسبب عن اقبال الاقباط لاعتناق الاسلام نقص فى الايراد فوشى اليه بنيامين بان الرهبان قوم اغنياء ينفقون من أموالهم الوافرة على طيب المأكول ولذيذ المشروب فاراد عصبه ان يعوض بما يفرضه عليهم ما خسره من الذين اسلموا . فانفذ صاحبا له يدعى يزيد ومعه آخر فأحصى جميع الرهبان فى سائر الاماكن ولاسيا فى وادى هبيب حيث وجد اكثر من ستة آلاف راهب وفرض على كل واحد منهم دينارا وامرهم ان لايرهبوا احدا بدون اذنه ثم الزم الاساقفة بدفع الفى دينار كل سنة خلاف الجزية المقررة عليهم

غير ان الله لم يسمح لعصبه ان يستمر فى طغيانه فأدبه تأديبا قاسيا وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل الى كنيسة حلوان ووقع بصره على صورة السيدة العذراء وابنها السيد المسيح فى حضنها فسأل الاساقفة عنها فافهموه مغزاها فملأ فمه بصاقا وتفل عليها وأخذ يجدف قائلا من هو المسيح حتى تعبدوه واقسم انه اذا طال به الزمن سيمحق كل النصارى . ولكنه فى تلك الليلة أنزل الله به انتقاما مريعا وفى صباح عيد القيامة توجه الى ابيه وهو جالس مع اعيان الامة وقص عليه حلما هائلا شاهده وهو انه أبصر انسانا بهيا جالسا على عرش وحوله ألوف وربوات يحملون السلاح فسأل من هذا الذى أخذ الملك من أبى فقيل له انه يسوع المسيح ملك الملوك ورب الارباب الذى بصقت فى وجهه ثم تقدم احد الجنود وطعنى بحربة فى جنبى . ولم يكد ينتهى من قصته حتى ضربه الله بحمى قتاله لم تمهله سوى ساعات قليلة تجرع فيها مر العذاب فحزن عليه ابوه حزنا مفرطا ولحقه بعد اربعين يوما

وكان الموظفون المسلمون اقل علما بشؤون وظائفهم من الموظفين الاقباط وقد فكروا مرارا فى الاستغناء عنهم ولكنهم رأوا ان الاحوال لا تستقيم بدون وجودهم فكان بقاء الاقباط فى وظائفهم سببا من الاسباب التى كانت تخفف من وطأة الاضطهاد عليهم ولو أن الموظفين لم يكونوا يستطيعون المجاهرة بالدفاع عن اخوتهم . ومع ان الحكومة كانت تدرك شدة الحاجة اليهم فى أعمالهم الهندسية والطبية والحساب وفى كل شغل يحتاج الى الذكاء والانتباه الا انها لم تعفهم من اضطادها وجورها مرارا حتى اضطر كثيرون منهم الى السير تبعا لرغبة رؤسائهم فاهملوا فى اتمام واجبات دينهم التى كانت توجب السخط عليهم

(٢) خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ وولاية عبد الله ابن أخيه :

تولى عبد الله هذا مصر وكان كرها للنصارى فاشتد عليهم و بلغ ظلمه عنان السماء حتى أنه كان فى أكثر اوقاته اذا جلس على المائدة يأمر بذبح بعض الاقباط أمامه ليتلذذ برؤ ية دمهم يسيل على الارض أو يطير على مائدته . فاحتمل الاقباط من الاهوال ما يشيب لهولها الولدان وحكم بالموت على كثير ين منهم وقضوا شهداء ولكن الحكومة لم تسمح بدفن جثثهم الا اذا دفع أهلهم مبلغا من المال فاضطر كثيرون الى اعتناق الدين الاسلامى . وغيرهم هاجروا القطر المصرى هربا من الضيق الذى استحكمت حلقاته عليهم . وآخرون ماتوا من شدة الجوع وهدمت كنائس كثيرة وتعطلت شعائر العبادة فى كثير من الانحاء حتى عزل عبد الله فتنفس المضطهدون الصعداء

وفى اول هذا الجيل امر عبد الله ان تجعل الكتابة فى دواو ين الحكومة بمصر باللغة العربية وكانت الى ذلك الحين بالقبطية وكان القائم بها و بسائر الاعمال الادار ية الاقباط تحت رئاسة انتناس الذى كان امينا على بيت المال كما تقدم فعزله وولى مكانه ابن يربوع الفزارى من اهل حمص . ولما راى القبطان هذا التغيير يعود عليهم و بالا و يأول الى رفتهم من وظائفهم جدوا فى تعلم اللغة العربية فاتقنوا فنى الكتابة والحساب بها وفى وقت قصير بل تفننوا فيها وجعلوا لحساباتهم قواعد وروابط مخصوصة . ونقلت أيضا اسماء البلاد الى العربية فتحرفت عن اصلها كما نرى

(٣) ولاية قرة بن شريك سنة ٧٠٩ م :

وقد سار قرة على منوال سلفه فى اضطهاد الاقباط وعامل بطر يركهم بقساوة بربرية وثقل الجزية على الرهبان وامر بضم تركة كل قبطى غنى يموت الى حوزته . وكان قد مات كاتب فى ديوان الاسكندر ية وغيره كثيرون فاخذ مالهم ثم نفذ امره على الاساقفة وزاد عليهم مائة ألف دينار غير المقرر عليهم . وأشتد قرة فى جوره فكان يحتقر عبادة الاقباط و يدخل احيانا الى كنائسهم ومعه رجال حاشيته و يوقفهم عن صلاتهم . ولما عمت الويلات ظهر ان الاقباط يهجرون بلادهم بكثرة متناهية فكلف رجلا من سخا يدعى عبد العزيز بالوقوف فى وجه كل الهاربين وتقييد كل من يراه هاربا وارجاعه الى مكانه

وكأنه لم يكف البلاد ما أصابها من الوالى فحل بها وباء عظيم حصد الالوف من الارواح ولكنه أحسن اذ دخل قصر قرة فنهب نساءه وكان هو يهرب منه الى كل مكان ولكنه اصابه وأودى بحياته

والذى جاء بعد قرة لم يلبث سوى ثلاثة اشهر خربت فيها أكثر كنائس الاسكندرية وأخذت اعمدتها الرخام والمرمر وباقى انواع الزينة والزخرفة ووضعت فى الجوامع التى لم تكن تزيد الابقلة الكنائس

(٤) خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٤ م وولاية أسامة بن يزيد :

وعين الخليفة سليمان اسامة جابيا لخراج مصر فلم ير الاقباط حاكما اشد منه قساوة واعظم شراسة فكانت مدة ولايته عليهم من أبلغ أيامهم هولا . ولما رأى انه يوجد فى برية شيهات وحدها عدد عظيم من الرهبان خشى قيامهم ضد الحكومة الظالمة فأمر بمنع الترهب وبالغ فى التنكيل بهم ليفل جموعهم فزاد الضريبة الموضوعة عليهم ورتب طريقة جديدة بها يتأكد من دفعهم اياها فأمر بان يلبس كل راهب خاتما من حديد فى أصبعة مكتوبا عليه اسمه واسم ديره يسلمه اليه جابى الخراج عندما يدفع ما هو مقرر عليه من الجزية واذا وجد واحد منهم غير لابس له تقطع يده واذا أصر على المخالفة يقتل .

وتكرر الهجوم على الاديرة وهدمها وقتل من بها من الرهبان غير الحاملين هذا الوسم ولم يكن يحصى عدد من قطعت ايديهم لهذا السبب ومن حلقت لحاهم وقعلت عيونهم وجلدوا بالسياط وكثيرون ذاقوا باقى أنواع العذاب التى أودت بحياتهم وكانت تضم ممتلكاتهم الى مال اسامة الخاص . وكان من محبته للمال يأمر الولاة بان يتهموا الاقباط بما هم براء منهم حتى يتمكنوا من اعدامهم واحضار مالهم اليه بل أمرهم قائلا « سلمت اليكم أنفس الناس فتحصلوا ما تقدرون عليه من اساقفة أو رهبان أو كنائس أو كل الناس واحملوا الى القماش والمال والبهائم وكلما تجدونه ولا تراعوا احدا وفى أى موضع نزلتموه فاخربوه » فكانوا يخربون البيوت والكنائس و يقلعون الاعمدة والاخشاب و يبيعون ما يساوى عشرة دنانير بدينار فارغم الاقباط على اخفاء كل ما عندهم وتظاهر اغنياؤهم بالفقر وكثيرون منهم صاروا يحملون امتعتهم و يفرون بها من البلاد فلكى يتلافى اسامة هذا الخطر أصدر امرا يحتم على كل من يمر فى النيل صاعدا أو نازلا أو من يبرح مصر يأخذ جواز للسفر حتى اذا انتقل من مكان الى مكان داخلها وان يدفع مقابل ذلك عشرة دنانير أو ستمائة قرش صاغ ومن يخالف هذا الامر فمنهم من يقتله ومن يصلبه ومن يقطع يديه ورجليه حتى خلت الطرق من المارين فيها وانقطع السفر وكف البيع والشراء لقيام الناس حول دار اسامة شهرين أو أكثر لاستخراج جواز المرور . واذا اتلفت العوارض جواز انسان وبقى معه قطعة منه أو تغير رسمه يلزمه ان يستخرج عوضه . ومما يحكى ان ارملة سافرت فى النيل مع ابن لها بعد دفع المفروض ونيل تذكرة المرور بكل مشقة نظرا لضيق ذات يدها . فحدث وهى فى اثناء المسير ان ابنها هذا تطاول الى النيل

مستقيا فاختطفة تمساح وابتلعه وثيابه والناس ينظرون وكانت تذكرة المرور في جيبه . فلما وصلت المرأة المكان المقصود أعترضها صاحب التذاكر وأبى الا ان تبرز تذكرتها فاخبرته ما كان من امر ضياع ابنها على مشهد من الناس فاغلق أذنيه عن صراخها ولم يفرج عنها حتى باعت كل ما فى يديها ودفعت الفلس الاخير

ثم انفذ اسامة رسلا للرهبان ليفحصوهم فوجدوا بعضهم بغير الخاتم الذى أمر ان يوضع فى يد كل راهب فاحضروهم اليه فنهم من ضربت رقبته ومنهم من مات تحت السياط ثم انه سمر باب أحدى الكنائس بالحديد وطلب منهم الف دينار وجمع مقدمى الرهبان وعذبهم وخيرهم بين ان يدفع كل واحد منهم دينارا اويهدم البيع ويخرجها ويهلك جميع الاساقفة . فقلقت الكنيسة كلها وارتفعت الاصوات الى العزة الالهية لتدفع عنهم هذا البلاء فسمع الله صوتهم

(٥) خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧ م :

وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فرفع اليه المصريون شكواهم على اسامه فارسل خلفا له أيوب بن شرحبيل وأمره ان يقبض على أسامه و يكبله بالحديد و يسمر يديه ورجليه باطواق من الخشب و يرسله اليه ففعل فمات اسامة فى الطريق . أما ايوب بن شرحبيل فكان عادلا نزيها فأجرى الحق مجراه وأنسى المصريين ما كان من استبداد اسامة وغلاظته فالغى الضرائب عن الرهبان وخفف الخراج عن اهالى البلاد فاحبوه وزادوا فى اعتباره

وكان على الجيش فى مصر حيان بن شريح فبلغ عمر أنه يطالب الاقباط الذين أسلموا بالجزية فعظم عليه ذلك فكتب له « أرى ياحيان ان تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فان الله تعالى قال « فان تابوا وأقاموا الصلاة والزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » وقال « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون بدين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فاجابه حيان « أما بعد فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار تممت بها عطاء اهل الديوان فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل » فكتب اليه عمر « أما بعد فقد بلغنى كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عمن أسلم قبح الله رأيك فان الله بعث محمدا (صلعم) هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يده » فرفعت الجزية عمن أسلم من النصارى و وزعت على اخوانهم الباقين على دينهم وكذلك كانت توزع جزية من يموت منهم على الاحياء و يلزمون بادائها طوعا أو كرها

(٦) خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ٧٢٠ م :

ولى على مصر بشر بن صفوان ومع انه انتهج منهجا حسنا الا أن يزيد ألزمه بأن يضع على

الكنائس والاساقفة الخراج الذى رفعه عنهم عمر سنة واحدة وزاد فى الضرائب فأصبحت الاقامة فى البلاد و بالا على أهلها فتركها منهم كثيرون لا سيما عندما أتى أمر من يزيد يشدد على الوالى بأن يحتم على كل من يقيم فى البلاد أن يكون على دين محمد مثله ومن لا يريد فليخرج منها تاركا كل ما يملك . فاعتبر الاقباط السماح لهم بالخروج من البلاد رحمة منه فهجرها كثيرون حتى اقفرت مديريات بجملتها وترك الموظفون منهم وظائفهم ووضعت على الذين لم يتمكنوا من الفرار جزية باهظة واعتنق كثيرون الدين الاسلامى فرارا من المغارم . وانتهز المتعصبون هذه الفرصة وهدموا كنائس كثيرة

ثم تولى حنظلة بن صفوان فشرع يتمم أمر الخليفة بكسر جميع الصلبان التى فى سائر الاماكن ومحو الصور التى فى الكنائس وتحويلها الى جوامع . وتولى بعد حنظلة جملة ولاة لم يكن شغلهم سوى التفنن فى تعذيب الاقباط وسلب مالهم

(٧)خلافة هشام بن عبد الملك سنة ٧٢٤ م :

كان عادلا محبا فى اجراء الانصاف بين أفراد رعيته فشكا اليه الاقباط من ظلم عمال الخراج فأصدر أمره للوالى بوجوب معاملتهم بمقتضى العهد الذى بيدهم ولكن لم يجد هذا نفعا ولا فائدة بل كان سببا فى مشاركة الوالى مع عمال الخراج على التضييق والتشديد عليهم . ولما لم ير الاقباط من الولاة الا الاصرار على عدم تغيير خطتهم وشاهدوا سيل الظلم قد طفح . نزعوا فى ولاية الحسن بن يوسف وجباية رجل ظالم اسمه عبد الله الى التوقف والمقاومة وعزموا على القيام بثورة يدافعون فيها عن حريتهم وحياتهم

وقد بدأت هذه الثورة سنة ٧٢٥ م فاعتصب أهل تنوويى وقربيط وعامة أهل الحوف الشرقى (الشرقية) بالوجه البحرى وتوقفوا عن دفع الاموال فأرسل اليهم الوالى جندا فحاربوهم وقتل فى هذه الواقعة من الفريقين خلق كثير وهزم الاقباط أخيرا لندرة تدربهم على القتال غير انهم لم يهربوا بل استمروا واقفين أمام جيوش أعدائهم حتى ذبحوهم عن آخرهم .

ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة وعرف سببها خشى سوء العاقبة بانتفاض جميع الاقباط فى الوجهين القبلى والبحرى فعزل الوالى المذكور وولى مكانه حفص بن الوليد وأمره أن يحصى أهل البلاد و يوزع عليهم الخراج بطريقة عادلة والا يخرج فى ربط الجزية عن حد ما صولحوا عليه مع عمرو بن العاص وبمقتضى العهد الذى بيدهم . ففعل كما أمر و بلغ عدد القبط فى هذا الاحصاء أكثر من خمسة ملايين من الذين يدفعون الجزية عدا النساء والشيوخ والصبيان فاستراح الاقباط من الاضطهاد مدة سبع سنوات بل تمكنوا فى زمن ولاية الوليد بن رفاعة من الحصول على اذن ببناء كنيسة بمصر القديمة على اسم مارمينا فاغتاظ وهيب اليحصبى وتجمهر كثيرون من المتعصبين

وحاولوا احباط عمل الكنيسة ولكن الله أوقف اعتداءهم بارسال ضربتين على سكان مصر وهما الجوع والوباء فافنيا منهم الالوف

(٨) ولاية حنظلة بن صفوان :

هذه ثانى مرة تولى فيها مصر وكانت سنة ٧٣٦ م وكان هذا الرجل ظالما عاتيا غشوما رغم رغبة الخليفة اليه أن يعامل الناس بالرفق واللين والمعروف وكان عمله كأسمه فلم يكتف بالضرائب المفروضة على الانسان من ابن عشر سنين الى ابن مائة ففرضها على الحيوانات وحكم بقطع يد كل مسيحى لا يكون معه وصل بالبراءة أو لا توجد على يده صورة الاسد . ولم يقف حنظله عند هذا الحد بل لما أراد أن يبنى له دورا بالفسطاط فاستخدم فيه الاقباط وضغط عليهم ضغطا شديدا لم يطيقوه فهاجوا فى مدن بناوصا وسمنود وما يجاورها وفى بلاد الصعيد وقاموا على عمال الخراج وأخرجوهم من بلادهم وحصلت بينهم و بين جنود الوالى واقعة عظيمة قتل فيها كثيرون

كل هذا وحنظلة لا يزيد الا جورا وعسفا فشكوه الى الخليفة فعزله وولى مكانه حفص بن الوليد ثانية فلم يسر هذه المرة فى خطة مولاه فزاد الضرائب واشتد على المسيحيين وطفق ينهب أسوالهم ويجور عليهم فعم البلاء الذى حمل الناس على أكل الجيف وصار يموت من أهل القاهرة كل يوم ١٥٠٠ نفر

و بلغ الاقباط خبر موت الخليفة هشام فتأسفوا وحزنوا لانه لم يكن يميز فى أحكامه بين أحد مهما كان دينه . وفى أيامه حارب المسلمون الروم وأسروا منهم خلقا كثيرا فكان الاقباط يشترون منهم عددا وافرا و يطلقون سراحهم فنالوا أكمل فخر وأجمل ثناء .

(٩) خلافة الوليد بن يزيد سنة ٧٤٣ م :

ولى على مصر حسان بن عتاهية الذى زاد الضرائب وضايق الاهالى واضطهد الاقباط فأبدل بحفص ثالثة فلم يسر الا على خطة اضطهاد المسيحيين واثقال كاهلهم بمضاعفة الخراج وأمرهم أن يعتنقوا الاسلام كرها فسقط منهم عدد ليس بقليل قيل انهم ٢٤ ألفا عدا من ثبت على ايمانه ونال اكليل الشهادة

وخشى كثيرون من الاساقفة نتيجة هذه القساوة وخافوا على أنفسهم من السقوط ففروا من ابروشياتهم وكمنوا فى الاديرة تاركين رعيتهم فريسة للذئاب وكانت تلك فرصة أخرى كثر فيها الذين اعتنقوا الاسلام اما تخلصا من اضطهاد شنيع أو باغراء الولاة الذين وعدوهم بالعفو اذا نطقوا بالشهادة فقط و يلبثون مسيحيين فعلا ومسلمين اسما ولكن النتيجة كانت سيئة فى الحالتين لان أولاد هؤلاء المساكين صاروا مسلمين فعلا لا اسما

وفى ذلك الوقت قام مروان بن محمد سنة ٧٤٤ م واغتصب الخلافة من ابراهيم بن الوليد

وولى مصر حوثرة بن سهيل فاراح الاقباط قليلا من ذلك الظلم الهائل الذى كان واقعا على رؤسهم ولذلك صرف بطرير ك الاقباط حينئذ وهو البابا خائيل الاول أكثر أوقاته فى قبول توبة الذين أنكروا الديانة المسيحية

(١٠)ولاية عبد الملك بن مروان سنة ٧٥٠ م :

تولى مصر بعد حوثرة فانتهز انشغال مروان فى القتال وشن الغارة على الاقباط واضطهدهم اضطهادا فظيعا . وفى أثناء ذلك أتى مروان فارا من وجه ابى العباس الملقب بالسفاح الذى نزع منه جميع الولايات ولم تبق له سوى مصر فأراد أن يحتفظ بها ولكنه وجدها فى اضطراب بسبب سوء ادارة الولاة وعمال الخراج

وكان قبط الوجه البحرى فى الجهة المعروفة بالبشمور وهى مدير ية الدقهلية والمنزلة ودمياط وفى جهة شبرا بسنبوط قد قاموا على عمال الخراج وقتلوهم فجرد الوالى عساكره فحاربهم الاقباط وانتصروا عليهم دفعتين وكان القائد للبشمور يين رجل قبطى منهم يسمى مينا بن بقيرة . و بعد أن تمتع الاقباط مدة بالراحة استجمع مروان قوته وحاربهم فهزمهم هذه المرة وتركوا ميدان القتال وتحصنوا فى بلادهم فلم يتمكن مروان من متابعتهم بسبب الوحل الذى كان فى طر يقهم فضرب العساكر حولهم يحرسونهم فكان البشمور يون يخرجون اليهم ليلا من طر يق يعرفونه و يقتلون من قدروا على قتله ولما طال عليهم الامر رحلوا عنهم

وجاء أبو العباس الى مصر فلم يقو مروان على الوقوف أمامه فهرب الى الوجه القبلى وسمح لعساكره أن ينهبوا البلاد فصاروا يقتلون الاراخنة و يسبون نساءهم وأولادهم و يسلبون أموالهم ويهدمون الكنائس . وفيما هو هناك اعتصب أهل طحا (بمدير ية المنيا) وتوقفوا عن دفع الخراج فأرسل اليهم أميرا من أمرائه فقتل ونفى كثير ين منهم واستباح كل مالهم وكان عدد سكان هذه المدينة أكثر من ٢٠٠٠٠ نفس كلهم نصارى فهدم كنائسهم ولم يبق فيها غير واحدة كانوا التزموا بثلاثة آلاف دينار فى نظير بقائها فاعطوا الفين وعجزوا عن الباقى فجعل ثلثها جامعا

ثم ولج عساكر مروان الاديرة ونهبوها واغتصبوا الراهبات لهتك أعراضهن واكراههن على البغاء وظلوا يقتلون و ينهبون البلاد وأخربوها من منف الى مدينة تاوصنا . وامعنوا فى أثناء سيرهم فى الافساد حتى وصلوا الى الشرق بجهة أخميم وكان هناك دير راهبات تسكنه ثلاثون عذراء فنهبوه ووجدوا بين العذارى صبية ترهبت وهى ابنة ثلاث سنين وكانت ذات جمال بارع فراقت فى نظرهم وأرادوا أن يقترعوا عليها ولكنهم استحسنوا أن يأخذوها هدية للسلطان . فلما سمعت قولهم تقدمت الى قائدهم وقالت له أنا أعبد الله بطهارتى منذ سنين ولا يجمل بكم ان تفسدوا عبادتى واذا أوليتمونى هذا المعروف أنا أكافئكم عوضه بدواء أصفه لكم يحمى أعناقكم من فعل السيوف فتعجبوا من كلامها فقالت لهم ان آبائى كانوا قوما مقاتلين ومن الشجعان وقد دفعوا لى دواء كانوا

يتدهنون به اذا خرجوا للقتال فكانت السيوف الحادة تكل ولا تضر أجسادهم وان كنتم لا تصدقون فها أنا أدهن رقبتي به وليستحضر أشجعكم أحد سيف و يضربني به فلابد أن يرجع مفلولا وقصدت بذلك أن تدبر طريقة للموت دون أن تنجس جسدها الطاهر

ثم دخلت قلايتها وأخرجت قنينة فيها زيت قد صلى عليه القديسون وكانت محتفظة به فدهنت به رقبتها ووجهها وجميع جسدها ثم جثت و بدأت تصلي وهي تمد عنقها للسياف فظن الجهال أن الامر صحيح ولم يعلموا ما في قلبها ثم قالت لهم «من كان فيكم قويا وسيفه ماض قاطع فليتقدم» فوثب شاب شجاع بسيف يفتخر به فسترت وجهها بردائها وأحنت رأسها وقالت له أضرب بكل قوتك ولا تبال فضرب القديسة فطارت رأسها فعلموا حينئذ انها خدعتهم فندموا وحزنوا حزنا عظيما ووقع عليهم خوف شديد ولم يلتفتوا بعدها لراهبة أخرى بل تركوهن ومضوا يمجدون الله

ثم رجع مروان من الصعيد فوجد جيوش أبي العباس قد حلت قرب الفسطاط فأطلق فيها النار. وفي هذه الاثناء كانت البيعة معرضة للسقوط في كل مكان ولم يكن فيها أمن لاحد من بنيها الا للذين لجأوا الى برية النطرون أو الاماكن المنفردة في الجبال . ولم يأتهم الفرج الا بعد انتصار أبي العباس على مروان وقتله اياه وبموته انقرضت الدولة الاموية وقامت مكانها الدولة العباسية واستولت على مصر

وأما حالة الاقباط في ذلك الوقت فكانت سيئة للغاية فالاضطهادات والاوبئة والمجاعات كل هذه فتكت بهم فتكا ذريعا وتسبب عن ذلك نقص عظيم في عدد هذه الامة التعيسة الحظ السيئة البخت . و باختلاط القبط بالعرب أخذت لغتهم تنحط شيئا فشيئا حتى لم يبق منها بتوالي الايام الا رسمها واقتصروا على استعمالها في الطقوس الكنسية ولولا ذلك لا محى أثرها بالكلية . وما الفضل الا لرؤساء الدين الذين كانوا يعلمون الناس ان المحافظة على لغتهم الاصلية ولو بغير المعاملة بها في الاحوال المعيشية من الواجبات الدينية

(١١) مصر في عهد الدولة العباسية سنة ٧٥١ م :

ولما كان الاقباط قد ظاهروا ابا العباس على مروان نادى العباسيون بعد استتباب الملك لهم بالامان على المسيحيين وكانت نواياهم لاقباط مصر حسنة الا أن بعد البلاد عن مركز الخلافة وعدم بقاء الولاة في مناصبهم جعلهم يستبدون و يعملون في الناس كيفما شاءوا كما كان يفعل الولاة أيام الدولة الاموية و بعضهم لعلمه ان منصبه غير باق له لم يكن يهتم الا بمصلحته الشخصية

(١٢) خلافة أبي جعفر المنصور سنة ٧٥٤ م :

ولي عنه بمصر يزيد بن حاتم فأوقع ببطريرك الاقباط البابا مينا الاول اضطهادا عظيما فساء الاقباط ما لحق برئيسهم من الاهانة وانعكست الحال ثانية فتمرد قبط رشيد وسخا وغيرهما

وجاهدوا بالعصيان وطردوا المستخدمين من بلادهم وصاروا يديرون أعمالهم بأنفسهم وأرسل والى مصر جيشا قويا ليحاربهم ويخضعهم ولكن الاقباط استطاعوا أن يفوزوا بذلك الجيش كله ولو كان مسموحا لهم أن يتدربوا على القتال ويحملوا الاسلحة لانتصروا على الجيش الثانى الذى حاصرهم ولكنهم انكسروا بعد أن ثبتوا أمام أعدائهم مدة ثبوت الرواسى حتى اضطروا الى أكل جثث الموتى

(١٣)خلافة هارون الرشيد سنة ٨٧٦ م :

ولى مصر على بن سليمان فاشتد غضبه على النصارى وعمد الى ما كان يلجأ اليه غيره من الولاة السالفين وهو هدم كنائسهم فعزم على هدم كنائس الفسطاط فعرض عليه النصارى خمسين ألف دينار لكى يتجاوز لهم عن كنيسة كانت قائمة فى حصن قسطنطين فأبى وهدم جميع الكنائس ولم يبق منها سوى كنيسة أنبا شنوده الواقعة بين الفسطاط و بابيليون

وتولى بعد على موسى بن عيسى فاراح الاقباط وأذن لهم ببناء الكنائس التى تهدمت وكان ذلك بمساعدة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة القاضيين ومشورتهما بحجة أن بناءها من عمار البلاد فشدداهم على ذلك . وخلف موسى بعض ولاة لم يعرفوا لهم عملا سوى اضطهاد الاقباط . وكأن المصائب أبت الا أن تكون وقفا على هؤلاء المساكين فتوالت المجاعات التى فتكت بثروتهم وصار الفقراء يموتون جوعا أو تقتلهم الحكومة تخلصا من اعالتهم . ومن الغريب أن أحد ولاة مصر تنبه الى أن المجاعات تتوالى بسبب اهمال تطهير الترع وتنظيم أحوال الرى فساق اليها عددا عظيما من الاقباط ليس لديهم قوت يوم فاتوا من الجوع و بقيت جثثهم مكومة فى الاماكن التى ماتوا فيها ونشأ عن عفونتها طاعون زاد فى شقاء البلاد

وكان من رأى هارون الرشيد أن لا يبقى والى مصر حاكما لها أكثر من سنة وكان يشدد عليهم باجراء قواعد العدل والانصاف فاستراح الاقباط فى مدة خلافته من الاضطهاد غير انه كان ينظر اليهم والى بطر يركهم بعين الر يب خوفا من انتفاضهم عليه فبذل جهده فى التضييق عليهم . ولما تولى مصر أخوه عبيد الله ابن المهدى اهدى الخليفة فتاة مصر ية آية فى الجمال فطاب بها قلبه وحدث انها مرضت فحزن كثيرا وبحث عن أمهر الاطباء ليعالجوها فانتدب له عبيد الله يوليانوس بطر يرك الاروام فى مصر وكان طبيبا بارعا فداوى محظيه الخليفة ولما برئت رغب اليه هارون أن يطلب منه أجرا فسأله بعض الكنائس القبطية فأجيب سؤاله ونال مناه . وشيد البابا يوحنا ال ٤ كنيسة عظيمة للملاك ميخائيل فاغتاظ منه الاروام وشكوه للخليفة ووجدها الوالى فرصة مناسبة لفرض غرامة باهظة على البطر يرك فدفعها هذا راضيا دون أن يوقف بناء الكنيسة يوما واحدا

و بلغ الولاة الذين تقلبوا على مصر فى مدة سبع سنوات سبعة آخرهم يسمى اسحق بن سليمان الذى لما وصل الى مصر زاد فى خراج المزارعين ز يادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن أعين فى جيش

عظيم و بعث به فنزل الحوف فتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله . وفي سنة ٧٩٨ م ولي الليث ابن الفضل فبعث بمساح يمسحون الاراضي ومن جملتهم أراضي أهل الحوف فانتقص لهم من القصبة أصابع فتظلموا الى الليث فلم يسمع لهم فتجهزوا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث في أربعة آلاف من جنده والتقى بهم فانهزم عنه الجند و بقي في نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة و بعث الليث الى الفسطاط بثمانين رأسا من رؤوس الثائرين

القسم الرابع

البدع

التعليم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن

علمت الكنيسة منذ البدء بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط كما نص الانجيل المقدس بالحرف الواحد (يو ١٥ : ٢٦) وفي المجمع القسطنطيني المسكوني الثاني المنعقد برئاسة البابا تيموثاوس البطريرك الاسكندري ال ٢٢ حرم من يقول أو يعلم بغير ذلك . وسارت الكنيسة على هذا المبدأ الى نهاية الجيل الثامن حتى ظهر لوكيوس المبتدع في عهد لاون الثالث أسقف رومية سنة ٨٠٨ م وعلم في فلسطين أولا بأن الروح القدس منبثق من الآب والابن فشجبه الاساقفة وطردوه من بلادهم فلجأ الى رومية فلم يتفق له النجاح فتوجه الى فرنسا وفيها تمكن من أن ينفث سمومه بين الاكليروس بمساعدة كرلوس الاكبر ومن ثم رجع الى رومية ببعض اتباعه فقاومهم لاون الثالث الذي جلس على الكرسي الروماني سنة ٧٩٥ م . ولما رأى هذه البدعة تمتد في رومية ولم يكن في كنيسته رجال متضلعون في العلوم اللاهوتية ليدفعوها طلب من توما بطريرك أورشليم أن يرسل اليه رجالا حكماء أتقياء ينقذون كنيسة رومية من الضلال ولكن القيصر اضطهد رسل بطريرك أورشليم ولم يدعهم يصلون الى رومية وعقد مجمعا سنة ٨٠٩ م قرر فيه الزيادة وحاول اقناع أسقف رومية بها فلم يفلح بل أجابه لاون « اني لا أعلم ما اذا كان الآباء القدماء عملوا عملا أفضل بتركهم هذه الكلمة ولا أقدر أن أؤكد انهم لم يعلموا جيدا هذا الامر كما نعلمه نحن لاني لا أتجاسر أن أشبه نفسي بهم فضلا عن أن أفضل نفسي عنهم ومهما كانت غايتنا حسنة فيجب علينا أن نخشى لئلا نضر نحن ما هو في ذاته حسن بعدنا عن النهج القديم في التعليم لان الآباء لما منعوا كل زيادة في الدستور لم يقسموا النيات الى نية رديئة بل منعوا الزيادة منعا مطلقا حتى انهم لم يسمحوا ولا بأن يفتكر أحد لماذا عملوا هكذا » أهـ

ولكى يمنع لاون كل تغيير فى دستور الايمان عقد مجمعا سنة ٨١٠ م ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحا سالما بدون الزيادة ونصبهما أمام الباب المقابل قبرى بطرس و بولس وكتب عليهما هذا العنوان «أنا لاون قد نصبت هذين اللوحين حبا بالايمان الارثوذكسى وحفظا له» (١) وكان لكرلوس قيصر فى ايجاد هذه الزيادة مصلحة خاصة أولا لكى يثبت سلطته على أسبانيا التى نشأت عندها هذه الزيادة ثانيا لكى يفصل الغرب عن الشرق فى العقيدة ويحفظ استقلاليته فتأمل

ولما أقيم بناديكتيوس الثالث على الكرسى الرومانى قام عليه قوم وعزلوه وأهانوه ونزعوا عنه حلة الكهنوت وحبسوه وانتخبوا بدلا منه قسا مقطوعا يدعى انسطاسيوس فقام الشعب ضدهم وطرد انسطاسيوس وأعاد بناديكتوس فسيم من مجمع الاساقفة (١) ولما كانت بدعة الانبثاق آخذة فى الامتداد بين الشعوب الغربية كتب دستور الايمان بحروف لاتينية خاليا من الزيادة وسن قانونا بوجوب تعليمه لكل واحد من الشعب الايطالى منعا لدخول الهرطقة وكتب رسائل الى بطاركة الشرق بأن رؤساء كهنة رومية لا يقبلون الشركة مع أحد ما لم يكن محافظا على دستور الايمان سالما كما سلمت المجامع المسكونية السبعة وحددت المحافظة عليه بأن الروح القدس ينبثق من الآب فقط لا من الابن كما علم أبناء الفساد . وقد حافظ أكثر خلفاء هذا الاسقف على سلامة دستور الايمان الى ايام استفانوس الخامس نحو سنة ٨٩٥ م (٢)

---

(١) ملاتيوس ٨ : ١٤ : ٦

(١) نقل المؤرخون أن بين البابا لاون الرابع والبابا بناديكتوس الثالث قام فى سنة ٨٥٣ بابا اسمه يوحنا الثامن وهو معروف بالبابا حنه لانه كان انثى جرمانية وقصتها كما رواها موسيهم المؤرخ فى كتابه ص ٣١٤ هى كما يأتى :— «كانت أبنة مرسل انكليزى ترك انكلترا ليبشر الصكصونيين المهتدين حديثا فولدت فى أنكلهم وحسب قول المؤلفين المتنوعين دعيت حنه واغنس وأغبرت وايزيبلا وماركريت ودوروثى وجدث فاشتهرت منذ حداثتها بذكاء العقل وحب العلم واذ لحظت من راهب شاب من فولد الغرام بها انسرقت من والديها وهي مغرومة به ايضا وتزيت بزي الذكور ودخلت دير فولدا واذ لم ترتض بالحجز هنا انسرقت ايضا مع محبوبها ومضيا الى انكلترا ثم الى فرنسا وايطاليا واخيرا الى اثينا فى بلاد اليونان حيث انصبا على طلب العلم . وحين مات الراهب كانت حنه عديمة التعزية فتركت اثينا واتت الى رومية حيث فتحت مدرسة وحصلت على شهرة عظيمة بالعلم والقداسة الكاذبة وحين مات ليون الرابع سنة ٨٥٥م انتخبت بابا وجلست على الكرسى البابوى نحو سنتين ممدوحة السيرة بدون ان يشك احد فى جنسيتها ولكنها أخذت واحدا من اهل بيتها يمكنها أن تثق به الى فراشها فحبلت منه . واخيرا اذ كان زمانها لتضع أقرب مما كانت تظن تجرأت فى اسبوع الالام ان تشترك مع كل اكليروسها فى الطقس السنوى وفيما كانت مارة فى الشوارع بين كنيسة مار اكليمندس والمرسح اتى عليها آلام شديدة ووقعت الى الارض بين المزدحمين وفيما كان الواقفون عليها يجتهدون فى أن يعالجوها ولدت ابنا فمات الولد والبعض يقولون ماتت ايضا حالا والاخرون يقولون عاشت وارسلت الى السجن حالا هدفا للعن العموم (انظر بورو بلاتينا)

(٢) ملاتيوس ٩ : ٧ : ٤

ولكن نيقولاوس خليفة بناديكتوس سنة ٨٥٨ م حاول أن يدخل الزيادة فى بلاد البلغر فقاومه فوتيوس بطريرك القسطنطينية فى مجمع عقد بهذه العاصمة وقع عليه نواب الاسقف الرومانى بهذه العبارة « انه يجب أن لايسن قانون جديد بل أن يصدق على دستور الايمان النيقاوى » أما خلف نيقولاوس يوحنا الثامن سنة ٨٧٢ م فانه قرر حرم كل من يعترف بالزيادة وكتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته بقوله « اننا نحن فضلا عن كوننا لا نقول ذلك (يعنى « المنبثق من الآب والابن ») نحكم بأن الذين تجاسروا من الاصل أن يعلموه هم مخالفون للوصايا الالهية ومغيرون للاقوال اللاهوتية أقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجمعا وسلموا الدستور المقدس ونحسبهم مع يهوذا لانهم ارتكبوا ارتكابه لا بأنهم دفعوا جسد الرب للموت بل بأنهم شقوا وفصلوا المؤمنين أعضاء جسده بعضهم عن بعض ودفعوهم بذلك للموت الابدى أو بالحرى خنقوا أنفسهم كما فعل التلميذ الملتوى المذكور »

ولكن فرموذوزس سنة ٨٩١ م قبل الزيادة فشجبه خلفه استفانوس السادس سنة ٨٩٧ م وأخرج جثته وحاكمها وقطع أصابع يده التى كان يقدس بها القرابين و يبارك الشعب وألقى تلك الجثة فى نهر تيبر فعثر بها صياد ودفنها الا أن سرجيوس الذى جلس على كرسى رومية سنة ٩٠٥ م أخرجها و بعد أن فصل الهامة عنها طرحها فى النهر ثانية وأعاد رسامة كل الذين رسمهم بدعوى انه لم يكن أسقفا شرعيا ولبثت الزيادة تتنقل بين أيدى أساقفة رومية فواحد يقبلها وآخر يشجبها حتى قام بناديكتوس الثامن سنة ١٠١٢ م فقرر قبولها رسميا سنة ١٠١٤ م فتم بذلك انشقاق الروم عنهم كما قرروا قبلا الاعتقاد بطبيعتين ومشيئتين فى السيد المسيح فكان الانشقاق بيهم و بين الكنيسة المصرية

واليك شهادات الآباء المعترف بقداستهم من كل الكنائس والتى تبرهن على أن أعتقاد الكنيسة منذ عصورها الاولى هو أن الروح القدس ينبثق من الآب فقط : —

قال القديس اثناسيوس الرسولى « ان لنا الها واحدا وهو الآب الذى لا بداءة له وهو مبدأ الاشياء كلها لان منه الكلمة يولد والروح ينبثق »

وذكر القديس كيرلس الاسكندرى فى الحرم التاسع « ان الروح خاص بالابن » فجاوبه ثاوذوريتوس عما يعنى بقوله فأجابه « أن الروح القدس ينبثق من الله الآب حسب قول المخلص لكنه ليس غريبا من الابن » وقد شرح قوله « ليس غريبا من الابن » بقوله فى رسالة الى نسطور « انه ليس غريبا من الابن بحسب الجوهر . يعنى مساو يا له فى الجوهر للابد »

وقال الاسقف الرومانى داماسوس سنة ٣٦٦ م فى اعتراف ايمانه الذى كتبه للاسقف باولينيوس « انه يقبل قبولا كاملا اعتقاد المجمع الثانى المسكونى فى انبثاق الروح القدس و يلعن

كل من يتجاسر ان يقول « ان الروح القدس كان بواسطة الابن والذين لا ينادون بكل حرية ان للروح القدس جوهرا واحدا أو سلطة واحدة مع الآب والابن » (١)

وقال القديس باسيليوس الكبير « فى مقالته المشهورة بالرد على انوميوس « كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما هكذا والابن ليس له الانبثاق وكما أن الابن ليس هو من الروح القدس هكذا والروح القدس ليس هو من الابن وكما أن الابن مولود من الاب وحده هكذا والروح القدس ينبثق من الاب وحده »

وقال القديس غريغوريوس اسقف نصيص فى ميمره المختص بالافادة والتفهيم عن اللاهوت « ان الخاصة الانبثاقية هى موجودة فى الآب فقط »

وقال القديس يوحنا فم الذهب فى ميمره الذى على البنديكستى « أن الآب علة واحدة للابن والروح القدس »

وقال أوغسطينوس فى رده على هرطقة اريوس فصل ٢٣ « لا يظن ان الروح بواسطة الترتيب هو منه (أى الابن) كما انه هو ذاته (الابن) من الآب بل كلاهما من الآب . الابن يولد والروح ينبثق »

وقال ايرونيموس فى مخاطبته داماسوس « اننا لمؤمنون بالروح القدس أيضا الذى من الاب خاصة ينبثق » (٢)

ونختم بأن ننقل ما وجد من الشهادات فى كتب الاقباط التبع المطبوعة برومية التى تصرح بانبثاق الروح من الآب واليك هى :

ورد فى ص ٢٥٧ و ٢٥٨ من كتاب الخولاجى المطبوع برومية سنة ١٤٥٢ ش و ١٧٣٦ م ما يأتى « الروح القدس الغير المستحيل المتسلط المحيى المنبثق من الآب الذى نطق فى الانبياء حل على آبائنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة »

وورد فى كتاب اللقان والسجدة المطبوع برومية سنة ١٤٧٨ ش و ١٧٦٢ م فى صحيفة ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤١٦ و ٤١٧ قول صريح بأن الروح منبثق من الآب فقط فليراجع فى محله ولعلهم بعد ذلك يرعوون

---

(١) تاريخ الانشقاق ١ : ١٥٩ و ٢١٥

(٢) مجلة صهيون سنة ٢٩ : ٧ ص ٢١٣

القرن التاسع
القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) مرقس ٢	(٢) يعقوب	(٣) سيمون ٢
(٤) يوساب	(٥) خائيل ١	(٦) قزمان ٢
(٧) شنوده ١	(٨) ميخائيل ١	

(١) مرقس ٢ :

البطريرك التاسع والاربعون . بعد وفاة البابا يوحنا ٤ اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسي بالاسكندرية وتشاوروا في من يقيمونه بطريركا فاتفقت كلمتهم على القس مرقس وكتبوا الى أنبا ميخائيل أسقف مصر بشأنه فمضى الى الوالي يطلب منه الترخيص للمسيحيين بتكريس بطريركهم فأذن له

ولما بلغ القس مرقس خبر اختيار الشعب له وهو من عائلة مشهورة في الاسكندرية بالشرف والتقوى عول على الهروب فأرسل الانبا ميخائيل يفتش عليه حتى وجده و بعثه الى الاسكندرية وقدم في اليوم الثاني من أمشير سنة ٥٠٢ ش و٧٩٩ م في عهد خلافه هارون الرشيد . وحال جلوسه على الكرسي قرأ على الشعب حقيقة اعتقاد الارثوذكسيين وأظهر ضلال المجمع الخلكيدوني

و بعد تكريسه باسبوع كانت جمعة الرفاع فمضى الى دير الزجاج ليقضي فيه أيام الصوم بالصلوات ومن هناك أرسل الى أنبا ميخائيل أسقف مصر يخبره فيه بعزمه على الذهاب الى الوالي بعد عيد الفصح ليسلم عليه و يطلب منه الترخيص ببناء الكنائس المتهدمة . فلما جاء عيد الفصح قصد البطريرك فسطاط مصر ليسلم على الوالي فتلقاه الانبا ميخائيل باحتفال عظيم ثم استأذن في الدخول على الوالي فسر منه جدا وأعجب بحسن كلامه ووعده بقضاء جميع مآربه وخرج من عنده يستشير أولاده في الامر الذي يلتمسون من الوالي أن يجيبهم اليه فأقروا على طلب بناء البيع فزاروه في اليوم التال والتمسوا منه ذلك فأعطاهم أمرا ببناء كافة البيع فاهتم البابا مرقس بالكنائس وعمر ما خرب منها

ثم سعى فى تجديد العلاقات بين الكنيستين الاسكندرية والانطاكية وكتب سنوديقا الى كرياكوس بطريرك انطاكية فتلقى منه جوابا حسنا . وعمل بعد ذلك على رد الضالين وكان حينئذ منهم قوم يعرفون باتباع بارسنوفة الذين لا رأس لهم السابق ذكرهم واستمروا لغاية البابا مرقس مصرين على انفصالهم فحزن عليهم وصلى الى الرب لكى يساعده على ردهم فسمع الله له وجاءه رئيسا تلك الشيعة مستغفرين عن ذنوبهما فأراد أن يختبر توبتهما فأفهمهما ان ما نالاه من الرتب الكهنوتية بأيدى الهراطقة باطل فقبلا أن يقبلهما بدون رتب كهنوتيه ومن ثم أتى بهما ورسمهما أسقفين ببيعة مارمينا بمريوط فى ١٥ هاتور أحدهما لمدينة طنطا والثانى لا تريب (بجوار بنها)

فلما نظر البرسنوفيون ما كان من انضمام رئيسيهما للكنيسة الارثوذكسية كتبوا للبابا مرقس أيضا لكى يقبلهم و يأتى اليهم ليكرس بيعتهم فلبى نداءهم وانطلق اليهم وأظهر رضاءه عنهم وأقام لهم قداسا وناولهم من الاسرار المقدسة وكان فرح عظيم حتى أنه بعد أيام رأى ان البيعة التى كرسها للبرسنوفيين ضيقة فدعا الصناع وأنفق عليها حتى اتسعت ودعيت « بيعة البطريرك » ولما رجع الى الاسكندرية طلب منه وجهاء الشعب أن يبنى بيعة السيد المخلص و يوسعها لانها فى وسط المدينة فاعتذر لهم خوفا من أن يتهيج عليه الاشرار و يسعوا ضده بالوشاية لدى السلطان ولكنهم الحوا عليه فأجاب طلبهم و بدا فى تشييد الكنيسة حتى أتمها بكل زينة فكانت موضوع فرح الارثوذكسيين وكدر للخلكيدونيين واجتمع الاساقفة وكرسوها فى عيد الصليب فى ١٧ توت

وأعطى الله هذا البابا موهبة اجراء الآيات والعجائب فكان يدهن الكثيرين من المرضى بزيت باسم السيد المسيح و يصلى عليهم فيبرأون عاجلا وكثيرون تم لهم الشفاء بصلواته . وفى تلك الايام أقام البابا رجلا على الخدمة البطريركية كان مملوءا حسدا لكل انسان وخصوصا لكاتب البطريرك فكان يشيع عنه كل قبيح حتى وصل الخبر للبابا مرقس فطفق ينصحه بأن لا يعود فيما بعد يذيع مذماته ولكنه لم يسمع النصيحة بل استمر فى شره حتى كان يوم عيد نياحة البابا يوحنا فحضر ذلك الشرير وابتدأ يتكلم فى حق الكاتب . فضجر منه البطريرك ولعنه ان كان ما يتكلم به زورا فأقسم انه يتكلم حقا ولانه حلف كذبا أصيب سريعا بالفالج الى يوم وفاته

وظهر فى ذلك الحين جراد كثير فى البحيرة والاسكندرية فأكل جميع أثمار الارض والكروم فحزن البطريرك وأمر جميع الشعب الارثوذكسى أن يخرجوا بالمباخر والصلبان والاناجيل ليسألوا الله أن يرفع عنهم هذا الغضب فما كادوا يصلون الى المكان الذى انتشر فيه الجراد وارتفع صوت صلاتهم حتى رأوه يتعالى الى الجو و يسقط فى البحر

و بينما كان البطريرك راجعا الى مصر وهو يفتقد رعيته اجتاز ببلدة تسمى اغروة فخرج الكهنة والشعب يستقبلونه بالاكرام كالعادة وكان بين المحتفلين به انسان به روح نجس فصرعه بين الناس فطلب البابا مرقس أن يقدم اليه ثم رسم على وجهه علامة الصليب وهو يصلى فخرج منه

الشيطان وقام سالما . ومع انه شفى كثيرين من مرضاهم كان هو نفسه مصابا بمرض عضال استمر به اثنتى عشرة سنة دون أن يطلب الشفاء منه بل كان يشكر الله على الدوام الذى جز به نظير باقى أصفيائه

أما الشيطان فلم يطق أن يرى كنيسة الله ناجحة فأخذ يكيد لها وذلك انه فى ذلك الحين هجم مسلمو الاندلس على مصر و بدأوا ينهبون كل ما تصل اليه أيديهم و يقبضون على النصارى و يبيعونهم كالعبيد لا فرق بين رومانى وقبطى . وقد أظهر البابا مرقس فى هذه الازمة شجاعة نادرة المثال فكان يشترى كثيرين من القسوس والشمامسة والعذارى والنساء والاولاد و بلغ عدد ما اشتراه منهم ست آلاف نفس . وكان عندما يشتريهم يسلمهم كتب انعتاقهم حالا و يقول لهم من أراد منكم البقاء عندى أسلمه للمعلمين يعلمونه علوم البيعة ومن أراد الرحيل الى بلده ادفع له ما يوصله اليها . واستمر مثابرا على هذا الجهاد الحسن حتى شاع ذكر فضائله واقترن اسمه بكل مدح وثناء

وسلط الشيطان قوما اشرارعلى بيعة المخلص فاطلقوا يدهم فيها فنهبوا كل ما بها ولم يبقوا شيئا وذلك لانهم كانوا قد رأوا جثث بعض موتاهم ملقاة على بابها فظنوا ان النصارى قتلوهم وأخذوا يضطهدونهم بشدة حتى لبس البابا مرقس فى تلك المدة ثياب الحداد على ما لحق كنيسته من الويل.ومع ما كان محيطا به من الاخطار لم يتأخر لحظة واحدة عن اتمام واجباته وكان أولاده يأتون اليه معزين أياه و يسألونه الذهاب الى بيوتهم وهو يأبى حتى قام الارخن مقار النبراوى من كرسى سمنود ومضى الى عبد العزيز المتولى على المشرق واوقفه على ما أتاه الاشرار ضدهم ظلما وكيف أن بطريركهم اضطر فرارا من سيء الاضطهاد ان يختبيء مع اساقفته فى أحد الاديرة المقفرة فأعطاه الوالى كتابا ليأوى البطريرك اليه حتى يزول الخطر فاقام البطريرك بنبروه مدة

ومع ذلك لم يكن هذا البابا يتخلى عن الاهتمام بالبيع المقدسة واعادة الاعضاء التى أفترقت من كنيسة انطاكية بواسطة ابراهيم المطران . وجرى حينئذ على برية الرهبان بوادى هبيب بلايا عظيمة ولما وصل خبرها مسامع البابا مرقس زاد حزنه فنظر الرب لكثرة همومه واراد ان يريحه من تعب هذا العالم فظهر له مرقس الرسول فى رؤ يا يقول له « أفرح يا مرقس خليفتى لانك ستعتق من هذا الجسد » ولما استيقظ من النوم كلف الاساقفة بعمل قداس وتناول الاسرار المقدسة ثم أسلم الروح فكفنه الاباء والاساقفة ودفنوه ببيعة نبروه بعد ان اقام على الكرسى مدة عشرين سنة وقيل اكثر وكانت نياحته فى الثانى والعشرين من برموده سنة ٥٢٥ ش و ٨١٩ م وكتب فى أيامه رسائل كثيرة

(٢)يعقوب ـــ البطريرك الخمسون :

كان قسا بدير أبى مقار ترك وادى هبيب على أثر خراب الاديرة ومضى الى دير فى طيبة وهناك تجلت له رؤ يا علم منها ان الرب يدعوه للذهاب الى البر ية المقدسة فعاد اليها مسرعا

أما الارثوذكسيون فبعد موت البابا مرقس لحقهم حزن عظيم لاسيا لوفاته بعيدا عنهم وكان الخطر قد زال فاجتمع الاساقفة والشعب وطلبوا من الرب أن يرشدهم الى الراعى الامين فذكر عدد غير قليل و بينهم القس يعقوب فاجمعوا على انتخابه واستدعوه من دير ابى مقار وهو لا يعلم وساروا به الى الاسكندر ية وكرسوه بطر يركا وهو يبكى فى شهر بؤونه سنة ٥٢٥ ش و٨١٩ م فى عهد خلافة عبد الله المأمون

وحال جلوسه على الكرسى قاوم أصحاب البدع ولاسيا اتباع المجمع الفاسد الخلكيدونى واتباع اوطاخى الذين ينكرون آلام المسيح بالجسد وفى بعض الايام قدم الاسرار المقدسة ليناول الشعب . وكان بعض الهراطقة قد حضروا للصلاة على سبيل التفرج واختلطوا بالارثوذكسيين فلما علم البابا بذلك رفع صوته بشجاعة قائلا «أية خلطة لاولادى الله مع أولاد بليعال » فخزى المخالفون وخرجوا جميعهم متسر بلين بثياب الخجل وكان فيهم رجل موسر موظف بجباية خراج الاسكندر ية وكانت له دالة عند الاندلسيين فمضى مسرعا اليهم متكلما بحق البطر يرك حتى غير قلب الوالى عليه وارسل الهرطوقى يهدد البطر يرك قائلا له «سأفقدك السلام وأشتت شعبك حتى اذا رفعت صوتك فى الكنيسة قائلا « السلام لكم » لا تجد من الشعب من يرد عليك « ومع روحك » غير أن البابا تنبأ قائلا لذ « الشر الذى تتوقعه لغيرك لابد يحل بك » وقد تم قوله له بعد قليل تشاجر الرجل المخالف مع آخر فقتله وسلب جميع ماله ووقع الرعب فى قلوب باقى المخالفين وصار بطر يركهم يوقر البابا يعقوب ويجله

وكانت أعمال هذا البابا تتقدم وتنجح الا ان الاخطار الاخيرة التى وقعت بالبيعة أورثتها فقرا عظيما فساعد البطر يرك بعض المساعدة رجل قر يب له من وجهاء نبروه ارسل اليه ما تحتاجه البيع . وقد زاده شعورا بالفاقه مطالبة بعض الكنائس له بالخراج الذى كان مقررا لها على البطر يركية فلم يقو على اجابة طلبها وكان شماس اسمه جرجس بكنيسة الاسكندر ية أخذ يتكلم معه بجسارة وطلب منه ان يعود الى ديره اذا لم يقوم بتأدية خراج البيع فتألم منه البطر يرك حتى لم يكد الشماس يصل الى بيته وقد أصابته حمى عظيمة قضت عليه عاجلا فانذعر المطالبون بالخراج وهدأوا

ولما جاء الصوم المقدس قصد دير أبى مقار ليقضيه فيه كما جرت عادة الاباء البطاركة واخذ معه للرهبان كل ما يحتاجون اليه من الخيرات . وكان فى ايام رهبنته قد بدا بعمارة هيكل

على اسم القديس شنوده قبل هيكل القديس أبى مقارفكمله وجدد البيع ليأوى اليها الرهبان عوض البيع المتهدمة

فاغتاظ الشيطان من نجاح عمله وكان له شماس يعتنى به ليقدمه في درجة الكهنوت فسولت له نفسه ان يتصرف تصرفا سيئا فكان يعمل ما يشاء بدون استئذان رئيسه ومن ذلك أنه ضرب احد التلاميذ حتى مات فلما شاهد ذلك خفراء الدير شددوا على البطر يرك ليعطيهم القاتل ليقتلوه فاجتهد البابا ان يخلصه فلم يفلح ولما علم الخفراء انه يعتنى به طلبوا منه مالا جز يلا ولما لم يكن معه ساعده الاساقفة والشعب حتى وفى ما طلبوه وخلص الشاب من أيديهم

ثم قصد البابا يعقوب الصعيد ليفتقد الشعب والاديرة فقوبل مقابلة عظيمة و بعد ذلك جاء اليه رجل كان رئيسا على بعض البلاد يدعى عبد العز يز وطلب منه ان يوسمه أسقفا فلم يرض ان يخرج على قوانين البيعة فاغتاظ عبد العز يز وطاف بلادا كثيرة يضطهد اهلها و يذلهم حتى أوقع بلايا شتى بأناس كثير ين ولذلك طلب الارخن مقار النبراوى من البطر يرك ان يرسمه وكان عبد العز يز قد توعد أمام مقار قائلا « ان لم يجتمع بى البطر يرك اهدم البيع واقتل الاساقفة » فسار اليه البابا يعقوب يصحبه القس يوساب الذى صار فيما بعد بطر يركا ولما كان القس يوساب خائفا من مواجهة عبد العز يز هدأ البطر يرك أضطرابه وقال له « لا تخف فاننا لا نشاهده حيا » وفعلا فقد جاء الخبر بانه بينما كان شارعا فى هدم أحد الحصون وقع عليه حجر قضى على حياته الشقية

ثم تولى بعده ولده المدعو على فمنع الظلم واستراح الكثيرون ورجع الرهبان الى وادى هبيب بعد هروبهم منه ورأى البابا يعقوب ان هيكل القديس شنوده لا يسع الرهبان فبنى بيعة باسم أبى مقار وكرزها فى أول يوم من برموده وكان يوم تذكار للبطر يرك

وكان مقار النبراوى يشتهى ان يرى البطر يرك فدعاه الى منزله ليبارك عائلته فجاء اليه البطر يرك وعمل له وليمة عظيمة وقدم صدقات كثيرة و بينما كان السرور شاملا مرض ابن الارخن ومات فجزع الجميع أما البطر يرك فأظهر السكون التام وطلب الغلام ورسم على وجهه علامة الصليب وصلى لاجله فرد الرب اليه الحياة ومجد الله وزاد الارخن فى عمل الخير نحو المحتاجين ودفع ثلث ماله للارامل والايتام و بنى فى مدينة اورشليم بيعة لاستراحة الارثوذكسيين وهى تعرف ببيعة المجدلانية وتعهد بان لا يرد لاحد سؤالا ولا يغلق بابه فى وجه أحد .

ولما أنتشر ذكر البابا يعقوب واشتهرت اعماله الصالحة سمع به الآب ديونيسيوس بطر يرك انطاكية واشتهى ان يراه وجها لوجه ولم يمنعه سوى كثرة الحروب التى استمرت قائمة فى ارض مصر اربع عشرة سنة . واتفق له فيما بعد المجىء الى مصر مرتين الاولى ليحتج امام عبد الله بن طاهر والى مصر على تصرفات أخيه فى اديسا حيث بلغ من الظلم والغشم مبلغا عظيما وقد تحصل ديونيسيوس

علـى جواب مـن عبـد الله لاخيـه يحذره فيه من اتيان أى تعد على الكنائس فى أنطاكية . ونزل بطر يرك أنطاكية فى مدينة صان (شرقية) فخرج سكانها وعددهم نحو ثلاثين ألف قبطى يتقدمهم البـابـا يعقوب والاساقفة واستقبلوا الآب ديونيسيوس استقبالا عظيما حتى كتب هذا البطر يرك بعد رجوعه لكرسيه عن الاقباط يقول « وجدت بطر يركهم واساقفتهم اتقياء ورعين متواضعين يحبون الله ويخافـونـه مـن كـل قلوبهم وقد اكرموا مثوانا وأظهروا لنا كل بشاشة ولطف مدة وجودنا فى مصر مما نشكرهم عليه شكرا مستفيضا »

وكـان الـبـابـا يـعـقـوب يـعـلـم ان تـلـميذه يأتى أعمالا بغير ارادته فدعاه اليه ونصحه بعدم الاستمرار فى طغيانه خوفا من وقوع بلايا على الكنيسة فلم يطع قوله واصيبت الكنيسة بنكبة فشدد الـوالـى عـلى البطر يرك فى طلب الخراج ولم يكن معه فاضطر ان يقدم له أو انى البيعة . غير أنه بينما كـان الـصـائغ يكسر كأسا مقدسة جرحت يده وسال منها دم كثير فخاف الوالى ومن معه وامر ان لا يـكسر منها شيئا وأعادها الى البطر يرك وشدد عليه فى دفع الخراج فنالته صعوبة شديدة حتى وفاه . و بـعـد ذلـك عـزل الـوالـى وأصيـب بمرض عياء فكلف أولاده ان يردوا المال للبطر يرك ففعلوا كما اوصاهم

وتـولـى عـلـى جباية الخراج رجل يدعى ايليا بن يز يد وفى أيامه تنيح أسقف بالصعيد على كـرسـى قـاو فاوفد اهل المدينة انسانا للبطر يرك ليقيمه عوضه فخشى الرجل ان يمتنع البطر يرك عن رسـامـتـه فـمـضـى الـى الجـابـى وقدم له مالا ليأمر البطر يرك برسامته فأبى البطر يرك مخالفة القوانين الكنسية ولكن الاساقفة خوفا من حدوث ضيق على البيعة بسبب ذلك ألزموه بان يرسمه ولكن هذا الأسقف لم يكد يصل الى ابروشيته حتى مرض ومات

و بـعـد ذلـك تـوجـه الـبـابـا يـعقوب لافتقاد الكنائس والشعب ولما وصل الى ضيعة تسمى تـسـمـت أحضروا له شابا به شيطان قد أخرسه وأصمه وسألوه أن يضع يده عليه فصلى ودهنه بز يت فـخـرج مـنـه الـشـيـطـان فورا وتكلم وسمع . ثم اشتهى البطر يرك أن يقيم بمدينة تنتدا أياما قليلة لدى مروره عليها وهو يطلب من الله أن ير يه من سيكون خليفة له فعلم انه تلميذه سيمون

وكـانـت عـادة هذا البابا اذا اراد أن يقيم اسقفا ان يسهر و يصوم حتى يظهر له الله أعماله وكـان يحـفـظ ايـام نياحة الآباء البطاركة من مرقس الرسول الى مرقس ابيه بالروح و يعيد لهم . ثم اراد الـسـيـد المسـيـح ان يخلصـه مـن مشقات الحياة فاعتل وضعفت قوته وتنيح فى ١٤ أمشير سنة ٥٤٤ ش و٨٣٦م ولـيـلـة مـوتـه سـمـع يـقـول فـى الـسـاعة الرابعة من الليل «يا أبوى ديوسقوروس وساو يرس ها أنذا أجى اليكما » وكانت مدة جلوسه على الكرسى ١٨ سنة و ١٨ شهرا ودفن حيث توفى بتنتدا

(٣) سيمون ٢ — البطريرك الحادى والخمسون :

ولما تنيح البابا يعقوب قدم بعد مدة يسيرة عوضه الآب سيمون وهو من مدينة الاسكندرية من اصل شريف وكان مقيما بقلاية البطريرك وتربى منذ صباه مع البابا مرقس ولكن البابا سيمون لم يقم على الكرسى المرقسى سوى خمسة شهور و١٦ يوما وتنيح فى ٣ بابه سنة ٨٣٧ م على قول من روى أنه عاش ثلاث سنين وسبعة أشهر وقضى مدة رئاسته كلها وهو مصاب بداء المفاصل يتوجع منه وجعا شديدا الى ان اسكنه الرب الراحة الابدية .

وبعد نياحة البابا سيمون اجتمع الاساقفة وأعيان الطائفة ليقيموا عوضه فاختلفت كلمتهم وذلك لان اهل الاسكندرية أفتكروا ميلا منهم للمجد العالمى ان يقيموا رجلا علمانيا (متزوجا) لانه كان غنيا وذا اعتبار يدعى اسحق وكان على رأس هذا الحزب زكريا أسقف أوسيم وتادرس أسقف مصر وكلفاه أن يكتب كتابا لكهنة الاسكندرية يعدهم فيه بالخير الجزيل

وكان فى ذلك الزمان أساقفة قديسون يغارون على بيعة الله منهم انبا ميخائيل أسقف بلبيس وأنبا ميخائيل أسقف صا وأنبا يوحنا أسقف بنا وغيرهم فلما بلغهم ما نوى عليه الاسقفان واهل الاسكندرية اجتمعوا وتوجهوا الى الاسكندرية وو بخوا الذين فكروا بانتخاب رجل متزوج مخالفة للشريعة . ووفقت النعمة الالهية حينئذ ان يذكر قس فاضل يدعى يوساب كان مقيما ببيعة ابى مقار فاتفقت عليه كلمتهم وارسلوا وفدا يستدعيه وقالوا اذا كان الرب قد اختاره نجد باب قلايته مفتوحا ولما وصلوا اليه الفوه قائما يغلق باب قلايته خلف تلاميذه وقد خرجوا ليملأوا الماء وقالوا له انك تدعى للبطريركية فبكى بكاء مرا وامتنع فأخذوه عنوة فى اليوم الثانى عشر من هاتور عيد الملاك ميخائيل وودعه آباء الدير بحزن عميق وساروا به حتى أتوا الى الاسكندرية واعلموا الولى وكان أسمه عبد الله بن يزيد باختيارهم لهذا الآب وطلبوا أخذ رأيه قبل تكريسه فامتنع لان اسحق المذكور كان قد وعده بألف دينار اذا جلس على الكرسى ثم قال لهم اذا اردتم أن يرسم هذا بطريركا فاعطونى ما وعدنى به اسحق .

فلبث الآباء الاساقفة فى منزل الوالى متوسلين حتى يصادق لهم على الانتخاب وهو يأبى طالبا منهم المال حتى أغضبهم فافهموه انهم ليسوا تحت سلطانه بل تحت سلطان والى مصر وعرفوه انه اذا لم يقرهم على رأيهم ينطلقون الى فسطاط مصر و يطلبون من واليها ترخيصا فلما رأى ثباتهم اذن لهم فاجتمعوا فى بيعة مارمرقس وتمموا الرسامة فى ٢١ هاتور سنة ٥٤٨ ش و٨٣٧م فى عهد خلافة المأمون وخلافة محمد المعتصم

(٤) يوساب — البطريرك الثانى والخمسون :

كان من ابوين فاضلين بمدينة منوف العليا معروفين لدى الحكام و بعد موتهما تركا له ثروة طائلة و بقى يوساب يتيما حتى نظر اليه ارخن تقى كان متوليا بإدارة مصر اسمه تادرس من نيقيوس

فأخذه اليه ليصيره له ولدا فاقام عنده مدة حتى رأى فى نفسه شوقا للعيشة النسكية فأخبر الارخن بعزمه ولما لم يقدر أن يحوله عن غرضه أرسله الى مدينة الاسكندرية الى البابا مرقس وكتب له كتابا يذكر له فيه تاريخ حياته . وقبل قيام يوساب الى البطريرك وزع كل أمواله على الفقراء والمساكين

ففرح به البابا مرقس وسلمه الى شماسه ليعلمه الكتابة باللغة اليونانية فكان ذكيا غير أنه لم ينثن عن عزمه فلما اقام عند البطريرك مدة التمس منه أن يسمح له بالذهاب الى البرية فسر من ميله الصالح وأرسله سريعا الى دير أبى مقار ووضعه تحت ارشاد ايغومانوس يدعى بولس وفى سنة ٧٩١ م استحضره البطريرك فاقام عنده مدة ولما اراد الرجوع الى البرية رسمه قسا وارسله فمكث هناك مدة من السنين . ولما اعتل الشيخ بولس معلم يوساب وقف على خدمته بدون انقطاع ليلا ونهارا وتحصل على بركته وقبل وفاته تنبأ عنه بأنه سيكون رئيسا للكرسي و ينال تعبا جزيلا

وحال رسامة هذا البابا كانت البيعة تنوء تحت عبء فقر مدقع فشرع يغرس كروما و ينشيء طواحين ومعاصر ولكن بعد قليل أخذت نبوة الشيخ تتم اذ أنتشر و باء عظيم فى شرقى مصر وغربيها وحدث غلاء فاحش فأصيب من اهوالها الكثيرون من رعية البابا يوساب وناله حزن عظيم على ما جرى لهم وهو يدعو الله ان يرفع هذه الويلات عنهم . ولشدة التجارب التى أكتنفته لم يتمكن من مكاتبة بطريرك أنطاكية مع انه كان يشتهى ان يجدد العلاقة بين الكنيستين ولكنه لم يجد يوما واحدا يستريح فيه و يتمم هذه الامنية المقدسة

وحدث ان اسقفا على كرسى تنيس يدعى اسحق سعى به بعض شعبه بكلام رديء لدى البطريرك وطلبوا منه خلعه والا هجروا الارثوذكسية وبمثل ذلك تصرف اهل مصر مع اسقفهم وتوعدوا برجمه ان لم يرفعه البطريرك من ابروشيتهم . فكان ذلك سببا فى زيادة احزان هذا البطريرك التعيس فصلى الى الرب ان يثبت شعبه وكهنته وطلب جميع الاساقفة من كل الاماكن ووقفهم على ما جرى فرأوا حفظا لسلام الكنيسة ان يرفعوا الاسقفين من كرسيهما وكان البطريرك شهد على ما جرى

وجرى ان اهل البشمور خرجوا على الحكومة وجاهروا بعصيانهم فكتب الوالى الى الخليفة المأمون يأخذ رأيه فى ذلك وكان الخليفة محبا للنصارى بسبب معاشرته لعلمائهم فحضر الى مصر ومعه ديونيسيوس بطريرك انطاكية فلما علم البابا يوساب بخبر مجيئهما سار الى الفسطاط ليسلم عليهما ففرح به كلاهما ثم كلفه الخليفة أن يقوم بديونيسيوس بطريرك انطاكية الى أهل البشمور ليقنعاهم بالخضوع له بالحسنى والا يسلط عليهم سيف انتقامه

فقام البطريركان وسارا الى البشموريين وأخذا ينصحانهم و يوبخانهم على أفعالهم ولما لم يسمعوا لقولهما ويخضعوا لمشورتهما رجعا الى المأمون واخبراه باصرارهم على العناد فأرسل اليهم أفشين

الوالى ليقنعهم بالقوة . ثم سأل الآب ديونيسيوس عما دعاهم الى العصيان فتأسف وحدث الخليفة بما سمع من ظلم الولاة فقال له المأمون لا تفه بمثل هذا الكلام لان متوليى الخراج كانوا من قبل أخى المعتصم ولوسمع ما قلت لما ابقاك بمصر ساعة واحدة . فاسرع الآب ديونيسيوس ليودع البابا يوساب وعيناه تفيض بالدموع وسافر عاجلا . و بعد رحيله بلغ المعتصم الخبر فارسل وراءه من يقتله ولما لم يتمكن من العثور عليه غضب جدا . و بعد ان توفى المأمون وملك المعتصم عوضه هرب الآب ديونيسيوس ولم يقم بانطاكية حتى عاهده الخليفة على ان لا يقتله فرجع اليها

ولما كان البابا يوساب بمصر رأى ان اسحق الذى كان مرشحا نفسه للبطر يركية محتقرا من جميع الطبقات فاحب ان يوآسيه فدعاه اليه وطيب خاطره بالكلام الحسن وقلده وكالة البطر يركية فانشرح صدره واعلن خضوعه له ولما حضروا فى بيعة السيدة العذراء بقصر الشمع يوم عيد الشعانين رسم الارخن اسحق شماسا امام عدد كبير من الشعب

ولما كان المأمون بمصر اعطى البابا يوساب فرمانا بخط يده باقراره رئيسا عاما روحانيا على الامة القبطية وجميع كنائس مصر وخدامها غير انه لم تكد تنتهى هذه الحوادث حتى دخل الشيطان فى نفسى اسقفى مصر وتنيس المقطوعين فضيا الى افشين الوالى بعد ان قمع ثورة البشمور ين ودسا اليه بان البطر يرك هو الذى حرض البشمور ين على العصيان واخبراه انه مجتمع فى البيعة مع ما لا يحصى من الشعب وكلهم طوع أمره . وكان الافشين حينئذ سكرانا فغضب ووجه أخاه الى البيعة بجند كثير ليحضر البطر يرك ليقتله فسار أمامهم اسحق اسقف تنيس حتى دخلوا البيعة واشار الى البطر يرك وكان فى الهيكل فدخل اليه اخو الافشين ليأخذ رأسه امام المذبح فسقط السيف من يده على عامود رخام وانكسر فاشتد غيظه واستل مدية كانت معه وطعنه بها . فاضطرب جميع المصلين وصاحوا بصوت عظيم متوهمين أنه مات ولكنهم عند ما اقتر بوا اليه وجدوا السكين قد مزقت ثيابه وقطعت منطقته ولكنها لم تضر جسده

فلما نظر اخو الافشين هذه الاعجوبة اخذه ليمضى به الى اخيه كما أمره وفيما هم يجذبونه تعلق به الشعب وهم يبكون فهدأهم وخرج وهم يتبعونه فغضب أخو الوالى ورفع يده وضربه بسوط على رأسه فانجرحت عيناه ودخل الى الافشين وحدثه بخبره مع الاسقفين وكيف أنه قطعهما ولكى ينتقما منه دبرا له هذه المكيدة . فلما تحقق الافشين برأة البطر يرك استشاط غيظا على الاسقفين وعول على الانتقام منهما فتقدم اليه البطر يرك حينئذ وطلب منه العفوعنهما كما تأمر ديانته فتعجب الوالى من هذه المبادىء السامية وأطلق الاسقفين ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة ارتفعت قيمة البابا يوساب فى عينيه وأمر باكرامه .

و بعد ذلك اراد البطر يرك ان يرسم اسقفين لابروشيتى مصر وتنيس عوض المقطوعين فوسم

اسحق الارخن الذى صيره شماسا ونائبا عنه اسقفا على اوسيم ووسم آخر اسمه ديمتر يوس على تنيس و بقى فسطاط مصر تحت تدبير اسقف اوسيم الذى استمر مشرفا على الكرسى الى نهاية حياته

ثم وجه البطر يرك نظره نحو الحبشة والنوبة وافتقدهما برسائل بعثها يستفسر فيها عن حال الكنائس فيها ولم يتمكن من انجاز مشروعات مهمة بسبب الخلاف الذى كان قائما بين ملوك الحبشة وولاة مصر وهو يطلب من الله ان يحل السلام ليبلغ غرضه . ولبثت الحرب قائمة بين الفريقين اربع عشرة سنة و بعد ارسل الخليفة المعتصم فجعل حراسا على الطر يق التى بين مصر و بين النوبة والحبشة وكان ملك النوبة حينئذ يدعى زكر يا فكتب اليه المعتصم يطلب منه ان يدفع خراج اربع عشرة سنة والا أشهر عليه السيف . وكان لوالى مصر كاتب بالصعيد يسمى جرجس فكتب للبطر يرك يعرفه بما جرى فانتهز هذه الفرصة وارسل كتابا لملوك الحبشة يعرفهم فيه أنه انقطع عن الكتابة اليهم بسبب ما حل به من الاضطهاد ونصحهم بتجنب الخلاف مع المسلمين وهذه الرسالة بلغها لزكر يا بواسطة والى اسوان

فلما وصل كتاب الخليفة الى ملك النوبة أرسل ابنه الى مصر بهدايا جز يلة وابتعد عن التحزب اكراما لخاطر البطر يرك . فاستقبل البابا يوساب جرجس بن ملك النوبة بفرح عظيم ثم ودعه ليقوم الى الخليفة ببغداد فتلقاه المعتصم باحترام زائد وانتهى الخلاف على ما يرام

وكان فى بلاد الحبشة حينئذ اسقف يدعى يوحنا وسم بيد البابا يعقوب وحدث ان ملك الحبشة أنهمك فى حرب فعمد أهل البلاد الى طرد الاسقف من البلاد بايعاز الملكة واقاموا آخر عوضه . فأتى يوحنا الى مصر ونزل فى دير البرموس الذى ترهب فيه بوادى هبيب . و بعد قيامه من الحبشة أصيبت بنكبات مختلفة ورجع الملك وهو لا يدرى ما جرى فلما وقف على الخبر ارسل حالا الى البابا يوساب معلنا خضوعه له ومعتذرا عن ضلال القوم ومخبرا اياه بما أصاب البلاد من الاو بئة وتأخير المطر بعد ترك الاسقف يوحنا لها والتمس السماح بعودة الاسقف على جناح السرعة . فاستدعى البطر يرك يوحنا وعزاه وثبته ودفع له نفقه السفر وسيره الى الحبشة ففرح به الملك فرحا عظيما وعمل الشيطان فى قلوب بعض الاشرار فتقدموا الى ملك الحبشة طالبين منه أن يأمر الاسقف بالاختتان اسوة بهم والا طردوه ثانيا فخشى الاسقف من تعب الطر يق اذا رجع لمصر ثانية ووافقهم على ما طلبوا

ثم اهتم البابا يوساب برسامة أساقفة كثير ين أوفدهم الى كل موضع من كرسى مار مرقس الرسول الى افر يقية والخمس المدن ومصر والحبشة والنوبة . ولم يكد يشعر بالسرور حتى بلغه خبر من الخليفة يأمر به والى مصر أن يجرد الكنائس من ز ينتها و يأخذ منها الاعمدة الرخام . وكان وصول ذلك الامر وتدبيره بواسطة رجل نسطورى يدعى لعازر . ولما وصل مصر اجتمع عليه امثاله من الهراطقة الخلكيدونيين المقيمين بالاسكندر ية ولم يكفوا عن السعى ليلا ونهارا يحسنون له هدم

البيع و يرشدونه الى ما فيها من الاعمدة حتى أتوا الى بيعة الشهيد مار مينا بمر يوط واوقفوه على جمال رونقها فتعجب وبهت من حسن ز ينتها وقال هذا ما يحتاج اليه الخليفة

فلما بلغ الخبر البطر يرك تقدم اليه وقال له هوذا كل الكنائس أمامك فافعل بها كما أمرك الخليفة فقط ارجومنك ان تحفظ هذه الكنيسة ومهما طلبته منى أعطيك فأبى المخالف سماع كلامه وشرع فى أخذ الرخام الملون والبلاط النادر من تلك البيعة . ولما وصل الرخام الى مدينة الاسكندر ية لحق البطر يرك والشعب حزن عظيم واهتم البابا يوساب باصلاح ما عبثت به أيدى الاشرار من كنيسة مر يوط وساعده الرب حتى أعاد اليها بهاءها الاصلى

وقد انتقم الرب من لعازر المذكور انتقاما مر يعا فأصيب بداء عضال القاه طريحاً فى الفراش لا يقوى على الجلوس أو القيام مدة طو يلة ناله فيها فقر مدقع وضنك شديد حتى اضطر ان يلتجىء الى البابا يوساب و يلتمس منه الصلاة لاجله فقابل البطر يرك شره بالخير وعداوته بالمحبة وأواه عنده ولكن كلمة الرب كانت قد نفذت فيه فراح ضحية قساوة قلبه واهانته مقادس العلى

ومن المخالفين الذين كانوا بمدينة الاسكندر ية رجل خلكيدونى من ذوى اليسار خرج يوما ليتنزه فى كرومه فوجد احدى سواقيه مكسورة فطلب لها نجارا فقيل له عن نجار شيخ وكان يوم الجمعة العظيمة فأبى النجار أن ينتقل فى ذلك اليوم الذى صلب فيه مخلص العالم فأخذ الهرطوقى يجدف بكلام ردىء على كلمة الله فوبخه الشيخ ومضى الى البطر يرك بوادى هبيب وروى له الخبر فتنبأ البابا يوساب قائلا « تخرس الشفاه المتكلمة بالالحاد » و بعد وقت وجيز أصيب ذلك الخلكيدونى بالفالج وانقطع لسانه عن الكلام الى يوم وفاته حتى اضطر بطر يرك الملكيين المدعو صفرون ان يوقر البابا يوساب ويحضر عنده ليسلم عليه .

وحدث بعد ذلك ان توفى الانبا اسحق اسقف اوسيم فاقيم مكانه الشماس يوحنا بسؤال وجهاء مصر وقدم على كرسى اوسيم الشماس بقيرة ولكنه تنيح بعد مدة وجيزة وكان للانبا اسحق تلميذ يدعى تادرس كان يلتمس كرسى اوسيم بدون رضاء الشعب فامتنع البطر يرك عن رسامته فترك تادرس خوف الله واستعان بعلى بن يحيى الارمنى الوالى وتوسل اليه ان يلزم البطر يرك برسامته فابى البابا يوساب مطلقا ان يثلم قوانين الكنيسة فحنق عليه الوالى حنقا عظيما وشرع فى هدم بيع فسطاط مصر و بدأ بهدم بيعة « المعلقة » القائمة بقصر الشمع فهدم أعلاها والبابا يوساب يبكى بكاء مرا ، وأخيرا تقدم اليه قوم وطلبوا منه أن يعدل عن رأيه خوفا من ضياع البيع و يرسم ذلك الانسان وهو مسئول عن نفسه . فلم يكف الوالى عن الغضب بل طلب ثلاثة آلاف دينار مقابل عدم هدم البيع . فقلق الشعب والاساقفة وقسطوا المال عليهم حفظا للبيع فهدأ غضب الوالى وأمر برسامة الاسقف فرسم غير ان الله انتقم من الوالى شر انتقام فقتل فى الحرب بعد قليل

ودخل الشيطان قلب يوحنا أسقف مصر فكان يطلب من البطر يرك ان يرفع رتبته وكان حينئذ بمصر قاض يدعى محمد بن عبد الله رجل شر يرقاس وكان يمقت المسيحيين ويجدف على عبادتهم فصاحبه اسقف مصر ليتمكن به من الحصول على أمانيه وملأ قلبه بالغيظ على البابا يوساب ففكر القاضى فى أى سبيل يسلكه ليسيء الى البطر يرك

وذات يوم دعاه اليه وكان خبر اتفاق أسقف مصر معه قد بلغ مسامعه فاستند على ذراع القدير وأتى اليه فوجد معه جلة أساقفة انحازوا لاسقف مصر فلما مثل البطر يرك أمام القاضى سأله بحده قائلا « من الذى جعلك رئيسا على كافة النصارى » فاجابه البطر يرك عاجلا « الله » فالتفت القاضى الى الاساقفة وقال لهم عليكم من الان أن تنكروا رئاسة هذا عليكم مكتفين برئاسة أسقف مصر » فأظهروا الطاعة ومن ثم و بخهم البابا يوساب باللغة القبطية على ضلالهم وكان أحد علماء المسلمين الجالسين يفهم تلك اللغة فابلغ القاضى ما قال البطر يرك فغضب منه وقال له « هل لك أن تقاوم سلطانى » فاجابه البابا بشجاعة « اذا استطعت أن تحجب ضوء الشمس بكفيك أمكنك ان تفعل ما أمرت به لان بيدى اعتمادا من الخليفة وهؤلاء الاساقفة تحت سلطانى ولى الخيار فى عزلهم اذا انحرفوا عن جادة الصواب » فهدأ القاضى وطلب منه أن يطلعه على الاعتماد وكان بيد البابا يوساب اعتمادات منحت له من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق فلما وقف عليها القاضى أطلقه بكرامة فخرج البطر يرك وهويطلب من الله لاجل الاساقفة قائلا « يارب لا تقم لهم هذه الخطيئة »

ولم يكد يسلم من هذه التجربة حتى أثارعليه الشيطان غيرها وذلك أنه كان من عادة البطاركة أن يبعثوا ارساليات الى بلاد الحبشة وغيرها من أفريقية وكانت تلك الارساليات تؤلف من شبان من افريقية كان ملوك الحبشة والنوبة يهدونهم الى البطاركة رجاء تعليمهم قواعد الدين المسيحى وارسالهم ليكرزوا بين المسيحيين وغيرهم فى بلاد أفريقيا . فكان البابا يوساب يعتنى بتعليم هؤلاء الشبان ففتح لهم مدرسة فى البطر يركية واهتم بان يقدم لهم جميع حاجاتهم فبسعاية أسقف مصر المقطوع علم القاضى بأمرهم فأرسل من أتى بهم اليه من البطر يركية رغما واستدعى البطر يرك وعنفه قائلا « لا ينبغى لك ان تختطف أبناء المسلمين لتنصرهم » فأجابه البابا « هؤلاء نصارى أولاد نصارى أرسلوا الى من ملكى النوبة والحبشة » فأتى القاضى بالاولاد أمام البطر يرك ولعظم التهديد أعترفوا بالاسلام أمامه وهويذرف الدموع السخينة . فقال له القاضى « هاهم قد أصبحوا مسلمين فخذ ثمنهم واتركهم » فاجابه « لا يصح لى أن أعمل على استعباد الاحرار أما انت فسيطالبك الرب و يقاضيك على ذلك » فأمر القاضى باقتسام الاولاد بين اعيان المسلمين فاتخذوهم عبيدا وخداما

البابا الاسكندرى كالعادة وارسلها مع مطرانى أوفيمية وحمص فتلقاها بسرور وقرأها على مسمع الشعب وكان لذلك القاضى المذكور نائب بالاسكندرية يفوقه ظلما وشرا يدعى محمد بن بشير فاشار عليه بعض الاشرار ان يهين البطريرك أمام المطرانين السوريين فاطاع مشورتهم واستدعاه اليه مع المطرانين وسأله عن الغلمان الذين أمره قاضى مصر بعدم قبولهم فاجابه لم أرهم منذ أخذوا منى فأمر بضربه فضربه الجنود على رقبته بغير رحمة ولكموه لكما موجعا مدة طويلة ولبثوا يضربونه وهو مطرق برأسه لايرفعها ولم يسمع منه سوى قوله « اشكرك ياسيدى يسوع المسيح » فبكى جميع المشاهدين وتعجب المطرانان من ثباته وبعد خروجه من حضرة القاضى كتب رسالة لبطريرك أنطاكية وودع رسوليه ، وهما يطوبانه على حسن جهاده

وفى السنة الثامنة عشرة من بطريركيته ولى على مدينة الاسكندرية هرثمة بن نصر وكان ظالما عاتيا فأتى هو وسراريه الى البطريركية وأكل وشرب معهن ثم قام وطاف جميع مساكن البطريركية حتى انتهى الى المخدع الذى يضطجع فيه البابا فطرده منه وادخل سراريه اليه ونام معهن فيه . فانتقم منه الله بمرض أصابه فى أحشائه واوقفه على حافة الموت . وبعد وشى اليه أن ملوك الروم يعطون البطريرك مالا وهو يكاتبهم ويحثهم على المجىء لمصر فأمر باعتقاله فى موضع ضيق وعول على معاقبته الى ان يدفع له ألف دينار ومازال يعذبه وهو صابر حتى استقر الحال على أربع مئة دينار

وفى اثناء ذلك كانت ضربة القاضى تزاد كل يوم والدم يتدفق من جسمه دون ان يستريح ليلا ونهارا وضاعت فيه حيلة الاطباء واستمر يتهدد البطريرك حتى دفع المبلغ ولم يكد يستلمه حتى أذيع خبر موته وخرج البابا من السجن محفوفا بالاكرام واستمر مجاهدا ومحتملا التعب حتى اراد الرب ان يريحه من هذا العالم فنقله اليه فى اليوم السابع من مرضه وتنيح فى ٢٣ بابه سنة ٥٦١ ش و ٨٤٩ م وكان يوم احد وقت تناول الاسرار . وكانت مدة قيامه على الكرسى ١٢ سنة فقط ١٨ و ١١ شهرا

وقبل موته كان قد تنبأ بان الله سيعاقب قاضى مصر على ظلمه فتم قوله وارسل الخليفة رسولا من قبله ليكشف احوال مصر فوقف على مظالم القاضى فأخذه وحلق لحيته ورأسه وأشهره فى شوارع مصر ونهب كل ما جمعه ظلما ثم نفاه ببغداد وظل منفيا حتى موته . ولما سمع قاضى الاسكندرية بذلك هرب سراً ولم يعد يسمع عنه خبر .

(٥) **خائيل ٢ — البطريرك الثالث والخمسون** : وبعد ان تنيح البابا يوساب أقرت جميع أصوات الكهنة وابناء الامة على الاختيار الاب خائيل من دير ابى يحنس خلفا له وسيم بطريركا فى ٢٤ كيهك فى نفس السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافه المتوكل بن المعتصم ولم يكد

يجلس على الكرسي حتى تعرض له الولاه الظالمون طالبين منه مبالغ طائلة على سبيل رشوة او يمنعونه من الجلوس على الكرسي فاضطر ان يبيع ذخائر الكنيسة و يوفى المطلوب . ولم تطل مدة هذا البابا سوى سنة واحدة وخمسة أشهر لم يحدث فى خلالها ما يستحق الذكر سوى ما جرى على طائفته من الاضطهاد ثم توفى فى ٢٢ برمودة سنة ٥٦٨ ش و ٨٥١ م

(٦) قزمان ٢ — البطر يرك الرابع والخمسون : و بعد وفاة البابا خائيل اجتمع مجمع الكهنة والاعيان وانتخبوا بالاجماع لكرسى البطر يركية الاب قزمان من رهبان دير ابى مقار وتمت رسامته فى ٢٤ ابيب فى نفس السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المتوكل وهو من سمنود وجرت فى ايامه اضطهادات عنيفة وسنت قوانين صارمة ضد المسيحيين

وفى ايام هذا البابا امر قيصر الروم بمحو الصور من الكنائس فبعث اليه هذا البابا وناظره حتى اقنعه ورجع به الى حسن الاعتقاد فرسم باعادة الصور الى ما كانت عليه . ولبث البابا قزمان على كرسى البطر يركية سبع سنوات وسبعة أشهر و ١٣ يوما ثم توفى فى خلال تلك القلاقل التى كانت تهدد سلام طائفته وكانت نياحته فى ٢١ هاتور سنة ٥٧٦ ش و ٨٥٩ م

(٧) شنوده ١ — البطر يرك الخامس والخمسون : و بعد نياحة البابا قزمان حدث اختلاف بين الاساقفة فى من يخلفه ولكنهم عادوا واتفقوا على تقدمة الاب شنوده من رهبان دير أبى مقار وأصله من البتنون واتفق انه دخل الكنيسة فجأة فى وقت تلاوة القداس وكان الكاهن يقول « مستحق وعادل » فسر الشعب لهذا الا تفاق واعتبروه صوتا سماو يا يزكى الاب شنوده فاجروا تكر يسه فى ١٣ طوبه فى السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المتوكل فى كنيسة القديس أبى سرجه

وكان هذا البابا عالما تقيا فحالما استلم عصا الرعاية سعى جهده فى ملاشاة البدع وابادة الهرطقات من بين المؤمنين . وكان اهالى قر ية فى مر يوط لا يزالون متمسكين ببدعتى ابوليناريوس واوطاخى فسار اليهم وأرشدهم الى الاعتقاد الصحيح حتى أتى بهم الى الرأى الصواب ثم قصد الوجه القبلى ليفتقد رعيته فوجد نصارى البلينا قد خرجوا على اسقفيها واعتنقوا بدعتى سابليوس وفوتيوس اللذين كان يعتقدان بآلام لاهوت المسيح وقت الصلب فأخذ يقنعهم من أقوال الاباء القديسين بخطأ اعتقادهم وطلب منهم الانقياد لاسقفيهم اللذين حادوا عن تعليمهما ولبث يرشدهم حتى عادوا الى حضن الكنيسة

غير أنه فى عهد الخليفة المنتصر تولى مصر يزيد بن عبد الله سنة ٨٦١ م وكان هذا الوالى ظالما قاسيا فأتى بالبابا شنوده اليه وأمره أن يدفع له خمسة آلاف دينار وقرر عليه أن يقوم بدفع مثل هذا المبلغ سنو يا . ولما أدرك البابا شنوده أنه ليس فى طاقته القيام بدفع مثل هذه الضر يبة الفاحشة

لاذ بالهروب واختفى فى أحد الاديرة البعيدة . ولما لم يعرف الوالى مقره شرع ينهب الكنائس و يسلب الكهنة ويهين الرعية فلما سمع البطر يرك بان أولاده يعذبون مضى الى الوالى وسلم نفسه له فداء لراحتهم فأمسكه الوالى وشدد عليه ليدفع سبعة آلاف دينار منها أربعة آلاف خراج الكنائس مدة سنتين وثلاثة آلاف خراج الرهبان سنة واحدة فأخذ الاساقفة والقسوس يجدون فى جمع هذا المبلغ من الشعب ليقوموا بدفعه ولكنهم لم يتمكنوا الا من جمع اربعة آلاف دينار قدموها للبطر يرك فسلمها للوالى وتعهد له بدفع مثلها سنو يا اذا عفى عنه فقبل وأطلقه .

و بعد ذلك بقليل أستولى على كرسى الخلافة المعتز بالله سنة ٨٦٦ م فانتخب البطر يرك رجلين من كبار الاقباط المعتبر ين من الشعب وهما الارخن ساو يرس والارخن ابراهيم وأوفدهما الى الخليفة ليبسطا له ما ذاقته مصر من المر والعلقم لجور ولاتها وظلم حكامها و يرجواه بان يرحم بلادهما و يقيم فيها نصاب العدل والشفقة ودعا لهما البطر يرك بالتوفيق فلما مثلا بين يدى الخليفة أحسن أستقبالهما وأجاب مطلبهما وأعطى لهما أمرا يقضى بان جميع الاراضى والكنائس والاديرة وأوانى المذبح التى سلبت منهم أيام التعدى والاعتساف ينبغى أن ترجع اليهم ثانية فجاء الرسولان الى البابا شنوده بذلك القرار فكتب منه عدة صور أرسل لكل أسقف فى القطر المصرى صورة منها طالبا منهم أن يشكروا الله على هذه المنحة العظيمة و يقدموا الثناء الواجب للخليفة .

وقد أنجز هذا البطر يرك أصلاحات عديدة فى القطر كانت البلاد فى حاجة شديدة اليها ومن أعماله المبرورة أنه انتهز عهد الراحة فى ولاية مزاحم فاشتغل بتوصيل المياه الى مدينة الاسكندر ية فى قناة بنى لها صهريجا مرتفعا فى المدينة ومد منه المواسير والمجارى الى المنازل والمساكن فصار سكان الاسكندر ية يشر بون ماء زلالا أفضل من مياه الوقت الحاضر وعمت بواسطة هذا الخليج المياه لسقى الاراضى فكانت سببا فى ز يادة الخصب والنماء

وقد ميز الرب هذا البابا بأن أجرى على يديه ايات وعجائب ومنها أنه حدث فى ايامه شرق عظيم بسبب عدم نزول الامطار فجاء اليه الكثيرون فى ليلة أحد الاعياد وهم يشتكون من قلة المياه التى كادت تدفعهم هم ومواشيهم الى الخطر وطلبوا منه أن يطلب من الله لكى يمنع عنهم هذا البلاء فلما بدأ الصباح احتفل بالعيد وفى حال تقديم الاسرار الر بية توسل الى القدير ان يفرج كرب شعبه فلم يكادوا يخرجون من الكنيسة حتى فتحت السماء طاقاتها وهطلت الامطار والجميع بفرح يمجدون الله

وحدث فيما بعد لما استتب الملك فى مصر لاحمد بن طولون انه أخذ ينظر الى البطر يرك القبطى نظر النفور والكراهة لتوهمه بانه فى أمكانه أن يقاومه ولذلك كان يتحين الفرص المناسبة لاضطهاد الاقباط الى ان رأى ما يبرر تداخله فى شؤنهم عندما قام شماس قبطى خائن وطلب من البطر يرك ان يرسمه اسقفا .

وقدم له رشوة مقابل ذلك فوبخه البابا شنوده على تصرفه الردىء رافضا رشوته متوعدا اياه بتجريده من رتبة الشموسية اذا لم يكف من عمله السيء

فاراد الراهب ان ينتقم لنفسه فاغرى راهبا سوريا بقليل من المال اعطاه اياه لكي يعترف بانه البطريرك امام ثلاثة شهود من المسلمين لا يعرفون البطريرك ذاتيا وكتب له امامهم صكا بانه أقترض منه مبلغا جسيما جدا يدفعه له بعد مدة . وبعد ذلك عزم الشماس على تقديم السند للقاضي ليخلص له حقه من رئيسه غير أنه قبل ان يتمم عمله شعر به كبار المستخدمين الاقباط فاخطروا البطريرك بالامر وفى الحال استدعى لديه أحد اعيان المسلمين المعروفين بالشرف والصدق وطلب منه أن يحضر أمامه الثلاثة الشهود من المسلمين حتى يميزوه من بين الجالسين ان كانوا يعرفونه فلما حضروا لم يستطيعوا تمييزه واعترفوا انه ليس هو الشخص الذى شهدوا عليه ومن ثم علمت الحقيقة وكيف دبر ذلك الشماس المكيدة ليوقع ببطريركه . ولما رفع الشماس دعواه وطلب البابا شنوده امام القاضي طلب الشهود ليقرروا الحقيقة فما وقع نظرهم على الشماس حتى اخذوا يوبخونه على وقاحته المتناهية فاتشح بالخزى وندم على ما فعل مستغفرا رئيسه

وقد نسج كثيرون من المسيحيين بالاسم على منوال ذلك الشماس فكانوا يتهمون اخوانهم تهما باطلة حتى ينالوا حظوة لدى الولاة المسلمين الذين كانوا يتذرعون بتلك الوشايا الكاذبة الى اضطهاد الاقباط فادعى راهب على البطريرك أنه يعرف علم الكيمياء وعنده من الذهب والفضة ما لا يحصى ومن ذلك ان راهبا من اعمال البشمور قدم لابن طولون شكوى كاذبة يدعى فيها ان بطريرك النصارى يجمع الاموال بطريق الاختلاس ويبذرها . فقبض الوالى عليه مع رهط من اساقفته وغللهم بالقيود وساقهم الى بابيليون مصر حيث خلع عنهم ملابسهم الكهنوتية وألبسهم ثيابا قذرة واركبهم على دواب بدون براذع وامر ان يطاف بهم فى الشوارع ليكونوا موضوع سخرية وهزء الناظرين . بعد نهاية هذا التحقير وضع البطريرك فى سجن لبث فيه شهرا كاملا وهو يتعذب من مرض المفاصل ثم أتى به امام الوالى فلم يستطع المبلغ الكاذب ان يثبت تهمته واشتد غيظ الاقباط عليه وقصدوا ان يفتكوا به فاسرع وطرح نفسه تحت قدمى البطريرك ملتمسا منه العفو عما نزل به فعامله البطريرك معاملة المسيحى الحقيقى وصرح له بصفحه عنه وبرهن على ذلك بان أعطى له مبلغا من المال واركبه جملا يصل به الى بلدته ووهب له ثلاث حلل ثياب واظهر له منتهى اللطف حتى عنفه وكيله على هذا اللين المتناهى الغير المحمود لشخص لا يستحق سوى القصاص الشديد . وقد صدق ظن هذا الوكيل فان ذلك الراهب رجع الى شره وعمل على اضطهاد المسيحيين وذهب الى الاسكندرية وشرع يضطهد التجار والمسافرين فرفعوا أمره الى الحاكم وثبت له صدق شكواهم فأمر بضربه باعصاب البقر حتى تمزق لحمه وقضى عليه من تأثير الضرب

وادعى راهب آخر ربما هو اعظم من جميعه بقوله أن البطريرك أغتصب بعضا من المسلمين وردهم عن الاسلام جبرا وجعلهم نصارى ثم صيرهم رهبانا ولكي يؤكد للوالى صدق قوله طلب منه

أن يسير معه جندا الى أحدى الاديرة ليحضر منها من كان مسلما ثم اكرهه البطر يرك على النصرانية والرهبنة ولما وصل الى الدير أخذ يملق بعض الرهبان ليجذبهم اليه فلم يوافقوه فأمر الجند بالقبض عليهم واتوابهم الى الوالى فاقام الرهبان الادلة القاطعة على انهم مسيحيون اولاد مسيحيين وكان هذا الراهب يكره راهبا آخر من دير ابى يحنس فأكد للوالى انه كان مسلما فاستحضره وجلده بالسياط ليعترف بذلك ولما رأى اصراره ارسل الراهب الشرير مع بعض الجنود الى البطر يرك ليأتوا به اليه حتى يدافع عن هذه التهمة فبينما كان الراهب بقلاية البطر يرك وقع بصره على بعض صناديق فتوهم انها مملوءة مالا فاحضرها لدى الوالى ولكنها لما فتحت وجدت مملوءة بنسخ قديمة بخط اليد ذات اهمية كان البطر يرك مولعا بجمعها فلحق الراهب الخجل ولذلك اتهم تلاميذ البطر يرك بانهم سرقوا الاموال التى أحضرها فبدأ الوالى يحقق هذه التهمة الجديدة ولكن البطر يرك أثبت براءة تلاميذه و بين فساد التهمة الموجهة ضده موضحا بان دخله لا يكاد يكفى نفقاته التى ينفقها دوما على الكنائس دون ان يدخر شيئا له .

فصدقه الوالى واشتد غيظه على ذلك الراهب النمام وصرف الرهبان الذين اتهموا بانهم كانوا مسلمين الى اديرتهم وافرج عن البطر يرك وحاشيته وضرب على ذلك الراهب الكاذب غرامة جسيمة الزمه بدفعها

وهكذا استمر اشرار الرهبان الذين كانوا يسعون لبث الفتن لعدم موافقة الاباء على تقليدهم الوظائف الدينية العالية لعدم لياقتهم رغما عن المبالغ التى كانوا يعدونهم بنقدها وآخر تلك الحوادث ان راهبا طاعنا فى السن اتفق مع بعض اليهود على تجديد أضطهاد النصارى فاخذوا يطوفون ليهيجوا المسلمين عليهم فى كل مكان متذرعين بالتهمة المقدمة وهى انهم يسعون لرد المسلمين الى المسيحية فقام عليهم المسلمون يقتلون الكثير ين منهم و ينهبون اموالهم ثم أوقعوا بالبطر يرك واساقفته واجبروا الحاكم على اضطهادهم

وكان البابا شنوده قد اعتاد هو و بعض الاكليروس والشعب ان يتوجهوا سنو يا الى دير أبى مقار فى بر ية شيهات قبيل عيد الفصح . وحدث فى أحدى السنين ان العر بان الذين كانوا يملأون تلك البر ية تعدوا على المسيحيين ونهبوا متاعهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل هجموا فى يوم الخميس الكبير على الدير حال ازدحامه بالمسيحيين لكى ينهبوهم ويخر بوا الدير فاستولى الخوف الشديد على الرهبان والشعب وانزعجوا جدا عندما رأوا خطر الموت يفد اليهم فرفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب و بينما هم كذلك تقدم البابا شنوده بشجاعة وخرج بعكازه الى العر بان الهائجين دون أن يمنعه استعطاف أبنائه كى لا يخرج وتقدم الى الاشرار وطلب منهم أن يأتوا اليه ليقتلوه فلما رأوا منه هذه البسالة وتطلعوا الى هيئته الموقرة رجعوا الى الوراء تاركين الدير ولما أظهر الرهبان خوفا من قيام العر بان عليهم مرة أخرى ابتنى لهم فى كل دير حصنا منيعا

وبالجملة كانت حياة البابا شنوده مملوءة بجلائل الاعمال واستمر مجاهدا على كرسى البطريرك ١١ سنة و ٣ شهور و ١٨ يوما ورقد بالرب فى ١٤ برمهات سنة ٥٩٧ ش و ٨٦٩ م

(٨) ميخائيل ١ ـ البطريرك السادس والخمسون : أقرت اراء جميع أبناء الطائفة والاساقفة بعد نياحة البابا شنودة على اختيار الاب ميخائيل خلفا له وكانت رسامته فى شهر برمودة فى نفس السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المعتمد بن المتوكل ولم يتعرض لرسامته أحمد بن طولون لانشغاله فى الحرب مع ابنه . فقد كانت عادة الولاة التعرض للشعب فى تنصيب بطاركة عليهم رغبة فى سلب أموالهم . ولما رأى البابا ميخائيل الجوصافيا أمامه نهض الى تعمير الكنائس التى تهدمت فى ابان الاضطهاد وتشييد بعضها مما أزيلت معالمه . وكانت فاتحة أعماله عقب رسامته بقليل قبوله دعوى تلقاها من مسيحيى دنوشر من أعمال سخا يطلبون منه الحضور مع الاساقفة لتدشين كنيسة بنيت باسم ماربطلومايس الشهيد . وفى صباح اليوم الذى عين لتكريس هذه الكنيسة سار البطريرك مع الاساقفة وكثير من الشعب الى الكنيسة للقيام بالفروض الدينية ولكنهم لم يجدوا أسقف الكنيسة فأخذ البطريرك فى اتمام الخدمة الدينية مع اساقفته حتى انتهى الى رفع القرابين بدون ان ينتظر قدوم ذلك الاسقف وبعد تقديم الحمل وحال تلاوة صلاة الشكر دخل اسقف سخا المشار اليه وهو ممتلىء غيظا لان البطريرك تعدى على حقوقه ورفع القرابين فى ابروشيته وكنيسته بدون اذن منه . ثم سار نحو المذبح وامسك القربانة وطرحها فى الارض وخرج غاضبا ولم تكن تلك القربانة قد تقدست بعد فاستبدلها البطريرك بغيرها وتمم القداس واعطى البركة للشعب

وفى اليوم التالى عقد البطريرك مجمعا من الاساقفة الذين شاهدوا تلك الحادثة وأجمعت الآراء على قطع ذلك الاسقف الشرير واقامة آخر بدله فكان ذلك مدعاة لزيادة التهاب حرارة الغيظ فى نفس الاسقف وأراد أن يكيد لرئيسه فتوجه الى أحمد بن طولون وكان حينئذ على أهبة القيام الى سوريا للحرب وفى احتياج للاموال للصرف منها على الجيش فلما علم بذلك الاسقف المعزول ذهب اليه وأخذ يهون الامر عليه قائلا ان بطريرك الاقباط عنده من الاموال والثروة ما يكفى لهذه النفقات وما هو أكثر منها وان مثله لا يحتاج لغير القوت واللباس وانه لا يتأخر عن المساعدة ببعض ما عنده لو طلب منه ذلك فشكره ابن طولون واستدعى اليه البطريرك حالا وقال له «أنت تعلم ان مساعدتنا للخليفة بالرجال والاموال أمر واجب ولا يخفى عليك الحروب القائمة علينا بسوريا واستعدادنا للقيام بها واحتياجنا للنفقات وقد علمت أنك ذو ثروة وافرة ومثلك لا يحتاج لغير الطعام واللباس وقد استدعيتك بالاكرام لتدفع لى بطيب خاطر ما لديك لمساعدتنا فتحظى من الخليفة بالرضا ومنى بالمنة الجزيلة» فعلم البطريرك ان هذه مكيدة محبوكة فأخذ يحتج ويدافع عن نفسه مبرهنا للوالى كذب التهمة التى وجهت اليه من ذلك الاسقف الخائن . ولكن ابن طولون لم يقبل منه اعتذارا وطلب منه أن يسلمه جميع الأوانى الذهبية والفضية الموجودة فى الكنائس القبطية فى القطر المصرى وكل معدن يمكن تحويله الى نقود فرفض البطريرك هذا الطلب

بتاتا معتذرا بأن هذه ملك لله لا له ففي الحال قبض عليه وزجه في السجن مع شماس له يدعى ابن المنذر وقد بقي هذا البطريرك المسكين سنة كاملة في السجن .

وكان في معية ابن طولون اثنان من كتبة المسيحيين مقربين اليه احدهما يدعى يوحنا والآخر موسى فاجتهدا في انقاذ البطريرك بلاتحاد مع وزير الوالي احمد بن الماردينى . وكان لهذا الوزير كاتبان في ديوانه وهما يوحنا ومقار ابنه فوقعا عليه وطلبا منه أن يكشف للحاكم حقيقة الامر و يسعى في اطلاق سراح البطريرك تلقاء مبلغ يقدمونه له فداء له وللكنائس . ولما علم ابن طولون أن السجن والموت لا يرعبان البطريرك ولا يحملانه على تسليم أواني الكنائس قبل وساطة وزيره بشرط أن يضمن كاتبان البطريرك ليدفع عشرين ألف دينار فاضطر البطريرك البائس حبا في خلاص أبنائه من شقاء يحيط بهم واضطهاد يقع فوق رؤوسهم أن يكتب صكا على نفسه متعهدا بدفع المبلغ على قسطنطين ريثما يتمكن من جمعه من أبنائه وكان عليه أن يدفع النصف بعد شهر والنصف الآخر بعد أربعة شهور .

ولما حان ميعاد القسط الاول دفع أولئك الكتاب الفي دينار وتبرع الوزير بألف واقترض البطريرك من التجار المسلمين سبعة آلاف فصارت الجملة عشرة آلاف سددها لابن طولون وأخذ بعد ذلك يجتهد في الجمع ليفي دين التجار من جهة و يسدد القسط الثاني من جهة أخرى فقرر على كل أسقف مبلغا وافرا ولكن كل ذلك لم يكف فجعل يزيد من الضرائب على أبناء الكنيسة وفرض على كل راهب دينارا فلم يف ذلك أيضا بالمطلوب . ولما ضاق به الامر بدأ يبيع بيوتا موقوفة للكنائس وأراضي خارج الفسطاط كان يسكنها جماعة من الاحباش وأضاف ثمنها الى المال الاصلي فظهر ان كل هذه المبالغ زهيدة بجانب المطلوب فضلا على أن الاربعة الاشهر المضروبة لدفع نصف الغرامة الثاني كانت قد مرت مر السحاب فوقع البطريرك في يأس وقنوط ورأي الموت المريع أمام عينيه ولكن كل خوفه كان في حياة يوحنا الكاتب وابنه اللذين ضمناه على تسديد الغرامة .

فاضطرته الحالة القصوى الى رسم عشرة أساقفة على عشرة ابروشيات كانت خالية حينئذ بمقابل مبلغ دفعه كل واحد منهم . وقد تألم البابا ميخائيل اشد الالم غير أن عذره واضح حيث انه لم يأخذ لنفسه شيئا مما جمع بل دفع تلك النقود لرفع ضيم واضطهاد كان وقوعهما محتما على أمته كما أنه لم يقل أحد من المؤرخين ان البابا ميخائيل كرس أسقفا غير كفؤ لانه قدم ذهبا وفضة (١) .

---

(١) قالت المؤرخة الانكليزية مدام بوتشر : — « ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان اساقفة الاقباط قديما دفعوا تلك المبالغ فديه لكنيستهم ولكن اساقفة الكنيسة الانكليزية الذين يتمتعون بالسلام والامن في ظل حكومة ملك مسيحي لا يزالون يدفعون الى يومنا هذا مبلغا لا يقل عن ٣٠٠ جنيه يؤدونها ضريبة للحكومة ولرئيس الاساقفة يوم رسامتهم » أهـ (٢ : ٢٧٤)

وقد انتهز اليهود هذه الفرصة وأخذوا يساومون البطريرك على كنيسة للاقباط كانت قد خربت وتهدمت ولم تكن تؤدى فيها خدمة فاضطر البطريرك أن يبيعها اياهم ولم تزل تحت يدهم الى يومنا هذا (٢) و باعهم أيضا أرضا بالبساتين لدفن موتاهم بها . ثم عمد الى طريقة أخرى يجمع بها بعض المال وهي تأجير مقاعد خاصة بالكنائس للاغنياء . ولما لم يكن كل ذلك كافيا للسداد رأى ان يسأل المشرفين على ادارة كنائس الاسكندرية لكي يبيعوا النقوش والزخارف الموجودة فى كنائسهم و يرسلوا له ثمنها ليدرأ به آلام الاضطهاد . فقاومه اكليروس الاسكندرية مقاومة شديدة ولكنهم لما رأوا ضيقته رضوا بشرط أن يؤدى هو وخلفاؤه ألف دينار كل سنة لكنائس الثغر الاسكندرى

و بعد ذلك كله وجد البابا ميخائيل أن جميع ما تحصل عليه أقل من المطلوب فانطلق الى تانيس وهو فى حيرة كبرى و بينما هو كذلك وافى راهب الى تلاميذه بثياب بالية وقال لهم قولوا لمعلمكم ان الرب يمزق عنه صك الغرامة بعد أربعين يوما . قال هذا واختفى عنهم وحاولوا بعد أن أخبروا البطريرك أن يجدوه فلم يقفوا له على أثر . ولم تمض الاربعون يوما حتى مات ابن طولون وخلفه ابنه خمارويه فطيب خاطر البطريرك ومزق صك الغرامة وأطلقه مكرما معززا

وقد استمر البابا ميخائيل على الكرسى البطريركى مدة ٢٥ سنة وشهر واحد و٩ أيام وتوفى فى ٢٠ برمهات سنة ٦٢٠ ش و ٨٩٤ م

---

(٢) كان ببابيليون كنيس لليهود بنى قبل خراب اورشليم للمرة الثانية بنحو ٤٥ سنة ولما ظهرت المسيحية بمصر أعتنقها اغلب اليهود وتحول الكنيس الى الكنيسة . ولما حدث الانشقاق بين الكنيسة القبطية واليونانية استولى الملكيون على تلك الكنيسة و بقيت فى حوزتهم حتى أنقرضوا فى الجيل التاسع فاستولى عليها القبط ولما رأى اليهود ضيقة البابا ميخائيل وحاجته الى المال ليسدد غرامة ابن طولون استأجروا منه هذه الكنيسة لمائة سنة وقيل أنهم اشتروها وعلى كل حال فهى فى يدهم الى الان و يعتبرونها من اقدس الاماكن اذ يزعمون ان فيها قبر ارميا النبى

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

(١) سرقة أهالى البندقية لجسد القديس مرقس
(٢) خلافة المأمون (٣) المتوكل وابنه المنتصر
(٤) المستعين وغيره (٥) المعتز
(٦) أحمد بن طولون

---

(١) سرقة أهالى البندقية لجسد القديس مرقس :

لبث خلفاء مار مرقس ينتخبون على قبره وكذلك ظلوا مدة الثلاثة قرون الاولى يدفنون بجانبه . وشهد السنكسار (٤ أبيب) أن كنيسة القديس مرقس ببوكاليا لا تزال تضم جسده فى القرن الخامس وشهد أيضا بأنه كانت هناك كنيسة أخرى جنوبى الاسكندرية باسم القديس مرقص ايضا . وقد ظلت كنيسة بوكاليا قائمة للقرن السابع ثم خربت على يد العرب . ثم صغرت تلك الكنيسة وأطلق عليها أسم « الكنيسة التى تحت الارض »

قال أبو المكارم المؤرخ « لما حصل الخلاف فى الايمان الارثوذكسى بمدينة خليكدون سنة ٤٥١ م طلب الملكيون ان تقسم كنائس بينهم و بين القبط فاختص الملكيون بالكنيسة التى تحت الارض والتى ابقى بها جسد الرسول واختص القبط بالكنيسة الاخرى الجنوبية التى نقل اليها رأس الرسول فما كان من الافرنج الا أن سرقوا هذا الجسد بوضعه فى عمود مجوف من الرخام ولما وصلوا بغنيمتهم الى البندقية قابلهم أهاليها بفرح عظيم وجعلوا جمهوريتهم الحديثة تحت حماية الاسد المرقسى لما كان لمرقس الانجيلى من المآثر بايطاليا » أهـ

و وجدت قطعة فى أحدث الكتب التاريخية البولاندية وهى تخبرنا عن كيفية سرقة أهالى البندقية لجسد الرسول مرقس وهاك ملخصها :

« الامبراطور ليون الارمنى الذى حكم من ٨١٣ الى ٨٢٠ منع رعيته من معاملة مدينة الاسكندرية تجاريا نظرا لامتلائها وقتئذ بالمسلمين أعداء اليونانيين واللاتينيين . ومع ذلك فبعض التجار البندقيين كانوا ملزومين بحكم العواصف والرياح أن يلتجئوا الى ميناء الاسكندرية ليمضوا فيها بعض الزمن الى أن يتمكنوا من استئناف السير وفى ذلك الحين عزم سلطان مصر على تشييد قصر فخيم له فى قاعدة ملكه فأمر برفع العمدان والواح الرخام المزينه بها الكنائس و باقى الاثارات ليقيمها فى قصره وقد هدمت كنيسة مار مرقس الموجودة ببوكالى القريبة من شاطىء البحر كغيرها

وأخذت أعمدتها وأحجار الرخام الموضوعة بها حول قبر الرسول وأرسلت الى مصر رغما من معارضات وتوسلات البطريرك واكليروس المدينة وفى هذه الاثناء فكر التجار البندقيون فى مشروع خطير وهو أخذ بقايا القديس الذى هو عندهم موضع احترام وتبجيل كى يذهبوا كل يوم للسجود أمام قبره ولما رأوا أن فى استعمال القوة هياج الشعب المسيحى ضدهم عزموا على ارشاء حراس قبر القديس بقولهم ان بقاياه ستحفظ فى بلد مسيحية وتكون موضع احترام وتعظيم ساكنيها بدلا من تركها فى بلدة قد لا تمكث بها طويلا بل تلعب بها أيدى الكفرة وأما عندهم فيمكنهم أن يحرصوا فى المحافظة على بقايا القديس حيث تكون فى مأمن من كل طارىء وقد اقتنع الحراس بهذه الوعود والاقوال وسلموا بقاياه الى هؤلاء التجار ووضعوا جثة أحد القديسين مكانها فأقلع البندقيون بالجثة الى ايطاليا ولكى يخلصوها من العمال المسلمين وضعوا فوق الصندوق قطعا من لحم الخنزير الذى تحرمه الشريعة الاسلامية . ولما وصلوا الى البندقية عرضوا الجثة على حاكم المدينة الذى وضعها فى كنيسة قصره ريثما يتمكن من تشييد معبد يليق بهذا القديس العظيم . ومن ثم أستعدت تلك المدينة بامتلاك تلك البقايا المقدسة و يتخذ أهالى البندقية مار مرقس نصيرا لهم و يعتقدون انه سبب سعادة جمهوريتهم ويحيون ذكرى ذلك النقل فى أول فبراير» أهـ (١)

ولقد يوجد بالبندقية نسخة أصلية يونانية من أنجيل القديس مرقس يقال انهم أخذوها بين سنة ١٤٥٢ م و١٤٧٢ م ووجود هذه النسخة الاصلية باللغة اليونانية مما يكذب ادعاء الغربيين أن مرقس الرسول كتب انجيله بروميه باللغة اللاتينية و يثبت انه كتب فى مصر باللغة اليونانية ومنها نقل الى القبطية

(٢) خلافة المأمون سنة ٨١٣ م

و بعد موت هارون الرشيد وقع خلاف بين ابنيه وقام كل منهما يطالب بالخلافة فانتهز مسلمو الاندلس هذه الفرصة وهجموا على مصر . وكثيرون من الاقباط الذين اخناهم الذل ساعدوا الاندلسيين على أخذ الاسكندرية ولكن مسلمى الاسكندرية قاوموا الاندلسيين واشتبكت الحرب بين الفريقين مدة أطلق فيها البغاة أيديهم لسلب ونهب الاقباط فهجموا على البيوت والمنازل فنهبوا ثم دمروا الكنائس ومنها كنيسة المخلص واغتصبوا ما فيها من الامتعة وسلبوا الاوانى المقدسة وأثموا بالمقادس . وغارت قبائل العرب على وادى النطرون فأخربوا أديرته ونهبوها وفتكوا برهبانها وطردوهم فلم يبق منهم الا القليل . وآلت ولاية مصر بعد ذلك لرجل اسمه عبد الله بن طاهر فأباح لجنوده نهب الاديرة واحراق الكنائس والتمثيل بعابديها

(١) الناشر : وقد نقلت رفاته الى مصر فى عهد البابا كيرلس السادس فى ٢٤ يونيه سنة ١٩٦٨ م

واستقل المأمون بن الرشيد فيما بعد الخلافة وولى مصر اخاه المعتصم فوكل عنه عمر بن الوليد فغار وجار فقام الاقباط بثورة تعتبر آخر ثوراتهم قاصدين بها التخلص من النير الاجنبى الثقيل: فامتنع أهل الوجه البحرى عن دفع الخراج فكان بينهم و بين عساكر الوالى حروب هائلة قتل فيها من الفريقين خلق كثير وقتل عمر فاستخلف مكانه الجلودى واقتدى أقباط الصعيد بأهل الوجه البحرى فأصبحت البلاد جميعها فى حالة فوضى فقدم اليها المعتصم بأربعة آلاف جندى وقتل أهل الحوف . واستمر الاقباط ثائرين وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم والولاة يوقعون بهم و يقتلون و يأسرون حتى بلغ خبر الثورة للخليفة المأمون فقدم الى مصر وشاهد ظلم الولاة فسخط على عيسى وحل لواءه وأخذه بلباس البياض عقوبة له وقال له « لم يكن هذا الحدث الا من فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتم الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد »

ثم حمل المأمون على البشموريين بعساكره فشتت شملهم وفرق جمعهم ودخل بلادهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأطفالهم وسلب أموالهم وهدم كنائسهم و بالجملة لم يبرح تلك الجهة حتى خرب منازلهم وجعل بلادهم العامرة اطلالا بالية ومن ثم ذلك القبط ولم يتجرأوا فيها بعد على المقاومة . وكان المسلمون فى اثناء قيام المأمون باخضاع الثائرين الاقباط يطوفون فى البلاد لينتقموا منهم فقتلوا كثيرين ونهبوهم وأخذوا عدد كبيرا منهم و باعوهم كالحيوانات حتى اضطرت الطبقة السفلى الى اعتناق الدين الاسلامى هروبا من تلك الفوادح التى كانت ملمة بهم . فأخذ عدد الاقباط يقل حتى صار أقل من عدد المسلمين . وقبل هذا الزمن كان المسلمون لا يوجدون الا فى الجيش أو فى المدن الكبرى فامتلأت بهم حتى القرى الصغيرة لاعتناق ربع سكان القطر المصرى الديانة الاسلامية وهؤلاء صاروا يفلحون أراضى اخوانهم الاقباط الباقين على دينهم و يغتصبونها منهم و بذا زاد عددهم وقويت شوكتهم

وحدث فى أثناء وجود المأمون بمصر ان مر بقرية طأ النمل ولم يشأ أن يعرج عليها لصغرها فخرجت خلفه عجوز قبطية وطلبت منه أن يشرف قريتها فلبى دعوتها وقامت العجوز وولداها بتقديم طعام فاخر له وجنوده حتى استعظم ذلك ولما أصبح الصباح وعزم المأمون على الرحيل حضرت اليه العجوز ومعها عشر وصايف فى يد كل وصيفة طبق عليه كيس من ذهب مطبوع فى عام واحد فاندهش المأمون وطلب منها أن تعيد ذهبها فأبت وقالت له لا تكسر قلوبنا ولا تحتقرنا . ولما سألها من أين لك كل ذلك تناولت قطعة طين وقالت له « ان هذا الذهب من هذا الطين . ولا تنس عدلك يا أمير المؤمنين » فأعجب بها و بسعة حالها وقبل هديتها وأقطعها عدة ضياع ووضع عنها خراج مائتى فدان

ومكث المأمون بمصر مدة شهرين حتى نظم أحوالها ومن ثم برحها الى بغداد فبلغه أن الدواوين صارت على خطة لا يرضاها من حيث قبول الزيادات فى الاراضى ونزعها من يد من

كابد مشقات وتحمل نفقات جسيمة فى اصلاحها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلفة ولا تعب فأصدر أمره بعدم قبول هذه الزيادات مادام يكون الناس قائمين يدفع ما عليهم من الاموال

(٣) خلافة المتوكل سنة ٨٤٧ م وابنه المنتصر سنة ٨٦١ م

وولى الخليفة المتوكل على مصر ابنه المنتصر وكانا كلاهما يبغضان الاقباط ومع انهما كانا يشعران بشدة الحاجة اليهم فى انجاز الاعمال الهندسية والحسابية والطبية وغيرها الا أنهما عاملاهم بالقوة والجور قاصدين أن يغيرا هيئة مملكتهما بمحوهم فاضطر الاقباط الى الاهمال فى واجبات دينهم وتراخوا فى خدمة الحكومة

و بلغت الاستهانة بالاقباط الدرجة التى لم يكتفوا فيها بأن ينهبوا حجارة الرخام والمرمر الموجودة فى كنائسهم ونقلها الى بغداد لتوضع فى قصور الخليفة بل قاموا الى مدافنهم فى القطر ونبشوا قبورهم التى كانوا يعنون بتشييدها وأزالوها ولم يبقوا فيها حجر على حجر

واستمر الخليفة المتوكل يصدر أوامر ضد جميع المسيحيين المقيمين فى مملكته خصوصا فى مصر راغبا ازعاج خاطرهم وتكدير صفوهم . ومنطوق تلك الاوامر يفيد على انه قصد بها اذلال شأن المسيحيين واضعاف حميتهم . فالنساء فى ذلك الحين كن يلبسن المناطق والاحزمة والحيصات حبا فى الحشمة والتواضع فصدر أمر المتوكل بمنعهن عن لبس ما تعودنه والزام الرجال بلبس الطيالس العسلية وشد الزنانير وأن يخيط كل رجل على ثيابه قطعتين طول الواحدة أربعة قراريط ولون كل واحدة تختلف عن الأخرى ولون الاثنتين يخالف لون الثياب . أما النساء فاذا أردن الخروج يتنقبن ببرقع عسلى اللون وهو ما كان خاصا بالبغيات . وحظر على النصارى أيضا أن يركبوا سوى البغال والحمير الحقيرة ببراذع قذرة عليها علامة خاصة و يعملوا كرتين فى مؤخرة البرذعة والركابات تكون من خشب واللجام قطعة من حبل

وأمر الاقباط أيضا بأن يجعلوا على أبواب دورهم صور شياطين وقرود من خشب ومنعوا من اشعال النور فى احتفالاتهم أو أعراسهم وأن لا يطبخوا طعاما على مرأى من الناس كما جرت عادة الفقراء فى كل بلاد المشرق وأن يساووا قبورهم بالارض وحجر عليهم استعمال الصليب المقدس فى أحد الشعانين وأمر بهدم كنائسهم المحدثة وأخذ العشر عن منازلهم

ثم بعد ذلك بأربع سنين أمروا أن يلبسوا دراعيتين على الدراريع والاقبية ونشر الخليفة أوامره هذه فى كل الاماكن فذل الاقباط ذلا عظيما ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم وأسلم منهم عدد لا يحصى والذين لم يسلموا كان كثيرون منهم لا يقوون على التظاهر بالمسيحية وكانوا اذا اجتمعوا للصلاة لا يستطيعون رفع أصواتهم بل يصلون بأصوات ضعيفة حتى لا يسمعها المسلمون فيهجمون عليهم و يدنسون مقادسهم و يطردون من فيها و ينهبونها ويخربونها

وقد ضجر الاقباط من كثرة توالى تلك الاوامر الصارمة ولا سيما لبس الرجال المنطقة التى كانت خاصة بالنساء فكان الاساقفة يبذلون جهدهم ليحملوهم على الخضوع لهذه الاوامر حقنا للدماء وأفهموهم ان لبس المنطقة حتى فى أوقات الصلاة من دلائل الحشمة ولكى لا يجعلوهم يزدرون بركوب الحمير قالوا لهم بأن السيد المسيح نفسه ركب جحشا وأن الخيول للمتكبرين ولا تستعمل الا فى الحروب

وبعد ذلك صدر أمرا أكثر قساوة وهو عدم الاستعانة بالاقباط فى أعمال الحكومة فرفت منهم كثيرون وانحط بذلك شأن عائلات كثيرة أصابها الفقر المدقع . ولم يقف الامر عند هذا الحد فصدر أمر يراد به القضاء على المسيحية فى مصر وهو ابطال الصلاة على كل ميت واغلاق جميع الكنائس فلا تؤدى فيها خدمة واستئصال جميع الكروم ومنع بيع النبيذ حتى لا يجد الاقباط خمرا لا تمام سر الافخارستيا . و يقول المؤرخون «وقد نفذ هذا القرار الاخير بالدقة حتى صار من المستحيل ايجاد عنب أو نبيذ فى جميع أنحاء القطر المصرى . الا أن الكهنة الذين كانوا لا يهابون الموت لم يكفوا عن تأدية هذا السر المقدس وكانوا يبذلون قصارى جهدهم ليحصلوا على الخمر من خارج القطر المصرى . ولكن هذا العنب كان ينشف حين وصوله لمصر و يصير زبيبا فيضعه الكاهن فى الماء برهة ثم يعصره قبل أن يختمر لعدم وجود وقت كاف . ومن ذلك الحين صار الاقباط يستعملون على الدوام نبيذا غير الخمر للمناولة » أهـ

وفى نحو سنة ٨٥٢ عزم الرومانيون على استرداد مصر من يد العرب فسارت جيوشهم واحتلت دمياط وكان عملهم هذا آيلا الى ضرر مسيحيى مصر والاقباط منهم بنوع خاص فضايقهم الوالى خوفا من أن يقوموا بمساعدة للرومانيين اخوتهم فى الدين . ولكى يزيد من ضيقه الاقباط طلب منهم مبلغا طائلا واذ لم يتمكنوا من تأديته نهب القسوس وقفل جميع الكنائس فى الفسطاط و بابيليون الا واحدة

(٤)خلافة المستعين سنة ٨٦٢ م :

وقد قتل المتوكل بيد ابنه المنتصر وجلس بعده على كرسى الخلافة ولكن لم تطل مدته أكثر من سنة فملك بعده المستعين الذى أراح الاقباط ورد لهم ما سلب منهم من الكنائس فأصلح المتخرب منها من الاسكندرية شمالا الى أسوان جنوبا وصارت تمارس فيها الخدمات الكنسية كالعادة

(٥)خلافة المعتز وغيره سنة ٨٦٦ م :

عين لمصر رجلا تركيا يدعى مزاحم بن خاقان وكان الاتراك يحتقرون العرب فوجد فى ولايته نوع من العدل والتساوى بين الاقباط والمسلمين ، و بعد مزاحم تولى رجل تركى اسمه ببك سنة ٨٦٨م ولكنه لم يحضر الى مصر بل أوفد مندو بين من قبله أحدهما أحمد بن المدبر لجمع الضرائب والآخر أحمد بن طولون لقيادة الجيش فتجبر أولهما على الاهالى وضاعف الضرائب على المسيحيين

والمسلمين سواء ولكن وطأته كانت أشد على المسيحيين فأحصى الرهبان والقسوس وعين عليهم ضريبة بعد أن كانت رفعت عنهم والزم البطريرك بدفع ما فرض عليهم وهو يحصلها منهم بمعرفته وبلغ مقدار ما فرض عليهم أكثر من ستة آلاف دينار فى السنة فاضطر البطريرك أن يفرض عوائد على الاساقفة وأفراد الناس ليتمكن من دفع هذه الغرامات فحصلت لهم مضايقات شديدة فآثر كثير منهم الاسلام تخلصا من الشدائد . وفى هذه الاثناء هجم العرب على بعض بلاد الصعيد وأضروا بالبلاد والعباد وأخربوا عدة أديرة منها دير أنبا شنوده ودير القلمون بالفيوم ودير أنبا باخوم بناحية طحا

ولما اشتد الضيق بالاقباط عرضوا أمرهم على الخليفة فكتب لوالى مصر يأمره بصرف الكرب عنهم فاستراحوا قليلا . وجاء بعد المعتز المهتدى سنة ٨٦٩م فتحصل الاقباط منه بواسطة مقدمهم ابراهيم على تأييد امر المعتز ولما تولى الخليفة المعتمد بن المتوكل سنة ٨٧٠م قام فى عهده قائد جيش مصر أحمد بن طولون ونادى بنفسه ملكا على مصر ولكى يجذب قلوب المصريين اليه خفف عنهم الضرائب فتساوى الاقباط بالمسلمين . الا ان ابن طولون كان يفضل الاتراك على العرب والاروام على الاقباط

(٦) خلافة أحمد بن طولون سنة ٨٧٠م :

لما علم أن الاقباط هم أرباب الفنون والصنائع فى مصر طلب اليه مهندسا قبطيا ماهرا فلباه ابن كاتب الفرغانى وطلب منه أن يوصل المياه الى المدينة التى بناها بمصر القديمة . فعمل المهندس القبطى قناة عجيبة أدهشت جميع الذين رأوها من عظم اتقانها ولكن لسوء الحظ بينما كان ابن طولون يتفرج عليها عثر حصانه بكومة تراب أهمل العمال فى نقلها فغضب على المهندس وألقاه فى السجن . وفيما بعد ظن ابن طولون أن الاقباط أغنياء فزاد عليهم الضرائب وعول على نهب أموالهم

وفكر ابن طولون بعد ذلك فى بناء جامع يكون أعظم ما بنى من الجوامع فى مصر الى ذلك الحين يقيمه على ٣٠٠ عمود من الرخام فقيل له ان مثل هذا العدد من الاعمدة لا يمكن الحصول عليه الا اذا هدمت كنائس ومعابد النصارى واذ كان يوما يسمع القرآن علم بعدم جواز استعمال أدوات مسروقة فى بناء الجوامع فشق ثيابه وصاح قائلا « انه يستحيل على تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فانى ما سمعت من يوم وجودى أن جامعا بنى دون أن تؤخذ أعمدته من كنائس المسيحيين . وحيث انه لا يمكننى الا مخالفة هذا الامر فسوف أخالفه وأستغفر ربى عن هذا الذنب ان لم يكن بناء الجامع كافيا للغفران »

ولما سمع ابن كاتب الفرغانى وهو فى السجن ما كان من رغبة ابن طولون وتردده كتب اليه عريضة وهو مسجون يفيده انه قادر على اتمام مشروعه ومستعد لتنفيذ مرغوبه بغير احتياج لاكثر من عمودين يجعلها فى القبلة . فلما قرأ العريضة تذكره وأمر باطلاقه من السجن واستحضره أمامه

وعهد اليه فى بناء الجامع بالكيفية التى رسمها فشيد جامعا فخما لم يسلب له ولا عامود واحد من الكنائس . بل كان يوجد فى الكنائس قديما حوض ماء للاغتسال فى يوم الخميس العهد فكان المسلمون ينقلون هذه الاحواض الى المساجد لتكون لهم « ميضة » للوضوء . فصنع المهندس القبطى البارع ميضة جميلة لجامع ابن طولون وتم الجامع على ما يرام . وخلع ابن طولون على المهندس خلعة فاخرة وقرر له راتبا يتقاضاه مدة حياته . غير انه فيما بعد الزم هذا المهندس المسكين باعتناق الدين الاسلامى فأبى فقطعت رأسه

وقال المسعودى فى كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ان ابن طولون سمع عن فيلسوف قبطى طاف بلادا كثيرة يسكن أعالى بلاد مصر وله من العمر ١٣٠ سنة فأمر فحمل اليه وسأله عن سبب طول عمره فأجابه الاعتدال فى المأكل والمشرب والملبس. وقيل ان ابن طولون سأل هذا الفيلسوف عن منابع النيل فأجابه « ان منابع النيل فى أعلاه فالبحيرة الواسعة الاطراف وهى عند المكان الذى يتساوى فيه الليل والنهار طول الدهر أى تحت الموضع الذى يسميه المنجمون « الفلك المستقيم » وما ذكرت فمعروف وغير منكور » ومعلوم ان العلماء والمستكشفين لم يهتدوا الى منابع النيل الا فى القرن ال ١٨ ولكنها كانت معروفة لذلك العالم القبطى قبل ذلك بألف وست مائة سنة وما البحيرة التى اشار اليها سوى بحيرة البرت نيانزا التى استكشفها (سبيك) عد خط الاستواء (١)

والغريب ان ابن طولون بعد ما اضطهد الاقباط و بطر يركهم اضطهادا قاسيا طلب فى مرضه الاخير من أساقفتهم وقسوسهم أن يحملوا الاناجيل و يشتركوا مع رؤساء الدين الاسلامى فى الصلاة لاجله عسى الله يمن عليه بالشفاء ولكنه مات وملك بعده ابنه خمارو ية سنة ٨٨٤م وكان صديقا للانبا باخوم أسقف طحا فأحسن للاقباط ورفع عنهم الجزية وأعطاهم صكا بذلك حتى لا يعود أحد الى مطالبتهم بها . وقيل ان خمارو ية هذا كان ميلا للمسيحية والمسيحيين حتى انه كان يصرف ساعات من النهار واقفا أمام صورة فى كنيسة الاروام بالقصير بهيئة التعبد والخشوع . وكان هو صديقا حميا للرهبان فى القصير ونظرا لميله اليهم ومحبته فى البقاء معهم ابتنى لنفسه غرفة وسط صوامعهم لكى يتمكن من مشاهدتهم وقت العبادة والتمتع برؤ ية الصور المقدسة

(١) منتخبات تهذيبية للجنة التاريخ القبطى ص ٨ و ٤٨

وتوالى بعد ذلك أولاد ابن طولون على كرسى السلطنة واحدا بعد آخر الى أن تولى الحكم فى مصر رجل يدعى عيسى بن الجراح فضيق على النصارى ولاسيما الرهبان والقسوس وفرض عليهم ضرائب باهظة فسار وفد منهم الى الخليفة ببغداد ورفعوا اليه احتجاجا فالتفت اليهم الخليفة وكتب الى الوالى بمصر يأمره أن يعاملهم بمقتضى العهود التى بأيديهم وألزمه أن يترفق خصوصا بالكهنة والرهبان الفقراء . فى آخر أيام الدولة الطولونية كان عدد الاقباط قد تدهور الى النقصان وصاروا الى أقل من خمسة ملايين فنازلا

القرن العاشر

القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) غبريال ١ (٢) قزمان ٣ (٣) مقار ١
(٤) ثاوفانيوس (٥) مينا ٢
(٦) ابرآم ١ (٦) فيلوثاوس

---

(١) غبريال ١ :

البطريرك السابع والخمسون . لم تتمكن الكنيسة بعد وفاة البابا ميخائيل من تنصيب خلف له بالنسبة للمصائب الشديدة والكوارث القاسية التى المت بها . ولبثت الكنيسة أربع عشرة سنة بدون بطريرك قفلت فى خلالها كنائس كثيرة وتعطلت حركة بعضها وأخذت عوامل النزاع مكانها بين المسيحيين حتى سخر الرب لهم الانبا باخوم أسقف طحا وكانت له مكانة سامية لدى الوالى خمارويه فتوسط لديه فسمح باقامة بطريرك للكنيسة القبطية وأعطاه تصريحا بذلك واختير باجماع آراء الشعب والكهنة الآب غبريال الراهب من دير أبى مقار واصله من الميه منوفيه فرسم فى شهر بشنس سنة ٦٢٥ش و٩١٠م فى عهد خلافة المقتدر بن المعتضد

وكان هذا البابا تقيا ذا شعور رقيق ولكنه للضرورة سار على خطة البابا ميخائيل فى فرض ضريبة على كل أسقف يرسم جديدا لكى يدفع الرسم المطلوب لكنائس الاسكندرية التى تعهد بها البابا ميخائيل فى أوقات ضيقاته كما انه لم يلغ الضريبة الشخصية التى كانت مضروبة على أعضاء الكنيسة القبطية سدادا لطلبات ابن طولون بل ظل يتقاضاها ليتمكن من ترميم الكنائس المتهدمة

ولم يتضايق هذا البابا من الحروب الخارجية فقط بل تألم كثيرا من حروب داخلية انتشبت فى داخله اذ حرك فيه عدو الخير الاميال الباطلة ولما رأى ارادته اضعف من أن تطفى هذا الاضطرام هرب الى برية شيهات واعترف بحاله لاتقياء الرهبان فقدموا له النصيحة قائلين « أعلم أيها البابا ان اشتعال الشهوة ينشأ من العظمة والفخر كما ان خطية التجديف دليل الاعتداد بالذات فان كنت تروم ان تحتمى من حرب الشهوات فعليك بملازمة فضيلتى الوداعة والتواضع فانهما انجح دواء وأفضل رادع لمقاومة الافكار الرديئة لاسيما اذا أضيف اليهما فضيلتا النسك وصرامة العيش فانهما يذللان الاميال الباطلة و يقمعان الاهواء البهيمية » فاذعن البطريرك لنصيحة الآباء وواظب على

أفعال التقشف والزهد ثلاث سنوات وكان يحمل نفسه على ممارسة أقل الاعمال التى تذللها حتىَ بلغ به الاتضاع بأن كان يمر على قلالى الرهبان و ينظفها بمكنسة من الاوساخ . فنظر الرب لمسكنته ودرعه بنعمته وخلصه من التجربة ومن ثم استأنف جهاده فى خدمة كرسيه حتى أتم ١١ سنة فى الرئاسة وتنيح فى ٢١ أمشيرسنة ٦٣٦ش و ٩٢١م

(٢) قزمان ٣ :

البطر يرك الثامن والخمسون . انتخب بطر يركا عقب وفاة البابا غبر يال مباشرة وتمت رسامته فى شهر برمهات فى السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المقتدر. وكانت الاضطهادات التى وقعت على الكنيسة والنكبات التي حلت بها قد جعلت العلاقة التى بين الكنيسة القبطية وابنتها الكنيسة الحبشية تفترقليلا مدة قرن أو أكثر. وحال جلوس البابا قزمان على الكرسى أوفد اليه ملك الحبشة رسلا يطلبون منه تعيين مطران قبطى لكنيستهم لداعى شيخوخة الملك وقرب وفاته ورغبته فى أن يقيم المطران وصيا على ولديه الصغيرين فرسم لهم البطر يرك مطرانا يدعى بطرس وسار معهم الى الحبشة حيث قوبل فيها باحتفال عظيم . و بينما كان الملك يجود بأنفاسه الاخيرة استدعى اليه المطران بطرس وكلفه بأن يتولى وصاية ولديه وعند بلوغهما سن الرشد يعين منهما ملكا من يراه أجدر من الآخر من حيث الكفاءة لا السن . و بعد مدة عمد المطران الى الابن الاصغر وتوجه ملكا اذ رآه أوفر عقلا وأسد رأيا ومع ان الابن الاكبر استاء من ذلك الا انه لم يبد أدنى معارضة

وحدث بعدئذ ان راهبين من مصر احدهما يدعى بقطر والاخر مينا من الذين تعودوا التجول للتسول سافرا الى الحبشة وطلبا من الانبا بطرس دراهم فابى ان يعطيهما وازدرى بهما . فحقدا عليه وأراد ان يكيدا له فزورا ختما باسم البابا قزمان البطر يرك وكتبوا رسالة الى كبار مملكة الحبشة مؤداها ان المدعو بطرس مطران غير شرعى لم يعين من قبله وانه غير راض عن تعيين الابن الاصغر ملكا لان الاكبر أولى منه بالملك وأحق » ولذلك يطلب ان ينفوا كلا من المطران والملك الجديد و يعتبروا مينا حامل هذه الرسالة و يقيموا الابن الاكبر ملكا

ثم ذهب مينا بهذا الخطاب وسلمه للابن الاكبر فاطاع ارباب دولة الحبشة أمر البطر يرك واقروا على نفى المطران والملك واجتمع حول الابن الاكبر بعض المشاغبين ودارت بينه و بين اخيه حرب اهلية انتهت بأسر الملك وسجنه ونفى المطران الى مكان بعيد ثم قام الابن الاكبر ملكا ومينا مطرانا و بقطر وكيلا له .

غير أنه بعد وقت وجيز حدث خلاف بين مينا و بقطر فانتهز هذا مرة فرصة كان فيها المطران المزور غائبا وطرد خدمة المطرانية ونهب كل ما فيها من النقود والاشياء الثمينة وحملها واتى بها الى

مصر واعتنق الديانة الاسلامية . وانتهى الخبر الى البطريرك فارسل بسرعة رسلا بخطاب الى الحبشة يحرم فيه مينا و يشجب أعماله و يأمر باعادة المطران الحقيقى . فقام ملك الحبشة المغتصب على مينا وقتله شر قتلة طمعا منه فى استجلاب رضاء البطريرك وارسل يستدعى المطران بطرس فوجد انه قد مات لشدة ما لحقه من انواع العذاب فى منفاه . وكان له تلميذ فأخذه الملك واقامه عنده مطرانا دون ان يسمح له بالذهاب لينال الرسامة من البطريرك خوفا من أن يوصيه بنزع الملك عنه واعطائه لاخيه . ولما علم البطريرك بما جرى سخط على الحبشة ولم يشأ ان يرسم لها مطرانا ونسج على منواله اربعة بطاركة لم يريدوا ان يرسموا مطرانا للحبشة واستمرت مدة سبعين سنة لم يرسل اليها من الكنيسة القبطية مطران واحد

و بعد ان مضى البابا قزمان ١٢ سنة و١٢ يوما على كرسى البطريركية تنيح فى ٣ برمهات سنة ٦٤٩ش و٩٣٣م

(٣) مقار ١ — البطريرك التاسع والخمسون :

اختير للبطريركية بعد قزمان الآب مكاريوس من قرية شبرا قبالة وكان وحيدا لامه العجوز ولكنه ترهب من صغره فى دير أبى مقار ولما صار بطريركا وتمت رسامته فى برمودة سنة ٦٤٩ ش و٩٣٣م فى عهد خلافة القاهر بن المعتضد انطلق الى دير ابى مقار كعادة اسلافه وعند عودته منه تلقى دعوة من اهل بلدته يرجونه فيها المجىء اليهم ولم يكن له فى بلدته قريب سوى والدته العجوز وكان يحبها محبة زائدة لانها أحسنت تهذيبه وكانت لذلك الحين على قيد الحياة فعزم على زيارتها ليسر فؤادها بوظيفته السامية

وسار الى البلدة مع حاشيته ولما اقترب منها أسرع واحد الى والدته فوجدها فبشرها بقدوم ولدها بموكب عظيم . فلم تحفل بالبشرى ولم تلتفت لكلامه بل لبثت تشتغل والدموع تجرى على خديها فاندهش ذلك الشخص من آمرها ورجع من عندها بخجل عظيم . أما البطريرك فاستقر فى البلدة ريثما ينتهى الاحتفال بقدومه و بعد ذلك انطلق بمن معه نحو منزل أمه فلما وصل اليها رآها وهى تغزل لم تتحرك من مكانها فقط رفعت نظرها اليه مرة واحدة وعادت الى عملها وقد ارسلت من عينيها دمعتين حارتين دون ان تفوه بكلمة فتقدم اليها بالسلام فردت عليه واستمرت فى شغلها . فظن انها لم تعرفه وتجهل مركزه السامى الذى وصل اليه فقال لها « اعلمى يا أماه اننى انا ولدك مقار الذى ارتقى الى اشرف رتبة فى الكنيسة وقد صرت بطريركا فابتهجى وسرى بما احرزه ابنك من المقام الرفيع » فرفعت عينيها اليه والدموع تتساقط منها بغزارة وقالت له وهى تجهش فى البكاء « كنت اتمنى ان ارى نعشك محمولا على الاعناق وخلفك النسوة يبكين حزنا من ان اراك متقلدا هذه الوظيفة الخطيرة يحيط بك الاساقفة والقسوس ذلك لانك لما كنت علمانيا كنت مسئولا عن خطاياك الشخصية فقط ولكنك لما صرت بطريركا فسوف تسأل عن خطايا كل الشعب وزلاتهم فتيقن انك

فى خطر عظيم هيهات ان تنجو منه بسهولة لانه من المعلوم ان المجد العالمى يحجب عن الانسان نور الحق . فن أين ياولدى تقدر ان تكون بصيرا وقد وضع مجد الرئاسة برقعا على عينيك فها قد انذرتك بما أنت فيه من الخطر فكن محترساً واذكر والدتك التى تعبت فى تربيتك » قالت هذا واستأنفت الغزل كما كانت فلما سمع البطريرك خرج من عندها وجلا كئيبا واستمرت هذه الكلمات تطن فى أذنيه طول حياته وكانت سببا فى استقامته وحرصه على اتمام واجباته بكل امانة مدة العشرين سنة التى قضاها بطريركا حتى تنيح فى ٢٤ بؤونه سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م

(٤) ثاوفانيوس — البطريرك الستون :

وبعد نياحة البابا مقار انتخب خلفا له ثاوفانيوس من الاسكندرية فى شهر مسرى سنة ٦٦٩ ش و ٩٥٣ م فى عهد انوجور بن الاخشيد . وكان هرما وفى اوائل ايام بطريركيته شعرت الكنيسة بعسر مالى عظيم وخلت مخازن البطريركية من الاموال بسبب الضريبة التى كانت معينة لكنائس الاسكندرية كما ذكر آنفا فضلا عن النهب المتواصل الذى كان واقعا على الاقباط من الحكام والولاة . وقد رأى البطريرك ان الشعب ضجر من هذه الغرامات الباهظة فطلب من كنيسة الاسكندرية التنازل عن هذه الغرامة أو تخفيفا قليلا . ولكن كنيسة الاسكندرية لم تتنازل عن هذه الغرامة وأصرت على المطالبة بحقها

وكان البطريرك ثاوفانيوس حاد الطبع سريع الغضب كثير الحمق غير قادر على كبح جماح غيظه وقيل ان ذلك كان بسبب روح نجس تسلط عليه وقال بعضهم أنه نشأ عن مرض عصبى كالصرع أو خلافه كان يفاجئه فيغير اطواره فلما رأى تصميم اقباط الاسكندرية على المطالبة بالغرامة أخذ يشتمهم و يوبخهم بما خرج به عن دائرة التعقل حتى استاء منه الكهنة واظهروا غيظهم منه بكلمات قاسية وجهوها اليه فازداد هيجانه وصياحه فحمله بعضهم الى مركب الى بابيليون لظنهم أنه يهدأ اذا استنشق نسيم النيل ولكنه اذ لم يكف عن هياجه تقدم اليه أحد الاساقفة بالصلاة لتوهمه بان فيه روحا نجسا فتشنجت اعصابه ووثب عليه وهنا اختلف فى سبب موته فقيل انه لما لم يقو الاساقفة على تهدئته ظلوا به الى ان اخرجوه فى البحر وجعلوا على وجهه مخدة ورقدوا عليها الى ان مات ورموه فى البحر و يقول واضع سير البطاركة انه مات مسموما وقتل مختنقا والله اعلم وكانت وفاته فى ٤ برمهات سنة ٦٧٤ ش و٩٥٦ م ومدة رئاسته ثلاث سنوات

وفى سنة ٩٤١ م كان بطريركا على كنيسة الاورام بمصر اوطوخيوس الطبيب وكان عالما ضلعيا واضطهدت كنيسته فى عهده من الولاه المسلمين اضهطادا عنيفا جعلها تسقط فى وهدة الانحطاط والتأخر وظلت خمسمائة سنة بعد هذا التاريخ وهى مطموسة الاثر عارية من كل خبر لا يعرف عنها شيء سوى اسماء البطاركة الذين قاموا فيها قياما اسميا بدون عمل يذكر

(٥) مينا ٢ ــ البطريرك الحادى والستون :

و بعد وفاة البابا ثاوفانيوس انتخب للكرسي البطريركي راهبا قسا ولكنه رفض قبول هذا المركز الخطير وذكر اسم الآب مينا احد رهبان دير ابى مقار وأصله من صندلا غربيه وقبل أن يصير هذا الآب راهبا كان أهله قد أرغموه على الزواج فتزوج بامرأة عفيفة واتفقا معا على عيشة البتولية . وحدث انه لما رسم بطريركا قاوم بعضهم رسامته بدعوى انه كان متزوجا والقانون يمنع المتزوجين من ان يكونوا بطاركة وتحزبوا مع بعض الاساقفة واتفقوا على خلعه من وظيفته فعقدوا مجمعا واستحضروا امامهم زوجته ليقيموها دليلا على عدم شرعية بطريركيته فوقفت الزوجة في المجمع واعترفت بانه لم يعرفها معرفة زواج البتة فعدلوا عن رأيهم واعتبروا البابا مينا مستحقا لرتبته وكانت رسامته في شهر برموده سنة ٦٧٤ ش و٩٥٦م في عهد انوجور

وقد جلس هذا البابا على السدة البطريركية ١١ سنة وقعت فيها على طائفته بنوع خاص والامة المصرية بنوع عام كل انواع الضيق والكرب لجأ في أثنائها الى سيدة قبطية غنية اسمها دينة من محلة دانيال (غربية) و بقى في ضيافتها حتى أنتهت حياته في ٣ كيهك سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م

(٦) ابرآم ــ البطريرك الثانى والستون :

و بعد نياحة البابا مينا انعقد مجمع الاساقفة في كنيسة ابى سرجه بمصر القديمة لانتخاب بطريرك جديد و بينما هم يتباحثون دون أن يقر رأيهم على واحد دخل عليهم رجل كان مشهورا بالآداب ومكارم الاخلاق يدعى أبرآم السريانى فلما وقع نظرهم عليه أجمعت آراؤهم على تزكيته لهذا المنصب ووضعوا عليه الايدى في شهر طوبه سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م فى عهد خلافة المعز لدين الله

وكان هذا البابا فى مبدأ أمره تاجرا كبيرا في مصر معروفا لدى المعز وكانت بينهما صداقة قوية فلما عين بطريركا وزع جميع مقتنياته في سبل الخير وأفرغ جهده للقيام بواجبات وظيفته الخطيرة . وكان فى عهده قزمان بن مينا الوزير القبطى الذى لما عين واليا على فلسطين ترك لدى البابا ابرآم مبلغ مائة الف دينار بصفة أمانة وأوصاه ان يحتفظ بها حتى يعود وان لم يرجع وأدركته المنية يفرقها على المشروعات الخيرية . وحدث أنه لما وقعت فلسطين والشام في يد (هفتكين) صرف البابا ابرآم تلك الاموال على من يستحقها ولكن فيما بعد رجع الوزير الى مصر بعد كسره هفتكين وطلب من البطريرك الامانة فاخبره بما فعل فسر منه سرورا عظيما

وكان المعز الخليفة قد عهد ليعقوب بن يوسف جباية الخراج وكان هذا الرجل يهودى الاصل ولكنه أسلم بغية الحصول على المراتب العالية وكان يمقت المسيحيين و يشيع عليهم المذمات حتى طلب من الخليفة ان يأتى بامام النصارى لكى يحجه و يبرهن له بطلان ديانته . فاستدعى الخليفة اليه البابا ابرآم لهذا الغرض فأخذ البطريرك معه الانبا ساويرس اسقف الاشمونين العالم

الكبير صاحب كتاب « تاريخ البطاركة » المشهور ودار بينه و بين ذلك اليهودى جدال فافحمه هذا الآب ببراهين قوية سربلته بالخجل أمام الخليفة

فاغتاظ ذلك اليهودى من المسيحيين اكثر مما كان وازدادت بغضته لهم وأخذ ينسج لهم برد مكيدة أخرى حتى وقف على الاية الواردة بالانجيل المقدس القائلة « لو كان لكم أيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل » (مت ١٧ : ٢٠) فأسرع واطلع المعز على هذه الاية وقال له اذا كان دين النصارى صحيحا فهو ذا جبل المقطم ينقلونه لنا فنعتبرهم والا فهم أهل للطرد من هذه البلاد لتخلوا مساكنهم للمسلمين .

فانخدع المعز بكلامه ورأى اذا كان كلام المسيح حقا فان جبل المقطم الذى يكتنف القاهرة اذا ابتعد عنها يكون مركز المدينة أعظم واذا لم يكن حقا فهناك فرصة مناسبة لسلب المسيحيين . ولذلك استدعى البابا ابرآم وخيره بين أمور ثلاثة اما نقل الجبل أو اعتناق الاسلام أو ترك البلاد . فوقع البابا فى حيرة ولكنه التمس منه ثلاثة ايام ثم رجع الى البطريركية واصدر منشورا عاما يأمر فيه جميع مسيحى مصر بالصوم ثلاثة ايام الى الغروب و باقامة الصلوات الحارة لسلامة الكنيسة

أما هو فانطلق الى كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة بمصر القديمة وانعكف فيها على الصوم والصلاة حتى شاهد فى نومه السيدة العذراء تشير اليه بان يخرج من باب الدرب الحديد الذى يقود للسوق الكبير فيجد هناك رجلا يحمل جرة ماء وهذا الرجل يعلمه ما ينبغى عمله . فلما استيقظ أطاع الرؤيا فوجد الرجل وأتى به الى الكنيسة وافضى اليه بالامر فاعتذر الرجل بضعفه ولكنه اذ رأى البطريرك يلح عليه هدأ روعه وأرشده الى الخطة التى يجب السير عليها

وفى صباح اليوم الثالث أخبر البطريرك الخليفة بانه عازم على نقل الجبل فسار الوالى الى خارج المدينة هو وجميع العظماء ولحقه البطريرك وأساقفته وكبار العلمانيين والرجل الساقى بملابسه الرثه . و بعد تقديم الاسرار الربية سجد البطريرك يتبعه الشعب ثم وقفوا وهم يصرخون قائلين « كيرياليصون » فحدثت زلزلة عظيمة ولاح الجبل للناظرين كأنه يتزحزح من مكانه و بعد ذلك ارتفع حتى ظهرت الشمس من تحته ثم عاد الى مكانه . وأخذ البطريرك فى السجود والهتاف « كيرياليصون » والجبل يسقط و يقوم معهم فى سجودهم وقيامهم والشمس تظهر فى اسفله حتى اكملوا ثلاث مرات . ففزع الخليفة ومن معه وعدا الى البطريرك على ظهر الجواد والتمس منه ان يكف عن عمله لئلا تنقلب المدينة

و بعد هذه الحادثة غدا البابا ابرآم محبوبا عند الخليفة وقيل ان المعز اقترح على البطريرك ان يطلب منه ما يشاء فطلب اليه البطريرك ان يعيد له موضع كنيسة القديس مركوريوس التى

تخربت واستولى عليها المسلمون مدة الاضطهاد السابق وان يسمح له بترميم كنيسة المعلقة بقصر الشمع وكان قد انهدم من سورها جزء عظيم فأمر الخليفة ان تعطى له كنيسة ابى سيفين فى الحال . وكتب أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود صاحب كتاب « الكنائس والاديرة » عن ذلك ما يأتى « ولما شرع البطر يرك فى اعادة بناء الكنيسة هاج عليه رعاع المسلمين واعترضوه بدعوى انها تخربت من زمان طويل ولم يبق منها سوى بعض جدران آيلة للسقوط قد جعلها المسلمون مخازن لقصب السكر ولكنهم كفوا عن المقاومة عندما علموا ان الذى أمر ببنائها هو الخليفة نفسه . وامر ايضا بصرف كل نفقات البناء من خزينة الحكومة فأخذ البطر يرك الدراهم وردها الى خزينة الحكومة والتمس من الخليفة أن يقبلها منه ثانية ولا يجبره على قبولها قائلا :

ان الذى نبنى له كنيسته قادر على ان يساعدنا حتى نتممها وهو غير محتاج الى مال العالم » فرضى الخليفة و بعد ذلك بمدة بدأ البطر يرك فى العمل فعاد الاشرار الى المقاومة واوقفوا البناء ولما وصل الخبر الى الخليفة أنفذ اليهم قوة عسكرية اخمدت هياجهم فواصل البطر يرك العمل بكل طمأنينة وقيل ان الخليفة نفسه وقف على جدار الاساس وامر البطر يرك ان يضع الحجر الاول ولما شرع فى البناء طرح شيخ مسلم نفسه فى الاساس قائلا « اما ان يمنع البناء او اموت فى سبيل الدين » فغضب الخليفة وهم برجمه لولا ان البطر يرك توسل اليه ان يسامحه ففعل وهو يتعجب من هذه الاخلاق السامية ثم تقدم المسيحيون الى البابا بمساعدة مالية فقبلها شاكرا وبمعونة الرب تم له ما كان يرجوه من اتمام الكنيسة وتشييدها » أهـ

ومن مآثر البابا آبرام انه أدخل فى الكنيسة القبطية فرض صوم نينوى الذى يصومه السريان وذلك انه لما حل اول الصوم الكبير صامت الكنيسة القبطية اسبوع هرقل فجاراهم البطر يرك اذ لم يره لائقا ان يكون فاطرا واولاده صائمين ولما جاء ميعاد صوم نينوى صامه فاقتدى به بنوه ومن ثم حافظت الكنيسة القبطية على هذه العادة ليومنا هذا . ثم الحق بصوم الميلاد ثلاثة ايام بعد ان كان يصام اربعين يوما فقط وهذه الثلاثة الايام هى التى صامها المسيحيون فى عهد هذا البطر يرك ليرفع عنهم الويل الذى كان مزمعا ان يحل بهم بسبب نقل جبل المقطم

ومن فضائل هذا البابا ايضا انه اجتهد فى مقاومة كل العوائد الذميمة التى كانت متفشية بين شعبه بسبب اختلاطهم بالغرباء . فألغى أمر بيع الرتب الكهنوتية والمناصب الكنسية التى اضطر للسير عليها بعض البطاركة للتخلص من الغرامات الفادحة التى فرضها عليهم الولاة وجعل رسامة القسوس وتقليد الوظائف الدينية من اعماله الخصوصية ويحصل على ذلك شيئا معلوما من الشعب . ومن اعظم اصلاحاته التى قام بها بكل غيرة محاربة عادة التسرى التى انتشرت بين الاقباط انتشارا هائلا شوش حالتهم الداخلية ولا سيما الموظفين منهم فى مصالح الحكومة وذلك بينما كانوا متمتعين بالراحة والرفاهية فى ظل الدولة الفاطمية متقلدين المناصب الرفيعة ولهم الكلمة النافذة فى دواوين الحكومة ناسين الاتعاب والمصائب التى كانت تتوالى عليهم فكثر تهافتهم على

السراری فكان الواحد منهم يجلب الى بيته عددا منهن بدون عقد شرعى مما ينافى روح الدين المسيحى . ولم يجدوا من يعارضهم أو ينكرها عليهم لاهتمام البطاركة بجمع الغرامات المضروبة عليهم

فقام البابا ابرآم وانكر عليهم هذه العادة وطلب منهم ان يقلعوا عنها واذ كانت قد تأصلت فيهم واعتادوا عليها وألفوها ومضى على اتباعهم اياها زمن طويل لم يسهل عليهم التنازل عنها مرة واحدة فلم يلق منهم سوى الاباء والمقاومة وعدم الرضوخ وكان اشد المقاومين له رجل مشهور بالغنى ونفوذ الكلمة يدعى أبا السرور وهو من الحاصلين على المناصب العالية فى الحكومة وكانت لديه عدة سراری وحظيات فاعترض عليه البطريرك فى ذلك وعنفه كثيراً ولما لم يرتدع أصدر عليه حرمانا من الكنيسة فما كان من هذا الغشوم الا ان سعى فى موته فدس له السم وراح البطريرك شهيد الواجب ولم يتم على الكرسى سوى ثلاث سنين وستة أيام ورقد فى الرب فى ٦ كيهك سنة ٦٩١ ش و٩٧٩م

(٧) فيلوثاؤس — البطريرك :

وخلف البابا ابرآم فى شهر طوبه من تلك السنة فى عهد عبد العزيز بن المعز الراهب فيلوثاؤس من دير أبى سيفين وقيل انه من دير أبى مقار . وهذا البطريرك مع انه لم يعارض الامة فى عادة التسرى التى كان يستقبحها سلفه الا انه كان مبغوضا . وقد ذكر التاريخ عنه أمورا مذمومة فلم يكن يهتم بغير صالح شخصه وارخى العنان للملاذ الجسدية ومحبة الاكل والشرب وتدخير المال ولذلك لم يكن أحد يرتقى الى درجة الاسقفية فى عهده الا بعد دفع جعل عظيم

وتلقى هذا البطريرك فى أيامه رسالة من بلاد الحبشة بعد الانقطاع الطويل الذى كان بين الكنيستين فيه يطلب ملكها بواسطة جرجس ملك النوبة من البطريرك ان يهتم بانقاذ الحبشة من التعاسة الدينية التى وصلت اليها بسبب عدم رسامة مطارنة لها واعترف فى خطابه ان ما حل ببلاده هو قصاص عادل لما أقترفوه ضد الكنيسة القبطية فأسرع البطريرك ورسم الراهب دانيال من دير ابى سيفين اسقفا للحبشة وسار اليها فاستقبله ملكها الشاب الشرعى الذى كانت قد اغتصبت الملك منه امرأة فأجلسه المطران على عرش أجداده وحرم المرأة المغتصبة فأنزلها الشعب عن الكرسى وحكموا بأعدامها

وطالت مدة هذا البطريرك فاستمر ٢٤ سنة على كرسى البطريركية لم يقع فيها اى ضيم على الكنيسة و بينا كان قائما مرة بخدمة القداس سقط فجأة فاقد الرشد فحل محله أحد القسوس وتمم القداس وفى النهاية حملوه للبطريركية حيث أسلم الروح فى ١٢ هاتور سنة ٧١٦ ش و١٠٠٤م

* * *

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) ابو المكارم
(٢) الانبا ساويرس اسقف الاشمونين
(٣) قزمان ابن مينا

(١) ابو المكارم :

هو سعد الله بن جرجس بن مسعود كان من أفاضل القبط ومؤرخيهم وضع سنة ٩٢٥ كتابا فى تاريخ الاديرة والكنائس القبطية عثرعلى جزء منه راهب كاثوليكى يدعى فانسليب أتى مصر فى القرن السابع عشر واشتراه بثلاثة قروش وطبع بعد موته وهويباع اليوم بمائة وخمسين قرشا وينسب الى أبى صالح الارمنى خطأ لان أسمه وجد مكتوبا عليه و يظهر انه ناسخ الكتاب او مقتنيه ووجد المرحوم الايغومانوس فيلوثاؤس ابراهيم رئيس الكنيسة المرقسية بالقاهرة لقية هذا الكتاب وادرك ذلك البحاثة جرجس أفندى فيلوثاوس عوض ولكن ليس بين كتاب الاقباط من له همة كافية ليقوم بطبعه ونشره كاملا .

(٢) الانبا ساويرس أسقف الاشمونين :

الاشمونين كانت مدينة زاهرة ومشهورة عند القبط القدماء . وكان يعبد فيها أنوبيس وهرمس وغيرهما . وظلت شهرتها ممتدة الى العصر المسيحى وكانت بها الى زمن قريب تماثيل قديمة وكنائس كثيرة لانها كانت مركزا لاسقفية ومن أشهر اساقفتها الانبا ساويرس المذكور. كان عالما فاضلا وهو اول من اعتنى بجمع تاريخ البطاركة السالفين جمعه من السجلات المكتوبة باللغتين القبطية واليونانية المحفوظة بدير أبى مقار ودير نهيا ونقله الى اللغة العربية مظهرا أسفه لأنصراف بعض موظفى القبط فى ذلك العهد عن لغتهم القبطية الى اللغة العربية وأتمه وهوفى سن الثمانين وقد اضاف الانبا ميخائيل اسقف تانيس (١) على هذا الكتاب تاريخ البطاركة لغاية سنة ١٢٤٣م .

---

(١) تانيس أو تنيس هى مدينة صان بمديرية الشرقية بقرب بحيرة المنزلة فى الشمال الغربى للصالحية وذكرت هذه المدينة فى التوارة باسم صوعن (عد ١٣ : ٢٢) و يقال ان موسى النبى صنع عجائبه فيها

وللانبا ساو يرس جملة مؤلفات تدل على تمكنه من العلم والمعرفة وضعها باللغة العربية التى ترجم اليها ايضا كثيرا من المؤلفات القبطية واليونانية لفائدة ابناء جلدته الاقباط ولاسيا سكان الفسطاط والقاهرة الذين كانوا قد هجروا بالكلية لغتهم القبطية بسبب اشتغالهم بالدواوين كما ذكر. وقد عد صاحب كتاب « الخريدة النفيسة » اثنى عشر مؤلفا لهذا الحبر الفاضل جميعها باللغة العربية وهى :

(١) التوحيد (٢) الاتحاد الباهر رد به على اليهود
(٣) الشرح والتفصيل رد به على النساطرة
(٤) مبادىء الدين كتبه للوزير قزمان بن مينا
(٥) نظم الجوهر (٦) المجلس (٧) طب الغم وشفاء الحزن
(٨) الجامع (٩) تفسير دستور الايمان
(١٠) كتاب فند به مزاعم سعيد بن بطريق بطريرك الملكيين
(١١) الايضاح . و يظهر أن البابا وين نغلوه ببعض مدعياتهم
(١٢) ترتيب الكهنوت

هذا غير ما لم يقف له على خبر. وقد ترجم « تاريخ البطاركة » الذى اعتمدنا عليه كثيرا فى كتابنا هذا الى كثير من اللغات الاوروبية وكذا « تاريخ الجامع » وغيرهما ومما يؤسف له أن نرى أنفسنا أقل غيرة على آثار آبائنا من الغير. فالغربيون يعنون بها و يبحثون عنها بحثا دقيقا ويحفظونها فى مكاتبهم و يترجمون النافع منها الى لغاتهم وأما نحن فان لم تصلنا منهم فلا نقف لها على أثر.

(٣) قزمان بن مينا :

كان من كبار رجال حكومة المعز لدين الله . وكان فى الوزارة وقتئذ يعقوب بن كلس اليهودى المار ذكره فخشى أن يأول ميل الخليفة الى قزمان الى حلوله فى منصبه واتفق أن خلا منصب ولاية فلسطين التى كانت تابعة لمصر وفكر الخليفة فى رجل أمين يوليه هذا المنصب فأشار عليه يعقوب بأن يختار له قزمان بالنسبة لطهارة ذمته وحسن تدبيره وهكذا تمكن من أن يبعد منافسه عن مصر. وحدث بعد ذلك أن رجلا من بغداد يدعى هفتكين هجم على الشام وهزم الجيوش المصرية التى كان يقودها جوهر واستولى على قسم عظيم منها وأحس قزمان بعظم الخطر فجمع كل ما كان للولاية من المال والنفائس وخبأه فى دير و بعد أن تم الصلح بين الجوهر وهفتكين أخذ يعقوب يوغر صدر الخليفة على قزمان و يصفه بالخيانة واغتيال أموال الولاية ليحمل الخليفة على قتله ولم يرض الخليفة بالصلح الذى عقده جوهر فقام بنفسه الى الشام وحارب هفتكين وفاز به وعندئذ تقدم اليه أبو اليمن ومعه أموال الولاية وسلمه اياها فشكر له حسن امانته وأقره فى منصبه

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(١) الدولة الاخشيدية
(٢) حكم الفاطميين . الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز
(٣) تنصر الواضح بن رجا

(١) الدولة الاخشيدية

و بعد انقراض الدولة الطولونية قامت هذه الدولة مكانها فحكمت مصر باسم الدولة العباسية مدة أربع وثلاثين سنة من سنة ٩٣٤ — ٩٦٨ م ومحمد الاخشيد رأس هذه الدولة لما رأى احتياجه للمال لينفقه فى الحروب زاد الضرائب المطلوبة من الاقباط . ونشأ عن ارتباك الحكم فى البلاد مجاعة فادحة يقول المؤرخون نشأ عنها زوال ابروشيات كثيرة برمتها واضمحلالها لان أقباطها ماتوا من الجوع ولم يبق منهم واحد

(٢) حكم الفاطميين — الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز سنة ٩٦٩ م :

و بعد انقراض الدولة الاخشيدية آل الحكم فى مصر الى الدولة الفاطمية وأول خلفائها المعز لدين الله . وفيما مضى أغار ملوك مصر مرات متوالية على الممالك المسيحية فى السودان وحاولوا اكراه أهلها على اعتناق الدين الاسلامى ولكنهم لم يفلحوا حتى ان جوهر قائد جيش المعز أرسل وفدا الى جرجس ملك النوبة يدعوه الى الاسلام فرد عليه بكتاب يقول فيه « بعد السلام والتحيات . ندعوكم الى اعتناق الدين المسيحى » و بعد ذلك انتهت المخابرات وعاشت ممالك السودان المسيحية بأمن باقى هذا الجيل

وفى الوقت الذى احتل فيه الفاطميون مصر كان المسيحيون فى مصر يسكنون مدينة بابيليون (مصر القديمة) التى كانت معتبرة أقدم مدن القطر المصرى ورغما عما حل بالاقباط من المصائب كان عددهم حينئذ كما ذكر خمسة ملايين وكانوا هم أهل البلاد والمتسلطين فيها والذين بيدهم مقاليد الامور والاعمال على اختلاف أنواعها

وعزم جوهر القائد على بناء جامع يفوق كل الجوامع التى بنيت فى المدينة الجديدة التى بناها وسماها باسمه « القاهرة » فأخذ أغلب أعمدة هذا المسجد من الكنائس المسيحية . وحدث أن اسلام مدينة تانيس قد خرجوا على المعز واستقلوا بأنفسهم وساروا يعبثون فى الارض فسادا فنهبوا أغنياء النصارى وخطفوا البنات والنساء منهم وفضحوهن ولبثوا يرتكبون هذه الفظائع مدة

طويلة حتى اضطر قوم من النصارى يعرفون بأولاد قشلام أن يبعثوا برسائل سرية الى المعز يلتمسون منه أن يسعى فى انقاذهم فلبى دعواهم وأرسل جنودا أحاطوا بالعصاة وحاصروهم مدة ثلاثة أشهر والعصاة يجرون الفتك بالمسيحيين فاضطر هؤلاء الى عقد صلح معهم ودخل قائد جيش المعز ودعى العصاة اليه وأولم لهم وليمة عظيمة ولما طاب قلبهم بالخمر هجم عليهم وذبحهم عن آخرهم

(٣) تنصر الواضح بن رجا :

وقد روى المؤرخون انه فى أيام الخليفة المعز حدث أن أحد رجاله اعتنق الدين المسيحى ومن أمره انه كان يدعى الواضح بن رجا تعلم القرآن صغيرا ونشأ كارها للدين المسيحى كراهة زائدة . وفى ذات يوم كان مجتازا رأى قوما ملتفين حول شاب مسلم تنصر فسأل عن الخبر فقيل له انه قد حكم عليه بالموت حرقا وهو يساق الى المكان الذى أعدت فيه النار وهم يحاولون اقناعه بالرجوع الى دينه فتأسف الواضح عليه وأنشأ ينصحه ليجذبه الى الاعتراف بالدين الاسلامى و يقول له « كيف تعتنق دين الثلاثة الآلهة » فأجابه المسيحى « أنا اؤمن باله واحد وسيأتى عليك وقت فيه تؤمن مثلى وتتألم لاجل هذا الدين نظيرى »

فلما سمع الواضح قوله اغتاظ منه ورفسه برجليه وقال له « أيها الضال المختل هل أصير نصرانيا مثلك وكافرا نظيرك حاشا ثم حاشا » ثم تناوله الواقفون بأنواع الاهانات والرجل ساكن هادئ و بعد ذلك ساروا به الى موضع الاعدام والواضح معهم وشاهد المسيحى وهو يقدم عنقه للسياف بهدؤ ويحتمل العذاب بصبر و بعد قطع رأسه ألقى جسده للنار ولما انطفأت جاء قوم من المسيحين فوجدوا جسده سالما

فرجع الواضح من ساحة الاعدام وقد هاله ما رأى من ثبات المسيحى وأدهشه اقدامه على الموت بمثل تلك الشجاعة وقضى ليلته وهذه الافكار تتردد على خاطره وشعر بأسف فى قلبه على الاهانة التى أوقعها بذلك الشاب الوديع وخشى أن يقوده هذا الفكر الى اتمام نبوءة ذلك الشاب عنه فأراد التسلى بالذهاب الى الحج وفيما هو فى الطريق حلم أن أحد شيوخ الرهبان دعاه اليه ثلاث مرات وقال له « ان كنت ترغب فى خلاص نفسك فقم واتبعنى » فقص حلمه على رفاقه فأفهموه انه أضغاث أحلام

و بينما هو راجع من الحج ضل عن الطريق قبل وصوله القاهرة وتاه فى الصحراء عن القافلة وهجمت عليه جيوش الظلام وهو يرتعد خصوصا عندما سمع زئير الوحوش الضارية القريبة منه فاستغاث قائلا « اذا نجوت من هذا الخطر أعتبر نجاتى برهانا على صدق الدين المسيحى وأرغم على اعتناقه » ولم ينته من قوله حتى أقبل عليه فارس وطلب اليه أن يتبعه فسار خلفه حتى أوصله الى دير القديس مركوريوس (أبو سيفين) بمصر القديمة . ورفع الواضح عينه فاذا به فى كنيسة مسيحية فلم يعد يرتاب فى أن ما جرى معه كان بتدبير العناية الالهية لخلاصه بايمانه بالمسيح

ولما أصبح الصباح ورآه خادم الكنيسة جزع منه وخاله لصا ولكنه اذا رأى أثاث الكنيسة باقيا حسبه مجنونا ولكن الواضح طمأنه وسأله عن المكان الذى هو فيه فأخبره أنه فى كنيسة القديس مركوريوس وقص عليه خبر جهاد هذا القديس وأراه صورته فى الايقونه فاندهش الواضح عندما ألفاها تشبه تمام الشبه صورة الفارس الذى قاده الى تلك الكنيسة . فصمم على اعتناق الدين المسيحى واطلع خادم الكنيسة على سر يرته فخبأه الشماس فى مكان وأرسل اليه أحد الكهنة فحفظه فى الدير مدة وعمده سرا خوفا من الشر الذى يحيق بالكنيسة اذا شعر أحد أقاربه ودعى اسمه بولس

واتفق انه خرج ذات يوم الى خارج الكنيسة فشاهده أحد أصدقائه فاندهش وصار بين الشك واليقين لما أشيع عنه بأنه مات تائها فى طريق مكة ثم سار وأخبر أهله بذلك فتنكر اثنان من أخوته ووقفا أمام باب الكنيسة حتى خرج ولما تحققاه قبضا عليه وأتيا به الى أبيهما فلما شاهده بكى بدموع غزيرة ولعن شيخوخته وضرب بوجهه الى الأرض فأجابه الواضح « لماذا تبكى يا أبى اذا أحزنتك الثياب الرثة فان باطنى متجدد بالنعمة و بالقوة المسيحيتين » فاستخبر منه أبوه عما اذا كان قد ضل وصار مسيحيا فأجابه « انى لم أضل ولكنى اهتديت واسمى بولس » فازداد الشيخ بكاء وعويلا وهو يقول له « هل أردت أن تلطخ حياتى بالعار وتزرينى أمام عارفى ألتمس منك أن تمنع عنى هذا الخزى اكراما لشيخوختى برجوعك الى دينك الاول » فأجابه الواضح قائلا « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس من أحب أبا أو أما أو ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) هكذا قال السيد المسيح واعلم انى مسيحى وعلى اسم المسيح أموت » فهدده والده بالموت ان لم يرجع ولما رآه مصرا طرحه فى بالوعة ماء دون أكل وشرب مدة أسبوع كانت أمه فى أثنائه تتردد عليه من كثرة شفقتها وتلقى له بعض الطعام . ولما شاهد رجا ان أمه تكاد تقتل نفسها من شدة الحزن اتفق مع أولاده على اطلاق سبيله سرا فسار الى أديرة وادى النطرون ولبس شكل الرهبنة ولكن أحد الرهبان حسن له الرجوع الى وطنه بدعوى انه لا يستطيع أن يمجد الرب الا باعلانه ايمانه فى نفس وطنه . فأسرع الراهب بولس بالذهاب الى بلدته وهناك صرح علانية بأنه مسيحى فعرفه أهله وأتوا به الى منزلهم فلم يمد اليه أحد يد الأذى نظرا لمحبتهم له ولكنهم نصحوه كثيرا أن يعود لديانته الاولى فلما رأوا منه اصرارا زائدا سجنوه فى ذلك المكان المظلم مستودع القذارة مدة ستة أيام بدون طعام . وكان للواضح زوجة جميلة له منها ولد صغير فصارت تتردد عليه تلك المدة وتستعطفه ليرجع أشفاقا على ولده وهو لا يرد جوابا فأخرجه أبوه ودعاه الى الاقرار بالاسلامية فأبى فأراد أن ينتقم منه انتقاما هائلا فأمر كبير أولاده أن يأتى بزوجة الواضح و يزنى بها أمام عينيه ففعل وعينا الواضح تريان ومع ذلك لم تكن هذه التجربة المرة لتثنى عزمه بل ظل ثابتا فهدده أبوه بانتقام آخر قائلا له « ان لم ترجع عن ضلالك لاغرقن ابنك وأنت ترى » فأجابه الواضح « لا ريب انى أحب ابنى فلذة كبدى ولكن بلا شك أحب المسيح أكثر منه » فأخذه رجا من أمه ودفعه لقوم وأمرهم أن يجروا الواضح الى البحر و يغرقوا ابنه أمامه اذا هو لبث مصرا على ضلاله فساروا بهما ولما وصلوا الى

البحر أخذ أحدهم الولد وغطسه حتى رقبته ودعى أباه الى الارتداد فصاح الواضح بحرقة « أنت تعلم أيها المسيح مقدار محبة الوالد لولده ولكن لا تسمح بأن تكون هذه المحبة سببا للكفر بك ولهذا أقدم ابني باختياري ضحية لك كما قدم ابراهيم ابنه اسحق » ثم التفت نحو الرجل وقال « انى أفضل المسيح لا على ابنى فقط بل على كل ما يوجد فى الارض بأسرها » فترك الرجل الولد يغوص فى الماء وعاد بالواضح الى أبيه فسلمه للحاكم ليقتص منه فتوسلت زوجته الى الحاكم ليبقيه حيا فشفق عليها وأطلقه فانطلق الى أسقف الاشمونين ولبث معه مدة قصيرة و بعد ذلك مضى الى أقاصى السودان جنوبا و بنى كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل . ثم رجع الى مصر ليرسم كاهنا وعرض أمره على فيلوثاؤس البطريرك وكان كما ذكر عنه محبا للسيمونية فأبى أن يرسمه الا بعد دفع مبلغ من المال فحزن لهذا الامر والبطريرك يصر على طلبه حتى دفع المبلغ أحد أغنياء الاقباط ورسم بولس كاهنا . فبلغ أباه الخبر فاستعظمه واستأجر قوما من الاعراب ليفتكوا به ولكن بعض الاقباط أخطروه بما دبر ضده فهرب الى بلدة تدعى صدفا وأقام خادما فى كنيسة القديس تادرس فلما شعر به المسلمون هاجوا عليه يريدون قتله ولكنه مات قبل أن يتمكنوا منه . وعند موته هجم المسلمون على الكنيسة وسلبوها . وكان قد أوصى وكيل البطريركية بجثته خوفا من أن تعبث بها أيدى المسلمين فاحتفظ الوكيل بها وقص خبره على ميخائيل أسقف صان المؤرخ

القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) زكريا (٢) شنوده [٢]
(٣) خيروستوذولو (٤) كيرلس [٢]
(٥) ميخائيل [٢]

---

(١) زكريا — البطريرك الرابع والستون :

فى مبدأ هذا الجيل انعقد مجمع الاساقفة والكهنة والعلمانيين لانتخاب البطريرك وفى أثناء انعقاده كان ابراهيم بن بشر أحد تجار الاسكندرية المشهورين بالغنى والمعروفين لدى كبار المملكة قد مضى الى الملك فى القاهرة والتمس منه أن يكتب للمجمع كتابا يأمره فيه بانتخابه بطريركا . فكتب اليه وسار الى الاسكندرية وقبل أن يصل اليها كان المجمع قد وسم الاب زكريا فى شهر طوبه سنة ٧١٦ش و١٠٠٤م فى عهد الحاكم بأمر الله . وقيل أن ابراهيم المذكور كان معضدا من بعض أعيان الاسكندرية ولما رآه الاساقفة يحمل أمرا ملكيا خافوا لئلا يوقع بهم الحاكم وسعوا فى ترضية خاطره فرسموه قسا ثم قمصا ووعدوه بالاسقفية عند خلو أية ابروشية فطابت نفسه بذلك وقيل انه رسم فيما بعد أسقفا على مدينة ممفيس

أما الآب زكريا فأصله من الاسكندرية وتأدب منذ حداثته بالآداب المسيحية ونظرا لحسن سيرته رسموه قسا بكنيسة الملاك ميخائيل بالاسكندرية ولما رسم بطريركا سار فى خطة آبائه الاطهار وجعل همه التدقيق فى رسامة الاساقفة لكراهته عادة السيمونية (أى بيع الرتب نسبة الى سيمون الساحر الذى أراد أن يشترى موهبة الروح بدراهم) فكان شديد الوطأة على أولئك الذين كان يظن انهم ارتقوا بهذه الواسطة . وقد أقام عنده مجلس أساقفة لحل المشاكل الدينية وكان جلهم من أقربائه فلم يراعوا الامانة فى خدمتهم فكانوا يقبلون الرشوة من المتقاضين لتنفيذ مآربهم وقيل أن أحد جمع أكثر من ٢٠ ألف جنيه من هذا الطريق ونشأ عن هذا التصرف ضيق شديد للبطريرك سيأتى ذكره

فمن ذلك ان رجلا يدعى القس يوحنا كان كاهنا على قرية ابى نفر « بالجيزة » بلغ به الشوق لمنصب الاسقفية لدرجة انه سار الى البطريرك وطلب منه أن يتمم رسامته فقدم البطريرك طلب يوحنا الى مجمع الاساقفة فلم يره المجمع لائقا فرفض طلبه قيل لانه كان متزوجا . وكان للبطريرك ابن أخ يدعى ميخائيل أسقف سخا وهو محب للرشوة فطلب من القس يوحنا مالا يساعده

علـى بـلـوغ غـرضـه فـاعـتـذر يـوحـنـا ووعده بالوفاء بعد تعيينه فعمل ميخائيل على معاكسته الا أن البـطر يرك لم يقطع أمله بالمرة بل وعده بنيل مراده بعد حين . ولكن القس ألح عليه باجراء الرسامة حـالا وهـدده بأن يوقع به اذا أمتنع فازدرى به البطر يرك لوقاحته وطرده . فأضمر له القس الشر ولما كـانـت لـه كـلـمـة في دوائر الحكومة عزم على تقديم شكواه للخليفة . فشعر الكتاب الاقباط بذلك وخـافـوا أن تـأول تـلك الشكوى الى اضطهاد عنيف فأخذوا يلاطفون القس وكتبوا له تزكية منهم وخطابا للبطر يرك يطلبون منه تعيين يوحنا أسقفا

وكـان الـبـطـر يـرك غـائبا بوادى هبيب فقادت القس يوحنا الصدف الى الوقوع بين يدى عـدوه مـيـخـائيل فلما علم بأمره خشي أن يقابل البطر يرك فيرسمه وأسرع فى تسليمه لقوم من العرب وأمـرهـم بأن يلقوه فى بئر و يرجموه حتى يموت فأخذوه وفعلوا به كما أوصاهم ولحسن حظ يوحنا كان فى تلك البئر كهف فتوارى فيه ونجا من الخطر واذ ظن الاعراب انه مات تركوه

و بـلغ الخبر بعدئذ البطر يرك فغضب على ابن أخيه جدا وكانت مساوئه وميله لقبول الرشوة قـد ذاعـت وانتشرت فسخط عليه وأمر قوما ممن يثق بهم أن يذهبوا ويخرجوا الرجل فوجدوه حيا . فلما مـثـل أمامـه وعـده بـرسـامـتـه أسقفا عند خلو أية ابروشية وفيما بعد اضطر البطر يرك أن يخلف وعده ليوحنا بالنسبة لحكم مجمع الاساقفة ولما سمعه عن تصرف يوحنا المعيب فلما خلت أول ابروشية عين لها واحدا بدله وقيل ان ميخائيل ابن أخى البطر يرك هو الذى مازال به حتى رسم غير يوحنا

فـاغـتـاظ يوحنا من ذلك وعول على الانتقام من البطر يرك فكتب تقر يرا شائنا بحقه ورفعه الـى الحـاكـم بـأمـر الله وكـانـت عادة البطاركة الى هذا الزمن مكاتبة ملوك الحبشة والنوبة مباشرة فـوشـى الـقـس لـلـخـلـيـفـة ان البطر يرك يكاتب هؤلاء الملوك و يكشف لهم كل ما يجرى فى البلاد و يـعـرفـهـم سوء معاملة النصارى خلافا للعهود . فغضب الحاكم وأمر بالقبض على البطر يرك وعلى بعـض الاسـاقـفـة وألـقـاهم فى السجن ثلاثة شهور ثم طرح البطر يرك بعد ذلك للاسود هو وراهب يدعـى سوسـنـة الـنـوبـى فـلـم يـنـلهما منها ضرر بل تآنست بهما ومما ذكر أن أحد الاسود كان يأتى و يـنطرح تحت قدمى الراهب سوسنة و يلحسهما فعاقب الحاكم متولى أمر السباع وتوهم أن امتناعها نـاشـىء عن كثرة أكلها فأبقاها مدة بغير طعام ثم ذبح خروفا ولطخ بدمه أثواب البطر يرك والراهب وألـقـاهـا أمامها ففعلت كالاول فأعيدا الى الحبس واستمر الحاكم مدة تسع سنين يضطهد الاقباط والـبـطـر يـرك زكـر يـا فى أعماق السجون يهدده تارة بالحرق و يعده تارة بالهبات والعطايا اذا تدين بالاسلامية وحمل الاقباط على اعتناقها

غير أن الـبـطـر يـرك لبث ثابتا كالصخر أمام كل هذه الزوابع حتى مل منه الحاكم وتوسل الـيـه أحـد الامـراء أن يـشـفـق عليه فأتى بالبطر يرك ونفاه فى أحد الاديرة البعيدة فى بر ية شيهات

وأمره أن لا يخرج منه أبدا وأن لا يكاتب البطاركة ملوك النوبة والحبشة مباشرة والا يقبلوا منهم مكاتبات الا بعد عرضها عليه ومعرفة ما فيها وكذلك طلب من هؤلاء الملوك أن تكون المكاتبات منهم واليه مباشرة و بقى الامر هكذا مدة طويلة فكان اذا أتى الخليفة أو السلطان كتاب يقتضى الرد يطلب من البطر يرك أن يشرح له ما عليه نصارى مصر من الراحة والحرية فى الدين وعدم التعرض لهم فى عقائدهم ولو كانوا فى أشد عذاب و يوصيه خيرا بالمسلمين الذين تحت رعايته

وحدث ان راهبا يدعى بيمين تدين بالاسلامية وتزلف الى الحاكم ونال منه حظوة وتمكن من استصدار أمر برفع الاضطهاد عن الاقباط وعاد الى كنيسة أبى سيفين وزاره الخليفة فى تلك الكنيسة لمحبته له فسأله أن يأذن للمسيحيين فى العودة الى مدينة بابيليون فأجابه الى طلبه ورجع البطر يرك وأقام فى كنيسة أبى سيفين مع بعض الاساقفة والكهنة والراهب بيمين وزار الخليفة الكنيسة مرة أخرى فعرفه بيمين بالبطر يرك فاندهش من حقارة ملابسه وعدم تهيبه وسأل عن مقدار نفوذه فأجابه انه بحالته البسيطة هذه يستطيع أن يخضع الناس له برسالة يوقع عليها باسم الصليب أكثر من خضوعهم لجيوشك الجرارة

فأدار الخليفة وجهه وخرج من الكنيسة وهم لا يدرون على ما عزم أن يفعل بهم ولبثوا فى الكنيسة ينتظرون الهلاك المريع وزادهم رعبا حضور القس يوحنا كاهن أبى نفرعلة كل المحن الى الكنيسة فى ذلك الوقت وتقدم الى البطر يرك وهنأه برجوعه سالما وعاد يطلب منه القديم فأغتاظ الاساقفة من هذه الدناءة وعابوا على البطر يرك مقابلته يوحنا بالحنو وقالوا له لسنا ندرى الى أية مهواة تريد أن تقودنا ببساطتك . وكان أشدهم مقاومة ليوحنا واظهارا الغيظ منه ميخائيل ابن أخى البطر يرك فخاف منه يوحنا واحتمى ببعض الواقفين فأقنعوا ميخائيل بضرورة الصفح عنه فصفح ورفعوا يوحنا الى رتبة الايغومانوسية وهى أعلى درجة يستحقها بصفة كونه متزوجا

و بعد بضع ساعات ضجت الكنيسة كلها لسماعها نبأ رجوع الخليفة اليهم وارتفعت جميع الاصوات بالبكاء والعويل حتى شاهدوا الخليفة بالعيان يدخل الكنيسة بحاشيته فكادت الباءبهم تطير واذا بالحاكم يسلم البطر يرك فرمانا باباحة الحرية للاقباط ورد جميع ما سلب منهم فتغيرت لهجة حزنهم بلهجة الشكر لله على هذه النعمة الجزيلة ثم تفرغ البابا زكريا لترميم ما تهدم من كنائس بدون كلل مدة ١٢ سنة فجدد منها الكثير وساعده على ذلك فرمان الحاكم بأمر الله

والتاريخ يمدح البابا زكريا و يصفه بالتقوى الزائدة حتى استحق أن تجرى على يديه آيات وعجائب بقوة الله ومن ذلك أن شماسا اختلف مع امرأته وتركها فجر به الشيطان بارتكاب خطية الزنا مع خنثى ولانه أحد خدام بيعة الله انتقم منه عاجلا بأن ضربه بالبرص . ولما مضى الى بيته رأته امرأته على تلك الحال فقدمت عليه شكوى للبطر يرك فاستحضره لديه وفرض عليه قانونا بأن

يصوم أربعين يوما الى المساء و يأكل و يشرب فقط ما يسد الرمق والسغب و بعد انقضاء هذه المدة منحه الحل والغفران ومسحه بزيت فنال الشفاء العاجل

واستمر البابا زكريا بطريركا مدة ٢٧ سنة قضى منها منفيا مدة تسع سنين ببرية شيهات و بنى في عهده دير شهران (١) المعروف الآن بدير العريان بناه الراهب بيمين بأمر الحاكم . وكانت نياحة البابا زكريا فى ١٣ هاتور سنة ٧٤٥ ش و ١٠٣٢ م

(٢) شنوده ٢ — البطريرك الخامس والستون :
و بعد وفاة البابا زكريا انتخب مجمع الاساقفة والشعب راهبا يسمى شنوده من دير أبى مقار وأصله من طنان وقيل تلبانه وكانت العادة أن الخليفة لا يصرح بتقليد البطريرك الا اذا أورد مبلغا مقداره ٦٠٠٠ دينار نقدا أو يكتب به صكا ليدفعه في ميعاد معين وكان بين الاقباط رجل مسموع الكلمة يسمى ابن بكر فسعى لدى الخليفة فأصدر أمرا برفع هذه الغرامة وأذن برسامة الاب شنوده بطريركا فرسم في شهر كيهك سنة ٧٤٥ ش و١٠٣٢ م فى عهد خلافة الظاهر بن الحاكم

وفى وقت ترشيح شنوده اشترط عليه اكليروس الاسكندرية أن ينفق على كنائسهم كل سنة ٥٠٠ دينار واشترط عليه أعيان الطائفة أن يرفض قبول أية رشوة لاسيما ممن يروم أن ينال درجة كهنوتية . ولكن هذا البطريرك لم يكد يستقر به المنصب حتى أظهر من محبته للمال ما أوجب اعتراض أهم أبناء أمته عنه لاسيما ابن بكر الذى نصحه بالسير فى طريق الاعتدال فأهانه وتجاوز عهده ولم يكن يسمح برتبة الاسقفية أو القسوسية الا لمن يجزل له الرشوة . و يقال ان الايغومانوس يوحنا الذى طالب بالاسقفية في عهد البابا زكريا ولم ينلها رأى الفرصة مناسبة للحصول عليها فقدم للبطريرك ما جعله أهلا للاسقفية على ابروشية العريش وصار يدفع ستين دينارا سنويا لحصوله على أمنيته . و باع البطريرك أسقفية بانفيوس للاسقف روفائيل بألف ومائتى دينار وأسقفية ليكو بوليس « أسيوط » بمبلغ فادح . غير أن شعب ليكو بوليس رفض قبول هذا الايغومانوس أسقفا عليه لعلمه بنواله الرتبة بالسيمونية فطلب من البطريرك اما أن يقنع الشعب أو يعطيه ما دفعه فرفض اجابة الطلبين

وأصدر هذا البطريرك قرارا يقضى بأن تكون جميع مقتنيات الاساقفة ملكا للبطريركية بعد وفاتهم وكان أول من نفذ فيه هذا القرار أسقف شنان فأمر أخاه أن يسلم كل ما كان لاخيه الى البطريركية فالتمس منه أن يترك له ولو شيئا يسيرا يعيش منه فلم يقبل فاعتنق الرجل الديانة الاسلامية ورفع دعواه للمحاكم الشرعية التى حكمت له بأحقية امتلاك جميع مقتنيات أخيه . غير

---

(١) اسم البلدة التى كان بها الدير وكانت عامرة آهلة وقد خربت وتلاشت كغيرها وفى موقعها الان قرية تسمى المعصرة .

ان هذا القرار أي تحويل مقتنيات الاساقفة الى البطر يركية بعد وفاتهم صار نافذ المفعول وعمل به لغاية يومنا هذا

وفى السنة الثانية من رئاسة هذا البطر يرك أظهر رفضه لدفع الاعانة التى قررها للاسكندر ين واعتذر بعدم كفاية ايراد البطر يركية لمصروفاته فرفع عليه اكليروس الاسكندر ية دعوى فى مجمع انعقد بالقاهرة حضره ابن بكر ولما طال الجدال بين البطر يرك والاسكندر ين تعهد ابن بكر هو ووجهاء الطائفة بدفع هذه الاعانة اذا أقلع البطر يرك والاساقفة عن بيع الرتب الكهنوتية فقبل التوقيع على صورة قرار بهذا الشكل . وكان بعض الاساقفة قد أخذوا أموالا من بعض العلمانيين ليكرسوهم كهنة فرفضوا التوقيع معتبر ين عملهم شر يفا . فتقدم اليهم ابن بكر ونصحهم بالعدول عن هذا التصرف الوخيم فأظهر البطر يرك ارتياحه لكلامه وطلب منه القرار ليعيد قراءته على مسمع الاساقفة فأعطاه اياه ابن بكر مطمئنا ولكنه اندهش اذ رآه ممزقا بين يديه وانتهى المجمع على هذه الحالة المحزنة

غير ان الاساقفة الذين أثر فيهم كلام ابن بكر اجتمعوا فى كنيسة أبى سيفين وأظهروا رضاءهم على قراره واتفقوا على السير بموجبه . فتحزب البطر يرك ولبث فى كنيسة الملاك ميخائيل ثم توجه فى اليوم التالى الى كنيسة أبى سيفين وتقابل مع الاساقفة وابن بكر وأخذ فى مناقشتهم حتى قبل أخيرا أن يمضى ذلك القرار ولكنه اذ رأى ابن بكر يتداخل فى شئونه المالية رجع الى عناده وعمل على اهانته وقضى بقية حياته مبغوضا حتى أدركته المنية فى ١٢ هاتور سنة ٧٦١ ش و١٠٤٧ م بعد أن قضى بطر يركا ١٤ سنة و٧ أشهر و١٥ يوما

(٣) خيروستوذولو — البطر يرك السادس والستون :

كان راهبا بصومعة سنجار و يلقب بالحبيس وأصله من بلدة بورا وتمت رسامته فى شهر كيهك سنة ٧٦١ ش و١٠٤٧ م فى عهد خلافة المستنصر بن الحاكم فلما استقر به المنصب قام من مدينة الاسكندر ية الى مصر واتخذ كنيسة المعلقة بظاهر الفسطاط مقرا له ولم يكتف بكنيسة المعلقة بل جدد كنيسة القديس مركور يوس وجعلها كاتدرائية كبرى ومركزا لكرسيه وجعل كنيسة العذرا فى حى الاروام مقرا له يأوى اليه عند اللزوم ورضى أسقف بابيليون بذلك . والذى دعاه الى ذلك انتقال عظمة مدينة الاسكندرية الى مدينة القاهرة وكثرة ما فى هذه من المسيحيين وعلاقة وظيفته بالحكومة ومن ذلك الحين صار يعين أسقف للاسكندر ية بلقب وكيل الكرازة المرقسية

وكان أول من سعى فى ايصال الاذى لهذا البابا رجل كان بين كتاب الدولة يسمى يوحنا بن الظالم أحب الاسقفية وسعى لدى البطر يرك ومازال به حتى أجاب طلبه وولاه أسقفية سخا . و يظهر ان مطامعه لم تقف عند هذا الحد وكان هذا سبب نزاع حدث بينه و بين البطر يرك عقب

انتقاله لمصر فضم اليه بعض الاساقفة منهم خائيل أسقف قطور وايليا أسقف طمويه وجرجس أسقف الخندق ومرقس أسقف البلينا وميخائيل أسقف تنيس وتحالفوا مع جمهور من الشعب على عزل البطريرك وادعوا بأن رسامته غير قانونية لان الفصول المختصة بسيامة البطاركة لم تقرأ عليه. ولكن كان فى بلاط الخليفة رجل يسمى أبا زكريا يحيى بن مقاره وهو شيخ فاضل مسموع الكلمة فتلافى الامر وتداخل بينهم وصالح البطريرك مع أسقف سخا وطيب خاطر الباقين وصرفهم الى مراكزهم وبهذا انتهت على أحسن حال. وبعد ذلك حدث انقسام بين مجمع الاساقفة بسبب اثنين منهما تشاحنا على حدود ابروشيتيهما ولم ينته الخلاف ويحل السلام الا بعد تعب شديد

ومن أعمال هذا البابا انه اهتم باصلاح ما تخرب من الكنائس وحدث انه فى يوم واحد دشن خمس كنائس قام بتشييدها أعيان الطائفة بأسماء القديسين يوحنا الانجيلى ومركوريوس ومينا وجرجس وروفائيل. ورسم فى ذلك اليوم كاهنا وستين شماسا وكان الفرح شاملا والسرور عاما

ثم وجه نظره نحو الخلل الذى ساد على الكنيسة فى أيام سلفه الذى لم يكن يهتم باتمام طقوس الكنيسة كما هى وكان ذوو النفوذ يتداخلون فى قلب نظامها حتى فترت الغيرة الدينية وأقبل الكثيرون على اعتناق الديانة الاسلامية فجال البابا خيروستوذولو فى جميع أنحاء القطر المصرى يتفقد أحوال الكنائس و يتبين شئونها فبنى كنائس كثيرة حتى وصل الى دمنهور فشيد بها بيعة فخمة واتخذها مقرا لكرسيه فزادت قيمتها ووفد عليها الكثيرون من الاقباط وذلك لان بعدها عن مركز الحكومة منع وصول الاضطهاد اليها

وأول تهمة وجهت اليه من المسلمين انه استعمل سلطانه على جرجس ملك النوبة للضرر بمصالح المسلمين وألزمه بان يقطع العلاقات التجارية معهم ويمتنع عن ارسال الجزية المعتادة من الرقيق. وكان البطريرك قد أوفد أسقفا من قبله الى ملك النوبة ليدشن كنيسة بنيت فى عهده ولما أحضر البابا ليجيب عن هذه التهمة أخذ يقنع يازورى وزير الخليفة فى مصر بأن مصالحه ببلاد الحبشة لا تتعلق مطلقا بالمسائل السياسية بل بمسائل خاصة بالديانة فسلم الوزير بصحة كلامه ولبث البطريرك هو وقومه مدة متمتعين بالراحة الكاملة

وفيما بعد قام لمقاومته عبد الوهاب أبو الحسين أحد قضاة القاهرة الذى انتقل الى دمنهور وهناك واجه البطريرك وكان يتوهم ان البطريرك سيهبه شيئا فلما خاب أمله استخدم كراهة الوزير للبطريرك للانتقام منه فوشى به انه سلب أموال كثيرين ظلما و بنى بها عشرين كنيسة وفى دمنهور شيد كنيسة عظيمة وقصرا شاهقا نقش عليه البسملة المسيحية واتهمه بأنه يحتقر الاسلام واذ كان الوزير يتوقع فرصة لاضطهاد النصارى استعظم هذه التهمة وأرسل بعجلة من يهدم تلك الكنائس التى بتلك الجهة وناصره على اتمام هذا الامر أبو الفرج البابلى من كبار المملكة وكان حينئذ

وكيلا على الوجه البحرى وألزم البطريرك أن يمحو البسملة المنقوشة على باب قصره فلم يمانع فى ذلك لكنه قال « ان محوها من على السور لا يمحوها عن صفحات قلبى »

ثم قبض على البطريرك و بعض أساقفة الوجه البحرى واعتقلوا وأرسلوا الى القاهرة مدعين عليهم بدعاو باطلة لا أصل لها . أما الخليفة فانه رغما عن تمويهات الوزير لم يجد عليهم ما يوجب هذه الاهانة فأخلى سبيلهم وطيب خاطرهم وصرفهم الى أماكنهم فشق هذا على الوزير ولشدة غيظه أمر بقفل جميع الكنائس المسيحية فى القطر المصرى فثار الشعب القبطى و بلغ الخبر للخليفة الذى تلافى الامر بالقبض على هذا الوزير المستبد ونفاه الى جهة تنيس بأقصى الوجه البحرى و بعد ذلك قتله لما رآه يسعى فى تهييج المسلمين على النصارى

ولم يكد البطريرك يستريح قليلا حتى جرى عليه اضطهاد آخر عندما حاول أن يفتح الكنائس فتعينت ضريبة باهظة على أقباط الاسكندرية دفعوها مقابل تسليم البطريرك مفاتيح كنيسة واحدة لاقامة العبادة فيها وتركوا له بيت انيانوس البطريرك الثانى وذكر كاترمير المؤرخ نقلا عن كتاب مخطوط ان رأس يوحنا المعمدان التى كانت محفوظة الى ذلك الوقت بالاسكندرية خبأها الاقباط خوفا من وقوعها فى يد المسلمين

وعاد المسلمون ثانية وألقوا القبض على البطريرك ووجدوا فى خزينته تسعة آلاف دينار نهبوها واقتسموها ثم أطلقوا سراحه بتوسط ذوى النفوذ من موظفى الاقباط وكانت العادة أن يزور البطاركة أديرة وادى النطرون ففى أحد السنين بينما كان البابا خيروستوذولو بوادى النطرون هجم اتباع ناصر الدولة زعيم الترك على الاديرة واضطهدوا الرهبان وذبحوا كثيرين منهم وأخذوا البطريرك أسيرا معهم وأوسعوه اهانة وتعذيبا ولكن الله نجاه بواسطة رجل قبطى يدعى أبا الطيب كان رئيس كتبة ناصر الدولة فتوسل الى مولاه أن يطلقه ففعل اكراما لخاطره ودفع أبو الطيب فدية له مبلغ ثلاثة آلاف دينار

وأصيبت البلاد فيما بعد بجوع شديد مات بسببه ميخائيل أسقف تنيس وكان جرجس ملك النوبة قد ارسل رجلا يقال له بامون ليرسمه البطريرك مطرانا لبلاده فرسمه واوصاه ان يخبر الملك بالحالة السيئة التى بات فيها الاقباط فشفق عليهم ملك النوبة وارسل لهم زادا وافرا غير ان جنود ناصر الدولة اعترضوا رسل ملك النوبة عند وصولهم الى حدود مصر وارجعوهم بالمؤونة خائبين الى ملكهم

وفيما بعد قبض على زمام الولاية فى مصر بدر الدين الجمالى فوشى له أحد المسلمين بأن فكتور مطران النوبة أمر بهدم جامع للمسلمين هناك فغضب لذلك وأمر بالقاء القبض على البطريرك وألقى عليه تبعة ذلك العمل ولكن البطريرك برهن له على فساد التهمة فاطلقه وأخلى

سبيله . وهرب احد العصاة من وجه بدر الجمالي الى بلاد النوبة فكلف البطريرك بان يبعث اسقفا من قبله الى ملك النوبة يطلب منه تسليم ذلك الثائر فأجاب البطريرك طلبه وعين لذلك اسقفا يدعى مركوريوس سار مع مندوبين من قبل بدر و بلغوا الطلب لملك النوبة فقبض على ذلك الرجل وسلمه اليهم فجاؤا به الى القاهرة .

ووشى مرة أخرى الى بدر بان كيرلس مطران الحبشة الذى كان يدعى قبلا اينا عبدون يغرر بمسلمي الحبشة الضعيفي الايمان و يدعوهم الى شرب الخمر عند تناول الطعام فقبض بدر على البابا خيروستوذولو بصفته رئيسا لذلك المطران ليعاقبه عوضا عنه ولحسن الحظ لم يكن كيرلس المذكور قد سيم مطرانا بعد فدفع المطران عنه هذه التهمة وصرح بانه لم يرسم بعد وانه سيرسل له الانبا مركوريوس لتتميم رسامته و ينصحه بان يكف عما يعمل ان كان ما شاع حقا فاقتنع بدر الدين واطلقه ولكن غيظ ولاة المسلمين من البطريرك كان يزداد يوما فيوما خصوصا لما رأوه من نفوذه على بلاد الحبشة فكانوا يفضون المراسلات المتبادلة بين الفريقين و يردونها الى جهاتها مفضوضة أو يمزقونها حسبما يترأى لهم

أما البابا خيروستوذولو فصرف باقي حياته في وضع قوانين كنسية نافعة لشفاء داء الخلل الذى كان عاما وقتئذ وجعل هذه القوانين سارية المفعول فى كل كنائس القطر المصرى وكان عددها ٢١ قانونا حرم فى بعضها على الارثوذكس من رجال ونساء التزوج بالاجانب وغير الارثوذكس . وكانت العادة ان يصنع القربان المقدس خاليا من الزيوت والادهان ولكن اهالى سوريا كانوا يضعون الزيوت فى قرابينهم فانكر عليهم البابا خيروستوذولو ذلك واتفق انه كان يقدس مرة فى كنيسة ابى سيفين بحضور طبيب سورى له اتصال بالخليفة فاحضر قربانا مما يصنع فى بلاده وطلب من البطريرك ان يصلى عليه فافهمه ان ذلك مغاير لقوانين الكنيسة فأصر الطبيب على طلبه حتى أمر البطريرك رجال الكنيسة أن يخرجوه رغما فعمل هذا الطبيب على القاء بذور العداء بين البطريرك والخليفة

وبعد ان قضى هذا البطريرك مدة تسع وعشرين سنة وثمانية شهور و١٩ يوما على الكرسى البطريركى رقد فى الرب فى ٢٤ كيهك سنة ٧٩٢ ش و١٠٧٨ م ودفن بكنيسة المعلقة ببابيليون ثم نقلوا رفاته الى وادى النطرون

(٤) كيرلس ٢ — البطريرك السابع والستون :

كان حبيسا بصومعة سنجار واسمه جرجس وهو من اهل اقلاقه بحيره انتخب للبطريركية فى ٢٢ برمهات سنة ٧٩٢ ش و١٠٧٨ م فى عهد خلافة المستنصر بقرار مجمع انعقد فى الدار البطريركية مؤلف من الاساقفة وكبار الشعب . وقوبل انتخابه بالارتياح فى جميع دوائر الحكومة

حتى ان عقلاء المسلمين طلبوا اليه ان يبارك قصر الخليفة فباركه باحتفال عظيم وتفاءل الاقباط به خيرا

وعقب رسامته بقليل تنازل سلمون ملك النوبة عن الملك لابن أخته المدعو جرجس وآثر العزلة والانفراد فى دير نفر يوس الواقع فى البرية بين حدود مصر والنوبة ملازما الصلاة والعبادة فحاصره أهل أسوان طمعا فى ضم الدير الى مصر وأخذوه أسيرا وأتوا به الى أمير الجيوش بدر الجمالى فقابله البطريرك وكبار الاقباط باحتفال عظيم ولقى من أمير الجيوش اكراما زائدا وخصص له قصرا لاقامته فيه وبقى به فى مصر حتى توفىَ بعد ذلك بقليل ودفن بالاكرام بدير الخندق المعروف الآن بدير انبا رويس خارج القاهرة

وفى أثناء اقامة سلمون بمصر تحقق بالعيان ما كان بين القبط والنوبيين من الرابطة الدينية وتبادل البطريرك معه الزيارات واحتفى به وجهاء الطائفة وكان وجوده بينهم هذه المدة سببا فى رفع شأنهم عند أكابر الدولة وعظمائها لاسيما عند أمير الجيوش الذى لما شاهد علامات الاخاء بين الاقباط والنوبيين والحبش رغب فى عقد معاهدة مع ملوك هاتين الامتين لتسهيل طرق التجارة وامتدادها بين الديار المصرية وتلك البلاد فكاشف عظماء الامة القبطية وعقلاءهم بما يكنه فى صدره وطلب منهم بذل الجهد فى مساعدته فلبوا طلبه وشرعوا فى فتح باب المخابرات مع ملوك الحبشة والنوبة بواسطة البطريرك وهكذا تم الاتفاق على ما يروم امير الجيوش الذى أنعم على البطريرك بمال يستعين به على اصلاح الاديرة والكنائس المتخربة

وجرى بعد ذلك ان شخصا اسمه كيرلس انطلق الى بلاد الحبشة وادعى انه مطرانها وتسلط على كنائسها ولما بلغ أمره الى البابا كيرلس حزن وقصد ان يقيم غيره اسقفا شرعيا يدعى ساويرس ويرسله اليها فقاومه أمير الجيوش وأبى ان يرخص له بسفر المطران الا اذا وعده بان يبنى فى الحبشة خمسة مساجد وان يرسل له المطران كل سنة هدية فلم يسع البطريرك الا الرضوخ وسار ساويرس الى الحبشة فهرب من وجهه كيرلس الى بلدة (دهلك) من بلاد الحكومة المصرية وبلغ أمره أمير الجيوش فاستقدمه اليه وأخذ كل ثروته وقتله ولاقى المطران ساويرس متاعب جمة لاسيما عندما شرع يبذل مجهوده فى اصلاح الكنيسة الحبشية ومقاومة العادات الفاسدة الشائعة بينها وكان جل الامراء يأخذون جملة من الجاريات فوق الزوجة الشرعية فقصد المطران ان يستأصل شأفة هذه العادة ولكن مساعيه لم تأت بفائدة تذكر لانهم كانوا يدعون انهم باقون على شريعة موسى فى أمر تعدد الزوجات واعتقدوا ان ذلك ليس محرماً الا على القسوس والشمامسة فقط مع اعترافهم بان ذلك مخالف لروح المسيح

وحدث فيما بعد ان ساويرس أرسل اخاه الى امير الجيوش بهدية لم تصادف منه قبولا لحقارتها فاشتد غيظه وأتى بالبطريرك مع عشرة اساقفة وأخذ يعنفه بشدة على تقصيره فى القيام بما

وعد به فشرع البطريرك يدافع عن نفسه فقاطعه وتوعده واساقفته ان لم يكلفوا اثنين منهم بالسفر الى الحبشة ليلزما مطرانها بوفاء وعده وان يرسل ضريبة ٥٠ سنة سلفا وان يحذر الحبش من التربص لتجار الاسلام فى الدروب وأمر ان يبقى البطريرك والاساقفة تحت تصرفه وان يدفع كل منهم اربعة دنانير يوميا نفقة اعالة حتى يرجع المطرانان اللذان يرسلان الى الحبشة ولكنه فيما بعد عدل عن هذا الرأى واكتفى بتدوين أسمائهم وجعلهم تحت مراقبة الجنود وأطلق سراحهم فاقاموا فى كنيسة المعلقة واتفقوا على أن يرسلوا الانبا مرقس اسقف أوسيم والانبا تادرس اسقف سنجار واحاطوا امير الجيوش بما دبروه

ولكن هذا الامر لم ينفذ بتدبير الهى وذلك ان باسيل ملك النوبة ارسل ابن الملك المتوفى الى أمير الجيوش بهدايا فاخرة طالبا منه أن يكلف البطريرك بتكريسه مطرانا على النوبة وخشى امير الجيوش ان يظهر سخطه على البطريرك امام ابن ملك النوبة فسمح له ان يمثل امامه هو واخو ساويرس المطران فدفع البطريرك عن نفسه وأخبره أخو المطران ان أخاه بنى سبعة جوامع بدل اربعة ولكن الحبش هاجوا عليه واتهموه بالتحيز للمسلمين وقاموا على الجوامع وهدموها وقصدوا الفتك بالمطران حتى اضطر الى الهروب ولم يخلصه من ايديهم الا الملك الذى امر بسجنه حينئذ

ولما شعر ابن ملك النوبة بحرج حالة البطريرك والاساقفة طلب من أمير الجيوش اطلاق سراحهم فقبل وامر البطريرك بارسال الاسقفين الى الحبشة لاعادة بناء الجوامع المتهدمة فسافر الاسقفان واخبرا ملك الحبشة بالامر وأخبراه أن جميع كنائس القطر المصرى تحت خطر الانهدام ان لم تسرع ببناء الجوامع فاستشاط الملك غيظا وارسل يقول لبدر « ان تجاسرت ومددت يدك بسوء الى كنيسة واحدة فاعلم انى اقلب مكة رأسا على عقب ولا ارضى باعادة بناء حجر واحد الا اذا اخذت وزنه ذهبا »

غير ان بدر الجمالى هذا على رأى اكثر المؤرخين لم يكن مسلما بل مسيحيا وانما اظهر التحيز للاسلامية حبا فى بقاء سلطانه مرفوع الشأن . وقد تجلت أخلاقه الطيبة فى الحادثة التى نذكرها وهى ان الاسقف يوحنا الظالم الذى سبق واضطهد البابا خيروستوذولو بقى مصرا على تشويش راحة الامة فصار يترقب فرصة لاظهار ما كان يخفيه فى صدره فلما تقلد البابا كيرلس الرئاسة اتحد مع اربعة أساقفة وهم أخوه مرقس أسقف سمنود و يوحنا أسقف دميرة وخائيل أسقف أبى صير ومقارة أسقف القيس ومعهم الشماس أبو غالب أحد أعيان مصر المشهورين وتواطأوا على عزل البطريرك فكتبوا تقريرا بالطعن فى حقه مدعين عليه بدعاو توجب عزله وقدموها لبدر الدين الجمالى بواسطة يسيب رئيس بستانه وكان قبطيا . وكان البطريرك متغيبا حينئذ فى الاقاليم يزور الكنائس و يفتقد الرعية و يدشن البيع التى بنيت حديثا

فلما اطلع أمير الجيوش على التقرير رأى انه ليس من شأنه أن يحكم فى أمر مثل هذا من

تلقاء نفسه بمجرد أقوالهم فأمر البطر يرك بعقد مجمع من أساقفة الوجهين القبلي والبحرى وكبار الامة يرأسه أمير الجيوش ليبحثوا فى الامور المنسوبة اليه على البطريرك ليعرف عما اذا كانت صحيحة أو غير صحيحة فحرر البطر يرك كشفا بأسماء الاساقفة الذين يطلبون لحضور الاجتماع فحضر فى مدة قصيرة ٢٧ أسقفا من الوجه البحرى و ٢٢ من الوجه القبلي و ٣ أساقفة بابيليون والخندق والجيزة

ولما تكامل عدد الحضور انعقد المجمع تحت رئاسة أمير الجيوش فى قطعة أرض له خارج القاهرة . ثم وضع الكتاب المقدس فى الوسط وجلس أساقفة الوجه البحرى على الكراسى فى صف وأساقفة الوجه القبلي على الكراسى فى صف وأساقفة مصر وضواحيها فى وصف وجلس المشتكون وأصحاب الدعوى معا . و بعد الصلاة قدم ابن الظالم تقريره الذى يتهم فيه البطريرك بتهم شنيعة فقام البابا كيرلس وفند كل تهمة تفنيدا لا يدع مجالا لمدع فاقتنع الجميع وعلى رأسهم أمير الجيوش ببراءة البطريرك ولذلك وقف أمير الجيوش فى وسط المجمع وو بخ الاساقفة على هذا التنابذ قائلا لهم « كان يجدر بكم أن تكونوا أنتم المثال فى المسامحة حتى يقتدى بكم الشعب الذى ترشدونه ثم حث الاساقفة على الخضوع لرئيسهم والاخلاص له وطلب منهم أن يطلبوا منه العفو فتصافح الجميع أمامه وكلف أحد رجاله بأن يسلمهم أوراق العفو. ثم أمر بقطع رأس عامل بستانه الذى سعى بالشر ضد بطريركه فخجل الاساقفة من تأنيب الجمالى لهم ورجعوا الى كنيسة ابى سيفين وأخذوا يتضرعون الى الله ليغفر لهم خطاياهم و بعد أسبوع كلفوا البطريرك بأن يقيم لهم صلاة القداس وتناولوا من بين يديه القربان المقدس

ولما كان بدر الدين الجمالى أمير الجيوش أرمنى الاصل تكاثر عدد الارمن المهاجرين الى القطر المصرى حتى انتخبوا لهم بطريركا يدعى غريغورى ولما كان الارمن تابعين للكنيسة القبطية فى اعتقادها بالطبيعة الواحدة فقام البابا كيرلس برسامة غريغورى بطريرك الارمن وحرر منشورا لكافة الكنائس يخبرها فيه أن كنائس مصر والحبشة وانطاكية وارمينية متحدة فى الايمان الارثوذكسى المستقيم

و بعد ذلك اشتغل البابا كيرلس بوضع قوانين جديدة للكنيسة سارت عليها الى ما بعد وفاته بزمن . واهتم أيضا باصلاح الكنائس وافتقاد الفقراء . وكانت اللغة القبطية تتضاءل شيئا فشيئا وتحل محلها اللغة العربية حتى رأى البطريرك نفسه مضطرا الى تعلمها . و يقول المؤرخون ان البابا كيرلس هو أول من عمل الكسوة البطريركية من ديباج أزرق و بلارية من ديباج أحمر مزدانة بصور من ذهب . و بعد أن قضى ١٤ سنة و٦ شهور و١٦ يوما قد رقد بالرب فى ١٢ بؤونة سنة ٨٠٦ ش و١٠٩٢ م

(٥)ميخائيل ٢ ــ البطر يرك الثامن والستون :

رسم بعد وفاة البابا كيرلس الثانى بأربعة شهور وأربعة أيام وأصله من بلدة سخا وكان حبيسا بصومعة سنجار وقبل رسامته اشترط عليه الاساقفة :

(١) أن يحرم السيمونية

(٢) أن يتعهد بدفع مرتب وكيل الكرازة المرقسية بالاسكندرية

(٣) أن يتنازل عن الكنائس التى أتخذها لنفسه البابا خيروستوذولو من كرسى مصر وهى كنائس المعلقة وأبى سيفين والعذرا بحارة الروم ومن كرسى أوسيم والجيزة كنيسة الملاك ميخائيل ومن كرسى طمويه دير الشمع ودير الفخار . وكتبت هذه الشروط فى أربع نسخ أمضاها البطريرك وحفظت واحدة عنده والثانيه عند شنوده أسقف مصر والثالثة عند يوحنا أسقف سخا والرابعة عند أسقف الاسكندرية وقيل ان البطريرك عندما أمضى الشروط وعدهم بالنظر فى سائر مطاليبهم لاسيا راتب أسقف الاسكندرية الذى يتعذر عليه القيام به

وهذه الكلمات قالها البطريرك كمقدمة لعزمه على نكث هذه الشروط ولهذا لما جاءه أسقف مصر وطلب منه أن يتنازل له عن الكنائس التى ذكرت فى الشروط أنكر عليه ذلك وقال انه رفض هذه الشروط عند توليته . وكان البطريرك قد تحصل على نسختين من الشروط المأخوذة عليه وهما نسختا أسقفى الاسكندرية وسخا . وكانت نسخة أسقف مصر معه فأشهرها أمام البطريرك وقال له « أنا بيدى الحجة عليك » فحاول أن يأخذها منه فأبى أن يعطيها له فغضب عليه ومنعه من مباشرة خدمة الكهنوت وأمر كهنة مصر أن لا يذكروا اسمه فى أثناء الصلاة فاضطر الاسقف للهروب واختفى فى دير القلمون بالفيوم . فقامت قيامة الشعب فى مصر واعتصبوا ضد البطريرك وقصدوا خلعه بالقوة ان لم يرد أسقفهم لمركزه لرغبتهم واستدعى الاسقف ولاطفه ورده الى مقره

ولم يلبثا متسالمين مدة حتى قام بينهما النفور مرة أخرى فأراد البطريرك أن يتخلص منه فدعا أساقفة مصر وعقد مجمعا وادعى عليه أمامه انه قدس فى أيام البابا كيرلس مرتين فى يوم واحد مخالفة للقوانين فأقر المجمع على وجوب قطعه ودعاه ليسمع صوت الحكم فأبى الحضور وهرب واختبأ فى منزل مختف ببابيليون و بعد انصراف المجمع وضع البطريرك يديه على كنيستى شنوده ببابيليون اللتين قام عليهما النزاع

وقام البابا ميخائيل بعد ذلك بخدمة جليلة للقطر المصرى وذلك انه لما تولى المستنصر بالله لم يرتفع النيل أعواما متوالية فتعطل الزرع وقلت المحصولات وكثر الغلاء حتى بلغ ثمن الاردب الواحد من القمح مبلغا عظيما واذ علم المستنصر بأن مصدر زيادة النيل من بلاد الحبش دعا اليه البطريرك و بعثه اليها بهدية سنية برسم النجاشى ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن سبب قدومه

فأعلمه بما حل بمصر وأهلها من الضنك والجوع بسبب نقص زيادة النيل وانه أتى ليستعين به على ايجاد طريقة لمنع هذه الغوائل عن البلاد وأهلها . وقدم له هدية الخليفة فأمر الملك بفتح سد فى احدى الجهات التابعة له فجرت المياه منه الى أن وصلت مصر وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت الاراضى فزال الغلا وفى أثناء اقامة البطريرك بتلك الاصقاع بذل جهده فى تمكين عرى الود بين الخليفة وملك الاحباش فكانت هذه خدمة أخرى قام بتأديتها للمستنصر ونال بذلك رضاه وممنونيته فأحسن اليه و بالغ فى اكرامة والبابا ميخائيل هو أول بطريرك مصرى زار بلاد الحبش بعد خضوعها دينيا للكنيسة القبطية

وفى سنة ١١٠٢ م توفى مطران الحبشة فأرسل ملكها وفدا للبطريرك يطلب منه أن يرسم لهم آخر عوضه فرسم البطريرك راهبا يدعى جرجس مطرانا وسافر مع الوفد الى بلاد الحبشة ولكنه بوصوله فيها واستلامه دار المطرانية أظهر الميل لجمع الاموال فغضب عليه الاحباش والزمه الملك برد كل ما جمعه ثم أعيد الى مصر وطرح بأمر الوزير الافضل فى أعماق السجون

وقصد البابا ميخائيل أن يقيم أسقفا لمصر خلافا لاسقفها المقطوع فحالت دون قصده المنية وذلك ان الوزير الافضل رجع من الحرب الى مصر فخرج البطريرك لتهنئته فلم يكد يعود الى الدار البطريركية حتى أصيب بطاعون وتوفى فى ثانى يوم فى ٣٠ بشنس سنة ٨١٦ش و١١٠٢م و بعد أن استمر على الكرسى الحبرية تسع سنين و٧ شهور و١٩ يوما

القسم الثانى
مشاهير الكـنيسة

(١) المعلم سرور جلال (٢) أبو اليمن يوسف
(٣) أبو سعد منصور (٤) أبو المليح
(٥) بقيرة الرشيدى

---

(١) المعلم سرور جـلال :

كـان ضـامنا ملتزما فى أيام الخليفة المستنصر فتمكن من أن يحصل على ثروة طائلة واشتهر بالـعقـل والـفـطنة وحسن التدبير وأحبه الخليفة وقربه اليه ونال ثقته فكان يجيبه الى كل ما يطلب وكـان الخليفة يكلفه سنويا باعداد كل ما يلزمه لراحته فم الخليج لحضور مهرجان كسر السد (فتح الخلـيـج) فـكان يقوم بما يحتاجه وجيوشه من الطعام الفاخر فيسر منه الخليفة ويخلع عليه . ومع ذلك كـان المعـلـم سـرور وديعا متواضعا يعمل الخير لجميع الناس بدون تمييز بين مسلم ومسيحى فقصده كل مـن لـه حـاجة عند الخليفة فكان يسأله فى أمرهم فلا يرد له طلبا حتى أجمع الكل على محبته . وقيل ان الخليفة أرسله فى مهمة فمات فجأة فى الطريق و يقال انه مات بدون أن يخلف نسلا

(٢)أبو اليمن يوسف بن مكـرواه بن زنبور الشهير بأمين الامناء :

وكان أمينا على خزائن الخليفة ثم تولى نظارة الريف بالوجه البحرى وقد أحسن كثيرا الى أبنـاء جنـسه فابتنى ديرا عظيما فى أحسن مكان وهو الدير الشهير بدير أبى سيفين بطمويه ببر الجيزة وغـرس حـولـه بـساتين واسـعة كانت فى أيامه من أبهج المتنزهات حتى ان الافضل الوزير ابن بدر الجـمـالـى كـان يـقضى فيها أغلب أوقاته متنزها . وأبو اليمن أصل عائلة كبيرة عظم أمرها واشتهرت بـالـغـنـى وسعة الحال وآخر أعضائها ابن القيس ابن زنبور الذى أسلم فى أيام دولة المماليك وسمى بعلم الدين

(٣) أبو سعد منصور :

هو ابـن أبـى اليمـن المـذكـور كان كاتبا بليغا و بطلا شجاعا تولى الوزارة فى أيام المستنصر ولـكـنـه تخلـى عنها عـنـدما طالبهم الجند الاتراك بمرتباتهم ولم يكن فى الخزينة ما يسد مطالبهم ولما اعـتـصـب كـبيرهـم نـاصر الدولة على الخليفة قام لردعه أبو سعد على رأس العساكر المواليه فقاتله وهزمه

(٤) أبو المليح الشهير بمماتى :

كان فى خلافة المستنصر ووزارة بدر الجمالى أمير الجيوش واشتهر بالغنى وسعة الحال وعمل الخير والاحسان وسبب تسميته مماتى انه لما اشتد الغلاء بمصر كان يجود بما عنده على المحتاجين وكان أولاد المسلمين اذا رأوه صاحوا خلفه قائلين « مماتى » فكان يشفق عليهم ويهبهم غلالا لدفع جوعهم . وهو جد أسعد بن مهذب بن زكريا الذى اسلم فى وزارة شيركو يه فى ايام العاضد

(٥) بقيرة الرشيدى . الشهير بابن بقر :

كان من العاملين فى الامة وحدثت فى أيامه مجاعة أظهر فيه عطفا زائدا على المنكوبين فكان يطوف الاحياء التى يقطنها العمال والفقراء مفتقدا أحوالهم محسنا اليهم وكان يقضى لياليه فى ز يارة المرضى ومؤاساة المحبوسين

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) الحاكم بأمر الله　　(٢) المستنصر　　(٣) الحروب الصليبية

---

(١) الحاكم بأمر الله سنة ٩٩٦ م :

ظهر فى أيامه مسلم متمذهب يدعى ضرار سن شرائع كثيرة منها تعظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعياد والتعويض عن الحج بمكة بز يارة مقام طالب باليمن وأباح الزيجة بين الاخ وأخته والآب و بناته والام وأبنائها فارتاح الحاكم لهذه الديانة الجديدة . و يظن انه كان معتوها اذ كان يصعد كل صباح منفردا الى جبل المقطم حيث ادعى انه يناجى الله كما كان يفعل موسى . و بعد أن كان أشد نصير للديانة الاسلامية نادى جهارا بمقاومتها واقامة ديانته الجديدة مكانها فاحتقرته الرعية ولم تعد تعبأ بمدعياته فعاد الى نصرة الاسلام واضطهاد النصارى

قيل ان السبب الذى هيجه على المسيحيين هو انه فى اثناء ادعائه الالوهية وضع دفاتر فى مراكز الحكومة الاربعة وهى القاهرة ومصر القديمة والفسطاط و بابيليون لتسجيل أسماء الذين يعتنقون آراءه الباطلة ستة عشر الف نفس لم يكن بينهم مسيحى واحد فنقم على النصارى وأمر بحرق مدينتهم بابيليون فحرقت وسلبت أمتعتها ونهى عن بيع الز بيب حتى لا يتيسر للاقباط اتمام

السر المقدس وهجم على بيوت التجار وجمع ما كان موجودا منه وأحرقه بالنار وكان فى الجيزة كروم كثيرة فأرسل اليها أعوانه فقطعوها وخربوها عن آخرها.

وكان النصارى فى عهد الحاكم قد تقدموا حتى صاروا كالوزارء وتعاظموا لا تساع أحوالهم وكثرة أموالهم فتزايد غيظ المسلمين منهم . وكان من رجال حكومة الخليفة المعز لدين الله نصرانى يسمى عيسى بن بسطوروس لبث فى خدمة الحكومة الى ان مات العزيز وتولى الخلافة بعده ابنه الحاكم فعزله ثم قبض عليه وقتله وكان لبرجوان وزير الحاكم نصرانى آخر يسمى فهد بن ابراهيم يعرفه الحاكم حق المعرفة لانه كان يدخل اليه مع سيده برجوان و يقف بحضرة الخليفة و يعرض عليه الرقاع و يشرح له المسائل و يتلقى أوامره عن كل واحدة منها و يكتب ما يأمر به فيوقع عليه . ولما قتل برجوان دعى الحاكم فهد بن ابراهيم وسكن روعه وأمنه على حياته ومنحه لقب رئيس ودعى أبا العلاء وصار يترقى فى الوظائف والرتب العالية حتى أحرز لقب وزير ولكنه فيما بعد كان فهد أول من جار عليه الحاكم من النصارى وذلك ان مناظرا له وشى به اليه بأنه يقوى نفوذ النصارى و يساعدهم على سلب مال الدواوين بتفويض أمر الاموال والدواوين اليهم فحمى غضب الحاكم على فهد ولم تمض أيام حتى قبض عليه وضرب عنقه بعد أن استمر فى الرئاسة خمس سنوات وتسعة اشهر واثنى عشر يوما

وقبض الحاكم أيضا على قبطى آخر يدعى المعلم غبريال بن نجاح ووعده بمنصب الوزارة اذا هو أسلم فاستمهله يوما واحدا وذهب الى أهله وودعهم وحثهم على الثبات واحتمال الشدائد والاضطهادات المقبلة ومضى الى الخليفة وجاهر أمامه بأنه لا يترك دينه اكراما لمنصب دنياوى فأمر بضربه ألف سوط فمات قبل الضربة الثمانمائة ولكنهم استمروا يضربونه وهو مائت حتى أتموا الالف . وبعد ذلك قبض على ثمانية آخرين وهددوا فثبت منهم أربعة وأسلم الآخرون فرارا من العذاب . ومات أحد الاربعة الذين ثبتوا وأرسل الثلاثة الباقون الى السجن حتى يغيروا رأيهم واستمروا فى السجن حتى انتهى الاضطهاد

وقال المقريزى يصف قساوة الحاكم وتجبره « وتشدد على النصارى والزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار فى أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عاداتهم فعله فى أعيادهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وأدخله فى الديوان وكتب الى اعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التى بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح ما فيها للناس فانتهبوا منها ما يجل وصفه وهدم دير القصير وأنهب العامة ما فيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطىء النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التى زنة كل صليب منها خمسة أرطال فى اعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة

بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس فى القاهرة ومصر وأمر أن لا يركب أحد من المكارية ذميا ولا يحمل نوتى منهم أحدا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وأن يعلق اليهود فى أعناقهم خشبا مدورا زنة الخشبة منها خمسة أرطال وهى ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ فى هدم الكنائس كلها وأباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهبا واقطاعا فهدمت بأسرها ونهب جميع امتعتها وأقطع أحباسها و بنى فى مواضعها المساجد وأذن بالصلاة فى كنيسة شنوده بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة فى قصر الشمع وأكثر الناس فى رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع عليها باجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات و باعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أوانى الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا فى أحباسها ووجد بكنيسة شنوده مال جليل ووجد فى المعلقه من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعم الهدم فيها من سنة ثلاث وار بعمائة حتى ذكر من يوثق به فى ذلك ان الذى هدم الى آخر سنة خمس وار بعمائة بمصر والشام وأعمالها من الهياكل التى بناها الروم نيف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلة على مبان عجيبة والزم النصارى أن تكون الصلبان فى أعناقهم اذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون فى اعناقهم الاجراس ثم الزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفى وفى هذه الحوداث اسلم كثير من النصارى » أهـ

واستمر اضطهاد الحاكم ٩ سنين كانت الثلاث الاخيرة منها أشد هولا اذ أمر بابطال العبادة فى جميع الكنائس الا فى الاديرة الكائنة بالجبال فكان الشعب يرشون حكام الاقاليم ليسمحوا لهم بممارسة شعائر العبادة فى البيوت سرا ومن ثم صار الاقباط يقدسون و يتناولون الافخارستيا سرا . فهال الحاكم عدم تنفيذ أمره بالدقة فأصدر قرارا بمحو الديانة المسيحية من كل مملكته . وضيق على القسوس وقتل منهم عددا عظيما وهرب كثير منهم الى الاديرة البعيدة فتتبعهم وقتلهم . وأكره كثيرين من النصارى على الاسلام فأسلم منهم عدد عظيم ولكن كثيرين جاهروا بالايمان ولم يخشوا بطش الخليفة منهم الشماس بقيرة أحد رؤساء كتاب الديوان فهذا استعفى من خدمته وحمل الانجيل على صدره وسار به الى السراى واعترف قدام الخليفة بالمسيح فقيده وطرحه مع جماعة فى السجن ثم عفا عنهم وأنالهم الحرية فجالوا يثبتون اخوتهم على الايمان

واستمر الحاكم يفتك بالاقباط فتكا ذريعا حتى أتاح لهم الحظ براهب يدعى بيمين كان قد أسلم فلما رأى ان كثيرين صرح لهم بالرجوع الى دينهم وقف فى طريق الحاكم هو وجماعة ممن أسلموا معه ولما مر بهم صرخوا قائلين « أيها الملك مرنا أن نعود الى ديننا أو اذبحنا فاننا لا نطيق أن نبقى مسلمين » فسمح لهم بذلك وكتب لهم مرسوما وأمر أن لا يتعرض لهم أحد بمكروه . ثم قرب

اليـه الـراهب المذكور وأعطاه اذنا ببناء دير خارج مصر على اسم الشهيد مركوريوس وهو المعروف بـديـر شـهران ودير العريان الآن فسكنه مع بعض الرهبان ومن محبة الحاكم لبيمين صار يتردد على هـذا الـديـر و يـأكـل و يـشـرب مـع الـرهـبـان و يـظـهـر استعداده لاجابة طلباتهم فطلبوا منه ارجاع بطر يركهم المنفى فأرجعه وسلمه أمرا بفتح الكنائس المغلقة التى أمر بهدمها واعادة ما نهب منها ورد أوقافها اليها كما كانت . و بعد قليل مات الحاكم وتولى الخلافة بعده ابنه الظاهر سنة ١٠٢١ م فأقر الاقبـاط فـى وظائفهم ومنحهم حرية العبادة بغير معارضة وأباح لهم الاحتفاء بعوائدهم والاحتفال بأعيادهم ومواسمهم

(٢)المنتصر با لله :

بـو يع الخلافة سنة ١٠٣٦ م . بعد الظاهر بن الحاكم وفي أيامه اعتنق بعض الاقباط الدين الاسـلامـى وحـدث أن أحـد كـبـار موظفى الاقباط كان له ولد عاص فطرده من بيته لخروجه عن طاعـتـه فـاعـتـنق الدين الاسلامى وكان خاله جرجس أسقف ميساره فوعظه كثيرا لكى يرجع الى ديـنـه فـلـم يرجع فحرمه من ميراث أبيه ولكنه بعد مدة ندم وعاد الى ديانته وترهب فى دير القديس ميخائيل باسم نيقام (أى التائب) وتراى له فيما بعد أن يكفر عن جحوده للمسيح باعلان ايمانه أمام الـذيـن كـانوا يعرفونه وقت اسلامه فانطلق الى القاهرة واجتمع بهم وهو بلباس الرهبنة فاغتاظوا منه وانهالوا عـلـيـه ضـربـا وألقوه فى السجن . فسعى والده لدى القاضى ودفع له رشوة ليفتى باخراجه فـأفتى القضى بامكانية خروجه اذا تظاهر بالجنون و يقر الاطباء عنه انه مجنون أمام شهود فأقنعه ابوه بضرورة اتباع تلك الطر يقة للتخلص من السجن فأطاعه وخرج أبوه ليدعو الاطباء

الا ان أحـد الرهبان تمكن من الوصول اليه فى السجن و و بخه على ما عزم عليه من اتباع الـطـر يـقـة المشينة لشرف المسيحية فعدل عما نواه ولما تقدم الاطباء ليفحصوه اعترف بايمانه بالثلاثة الاقـانيم فاغتاظ منه الشهود وقدموا عنه تقر يرا للقاضى فأمر بقطع رأسه فسيق الى مكان يدعى رأس الجسر والجماهير تتبعه بكثرة من مسلمين ومسيحيين وقبل اعدامه عرض عليه الضابط المكلف بذلك الاعـتـراف بـالاسلام و وعده بأن يهبه مقابل ذلك الحصان الذى كان راكبا اياه و يرفعه الخلفية الى أسمى الرتب فأجابه الشاب «لا تتعب نفسك مع من يتأكد ان كل مجد العالم لا يساوى شيئا يسيرا مـن مـلـكـوت الـسـموات الذى يرغب الحصول عليه » فتقدم اليه الجلاد وسيفه يلمع فى يده وهدده قـائـلا ان لم تنثن فهذا السيف الحاد يقطع حبل حياتك بعد ثوان فأجابه ان أية حديدة تنهى حياتى . وأراد أحـد المـؤمنين أن يغطى عينيه كى لا يجزع من رهبة الموت ولكن لم يتمكن من ذلك لان الجند مـنـعوه فناداه باللغة القبطية قائلا «تشجع يا جندى المسيح فان ملاكا أراه فوق رأسك و بيده اكليل جهادك » . ثم تحول الشاب الى ناحية الشرق وجثا على ركبتيه وصلى ومد عنقه للجلاد فأطاح عنه رأسـه وسـلـم جـسـده لاهله بناء على أمر الخليفة ودفن بجوار كنيسة الملاك ميخائل و بعد ذلك حضر البابا خيروستوذولو البطر يرك ودفنه فى الكنيسة بكل احترام

وكان للمستنصر وزير ضعيف الرأى سيء التدبير يسمى محمد اليازورى كان شديد الكراهة للمسيحيين عموما والاقباط خصوصا لميل الخليفة اليهم فكان يترقب فرصة للايقاع بهم فاتيحت له عندما أبلغه عدو لهم انهم شيدوا كنائس جديدة فأمر بهدمها و بقفل جميع الكنائس المسيحية فى القطر المصرى فثار المسيحيون وكادت تقع الفتنة لولا أن الخليفة قبض على ذلك الوزير ونفاه الى جهة تانيس بأقصى الوجه البحرى و بعد ذلك قتله لانه كان يهيج المسلمين عليه باشاعته عنه انه يمكن الاقباط من التراؤس على المسلمين . وذلك لان الخليفة كان يعرف جيدا أمانة الاقباط ونشاطهم فى عملهم فثبتهم فى وظائفهم رغم قيام المسلمين عليهم وطلبهم منه أن يخلعهم من وظائفهم . وحدث انه ارضاء لخاطرهم خلع مئات وعشرات من الاقباط ولكن الاعمال أرتبكت فالتمسوا منه أن يعيدهم الى وظائفهم فعادوا مبجلين

وأصدر المستنصر بعد ذلك أمرا قصد به ارضاء خواطر المسلمين يقضى بهدم كنائس الوجهين القبلى والبحرى وأنيط ذلك برجلين مسلمين أبو الفرج البابلى للوجه القبلى وكان المكلف بهدم الكنائس بالوجه البحرى يدعى ناصر الدولة وكان أكثر قساوة فتخربت كنائس دمنهور وأقفلت سائر كنائس الدلتا وفرض على الاقباط ضريبة سبعة آلاف دينار فى نظير صبره على ايصاد الكنائس ولكنه بينما كان جادا فى ذلك وقع عن جواده بغته فقتل لساعته وبموته كف الاضطهاد من الاقباط

أما أقباط الاسكندرية فكانوا فى حال أسعد لحسن أخلاق واليهم فانه لم يكد يتلقى أمر الخليفة بضرورة دفع الاقباط ستة آلاف دينار حتى اخطر الاكليروس به وطلب منهم أن يخفوا كل ما يوجد فى الكنائس من الامتعة الثمينة ولما جاءت جنود الوالى فى الصباح لسلب الكنيسة لم يجدوا فيها غير الحصر والستائر . وكتب للخليفة يعتذر عنهم بأنهم فقراء لا يقوون على دفع المبلغ واقترح عليه انقاصه الى ألف دينار فقط فقبل فجمع النصف من الاقباط والنصف الآخر من الاروام . وأخذ رجال الخليفة مفاتيح جميع الكنائس ولم يعط للبطريرك الا مفاتيح كنيسة واحدة . وقيل ان رأس يوحنا المعمدان كانت محفوظة عند الاقباط فخبأوها حينئذ خشية من أن تصل اليها أيدى الناهبين

وقرب نصف هذا الجيل جاء الى مصر عرب بنى هلال من بلاد نجد وكان عددهم عظيما جدا وبموجب أمر أميرهم حسن بن سرحان وقائديهم دياب بن غانم وسلامة بن رزق المشهور بأبى زيد عبروا النيل وأخربوا أكثر الاديرة وقتلوا رهبانا كثيرين . وأصيبت البلاد بجوع شديد وعقبه وباء مهلك فتضافرا على جلب الشقاء على السكان حتى ان أهالى مدينة تانيس هلكوا جميعا من الجوع بما فيهم ميخائيل أسقفهم ولم يبق منهم سوى مائة نفس.

ولما اشتد الحال طلب الاقباط من جرجس ملك النوبة أن يمدهم بما يفرج كربهم فأمدهم بمؤونة أرسلها مع رسل من قبله ولكن ناصر الدولة الوزير أرغمهم على العودة بما معهم من المؤونة .

وحدث أن امرأة قبطية كانت تملك عقدا يبلغ ثمنه الف دينار فاستبدلته بكيس دقيق . وخوفا من ان لا تصل به الى منزلها استأجرت قوما يحمونها بالسيوف حتى بيتها ولما صارت قريبة منه رآه الجائعون فهجموا عليها واختطفوا الكيس بين أيديهم وأخذ كل منهم ما تمكن من اختطافه ولم تتحصل المرأة الا على ما يكفى رغيف واحد فصعدت به على سور المدينة وصاحت بأن هذا الرغيف كلفني الف دينار . فوصل الخبر مسامع الخليفة فألزم التجار بصرف ما عندهم للجائعين فانصرف الكرب

واستوزر الخليفة المستنصر بدر الدين الجمالى الارمنى ليرد عنه غارات الاعداء وقيل ان بدر الدين هذا كان مسيحيا ومع انه كان يميل للمسيحيين الا انه لم يظهر ذلك الميل اليهم وروى أبو المكارم المؤرخ أنه مات مسيحيا لكونه دفن فى البساتين بحلوان بجوار الكنيسة الارمنية . ولما هدأت الاحوال كلف الاقباط بتنظيم الدواوين وتشكيلها على هيئة جديدة وعهد اليهم ضبط الحسابات وتحصيل الاموال فتحسنت الايرادات و بلغ مقدار ما جبى حينئذ ضعفى ما كان يجبى قبلا . ولما عاد المستنصر الى قوته اضطهد الاقباط كما اضطهدهم الحاكم وأمرهم بلبس الزنار الاسود وفرض الضرائب على أفرادهم وكاد يستمر فى طغيانه لولا خوفه من أن يغتاظ منه ملك الحبشة

(٣) الحروب الصليبية من سنة ١٠٩٧ م :

سميت كذلك بالنسبة للصلبان التى كان يعلقها عساكر الافرنج فى أعناقهم وعلى ثيابهم وكانوا يرومون بها انقاذ الاراضى المقدسة من يد المسلمين وسببها ان راهبا فرنسيا يدعى بطرس قصد الى مدينة القدس ليزورها كعادة المسيحيين فرأى فيها ما هاله وهو ان المدينة المقدسة استولى عليها الترك الذين كانوا قد نزعوا سوريا من يد الدولة الفاطمية واستقلوا بها وحكموها حكما جائرا وأخذوا فى اذلال ساكنيها من المسيحيين ومعاملة الزائرين منهم كل سنة أسوأ معاملة فعظم عليه الامر ورجع الى أوروبا وأوقف أسقف رومية على ما شاهد فحرك الاسقف ملوك الافرنج على محاربة المسلمين وانتزاع الاراضى المقدسة من أيديهم فاصغوا اليه ولبوا دعوته وقاموا من بلادهم يقودون الجيوش الجرارة وجرت بينهم و بين المسلمين معارك عظيمة أريقت فيها الدماء هدرا و بلا جدوى واستولى الافرنج على بلاد كثيرة من ضمنها القدس واستمرت معهم أكثر من تسعين سنة الى أن خلصها منهم صلاح الدين الايوبى سلطان مصر

القرن الثانى عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) مقار ٢	(٢) غبر يال ٢	(٣) ميخائيل ٣
(٤) يوحنا ٥	(٥) مرقس ٣	(٦) يوحنا ٦

(١) مقار ٢ — البطر يرك التاسع والستون :

بعد وفاة البابا ميخائيل ترشح اثنان للبطر يركية من رهبان دير أبى مقار ولم يتمكن الاساقفة من انتخاب أحدهما وذلك لان أحد المرشحين كان عمره أقل من الخمسين والقانون يحذر انتخاب بطر يرك ممن لم يبلغوا هذا السن و بعد مرور ستة أشهر على خلو البطر يركية قرر الاساقفة فى المجمع الاكليريكى الذى انعقد بالقاهرة انتخاب أحدهما المدعو مقار وتمت رسامته فى ١٣ هاتور سنة ٨١٧ ش و١١٠٢ م فى عهد خلافة الآمر بن المستعلى

غير أنه اعترض على انتخابه لانه كان من ثمرة ثانى زواج وشروط انتخاب البطاركة تقضى أن لا ينتخب البطر يرك الا إن كان ابن أمه من أول زوج و بعد التحقيق ظهر للاساقفة ان اباه تزوج مرتين لا أمه فوافقوا على تكر يسه

وقد حاول اكليروس الاسكندر ية أن يلزموه قبل رسامته بالتوقيع على تعهد بدفع مرتبات باهظة سنو ية . واذ كان هذا الاب غير راغب فى منصب البطر يركية امتنع بتة أن يقيد نفسه بأى شرط . ولما صمموا عليه وضايقوه فر منهم وانزوى فى أحد الاديرة ولكنهم اذ لم يجدوا من يصلح غيره أحضروه رغما وتنازل اكليروس الاسكندر ية عن غلوائهم وقبلوا أن يدفع لهم ٢٠٠ دينار كل سنة فقط

وعلى اثر رسامته دعاه الاساقفة الى رفع القربان فى كنيسة المعلقة فهاج رهبان دير أبى مقار لمخالفة ذلك لعادة سلفائه الذين كانوا يرفعون أول قربانهم فى ديرهم . وتنازعوا مع الاساقفة والاراخنة وألحوا طالبين عدم انقطاع عادة ديرهم فأجابوا طلبهم وأخذوا البطر يرك وانطلقوا به الى دير أبى مقار واحتفلوا به احتفالا عظيما

وفى عهد هذا البابا توفى الانبا شنوده أسقف مصر فطلب منه وجهاء الاقباط فى مصر

وفى مقدمتهم الشماس يوحنا بن صاعد أن يوسم لابروشيتهم أسقفا عوضه وكان البطر يرك غبر ميال لوجود أسقف خاص فى ابروشية مصر خوفا من مزاحمته اياه لان أسقف مصر كان يعادل البطر يرك فى المنزلة و يزاحمه على مراكزه ودخله فلم يجبهم اجابة تامة بل كان يعدهم من يوم لآخر حتى ادركوا أغراضه فتعصبوا ضده وأصروا على طلبهم حتى التزم رغما عنه أن يكمل مرغوبهم

واستمر هذا البابا على الكرسى المرقسى ٢٦ سنة و ٧ اشهر كانت كلها سلام وفرح ثم تنيح فى ٤ توت سنة ٨٤٤ش و١٢٢٩ م

(٢)غبر يال ٢ ــ البطر يرك السبعون :

فى آخر حياة البابا مقار كان فى ديوان الخليفة كاتبان أحدهما مسلم يسمى ابن أبى قيراط والآخر سامرى يدعى ابراهيم فوشيا للخليفة بأن الاقباط يأخذون أموال الكنائس ويمدون بها الافرنج سرا فغضب عليهم وأمر بأخذها الى بيت المال و بعد وفاة البابا مقار لم يجسر الاقباط على الاستئذان فى انتخاب غيره بسبب هذه التهمة التى غيرت خاطر الخليفة . وظلوا بدون بطر يرك الى أن قام الجند على هذين الكاتبين وقتلوهما شر قتلة فقام بعدهما رجل مسيحى من الملكيين يسمى أبا البركات يوحنا بن أبى الليث فطلب منه الكتاب الاقباط أن يستأذن لهم بأقامة بطر يرك من الوزير الافضل بن بدر الجمالى فأجاب طلبهم وصرح لهم أن يقدموا من يختارونه وكان بين الكتاب رجل بتول من مصر يسمى أبا العلاء بن تر يك فوقع اختيارهم عليه وكان سليل عائلة قبطية قديمة ثم اعتزل الخدمة فيما بعد وصار شماسا فى كنيسة أبى سيفين وكان الوزير قد طلب منه أن يستمر فى وظيفته ولم يرد ان يتركه لاستقامته ونزاهته فلما عرضوا اسمه عليه سمح واذن وكرس بالاسكندر ية وقدس بأديرة وادى هبيب فى ٩ أمشير سنة ٨٤٧ش و١١٣١ م فى عهد خلافة الحافظ بن محمد ودعى غبر يال ٢

وحدث أنه لما تلا الاعتراف زاد عليه عبارة لم تكن فيه قبلا وهى قوله (وصيره واحدا مع لاهوته) فاضطرب الرهبان لهذه الزيادة واحتجوا عليها فقال لهم البطر يرك بأن مجمع الاساقفة قد أمره بتلاوتها فرضوا بها بشرط أن يضاف اليها « بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة » خشية من الانسياق لهراطقة أوطاخى فعمل برأيهم وأصدر منشورا لعموم الكنائس يعلمها بذلك

وتوفى فى عهده بطر يرك الارمن فطلبوا اليه أن يرسم لهم أسقف اطفيح بطر يركا وتاج الدولة أسقفا فامتنع فى بادىء الامر ولكنه لما رأى اصرارهم لبى طلبهم ورسمهما ثم رسم ٣٥ أسقفا للابروشيات القبطية وقد حاول بعضهم أن يعطيه مالا فأبى كلية رغبة منه فى القضاء على السيمونية

وأتاه فيما بعد وفد من قبل ملك الحبشة يحمل خطابين أحدهما للخليفة والاخر له . وفيهما

يعترض على قصر عدد أساقفة الحبشة على سبعة و يطلب أسقفا علاوة على الموجودين . وكانت القوانين تمنع زيادة أساقفة الكنيسة الحبشية عن سبعة خشية استقلالها عن أمها الكنيسة القبطية لانه اذا تكامل عددهم الى اثنى عشر جاز لهم انتخاب بطريرك وكان ملك الحبشة باتفاق مع مطرانها ميخائيل يقصد من وراء هذا الطلب الوصول لهذا الغرض . فرفض البطريرك هذا الطلب واعتبره جسارة من المطران . فعاد ملك الحبشة وأرسل هدية للخليفة وخطابا يرجوه فيه أن ينفذ طلبه فاستدعى الخليفة البطريرك وطلب منه أن يتساهل مع الملك فى طلبه فاعتذر له قائلا ان قبوله ذلك يؤول الى خروج الحبشة من تحت سلطته فاقتنع الخليفة وقبل عذره

وقد ذكرت مجلة المقتطف نقلا عن كتاب « لباب الاداب » لواضعه اسامة ابن منقذ الكنانى ما يأتى « ولقد أذكرنى قول الحكيم « انما سلطان الملك على الاجساد دون القلوب » أمرا شهدته بمصر فى سنة ٥٤٧ هـ وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابه وصل الى الملك العادل ابى الحسن على بن السلار رضى الله عنه فسأله أن يأمر البطريرك بمصر أن يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر فأمر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وأنا عنده فرأيت شيخاً نحيفا مصفرا فأدناه حتى وقف عند بابا المجلس فسلم ثم انحرف وجلس على دكل فى الدار وأنفذ اليه يقول له ملك الحبشة قد شكا من البطرك الذى يتولى بلاده وسألنى فى التقدم اليك بعزله فقال يا مولاى ماوليته حتى اختبرته ورأيته يصلح للناموس الذى هو فيه وما ظهر لى من أمره ما يوجب عزله ولا يسعنى فى دينى أن اعمل فيه بغير الواجب ولا يجوز لى أن أعزله فاغتاظ الملك العادل رحمه الله من قوله وأمر باعتقاله فاعتقل يومين ثم أنفذ اليه وأنا حاضر أيضا يقول له لابد من عزل هذا البطريرك من أجل سؤال ملك الحبشة فى ذلك فقال يا مولاى ما عندى جواب غير ما قلته لك وحكمك وقدرتك انما هى على الجسم الضعيف الذى بين يديك وأما دينى فما لك عليه سبيل والله ما أعزله ولو نالنى كل مكروه فأمر الملك العادل رحمه الله باطلاقه واعتذر الى ملك الحبشة » أهـ

و بعد ذلك اعتنى البطريرك بوضع ثلاثين قانونا حظر فى بعضها ما يؤتى فى الاعراس من أمور الخلاعة المغايرة لروح الدين ولبث على كرسى البطريركية ١٤ سنة و٣ شهور ثم تنيح فى ١٠ برمودة سنة ٨٦١ش و١١٤٥م

(٣) ميخائيل ٣ — البطريرك الحادى والسبعون :

بعد وفاة البابا غبريال أهتم الاساقفة بانتخاب خلفه فلم تتفق كلمتهم على واحد وذلك بسبب مقاومة راهب من عائلة معروفة يقال له يؤنس بن كوران كان يريد أن يكون بطريركا وكان من حزبه لقانه من أعمال البحيرة وخيروستوذولو أسقف فوه وميخائيل أسقف طنطا . غير ان أساقفة الاسكندرية والصعيد أبوا بالاجماع قبوله واتحد رأى الكل أخيرا على اختيار ثلاثة رهبان ينتخبون أحدهم بالقرعة بطريركا وهم يؤنس بن أبى الفتح وميخائيل من دير أبى يحنس وسليمان بن الدخيارى من دير برموس فوقعت القرعة على ميخائيل الملقب بابن الدقادوسى

ومع ان هذا الراهب كان معروفا بشدة التقوى والنسك الا انه كان لا يدرى شيئا من العلم ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة سواء بالقبطية أو العربية ولم يمنع ذلك من انتخابه لشدة لياقته لذلك المنصب الخطير فكرسوه باحتفال عظيم فى أحدى كنائس بابيليون فى اليوم الحادى عشر من أبيب سنة ٨٦١ش و١١٤٥م فى عهد خلافة الحافظ بن محمد

وحال جلوسه على الكرسى فتح الله ذهنه ووهبه قسطا وافرا من الحكمة . ولكن لم تطل مدته سوى تسعة شهور و١٦ يوما وتوفى فى ٣ برموده سنة ٨٦٢ش و١١٤٦م وقيل انه مات مسموما والذى أقدم على سمه أحد الرهبان المحبين للعيشة الرخوه وكان البطر يرك يو بخه فلم يطق تو بيخه

(٤) يوحنا ٥ ـــ البطر يرك الثانى والسبعون :

هو يؤنس بن أبى الفتح من دير أبى يحنس أحد الرهبان اللذين كانا مرشحين للبطر يركية عند انتخاب البابا ميخائيل فانتخب بطر يركا وأدى فروض رسامته فى ١٥ بؤونه سنة ٨٦٢ش و ١١٤٦م فى عهد خلافة الحافظ . وكانت الكنيسة القبطية فى عهده تكثر من الاحتفالات الدينية فحدث ان رهبان سمنود زادوا على الاعتراف لفظة (المحيى) بعد كلمة (ان هذا الجسد) فاعترض على هذه الز يادة الانبا مكار يوس اسقفهم وأمرهم بتركها ولما أبوا رفع الامر الى البابا يوحنا فعقد مجمعا من سائر اساقفة مصر وطرح المسألة أمامهم و بعد البحث أقر المجمع على هذه الز يادة واصدر البطر يرك منشورا لجميع الكنائس بقبولها ولكن رهبان دير ابى مقار احتجوا على المجمع وطعنوا فى حكمه واثاروا غبارا عظيما و بلغ بهم الغيظ الى رفع دعواهم أمام الوالى فلما مثل الفر يقان امامه على سر الخلاف سخر بهما وطردهما . غير ان الرهبان لبثوا يقاومون البطر يرك طالبين حذف الز يادة ولكنهم خضعوا اخيرا .

وحدث فى زمان هذا البابا ان مملكة الحبشة اغتصبها رجل من غير العائلة الملوكية وقتل ملكها الشرعى وجلس مكانه فو بخه مطران الحبشة بشدة على هذا الظلم فنفاه وأرسل الى البطر يرك يطلب منه تعيين واحد خلافه مدعيا عليه بأنه كبر وشاخ فامتنع البطر يرك عن اجابة طلبه فعمد ملك الحبشة المغتصب الى والى مصر وأرسل له هدية ورجاه ان يلزم البطر يرك بايفاد مطران من طرفه للحبشة فلما تكلم الوالى مع البطر يرك قال له ان مطران الحبشة لا يزال حيا فاقتنع

و بعد ان مضى البابا يوحنا على كرسى البطر يركية ١٨ سنة و١٠ شهور و١١ يوما تنيح فى ١٤ بشنس ٨٢٢ش و١١٦٦م

(٥) مرقس ٣ ـــ البطر يرك الثالث والسبعون :

و بعد وفاة البابا يوحنا اجتمع مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطر يركية لانتخاب من يليق للبطر يركة فوقع اختيارهم على الارخن مرقس ابى الفرج ابى سعد التاجر الشهير والبتول

الناسك وهو معروف بابن زرعه سرياني الجنس قبطي المذهب فأقيم بطريركا في ١٨ بؤونة سنة ٨٢٢ ش و ١١٦٦ م في عهد خلافة العاضد بن يوسف

ولما استقر به المنصب قام بواجباته خير قيام وانتشبت في عهده الحروب الصليبية واشتد الخلاف بينه و بين مرقس بن قنبر المبتدع كما يأتي . واستمر على الكرسي ٢٢ سنة و٦ شهور و٢٥ يوما وتنيح في ٦ طوبه سنة ٩٠٤ ش و ١١٨٩ م

(٦) يوحنا ٦ — البطريرك الرابع والسبعون :

كان قبل رسامته بطريركا يدعى ابا المجد وكان في الاصل علمانيا يتعاطى التجارة و يتردد على بلاد اليمن في البحر حتى كثر ماله وذاع صيته وكان شريكا لقوم يدعون باولاد الخباب فحدث مرة بينما كانوا راجعين من بلاد اليمن ان انكسرت بهم السفينة وفقد كل ما بها عدا ماله فانه كان محتفظا به في خنادق المركب فلم رأى اولاد الخباب ان مالهم قد ضاع حزنوا جدا ولكن أبا المجد أعلمهم بما كان فسروا منه للغاية وارتفعت قيمته في أعينهم وأرادوا أن يكافئوه على فعله احسن فرشحوه لكرسي البطريركية وكانت فضائله قد اشتهرت للخاص والعام فوافق الكل على انتخابه وكان له من النقود سبعة آلاف دينار فوزعها جميعها على الفقراء والكنائس

وقيل انه كان متزوجا ولما ماتت زوجته لم يشأ ان يتخذ له زوجة غيرها وآثر العزلة . ومع ان القانون يحتم ان الذى ينتخب بطريركا لابد ان يكون اعزب من بدء حياته الا أن علم أبي المجد الواسع وفضيلته الزائدة أكسباه الافضلية على جميع المرشحين لذلك المركز السامي . ولم تكن له رغبة في نيل هذا المركز بل لما توفى البابا مرقس كان يسعى لدى الحكام في تعيين آخر مكانه فاشار بعض أصحاب الكلمة من المسلمين على كبار الاقباط باختياره لهذه الوظيفة لاهليته فقبلوا هذه المشورة وانتخبوه في ٤ امشير سنة ٩٠٥ ش و١١٨٩ م في عهد سلطنة صلاح الدين الايوبي ولم يعارض في انتخابه أحد ودعي يوحنا السادس

و بعد ذلك وصله خبر وفاة مطران الحبشة فعين بدله كيلوس اسقف فوه التي كان شعبها جميعه قد قتل بسبب الحروب الصليبية ورقاه لدرجة المطرانية وسافر للحبشة فقوبل باحتفال عظيم ترأسه الملك بنفسه ولكنه عاش في بلاد الحبشة عيشة الترف وكان له عشرة قسوس بصفة تلاميذ وحدث مرة أنه فقد من كنيسة اكسيوم عاصمة المملكة آنية من الذهب عظيمة القيمة فحصر المطران الشبهة في امين خزائن الكنيسة وهو أحد تلاميذه فأمر بضربه حتى أسلم الروح فثار عليه أهله وأرادوا ان يفتكوا به ولكنه لاذ بالفرار وأتى الى مصر فاندهش البطريرك وسأله عن سبب مجيئه فاجابه ان اخا الملكة اغتصب الرئاسة منه لعدم موافقته له في بعض أمور تخل بالدين فلم يقبل البطريرك منه هذا القول قضية مسلمة بل أنفذ على الفور مندوبا من قبله بكتاب منه لملك الحبشة يشف عن اهتمامه بصالح التابعين لرئاسته وان كانوا بعيدين عن واناط المندوب بتحقيق المسألة

بكل دقة وحجز الاسقف عنده حتى يعود المندوب . و بعد سنة عاد المندوب وعرض على البطر يرك نتيجة التحقيق وارسل ملك الحبشة مع المندوب بعض كبار مملكته وقسيسه الخاص ليشهدوا امام البطر يرك فى وجه المطران بالذنب العظيم الذى اقترفه وطلب من البطر يرك ان يرسل مطرانا غيره وصحبهم بكتاب وهدية سنية لملك مصر وهو اذ ذاك الملك العادل وطلب اليه ان يأذن للبطر يرك فى تعيين مطران آخر واذ كان الملك غائبا فى سور يه منهمكا فى مقاتلة الافرنج والقائم باعباء المملكة ولده الكامل فقبل منهم الهدية واذن البطر يرك ان يجيب طلب الملك

ولكن لشدة محافظة البطر يرك على واجباته وحرصه على القوانين امتنع عن اجابة الطلب فى الحال فجمع مجمعا حافلا من رؤساء الكهنة وكبار الامة واحضر المطران و بعد تلاوة القضية بحضوره سأله اذا كان لديه ما يدفع به التهمة عن نفسه واذ لم يقو على ذلك حكم المجمع بتجر يده من رتبته ومن كل درجة كهنوتية قبل الشروع فى انتخاب وتعين آخر عوضه . ولما كان اليوم المعين لتجر يده هرع الناس من كل جهة من اقباط ومسلمين الى المكان الذى اعد للاحتفال لمشاهدة هذا المنظر الغر يب وتقاطر الناس أفواجا حتى بلغت اجرة الحمار فى ذلك اليوم ثلاثة دراهم . ولما كانت الساعة المعينة اتى به امام المجمع بملابسه الرسمية و بعد تلاوة الحكم نودى عليه بالتجرد فزقت ملابسه من على جسمه . فكان يوما مشهودا لم يسبق له نظير وصار الناس يتحدثون بهوله اياما

وقد انتخب البطر يرك اسقفا غير هذا للحبشة من دير انطونيوس يدعى اسحق فقام بخدمتها بحزم زائد ونال فيها مركزا ساميا وحسب فى عداد القديسين ومن مآثره انه استحضر من بلاده المصر ية رهطا من بنى قومه الاقباط نقشوا حجارة ز ين بها كنائس الحبشة وجعلها ذات رونق بهيج اعجب به الناظرون وعاش ار بعين سنة بين الاحباش فى صفاء وهناء

وحدث ايضا فى ايام هذا البابا ان قسا من البشمور ترمل فتزوج مرة ثانية فطرده من كانوا تحت رئاسته فمضى الى الاسكندر ية وصار يؤدى الخدمة الدينية فى كنائسها فلما وصل خبره الى البابا يوحنا استاء استياء عظيما وو بخ اكليروس الاسكندر ية وسن قانونا يقضى بانه لا يجوز لاية كنيسة ان تقبل كاهنا غير معروف بدون ان يكون معه تصر يح رسمى من رئيسه

و بعد ذلك بقليل توفى البابا يوحنا فى ١١ طو به سنة ٩٣٢ ش و١٢١٦ م بعد ان قضى على الكرسى ٢٧ سنة وكان لموته رنة حزن لانه كان محبو با من الجميع من اقباط ومسلمين وكان اشد الناس حزنا عليه بطر يرك الروم الارثوذكس فقد شوهد يبكى عند تشييع جنازته بكاء مرا . غير انهم دفنوه بغير ان يحتفلوا به احتفالا عظيما لان من عادة المصر يين ان يعجلوا بدفن موتاهم ولما كان موته بغتة لم يتمكن احد من اساقفة الابروشيات من حضور جنازته

وقد شهد احد المؤرخين المسلمين عن البابا يوحنا بانه عاش حياته زاهدا فى المال فالغى

السيمونية وكان مثريا فلم يشأ ان يثقل على الامة في شيء بل عاش كل ايام رئاسته يصرف على نفسه ومن معه و يتصدق على الفقراء من ماله الخاص وابى اجابة مطالب الاسكندر بن الباهظة حفظا لمال الوقف ولهذا توفرت الاموال بالبطر يركية فكانت سببا فى طمع داود بن لقلق والسعى للاستيلاء عليها

وفى ايام هذا البابا بطل ارسال الاساقفة الى الخمس المدن الغربية وذلك ان تلك البلاد التى كانت تابعة للكرسى المرقسى والتى استمرت الكنيسة المصرية ترسل اليها الاساقفة بانتظام من القرن الاول للقرن الخامس الذى حدث فيه الانشقاق المحزن وقام الامبراطرة الرومان يقاومون البطاركة المصريين وعقبهم ملوك المسلمين بعد الفتح العربى فشددوا عليهم النكير حتى اقبل اهل الخمس المدن على الدخول فى الديانة الاسلامية افواجا و بطل ارسال الاساقفة اليها من عهد هذا البابا الى الآن

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) الاسعد ابو الخير

هو جرجة بن ابى وهب الشهير بابن الميقاط اشتهر بين عظماء الاقباط فى عهد خلافة العاضد.. تعرض له الوزير شاور الذى أحرق مصر القديمة وادعى عليه بان له علاقة بعساكر الصليبيين وانه يخابرهم سرا و بناء على ذلك قبض عليه و وضع تحت العذاب حتى مات . وهو رأس لعائلة اشتهر أمرها فيما بعد منها ابو الفتوح بن الميقاط الذى ترأس ديوان الجيوش فى أيام الملك العادل

(٢)السيدة ترفة :

من مصر القديمة عرفت بالغنى واشتهرت بالتقوى الزائدة والغيرة فى عمل الخير ومن مآثرها انها انفقت من مالها الخاص على تشييد كنيسة على اسم ابى نفر وأعدت باعلاها مكانا واسعا ليكون ديرا للعذارى الراغبات فى البتولية وانفقت ايضا على نسخ جملة كتب و وهبتها للدير ونقشت اسمها على لوح خشب و وضعته فوق الباب الذى تدخل منه النساء الى الكنيسة

(٣) ابو البركات :

هو ابن ابى الليث كان رئيس ديوان المجلس وشى به بعض الحاسدين الى الخليفة بان له مرتبات باهظة وانه يختلس اموال الحكومة و يستخدم اقاربه و يفضلهم على غيرهم فلم يسمع لهم الخليفة واقره فى منصبه الا انه قتل فى سنة ٥١٨ هـ

(٤)الانبا ميخائيل اسقف دمياط :

كان من علماء ذلك العصر وجمع قوانين الكنيسة الى مجموع واحد والف كتاب البغية لمن طلب لنفسه الخلاص والنجاة من يوم القصاص

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

---

(١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط فى عهد الخليفة الآمر بن المستعلى سنة ١١٠١م : .

وحاول الصليبيون أخذ مصر ولكنهم فشلوا ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم اصدروا قانونا يمنع اقباط مصر والسودان من ز يارة القبر المقدس وحملهم على ذلك ايضا اعتبارهم ان الاقباط هراطقة مع ان هؤلاء كانوا يتمنون لهم الفوز فى مبدأ الامر ولكنهم علموا فيما بعد أنهم لا يستريحون مع اللاتين المتغطرسين باكثر مما يستريحون مع المسلمين وقد ادركوا ذلك من ان أسقف رومية اصدر أمر الى الصليبين بضم البلاد التى فتحوها الى بطر يركية اللاتين فى اورشليم وكانوا ينوون لاقباط مصر ما نووه لغيرهم ولكنهم ارتدوا بالخيبة فى هجمتهم عليها مرة ثانية

واطمأن بال الافضل بن بدر الجمالى وز ير الآمر باحكام الله على مصر وتحصل الاقباط فى ايامه على خير جز يل ولكنه لما رأى كثرة توالى هجوم الصليبيين على مصر وارتكابهم الفظائع فى كل بلد يدخلونها نفر قلبه وقلوب المسلمين من كل نصرانى مهما كان مذهبه وجنسيته ووقع الاقباط من جراء هذه الحروب تحت سخط مواطنيهم مع ان الاقباط كانوا فى نظر الافرنج هراطقة كالمسلمين ولم يسلموا من شرهم حتى انهم لما وصلوا الى مصر أول مرة نزلوا بمدينة تسمى الفرما وقتلوا جميع من فيها بدون تمييز بين مسلم أو نصرانى

ونال الاقباط من جراء الحروب الصليبية شر آخر وذلك انه لما طالت مدة الحرب احتاجت الحكومة المصر ية الى نفقات جسيمة ففرضوا جزءا عظيما منها على الاقباط فتضايق منهم كثيرون حتى ان بعضهم اضطر الى بيع املاكه لدفع المطلوب منه واصبح الكثيرون فقراء وهكذا اتخذ المغرضون الحرب وسيلة لاضطهاد النصارى . وكان فى ديوان الخليفة كاتبان احدهما مسلم يسمى ابن ابى قيراط والآخر سامرى يدعى ابرهيم فوشيا للخليفة بان الاقباط ينفذون سرا الى الافرنج

اموالا يأخذوتها من الكنائس فغضب عليهم وأمر بضم اموال الكنائس لبيت المال اما الواشيان فقام عليها الجنود وقتلوهما شر قتلة

ومع ذلك كان الآمر يكثر من التردد على دير نهيا بالجيزة و يقيم به أياما للنزهة . وكان فى كل مرة يأتى اليه ينعم على رهبانه بالف درهم حتى بلغ ما نالوه منه اكثر من ثلاثين الف درهم . وفى أول مرة نزل به انعم عليه بثلاثين فدان بلا مال بناحية طهرمس بالجيزة . وهذا الدير هو الذى قال فيه ابن البصرى الشاعر فى قصيدة له

يا دير نهيا ما ذكرتك ساعة	الا تذكرت السواد بمفرقى
يا دير نهيا ان ذكرت فاننى	أسعى اليك على الخيول السبق

(٢) خلافة الحافظ سنة ١١٣٠م :

وفى ايام الخليفة الحافظ لدين الله تولى منصب الوزارة رجل ارمنى شقيق بطر يرك الأرمن فهدأت احوال الأقباط وتعزز مركز المسيحين . غير ان المسلمين ثاروا على الوز ير بحجة انه أوجد للمسيحيين نفوذا قد يمكنهم من استعادة السلطة الى قبضتهم . وكان زعيم هذه الثورة رجل يدعى رضوان فقدم برجاله على مصر القديمة و بابيليون والقاهرة حيث كان يسكن المسيحيون وأمر من معه بسلبهم ونهب امتعتهم وجعل همه الضغط على الاقباط ومصادرتهم وألزمهم بركوب الحمير والبغال دون الخيل وشد الزنار ولبس الغيار كما ادعى عليهم بانهم غير اكفاء للوظائف وضاعف الضرائب المقررة عليهم . غير ان المسلمين الذين كانوا يعلمون شدة احتياجهم لكفاءة الاقباط العلمية نقموا على رضوان ولم يمكنوه من ذبحهم

وفيما بعد غرس الافضل الوز ير بستانا بالروضة بجوار كنيسة الملاك ميخائيل المختارة واحاطه ببناء بلغ اسوار البيعة فطلب المهندس من الاقباط رشوة لكى لا يقرب من الاسوار فوعدوه ولكن لفقرهم لم يوفوا الوعد فانتهز ذلك المهندس حدوث زلزلة دمرت بعض المنازل وعقبتها ظلمة دامسة واسرع برجاله الى البيعة ودمرها

وكان الآب ميخائيل اسقف صهرجت قد اعتنى بتجديد كنيسة منية زفتى ورممها فوثب عليه المسلمون واغتصبوها وحولوها الى مسجد فرفع الاسقف شكواه الى رضوان المذكور فادعى الذين اغتصبوها انها بنيت حديثا ولما اثبت انها قديمة اعيدت اليه

(٣) خلافة الظافر سنة ١١٤٩ م :

وفي أيامه اشتد طايع بن زريك الارمني فارتقى الى منصب الوزير الاول في مصر ولم يكتف بذلك بل نادى بنفسه ملكا ودعا نفسه الملك الصالح فتجبر على الاقباط وضايقهم مضايقة شديدة واوقع بهم شرا عظيما ومن ذلك ان مدينة المطرية التى كانت ولا تزال معتبرة عند الاقباط مقدسة لتشريف المسيح اياها حتى سكن بها كثيرون منهم و بنوا فيها جملة كنائس فاغتصب الملك الصالح احدى تلك الكنائس وحولها جامعا

(٤) خلافة العاضد ووزارة شاور وشيركوية :

وفي مدة خلافة العاضد بن يوسف الذى تولى سنة ١١٥٠ م استوزر رجلا يسمى شاور الذى لما تضايق من الصليبيين أحرق الفسطاط (مصر القديمة) حتى لا يعسكر فيه الافرنج فكانت هذه مصيبة أخرى لان معظم سكانها كانوا اقباط فهلك منهم كثير ومن نجا من النار خرج هائما لا يدرى الى اين يذهب واستمرت النار متقدة أياما وذهب في ذلك الحريق امتعة الاقباط المساكين واصبحت منازلهم آثار بالية ولم يظهر من البناء سوى قباب الكنائس ولم يكن في وسع الاقباط حينئذ ان يبنوا كنائسهم الا في مكان أو اثنين بما التقطوه من الحجارة المتفرقة التى أوقعتها النار من البيوت والكنائس . ولبث الكهنة الذين لم يهربوا من النار يحرسون تلك الانقاض و بعد حين وجد الاقباط ست كنائس باقية داخل حصن الرومانيين ففرحوا بها فرحا عظيما . ومن أشهر الكنائس التى احترقت حينئذ كنيسة دير أبي سيفين

و بعد مدة قتل شاور واستوزر بعده شيركو يه ولكي يرضى هذا الوزير الجديد خواطر المسلمين الذين اشتدت كراهتهم للنصارى بسبب الفظائع التى كان يرتكبها الصليبيون تعدى على الاقباط وسامهم عذابا اليما فنهب منازلهم وفضح نساءهم واغتصب بعضهم الى الاسلام . ومن ذلك ان راهبا من دير أبي مقار نزل الى القاهرة ليبتاع شيئا فدعوه الى الاسلام فأبى فقتلوه وأشعلوا النار في جثته فلم تحترق فأخذها النصارى ودفنوها في كنيسة ابى سرجه . ثم هجم شيركو يه ورجاله على الكنائس التى بضواحي القاهرة فهدموها وهدموا كنيستى الحمرى بحارة الروم والزهرى في بر الخليج غربي باب اللوق ونهبوا ما وجدوا بهما من الامتعة ثم الزم شيركو يه النصارى بشد الزنانير على أوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة المعروفة بالعذبة وقرر عليهم مغارم باهظة وحرمهم من التوظف في الوظائف الرئيسية في الدواوين . أما نصارى الصعيد فباعوا أنفسهم للعربان وترامو عليهم فادخلوها في حمايتهم وبهذه الطريقة نجا كثيرون منهم من الموت لكنهم صاروا بذلك عبيد للعرب

وكان بين الكتاب النصارى رجل يسمى زكريا بن ابى المليح مماتى فكتب رقعة رفعها الى أسد الدين شيركويه يلتمس منه ان لا يمنع النصارى من ارخاء العذبة وقد صدرها بالبيتين الآتيين

يا أسد الدين ومن عدله ... يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى عيارا شد أوساطنا ... فما الذى أوجب كشف القفا

فلم يجب طلبه . وكان زكريا هذا من نصارى اسيوط ولما أسلم دعى الاسعد ابن شرف الدين وولى ناظرا على الدواوين وكن شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا ومن شعره

تعاتبني وتنهى عن أمور ... سبيل الناس ان ينهوك عنها
اتقدر أن تكون كمثل عيني ... وحقك ما على أضر منها

وبموت الملك العاضد انتهت الدولة الفاطمية وكان الاقباط فى آخر عهدها رغم ما حل بهم متقلدين زمام الوظائف الحسابية التى وضعوا لها قواعد دقيقة لا يتمكن سواهم من ضبطها وكانوا قد اتقنوا اللغة العربية ووضعوا فيها مؤلفات تشهد لهم بالمقدرة التامة ونقلوا اليها مؤلفات كثيرة من القبطية واليونانية وقد عرفت الحكومة قدرهم فصارت تلقبهم بالقاب التفخيم (كالرئيس وهبه الله . والامجد . والاسعد . والشيخ . ونجيب الدولة . وتاج الدولة . وفخر الدولة)

وكانت معظم الصنائع والفنون بايديهم وكان اتقانهم لها بالغا منتهاه ولا تزال بقايا صناعاتهم موجودة للان فى الاديرة والكنائس القديمة بحارة زويلة وحارة الروم ومصر القديمة وكنيسة المعلقة كما أنهم لم يهملوا علم الطب فاشتغلوا به ونالوا منه حظا وافرا واهتموا بعلم المواقيت والفوا فيه مؤلفات واسعة وصل الينا بعضها

(٥) الدولة الايوبية :صلاح الدين يوسف ووزيره بهاء الدين :

تولى صلاح الدين كرسي الوزارة سنة ١١٦١ م فحكم على الاقباط ان يعلقوا أجراسا فى أعناقهم وأمر ان تنزع الصلبان الخشب من فوق كل كنيسة وتطلى كل قبة كنيسة بيضاء بالطين الاسود وبعدم دق النواقيس فى سائر الكنائس . وكان من عادة النصارى ان يزفوا فى عيد

لشعانين الصليب فى الشوارع فى كل بلدة وكل مدينة فنعهم من ذلك وأمرهم ان لا يصلوا فى الكنائس الا باصوات منخفضة فكانت هذه الاوامر عاملا على تهيج المسلمين و بغضهم لهم اكثر فاضطهدوا الاقباط فى كل مكان واغتصبوا كنائس كثيرة وحولوها الى جوامع والزموا عدد من المسيحيين باعتناق الاسلام

وحدث أيضا ان ظهر رجل بمدينة قفط التى كان معظم سكانها أقباطا وادعى انه ابن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فتبعه كثيرون وجاهروا بالعصيان على صلاح الدين فارسل لهم جيشا تحت قيادة أخيه فاحاط بالمدينة وخربها ونهبها وقبض على ثلاثة آلاف رجل من سكانها وعلقهم فى عمائمهم على الاشجار التى كانت حول المدينة ومن ثم لم تقم لقفط قائمة وهى الان قرية حقيرة و بعد ذلك وضع صلاح الدين يده على ممتلكات الاديرة والكنائس وانعم بها على أعوانه واتباعه .

جلس صلاح الدين على كرسى السلطنة سنة ١١٧١ م وفى اثناء انشغاله بالحروب فى سوريا لاح لملك النوبة ان ينتهز تلك الفرصة و يستولى على مصر فوصل الى اسوان وأسر كثيرين من المسلمين فسير اليه صلاح الدين جيشا فحاصر قلعة دير ابريم وفتحها عنوة واستخلص الاسرى المسلمين ونهب المدينة وقتل اكثر سكانها واسر اسقفها وطلب منه اموالا واذ لم يجد عنده شيئا باعه مع الاسرى وقبض ثمنه

وكان عرش مصر فى اثناء اشتباك صلاح الدين فى المعارك مسندا الى الوزير بهاء الدين احد خصيانه السود فارتأى هذا أن يرمم اسوار المدينة فساق اليها المصريين من مسلمين ونصارى معا ليشتغلوا فيها فنقم الكل عليه وصار الاولاد يمثلون به و يلقبونه باسم « قراقوس » ولا يزال الى اليوم من يقيمون حفلات استهزاء بهذا الاسم . وتعمد مضايقة الاقباط مضايقة شديدة فاول عمل أتاه ضدهم أنه رفت كل الموظفين منهم فى جميع دوائر الحكومة ولم يبق منهم فيها الا من أسلم على يد شيركويه و بعده . ثم عاد فارجعهم من نفسه لما رأى استحالة قيام الاعمال المصلحية وانتظامها بدونهم . بل ان السلطان نفسه لما تحقق امانتهم اتخذ له منهم كاتب خصوصيا من عائلة قديمة شريفة يعرف بعائلة شرافى وكان ابوه من مشاهير الحكومة فى ايام العاضد يسمى بابى المعالى ومنحه صلاح الدين لقب الشرف والرئاسة فدعاه بالشيخ الرئيس صفى الدولة بن ابى المعالى وكان محبوبا و بقى فى خدمته حتى مات . وكان الارمن قد هاجروا من مصر وتركوا كنيسة بالفسطاط انعم بها السلطان على فقيه دمشقى يسمى بهاء الدين فطلبها صفى الدولة للاقباط فأعطاها صلاح الدين لهم ولما تحقق صلاح الدين من اخلاص الاقباط وهبهم اعظم مكان فى بيت المقدس وهو الدير المعروف الان بدير السلطان نسبة اليه

وتجاسر حينئذ راهب يدعى جالوش وكتب ينم فى الرهبان للوزير مدعيا عليهم بأنهم على علم تام بعلوم السحر والتنجيم والرقى ولهم دراية بكيفية صنع الذهب والفضة الامور التى يخالفون بها أوامر الانجيل فأمر الوزير بعض جنوده بفحص الشكوى فساروا الى وادى النطرون وأوقعوا بشيوخ الرهبان اهانة كبرى وأتوا بهم مقيدين الى الوزير الذى فحص أمرهم فوجدهم ابرياء فأطلق سبيلهم .

ولكن حدث ان جماعة من الاقباط ومنهم اثنان من كبارهم احدهما يدعى ابو سعيد بن أبى الفضل بن فهد النحال والآخر أبو اليمن بن أبى الفرج من عائلة زنبورة الشهيرة احتفلوا فى أحد الايام فى كنيسة الارمن التى وهبها السلطان لهم بعيد الشعانين وكان مع خدام أبى سعيد وأبى اليمن اناء فيه زيت خاص من الزيتون ليقدموا منه لمواليهم ولما لم يجدوه اتهموا حراس المسلمين بأنهم سرقوه وأدى الحال وقوع مشاجرة بين الخدام والحراس تعدى فيها أولئك على هؤلاء بالضرب فرفعوا أمرهم الى بهاء الدين الفقيه الدمشقى صاحب البساتين التى حول الكنيسة فقص الخبر على السلطان وهذا أحضر صفى الدولة واستعاد منه الامر الذى أعطاه له بأخذ الكنيسة وأغلق أبوابها ولكنها أعيدت بالتماس صفى الدولة ثانية

ومما يستحق الذكر فى أثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ١٠٧٢ م حدث ان وزيرا قبطيا لاقى الصعوبات فى سبيل الاستئذان ببناء كنيسة على اسم الست بربارة وناله بعد الجهد وشيد تلك الكنيسة التى لا تزال للآن بمصر القديمة . وقد دفعته الغيرة الدينية على تجديد كنيسة القديس أبى سرجة فغضب منه الخليفة اذ لم يأذن له الا ببناء كنيسة واحدة وأمر بارسال العمال بالمعاول والفؤوس لهدم احدى الكنيستين كما يختار الوزير فحزن الوزير حزنا عظيما حتى مات فى الحال فأسف عليه الخليفة ولم يشاء هدم احدى الكنيستين

القسم الرابع

البـــدع والانشـقـاق

(١) انشقاق مرقس بن قنبر :
(٢) مبادىء ابن ياسر القسطال

---

(١) انشقاق مرقس بن قنبر :

رسمه أسقف دمياط كاهنا لاحدى بلاد الصعيد وكان حائزا على قسط من العلوم والمعرفة فضلا عن معرفة اللغتين العربية والقبطية وكان يحسن اللغة اليونانية فترجم منها بعض الكتب ونقلها الى العربية وألف أيضا جملة كتب نادى فيها بمبادىء مخالفة لمبادىء الكنيسة المرعية فجاهر بعدم فائدة البخور وطلب الاساقفة والعلمانيون من البابا يوحنا الخامس أن يحرمه فتمهل عليه لعله يرجع عن غيه ولكنه سمع عنه فيما بعد انه ترك زوجته وصار راهبا طمعا في الحصول على رتبة الاسقفية فتأكد البطريرك من سوء تصرفه وحرمه وقطعه من شركة الكنيسة فلم يبال بذلك بل دأب على القيام بالوعظ والتبشير ولما كان يتبعه كثيرون قاوم أيضا عادة الختان بحجة انها خاصة باليهود لا المسيحيين

ولما تبوأ الكرسي البطريركي ... مرقس بن زعرة كتب اليه اساقفه وعلماء الصعيد يرجو... أن يتلافى الخطر المحدق بالكنيسة من جراء الفتن التي يجتهد مرقس في ايقاظها فاستقدمه ...البطريرك اليه ونصحه فقبل النصيحة واعترف بخطئه فحل من حرمه ورجع الى بلدته ولكنه عاد ...ى سيرته الاولى فلما رأى البطريرك ذلك عقد مجمعا من ٦٠ أسقفا وافق فيه على حرمه وتجريده ...ن رتبته الكهنوتية

فطلب مرقس من الحكومة المصرية ان تنظر في دعواه فرغب الحكام ان يتداخلوا في الامر ولكن البطريرك والاساقفة أبوا بالكلية قبول طرح المسألة أمام الحكام وارتضوا بتحكيم الاب ميخائيل بطريرك انطاكية فسعى هذا جهده لايجاد الصلح ولكنه لم يفلح . وبعد ذلك رأى مرقس بن قنبر أن يرتمي في أحضان الكنيسة الملكية وكانت حينئذ ضعيفة النفوذ فرجع مرقس منها بعد قليل نادما طالبا من البطريرك أن يقبل توبته ولكن الاقباط ازدروا به لكثرة تلونه وكان أتباعه قد رجعوا الى كنيستهم الاصلية فعاد ثانية الى الكنيسة الملكية ولكنها لم تقبله لعدم ثباته فبقي مدة حياته مطرودا

(٢)مبادىء ابن ياسر القسطال :

كان قسا عالما فاضلا أراد اصلاح بعض الطقوس والعادات الاجتماعية فرأى منعا للمشاكل الزوجية أن يرى الخطيبان أحدهما الآخر. وأثبت أن الختان ليس فريضة دينية . وأشار بتربية الشعر ووجوب كشف الرأس حال الصلاة . ومع أن كثيرين قبلوا آراءه بارتياح الا أنه اضطهد من أجلها ولكنه لم ينثن بل ألف رسالة أثبت فيها مبادئه فقطعوه وأخرجوه من ديره الموجود للآن بالعدوية وكان من الاديرة الفخيمة التى يفد اليها كبار الامة لقضاء أيام فيها ترويحا للنفس

وكان بجوار هذا الدير بستان واسع أنشأه هذا القس من ماله الخاص فأخرج منه وراق فيما بعد فى نظر ابن الحافظ أحد خلفاء الدولة الفاطمية فاتخذه لنفسه وصار ملكا للفاطميين حتى ملكت فى مصر الدولة الايوبية فآل أمره أخيرا الى طفتكين أخى الملك صلاح الدين الكروى فضم اليه كل البساتين المجاورة له وكانت للاقباط وجعلها بستانا واحدا وكان بتلك الجهة كنيسة تسمى كنيسة السودان فاستولى عليها أيضا وهدمها

وكان لابن ياسر صديق يهودى فتباحثا معا كثيرا ارادة أن يقنع أحدهما الآخر ويجذبه الى ديانته فتمكن ابن ياسر من اقناع اليهودى فآمن بالمسيح وصار عضوا بالكنيسة القبطية وتعلم لغتها ورسم شماسا فى كنيسة حارة زويله

القرن الثالث عشر

القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) كيرلس ٣ (٢) اثناسيوس ٣
(٣) يوحنا ٧ وغبر يال ٣ (٤) ثيودوسيوس ٢

(١) كيرلس ٣ — البطر يرك الخامس والسبعون :

ولم تمر مدة وجيزة على انتقال البابا يوحنا السادس حتى اشتد الخلاف بين المسيحيين بسبب انتخاب من يخلفه و بقى الكرسى البطر يركى خاليا ممن يتبوأه لعدم اقرار الاساقفة على واحد من المرشحين . وكان المرشحين اثنان أحدهما يدعى بولس والثانى رئيس شمامسة المعلقة . وغير هذين الرجلين كان آخر يدعى داود بن يوحنا بن لقلق من الفيوم سعى فى الحصول على هذا المنصب الجليل . وكان هذا الرجل فى عهد البابا يوحنا السادس قد رشح نفسه مطرانا للحبشة فرفض البطر يرك قبوله وانتهره

وكان داود هذا كلفا بالحصول على احدى رتب الكهنوت الرئيسية فانتهز فرصة انعقاد مجمع الاساقفة والشعب لانتخاب بطر يرك جديد و بذل كل جهده ليستميلهم اليه فلم يفلح فاستعان بالارخن أبى الفتوح كاتب جيش الملك العادل فحاول هذا الرجل أن يقنع الاساقفة بقبوله ولكن بما له من النفوذ فى الحكومة والدالة على الملك استطاع أن يحصل على أمر بتوليته بطر يركا وتمكن أبو الفتوح من أن يستميل اليه بعض الأساقفة أما بالحيلة أو بالارهاب فوافقوه على الرضى به وعينوا صباح يوم الاحد التالى للاحتفال بتوليته فى كنيسة المعلقة وحجز أبو الفتوح هؤلاء الاساقفة ليلة الاحد ليبيتوا عنده ليضمن قيامهم برسامة داود

ولما تضايق الاساقفة أنفذوا رسولا سر يا الى كبار المسيحيين يعلمونهم بالخبر فشق عليهم الامر وهاجوا وماجوا وهبوا الى المقاومة وكادت تجرى الدماء لولا ان شخصا يدعى أسعد بن صدقة

الكاتب خشي سوء النتيجة وتلافى الامر بحكمته وأوصى القوم بالهدوء والسكينة ليتدبروا الامر فى جو خال من الاضطراب والشغب . ثم اصطفى بعضهم ورافقهم ليلا وهم يحملون الشموع والانوار الى حيث يقيم الملك الكامل ابن السلطان ولما شعر بازدحام تحت قصره انزعج وأنفذ يستقصى عما جرى فطلب منه أن يسمح لبعضهم بشرح مسألتهم فسمح لهم فلما مثلوا أمامه أوقفوه على الحقيقة والتمسوا منه أن يتوسط لهم لدى أبيه ليمنع عنهم هذه النازلة و يقاوم رسامة هذا الرجل لعدم استحقاقه لمركز خطير كهذا تحتم القوانين بعدم انتخاب أحد له الا اذا اجتمعت عليه الكلمة وقر عليه الرأى فهدأ روعهم ووعدهم خيرا

ولما انصرف القوم على هذا الوعد توجه الملك الكامل فى الحال الى أبيه الملك العادل وكشف له الامر وأحاطه بعدم رضى الاكليروس والشعب على تولية ذلك الرجل لاسباب قانونية وأخبره بالاساقفة الذين حجزهم أبو الفتوح ببيته ليقوموا بالرسامة رغما عنهم اعتمادا على الامر الذى أخذه من الملك . فلما وقف الملك على سر المسألة أخذ يشك فى أبى الفتوح اذ قال له ان الامة ورؤساءها راضون به وكاد أبو الفتوح يجنى ثمرة زرعه لولا ان الملك تأنى فى الامر وأرسل جنودا يستحضرون الاساقفة الذين حجزهم بمصر القديمة ليقف منهم على الخبر

وفى الوقت الذى كان ابن صدقه يدبر الامر هكذا كان أبو الفتوح مهتما بتنفيذ الامر بعجلة فبادر بأخذ ابن لقلق من القاهرة الى مصر القديمة فى فجر يوم الاحد و بينما هم سائرون به التقى بهم الجند وكان قد انضم اليهم جمع غفير من الناس فهجموا عليهم وضربوهم ضربا مبرحا وفرقوا شملهم وكادوا يفتكون بداود ولكنه هرب واختفى

أما الجند فاضطروا أن يهملوا الامر الذى أرسلوا لاجله واهتموا بتفريق الجمع ولم يتم لهم ذلك الا بعد عناء عظيم وكان ابو الفتوح وداود يرومان أن تتم الرسامة سرا بواسطة الاساقفة ولكن الجند أسرعوا الى كنيسة المعلقة وأمروا الاساقفة بالخروج حالا من الكنيسة والذهاب الى القاهرة كأمر الملك العادل فسروا جدا اذ سمعوا هذه الدعوة التى كانوا يرجونها بفارغ الصبر نظرا لمضايقة داود وأبى الفتوح لهم والالحاح عليهم برسامته بطريركا

فلما قام الاساقفة مع رجال الحكومة الى القاهرة خابت آمال داود من رسامته سرا ولما وقف الملك العادل على جلية الخبر من الاساقفة وانهم غير متفقين على كلمة واحدة فبعضهم كان يرفض قبوله رفضا باتا و بعضهم خاف بأس أبى الفتوح فأظهر الرضاء . غير أن أغلب الاساقفة أبوا الموافقة على الرسامة و بعد ذلك اجتمع أربعة منهم وحرموه وتعاهدوا على أن لا يحضروا سيامته ولو أرغموا على ذلك

أما أبو الفتوح وداود فقد حاولا مرة أخرى أن يتمما الرسامة فلم ينجحا فى مسعاهما وذلك

ان أبا الفتوح عاد الى الملك العادل وأثر على فهمه بأن داود أليق من غيره للبطر يركية وان الدين تظاهروا ضده هم من رعاع القوم وصعاليكهم ثم كتب عريضة و بذل جهده حتى تحصل بالتهديد على أمضاء ١٣ أسقفا وأربعين راهبا و بعض العامة وقدمها للعادل فلم يسعه الا الموافقة غير أن المؤمنين كانوا متيقظين فقاموا قومتهم مستنجدين بطبيب الملك وكان قبطيا و بواسطته تمكنوا من افساد تدبير أبى الفتوح وأمر الملك أن لا ينصب بطر يركا الا من تتفق الكلمة عليه

ثم توفى الملك العادل وخلفه ابنه الكامل فوقع فى أزمة مالية فحض الاقباط على انتخاب داود بطر يركا طمعا فى أن ينال أولا رسوم البطر يركية التى كانت تدفع لخز ينة الحكومة وثانيا ليأخذ المال اللازم من داود نفسه فى نظير مساعدته للحصول على مأر به وما كاد يشيع هذا الخبر حتى هرع كثير من أساقفة جميع جهات القطر للاحتجاج على تعيين داود وكان داود يومئذ قد احتفل فى ديوان الحكومة بشكر الذين رشحوه ولكنه لما رأى معارضة السواد الاعظم من الرؤساء والمرؤوسين فى انتخابه شعر بخيبة آماله مرة أخرى

ولكن لم تضعف هذه الخيبة عزمه بل عمد الى الاستيلاء على الكرسى البطر يركى بالقوة فلم يبال باحتفال أو رسامة بل لبس اللباس البطر يركى وسار الى كنيسة القديس سرجيوس محفوفا بأعوانه و بينما كان يؤدى الفروض كان جمهور كبير من الاقباط يوجهون اليه أقسى كلمات الهجاء حتى ان اعوانه لم يتمكنوا من سماع صلاته . وكان هياج المؤمنين عاما فى جميع الانحاء فاستخدم داود نفوذه وجعل الحكام يضطهدونهم ولاسيا الرهبان والاكليروس

و بينما كان الملك الكامل يزور أديرة وادى النطرون ودير القديس مكار يوس طلب منه الرهبان أن يسمح لهم بتعيين بطر يرك تتفق على انتخابه كلمتهم وأخبروه انه تخرج من دير أبى مقار ثمانون راهبا رسمهم البابا يوحنا السادس كهنة على عدة ابروشيات فلم يبق منهم على قيد الحياة سوى أر بعة فقط وأعلموه انهم يخدمون جميع الابروشيات مع انهم لم يزالوا رهبانا ولا يمكنهم أن ينالوا رتبة الاسقفية الا بيد البطر يرك

وكان الاساقفة يموتون واحدا بعد آخر وتخلو ابروشياتهم ممن يحل فيها نظرا لعدم وجود بطر يرك يقيم عوض المتوفين . فأجابهم الملك الكامل بلطفه المعهود انه لا يتأخر عن اجابة طلبهم اذا توافقوا الى بطر يرك يجمعون على انتخابه ووعدهم بالتنازل عن الرسوم التى اعتادت البطر يركية دفعها للحكومة عند تنصيب كل بطر يرك جديد

كل ذلك وداود لم يفتأ يسعى بدون انقطاع ليلا ونهارا ليفوز ببغيته مستعملا تارة الحيلة وأخرى التوسل بكبار الحكومة وأحيانا الرشاوى والهدايا حتى فرغ كل ما لديه من المال دون أن يتم له رضاء الشعب عنه وهكذا استمر الكرسى خاليا بسبب هذا الخلاف مدة عشر ين سنة مات فى

خلالها معظم الاساقفة وغيرهم من الذين كانوا من أقوى المعارضين لداود الذى كان كلما يسمع بموت أحدهم يفرح و يسر و يعتقد أن أجل التوقف له كاد ينقضى

ولما اشتدت حاجة الملك الكامل للمال أقدم على أمر أقسم بأن لا يفعله فحنث فى يمينه . وكان يوجد راهب يسمى عماد المرشال وصفه بعضهم بالخبث والعناد ومعاكسة عظماء الامة وأئمة الطائفة والقائهم فى ورطات لا يمكنهم التخلص منها الا بدفع غرامات طائلة حتى انكشف أمره أخيرا للسلطان فقبض عليه وعاقبه بما يستحق وقيل انه طلب أن يسلم فلم يقبل الملك اسلامه فاجتمع هذا الراهب بداود واتفق معه على أن يسعى له بشرط أن يدفع ثلاثة آلاف دينار لخزينة الحكومة وكان بين رجال حاشية الملك الكامل أمير يعرفه عماد يسمى فخر الدولة له كلمة نافذة لدى الملك فمضى اليه وكشف له الامر فوعده خيرا ومن ثم صدر أمر الملك برسامة داود على الشرط المذكور فرسم على أيدى الاساقفة القليلين الذين كانوا باقين وقتئذ وهددوا بالموت أن لم يرسموه . فتولى داود البطر يركية وسمى كيرلس الثالث فى ٢٢ بؤونه سنة ٩٥١ ش و١٢٣٥ م

واحتفل كيرلس برسامته احتفالا بهيجا أساء المسلمين واجتهد فى مبدأ الامر أن يرضى الرأى العام فرسم بعض الكهنة والشمامسة بدون أن يحصل منهم شيئا ولكنه فيما بعد استبد وأساء التدبير وأظهر شراهته فى محبة المال وتحصيله اياه بطرق غير جائزة . وكانت أكثر من أربعين ابروشية قد خلت من الاساقفة فصار لا يولى أسقفا الا من ينقده مبلغا أكثر من سواه بغير مراعاة الاهلية والاستحقاق

فلما بلغت أخبار قبائحه المسامع نفرت منه قلوب الناس وتكدرت خواطر الشعب ونصحه بعضهم على انفراد فلم ينتصح بل كان يقول لهم انه مضطر الى جمع النقود لسداد المطلوب للحكومة جزاء تنصيبه بطر يركا . فاشتد مقت الجميع له وأكثر الكل من التشنيع عليه ومن هؤلاء الراهب عماد فانه نازعه كثيرا وشدد عليه النكير واجتهد أن يقيم عليه رقباء خوفا على أموال الوقف

ولسبب لا نعلمه قبض عليه الملك والزمه بدفع ألف وخمسمائة دينار فاتخذ هذه الغرامة ذريعة للتوغل فى فظائعه فأصدر أمرا اداريا باتباع جميع الاديرة له مباشرة وفرض عليها مبالغ سنوية ونزع أيضا بعض البلاد من ابروشياتها واتبعها له وربط عليها عوائد تدفع ليده خاصة فكدر بذلك خواطر الاساقفة فنقموا عليه هم ورؤساء الاديرة وصاروا يترددون عليه و يكلمونه فى أمرهم فتركهم وانطلق الى الاسكندرية ولما رأى أن احتجاج الشعب شديد ضد السيمونية دعا اليه كبار الامة والاكليروس وأخبرهم أن ما جمعه كان لايفاء الاموال الاميرية ووعدهم انه بعد سداد المطلوب يكف عن بيع الرتب الكهنوتية اذا لم يكن داع لجمع الاموال بهذه الطريقة

غير انه لم يفتأ يظهر شروره وقاده سوء تصرفه الى التعدى على حقوق زميله بطريرك انطاكية السريانى فعين مطرانا قبطيا سماه مطران سوريا وأرسله الى مدينة القدس ليقيم بها بحجة

انه يوجد فى سوريا كثير من الاقباط لا يعرفون اللغة السريانية التى يصلى بها السريان فى كنائسهم وقبل هذا العهد كانت مصالح الاقباط فى الاراضى المقدسة موكولة الى الكنيسة السريانية و يظن انها لم تقم بها كما ينبغى وعلى كل حال فقد أدى تدبير كيرلس هذا الى افساد العلاقات الودية القديمة وفصم عرى الاتحاد الذى كان بين السريان والاقباط

ومع ان الاساقفة فى مصر عارضوه فى هذا التعيين الا انه لم يسمع لهم قولا غير انهم نجحوا فى حمله على ارسال مندوب الى بطريرك انطاكية الذى كان مقيما وقتئذ بأورشليم يطلب اليه الاعتراف بالمطران الذى أرسله . فأبى اغناطيوس بطريرك انطاكية أن يعترف بالمطران واضطر أن يستعين باكليروس اللاتين الذين كانوا ينتظرون مثل هذا الشقاق ليستفيدوا منه فبسطوا له حمايتهم واضطر اغناطيوس أن يعامل كيرلس كما عامله فعين مطرانا من قبله لكنيسة الحبشة وهو رجل حبشى يسمى توما مولود فى بلاد الاحباش

فكثر سخط الناس على كيرلس ونصحه أبو الفتوح وغيره من كبار الامة ورجال الاكليروس مرة بعد أخرى أن يعدل عن خطته فلم يقبل نصيحتهم فاجتنبوه واعتزلوه بالمرة ولم يعد أحد منهم يدنو منه أو يجتمع به فاتخذ هذا الاعراض فرصة للاستبداد والتصرف فى مصالح الامة تصرفا سيئا

وكان كيرلس قد استمال اليه الملك الكامل وأغلب عظماء المسلمين بالرشاوى والهبات واستعان بهم على أبناء طائفته الذين أصبح يزدرى بهم ولا يحسب لوجودهم أو معارضتهم حسابا . ولما كان رؤساء الحكومة غير مطلعين على فظائع كيرلس قام وفد من كبار الامة القبطية وأساقفتها يرأسه عماد الراهب وقصوا أخباره على محافظ العاصمة وكان ممن استمالهم كيرلس اليه بالرشوة فلم يهتم بالامر بل حامى عن كيرلس وعضده . ولما حضر كيرلس أبدى اندهاشه قائلا « لم يعرف فى التاريخ الكنسى أن أساقفة ائتمروا على خلع بطريرك وان كانوا يشتكون من تضييقى عليهم فليبحثوا القانون لعلهم يجدون ما يستندون عليه »

وكانت طلبات الاساقفة فى تلك الشكوى خمسة أمور رئيسية :

١ — الاقلاع عن السيمونية والرشوة

٢ — احترام حقوق بطريرك السريان وان لا تتجاوز سلطة المطران الذى عينه مدينة غزة

٣ — عزل من قلدهم الرتب الكهنوتية بدون استحقاق

٤ — لا ينبغى للبطريرك أن يقلد بدع الكنيسة اليونانية

٥ — تعيين أحد الاساقفة الشيوخ المدربين وكيلا للبطريركية

أما كيرلس فلم يكتف بعدم اجابة هذا الطلب فقط بل سعى لدى الحاكم ورمى عماد

بكل كريهة فألقى القبض عليه وزج في السجن . وكان قد وعد بعقد مجمع تنظر فيه هذه الشكاوى . فلم يبر بوعده . ولما فاض الكيل قام أربعة عشر أسقفا الى الدار البطر يركية بالمعلقة بمصر القديمة وأرغموه على المجيء من مدينة الاسكندرية فجاء اليهم فألزموه أن يعقد مجمعا مؤلفا من الاكليروس وكبار الامة للنظر في ما اختل من الاحوال بسبب سوء تصرفه فاضطر أن يجيبهم خوفا منهم وكانوا قد أعدوا مشروعا يتضمن قوانين ضرورية لتقدم الكنيسة . فلما اجتمع المجمع قدموه له وطلبوا منه أن يمضي عليه و يتعهد بتنفيذه

وحاول كيرلس الامتناع عن أن يكون مقيدا بهذه القيود التي لم تتفق مع ما ينو يه فهدده الاساقفة بالانفصال عنه واجتنابه وقطع العلائق معه فاضطر أن يمضي بالرغم عنه وكلفوا ابن العسال صفا الفضائل بجمع هذه القوانين فجمعت ووزعت على جميع الابروشيات

وحدث بعد ذلك موت الملك الكامل وملك عوضه الملك الصالح فجار على النصارى وترك رعاع المسلمين يضطهدونهم أما كيرلس فسعى كعادته حتى استمال اليه الملك الجديد ولما كان يحاول التخلص من هذا التقييد واعادة الاستقلال اليه انتهز فرصة هذا الاختلال الذي لحق النصارى منه ضرر عظيم وأعلن رفضه لما اتفق عليه . فعقد الاساقفة مجمعا حضره وجهاء الطائفة طلبوا فيه منه مرة أخرى أن يلاحظ القوانين الكنسية فازدرى بهم واحتقر كلامهم فقام في وجهه في هذه المرة راهب يسمى بطرس بن التعبان و يعرف بالشيخ السني وكان عالما فاضلا محبو با محترما بالنسبة لحكمته وشيخوخته واقام الادلة على ما ارتكبه مما يخل بمقامه ورتبته كمخالفته للقوانين المرعية ونكثه العهود وارتكاب الرشوة وغير ذلك من الاعمال والخصال الذميمة وقدم له قانونا ليمضي عليه مؤداه أن يعين أسقفا طاهر الذمة ليراقب أموال الوقف وأن يرسم أسقفين لابروشيتين خاليتين بدون رشوة وكان كيرلس قد أمتنع عن رسامة أحد لهما حتى يتحصل الضريبة المعتادة وأن يعين ناظرين لمدرستي القاهرة و بابيليون وأن يترك الاديرة تحت رئاسة الاساقفة التي تكون في دائرة ابروشياتهم

فأخذ كيرلس يماطل الى أن استاء منه أحد أصحابه وضجر من بخله عليه فخان عهده ووشى به الى أمير القاهرة وكانت شكوى الشيخ السني قد هدمت مركزه في عيون الحكام فعزموا على القبض عليه مرارا لمحاكمته ولكن الاساقفة لم يسمحوا بتسليمه ليد الحكومة خوفا من أن يكون ذلك اعترافا منهم بحق الحكومة في التسلط على البطر يرك والقضاء عليه . غير انه في هذه المرة تم القبض عليه وهموا بعزله تخلصا من الاشتغال بالقضايا التي كانت تقدم عليه من وقت لآخر ونسبوا اليه معاملة البعض بالقسوة الزائدة واستعماله معهم أنواع التعذيب التي تقضي بهلاكهم . واجتهد أولو الامر أن يجعلوا الاساقفة يشهدون عليه فأبوا وتداولوا مع الامير وكان يحب الاقباط حبا جما وأتفقوا معه على أن يطلق كيرلس اذا أمضى القوانين التي سنوها له فأمضى عليها كيرلس هربا من

الشر المحدق به واطلق سراحه على شرط أن يدفع لخزينة الحكومة مبلغا فكان ذلك داعيا الى أستئناف مساعيه الشريرة في جمع المال بطرق غير مشروعة

فضاق ذرع الاساقفة من ذلك السلوك الممقوت وكثر أخلافه للعهود وصمموا على خلعه وأخبروا الامير بذلك فقال لهم وهل يجوز عندكم خلع البطريرك فأجابوه يجوز اذا ارتضى هو بذلك ولم يكن من المنتظر أن يتنازل كيرلس عن مركزه حبا في سلامة رعيته فاستمر في ضلاله حتى أراح الله منه تلك الامة التعيسة بموته بعد أن مضى عليه في الرئاسة ثمان سنوات لم تر في خلالها راحة يوما واحدا ولما مات شكر الناس الله وكانوا يهنئون بعضهم بعضا على الخلاص منه وكان موته في ١٤ برمهات سنة ٩٥٩ ش و١٢٤٣ م

ومما يدل على سوء الحالة التي انتهت اليها الامة القبطية في عهد هذا الرجل انه لم يسمع في تاريخها أن أسقفا اعتنق الاسلامية الا في عهده مع سماح الحكام للمسيحيين بالعيشة بالسلام حينئذ

(٢) اثناسيوس ٣ — البطريرك السادس والسبعون .

و بعد وفاة كيرلس خلا الكرسي سبع سنين وستة أشهر وعشرين يوما كان الاساقفة في خلالها يدبرون شؤون الكنيسة في كل ابروشية والناس في سكون غير مهتمين بانتخاب غيره بسبب الاتعاب التي لاقوها من كيرلس قبل توليته وفي مدة رئاسته و يقول المؤرخون ان الامة والاكليروس لبثوا بدون ان يفكروا في انتخاب بطريرك جديد انتظارا لوفاة اثنين من أعوان كيرلس الاردياء السيرة لكي يتمكنوا من الحصول على رجل تقي يصلح ما أفسده كيرلس . وقد توفقوا اخيرا الى الشماس ابن القس المعروف بابي المكارم بن كلهيل من مصر فأقروا على رسامته في مجمع عقدوه لهذه الغاية وتمت رسوم تكريسه في ٥ بابه سنة ٩٦٧ ش و ١٢٥١ م في عهد سلطنة ايبك الجاشنكير

وقد حقق ظن منتخبيه فلم يكد يستقر به المنصب حتى جاهد في الغاء السيمونية وشدد النكير على الكهنة الذين علم أنهم نالوا رتبة بهذه الواسطة . واستمر طول المدة التي أقامها على الكرسي البطريركي وهي ١١ سنة وشهرا واحدا يبني ما هدمه كيرلس حتى أتم جهاده وتنيح في أول كيهك سنة ٩٧٨ ش و ١٢٦٢ م

(٣) يوحنا ٧ — البطريرك السابع والسبعون « **وغبريال ٣** — البطريرك الثامن والسبعون (١) .

---

(١) يلاحظ أنه لم يقم بطريركان على كرسي الاسكندرية في وقت واحد الا هذه المرة و يندهش المطلع على تاريخ اساقفة كرسي رومية اذ يجد انه جلس اسقفان على الكرسي في وقت واحد ٢٨ مرة و٣ اساقفة ٦ مرات واربعة اساقفة ٤ مرات (تاريخ الانشقاق ٣ : ٤١٥ و ٤٠٦) .

وكلاهما من مصر وقيل ان البابا غبريال ٣ من الشام وفى الوقت الذى توفى فيه البابا اثناسيوس كان يوجد اثنان أحدهما يدعى يوحنا بن أبى سعيد السكرى والآخر غبريال ابن اخت أسقف طنبذى مترشحين للبطريركية وقد تساوت أصوات منتخبيهما فى المجمع المقدس . وكان يوحنا معضدا من أكابر الطائفة بمصر القديمة وغبريال من بعض أعيان القاهرة واشتد اللدد والخصام وعمل كل فريق على نصرة صاحبه وانقسم الاساقفة الى قسمين أحدهما وافق على انتخاب يوحنا والآخر ساعد على انتخاب غبريال وأخيرا اتفقوا على تحكيم الهيكيلية (القرعة) فاقترع الفريقان على أيهما يولى فوقعت القرعة باسم غبريال ومع ذلك فلم يرض الحزب الآخر ونهض منازعا غبريال وكان جله من عظماء الامة فعمدوا الى استرضاء الحكام ليعضدوهم فى أمر انتخاب يوحنا حتى تقووا وثبت قدمهم فتمكنوا من اقامته بطريركا

واستمر البابا يوحنا يحكم الكنيسة نحو ست سنوات وتسعة شهور كانت كلها منافسة ومعاكسة وخصام وفى خلالها تقوى حزب غبريال وتجارى الاساقفة على عزل البطريرك يوحنا وسجنوه باحد الاديرة وولوا غبريال مكانه وكان هو الاولى بالبطريركية نظرا لكفاءته واستحقاقه واستمر يدبر شؤون الكنيسة سنتين وشهرين كانت الفتنة فى خلالها لا تخمد نارها ولا ينطفى اوارها حتى تنيح غبريال فاتحدت كلمة الجميع على اعادة البابا يوحنا الى منصب البطريركية فأخرجوه من معتقله وأرجعوه الى مقره فقوبل فيه باكرام زائد

وكان البابا يوحنا جليل القدر واسع العلم والمعرفة فلما استقر به المنصب دبر الامور فأحسن التدبير وعمل على ازالة الوحشة بين الاحزاب وبالغ فى التلطف مع الحزم ففاز ونجح ومالت اليه القلوب واتحدت على محبته الخواطر فعظمت شهرته واتسعت كلمته . وفى مدة بطريركيته أتاه كتاب من امبراطور الحبشة يشكى له فيه تهجم المطارنة السوريين على بلاده و يعترف بخضوعه للكنيسة القبطية دون غيرها و يطلب منه رسامة مطران تقى يرعى الكنيسة الحبشية فحالما وقف البطريرك على فحوى الخطاب أسرع برسامة مطران قادر للحبشة حتى يحفظها من هجمات الاجانب

ومما حدث فى أيامه ان تاجرا مصريا أرسل مبلغا من المال لشريك له فى الحبشة وتصادف ان الرجل مات قبل وصول المال اليه فرفع التاجر المصرى أمره لملك مصر وهذا حوله على البابا يوحنا فوعد بالمساعدة وأنفذ كتابا لامبراطور الحبشة مع ذلك التاجر وحالما وصل به وعلم الناس أن البطريرك أرسل اليهم خطابا أسرعوا لمقابلة حامله بكل اجلال واكرام . وفى يوم الاحد تلا الامبراطور بخشوع تام خطاب البطريرك على مسمع الجميع فى الكنيسة الكبرى وعاد التاجر الى مصر يحمل ماله وهدايا ثمينة

وطالت أيام البابا يوحنا حتى تنيح فى ٢٦ برموده سنة ١٠٠٩ ش و١٢٩٣ م ولبث بطريركا للمرة الثانية اثنتين وعشرين سنة وستة شهور فتكون جملة سنى بطريركيته ٢٩ سنة

وقد وجد البيان الآتى مكتوبا باللغتين القبطية والعربية فى كتاب بصخة تاريخه ١٠ بشنس سنة ١٥١٠ ش

« انه لما كان القانون الرسولى يأمر بقراءة أسفار العهدين العتيق والحديث صار ذلك فرضا لازما على كل مسيحى حتى جلس الاب الموقر الانبا غبريال بن تريك أو ٧٧ فى عدد البطاركة وهذا كان كاتبا على كرسى مارمرقس الرسول بمدينة الإسكندرية سنة ٩٧٤ للشهداء الاطهار فرأى ان الناس بالنسبة لانهماكهم فى أعمالهم وخدمة السلاطين والخلفاء وبقية الاشغال الثقيلة لا يمكنهم اتمام القانون الرسولى فجمع علماء من ذوى المعرفة والفهم ورهبانا كثيرين من دير القديس ابى مقار وأخذوا من العتيقة والحديثة ما يلائم ووضعوه كتابا وسموه كتاب البصخة وصاروا يعملون الفصح كل سنة فى بيعهم حتى صار الاب المكرم بكل نوع الانبا بطرس اسقفا على كرسى البهنسا فنظر فى البصخة فرأى انهم يعملون فى ساعة نبوات وأناجيل كثيرة وفى ساعة أخرى قليلة فجمع من الكتب المقدسة ووضع لكل ساعة من الساعات ما يوافقها وبذا صار تلاوة الساعات متساوية ووضع لكل يوم من أيام الاسبوع عظتين من أقوال الآباء واحدة للصباح وواحدة للمساء كما هو مدون بكتاب البصخة الى يومنا هذا » أهـ (١)

(٤) ثيودوسيوس ٢ — البطريرك التاسع والسبعون .

وبعد ان توفى البابا يوحنا السابع خلا الكرسى سنة واحدة وثلاثة أشهر ونصفا ثم وفد أساقفة جميع الابروشيات الى البطريركية واستدعوا وجهاء الامة وبحثوا عمن يليق للرئاسة فوقع اختيارهم على الراهب ثيودوسيوس من دير ابى فانة وكان قبلا يدعى عبد المسيح بن رويل وهو من منية بن خصيم فتمموا تكريسه فى ١٨ مسرى سنة ١٠١٠ ش و١٢٩٤ م فى ايام الملك الناصر محمد بن المنصور بن قلاوون . وما استقر به المنصب حتى قام برعاية قطيع المسيح بكل أمانة الى ان امضى خمسة سنوات وخمسة شهور على الكرسى المرقسى ارتاح الاقباط فيها من اضطهاد المسلمين وتنيح فى ٦ طوبه سنة ١٠١٦ ش و١٣٠٠ م وخلا الكرسى بعده أربعين يوما

وقال بعض المؤرخين « ولم تكن قلوب الجماعة مؤتلفة مع هذا البطريرك حيث كان ارتقاؤه للرئاسة من غير اختيارهم فضلا عن كونه نسب لاخذ الرشوة وحدث فى أيامه فناء وغلاء شديدان » أهـ

---

(١) عن النسخة المطبوعة حديثا

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة

(١) أولاد العسال (٢) بعض العلماء (٣) برسوم العريان

(١) أولاد العسال .

نبغ جماعة من الاقباط فى هذا الجيل فى العلوم الرياضية والدينية والشرعية فاهتموا بأمر أمتهم وألفوا الكتب العديدة فى الشريعة وأصول الدين والتفسير باللغة العربية لانها كانت اللغة التى يتكلم بها الجميع حينئذ . ولكنهم خشية من أن يقضى على لغتهم الاصلية وضعوا كتبا لغوية قبطية حفظت تلك اللغة من التلاشى . ومن بين أولئك الافاضل جماعة يدعون أولاد العسال من أصل قبطى و يستدل على انهم كانوا غالبا من سدمنت بالوجه القبلى ولكنهم سكنوا مصر و بعضهم كان موظفا بالحكومة والبعض الآخر تفرغ لخدمة الله وكانت لهم منزلة رفيعة فى عهد الدولة الايوبية الحاكمة ولاسيما أبو اسحق الذى كان مصاحبا للايوبيين فى الشام . وكان لهم مركز سام فى الكنيسة فانتخب احدهم وهو الصفى أبو الفضائل فى عهد الخلاف الذى حصل فى ايام البطريرك كيرلس بن لقلق ليكون كاتم اسرار مجمع عقد لفض الخلاف فى توت سنة ٩٥٥ ش

و يقول المرحوم الايغومانوس فيلوثاؤس ان عائلة بنى العسال تتصاعد فى النسب الى رجل قبطى ارثوذكسى يدعى أبا البشر يوحنا الكاتب المصرى و يوحنا المشار اليه ولد أبا سهل جرجس وهذا ولد أبا اسحق ابراهيم الذى منه تخلف الشيخ الأجل فخر الدولة أبو الفضائل أسعد والد هؤلاء الافاضل ومما اعتاده بعض كتبة ذلك الحين ان يكنوا رجال هذه العائلة غالبا بابى الفضائل وابى الفضل وما أشبه

وكان لأولاد العسال معرفة بليغة بعلوم كثيرة واشتهروا بجودة خطهم العربى والى عائلتهم ينسب الخط الاسعدى غالبا هذا فضلا عن الخط اليونانى القديم المستعمل الآن فى اللغة القبطية . والذين اشتهروا منهم بالفضل والمعرفة من أولاد الشيخ ابى الفضائل الاسعد المشار اليهم هم : —

(١) الشيخ الفاضل مؤتمن الدولة أبو اسحق
(٢) وشقيقة الفاضل الحكيم الاسعد أبو الفرج هبة الله
(٣) وشقيقهما الشيخ الفاضل الصفى أبو الفضائل الأمجد . أما مؤلفاتهم فتدل على سعة فى الاطلاع وطول باع فى البحث الدقيق ولم يتركوا بابا من ابواب العلوم الا وطرقوه فكتبوا يدافعون عن الدين و يضعون قواعد للغات و بالاخص لغتهم القبطية و يسنون القوانين والشرائع وعدا ذلك

كان لهم المام بفنون أخرى كالتصوير والتركيبات الكيماوية وانشاؤهم العربى يضارع افضل شعراء وكتاب العرب الجاهليين . وهذا ما عثر عليه من مصنفاتهم : —

أولا — للمؤتمن ابى اسحق :

(١) مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين وهو من أوسع الكتب اللاهوتية

(٢) التبصرة المختصرة فى اللغة القبطية

(٣) آداب الكنيسة

(٤) خطب الاعياد السيدية وغيرها

(٥) السلم المقفى والذهب المصفى وهو قاموس قبطى عربى

(٦) مقدمة فى رسائل بولس

ثانيا — للاسعد ابى الفرج هبة الله :

(١) مقدمة (أجرومية) فى اللغة القبطية

(٢) مقابلة وتصحيح لترجمات الاناجيل الاربعة

(٣) رسالة فى مقدمة رسائل بولس التى صنفها اخوه المؤتمن

(٤) كتاب فى حساب الابقطى وفيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجدول للبطاركة

(٥) ارجوزة فى هذا الحساب شرحها البابا يوحنا البطريرك الـ ١٠٧ . وقد عبثت الايدى برسائل ومؤلفات أخرى عن الانفس بعد مفارقتها لاجسادها

ثالثا — للصفى ابى الفضائل :

(١) كتاب الصحائح فى الرد على النصائح

(٢) كتاب فى الرد على المدعين تحريف الانجيل

(٣) جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوى وهو الذى تعتمد عليه الكنيسة اليوم (١)

(٤) الكتاب الأوسط

(٥) فصول مختصرة فى التثليث والتوحيد

(٦) حواشى على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن عدى واجوبته على اعتراضات عبد الله الناشى وغيره

(٧) أرجوزة فى المواريث . وله كتاب « كفاية المبتدئين فى علم القوانين » ولكن لا أثر له

---

(١) اهتم بطبعه جرجس افندى فيلوثاؤس عوض وعن مقدمته استقينا هذه المعلومات

(٢) بعض العلماء .

وممن اشتهروا أيضا بالعلم والمعرفة في ذاك العصر غير أولاد العسال ودلت مؤلفاتهم على تضلعهم في العلوم والمعارف : —

(أولا) جرجس بن العميد . و يعرف بابن المكين كاتب الجيش المنصورة ومن تأليفاته تاريخ مدنى فى جزئين وقد ترجم منه أخيرا الجزء الثانى الى الفرنساوية . وكتاب الحاوى ضمنه حل اعتراضات على الدين المسيحى وفسر بعض الآيات المعضلة من الانجيل وكمل تاريخ الطبرى أيضا

(ثانيا) بطرس أبو شاكر بن الراهب . و يعرف بابى الكرم كان شماس كنيسة المعلقة سنة ١٢٦٠ م وألف كتاب « الشفا فى كشف ما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى » ومقدمة فى التثليث والتوحيد . وكتاب أبقطى ذو مقدمة اضافية بالقبطية والعربية

(ثالثا) شمس الرئاسة ابو البركات بن كبر . كان قسا لكنيسة المعلقة وهو عالم فاضل . ألف كتاب « مصباح الظلمة وايضاح الخدمة » يتضمن جملة فوائد دينية وادبية . وله خطب تتلى فى الكنائس

(رابعا) القس بطرس السدمنتى . كان من علماء اللاهوت الضليعين الف كتاب « التصحيح فى آلام المسيح » وله عدة رسائل قيمة

(خامسا) علم الرئاسة بن كاتب قيصر . هو الرئيس الاوحد علم الرئاسة أبو اسحق ابراهيم ابن الشيخ الرئيس ابى الثناء ابن الشيخ صفى الدولة كاتب الامير علم الدين قيصر . وضع هذا الشيخ الفاضل مقدمة فى قواعد نحو اللغة القبطية معروفة بكتاب « التبصرة » وألف كتابا فى تفسير الرؤيا .

(٣) برسوم العريان :

هو ابن كاتب الملكة شجرة الدر خلف له والده ثروة عظيمة فرغب عنها واحتقرها وآثر عيشة العبادة والزهد فآوى الى مغارة بكنيسة ابى سيفين لا تزال باقية الى اليوم عن يمين الداخل الى الكنيسة من بابها البحرى وانعكف على مباشرة الفضائل كالصوم والصلاة و بلغ خبره الآذان فتقاطر اليه كثيرون وقصده المرضى وقد اجرى الرب على يديه آيات شفاء كثيرة وحدث فى أيامه اضطهاد على المسيحيين فاغلقت الكنائس وحظر الصلاة بها أما هو فلبث يصلى فى كنيسته فاستدعاه الحاكم وامر بجلده ثم حبس ولبث فى السجن اياما حتى اطلق سراحه فاستأنف عبادته فى الكنيسة وكان يصلى الى الله ان يرفع الضيق عن شعبه فسمع صوته وزال الاضطهاد وفتحت الكنائس

وفى آخر حياته انفرد بدير شهران بالمعصرة مواظبا على اتمام الفضائل حتى تنيح فاحتفل بدفنه البابا يوحنا الثامن ودفن بكنيسة ذلك الدير الذى دعى باسمه الى اليوم

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

---

(١) الملك العادل سنة ١٢٠٠ م وابنه الملك الكامل سنة ١٢١٨ م .

وفى أيام الملك العادل مات بهاء الدين الدمشقى الفقيه المذكور آنفا وحل محله آخر واستولى على البساتين التى تحيط كنيسة الارمن المشار اليها فطلب من الاقباط مالا مقابل تغاضيه عن فتحها والصلاة فيها فلما لم يجيبوه الى طلبه هجم على الكنيسة أثناء انشغال الملك العادل بالحروب مع الافرنج في سوريا ونهبها ونهب كنيسة أخرى كانت بجانبها وطرد من بهما واغلقهما فلم يقاومه أحد من الاقباط خوفا ولكنهم رفعوا شكواهم للملك بعد رجوعه فأمر بفتح الكنيستين وعدم التعرض للاقباط فى اقامة شعائرهم الدينية

ولما كان الملك العادل فى سوريا أسند الحكم فى مصر لابنه الملك الكامل وكان يحب الاقباط حبا جما حتى ان الذين أسلموا ظاهريا فى أيام صلاح الدين طلبوا منه أن يصرح لهم بالعودة الى دينهم الذى لم يتركوه الا خوفا من الحريق وهو القصاص الذى تهدد به كل من لا يقبل الدين الاسلامى فأجاب طلبهم . وكان من جملة هؤلاء راهب من دير النطرون يدعى يوحنا عين بعد أسلامه كاتبا فى الديوان وحاز شهرة فى الاعمال الحسابية ولما توسم العدل فى الملك الكامل اشترى قاشا ومنديلا وذهب اليه وقال هذا لأجل كفنى اقتلنى أو ردنى الى ديني فشفق الكامل عليه ووهبه الحرية فترك وظيفته ورجع الى ديره

وقبطى آخر من مدينة طيبة لما سمع بنجاح ذلك الراهب طلب ان يقتل أو يسمح له بالرجوع الى دينه ولكن سوء الحظ ما كاد الملك الكامل يجيبه الى طلبه حتى حضر أبوه الملك العادل من الحرب فغضب عليه وسخط على القبطى وسلمه الى محافظ الاسكندرية ليتولى تعذيبه حتى

يسلم وأرسل وراء الراهب واستحضره من دير أبى مقار وأمر بقتله ان لم يسرع الى انكار دينه فلم يكد يسمع هذا المسكين الحكم باعدامه حتى ارتعدت فرائصه وجاهر باسلامه أمام الجنود التى استحضرته من الدير بل صار يتملق الى السلطان طلبا للنجاة من الموت واخبره بانه مستعد ان يرشد جنوده على كنوز وجدها الرهبان في بئر حفروها ووجدوا بها أواني ذهبية وفضية ونقودا رومانية وخبأوها في الدير. فسار به الجنود الى الدير وكان الرهبان قد تمكنوا قبل وصولهم من اخفاء اواني الكنيسة في بئر بلا ماء واكد رئيس الدير للجنود بانه لا يوجد عندهم شيء مما يطلبون وان البئر حفرها قوم مسلمون لا يزالون أحياء ولكن الراهب التعيس أرشد الجنود الى تلك البئر فاستخرجوا منها كأسا وصينية وبعض الاواني التى تستعمل فى تناول سر الافخارستيا فافهمهم الرئيس ان هذه الاواني مهداة الى الدير من بعض المؤمنين وأروهم اسماءهم مكتوبة عليها فأخذها الجنود الى الملك العادل فأمر بقراءة الكتابة المكتوبة عليها باللغة القبطية فاتضح انها جديدة وتوسط الملك الكامل فى الامر فأعيدت الى الرهبان فطافوا بها فى شوارع القاهرة مادحين عدل السلطان ومسرورين سرورا عظيما

وكانت كنيسة مار مرقس بالاسكندرية كحصن منيع جدا على البحر فخاف الملك العادل لئلا يأتى الافرنج الذين كانوا يقاتلون المسلمين فى عدة مواضع ويتغلبوا على الاسكندرية ويتحصنوا بالكنيسة المذكورة فيتعذر عليه اخراجهم منها فأمر بهدمها وكانت واسعة جدا عظيمة البناء

وبعد موت الملك العادل استقل بالملك ابنه الملك الكامل وفى أيامه قام الصليبيون بحملتهم السادسة وتقدموا الى فتح مصر وكان ذلك متيسرا لهم لولا الانشقاق الذى دب بينهم ومنشأه القاصد الرسولى الذى أرسله اسقف رومية مع الحملة فلم يكفه ما حازه من السلطان الدينى فنازع قواد الجيش سلطانهم فأبى جان برين قائد الجيوش ان يسلم وظيفته لاحد الاكليروس واستمر يتشادان على الرئاسة وقتا تمكن فيه المسلمون من لم شعثهم فوقفوا فى وجه الصليبيين وانتصروا عليهم انتصارا باهرا . وجاء لغوث الصليبيين رجل يدعى القديس فرنسيس ومعه لفيف من الرهبان قاصدين الاستشهاد فى الحروب . وبعد انكسار الصليبيين سار فرنسيس مع رفيق له لزيارة معسكر المسلمين فقبض عليهما وجيء بهما أمام الملك الكامل فأجابه فرنسيس بانه أتى ليهدى المصريين الى الحق وقصد بذلك المسيحيين والمسلمين سواء . وكان الملك الكامل يجهل ان الغربيين يعتبرون الارثوذكسى والمسلم سواء . فأعجب الملك الكامل من شجاعته وبعد ذلك عرض الراهب على الملك ان يشعل نارا ويستحضر شيخا مسلما ليدخل اياه فيها ومن يخرج سليما يكون دينه الحق فرفض الملك لعلمه بانه لا يوجد واحد من مشايخ المسلمين يقبل ذلك فطلب ان يدخل وحده على شريطة ان خرج صحيحا يعتنق الملك الديانة المسيحية فرفض الملك وصرفه بلطف

ولما استمر الصليبيون يضايقون الملك الكامل وفرغ المال من خزائنه استولى على نصف أموال البطريركية القبطية ولما عارضه الاقباط فى تعيين داود بن لقلق بطريركا وكان قد وعده بدفع مبلغ من المال اشتد عليهم وأخذ جنوده كثيرين منهم ومن الرهبان والشمامسة وساقوهم الى الاشغال الشاقة وسخروهم فى بناء الاستحكامات والحصون التى كانت تقام فى وجه الصليبيين . وبعد ذلك أعلنوهم انهم سيدخلونهم الجندية فاجتمع الاساقفة لدى الملك الكامل ففرض عليهم فدية معينة من المال نظير بدل عسكرى

وكان الاقباط ينتظرون النجاة من الحكم الاسلامى من وراء فتح الصليبيين ولكنهم لما علموا ان هؤلاء يعتبرونهم والمسلمين سواء سخطوا عليهم لاسيما عند ما بلغت الاخبار بانهم لما دخلوا دمياط أساءوا الى الاقباط وأنكروا عليهم حقوقهم الوطنية وعينوا مطرانا لدمياط من قبل كنيسة رومية اللاتينية . كما انهم قتلوا كثيرين وأخذوا الاطفال من أحضان أمهاتهم فآثر الاقباط الهدوء والسكينة وعدم التداخل فى الامر

وساءهم من الصليبيين أكثر منعهم اياهم من دخول القدس ولم يدخلوه حتى استولى صلاح الدين عليه وفى سنة ١٢٠٤ م فى ايام الملك العادل فاجأ الافرنج مصر من جهة رشيد وتقدموا الى فوه وتحصنوا فيها وكانت خاصة بالاقباط ولها أسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطردوا غيرهم وسبوا البعض والبعض الاخر لم يسعه الا الهرب . أما الاسقف فانه لما وجد نفسه وحيدا تركها وذهب الى مصر وأقام بها حتى ولى مطرانا على بلاد الحبشة . وفى اثناء ذلك حل بالبلاد غلاء شديد لم يسمع بمثله فأكل الناس القطط والكلاب فهجر بعض الاقباط أوطانهم وذهبوا الى بلاد الاحباش وتوطنوا بها فقوبلوا من ملكها بالترحيب واذ كان معظمهم من ارباب الفنون والصنائع أشغلهم فى اقامة المبانى الواسعة والكنائس الفخيمة التى كانت تدهش كل من رآها . وبين هؤلاء قبطى كبير يدعى فخر الدولة أناط به ملك الحبشة تنظيم مملكته وترتيب دواوين بها على الطريقة الجارية بمصر .

ولما أنهزم الصليبيون ابتهج الاقباط اذ وجدوا المسلمين اكثر شفقة عليهم منهم ولما رأى الملك الكامل منهم ذلك ركن اليهم وقربهم ورفع مقامهم وعمل على ما فيه راحتهم يدلك على ذلك ان بعض الامراء قبض على بعض الرهبان وسلبهم مبلغا من المال بحجة أنهم تأخروا فى دفع الجزية السنوية . وكان هذا المبلغ هو كل ما يملكه الرهبان فشكوه للملك الكامل فنظر فى دعواهم وامر بارجاع المال اليهم . ومن حسنات الملك الكامل أنه رفض قبول كل رشوة لاجل ترشيح داود بن لقلق بطريركا واعفى الرهبان من الجزية الشخصية وزار بنفسه دير وادى النطرون وتفقد احوال الرهبان وزار ايضا دير القديس مكاريوس فوجد أحد موظفى الاسلام ساكنا به فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان .

و بالجملة فقد منع الملك الكامل التعرض للاقباط فى أى شأن من شؤون دينهم واذن لهم ببناء كنائسهم التى خربها المسلمون واباح لهم فتح ما أغلق منها واقامة شعائرهم الدينية فيها جهارا بدون مانع ولذا تراهم يذكرون للان فى صلواتهم اليومية هذه العبارة « وحنن الله قلوب المتولين علينا » .

ولكنه فيما بعد قام داود بن لقلق بتمثيل دوره المشهور فسقطت محبة الملك الكامل للاقباط بسببه وندم على اعفاء الرهبان من الجزية وظن أن كثيرين منهم دخلوا الرهبنة بدون حق فأمر بفرزهم من الرهبان الحقيقيين فوجد المتعصبون فرصة للايقاع بالأقباط فسلبوا الاموال من الرهبان عموما ولم يميزوا بين الحقيقى والمتصنع . ومما يذكر بالسخط لداود المشار اليه هو انه لم يستخدم عدل الملك الكامل لاصلاح شأن أمته بل أضاع بسوء تصرفه هذه الفرصة الحسنة

وكان المسلمون ايضا ينظرون الى الاقباط بغيظ لعلمهم انهم الصليبيون على دين واحد . و بلغ من عنف المسلمين وغيظهم عليهم انهم فى أثناء تقدمهم لانقاذ دمياط من يد الصليبيين صار الجنود يهدمون كل كنيسة قبطية انتقاما من النصارى عموما وقاسى الاقباط فى داخلية البلاد شدائد عظيمة .

وعلى كل حال فكانت احوال الاقباط فى ايام الدولة الايوبية رغم ما تخللها من صعوبات أفضل من غيرها وقام الاقباط بخدمة الحكومة بكل أمانة حتى ان الحكام والامراء أئتمنوهم على خزائنهم واموالهم فحافظوا عليها وسلموهم مصالحهم فسيروها على أحسن حال وتأكد الكل استحالة الاستغناء عنهم أو عدم أمكان تسيير الاعمال بدونهم

(٢) دولة المماليك الاولى : أيبك وابنة نور الدين سنة ١٢٥٠ م :

وتولى بعد الملك الكامل جملة ملوك آخرهم المعظم الذى انتهت بموته الدولة الايوبية وقامت مكانها دولة المماليك الاولى اول ملوكها عز الدين ايبك وفى ايامه كان بين نصارى صعيد مصر الاقباط طبيب يسمى ثيودور (تادرس) اسلم فى ايام الملك الكامل وخدم عند الملك الفائز ابراهيم ابن الملك العادل فنسب اليه ودعى بالاسعد شرف الدين ابى القاسم هبة الله بن صاعد الفائزى ولما آلت المملكة للملك نجم الدين الايوبى ولاه نظارة الدواوين جميعها و بعد قليل غضب عليه فسافر الى دمشق و بقى بها حتى تولى عز الدين ايبك كرسى السلطنة فعاد الى مصر وتعلق بخدمته فولاه الدواوين وتمكن من الدولة تمكنا زائدا وكان مبدأه التظاهر بحب المسلمين و بغض النصارى فأظهر حينئذ خسة متناهية وكان سببا فى وقوع المصائب على رأس اخوانه الاقباط فضغط عليهم وضاعف الضرائب . وقرر على التجار وذوى اليسار منهم أموالا يدفعونها كل سنة وفرض مكوسا سنوية على كل ما يملكون من بهائم وعبيد ومؤونة ولعظم قساوته كان يقوم هو بنفسه ليحصل الاموال

منهم حتى أنتقم الله منه فوشى به الى السلطان بانه يناصر عليه أعداءه فقبض على أمواله ثم خنق ولف في نخ ودفن .

(٣) الظاهر بيبرس البندقدارى وابنه بركه خان سنة ١٢٦٠ م :

أتفق في أيامه حصول حريق عظيم في القاهرة اتخذه المبغضون وسيلة للايقاع بالنصارى فتكلموا ضدهم لدى الملك بانهم هم الذين أتوا هذا الفعل الشنيع لتكدرهم من أنكسار الافرنج أخوانهم في الدين فحمى غضب الملك وأمر بجمعهم واخراجهم خارج المدينة والقائهم في حفرة ليحرقوا أحياء وروى المقريزى ان التهمة كانت متوجهة للنصارى واليهود فلما أشعلوا لهم النيران برز رجل يهودى يسمى ابن الكازرونى كان صيرافيا في أحد الدواوين وقال للسلطان بحق الله لا تحرقنا مع هؤلاء الملاعين فضحك السلطان والامراء والمؤرخون يقررون بان فارس الدين اقطاى رثى لحالهم فتوسل الى الملك ليعفو عنهم فقبل بشرط أن يدفعوا غرامة قدرها خمسين الف دينار . فدفع الاقباط هذا المال لاجل اصلاح الاحياء المحترقة ولكنه صرف على الحروب التى كان الظاهر قائما بها

وفى أيام ابنه بركة خان سنة ١٢٧٧ م كان الاقباط يتظلمون من قساوة الاحكام والمعاملة الغير العادلة . وحدث انه رفت كل الموظفين الاقباط من ديوان الحربية واتفق أنه يوم صدور هذا الامر سقط بناء دير الخندق في ضواحى القاهرة فخرج خلق كثير من رعاع المسلمين ليكملوا هدمه

(٤) صلاح الدين خليل سنة ١٢٩٠ م :

تولى الملك المنصور بن قلاوون سنة ١٢٧٩ م ومع أنه عدل الضرائب وساوى في فرضها بين المسلمين والمسيحيين الا ان هؤلاء لم يسلموا من قساوته ومن قساوة المسلمين في أثناء تغيبه في الحروب . وكان قد تمرد عليه المماليك فانتقم منهم انتقاما فظيعا أسخط عليه كل من سمع به فندمه على فعله فبدأ يبنى تكايا للمساكين ومستشفيات للمرضى تكفيرا عن ذنبه وقد أضاف الى هذه الحسنات تشديده على النصارى وأمره اياهم بان لا يركبوا خيلا ولا بغلا وألزمهم بان يركبوا الحمير و يشدوا الزنانير وان لا يحدث نصرانى مسلما وهو راكب والا يلبسوا ثيابا مصقولة وغير ذلك من أنواع الذل والهوان .

وظلت هذه القوانين سارية عليهم حتى عقبه ابنه صلاح الدين خليل الملقب بالاشرف فبدأ يضطهدهم أضطهادا شديدا ولكنهم ثبتوا أمامه ثباتا مدهشا ولكى يعلنوا ان الاضطهاد لا يقوى على زعزعة أيمانهم صاروا يرسمون على ايديهم أشارة الصليب المقدس ومن ذلك الحين صارت هذه العادة مرعية الى الان .

وسبب اضطهاد صلاح الدين الاقباط هو ماتوهموه بعد موت قلاوون من ان ايام ذلهم قد

انقضت فعادوا الى ركوب الخيل وتغيير الملابس لاسيما لما وجدوا ذوى الشأن من المسلمين يثقون بهم ويوكلونهم على مصالحهم فاعتمدوا على جاه مخدوميهم وغيروا مظاهرهم . واتفق ان قبطيا يسمى عين الغزال كان موظفا بوظيفة وكيل عند أحد كبار الامراء المماليك فذات يوم صادف وهو ذاهب الى دار مولاه سمسارا مسلما كان مطلوبا بمبلغ من النقود للامير ثمن غلة اشتراها من شونه فطالبه الوكيل بما عليه واذ لم يكن عنده ما يسدد ديونه ساقه الى بيت الامير فرأى المسلمون في الشوارع الوكيل القبطى راكبا وقابضا على يد المسلم الذى كان يجرى وراءه فاندهشوا عندما رأوا المسلم أسيرا في يد القبطى والتفوا حولهما وطلبوا من القبطى ان يخلى سبيله فلم يرض فتكاثروا عليه والقوه عن جواده واطلقوا السمسار وصاروا يصفعونه و يضربونه وكانت هذه الحادثة بقرب بيت الامير فذهب غلامه اليه ليأتيه بمن ينجده فأسرع اليه بعبيد الامير وتمكنوا من انقاذ الوكيل وهو فى حال سيئة مما ناله من الضرب والاذى بعد ان اوسعوا اولئك المعتدين ضربا بالعصى فصاح هؤلاء « هذا ليس في شرع الاسلام » ثم اسرعوا بالسير نحو القلعة وكانوا كل ما مروا فى طريق ينضم اليهم جماعة حتى كثر عددهم ووقفوا تحت القلعة حيث كان السلطان ونادوا بأعلى صوت قائلين « نصر الله السلطان » فلما سمع صياحهم استفهم عن الخبر فعرفوه بما جرى وزادوا القول بان النصارى تعاظموا على المسلمين وتجبروا عليهم فأرسل السلطان الى الامير يقول له « كيف تسمح لرجالك بان يعاملوا المسلمين هكذا اكراما لرجل نصرانى » فاعتذر الامير بعدم علمه بما جرى

وخشى السلطان سوء العاقبة من تجمهر المسلمين فغضب ولم يدبر حيلة لاطفاء نار هذه الفتنة سوى الامر باهلاك الكتاب النصارى فأمر بجمع كبار كتاب الامراء واحضارهم بين يديه ليقتلهم فتأثر الامير بدر الدين وأمير آخر اسمه سنجار الشجاعى واستعطفاه ومازالا به حتى عفا عنهم بشرط أن لا يستخدم الامراء احدا منهم وان يعرضوا عليهم الاسلام فمن امتنع كان هو الجانى على نفسه . فطاف المنادون فى شوارع القاهرة ومصر القديمة يعلنون بان السلطان يأمر كل الامراء بان يلزموا خدمتهم الاقباط باعتناق الاسلام ومن يرفض تقطع رأسه في الحال . وسرى هذا الامر ايضا على موظفى الحكومة

فما علم الاقباط بهذا الامر حتى لاذ منهم الوف بالهروب وانزووا فى الكهوف والمغائر فانتهز رعاع المسلمين ومن كان فى نفسه حاجة من جهة النصارى واسرعوا بالهجوم على منازلهم وقبضوا على كثيرين منهم قبل ان يتمكنوا من الفرار وساقوهم الى الهلاك بعد ان نهبوا ما فى بيوتهم ولم يبق بيت لم تمتد اليه الايدى بالسلب والنهب وسبى عدد عظيم من النساء وقتل المسلمون بايديهم كثيرين قبل وصولهم الى محل القتل أمام السلطان . ولما شاهد ذلك الامير بدرا سعى لدى السلطان حتى استصدر منه امرا يقضى بشنق كل من ينهب بيتا أمام البيت الذى ينهبه ولكن الرعاع استمروا فى طغيانهم فقبض على كثيرين منهم وجلدوا جلدا مبرحا فكانوا عبرة لسواهم وانقطع السلب

والنهب بعد أن نهبت كل البيوت ونهبت كنيسة المعلقة وقتلوا فيها جماعة وقتل عدد عظيم من الاقباط .

قال المقريزى « ثم جمع النائب كثيرا من النصارى كتاب السلطان والامراء واوقفهم بين أيدى السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى وامير جاندار أن يأخذا عدة معهما و ينزلا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفرا حفرة كبيرة و يلقيا فيها الكتاب الحاضر ين و يضرما عليهم الحطب نارا . فتقدم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال ما أر يد فى دولتى ديوانا نصرانيا . فلم يزل به حتى سمح بان من أسلم منهم يستقر فى خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم ياجماعة ما وصلت قدرتى مع السلطان فى أمركم الا على شرط وهو ان من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه و باشر خدمته فابتدره المكين بن السقاعى احد المستوفين وقال ياخوند (كلمة تركية للتعظيم) وأيناقواد يختار القتل على هذا الدين والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاره حتى نروح عليه » فغلب بيدرا الضحك وقال له و يلك أنحن نختار غير دين الاسلام » فقال « ياخوندما نعرف قولوا ونحن نتبعكم » فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فالبسهم تشار يف وخرجوا الى مجلس الوز ير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضر ين بالمكين بن السقاعى وناوله ورقة ليكتب عليها وقال له متهكما يامولانا القاضى أكتب على هذه الورقة (انك اسلمت) فقال له « والله يابنى ما كان لنا فى هذا القضاء خلد » فلم يزالوا فى مجلس الوز ير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا أسلامهم بحضرتهم فصار الذليل منهم باظهار الاسلام عز يزا يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كانت تمنعه نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الاميرا بدرا النائب :

اسلم الكافرون بالسيف قهرا	واذا ماخلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح	فهم سالمون لا مسلمونا

و بالجملة فلم ينته هذا القرن الا بمصائب عظيمة فعم الجوع والوباء بسبب قلة ز يادة النيل فضلا عن الحروب والفتن والقلاقل وكان الاقباط لكل هذه الرزايا الضحية الوحيدة فكثرت عليهم الضرائب وزادت الجز ية فنهم من مات ومنهم من أسلم اما تخلصا من المغارم أو خشية أن يصيروا الى ما صار اليه من شاهدوهم من أخوانهم المسيحيين يقتلون و يستولى على جميع أملاكهم وربما كان البعض طمعا فى الوصول الى المراكز الرفيعة

القرن الرابع عشر

القسم الأول
تاريخ البطاركة

(١) يوحنا ٨	(٢) يوحنا ٩
(٣) بنيامين ٢	(٤) بطرس ٥
(٥) مرقس ٤	(٦) يوحنا ١٠
(٧) غبريال ٤	(٨) متاؤس ١

(١) يوحنا ٨ — البطريرك الثمانون :

بعد وفاة البابا ثيودوسيوس فى ختام القرن الثالث عشر انعقد مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطريركية لانتخاب غيره فأقروا على تكريس رئيس دير شهران المشهور بدير الانبا برسوم العريان وكان مولودا بالمنيا و يعرف بيوحنا بن قديس بطريركا فى ١٦ أمشير سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م فى أيام الملك الناصر .

وفى أيامه بلغ أضطهاد المسيحيين أشده وضجر الاقباط من كثرة العوائد المكروهة التى ألزموهم بالسير عليها وارادوا ان يتخلصوا منها بالعنف فلما رأى المسلمون منهم ذلك طلبوا من محافظ القاهرة ان يسمح لهم بهدم باقى كنائسهم كى لا يعودوا الى العصيان مرة أخرى فاستدعى المحافظ اليه البابا يوحنا واخبره بالامر وطلب منه أن يوصى اولاده بالخضوع لكل ما حل بهم أو يعرضون ذواتهم لضيق عظيم فكتب فى الحال البطريرك الى جميع اساقفة الابروشيات يحضهم و يدعوهم الى التشديد على الشعب القبطى باتباع ما أمروا به وخوفا من الاضطهاد شدد عليهم وأمر أن من يخالف هذه الاوامر يحرم من الكنيسة وانه لابد من الرضوخ لارادة القوة الحاكمة .

غير ان ذلك كله لم يقنع المسلمين فطلبوا من البطريرك أن يغلق كل الكنائس الباقية بلا تخريب ولما أبى ان يطيعهم انهالوا عليها وأخذوا يهدمونها وهو يحاول بحكمته أن يدفع هذا البلاء ولكنه لم يفلح .

وهكذا قضى هذا البابا على الكرسى عشرين سنة وثلاثة شهور وعشرين يوما كانت كلها مفعمة بالاحزان وشديدة الوطأة على المسيحيين حتى أراحه الرب ونقله اليه فى ٤ بؤونه سنة ١٠٣٦ ش و ١٣٢٠ م

(٢) يوحنا ٩ — البطر يرك الحادى والثمانون :

و بعد وفاة البابا يوحنا ٨ باربعة شهور اجتمع المجمع وأقر على أنتخاب واحد كان من جهة نفيسة بالمنوفية وقدموه بطر يركا فى أول بابه سنة ١٠٣٧ ش و ١٣٢١ م فى عهد الملك الناصر المذكور ودعى يوحنا التاسع وعقب تنصيبه شب حريق بالقاهرة واتهم باشعال النار بعض الرهبان فثار المسلمون طالبين اهلاك المسيحيين فطلب القاضى كريم الدين أن يحضر أمامه البابا يوحنا ليدله عمن أحدث هذا الحريق فاحضره الجند فى الليل خوفا من أن تصل اليه أيدى الثائرين ولما سئل عن الحريق ذرفت عيناه الدموع وأورى انه لا يعرف شيئا فأمر القاضى باطلاقه لمقره بكل احترام فسار به الحراس الى الدار البطريركية ولكن جماعة الغوغاء والاوباش الذين كانوا يملأون الشوارع كادوا يمزقونه فى الطريق لولا حذر العساكر محافظتهم عليه حتى دخل البطريركية بسلام و يظهر أن تقوى هذا البابا حفظته من الخطر فى تلك الايام الهائلة فقضى مدة رئاسته آمنا يشاهد النكبات التى تلحق شعبه المسكين حتى انتهت حياته فى ٢ برموده سنة ١٠٤٣ ش و١٣٢٨ م وكانت مدة بطريركيته ستة أعوام وخمسة شهور و ٢٢ يوما .

(٣) بنيامين ٢ — البطر يرك الثانى والثمانون :

و بعد ثلاثة واربعين يوما لوفاة البابا يوحنا استدعى أكابر الامة الاساقفة الى الدار البطريركية لاقامة بطريرك آخر فاجمعت آراؤهم على انتخاب احد رهبان دير البغل بجبل طره واصله من اهل الدمقراط فرسم بطريركا فى ١٥ بشنس سنة ١٠٤٣ ش و١٣٢٨ م فى اواخر ملك الملك الناصر ودعى بنيامين الثانى .

وفى أيامه أعيد الكرب على المسيحيين ولاسيما الرهبان والاكليروس فوجه اهتمامه نحو اديرة الرهبان التى أندثر كثير منها واهمل بسبب الاضطهاد فجدد دير أنبا بيشوى الكائن ببرية النطرون واستدعى اليه بعض الرهبان ليقيموا به و يعمروه ولبث مجاهدا حتى تمت ١١ سنة و ٦ شهور و يوم واحد على جلوسه على الكرسى وتنيح فى ١١ طوبه الموافق لعيد الغطاس سنة ١٠٥٥ ش و ١٣٣٩ واستمر كرسى البطريركية خاليا بعده عاما واحدا .

(٤) بطرس ٥ — البطر يرك الثالث والثمانون : —

وخلف البابا بنيامين البابا بطرس الذى اختاره مجمع الاساقفة والشعب الذى انعقد بالدار البطريركية واقيم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٠٥٦ ش و ١٣٤٠ م فى اواخر سنى ملك الملك الناصر . وكان يدعى اولا داود وكان راهبا بدير ابى مقار .

وفى ايامه تقدمت شكوى من المسلمين على النصارى للسلطان الصالح بانهم يخالفون القواعد التى أمروهم بالسير عليها فأمر السلطان باحضار البطريرك وكلفه بان يلزم رعيته بالخضوع لاوامر الحكومة . وقد شاهد هذا البابا بعينه المصائب الفادحة التى كانت تنزل بامته التعيسة وهو

صابر طالبا منه أن يرفعها عنهم حتى سمع الله صلاته وتنيح وهى آمنة مطمئنة فى ٤ أبيب سنة ١٠٦٤ ش و١٣٤٨ م بعد أن قضى على الكرسى ثمانى سنين وستة شهور وثمانية ايام وخلا الكرسى بعده شهرين و بعض ايام

(٥) مرقس ٤ — البطريرك الرابع والثمانون :

و بعد وفاة البابا بطرس أنتخب الاساقفة والشعب فى مجمع البطريركية راهبا دعوه مرقس الرابع وتمت رسامته فى ١٠ توت سنة ١٠٦٥ ش و١٣٤٩ م فى مدة تملك السلاطين شعْبانْ وحاجى وحسن وصلاح الدين وكان يدعى أولا فرج الله من قليوب ترهب ورسم قسا بدير شهران

وفى ايامه اشتد الاضطهاد على المسيحيين والقى القبض عليه وعذب عذابا شديدا فعلم ملك النوبة المسيحى بذلك فالقى القبض على كل التجار المسلمين فى مملكته ورهنهم اسرى حتى يطلق سراح البطريرك فالتزم المسلمون فى مصر أن يتركوه دون أن يضروه عند علمهم بهذا الخبر

وحدث فى أيامه أيضا فناء عظيم خربت به القرى . وكانت نياحته فى ٦ أمشير سنة ١٠٧٩ ش و١٣٦٣ م وخلا الكرسى بعده ٣ شهور و٦ أيام

(٦) يوحنا ١٠ — البطريرك الخامس والثمانون :

و بعد وفاة البابا مرقس الرابع حضر الاساقفة من كل الابروشيات الى البطريركية واجتمعوا بكبار الامة و يظهر ان يلبغا والى مصر وقتئذ تساهل معهم فانتخبوا بطريركا جديدا بلا صعوبة أو معاكسة من المسلمين وسمى يوحنا العاشر ولقب بالمؤتمن وتمت رسامته باحتفال عظيم فى ١٢ بشنس سنة ١٠٧٩ ش و١٣٦٣ م فى زمن تملك الاشراف شعبان وأصله من دمشق .

ولبث على كرسى الرئاسة مدة ست سنوات وشهرين وثمانية أيام حدثت فى خلالها مجاعة عظيمة فى مصر وسوريا حملت سكان القطرين على أكل القطط والكلاب وتنيح فى ١٩ أبيب سنة ١٠٨٥ ش و١٣٦٩ م وخلا كرسى البطريركية بعده ستة أشهر .

(٧) غبريال ٤ — البطريرك السادس والثمانون :

اختير بطريركا فى مجمع الاساقفة والشعب المنعقد بالبطريركية راهب من دير المحرق يدعى غبريال رسم فى ١١ طوبة سنة ١٠٨٦ ش و ١٣٧٠ م فى زمن تملك الاشراف شعبان وقد تم انتخابه بكل هدوء وسكينة وكانت مدة رئاسته ثمانى سنين وثلاثة شهور و ٢١ يوما وتنيح فى ٢ بشنس سنة ١٠٩٤ ش و١٣٧٨ م وخلا الكرسى بعده ثلاثة شهور .

(٨) متاؤس ١ — البطريرك السابع والثمانون :

جلس على الكرسى بعد البابا غبريال باجماع الاساقفة والشعب ومن أمره انه من د..

المحرق وشغف منذ صباه بالعيشة النسكية فترهب فى سن الرابعة عشرة بدير بقرب اخميم وصار تلميذا للشيخ ابرآم مدة اربع سنين و بعدها دعاه اسقف تلك الجهة ليكون معه .

وكان جميل الوجه حسن الصورة فهامت به أمرأة و بذلت جهدها لتنال منه مأربها واذ كان يوما يرعى فى الحقل مواشى الاسقف خرجت وراءه وراودته ليرتكب معها خطية الزنا فاقشعر بدنه لدى سماعه طلبها وأخذ يحذرها من التمادى فى هذا الشر و يذكر لها عقاب الله الشديد للخطاة فاجابته « ان جمال حاجبيك هو الذى ساقنى اليك وأشعل بفؤادى لظى غرامك » فأسرع واستل مدية وفى ناحية بعيدة منها قطع بها حاجبيه وعاد اليها والدم يخضبها و يسيل منها وقال « تفرسى أيتها الشقية فى الجمال الذى سباك كيف تحول الى شناعة » فحالما شاهدت منظره ارتعدت فرائصها ولاذت بالفرار . الا ان الشيطان عاد وحركها فرجعت تضايقه فطلب من الاسقف ان يطلق سراحه فأبى ورأى ان يتخلص من هذه الورطة فتظاهر أمام الاسقف بالجنون وأخذ يمزق أثوابه حتى اضطر الاسقف أن يخلى سبيله فأتى معلمه الشيخ ابرآم واطلعه على خبره فسر منه وشجعه على السير الى النهاية فى طريق الفضيلة وأرسل يخبر الاسقف بأمره فلما علم الاسقف ان متى أستخدم الجنون لكى يهرب من الشر استدعاه اليه ورسمه كاهنا بدون اذن الشيخ ابرآم فعاتبه الشيخ على ترقيته لراهب صغير الى رتبة الكهنوت فرد عليه الاسقف متنبئا ان متى سيصل الى رتبة رفيعة

و بعد ذلك ترك القس متى الاسقف وتوجه الى دير الانبا أنطونيوس بالجبل الشرقى واستمر يخدم بوظيفة شماس ففاحت رائحة فضيلته ونطقت الافواه بمدحه فخشى ان يؤثر المديح عليه فينتفخ فترك الدير ومضى الى القدس وهناك لبث يعبد الله بعيدا عن الناس مدة طويلة حتى أضطره الحال أن يعود الى مصر و يسكن دير انطونيوس ثانية .

و بينما كان مباشرا عبادته هجم أحد الامراء على الدير والقى القبض على الرهبان و بينهم القس متى وعذبهم عذابا شديدا وأنزلهم من الدير فاصابهم فى الطريق عطش شديد ولم يجدوا ماء الا مع الامير الذى أبى أن يعطيهم نقطة واحدة . فجمع القس متى الرهبان وطلب منهم أن يصلوا لله حتى يفرج كربهم فلم يفرغوا من الصلاة حتى هطل الغيث وارتووا . وكان القس متى يشجع اخوته الرهبان فى الطريق و يعدهم بقرب وقت الفرج . ولما أتوا الريف طلب السلطان من الامير أن يذهب الى معسكره فترك الرهبان ولوقتها أنطلق القس متى وأقام فى الدير المحرق ولبث مواظبا فيه على العبادة حتى اختير للبطريركية فقبلها رغم ارادته ورسم فى اول مسرى سنة ١٠٩٤ ش و١٣٧٨ فى عهد تملك على بن الاشرف .

وكان اثناء بطريركيته ملازما أفعال الخير نحو الجميع فلجأ اليه الفقراء والمعوزون فكان يعمل على تنفيث كربهم حتى نزل به مكروه من راهبين طلبا منه ان يصيرهما اسقفين فرفض طلبهما

اذ لم يجدهما مستحقين فتكلما ضده لدى الملك بكلام سوء فلم يسمع كلامهما لانهماكه فى الحرب . واذ لم يجدا فائدة من الشكوى هجما على البطريرك ذات يوم وتوعداه بالقتل أن لم يمنحهما مرغوبهما فوعدهما باجابة سؤالهما بعد اربعين يوما ولم تنته هذه المدة حتى أراحه منهما الرب بموتهما

وحدث أيضا ان راهبا سوريا اعتنق الديانة الاسلامية و بذل جهده ليوقع البطريرك فى محنة فأتى كثيرون طالبين من البابا ان يلعن هذا الرجل فاجابهم لا أستطيع ان ألعنه لانه لابد ان ينال اكليل الشهادة على اسم المسيح . و بعد مدة وجيزة شعر الراهب بسقطته واعترف بالمسيح علانية فأورده المسلمون موارد الهلاك

و بعد ذلك اتفق يلبغا الوالى مع الاميرين منطاش وسودون على ايقاع الضرر بالبطريرك والكنائس ولما شرعوا فى عملهم توجه البابا الى السلطان برقوق وشكى له الامر فألزمهم بالكف عن عملهم . ولبث هذا البابا مدة ثلاثين سنة وخمسة شهور وتنيح فى ٥ طوبه سنة ١١٢٥ ش و ١٤٠٩ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة
أنبا رويس

هو الشهير بابى فريج ولد فى أحدى قرى أقليم الغربية وترك موطنه فى سن العشرين وتوجه الى الصعيد وعاش عيشة النسك والزهد فاحبه الناس ونال مركزا ساميا فى عيونهم ثم هجر الوجه القبلى وأقام بالقاهرة فقبض عليه هو و بعض المؤمنين وألقوا فى السجن ونزلت بهم بلايا عديدة كان القديس فى أبانها يقوى رفقاءه على احتمالها الى أن أطلق سراحه بتداخل البطريرك فطاف انبا رويس معلما بأقواله وافعاله . وأنفرد فى آخر حياته للعبادة والصلاة وأجرى الرب على يديه آيات وعجائب حتى تنيح سنة ١٣٩٧ م واودع جسده بدير الخندق المعروف الان بدير انبا رويس

القسم الثالث
المملكة والكنيسة

(١) الملك الناصر بن قلاوون سنة ١٢٩٩ م وركن الدين سنة ١٣٠٨ م :

فى أول ملك الناصر بن قلاوون تفشت الامراض وفتكت بالانسان والحيوان فأفهمه قاضى الاسلام ان ذلك حدث بسبب وجود المسيحيين فى الدولة . وكان هذا القاضى ابنا لاحد المسيحيين واعتنق الاسلام فارتقى لهذا المنصب واصبح كارها لديانته الاولى ساعيا جهده فى ارغام تابعيها على تركها فكان يوقع بهم كلما أتيحت له فرصة

وكان فى هذا الجيل يجبى من كل فرد من الاقباط دينار فى كل سنة علاوة على الجزية المضروبة عليه برسم نفقة الجنود وغير ما كان يجبى منهم بالاشتراك مع المسلمين مما كانوا يسمونه زكاة الدولة ونفقات الاحتفال بوفاء النيل وغير ذلك . وكانت الاضطهادات التى وقعت على هؤلاء البائسين فى أول هذا الجيل من أهول الويلات التى حلت بهم وأنزلتهم فى قعر الهوان ونالهم منها كل ذل وفقر وقلة عدد مما لا نزال نشاهد اثره للان وقد يميل بعض المؤرخين الى اتهام الاقباط بان ما حل بهم من الفوادح كان نتيجة تصرفهم السيء وقد ادعى المقريزى المؤرخ المسلم أن سبب هذه البلايا التى أبتلوا بها تكبر بعضهم وعتوهم فعوقبوا بلبس العمائم الزرقاء وشد الزنانير فى أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال .

والحقيقة ان سبب تراكم البلايا على هؤلاء المساكين هو كثرة تذمرهم من الظلم الذى كان يقع بهم ونزوعهم الى الاعتراض على الاوامر القاسية التى كانوا يجبرون بالسير عليها حتى دفعت الحمية منهم كثيرين الى التجرؤ على مخالفة هذه الاوامر فلبسوا العمائم البيضاء بدل السوداء التى حكم عليهم بلبسها وتأنق بعضهم وتجملوا بلبس الثياب المصقولة وتجاسر بعض الموظفين فظهروا فى الشوارع راكبين خيولا فساء هذا بعض المتعصبين الذين كانوا يرتاحون لاذلال النصارى فصاروا يهزأون بهم و ينظرون اليهم شذرا وغير ذلك مما جرأ العامة على اهانتهم والاستخفاف بهم وصاروا يفكرون فى طريقة بها يلقون عليهم ذلا لا يقوون بعده على رفع أنوفهم فأقر كبارهم على هدم كل كنائس الاقباط وضرورة تنفيذ كل ما صدرعليهم من القوانين حرفيا

وحدث في وزارة بيبرس الجاشنكير والامير سيلار ان قبطيا من موظفي الحكومة المتقدمين كان سائرا في شوارع مصر راكبا جوادا ولابسا عمامة بيضاء وأمامه الخدم وخلفه بعض المسلمين الذين لهم مآرب في الحكومة فلاقاه وهو على هذه الحال وزير ملك المغرب وكان قاصدا الحج فأراد أن يتوسط بينه و بين الذين خلفه يسترحمونه ولما علم بأنه نصراني هزأ بالامر وتوجه الى القلعة وخاطب الوزير بيبرس والامير سيلار وهو يبكي مشفقا على حال المسلمين الذين أصبحوا تحت ذل النصارى ثم هددهما بحلول نقمة الله عليهما ان لم ينتقما من أعداء المسلمين فاستدعيا بطريركا الاقباط وأراخنتهم وكبارهم واقنعوهم بالتزام لبس الذل وركوب الحمير فاصدر البطريرك منشورا لعموم الشعب يحضهم فيه على الخضوع لكل قانون صدر ضدهم

أما الوزير المغربي فلم يرض بذلك بل حرض العامة على هدم الكنائس فقاومه تقي الدين القاضي الاعظم وجاهر بانه لا ينبغي ان تهدم الا الكنائس المستحدثة فنشأ عن ذلك قفل وهدم عدة كنائس بنيت حديثا بالقاهرة وحاول النصارى أن يفتحوا كنيسة منها ولما فتحت تهيج عليهم الرعاع واشتكوهم للامراء ووقفوا في طريق الوزير والامير وتوسلوا اليهما أن يرحما الاسلام من تجبر النصارى الذين ينقضون اوامر الحكومة و يفتحون الكنائس بدون تصريح منها فصدر الامر ثانيا بضرورة تطبيق ما صدر من القوانين عليهم ومن خالف أمرا ينهب ماله وتقطع رأسه فطلب المسلمون من البطريرك أن يغلق ما بقي من الكنائس ولما رأوه رفض تنفيذ أمرهم قاموا بهدم وتخريب كل الكنائس

و بعد ذلك عمد الحكام المسلمون ثانيا الى رفت كل قبطي موظف بدوائر الحكومة يأبى ان يسلم وكان الغوغاء والرعاع يدأبون في الاستهزاء بهم ورجم المارين منهم في الشوارع بالحجارة و يتقدمون نحو من يشاهدونه راكبا حمارا صغيرا ويجذبونه الى الارض و يضربونه بالنعال على عنقه حتى يشرف على الهلاك ووقع ضيق عظيم خصوصا على اقباط مدينتي الاسكندرية والفيوم واشتد الاوباش في اضطهادهم حتى لم يكن في طاقة الحكومة مقاومتهم فتظاهر كثيرون من الاقباط بالاسلام كرها في تغيير زيهم وخوفا من قطع عيشهم

وقال المقريزي « وقد اكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زي اهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي : —

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة	تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما	ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبى

تعجبوا للنصارى واليهود معا والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منسهلا نسر السماء فاضحى فوقهم زرقا

وحدث في سنة ١٣٠١ م ان تمرد على السلطان أكثر مسلمى الصعيد فارسل اليهم قوة لاخضاعهم فذبحت الالوف من الاقباط والمسلمين على السواء وفى السنة التالية حدثت زلزلة دمرت بلادا كثيرة فشعر السلطان ان ذلك كله نتيجة جوره على الاقباط المساكين

وكان عيد وفاء النيل (عيد الشهيد) قد دنا واعتاد الاقباط ان يقيموا احتفالا سنويا له مدة ثلاثة أيام ابتداء من ٨ بشنس في ناحية شبرا (١) وكانوا يعتقدون ان النيل لا يفى إلا اذا القوا فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع الشهيد . وكان عند اقتراب هذا العيد يرحل المسيحيون و يقيمون بخيامهم على شاطىء النيل . فلما علم الوزير بيبرس ان النصارى عازمون على الاحتفال بهذا العيد أمر بأبطاله محتجا بما يحصل فيه من الامور المغايرة للاداب والنظام وكان ذلك سنة ١٣٠٢ م

واستمر الاضطهاد على هذا الحال ثلاث سنوات حتى جاء الى مصر حينئذ وفد من ملك بارسلونه يحمل فدية لاسير كان قد اسره السلطان فى حرب فلما شاهد رجال هذا الوفد ما يقع على رؤوس الاقباط من البلاء أنذهلوا وجزعوا جدا ولم يطيقوا رؤية هذا الجور الفظيع ودفعتهم حميتهم ان يطلبوا من السلطان فتح الكنائس مقابل مبلغ من المال يدفعونه له فأجابهم السلطان الى طلبهم ففتحت كنائس كثيرة وخف الاضطهاد نوعا . وقال المقريزى ان السلطان لم يفتح الا كنيستين فقط هما كنيستا حارة زويلة والبندقانيين ثم رجع ومثل بالوفد تمثيلا شنيعا

وخلع الملك الناصر بعد ذلك وجلس على كرسى السلطنة عوضه بيبرس الجاشنكير ولقب بالملك المظفر ولكن الملك الناصر عاد فقتل بيبرس واسترد عرشه وكان قد تأكد أن كل ما حل به كان من جرى ظلمه للنصارى البائسين فصار يحميهم بكل قوته من نهب واستبداد المماليك وتعصب مواطنيهم المسلمين ولكنه فيما بعد لم يقو على أيقاف سيل التعصب الذى كان يملأ قلوب المسلمين على الاقباط فاضطر احيانا ان يقسو على المسلمين وتارة عليهم وعلى النصارى سواء وأرغم اخيرا ان يسلم فى بيوت النصارى وقتلهم وسلب مالهم عندما رأى نار الغضب والهياج قد أخذت من المسلمين كل مأخذ

وقد أبتدأت و يلات الاقباط من هذه الحادثة وذلك أن الملك الناصر أراد أن يبنى ميدانا فسيحا بالجهة المعروفة الان بالناصرية وكان فى الموضع الذى اختاره كنيسة للاقباط تسمى كنيسة

(١) و بالقبطية «شوبرى» وهى مركبة من كلمتين «شوب» مدينة و «رى» شمس .

الزهرى واسعة الاطراف محكمة البناء وكان بها كثير من النصارى وحولها ايضا عدة كنائس . فاشار عليه المتعصبون بهدمها لانه لا يصح ان تكون للنصارى كنيسة ظاهرة بهذه الكيفية أما هو فلم يرد ان يهدمها بل أمر ان يحفر ما حول جدرانها حتى تنهار من نفسها ولما كانت على جانب عظيم من المتانة استمرت واقفة ولم تسقط فاغتاظ المسلمون ونقموا على الاقباط لما رأوا السلطان يدافع عنهم

وكثرت حينئذ العمارات بالعاصمة فتواطأ المسلمون مع بعض الامراء على هدم الكنائس لينتقموا من النصارى من جهة وليستخدموا انقاضها وادواتها فى العمارات التى كلفوا ببنائها من جهة أخرى وعينوا لذلك يوم ٢١ بشنس سنة ١٣١٢ م . وفى أحد ايام الجمع تجمع بعض الغوغاء اثناء الصلاة بالجوامع ولم يشعر الاقباط الا والهدم دائر فى كنائسهم وسلب ما بها من الاوانى والمقتنيات ورأوا كنيسة الزهرى قد أمتدت اليها الايدى فهدمتها وسلبت كل ما بها وقتلت كل من كان فيها من المسيحيين . ثم توجه الثائرون الى كنيسة مار مينا فى حى الحمراء التى كانت موضوع اعتبار الاقباط ولكثرة النذور التى كانوا يقدمونها صارت أغنى الكنائس حتى أقام حولها كثيرون من الرهبان والراهبات فتسلق الرعاع تلك المساكن وتمكنوا من هدم الكنيسة حالا ونهبوا منها مالا وقماشا وجرار خمر واهلكوا كل من كان فيها ثم هدموا كنيستين كانتا بجوار السبع الساقيات وكانت أحداهما ديرا للراهبات فاخرجوا منها أكثر من ستين راهبة ونزعوا ثيابهم وسلبوا كل ما وجدوه معهن و بعد ذلك أطلقوا النار فى بيوت النصارى القائمة حول كنيسة مار مينا وحرقوا الكنائس الثلاث

ولم يكفهم ذلك فقاموا الى بابيلون التى كان يسكنها أكثر الاقباط وأغنيائهم قاصدين الفتك بهم ولكن هؤلاء شعروا بهم قبل وصولهم فأغلقوا أبواب الحصن القديم وكان داخل سوره ست كنائس واستعد الاقباط للدفاع عن أنفسهم . وكانت أخبار تلك التعديات قد أنتهت الى السلطان وقيل له أن لم تسرع فى أنقاذ أقباط بابيليون هلكوا عن آخرهم و بلغه خبر وجود عصابة أخرى كانت تسعى الى هدم كنائس الموسكى وحارة زو يلة فسار السلطان اليهم وهددهم حتى امتنعوا ومن ثم أصدر أمره للأمير جامش أن يقوم حالا بفرقة من العساكر الخيالة لنجدة الاقباط الذين كانوا محاصرين فى قصر الشمع (اسم يطلقه العرب على بابيليون) فأسرع اليهم الامير ومعه أربعة من الامراء ثم تقدم قائد الفرقة ووصل قبل الامير وحاول أن يمنعهم و يبدد شملهم فلم يفلح بل تناوله القوم بالحجارة وفى اثناء ذلك كان الامير وقد وصل فرآهم شارعين فى حرق البوابة الكبيرة التى لم ينجحوا فى كسرها . فهجم عليهم هجمة شديدة ففرقت جموعهم وفروا هاربين ونادى على الباقين أن يبتعدوا والا يقتلهم بالسيف فامتنعوا ثم اقسم باعلى صوته مهددا كل من يبقى هناك بعد ساعة بالقتل فانصرف الجميع وتفرق الناس و بقى الامير هناك الى المساء خيفة من ان يعودوا الى الهجوم وقبل أن يبرح مكانه شدد على رئيس الحرس بالمحافظة على بابيليون وترك له خمسين جنديا يساعدونه

قال المقريزى « وكان الامر فى هدم هذه الكنائس عجبا من العجب وهو ان الناس لما كانوا فى صلاة الجمعة فى ذلك اليوم بجامع قلعة الجبل قام رجل موله وهو يصيح اهدموا الكنيسة

التي في القلعة فتعجب السلطان والامراء من قوله وحسبه الكل مجنونا ولكنهم مضوا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها » فتعجب السلطان من أمر هذا الفقير وبحث عنه فلم يجده . وحدث أيضا بالجامع الازهر ان قام فقير وقال اهدموا كنائس الكفرة وما خرجوا من الجامع حتى رأوا النهاية ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فاضطر السلطان عندئذ ان يرسل ايضا بعض الامراء الى جهات أخرى في مصر ليمنعوا الناس عن هدم الكنائس وابعادهم عنها ولكن هؤلاء لم يفعلوا كالامير الاول بل توانوا وأبطأوا حتى اذا ما وصلوا الى تلك الجهات المقصودة وجودا الكنائس قد هدمت عن آخرها ونهب الناس كل ما بها وهكذا لم ينج من الهدم والنهب الا كنائس بابيليون والبيوت التي بها . أما كنائس مصر والفسطاط فهدمت جميعها أو معظمها فشمل الخوف جميع الاقباط الساكنين بمصر والفسطاط فلم يجسروا على الخروج من بيوتهم و بقوا مسجونين فيها أياما و بعضهم تركها وسكن ببابليون لتحصنها وعدم أمكان التغلب عليها بسهولة . وكانت الطرق في ذلك اليوم مريعة جدا لانها كانت غاصة بالنهابين الحاملين منهوبات الكنائس و بيوت النصارى . وفي ذلك اليوم وتلك الساعة لرسل يخبر والي الاسكندرية ان الرعاع بعد صلاة الجمعة هجموا على أربع كنائس وهدموها وفعل مثلهم رعاع دمنهور في البحيرة فهدموا كنيستين وفي قوص بالصعيد وقف فقير ودعا قائلا « يافقراء اهدموا الكنائس » فخرجوا من الجامع فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت منها ست وصارت ترد الى دار السلطنة كل يوم اخبار من الاقاليم تنبيء بقيام جماعة المتعصبين في مديريات الغربية والشرقية والبهنسا واسوان ومنفلوط والمنيا وغيرها في يوم الجمعة المشار اليه بالهتاف على الناس « ان اهدموا كنائس النصارى » فهدم منها ومن الاديرة عدد عظيم

فسخط السلطان على أمرائه وطلب منهم البحث على رؤساء العصابات وطلب الدرويش الذي دعا الى هدم الكنائس فلم يجده وقبض الامراء على بعض محركي الثورة فقال هؤلاء ان ما فعلناه كان بأمر السلطان فلم تتمكن الحكومة من ان تثبت أية تهمة عليهم مع ان السلطان لم يكن قد أمر بذلك . ولما ادرك السلطان أن هذه الحادثة دبرت قبل حدوثها اراد ان يقاص مدبريها فخشي الامراء افتضاح الأمر اذ كانت لهم يد فيها فصاروا يتواقعون على السلطان ومازالوا به حتى اقنعوه ان الله سمح بخراب كنائس النصارى بالنسبة لتعظمهم وارتكابهم الشرور التي تنهي ديانتهم عنها (١)

---

(١) وقال المقريزي يخبر عن الكنائس التي خربت حينئذ « وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة السبع السقايات وكنيسة بحارة الروم وكنيسة البندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخندق واربع كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بدمنهور الوحش واربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساوية و باسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس و بقوص واسوان احدى عشرة كنيسة و بالاطفيحيه كنيسة و بسوق وردان من مدينة مصر و بالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شيء كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيها أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة قلما يقع مثلها في الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن ما لا يمكن وصفه ولله عاقبة الامور » .

و بعد مرور شهر على هذه الحادثة شعر اهالي القاهرة فجأة بحريق هائل فى المدينة فى يوم سبت واستمرت نيرانه أسبوعا وكان الريح شديدا فخربت منازل كثيرة وظل رجال الحكومة يعملون على اطفاء النار ولكنه كان كل يوم يظهر حريق جديد حتى اضطربت البلاد اضطرابا عظيما وقام المتعصبون ينادون فى الشوارع قائلين « ان النصارى هم الذين اشعلوا النار»

وقد أفاض المقريزى المؤرخ المسلم فى سرد خبر هذه الحادثة وعنه استقى باقى المؤرخين الا ان روح تعصبه ظاهرة فى ما كتب فهو يروى انه فى يوم جمعه من شهر يوليه من تلك السنة قبض على راهبين وجدا خارجين من مدرسة فتحقق ظن الصائحين وسلموهما الى السلطان فأمر بتعذيبهما ولم يكد ينطق بالحكم حتى أتوه براهب آخر وجدوه فى جامع الازهر ومعه عدة اكياس فيها نفط وقطران و بتعذيبهم اعترفوا بانهم رهبان دير يعرف بدير البغل بجهة طرا وانهم أربعة عشر وقد تعاهدوا على احراق مصر والفسطاط وانتقاما من المسلمين على هدم كنائسهم وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة

وفى أثناء ذلك ظهرت النار بدار القاضى كريم وهو من عائلة قبطية الاصل وأسلمت من مدة فاستدعى اليه بطريرك الاقباط واذ تأكد أنه لا يعلم شيئا عن هذه الحوادث أطلقه آمنا فسخط عليه العامة واتهموه بالكفر لانه حامى عن الذين حرقوا بيوت المؤمنين . أما القاضى فافهم السلطان ان بعض جهلاء الاقباط هم الذين أرادوا الانتقام من المسلمين على ما ارتكبوه ضدهم من الفظائع . فأمر السلطان باستمرار تعذيب الرهبان حتى يعترفوا باسماء الاغنياء الاقباط الذين حرضوهم على هذا الفعل ولكن الرهبان استمروا يحتملون العذاب بصبر . ولما لم يتحولوا عن كلامهم أرسل السلطان وهجم على دير البغل واتى بكل من فيه من الرهبان وامر بحرق اربعة منهم أمام ذلك الجمع المحتشد . وانفجر بركان غيظ المسلمين على أثر هذه الحادثة وجالوا يبحثون عن الاقباط فى كل مكان ليوردوهم موارد العذاب دون ان يراعوا اوامر الحكومة فهجموا على بيوتهم ونهبوها وقتلوا من بها بغير رحمة ومن هرب منهم قتلوه فى الطريق . وكانوا اذا عثروا بواحد منهم يسير فى الشوارع يسلبونه ماله و يذبحونه . وقد ادت بهم الجرأة الى أن أجتمع منهم كثيرون تحت قصر السلطان واحتجوا عليه فى وجهه لمعاملته النصارى بالرفق . فرآهم حينما كان نازلا من القلعة الى الميدان وسمعهم يصيحون « نصر الله الاسلام » و يطلبون من السلطان ان يساعدهم على نصرته فلم يهتم بهم وسار الى الميدان وقبل وصوله أخبرا أن اثنين من الاقباط قبض عليهما وهما يحرقان منزلا فاحتدم غيظا وامر بحرقهما احياء امام الجموع و بينما هم يحرقونهما اذا بكاتب ديوان الامير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت مولاه وكان نصرانيا فعندما عاينه العامة القوه عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه فى النار فصاح بالشهادتين واظهر الاسلام واطلق واتفق حينئذ مرور القاضى كريم الدين بملابسه الرسمية فرجمه الرعاع بالحجارة وقذفوه بكلمات السباب المهينة فاراد ان يتوارى عنهم فلم يتمكن وظلوا يتبعونه حتى دخلوا خلفه ميدان السلطان

الذى لما شاهد هذه الحماقة الزائدة أمر باجراء التحقيق فأخبره الاميران سيف الدين وجمال الدين بان القوم ثائرون و يلزم أن يسألوا عما يطلبونه والاوفق تهدئة لخواطرهم أن يأمر السلطان بطرد جميع الموظفين الاقباط من دواو ين الحكومة.

فاستهزأ السلطان بكلامهما وطلب من قائد جيشه ان يأخذ قوة عسكر ية يجول بها فى كل شوارع القاهرة مبددا شمل دعاة الفتنة وحلف برأسه أنه أن لم يحضر له كل من رجم القاضى كريم الدين بالحجارة يعرض رأسه للقطع وارسل مع القاضى ار بعة أمراء كانوا يميلون سر الى اعمال الاو باش فاخطروهم بالامر قبل وصولهم اليهم فتفرقوا جميعهم وألقى القائد القبض على بعض الشحاذين وكل من شاهده فى الشوارع فارتعب الاهالى وصاروا يطوحون بانفسهم فى نهر النيل. ولما أحضر المقبوض عليهم أمام السلطان وكان عددهم مائتى رجل أمر بالشنق على بعضهم و بالقتل على غيرهم و بقطع أيدى الباقين فبكوا بكاء مرا واقسموا أنهم لم يرجموا القاضى فلم يلتفت السلطان اليهم واصر على مجازاتهم بما امر فشنق بعضهم فى اليوم الاول وفى اليوم الثانى قطعت أيدى وارجل ثلاثة منهم بحضرته وأمر ان يبقى المشنوقون معلقين حتى يراهم الجميع فارتعدت فرائص الامراء وأخذتهم الشفقة ولكنهم لم يجسروا على طلب العفو منه وكان القاضى غائبا فلما حضر وشاهد جثث هؤلاء المنكودى الحظ طرح نفسه امام السلطان واستعطفه ومازال به حتى عفى عن الباقين.

ولكن لم يبرح السلطان مكانه حتى وفاه خبر بان النار علقت بجامع ابن طولون والقلعة وقبض على ثلاثة من الاقباط وقال المقر يزى « انه باستنطاقهم اعترفوا جهارا انهم من العصابة التى آلت على نفسها احراق مصر والفسطاط وسواء كان هذا الخبر صحيحا أم تذرع به المتعصبون ليشفوا غليلهم من الاقباط فان هذه الاشاعات هيجت الخواطر على اولئك المساكين. ودام الحر يق سبعة أيام والناس يشنعون على السلطان لانه لم يجب طلبهم و يطرد الاقباط من الحكومة فاغتاظ السلطان وصار يقتل كل من يجده نصرانيا كان أو مسلما. واشتد الهياج على الاقباط حتى اختفى هؤلاء من الموت الاحمر الذى كان يتهددهم وتحصنوا داخل بيوتهم لا يجسرون على الخروج منها لان من كانت تدعوه الحاجة الى الخروج يقبض عليه و يقدم للمحاكمة بانه شوهد يحرق بيتا أو جامعا.

وذات يوم حمل الرعاع قطعة قماش زرقاء رسم عليها صليب أبيض وجالوا يصيحون بنصرة الاسلام دون كل الاديان ورأى السلطان ان نفوسهم مازالت متعطشة لشرب دماء الاقباط فخشى معارضتهم وارسل مناديا ينادى فى الناس ان من يجد نصرانيا و يقدر عليه و يقتله فله ماله فركض الاو باش يفتشون على الاقباط و ياهول ذلك الكرب الذى لحق بهم فكنت تراهم يجرون ألوفا الى المذابح والذين لم يهلكوا منهم ميزوهم بلبس خاص فأمروهم بأن لا تز ينوا بزى المسلمين وحكموا عليهم بلبس العمائم الزرقاء و بتعليق اجراس فى اعناقهم خوفا من ان يتدنس مسلم بلمسهم وحرموهم من التوظف بدوائر الحكومة أو الامراء وكان من الجائز ذبح كل قبطى يرى لابسا عمامة

بيضاء او راكبا فرسا او بغلا . وامروا من يريد منهم ان يركب حمارا بانه يركبه مقلوبا . واستمر القتل والنهب مدة أسلم فيها جماعة كثيرة حتى مل الفاتكون رؤية الدماء البشرية تسيل على الارض فكفوا عن تتبع أثر النصارى

ولم يطل هذا السكون بل حدث فى الليلة التالية حريق هائل انزوى بعده الاقباط فى كل مخبأ رأوه صالحا لاخفائهم من امام عيون مضطهديهم واستمروا مختبئين سنة ونصفا أغلقت فى أثنائها كل الكنائس . ولكن السلطان استعمل الحكمة بان اصدار امرا يمنع اضطهاد النصارى واشتغل بوضع قانون محكم يسيرون بموجبه

وفى سنة ١٣٢٩ م لما بدأ الاضهاد يخف قليلا كتب ملك الحبشة لسلطان مصر يخبره بانه علم بما حل بنصارى مصر وطلب منه ان يعيد ما هدم من الكنائس والا يهدم جميع الجوامع القائمة فى بلاده ولما كان سلطان مصر واثقا بنفسه صرف رسل ملك الحبشة بدون جواب . غير أنه لم يفته مصالحة النصارى فصرح لهم ببناء الكنائس التى هدمت بناء على طلبهم ذلك منه على شرط ان لا يتوسعوا فيها أو يزيدوا عليها شيئا غير ان بعضها هدم قبل تمام عمارتها بدعوى انهم زادوا فى زخرفتها واعلاء بنائها ومنها كنيسة الست بربارة

ومما يدل على حطة الحال التى انتهى اليها الاقباط التعساء هو انه لما كانت الاضطهادات قد كفت عن اليهود كان القبطى اذا اراد ان يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من احد اليهود ليلبسها حتى يخلص من أذى العامة . وحدث ان قبطيا من موظفى الحكومة كان يداين رجلا يهوديا بمبلغ من المال فلما طرد من وظيفته واصبح محتاجا لماله توجه الى منزل اليهودى وطالبه بما له عنده فتظاهر اليهودى بان القبطى كان عازما على الفتك به فتجمهر حوله كثيرون من المسلمين قصد الايقاع بالقبطى ولكن هذا دخل الدار واحتمى بزوجة اليهودى فطلبت العفو عنه بشرط ان يتنازل عن الدين فقبل ليفوز بحياته .

وعلى هذه الصورة المحزنة انتهت حادثة هدم الكنائس وحادثة احراق الجوامع اللتان كانتا شؤما على الاقباط و بعض المؤرخين ينسبها الى دسائس المماليك الذين كانوا يحسدونهم على نفوذهم فى الدواوين . ومع ان السلطان منع النصارى من مزايا كثيرة عديدة الا انه رأى تعذر الاستغناء عنهم فى أنجاز مصالحه فظل قوم منهم فى وظائفهم بالحكومة ولكى يحفظوا مراكزهم تفننوا فى وضع قواعد حسابية محكمة لا يدريها سواهم حتى لا يمكن الاستغناء عنهم

(٢) الملك الصالح سنة ١٣٥٢ م . وتولى المعتضد بالله سنة ١٣٥٣ م : —

وفى عهده حدث وباء مهلك فأتى قبطى من الارياف الى القاهرة وطاف بشوارعها ينذر الناس بالويل ان لم يقلعوا عن شرورهم فقبض عليه وأتى به امام قاضى الاسلام فصرح امامه بانه

اتى ليقنع المسلمين بخطيئتهم فى ترك الديانة المسيحية وأنه مستعد ان يموت شهيدا فقضى عليه بالعذاب مدة اسبوع و بعد ذلك قطعت رأسه وحرقت جثته . وحدث ايضا فى احدى بلاد الارياف ان المسلمين شكوا قبطيا لقاضى البلدة بان جده كان مسلما فحكم القاضى بضرورة اعتناقه للدين الاسلامى ولما أبى ألقى فى السجن فقام الاقباط واخرجوه منه ليلا فقر رأى المسلمين فى الصباح على اعدام كل قبطى فهرب الكثيرون منهم ولكنهم تمكنوا من القبض على عدد عظيم وعذبوهم أشد عذاب ثم هجموا على كنيستهم وسلبوها ذخائرها و بنوا جامعا أمام الكنيسة و بعد ذلك مضوا الى قبور الاقباط ونبشوا جثث موتاهم واحرقوها . ولما ارتبكت احوال البلدة قدم الحاكم تقريرا الى السلطان يشكو فيه من تصرف قاضى البلدة ضد الاقباط وتبعه الاقباط بشكوى أخرى الى الامير حسام بالقاهرة يطلبون فيها اعادة بناء كنيستهم فلما أستقدم القاضى ليحاكم أمام حكام القاهرة و بخهم احدا المشائخ لمحاكمتهم لقاض مسلم من اجل اضطهاده للنصارى غير ان الحكام أصروا على ضرورة عزل القاضى فعزل .

وقد اسلم كثيرون من الاقباط أو انئذ منهم اثنان احدهما يسمى موفق الدين والاخر علم الدين وكانا يكدران الحكومة بمنازعتها المستمرة على منصب الوزارة فالغى السلطان هذا المنصب واستقل الاقباط بادارة الدواوين فصارت لهم راحة فى اواخر ملك الناصر و بعده قليلا غير ان النصارى الذين اسلموا ووصلوا الى مراكز رفيعة أساءوا معاملة المسلمين وشددوا عليهم فى الاحكام فاشتكى المسلون منهم الى السلطان فأمر بابعادهم من ديوانه ودواوين الحكومة والامراء والا يبقى احد ولو اسلم والا يكرهوا على الاسلام منعا للانتقام لانفسهم بواسطة اسلامهم وتوليهم الوظائف العالية . واذا اسلم احد منهم من تلقاء نفسه فلا يبرح باب احد الجوامع بل يعيش من احسان المسلمين اهل الخير .

و يقول المؤرخون المسلمون انه اتفق ان سكرتيرا مسيحيا مر امام جامع الازهر بالقاهرة راكبا جواده ولابسا شرائط وعقالا ابيض على رأسه وامامه السواس يطردون الناس من امامه و يوسعون الطريق ويمنعون الزحام ومن ورائه عدد كبير من العبيد يلبسون الحلل الثمينة و يركبون الجياد المطهمة فلما رآه المسلمون على هذه الابهة اشتد غيظهم و وثبوا عليه وأنزلوه من على جواده واخذوا يضربونه حتى اشرف على الموت لولا ان تمكن بعضهم من انقاذه فتقدم جمع عظيم الى الامير طاز وشكوا له تجاسر الاقباط على الظهور بهذا المظهر فاستصدر اوامر من السلطان تقضى باذلالهم ومنع كل اتصال لهم بدوائر الحكومة والامراء وكانت نتيجة ذلك ان ابتدأ المسلمون فى التسلط على الاقباط فصاروا يهدمون مساكنهم القائمة أمام مساكن المسلمين وصاروا يتعقبونهم فى الطرقات و يتعرضون لهم فى الشوارع فيمزقون لباسهم و يضربونهم بقساوة شديدة و يلقون عليهم النار المشتعلة حتى اضطر الاقباط المساكين ان يختبئوا عن الانظار واصبحوا فى حال يرثى لها ولبثوا مدة طويلة لا يظهرون فى الطرق وكان يخال للرائى انهم انقرضوا جميعا

ولم يكتف المسلمون بذلك بل قدموا طلبا جديدا الى الحكومة ادعوا فيه ان الاقباط بدأوا ينهضون لتجديد كنائسهم وتوسيع مساحتها وطلبوا من السلطان ان يسمح لهم باضطهادهم فأمر والى القاهرة ان يكشف دعواهم ولكن العامة أبوا الانتظار وشرعوا فى هدم الكنائس فهدموا كنيسة بجوار قناطر السباع واخرى بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية وديرنهيا بالجزيرة وكنيسة بناحية بولاق الدكرور وسلبوا كل ما كان فيها من الذخائر والامتعة ثم تقدموا الى هدم باقى الكنائس وبدأوا بكنيسة البندقيين فلحقهم الوالى واراد منعهم فشتموه ورفضوا سماع كلامه وهدموا كنيسة شبرا وأخذوا منها أصابع يد أحد الشهداء وارسلوها للملك الصالح فأمر بحرقها امامه والقاء رمادها فى البحر حتى لا يأخذها النصارى فبطل عيد الشهيد من ذلك العهد الى هذا اليوم

وبعد ذلك كتب الملك الصالح الاحكام التالية فأمر بعدم استخدام النصارى فى مصالح الحكومة حتى اذا اعتنقوا الاسلام ومن أسلم لا يسمح له بالعودة الى أهله أو رؤيتهم الا اذا اسلموا مثله وأن يلزم الجوامع لحضور الصلوات الخمس والجمع . واذا مات مسيحى يستولى المسلمون قسمة تركته على ورثته اذا كان له ورثة والا فهى لبيت المال والزم بطريرك الاقباط بالموافقة على هذه الاوامر

ولم يكد حكام الاقاليم يتسلمون هذه الاوامر حتى سمع ان الاقباط فى كل مكان يقبلون بكثرة على اعتنق الديانة الاسلامية وتعلم القرآن وحولت كنائسهم الى مساجد وأنه قد أسلم فى بلدة قليوب فى يوم واحد أكثر من أربع مائة وخمسين قبطيا وقدم حينئذ تقرير للسلطان الصالح ووزرائه شيخون وضرغتمش وطاز بما للكنيسة القبطية من الاملاك الموقوفة فاحيل على ديوان الاوقاف لفحصه ومعرفة ما تضمنه ففحصه الديوان ووجد مقدار الاطيان ٢٥ ألف فدان فقرر السلطان بان ينعم بها على الامراء فاغتصبت من المسيحيين واعطيت لهم وكان ذلك داعيا لهدم عدة كنائس أخرى .

وفى سنة ١٣٥٥ م تولى الملك الناصر حسن وكان الامير يلبغا الحاكم المتصرف محبا للاقباط ولكن بعض الرعاع قبضوا على قبطى فى سنة ١٣٦٩ م وعذبوه عذابا أليما حتى مات بحجة انهم اشتبهوا فيه بانه ساحر وانه تسبب فى وفاة زوجة الملك الشاب وهى ابنة الامير تاج الدين.

اما ما كان من أمر الموظفين الاقباط المطرودين فانه لم يمض زمن حتى دعت الضرورة الى اعادتهم للخدمة . وفى تلك الايام وفد على مصر سائح انجليزى كتب يقول أن ملك مصر عرض عليه أن يسلم و يزوجه بابنته فأبى وقال أن السلطان قال له مرة أن النصارى بسبب معاصيهم خسروا مصر وسوريا ولو عبدوا الله حقا لما استطاع احد ان يقهرهم وان المسلمين يعتقدون انه يجىء زمن لما يخلص النصارى النية نحو الخالق سبحانة وتعالى يسودوا على أرض مصر كلها .

(٣) الملك المنصور سنة ١٣٨١ م :

انتشبت في ايامه ثورات ضد الاقباط رغم منع الحكومة اضطهادهم وحدث ان قبطيا يدعى ميخائيل أعلن اسلامه فتهلل به المسلمون وألبسوه حلة فاخرة واركبوه بغلا للسلطان وطافوا به المدينة بموكب عظيم ورقوه الى مركز سام في الحكومة بعد ارتداده بثلاث سنوات ولقب بالجاحد شعبان . أما عدد الاقباط فنقص كثيرا بسبب مظالم الحكام والافات الربانية من جهة وأقبال الكثيرين منهم على الاسلام اما طوعا او كرها من جهة أخرى . ولما كثر الذين أسلموا منهم أبغضهم المسلمون الاصليون لانهم كانوا يزاحمونهم في الوظائف الادارية العالية وهكذا لم يقدروا ان يرضوهم سواء اسلموا أو لم يسلموا وقد آثر بعضهم الموت على هذه العيشة المرة .

الا ان الاقباط المرتدين أظهروا حينئذ ميلا عظيما للرجوع الى ديانتهم الاصلية . وفي سنة ١٣٨٩ م دخل منهم القاهرة عدد عظيم من الرجال والنساء جاءوا من الارياف قاصدين التكفير عن ارادتهم بالاستشهاد فطافوا الشوارع يصيحون باعلى صوت قائلين « نحن نصارى نحن نصارى » ولما سئلوا عن سبب ذلك أجابوا اننا تركنا ديانة الانبياء الكذبة ورجعنا الى ديننا الحقيقي الذي لم نتركه الاخوفا من الاضطهاد . فتألب حولهم المسلمون ونصحوهم بالعودة للاسلام ولكنهم رفضوا بجسارة كلية فحاول المسلمون ارهابهم ليرتدوا وساقوا كثيرين من الرجال الى ميدان امام مدرسة الملك الصالح وهناك بدأوا يحزون رؤوسهم الواحد بعد الاخر . فلم يتزعزع واحد منهم . وقبض على بعض النساء ولكنهن تمسكن بايمانهن دون ان يجزعن فجردوهن من ثيابهن وجروهن الى سفح الجبل تحت القلعة وقطعت اعناقهن بقساوة زائدة حتى ان بعض المسلمين استفظعوا هذا الحكم ونقموا على القاضي الذي حكم به . وشوهد بعد ذلك راهب يعظ ضد الدين الاسلامي وأمامه رجل وثلاث نساء يشجعونه على الاستشهاد فقبض على الخمسة وقطعت رؤوسهم وأحرقت اجسادهم

وكان باقيا من عائلة زنبورة الشهيرة التي تقدم ذكرها رجل كان أسلم وسمي بعلم الدين حصلت بينه وبين احد الامراء منافسة فكلف بعض أتباعه ان يشهدوا عليه زورا بانه يدعي الاسلام وهو لايزال باقيا على نصرانيته وزوجته باقية على تلك الديانة ومع ذلك لم يتركها أو يكرهها على الاسلام فافتى العلماء بحرقه فقبض عليه واتى بزوجته وابنه وصاروا يضربونهما بالسياط حتى ماتا أمامه ثم عذبوه عذابا شديدا حتى مات فاستولى العامة على ثروته

(٤) دولة المماليك الثانية : برقوق سنة ١٣٨٢ م :

وحدث في ايامه ان اميرا مسلما تعهد بهدم كنيسة للاقباط كانوا يشتغلون فيها خمر الاباركة . فنهب منها الف جرة من الخمر المذكور وأمر بكسرها امام باب زويلة في الميدان الذي تحت القلعة . واقترح المجلس الاعلى على برقوق ان يضطهد الاقباط ولكنه رفض بل أمر ان يقتل رجل اعتنق الديانة الاسلامية

القرن الخامس عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) غبر يال ٥ (٤) غبر يال ٦
(٢) يوحنا ١١ (٥) ميخائيل ٤
(٣) متى ٢ (٦) يوحنا ١٢

---

(١) غبر يال ٥ — البطر يرك الثامن والثمانون :

فى أول هذا القرن أجتمع الاباء والشعب بالدار البطر يركية لانتخاب بطر يرك جديد فاختاروا الراهب غبر يال من دير القلمون بالجيزة وأقيم بطر يركا فى ٢٦ برموده سنة ١١٢٥ ش و١٤٠٩ م فى عهد تملك السلطان الناصر فرج بن برقوق وكان هذا البابا قبل ان يترهب كاتبا فى الحكومة وفى مدة رئاسته فرغت خزينة البطر يركية فكان يعتمد فى الحصول على قوته الضرورى على احسان أولاده وكانت الكنيسة الحبشية ترسل اعانة للكنيسة المصر ية فقطعتها فى عهد البابا غبر يال

وكان اذا أراد أن ينتقل من مكان الى آخر يسير على قدميه . وفى سنة ١٤١٨ م دعاه مجلس الحكومة فلما مثل أمامه هدده بالموت اذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقة التجار المسلمين النازلين فى بلادهم فوعدهم بالكتابة الى ملكهم ليمنعهم ولم يؤخره الاضطهاد الشديد الذى كان محيطا به عن القيام بواجباته فوضع كتابا فى الطقوس الكنيسة واشتغل بهمة فى اصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد واستمر فى الرئاسة ثمانى عشرة سنة وثمانية أشهر واثنى عشر يوما وتنيح فى ٨ طو به سنة ١١٤٤ ش و١٤٢٨ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أر بعة أشهر وأياما .

(٢) يوحنا ١١ — البطر يرك التاسع والثمانون :

وفى المدة التى خلا فيها الكرسى بعد البابا غبر يال كان يسوس فيها ادارة الكنيسة راهب من دير طره يدعى ميخائيل وكان لهذا الراهب حزب كبير يؤ يده لنوال البطر يركية ولكن عناية الله دبرت ان يقر مجمع الاساقفة والشعب على انتخاب من يدعى ابا الفرج من القاهرة وكان مشهورا بالفضيلة والعلم و يقوم بالتدر يس فى مدرسة قبطية عظيمة (بالمكس)

فأقيم ابو الفرج بطر يركا ودعى يوحنا ال ١١ فى ١٦ بشنس سنة ١١٤٤ ش و١٤٢٨ م فى

عهد تملك الملك الاشرف ابى النصر برس باى واستمر قائما بوظيفته بأمانة نحو ٢٤ سنة و١١ شهرا و٢٨ يوما وتوفى فى ٩ بشنس سنة ١١٦٨ ش و١٤٥٣ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما

وفى أيام هذا البابا اجتهد ملوك الافرنج وعلى رأسهم ملك القسطنطينية فى مقاومة المسلمين ورأو ان ذلك لا يتأتى الا بزوال الخلاف الدينى وأيجاد الاتحاد بين مسيحى الشرق والغرب . فبعد تفكر طويل أستقر الرأى على عقد مجمع لهذا الغرض بمدينة فلورنسا من أعمال ايطاليا يحضره اسقف رومية بطريرك القسطنطينية وغيرهما من نواب الشعب الارثوذكسى . وكانت الكنيسة القبطية أيضا قد أرسلت نائبا من قبلها لحضور ذلك المجمع يدعى يوحنا وهو رئيس دير انطونيوس ولكنه وصل الى فلورنسا متأخرا عقب انفضاض المجمع وكانت نتيجة انعقاده عودة اتحاد كنيستى اليونان والرومان وقام رؤساء الكنائس الى بلادهم على نية الاجتماع مرة أخرى . واذا لم ير الاب يوحنا بدا من العودة الى مصر تحصل على قرار من المجمع بقبول الكنيسة القبطية ضمن ذلك الاتحاد العظيم فى جلسته القادمة ولكن ذلك الاتحاد الذى كان يسعى اليه ملوك الافرنج وملك القسطنطينية لم يتم بسبب تجاوز اسقف رومية حدود الاعتدال فى طلباته .

و يدعى المؤرخون الكاثوليك بناء على ذلك ان الكنيسة القبطية خضعت لاسقف رومية حينا من الزمن وأنه كان المقصود من ذلك المجمع اعادتها الى الخضوع لسلطانه مرة أخرى وفى ذلك قالت المؤرخه الانجليزية مدام بوتشر : « ولكنى أقول أنها لو كانت خاضعة له من قبل كما يقولون لما كان يعين بطريركا خاصا له فى ابروشية الاسكندرية ذاتها التى فيها البطريرك القبطى مما يثبت صحة الانفصال وعدم الخضوع . ومع ذلك فانه لم يكن الغرض من قبول الكنيستين اليونانية والقبطية بالدخول فى مجمع فلورنسا الخضوع للبابا بل مجرد المصالحة والمسامحة بين الكنائس الشرقية والغربية ولم يحبط ذلك السعى الا لما رأى رجال الكنيسة اليونانية والكنيسة القبطية ادعاآت بابا رومية الغربية وطلبه السلطة العليا لنفسه فكان هذا سبب رفض اليونان والاقباط شروط ذلك المجمع وأنكارها لما عرضت عليهم وأدركوا سوء القصد من ذلك الاتحاد » أهـ

(٣) متاؤس ٢ ـــ البطريك التسعون:

بعد وفاة البابا يوحنا وافق مجمع الاساقفة والشعب على تكريس متاؤس أحد رهبان الدير المحرق واقيم بطريركا فى ١٣ توت سنة ١١٦٩ ش و١٤٥٣ م فى عهد تملك الظاهر. واستمر فى البطريركية نحو ثلاث عشرة سنة وتوفى فى ١٣ توت سنة ١١٨٢ ش و١٤٦٦ م وخلا الكرسى بعده أربعة أشهر وأياما

(٤) غبريال ٦ ـــ البطريرك الحادى والتسعون :

بعد وفاة البابا متاؤس الثانى اختير للبطريركية الاب غبريال السادس وهو من الغربية

قدم بطر يركا فى ١٥ أمشير سنة ١١٨٢ ش و١٤٦٦ م فى عهد تملك الملك الظاهر خوش قدم الناصرى واستمر فى البطر يركية ثمان سنوات وعشرة أشهر و بعض ايام وتوفى فى ١٩ كيهك سنة ١١٩١ ش و١٤٧٥ وخلا الكرسى البطر يركى بعده سنتين ونحو الشهر ين

(٥) ميخائيل ٤ ـــ البطر يرك الثانى والتسعون :

• وقد خلف البابا غبر يال السادس البابا ميخائيل الرابع وهو من سمالوط وقيل سنباط أقيم بطر يركا فى ١٣ أمشير سنة ١١٩٣ ش و١٤٧٧ م فى عهد تملك الاشراف أبى النصر فايت باى الظاهرى المحمودى وأقام فى البطر يركية سنة واحدة وثلاثة أيام وتوفى فى ١٦ امشير سنة ١١٩٤ ش و١٤٧٨ م وخلا بعده كرسى الرئاسة سنتين وشهر ين وسبعة ايام .

(٦) يوحنا ١٢ ـــ البطر يرك الثالث والتسعون :

وكرس بطر يركا بعد البابا ميخائيل يوحنا الثانى عشر وهو من نقاده أقيم بطر يركا فى ٢٣ برموده سنة ١١٩٦ ش و١٤٨٠ م فى عهد الملك الاشرف فايت باى واقام فى البطر يركية ثلاث سنوات وار بعة أشهر واياما وتوفى فى ٧ توت سنة ١٢٠٠ ش و١٤٨٤ م وخلا كرسى الرئاسة بعده خمسة أشهر

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

(١) الملك العادل (٢) المحمودى
(٣) الاشرف برس باى (٤) المستنجد

(١) الملك العادل سنة ١٤١٢ م :

وفى أيامه شرع المسلمون فى تدبير طر يقة بها يلاشون الاقباط عن بكرة أبيهم فاهتموا بمعرفة أسمائهم وعددهم ومقدار ثروتهم وفرض السلطان ضر يبة على جميع الاقباط وأنشأ لهذا مكتبا ليقيد فيه اسماء مواليدهم ووفياتهم فقسموا الى ثلاث طبقات . طبقة الاغنياء وقرروا عليهم ضر يبة ار بعة دنانير عن كل نفس . وطبقة المتوسطين يدفع كل واحد دينار ين وطبقة الفقراء دينارا واحدا . ومع ان هذا السلطان كان يمقت الاقباط كاسلافه الا انه ميلا للسلام ضغط على المعتدين وأمر بانصاف المظلومين فسخط عليه العامة .

(٢) المحمودى سنة ١٤١٢ م :

وفى عهده صرح للمماليك باضطهاد الاقباط فاغتصب منهم قائد الحرب مبلغا عظيما من المال وفرض ضريبة باهظة على الخمر الذى كان يتاجر فيه كثيرون من الاقباط ببابيليون . وأمر القائد جنوده بالهجوم على بابيليون بحجة اتلاف ما فيها من الخمر فهجموا على الاقباط واستمروا يوقعون بهم ولم يكفوا حتى استرضاهم الاقباط بمبلغ وافر من المال .

وفى سنة ١٤١٨ م صدر أمر برفت كل الاقباط الذين تمكنوا من التوظف فى الحكومة و بدأوا بقبطى كان سكرتيرا للوزير الاول فأمر السلطان بحبسه وتعذيبه فعروه من ثيابه وجروه فى شوارع القاهرة وامامه موظف مسلم ينادى قائلا « هكذا يفعل بكل موظف قبطى » فاسلم من الموظفين كثيرون واختفى باقيهم فى منازلهم ولكنه اسلموا فيما بعد لشدة الضيق . وقيل ان كثيرين منهم اسلموا على زعم انهم يتمكنون بعد الاسلام من الانتقام من معذبيهم

(٣) الأشرف برس باى سنة ١٤٢٢ م :

اكتشفت فى أيامه مؤامرة سرية بين ملك الحبشة والصليبيين الغرض منها محو الديانة الاسلامية

(٤) المستنجد سنة ١٤٥٣ م :

وفى أيام المستنجد أوقد المماليك النيران فى الاحياء المسيحية فى القاهرة وباقى المدن المصرية وواصلوا النهب والسلب فارسل ملك الحبشة سفيرا من قبله فى زمن الملك المنصور يوصيه خيرا بالاقباط الذين كانوا واقعين حينئذ تحت الاضطهاد . وفى ايام خوش قدم سنة ١٤٦١ م هجم المماليك على الاقباط فى مصر القديمة ونهبوا منهم كل ما وصلت اليه أيديهم وفى أيام فايت باى سنة ١٤٦٧ لم تصدر الحكومة قرارا باضطهادهم ولكن الرعاع لم يكفوا عن التحرش بهم رجاء نهبهم وسلبهم . واستخدم كثيرون من الاقباط فى اقامة المبانى التى شيدت فى أيام فايت باى

وفى سنة ١٤٨٤ م هجم عرب الوجه القبلى على ديرى انطونيوس و بولا وقتلوا جميع من فيها من الرهبان و بقيا خرابا نحو ثمانين سنة وكان فيهما مكتبتان عظيمتان تحتو يان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعوها وأحرقوها عن آخرها ولم يبق فيها الا ماخفى عن عيونهم

القرن السادس عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) يوحنا ١٣	(٢) غبريال ٧
(٣) يوحنا ١٤	(٤) غبريال ٨

(١) يوحنا ١٣ — البطريرك الرابع والتسعون :

استحق نوال هذه الوظيفة السامية لانه كان محسنا على الجميع بدون استثناء واصله من بلدة صدفا بمديرية اسيوط واقيم بطريركا فى ١٥ أمشير سنة ١٢٠٠ ش و١٤٨٤ م فى عهد الملك الاشرف .

وكانت العلاقة بين الكنيسة الحبشية وأمها الكنيسة القبطية فى ذلك الحين فاترة بسبب تتابع اغارات ملوك مصر على بلاد الحبش . فسعى داود ملك الحبشة وعقد محالفة مع البرتوغاليين لينتصر بهم على ملوك مصر المسلمين فنزح كثيرون من البرتوغاليين الى بلاد الحبش ولما رأوا هذه المملكة بدون رئيس دينى حرضوا ملكها على قبول مطران على الحبشة من البرتوغاليين المقيمين فى بلاده وفعلا طلبوا منه أن يطلب من اسقف رومية أن يكرس له مطرانا وكان الاختيار قد وقع على رجل برتوغالى ببلاد الحبش يدعى يوآس برمودز فسافر الى رومية فرسمه اسقفها مطرانا على الحبشة وسماه بطريرك الاسكندرية . فعد القبط والروم هذا تعديا من اسقف رومية وانكروا عليه الحق فى ذلك وأبوا معرفة الشخص الذى عينه بأية صفة . ومن تصرف أسقف رومية هذا يتضح كذب مؤرخى الكاثوليك الذين يدعون ان الكنيسة القبطية فى ذلك الوقت كانت خاضعة لكنيستهم اذ لو كان ذلك صحيحا لما كان هناك موجب لتسمية بطريرك غير بطريركها القبطى او كان يجب على اسقف رومية عزله قبل تعيين سواه

اما البابا يوحنا فاستمر على الكرسى البطريركى مجاهدا فى سبيل رفع مقام كنيسته مدة اربعين سنة الا اربعة أيام أتم فيها أصلاحات شتى ووضع مؤلفات كثيرة فى الدين المسيحى ثم توفى فى ١١ أمشير سنة ١٢٤٠ ش و١٥٢٤ م وأستمر كرسى الرئاسة خاليا بعده سنة وثمانية أشهر .

(٢) غبريال ٧ ــ البطريرك الخامس والتسعون :

كان يدعى أولا روفائيل وهو من منشأة الدير المحرق وترهب بدير السريان ببرية شيهات وأقيم بطريركا فى ٤ بابه سنة ١٢٤٢ ش و١٥٢٦ م فى عهد السلطان سليمان وكان له اهتمام زائد فى عمارة الاديرة فعمر ديرى القديس أنطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما ببرية العربة بالجبل شرقى النيل باقليم بنى سويف والبهنسا وعمر أيضا دير المحرق بالوجه القبلى . ولما قام عرب بنى عطية ونهبوا دير القديس بولا وأخربوه وقتلوا راهبا من رهبانه وشتتوا شمل الباقين اجتهد واهتم فى عمارته ثانيا وعمره بالرهبان

وكان البابا غبريال مهيبا ذا نفوذ لدى أمته وفى أواخر حياته طالبه السلطان سليم بما لا يقدر عليه من الغرامة فرحل قاصدا الاديرة ببرية العربة و بينما هوعابر النهر من جهة الميمون أدركته المنية فتوفى فى ٢٩ بابه سنة ١٢٨٥ ش و١٥٧٠ م بعد وفاته لم يوجد شىء من المال مخلفا عنه لانه صرف أيراداته بأسرها فى منافع الامة . وكانت مدة رئاسته ٤٣ سنة وخلا كرسى البطريركية بعده خمس سنوات ونحو ستة أشهر

وفى ايام هذا البابا مات ملك الحبش وتولى مكانه ولده المسمى اقلاديوس فسار على خطة أبيه مسالما البرتوغاليين ومحترما لبرمودز البطريرك الرومانى ولما انكرت القوات الاسلامية التى كانت تهدد بلاده رفض الاعتراف بسيادة اسقف رومية واوقف برمودز عند حده وأعلنه انه اذا اراد البقاء فى بلاد الحبش فلا يعتبر نفسه أكثر من ضيف واجب اكرامه لانه لا يريد ان يكون خاضعا لغير بطريرك الاقباط . ثم ارسل وفدا الى البابا غبريال يلتمس منه ان يرسل له مطرانا جديدا و يعلن له انه هو رئيسه الروحى الوحيد فرسم له البطريرك كاهنا يدعى يوسف وشيعه اليه فقابله الملك ورعيته باكرام زائد وانشراح خاطر وهكذا عادت العلائق بين الاقباط والحبش الى ما كانت عليه قبلا بعد ان تعطلت نحو ثمانين سنة

أما المطران اللاتينى فلما رأى استحالة ضم الكنيسة الحبشية الى الكنيسة الرومانية عاد الى بلاده واوقف اسقف رومية على الخبر فاستاء أغناطيوس احد رؤساء الرهبنة فى رومية من هذا الخذلان المعيب وتوسل الى اسقفه ان يرسله الى الحبشة فخشى ان يقتل وأرسل عوضه رجلا يدعى نونوباريتو وكاهنين آخرين فسار الثلاثة الى جوا فاقام بها باريتو واستمر الكاهنان فى سفرهما حتى وصلا بلاد الحبش فقابلهما اقلاديوس بكل لطف وأفهمها انه يرفض قطعيا الاعتراف بسلطة اسقف رومية على شعبه وانه لا يخضع الا لكرسى مارمرقس الانجيلى والرسول . ولزيادة لطفه سمح لهما بالاقامة فى بلاده وهو واثق من ثبات شعبه على ارثوذكسيتهم الى ان خلفه على العرش أخوه مينا فاظهر الاستياء للكاهنين وسخط عليهما حتى اصبحا منفردين لا يكلمهما أحد . فاغتاظا منه وأغريا احد كبار الجيش على اتباع مذهبهما ثم حسنا له عقد محالفة مع المسلمين ضد ملكه

واذ شعر مينا بالامر أسرع فى تأديب هؤلاء العصاة ووصل الخبر لاسقف رومية بفشل ارساليته الثانية لبلاد الحبش فارسل رسلا الى البابا غبريال يطلب منه انضمام الكنيسة القبطية للكنيسة اللاتينية فقابلهم البطريرك بكل لطف واعلمهم بكل تأدب أنه لا ينحرف قيد شعرة عن التمسك بعقائد كنيسته المقدسة فالتمس منه رسل اسقف رومية بما له من النفوذ على بلاد الحبش ان يطلب من ملكها ان لا يمس الكاهنين الرومانيين بسوء فسمح لهما الملك بالاقامة فى بلاده أكراما لخاطر البطريرك ولكنهما لما لم يحسنا سيرهما واشتهرت رداءتهما سخط عليهما الاحباش وكادوا يقتلونهما فقدما تقريرا للاسقف الرومانى يقولان فيه « ان الحبشة لا ترتد عن ايمانها الا بقوة السيف » فاستدعاهما الاسقف اليه و بذا تم خذلان الاسقف الرومانى فى جذب الحبش اليه

(٣) يوحنا ١٤ — البطريرك السادس والتسعون :

أقيم خلفا للبابا غبريال فى ٢٢ برموده سنة ١٢٩٠ ش و١٥٧٤ م فى عهد سلطنة مراد الاول . وهو من منفلوط وكان راهبا بدير العذراء المعروف بالبرموس ببرية النطرون . وكان من أمره ان الدولة كلفته بجمع الجزية من المسيحيين فطاف بلاد مصر القبلية وجمعها وأداها للحكومة . ومن المضايقات التى كان يتقصده بها الوزراء رحل مرة ثانية الى الصعيد وثالثة وأخيرا الى الاسكندرية ولما سكن الاضطراب عاد منها الى السنمارية وبها ضعف وتوفى فى ٣ من نسىء سنة ١٣٠٥ ش و١٥٨٩ م بعد ان استمر فى البطريركية خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأياما وخلا الكرسى بعده أربعة أشهر

وحدث فى ايامه أمر يدل على ان اسقف رومية لم يكتف بالخذلان الذى أصابه فى بلاد الحبشة ولم يثنه ذلك عن عزمه فى ضم أقباط مصر اليه ولما رأى أنهم يقاسون من المسلمين العذاب أشكالا وألوانا ولاسيما منذ خضعت مصر للملوك العثمانيين فان الولاة كانوا يفضلون الروم عليهم اتخذ ذلك فرصة مناسبة لاخضاعهم لرئاسته وجعلهم تحت حمايته فأرسل الاسقف الرومانى وكان حينئذ غريغوريوس ال ١٣ بعض رجاله الى مصر فاجتمعوا بالبابا يوحنا وكان شيخا متواضعا محبا للسلام فما زالوا به حتى أقنعوه أنه اذا خضع لكنيسة رومية بشروط سهلة يضمن بذلك حماية الاقباط و يأمن غائلة الاضطهادات الاسلامية أما هو فيبقى بطريركا على جميع الامة كما هو بدون نقص شىء من كرامته أو سلطته . وأشاروا عليه أن يدعو جميع الاساقفة ليقصوا عليهم الامر و يعرضوا عليهم طلبات أسقفهم و يشرحوا لهم الغرض منها

فدعا البابا يوحنا الاساقفة واخبرهم بما يميل اليه اسقف رومية من الاتحاد معه فاظهروا ارتياحهم الى الاتحاد بين الطوائف ولكن لما انعقد المجمع وسمع الاساقفة آراء نواب اسقف رومية هاجوا وعارضوا معارضة شديدة كما رفضوا اقتراحات اسقف رومية رفضا باتا واشتد النزاع وقويت

المعارضة وصرخ الاساقفة قائلين « ان موافقتنا على طلبات اسقف رومية تضر فى المستقبل باستقلال الامة الدينى الذى اشتراه آباؤنا بسفك دمائهم »

ولكن يظهر ان البطر يرك لشيخوخته و بساطته وسلامة نيته وميله لحماية أولاده من اضطهاد المسلمين أظهر ميله للاتفاق ولكن الاساقفة عارضوه بشدة ولما لم تتفق الاراء على شيء انفضت الجلسة على نية الاجتماع ثانيا . ولكن اتفق ان البطر يرك توفى فى تلك الليلة فاحبط المسعى وذهبت كل الاتعاب سدى والمؤرخون الكاثوليك يقولون ان البطر يرك مات مسموما والمؤرخون الافرنج ينفون ذلك . أما رسل اسقف رومية فالقى والى مصر القبض عليهم كعيون غرباء واتهمهم بالقاء دسائس الفتنة بين الرعايا والقاهم فى الحبس فرق لهم بعض كبار الاقباط ودفعوا خمسة آلاف قطعة من الذهب مقابل اطلاق سراحهم ليعودا الى بلادهم فشكرهم اسقف رومية وهو سكستوس الخامس الذى خلف غر يغور يوس ال ١٣ على فعلهم ورد لهم المال

(٤) غبر يال ٨ ــ البطر يرك السابع والتسعون :

انتخب بطر يركا خلفا للبابا يوحنا وهو من منبر وكان يدعى أولا شنوده وهو راهب من دير القديس بيشوى وكرس بطر يركا فى ١٦ بؤونة سنة ١٣٠٦ ش و١٥٩٠ م فى عهد سلطنة مراد بن سليم وفى أيامه ذاق المسيحيون طعم الراحة لشدة حاجة المسلمين فى أشغالهم الى مهارتهم الكتابية واستقر هذا البابا على كرسى البطر يركية مدة ١١ سنة وتوفى فى ٩ بشنس سنة ١٣١٨ ش و١٦٠١ م

وفى عهد جدد اسقف رومية مساعيه ليحمل الكنيسة القبطية على الاعتراف بسيادته عليها فاظهر فى مخابراته للبابا غبر يال الثامن كل التساهل والتودد الا انه لم ينجح بالمرة لان مساعيه لم تكن صادرة عن غيرة دينية صحيحة بل عن ميل الى حب الاستئثار والادعاء بالسلطة الامر الذى فضلا عن مخالفته لاوامر السيد المسيح الصريحة فقد جر كل الو يل على المسيحيين فى كل العصور . و يقول بارونيوس المؤرخ الرومانى ان البابا غبر يال أظهر ميلا للخضوع لسلطة كنيسة رومية نظير سلفه البابا يوحنا وان الاتفاق والاتحاد المذكور قبلته الكنيسة القبطية فى يناير سنة ١٥٩٥ م وهذا القول بعيد عن الصحة بعد السماء عن الارض . لان أسقف رومية وهو أكليمنضس الثانى لما طلب من البابا غبر يال الخضوع لسلطته رد عليه برقة اعتادها باباوات الكنيسة المصر ية فخالها أسقف رومية رضى واستكانة

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

الحالة بوجه عام فى زمن احتلال المملكة العثمانية

احتل يسلم بن بياز يد سلطان الدولة العثمانية مصر فى سنة ١٥١٧ م فسار على منوال الملوك الفاتحين من الجور والظلم ولم يغب الاقباط عن ذاكرة أى فاتح لمصر ليتركهم يتذوقون طعم المزاحة قليلا بل كانوا دائما فى طليعة المنكوبين واهتم بأمرهم السلطان بياز يد فاضطهدهم بشدة ومع ان السنين التى سلفت كان الاقباط فيها يشعرون بالراحة نوعا الا انه بدأ هذا السلطان باضطهادهم تحرك عليهم المسلمون قاصدين اضطهادهم . غير ان اصحاب الحرف والاعمال منهم كانوا معافين من الاضطهاد لمعرفة المسلمين باحتياجهم اليهم ولهذا كانوا يحببون اليهم الاسلام لترويج صناعتهم اكثر فاعتنق فى اثناء الفتح العثمانى كثيرون من الصناع المسيحيين الديانة الاسلامية

القرن السابع عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) مرقس ٥ — (٢) يوحنا ١٥
(٣) متاؤس ٣ — (٤) مرقس ٦
(٥) متاؤس ٤ — (٦) يوحنا ١٦

---

(١) مرقس ٥ ـــ البطر يرك الثامن والتسعون :

أقيم خلفا للبابا غبر يال في أول توت سنة ١٣١٩ ش و١٦٠٢ م في عهد سلطنة محمد بن مراد واصله من بلدة البياضية بمديرية أسيوط وكان عالما ورعا تقيا محبا للخير صبورا على المكاره واشتد العمال في ايامه على رعيته شدة عظيمة فكان يكثر من الطواف بين الناس ويحضهم على الصبر والسكون

وفي ايامه سرت بين الاقباط عادة اتخاذ زوجات غير شرعيات على طرق مختلفة لا سميابين نصارى جهة الردينية حتى قام مطران دمياط وجاهر بان تعدد الزوجات غير ممنوع في الانجيل . ولما لاحظ البابا مرقس ذلك اصدر منشورا يحرم فيه تعدد الزوجات وحرم المطران الذى علم به . فاتفق المطران هو و بعض الاقباط الذين يشغلون مراكز خطيرة في الحكومة على الايقاع بالبطر يرك فشكوه لجعفر باشا الحاكم المسلم فرآها فرصة مناسبة لاذلال شأن الاقباط فدعا البابا مرقس وامر بضربه حتى أشرف على الموت وعزله من منصبه وحبسه في برج الاسكندرية

أما المطران وحزبه فخدعوا راهبا من البياضية واقاموه بطر يركاً فصرح لهم بالطلاق و بتعدد الزوجات و بعد وقت قصير اهتاج مسيحيو القاهرة والصعيد وقام رهط منهم الى الوالي واقنعوه برد البطر يرك المسجون الى مرتبته فرده وخضع كل حزب لبطر يركه الى ان ضعف حزب الراهب وانحلت عراه فمضى الى بستان وجعل يعمل فيه حتى وافه القدر المحتوم واستقل البابا مرقس حتى تنيح في سنة ١٣٣٠ ش و١٦١٣ م وكانت مدة رئاسته ١١ سنة

واستأنف اسقف رومية مخابراته مع هذا البطر يرك بشأن انضمام الكنيسة القبطية له والكاثوليك ينسبون عزله الى دسيسة من بعض كبار الاقباط لما رأوا فيه الميل الى عقد اتفاقية مع

اسقف رومية و يقولون لو لم يكن والى مصر عزل البطر يرك مرقس فجأة لكانت الكنيسة القبطية قد خضعت للسلطة الرومانية . والامر واضح مما سلف ان سبب عزله خلاف ماذكر فتأمل

وفى سنة ١٦٠٤ م اهتمت الكنيسة القبطية بمقاومة الارساليات الكاثوليكية ببلاد الحبشة وقبل ذلك الوقت بأربع سنوات أوفد من قبيل اسقف رومية يسوعى يدعى بيدوفيز فلم يصل الى مصوع حتى سجنه الاحباش ولكنهم اطلقوه فيما بعد وصرحوا له بالبقاء بينهم فقضى وقتا منعزلا بمدينة فريموتا ثم عكف على درس لغتهم حتى اتقنها وانتشر اسمه حتى وصل الامبراطور فاستدعاه اليه ولما مثل أمامه أخذ يظهر براعته فى معرفة اللغة الحبشية وجادل كهنة الاحباش بها وفاز عليهم فسمح له الامبراطور ان يعظ الجمهور فالقى عظة اثر بها على الامبراطور حتى رغب فى اعتناق المذهب الكاثوليكى وتبعه رجال بلاطه فقامت قيامة الاحباش تحت زعامة المطران القبطى واشتبك القتال بينهم و بين الامبراطور فذبحوه وانكسر قومه وقام مكانه آخر

فحول فيز اليسوعى نظره الى الامبراطور الجديد قاصدا ان يستميله ايضا للمذهب الكاثوليكى فنجح وسمع ان الحبشة سترسل وفدا الى الفتيكان تعلن خضوعها له فاشهر المطران. القبطى حرم كل من ينحاز للكاثوليك واشتد هياج الشعب الحبشى ثانية وحاول اسقاط الامبراطور ولكنه تغلب عليهم واستمر الهياج يزداد خصوصا بعد ان أعلن الامبراطور اعتناقه للمذهب الكاثوليكى ولبث النزاع قائما حتى انقطعت انفاس فيز فهدأ الشقاق و بطلت حركته

(٢) يوحنا ١٥ — البطر يرك التاسع والتسعون :

و بعد وفاة البابا مرقس انتخب الاقباط لهم بطر يركا جديدا وهو البابا يوحنا ال ١٥ فى سنة ١٣٣٠ ش و١٦١٣ م فى عهد سلطنة عثمان بن محمد واصله من ملوى . وكانت الضيقات لم تزل تترى على شعبه فجال فى ابروشياته مرتين يعزى المكروبين و بينما كان يطوف بين رعيته وجد فى ابنوب وجيها عنده محظية فنصحه وارشده واذ لم يرعو حرمه فاغتاظ الرجل منه ودس له السم فى الطعام فلما شعر بدنوالاجل نزل فى مركب فعاجلته المنية فى البحر وتوفى سنة ١٣٤١ ش و١٦٢٣ م وكانت مدة رئاسته عشر سنين

وفى خلال مدة البابا يوحنا مات الملك الحبشى الذى اعتنق الكاثوليكية وتولى أبنه باسيليوس فاضطهد تابعى الكاثوليك وأرسل الى البطر يرك القبطى لكى يرسل له مطرانا وسمح للمرسلين الكاثوليك أن يقيموا فى بلاده على شرط ان لا يتعرضوا لمعتقد اهلها ولكن لما شعر بانهم ساعون فى استحضار جيش البورتغاليين ليؤ يدوا مذهبهم بالقوة أمرهم ان يبرحوا البلاد فلم يطيعوا واتفقوا مع كبير من الاحباش كان عاصيا فى وجه ملكه ولكن بعد اتحاده معهم باعهم كالعبيد الى تجار الاتراك فاستخلصهم الملك من ايدى التجار ولكنهم لم ينجوا من ايدى الاحباش فقبضوا عليهم

وقتلوهم فهدأت البلاد بعد حروب وارتباكات دامت سنين وانتهت بقطع دابر الكاثوليك وطرد كل متمذهب بمذهبهم من بلاد الحبش ومنع دخول الغرباء اليها لغير التجارة واكتساب المعايش

واتصلت هذه الاخبار باقباط مصر وذكرتهم باوقات اضطهاد الملوك الرومانيين لهم فلم يقبلوا من اسقف رومية هناء ولا عزاء ولكنهم لم يبدوا أنفة من وجود الافرنج وجماعة الكاثوليك بينهم لما حضر بعضهم الى مصر وتوطنوا بها للتجارة بمقتضى المعاهدات الدولية التى عقدت منذ الجيل السادس عشر للميلاد بين ملوك أوربا والمملكة العثمانية

(٣) متأوس ٣ — البطر يرك المائة :

أقيم بطر يركا سنة ١٣٤١ ش و١٦٢٣ م فى عهد السلطان ابراهيم واصله من طوخ دلكه وكان اسمه تادرس رئيس دير أبي مقار وفي مدته وقع غلاء وقحط وأكلت الميتة،وأرسل مطرانا الى الحبشة من أسيوط فلم يقبلوه فكرس غيره وقضى على الكرسى ١٩ سنة وتنيح فى توت سنة ١٣٦٠ ش و١٦٤٢ م وخلا الكرسى بعده خمس سنوات

(٤) مرقس ٦ — البطر يرك المائة والواحد :

كرس بطر يركا فى ١٧ برموده سنة ١٣٦٢ ش و١٦٤٦ م فى عهد السلطان محمد وهو من بجورة من دير أنطونيوس بالعربة وكان للمعلم بشارة من أعيان القاهرة يد فى تقدمته

وفى أوائل رئاسته تنافس مع المعلم بشارة مدة طو يلة ولم تكد تنتهى هذه المنافسة حتى لاقى صعوبة أخرى وذلك أنه أصدر امرا يمنع فيه الرهبان من التجول فى البلاد فتعصبوا عليه وشكوه للوالى فقبض عليه والقاه فى السجن ولم يخرج منه حتى وقع فى غرامة جسيمة ولم يسترح بعد خروجه من السجن حتى تنيح فى ٧ برموده سنة ١٣٧٢ ش و١٦٥٦ م بعد ان قضى على الكرسى مدة عشر سنين

(٥) متأوس ٤ — البطر يرك المائة والثانى :

كان يدعى أولا جرجس وهو من ناحية مير وترهب بوادى النطرون بدير البرموس واشتهر بالتقى والعلم والورع وانتخب للبطر يركية وأرسلت الجماعة تطلبه فامتنع فقام حزب من المصر يين ورغبوا فى تعيين خلافه فلما لم يتم لهم أحضر المنتخب الاول بواسطة الدولة وحضر الا ثنان وعملت بينهما القرعة فى الكنيسة وفى دار الولاية وفى الجهتين جاءت النتيجة باسم جرجس المنتخب أولا فاقيم بطر يركا فى آخر هاتور ١٣٧٧ ش و١٦٦٠ م فى عهد السلطان محمد

واستمر هذا البطر يرك فى الرئاسة اربع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصفا وقاسى شدائد مختلفة وعاش حتى رأى السلام ناشرا ألو يته ووقع فى عهده سنة ١٣٨٧ ش فناء عظيم سمى الموت الحارق وارسل مطرانين للحبشة شنوده وخيروستوذولو. وكان هذا البطر يرك آخر من سكن من

البطاركة فى حارة زو يلة ومن بعده أنتقل مركز البطاركة الى حارة الروم وتوفى فى ١٦ مسرى سنة ١٣٩١ ش و١٦٧٥ م ودفن بدير مركور يوس وخلا الكرسى بعده سبعة أشهر

(٩٦) يوحنا ١٦ — البطر يرك المائة والثالث :

كرس بطر يركا فى ١٢ برمهات سنة ١٣٩٢ ش و١٦٧٦ م فى عهد السلطان محمد . وكان يدعى أولا ابراهيم بن المغربى وهو من طوخ دلكه وترهب بدير أنطونيوس . وفى أثناء رئاسته طاف الوجه القبلى والبحرى مفتقدا أحوال المسيحيين وزار القدس وكان فى صحبته رجل من أكابر النصارى يدعى جرجس الطوخى وقد ساعده هذا الرجل على عمارة ما دثر من الكنائس والاديرة خصوصا دير القديس بولا الذى كان قد تخرب من اعوام مديدة فعمره هذا البطر يرك وأعاد اليه الرهبان بعد أن بقى خاليا منهم مائة سنة و بنى دار البطر يركية فى حارة الروم وارسل المعلم لطف الله الى السلطان بهدايا لرفع جز ية المال عن حارة الروم . وكرس الميرون المقدس سنة ١٤١٩ ش

وكان هذا البطر يرك ممدوح الخصال محسنا للفقراء والمحتاجين فاتحا داره لاستقبال الغرباء والمنقطعين وكانت أكثر ايامه شدائد ومصائب متراكمة كادت تتعطل بسببها شعائر الدين لولا عناية الله . و بعد أن قضى بطر يركا ٤٢ سنة وثلاثة أشهر توفى فى ١٠ بؤونه سنة ١٤٣٤ ش و١٧١٨ م وخلا كرسى البطر يركية بعده شهر ين وخمسة ايام

وفى أيام هذا البابا حضر لمصر سنة ١٦٩٢ م قنصل فرنساوى يدعى موليه وكتب كتابا عن مصر قال فيه عن الاقباط « انهم اقل جهلا وغشومة ولكنهم متشبثون بما يحسبه غيرهم هرطقة » واورد شاهدا على ذلك قوله « ان المرسلين اللاتين مع ما كانوا عليه من المهارة والجدارة لم يستطيعوا ان يجذبوا اليهم واحدا منهم رغما عن طول بقائهم بينهم وعمل كل ما فى وسعهم لاقناعهم »

ومما قاله أيضا « انه لما لم يقو المرسلون على اجتذاب القبط اليهم بالاقناع دبروا حيلة أخرى فصاروا يوزعون صدقات نقدية على من يحضر منهم الى كنيستهم فالتجأ اليهم جم غفير من الفقراء ولما استبدل رئيس الدير بغيره الغى التصديق بهذه الكيفية ولذلك لم يعد من الفقراء من يقرب كنيسة الافرنج »

ومما رواه عن شدة تمسك الاقباط بعقيدتهم هو « ان لو يس الرابع عشر ملك فرنسا طلب منه ان ينتخب ثلاثة من شبان الاقباط الاذكياء من عائلات طيبة و يرسلهم الى فرنسا ليتعلموا على نفقة الحكومة الفرنسية فلم يرض أغنياء الاقباط أو فقراؤهم ان يسلموهم أولادهم خوفا من ان يغيروا معتقدهم . وكان المرسلون اللاتين قد فتحوا مدارس لتعليم الشبان فبمجرد اشاعة الخبر منع الاقباط أولادهم عنها فاصبحت خاو ية خالية ولم يبق مع الكاثوليك سوى بضعة أنفار وهم الذين أخذوهم من والديهم وهم أطفال من أولاد الفقراء ور بوهم منذ نشأتهم على المعتقد

الكاثوليكى غير ان هذه الطريقة التى عمدوا اليها لم تنجح أيضا فان كثيرين من أولاد الاقباط الذين علموهم فى رومية عندما عادوا الى أوطانهم شق عليهم ترك معتقدهم الاصلى فرجعوا اليه مرة ثانية . فضلا عن ذلك فانه لما أدرك الاقباط ان المرسلين الكاثوليك لا يأخذون أولادهم لتعليمهم شفقة عليهم بل ليلقنوهم المعتقد الكاثوليكى أمتنعوا عن تقديم أولادهم لهم حتى الفقراء منهم » وقال المسيو موليبيه ايضا « وحتى الذين كانوا يتضورون جوعا وكنا نعطيهم طعاما أمتنعوا عن المجىء الينا خوفا من أن نكتلكهم »

وكان بعض الاقباط التابعين لاسقف رومية قد غشوه بان بطريرك الاقباط أظهر رضاءه عن مدارس الايطاليين وأمر أبناء رعيته بتعليم أولادهم فيها فلما اطلع موليبيه على الحقيقة أفهمه بان البطريرك لم يكن يعترف باعمال ووجود المرسلين الايطاليين بل كان يفرض عدم وجودهم بالمرة فى البلاد

ولما رأى اللاتين عدم نجاح مساعيهم فى مصر حولوا التفاتهم مرة أخرى للحبشة . فبعد ان ارسلوا ثلاث ارساليات آخر واحدة منها ارسلت فى سنة ١٧٠٦ م ارسلوا بايعاز لويس التاسع عشر ملك فرنسا طبيبا للحبشة يدعى دى رول ليدبر بحسن سياسته مع ملكها تمهيد الطريق لليسوعيين لقبولهم فيها وكان مع دى رول ترجمان سورى يسمى ايلياس فلما وصلا الى سنار قبض عليهما الحاكم وحجز عنده الطبيب وأطلق سراح الترجمان لكى يذهب للملك و يطلب منه السماح بدخولهما الى بلاده فرد عليه ملك الحبشة بانه اذا كان قادما بصفة سائح فلا بأس من ترك الحرية له ليدخل بلاده واما اذا كان من اليسوعيين فلابد من منع المجىء الى الحبشة . الا ان السلطان سنار بعدما أطلع على خطاب ملك الحبشة داخله ريب من جهة دى رول فبعد ان حجزه عنده ثلاثة أشهر قتله

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

أبو ذقن

ظهر فى أواسط هذا القرن رجل قبطى من أهل الوجاهة والفضل يكنى بابى ذقن المنوفى . وضع كتابا باللغة العربية شرح فيه حال الاقباط فى ذلك العصر وعوائدهم وأفرد بابا مخصوصا للدفاع عن معتقد الكنيسة القبطية ومقابلة حالتهم الدينية بحال الكاثوليك الرومانيين ملتزما فى اقواله وعباراته خطة الادب وخلو الغرض وعدم التحاشى فى تفضيل بعض الامور والعوائد الدينية الجارية بين الكاثوليك على غيرها مما هو جار بين الاقباط

و يقول العارفون ان هذا الكتاب الجليل يوجد باحدى مكتبات اكسفورد ببلاد الانجليز وقد ترجم الى اللغة العربية ونشر بتلك المدينة فى سنة ١٦٧٥ م وترجمه ايضا ونشره باللغة الانجليزية السرسادلير سنة ١٦٩٣ م

و يقول ابو ذقن ان أعضاء الكنيسة القبطية مشهورون فى كل ممالك العالم بلقب ممتاز وهو (مسيحيو الحزام)

« ومما جاء فى ذلك الكتاب عن الاقباط انهم اكتسبوا فى ذلك الزمان بحسن خداماتهم وصداقتهم ثقة المسلمين بهم فعززوهم وساووهم بالروم والافرنج وان معظم الصنائع كانت فى ايديهم وكانت تدرس فى مدارسهم اللغات العربية والقبطية والحساب والجغرافيا والدين . وقال ومع ان شبان الافرنج اكثر علما من شبان الاقباط الا ان هؤلاء اكثر زهدا واقل شراهة فى المأكل والمشرب من أولئك وذكر ابو ذقن انه عندما يريد احد الاقباط ان يذهب الى القدس يلتزم بدفع جزيتين لملا تراك الاولى عندما ينوى السفر وقيمتها ثمانية ريالات والثانية وقيمتها اربعة يدفعها غالبا عند دخوله المدينة المقدسة

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) حالة الاقباط بوجه عام :

جار ملوك آل عثمان على المصريين وغالبا لم يميزوا ما بين قبطى ومسلم حتى كثر حدوث الثورات فكان يقع فى خلالها طبعا البلاء بكثيرون من الاقباط ولما كثر الانقسام بين المماليك كان العرب يهجمون على البلاد و ينهبون البيوت و يقتلون الرجال و يسبون النساء .. وانتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخميم فى الوجه القبلى وكان معظم سكانها من النصارى اهل الكد والعمل ونهبوها وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها

الا ان الاقباط على كل حال عاشوا تلك المدة مع مواطنيهم المسلمين فى حال أفضل مما مضى واشتركوا معا فى مر العيش وحلوه غير انهم كانوا يزيدون عنهم فى دفع الجزية التى صارت تسمى بالجالية أو الجوالى وأستعملوا الجور فى تحصيلها منهم

(٢) مصير اللغة القبطية :

اما اللغة القبطية فكانت قد تلاشت بالمرة الا ان المقريزى يذكر ان الرهبان لبثوا يتكلمون بها لغاية القرن الخامس عشر وان بعض النساء والاطفال فى الصعيد ورهبان الاديرة الكائنة حول اسيوط واهل درنكة من كبيرهم الى صغيرهم كانوا يتكلمون بها فى ذلك العصر . وذكر ايضا فانسليب العالم الذى زار مصر سنة ١٦٧٢ م انه وجد بين الاقباط من يتكلم بلغته الاصلية . ولما وقد نابليون أمبراطور فرنسا واحتل مصر سنة ١٧٩٨ م طلب أن يسمع من يتكلم باللغة القبطة فجىء له قبطى من الصعيد يجيدها ولم ينازعه فى هذا الامتياز سوى امرأة عجوز

(٣) حالة المسيحية فى النوبة وفى الخمس المدن الغربية :

وكان ولاة مملكة النوبة حتى القرن السادس عشر مسيحيين خاضعين لسلطان مصر يدفعون له الخراج ولكنه بعد الفتح العثمانى أخذت الحكومة المسيحية تسقط فى النوبة وقامت مكانها حكومة اسلامية اجتهدت فى محو النصرانية من تلك البلاد فكثر عدد المستشهدين واسلم كثيرون

ومن خلص من الموت صار فى عوائده كالمسلم سواء وهكذا اهمل امر الدين المسيحى و بطل من تلك البلاد . ولا يبعد انه فى ذلك الحين الزم مسيحيو الواحات باعتناق الاسلامية فقلبت كنائسهم مساجد

القرن الثامن عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) بطرس ٦ — البطريرك المائة والرابع :

أقيم بطريركا فى ١٥ مسرى سنة ١٤٣٤ ش و١٧١٨ م فى عهد السلطان احمد . وكان اولا يدعى مرجان وهو من مدينة اسيوط أقيم قسيسا على دير القديس بولا وفى مدة رئاسته حاز مقاما ساميا لدى أولى الامر فتمكن من ان يطوف الوجه البحرى والقبلى لتفقد احوال قومه . وكان شديد المحافظة على شعبه مانعا لهم كل ما يحرمه الدين المسيحى من جهة الزواج أو الطلاق ونحو ذلك واجتمع بالسنجق ابن أيواز وغيره من المتكلمين بسبب ان شرذمة حاولت أن تبيح الطلاق لاية علة ولغير علة وجرت له معهم خطوب فيما يختص بحدود مذهبه فافتى له العلماء وصدر له فرمان من الوزير المتولى باقراره على قانون مذهبه ومنع التعرض له فى ذلك وصار الكهنة لا يعقدون زواجا الا على يده فى قلايته بسبب أبن قس طلق أمراته وتزوج غيرها وهذا البابا أخفى رأس القديس مرقس . وفى أيامه طلبت الحبشة مطرانا لها فرسم أسقف القدس مطرانا وارسله لها

واستمر فى الرئاسة سبع سنوات وستة أشهر وأياما وتوفى فى ٢٦ برمهات سنة ١٤٤٢ ش ١٧٢٦ م وخلا منصب البطريركية بعده تسعة أشهر

(٢) يوحنا ١٧ — البطريرك المائة والخامس :

أقيم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٤٤٣ ش و١٧٢٧ م فى أواخر مدة السلطان أحمد . كان يدعى أولا عبد السيد وهو من ملوى وترهب بدير القديس بولا وعند رسامته منع عادة أستلام الصليب من يد السلف ميتا لانه فزع منه . وفى أثناء بطريركته أنشاء كنيستين فى ديرى أنطونيوس و بولا بمساعدة الشهير جرجس السروجى أمير قومه بوقته

وفى سنة ١٧٤٣ م أنفذ امبراطور الحبشة من قبله وفدا للبابا يوحنا عقب وفاة خيرستوذولو

مطران الحبشة يطلب منه ان يعين بدله . وكان الوفد مؤلفا من ثلاثة اشخاص احدهم قبطى يدعى جرجس والاخران حبشيان اسم احدهما تاوضروس والثانى ليكانيوس ولما وصلوا الى مصوع قبض عليهم حاكمها وسلب نصف النقود التى كانت معهم واكرههم على الاسلام فاختفى القبطى واطاعه ليكانيوس واعتنق الاسلام أما وضروس فرشى بالمال وتمكن من الوصول للقاهرة وطلب من البطريرك رسامة مطران لبلاده فاجيب الى طلبه ورسم المطران سنة ١٧٤٥ م وعاد به ولكنهما صادفا فى مصوع ما صادفه الوفد الاول فالقيا فى السجن غير ان تاوضروس تمكن بحيله من ان يسهل سبيل المطران للفرار وبقى هو حتى طلب مالا من بلاده دفعه فدية عن نفسه

وفى ايام البابا يوحنا اشتد الكرب على المسيحيين وضربت عليهم غرامة فادحة لم يعف منها أحد وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر الكريمة بابخس الاثمان والزم بهذه الغرامة القسوس والرهبان والصبيان والفقراء وارغم البطريرك بدفعها عن القسوس وخدام الدين وحدثت زلزلة هائلة دمرت أماكن كثيرة وأبادت بلادا عن آخرها

وفى أيامه ايضا تمكن المرسلون الكاثوليك فى تسعة مراكز جنوب القاهرة وهى أنتينوا وأسيوط وأبوتيج وصدفا وأخميم وجرجا والاقصر وأسوان وفى دير النوبة ايضا . وفى سنة ١٧٣١ م ارسل اكليمنص الثانى عشر اسقف رومية يحض رؤساء ارسالياته على بذل آخر مجهوداتهم ليتمكنوا من ارسال بعض اولاد الاقباط ليتعلموا فى رومية فلم يتمكنوا بأية طريقة ولم يجدهم ما وجهوه الى الاقباط من التهديد والوعيد

فكتب أسقف رومية المذكور الى البابا يوحنا عن يد الكردينال بلوجا أحد المرسلين الكاثوليك يطلب منه ان يقبل هو وكنيسته الخضوع لسلطانه ولكن هذه المخابرات أنتهت نظير غيرها بلا ثمرة . ولما تولى بنديكتس الرابع عشر على الكرسى الرومانى أنكر قول كل قائل بوجود اتحاد بين الاقباط وبين كنيسته وقفل باب المخابرات الودية التى أستمرت جارية بين اساقفة رومية وبطاركة الاسكندرية ولكن بدون فائدة . وكان بمدينة القدس قس قبطى كاثوليكى يدعى اثناسيوس فرسمه مطرانا سنة ١٧٤١ م على مصر غير انه لم يحضر اليها بل بقى كل أيام حياته باورشليم . وكان النائب عنه فى مصر قس يسمى يسطس المراغلى . وكان يوجد حينئذ شاب قبطى أسمه روفائيل الطوخى من أهالى جرجا أخذه الكاثوليك بالقوة حينما كان صغيرا وارسلوه لدرس اللاهوت فى رومية وبعد اتمام دراسته عينه الاسقف الرومانى اسقفا على ارسينو ثم استدعاه اليه ثانية ليساعده فى تأليف كتب باللغة القبطية وتنقيح كتب الطقوس الكنيسة .

وفى السنين الاخيرة من القرن الثامن عشر تمكن الكاثوليك من استمالة اسقف جرجا القبطى الى مذهبهم ولكن لهرطقته حرم من الكنيسة القبطية حتى نقم عليه الاسلام أيضا ففر هاربا الى رومية وعاش فيها حتى مات سنة ١٨٠٧ م

ونشأ عن انضمام بعض الافراد من الامة القبطية نشوذ بين افراد العائلات وانقسام بسبب التركات والزواج فاشتكى كبار الكتاب لمخدومهم الامراء من سوء تصرف قسوس اللاتين وتعديهم على حقوق بطريركهم . فعقد لذلك مجلس بحضورهم وحضور البطريرك وقسيس اللاتين بالمحكمة الكبرى الشرعية و بعد سماع اقوال المشتكين واحتجاج المشتكى عليهم تقرر التصريح لبطريرك الاقباط باستعمال السلطة الدينية على أبناء أمته والتصرف فيهم بما توجبه قوانينه المرعية وعدم التعرض له أو التعدى على حقوقه وتحررت بذلك حجة من المحكمة وسلمت ليد البطريرك . وقد عثر على هذه الحجة صاحب جريدة مصر ونشرها وهذه صورتها :—

صورة حجة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بمصر المحمية بتاريخ غرة محرم سنة ١١٥١ هـ

وهو أنه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا الاخ ابراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (هنا اسماء الامراء الذين بهم أنعقدت الجلسة) بعد أن رفع كل من المعلم رزق الله ولد الذمى ابراهيم بدرى النصرانى اليعقوبى بخدمة ميراللوا الامير ابراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (وهنا أسماء الاقباط الارثوذكس الذين رفعوا الشكوى للمحكمة من جور المرسلين الكاثوليك وعددهم أربعة وعشرون شخصا) وغيرهم من النصارى اليعاقبة القبطية والقسيسين والرهبان يشتكون من أن جماعة من النصارى اليعاقبة القبطية مخالفون لملتهم و بطريركهم والقسيسين ورهبان اليعاقبة وان المخالفين المرقومين يريدون الذهاب الى الافرنج الغير قبطيين ليدخلوا فى ملتهم لعدم دفع الجزية وان المعلم يوحنا بطريرك النصارى اليعاقبة القبطية ينهى الجماعة القبطيين المرقومين عن ذلك مرارا فلم ينتهوا ولم يسمعوا لقوله وان القانون المتعارف بينهم أن كل من خالف كلام بطريركهم يكون مغضوبا عليه و يلزم الادب اللائق بحاله وان حصل التوافق والتراضى بين طائفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومية وكبيرهم ان كل من خالف ملته وكان قبطى وانتقل من ملة القبطيين الى ملة الافرنج وثبت ذلك عليه بالوجه الشرعى يكون على الامراء الصناجقة وأغوات البلكات وكخدا البلكات واختيارياتهم الخروج من عهدة من ينتقل من النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الى ملة الافرنج الخروج من حقه وتأديبه بما يليق بحالة زجرله ولا مثاله باعتراف كل من طائفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الاعتراف المرعى كما التوافق والتراضى المرعيين ولما تم الحال على هذا المنوال كتب ذلك ضبطا للواقع ليراجع به عند الاحتياج اليه والاحتجاج به وعلى ما جرى وقع التحرير

فى غرة محرم الحرام افتتاح سنة احدى وخمسين ومائة والف .

محمد عبد الرازق ، محمد على حنفى ، على على عبد النبى ، محمد فواكه ، محمد خلاف ، حسن على احمد

وقد وقفنا ايضا على صورة رسالة نشرها المندوب الباباوى بالقطر المصرى على جماعة

الكاثوليك الذين كانوا كلهم بالوجه القبلى وذلك تنفيذا للمعاهدة التى تمت بينه و بين بطر يرك الاقباط سنة ١٧٩٤ م عند معتمد دولة النمسا وفيها يوصى الاقباط المتكثلكين بمدن جرجا واخميم وفرشوط ونقادة بذلك الاتفاق الذى عقد بينه بصفته كيرلس رئيس عام رهبان المرسلين الكاثوليك والخواجة كركور وشتى قنصل النمسا والاب أكلمنضس رئيس عام سابقا و بين البطر يرك أنبا يؤنس والمعلم ابراهيم الجوهرى والمعلم جرجس أخيه رؤساء طائفة الاقباط بمصر. وكان الاتفاق على ما يأتى

(١) المتزوجون من الفريقين لهم حرية اختيار الصلاة باية كنيسة أرادوا قبطية كانت أو كاثوليكية

(٢) من الان فصاعدا لا ينبغى أن يتزوج الاقباط من الكاثوليك ولا الكاثوليك من الاقباط

(٣) لا يدخل قسوس الكاثوليك بيوت الارثوذكس ليكرزوا لهم ولا قسوس الارثوذكس بيوت الكاثوليك

(٤) لا ينبغى ارغام أى أحد ليصلى بكنيسة معينة بل يترك لكل واحد حق اختيار الكنيسة التى يحب

(٥) لا يصح فيما بعد اذا حدث خلاف ان يرفع الامر الى رجال الحكومة بل الى الرؤساء من الكنيستين ولهم حق مقاصة المعتدى . أهـ . تحرير فى ٣ شهريانوارنوس سنة ١٧٩٤ م

ولما بلغ السلطان ان قدم الارساليات الكاثوليكية أخذت تثبت فى مصر خشى امتداد سطوة الاجانب فى بلاده فكاتب بطريرك الكنيسة اليونانية وطلب منه ان يحذر جميع أفراد رعيته من ولوج معابد الكاثوليك . وكان معظم الذين أعتنقوا المذهب الكاثوليكى من السور يين الذين أرادوا ان يحتموا بالمذهب من تعدى المسلمين عليهم . وجعل السلطان غرامة الف كيس على الذين يذهبون لمعابد المرسلين اليسوعيين فجمع السور يون هذا المبلغ وسلموه للسلطان وفيما بعد قبض أحد امراء المماليك على اربعة من المرسلين اللاتين ولم يفرج عنهم الا بعد ان دفعوا غرامة فادحة

اما البابا يوحنا فاستمر فى كرسى البطريركية ثمانى عشرة سنة و بعض أشهر وتوفى فى ٢٣ برموده سنة ١٤٦١ ش و١٧٤٥ م وخلا منصب البطريركية بعده شهرا واحدا

(٣) مرقس ٧ — البطريرك المائة والسادس :

أقيم بطريركا فى ٢٤ بشنس سنة ١٤٦١ ش و١٧٤٥ م فى عهد السلطان محمود وكان يدعى سمعان من قلوصنا ترهب فى دير القديس بولا وكان طلق اللسان حسن الصوت محسنا ممدوح السيرة محبوبا فى قومه حتى شبهوه بالملائكة واستمر فى البطريركية ٢٤ سنة وتوفى فى ١٢

بشنس سنة ١٤٨٥ ش و١٧٦٩ م ومات بدير السيدة العذراء بالعدوية ودفن بحارة البطريرك بابى سيفين وخلا منصب البطريركية بعده خمسة أشهر وثلاثة أيام

(٤) يوحنا ١٨ — البطريرك المائة والسابع :

أقيم بطريركا فى ١٥ بابة سنة ١٤٨٦ ش و ١٧٧٠ م فى عهد السلطان مصطفى وكان أولا يدعى يوسف من الفيوم وترهب بدير القديس أنطونيوس . وفى اثناء رئاسته نالته شدائد من مأمورى الاحكام لاسيما من حسن باشا القائد التركى الذى أمر بضبط خزينته واخذ أمواله واختفى من الظلم واشترك مع المعلم ابراهيم الجوهرى الشهير فى تعمير أديرة وكنائس كثيرة . وفى أيامه كرس الميرون .

وسعى الكاثوليك لاجتذاب الكنائس الشرقية وعلى الاخص كنيسة مصر فنشروا لذلك كتاب « اعمال مجمع خلكيدون » ووزعوه فى البلاد الشرقية ثم ارسلوا مندوبا من قبلهم الى البابا يوحنا يحمل رسالة من اسقف رومية يدعوه فيها الى الاتحاد معه فسلم الرسالة للانبا يوساب الابح أسقف جرجا وكله بالرد عليها وفندها (١) اما نسخ كتاب « أعمال مجمع خلكيدون » فقد وجدت مشبتة لدعوى الكنيسة القبطية فندم الاسقف الرومانى على نشر ذلك الكتاب وجمع ما تمكن من جمعه وحرقه وانفق أموالا كثيرة فى ذلك

واستمر البابا يوحنا على كرسيه ٢٦ سنة وسبعة أشهر و١٧ يوما وتوفى فى ٢ بؤونة سنة ١٥١٢ ش و١٧٩٦ م وخلا منصب البطريركية بعده نحو أربعة أشهر

---

(١) كان هذا الاب عالماً متضلعا فى العلوم اللاهوتية فدافع عن كنيسته ضد تهجم البابا وبين دفاعا مجيدا وله كتاب ثمين فى ذلك يدعى « سلاح المؤمنين » محفوظة منه فى الدار البطريركية نسختان تاريخ أحديهما ٢٦ برمهات سنة ١٥٦٧ ش . وله كتاب آخر إسمه « الادراج » لأنبا يؤنس الـ ١٧ أهتم به الانبا يوساب تاريخ كتابته ١٩ مسرى سنة ١٥٤٥ ش وهو فى الشؤون الدينية الداخلية .

(٥) مرقس ٨ ــ البطريرك المائة والثامن :

ولد فى بلدة طما بمديرية جرجا فى أواسط الجيل الثامن عشر ودعى يوحنا وتربى التربية المعتادة وقتئذ ونما ميالا لعيشة النسك والتعبد فترهب بدير أنطونيوس و بعد ذلك اقام بالدار البطريركية مع البابا يوحنا ال ١٨ وشاهد ما حل بهذا البطريرك من الويلات . و بعد وفاة البابا يوحنا اختير بموافقة الاساقفة الى منصب البطريركية وكان بعضهم يرشحون انفسهم لهذه الوظيفة فعول الاساقفة على جعل الانتخاب بواسطة القرعة الهيكلية فوقعت القرعة على الاب يوحنا فتمموا رسامته فى كنيسة العذراء بحارة الروم فى يوم الاحد ٢٨ توت سنة ١٥١٣ ش و١٧٩٧ م فى عهد السلطان سليم الثالث . وفى أوائل مدته أتى أمير الجيوش الفرنساوية نابوليون الى الديار المصرية ومكث الفرنساويون بها ثلاث سنوات ثم رحلوا من مصر وعاد الحكم للدولة العثمانية وشاهد هذا البابا أول حكم محمد على باشا الخديوى الكبير

وفى ايام هذا البابا نكب المسيحيون بسبب دخول الفرنساو يين مصر وقاسى هو ذاته مصائب عديدة بسببها نقل مركز البطريركية من حارة الروم الى الازبكية بالدرب الواسع وقد روى لنا مؤلف كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم تفصيل ذلك نقلا عن كتاب « عمل الميرون المقدس » فى ايام البابا بطرس السابع المحفوظ بالدار البطريركية قال :ــ « فى ايام الانبا مرقس ال ١٠٨ حرقت الكنيستان العليا والسفلى بحارة الروم وكان الميرون الذى عمله سلفه موضوعا فى موضع واحد بأعلى دهليز الكنيسة السفلى فحرق وكان باقيا من هذا الدهن المقدس فى بعض الكنائس بمصر القديمة الذى عمل من ايام البابا متاؤس الثانى ومن ايام البابا يوحنا ال ١٦ . وقبل حرق الكنيسة بثمانى سنوات فى رياسة البابا مرقس أنتقلت القلاية البطريكية من حارة الروم الى حارة الازبكية فى سنة ١٥١٥ ش والسبب فى ذلك لما دخل الفرنسيس مصر حصل للنصارى الاقباط اهانة عظمى بسببهم وقاسى من جراء ذلك البابا مرقس كثيرا فانتقل الى الازبكية فى مواضع كان بناها المعلم ابراهيم الجوهرى قبل وفاته

وسبب بناء هذه الكنائس التى اقام بها البطريرك ان المعلم ابراهيم تحصل على فرمان ببناء الكنيسة وأودعه بالقلاية فى مدة البابا يوحنا ال ١٨ و بعد ذلك اشترى محلات وهدمها وابتدأ بوضع اساساتها وبجوارها اماكن أقام فيها الانبا مرقس وكيفية حصول المعلم ابراهيم على ذلك الفرمان هو انه اتفق له ان احدى قريبات السلطان المحترمات ولعلها أخت السلطان كامل قدمت من القسطنطينية الى مصر قاصدة الحج ولكونه متقدما فى الحكم تقدما مشهورا باشر بنفسه اداء الخدمات الواجبة لمثلها فى الذهاب والعودة وقدم لها الهدايا اللائقة لرفيع مقامها فأرادت مكافأته على خدمته التى أبداها وسألته عن مرغوباته فالتمس منها المساعدة فى اصدار فرمان سلطانى بالرخصة فى أنشاء كنيسة بالازبكية حيث مستقر سكنه والتمس منها أشياء أخرى لرفع الجزية عن الرهبان الى غير ذلك فقبل رجاءه بالاجابة ولكنه توفى قبل ان يتم البناء فقام به اخوه المعلم جرجس

وبعد دخول الفرنسيس بثمانية عشر شهرا حصلت حرب بينها و بين العثمانيين الذين بالقاهرة مدة ٣٤ يوما فى صوم الاربعين المقدسة فعمل البابا مرقس جمعة البصخة وعيد القيامة فى منظرة الحوش بجوار الكنيسة لانه لم يقدر احد على الخروج منها أو الدخول اليها وحرقت فيها محلات عظيمة وحصل نهب وكانت شدة عظيمة وقاموا بالثغر وهدموا دير مار مرقس الانجيلى الذى بظاهر الثغر وقد مكث الفرنسيس ثلاثين شهرا و بعدئذ رضى الله بخروجهم ثم ببناء الكنيسة التى اهتم بها المعلم ابراهيم الجوهرى وفى يوم الاحد ١٥ توت سنة ١٥١٧ ش كرسها البابا مرقس على اسم مار مرقس عوضا عن الدير الذى هدمه الفرنسيس بثغر الاسكندرية وقد اضاف اليها محلات » أهـ وقد شيدت الكنيسة بملك المعلمين يعقوب وملطى حيث الان الكنيسة الصغرى بالبطر يركية

وكانت تقوى هذا البابا مقرونة بالعلم الصحيح وقد وضع جملة مواعظ لتقرأ فى الكنيسة اشبه بقوانين لاصلاح خلل النظام فى أوقات الصلاة فمنها عظة عن الذين يتكلمون فى الكنيسة بغير أدب وأخرى عن دورة الفقراء فى الكنيسة ومما قاله فيها « انا أسالكم بلين المسيح وتواضعه ان تبطل دورة الاطباق ولا يدور الفقراء فالاطباق يقفون بها فى الخورس التحتانى وذلك فى وقت التسريح ومثل ذلك الفقراء بجانبهم بأدب ووقار » وغير ذلك من الرسائل فى مواضيع دينية ومما عثر عليه من رسائله رسالة تعزية الى أنسان كان فى شدة وخلص منها يقول فيها « ان الكتب الشرعية يا ابنى الحبيب عزى الله قلبك بعزاء الروح القدس المعزى تدعونا الى تعزية بعضنا بعضا والعقل والادب والمحبة والعادة مجمعة على ذلك فقد صار مستحبا وفرضا وما هذا الا لان المباشر بذاته الالم والحزن قد يعدم الرأى الصائب عند حلول المصائب أو ينسى الامر الواجب لاستيلاء الاكتئاب عليه فيحتاج الى من يذكره . لذلك كتبت اليك » أهـ

وقد روى عن هذا البابا انه كان شديد الاهتمام بأمر الكنائس والاديرة واصلاح المتخرب منها . وكان مقدرا لمنفعة الوعظ فثابر على القاء المواعظ بنفسه ولم ينقطع عن تعليم شعبه فى وقت من الاوقات . وقد رسم جملة اساقفة ومن جملة من رسم مطرانا للحبشة وذلك على أثر مجىء بعض الرهبان والكهنة ومعهم جواب من ملك الحبشة الجديد يطلب فيه منه ان يرسم لهم مطرانا عوضا عن انبا يوساب فرسم واحدا يدعى مكاريوس وارسله مع الكهنة سنة ١٥٢١ ش وأصحبهم بكتب تعليم ومواعظ لانه سمع ان بعضهم صاروا هراطقة فبعث يهنىء الملك وعظماء الدولة و يثبتهم فى الامانة المستقيمة

واشتهر هذا البابا بعمل الخير والاحسان . . وقيل فى وصفه انه كان قصير القامة شديد التقشف كثير الهموم مصفرا بسيطا فى أكله وملابسه . واستمر فى الرئاسة ثلاث عشرة سنة وشهرين وستة عشر يوما وتوفى فى ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و١٨١٠ م وهو أول من قبر من

البابــاوات بالكنيسة البطريركية بالازبكية فى الجهة القبلية للكنيسة الكبرى بجوار المذبح فى الكنيسة الصغرى التى كرسها هوعلى اسم القديس استفانوس رئيس الشمامسة وكان دفنه فى يوم ١٤ كيهك كما كتب خلفه البابا بطرس السابع

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

---

(١) المعلم رزق :

كان سكرتير الضربخانة المصرية فرقاه على بك الكبير عظيم المماليك الى مدير حساباتها . وكان للمعلم رزق دراية بالعلوم ولاسيما علم الفلك وكان مسموع الكلمة عند على بك و يعول عليه فى سائر الامور . ولما زار مصر المستر بروس السائح الانجليزى سنة ١٧٦٨ م ساعده المعلم رزق على انجاز مهمته فسر منه وقدم له هدايا نفيسة فلم يقبلها بل ردها وارسل له مثلها

وكان بدمياط تاجر مشهور يسمى الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسى فحصلت بينه و بين احد تجار النصارى منازعة بالثغر انتهت بالسب واللعن فعول الحاج عمر على الانتقام من النصرانى فأتى مصر وادعى انه سب دينه واستفتى المشايخ فأقروا على حرقة ولكن كبار كتاب الاقباط سعوا حتى استصدروا عفوا عن النصرانى واحبطوا مساعى الحاج عمر

وفيما بعد قبض على بك على الحاج عمر وسلب مقتنياته ونفاه من البلاد والجبرتى المؤرخ المسلم ينسب نفيه الى مساعى كبار كتاب النصارى الذين كانوا موضع ثقة على بك

وفيما بعد قام محمد بك أبو الذهب مملوك على بك وقتله واستقل بالرئاسة فعزل المعلم رزق من وظيفته وقيل انه قتله وأمر بابطال استعمال النقود التى ضربت على يده فى عهد على بك و يقال قتله

(٢) المعلم ابراهيم الجوهرى :

ظهر هذا الرجل العظيم فى أواسط القرن الثامن عشر ولا يعلم كيف نشأ الا انه يعلم انه تعلم منذ حداثته صناعة الكتابة وكان قلبه مفعما بمحبة الدين والتقوى وتقلد أول وظيفة له عند أحد المماليك وكان ينفق ربع راتبه فى الاعمال الخيرية ولاسيما نساخة الكتب وايقافها على الكنائس

فكان بين حين وآخر يأتى للبطر يرك بكتاب و يسلمه له فسر منه البطر يرك و باركه ودعا له بالنجاح . ولامر ما ترك الخدمة التى كان بها واخبر البطر يرك بذلك فطلب من رئيس كتبه الاقباط ان يقبله كاتبا خاصا له فقبله و بعد حين توفى الكاتب فأقر رأى الجميع على ابراهيم ليخلفه فى مكانه لما عرف عنه من الاستقامة والنزاهة

صار ابراهيم رئيسا للكتبة و بلغ اسمى رتبة كان يتطلع اليها القبطى حينئذ فبالغ فى انكار ذاته واظهار تواضعه وعكف على صنع الخير لجميع الناس بدون تمييز بين أهل الاديان واتصل خبره بابراهيم بك الوالى فعززه واكرمه واختصه بثقته ولما رأى المعلم ابراهيم الفرصة سانحة امامه ليقدم خدمة لامته شرع يعمر الكنائس الخيرية و يصلح ما فيها من الخلل واشترى املاكا كثيرة واوقفها عليها و يوجد بدفترية البطر يركية صورة ٢٣٨ حجة لتلك الاملاك التى اشتراها ذلك الرجل المغبوط وتنازل عنها للكنائس

وقد رزق بولد سماه يوسف وعرف اسمه من حجة وقفية أوقفها باسمه الا ان العناية الالهية شاءت انتقال ابنه الى الديار الابدية فتكدر خاطره عليه لانه كان وحيدا له واغلق المكان الذى كان مخصصا له وكسر السلم الموصل اليه حتى لا يشاهده قط

ولما اشتد ظلم الواليين ابراهيم بك ومراد بك أنفذت اليهم المملكة العثمانية حسن قبطان باشا سنة ١١٩٩ هـ فقاتلهما وانتصر عليهما فهربا من وجهه الى الصعيد واضطر المعلم ابراهيم الى مرافقتهما وامر حسن باشا باحصاء كل ممتلكات المعلم ابراهيم بما اوقفه على الكنائس و بسبب اختلال الاحوال وعدم ائتمان الناس على اموالهم وارواحهم اختفت زوجة المعلم ابراهيم فى بيت حسن كتخدا على بك أمين الحساب الذى كان لزوجها عليه مآثر فقبضوا عليها وارغموها على أن تخبرهم عن مخابىء زوجها فدلتهم عليها واخرجوا منها أوانى ذهب وفضة فأخذ منها ما أخذ و باع ما باع . ووشى بعضهم على مكان أبن المعلم المشار اليه فصعدوا اليه واخرجوا كل ما كان فيه من فرش وأمتعه واوانى ذهب وفضة وصينى واتوا بها الى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت شيئا كثيرا فاستغرق بيعها عدة أيام

ولما عادت الاحكام الى الاميرين مراد وابراهيم رجعا من الصعيد فرجع معهم المعلم ابراهيم وكان هو الوحيد من كبار الاقباط الذى نجا من اضطهاد حسن وتمكن بحسن سياسته وذكائه من حفظ مركزه فى عيون المسلمين كالاقباط فارتقى ثانية الى درجة عظيمة واستأنف جهاده فى أفتقاد الكنائس والفقراء والمساكين حتى أنه لم يكن يعتبر ماله ملكا خاصا به بل كان يصرفه فى كل عمل خيرى وللان يوجد الكثير من الاديرة والكنائس التى شيدها كما كان مهتما باحوال الرهبان الذين كان يرسل اليهم بدون انقطاع كل ما يحتاجون اليه ولا يزال الترمس باقيا

من تلك المؤونة فى أغلب الاديرة . وهذه الكنيسة الكبرى بالازبكية التى سعى فى تشييدها كما ذكر تنطق بفضله وتشهد بغيرته

وتروى عن المعلم ابراهيم حوداث كثيرة منها أن أخاه المعلم جرجس كان مرة ممتطيا جوادا ومارا فى احدى الطرق فأهانه أحد المشايخ ولم يحترمه و ينزل عن الجواد لمقابلته فشقت الاهانة على المعلم جرجس وأخبره اخاه بها فأجابه « غدا أقطع لسانه » وفى اليوم الثانى استدل على منزل الشيخ وارسل له هدايا سمنا وجبنا الى غير ذلك بدون علم اخيه . فلما مر أخوه المعلم جرجس مرة أخرى على الرجل وقف له اجلالا مرحبا به ترحيبا شديدا داعيا له الامر الذى جعله فى حيرة واندهاش ولما عاد علم بما فعله شقيقه وأدرك حقيقة قوله سأقطع لك لسانه اذ حوله من البغضة الى المحبة والاكرام و بذلك تمم قول الرسول « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه فانك بذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠)

و يروى ايضا ان امرأة جاءت ليلة عيد الى زوجة احد المشاهير المعلمين فى ذلك الحين (يقال انه المعلم فانوس الكبير) وشكت سوء حالها وضميها لان زوجها فى السجن وأولاده يبكون لعدم وجوده معهم فى هذا العيد وربما حكم عليه بالاعدام . فأرسلت هذه الزوجة الفاضلة كل ما تحتاجه العائلات فى الاعياد الى بيت ذلك الرجل وأرسلت تخبر أمرأته لكى تستعد بكل اللوازم لان زوجها سيكون فى بيته تلك الليلة

ولما جاء المعلم الى بيته ليلا بعد حروجه من الكنيسة لم يجده مضيئا كالعادة فاندهش لذلك لاسيما لما وجد زوجته حزينة فسأل ما الخطب الذى دهمنا وجعلك تجلسين هكذا مكتئبة فاجابته أيليق ان نفرح نحن ونبتهج وتلك العائلة حزينة باكية لسجن رجلها فان رمت ان تكون سعيدا بهذا العيد يلزمك أن تسعى فى اطلاق سراح ذلك الرجل الان فقال لها حى هو اسم الرب ليكن كما تريدين واسرع بالذهاب الى اولى الامر وتمكن من استصدار عفو عن الرجل الذى انطلق الى بيته وكان سرور عائلته به عظيما

ولما كان هذا الامر قد استغرق مدة من الليل لم يستيقظ المعلم حسب عادته باكرا ليتوجه الى منزل المعلم ابراهيم الجوهرى الذى كان ينتظره ليتوجها وصحبتهما وجوه الامة لتقدم فروض المعايدة لقداسة البطريرك كالعادة فسأله الجوهرى عن سبب ابطائه فأخبره بحادث الامس فأجابه الجوهرى « كيف جاز لك ان تنفرد وحدك بهذا العمل الصالح وتستأثر بثوابه ولا تشركنى فيه » ثم انطلقا الى البطريرك ليفصل لهما فى الامر فقال للمعلم ابراهيم هو اطلقه من السجن وانت ساعده على ايجاد عمل وكان كذلك

وعلم مرة أن موظفا قبطيا مضى على رفته نصف سنة فسعى له على عمل واستدعاه اليه ليقيمه فيه فجاءه الجواب من الرجل ان فلانا اولى بهذه الوظيفة لانه رفت قبلى بأشهر وليس له ما ينفقه على عائلته اما انا فبحمد الله اجد ما يكفينى فكان من المعلم ابراهيم ان وظف الاثنين

وكان من عادته نظرا لكونه ناظرا لكنائس القاهرة ومصر القديمة وما يجاورها أن يخصص لكل دير أو كنيسة أوقاتا معلومة ليقتدى به باقى المعلمين ففى مرة قصد دير بابلون الدرج فى يوم رفاع و بعد صلاة القداس توجه كل الى منزله الا واحد رآه المعلم ابراهيم يصعد الى التل فكلف خادمه ان يتتبعه فرآه يصلى و بعد الصلاة بحث حتى وجد وزة ميتة فشكر ربه وأراد النزول وكان الخادم قد سبق وروى الخبر للمعلم ابراهيم قبل نزول الرجل فاستدعاه اليه و و بخه لانه لم يكشف له حقيقة حاله وكان قد أرسل له كل ما يحتاج وأوصاه أن لا يخفى عنه أمره اذا تضايق ثانية

وقيل ان فقيرا أراد ان يمتحن سخاءه المفرط الذى وصل اليه خبره فتعقبه فى يوم من الايام من بيته الى محل شغله وكان يعترضه فى الطريق وكل مرة يقصد أن يريه أنه هو هو السائل بعينه و يلتمس منه على أسم المسيح وكان من عادته اذا سمع هذه الجملة لا يخيب رجاء قائلها مطلقا حتى بلغ عدد المرات التى طلب بها الصدقة منه وأعطاه اياها ثمانى عشرة و بعد ذلك قال له طوباك ياجوهرى الرب معك فقال له لا تتعجب أتطالبنى لهذا المال المودع عندى وانا أتأخر عن السداد ما أنا الا الامين والامين لا ينبغى أن يخون

وكان من عادته فضلا عما يرسله للاديرة والكنائس أن يولم فى كل عيد وليمة عظيمة للفقراء والمساكين فشعر مرة ان خدمه قصروا فى استكمال ما يجب لوليمة أقامها فى كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة فوبخهم شديدا قائلا لهم « ان هؤلاء الفقراء ضعفاء فيجب علينا ان نواسيهم ونطيب ونجبر خواطرهم الكسيرة ببعض ما نملك من نعم الله . ومخلصنا لم يأمرنا بالاهتمام بالاغنياء بل بالمساكين الذين ليس فى طاقة أيديهم أن يكافئونا عما نعمله معهم من الخير لكى يتولى هو مكافأتنا بالاجر السمائى فى اليوم الاخير »

وبالجملة فكان المعلم ابراهيم مثل السخاء والاحسان فلم يكن يخيب سائلا أتاه دون أن يميز بين انسان وآخر وفضلا عما كان يرسله سنويا من الزاد والمؤونة لجميع أديرة الرهبان ولكى يتمم الله معه القول « الذى يحبه الرب يؤدبه » أختطف منه أبنه الوحيد فحزن الرجل حزنا شديدا وأفرطت زوجته أيضا فى الحزن وألبست كل شيء فى بيتها ثياب الحداد . ولما جاء ميعاد ارسال مؤونة الاديرة قالت له امرأته كيف تهتم بالكنائس والفقراء والاديرة والله لا يحفظ لنا وحيدنا لنتمتع به فوافقها وامتنع عن ان يقدم شيئا

قيل ان القديس انطونيوس ابا الرهبان ترأى لزوجة المعلم ابراهيم بشكل نورانى وعزاها

قائلا « ان الله أحب الولد ونقله اليه شابا واحب الوالد لان من ذا الذى يعرف مقاصد الله فربما افسد شهرته وعاب اسمه وذلك افضل جزاء فلا تفشلي في عملك الذى كنت عليه من قبل وامرها ان تعزى زوجها وكان المعلم ابراهيم من يوم انتقال ولده ينام فى مكان وزوجته فى آخر فأصبح الصباح ورأى المعلم ابراهيم زوجته قد ابدلت ثيابها السوداء بثياب بيضاء وعلامات السرور بادية على وجهها فسألها ما الخبر؟ فقصت عليه حلمها فتعزى هو ايضا وشكر الله على اعمال عنايته العجيبة ومن ثم زادا فى عمل الخير والاحسان

وحدث انه كان يوما يصلى بكنيسة ابى سيفين بحارة زويلة فأرسل للقمص ابراهيم عصفور خادم كنيسة القلاية يقول له المعلم يطلب الاسراع فى الصلاة ليتمكن من اللحاق فى الديوان فرد عليه القمص بصوت مسموع « المعلم فى السماء والكنيسة لله وليست لاحد فان لم يعجبه فليبن كنيسة أخرى » أما المعلم ابراهيم فعوضا عن ان يغيظه هذا الكلام سر منه وابتهج واستعجل ببناء كنيسة اخرى . فقال له القمص احمد الله الذى جعل غضبك فى بناء كنيسة اخرى فزادت مبراتك وحسناتك وكنت انا السبب »

و يضيق بنا المقام لو اتينا الكنائس التى شيدها والاديرة التى جددها والاملاك التى اوقفها باسمه أو باسم أخيه جرجس او باسم ابنه الوحيد المتوفى أو باسم بناته والكتب التى أهتم بنسخها وقدمها هبة للكنائس ولم تزل غرر مآثره موجوده فى كل جهة ومكان حتى فى مدينة القدس فكل ذلك يراه القارىء مفصلا بكتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » الجزء الاول فليطالعه من اراد التوسع ليعرف كيف ينبغى أن يكون البر وكيف ينبغى ان تكون الخدمة للصالح العام

ومات المعلم ابراهيم سنة ١٢٠٩ هـ فكان لموته رنة حزن واسى فى جميع انحاء القطر ورثاه الانبا يوساب اسقف جرجا فى كتابه « سلاح المؤمنين » بمرثية بليغة وحزن ابراهيم بك فشوهد يمشى فى جنازته وهو يأسف على فقده اسفا عظيما

قيل انه كان من المترددين عليه فقير يقصده فى مواعيد معلومة فلما حضر وسأل عنه أخبروه بوفاته فحثى الرجل التراب على رأسه وسألهم أن يدلوه على مقبرته وهناك بكاه كثيرا حتى أخذته سنة من النوم فترأى له الفقيد الكريم وقال له أنا لى فى ذمة فلان الفلانى الزيات فى بولاق عشرة بنادقة فسلم عليه من قبلى واطلبها منه وهو يعطيها لك وتراى له كذلك على ثلاث مرات ومن ثم توجه الفقير للرجل فوجد كما قال له الا أنه لم يجسر أن يطالبه بالمبلغ ولما رآه الرجل متحيرا فسأله عن أمره فقص عليه الخبر فاعترف بالمبلغ وسلمه له

وروى أيضا أن بعض الاشرار وشوا فى أبنة المعلم أبراهيم المدعوة دميانه الى الوالى بانها تحفظ اموال ابيها التى اخذها من الحكومة فلما سئلت عن ذلك استمهلته حتى تحضر له ما طلبه ثم

طافت القاهرة تجمع الفقراء والمعوزين واحضرتهم اليه وقالت له ان اموال ابى هى مودعة فى بطون هؤلاء فلما عرف الوالى الحقيقة صرفها وذكر والدها بالخير

و يقال أنه لـلان عائلة سريانية شهيرة بحلب تخصص أياما من السنة لرفع قداديس على أسم هذا الرجل الفاضل وسبب ذلك أن جد هذه العائلة كان تاجرا شهيرا وحاول الكاثوليك أن يجذبوه الى مذهبهم فأبى اطاعتهم ولما عجزوا عن اقناعه اغتاظوا منه ونهبوا امواله وطردوه من حلب فأتى الى مصر وتعرف بالمعلم ابراهيم فأواه مدة حتى جدد ثروته وعاد الى بلده

(٣) المعلم جرجس الجوهرى :

لما مات اخوه المعلم ابراهيم قلده ابراهيم بك زميل مراد بك منصبه وسار على خطته ونسج على منواله واقتدى باخيه فى كل شىء حتى نال ثقته عند جميع المصريين على اختلاف أجناسهم . وكان بين الكتبة النصارى الذين تحت أدارته رجل يسمى يوسف كساب من عائلة سورية الاصل سولت له نفسه الامارة بالسوء ان يسعى به عند مخدومه وهواذ ذاك اسماعيل بك واتهمه بما ليس فيه واذ كان المعلم جرجس محسوبا على ابراهيم بك خصم اسماعيل بك صدق كلام الواشى وغضب على المعلم جرجس وأنزله من منصبه وعينه بدله رئيسا على الدواوين و بعد مدة وجيزة ظهر لاسماعيل بك كذب يوسف المذكور وخيانته فأمر بتغريقه فى نهر النيل واعاد المعلم جرجس الى منصبه .

ولما انتصر عساكر الفرنسيس على المماليك وعدوا الى بولاق كلف المعلم جرجس الجوهرى رئيس المباشرين ان يعد هذا البيت لنزول نابوليون فيه ففرشه وجهزه ولما دخل القاهرة أقام به ومن ذاك الحين عرف نابوليون المعلم جرجس الجوهرى واهداه جبة مزركشة بالقصب ليلبسها فى ايام التشريفات . ولما سافر نابوليون الى السويس لقطع شأفة أبراهيم بك استصحب معه بعض الاعيان والمديرين وفى مقدمتهم المعلم جرجس الجوهرى الذى كان يعتمد عليه فى مهام الامور كما أنه رافق الفرنساويين هو و بعض أعيان الاقباط الى الوجه البحرى لتقرير الصلح بين المتقاتلين . وذكر الجبرتى انه لما احتفل الفرنساويون بأحد أعيادهم دعوا أعيان المصريين كان المعلم جرجس بينهم لابسا ملابس الافتخار . ولما تحدثت الثورة ضد الفرنساويين طلب المعلم جرجس و بعض اعيان الاقباط من مقدمى المسلمين الامان لانهم أنحصروا فى دورهم وهم فى وسطهم وخافوا على نهب بيوتهم اذا خرجوا فارين فارسلوا اليهم الامان وقابلوا الباشا والكاتخدا والامراء وأعانوهم بالمال واللوازم

وحدث فيما بعد انقلاب أنتهى بتولية محمد على باشا حكم مصر فنال المعلم جرجس فى عهده المركز الاول . غير أن الحظ خالفه وذلك أن محمد على باشا طالبه كثيرا بمبالغ طائلة وهو

يستمهله لعدم وجودها معه . ولما توقف عن تحصيل النقود التى كان محتاجا اليها قبض عليه ومعه بعض الاقباط بحجة انه متأخر عن دفع ما عليه من المال وحجزوا فى بيت كتخداه واقام فى منصبه المعلم غالى الذى كان كاتبا عند الالفى عدو محمد على باشا

وبعد سبعة أيام أفرج عن المعلم جرجس ومن معه بشرط أن يدفع أربعة آلاف وثمانمائة كيس فدفع جزءا عظيما منه ووزع الباقى على الكتاب والصيارف ما عدا المعلم غالى وشخص آخر يدعى المعلم فيلوثاؤس وضاق بوجهه الحال فاضطر ان يبيع أفخر املاكه التى كانت بجهة الازبكية بقنطرة الدكة . وبعد ذلك خانه السعد فنزع محمد على باشا كل ما كان له وباعه بالمزاد

وقيل انه نفى الى الصعيد بأمر محمد على باشا وقيل انه هو الذى هرب من تلقاء نفسه . وقبل ذهابه جمع كل حجج املاكه وسلمها فى البطريركية لتنفق من ريعها فوضعت اليد عليها وبقيت فى حوزتها للان وصرح له بالعودة بعد أربع سنوات فعاد الى القاهرة فى ١٣ شوال سنة ١٢٢٤ هـ وقابل الباشا فأكرمه ثم نزل بيته الذى بحارة الونديك وكان قد فرشه له المعلم غالى وحضر عالى القوم ودونهم من مختلف الاجناس للسلام عليه وعاش الى ان تنيح فى سنه ١٢٢٥ هـ ودفن بمصر العتيقة بدير مارجرجس ولا يزال قبره موجودا ولكنه تخرب وليس من يفكر فى اصلاحه

(٤) الامير يعقوب ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا :—

يظهر انه كان منصرفا عن حرفة الكتابة الى اقتناء الاملاك والمتاجرة . وتعرف به الفرنساويون حال احتلالهم لمصر ولما تبينوه فيه من النشاط والحزم كلفوه بجمع الغرامة التى فرضوها على اهالى القاهرة ولما رأى الجيش الافرنسى لسوء تدبير الجنرال مينوآخذ فى التناقص اتفق مع الفرنساويين على تجنيد بعض شبان الاقباط فجمع من الصعيد نحو الالفين منهم فقبلهم الفرنساويون ودربوهم على حمل السلاح والقتال وتعلم يعقوب الحركات العسكرية وترأس الفرقة القبطية والحق بخدمة الجيش الافرنسى ومنح رتبة الجنرال (القائد) الا ان آباء الشبان الاقباط وذوى قرباهم لم يكونوا قد ألفوا هذه الخدمة فلجأوا الى الانبا مرقس الـ ١٠١ ليتوسط لهم لدى الجنرال يعقوب حتى يطلق سراح أولادهم فلم يذعن له وبنى قلعة بجهة الجامع الاحمر بالازبكية وسماها قلعة يعقوب

ولما دبرت مكيدة لاغتيال الاقباط وجه يعقوب كل همه للدفاع عن اخوانه اقباط القاهرة وبدأ بهدم بعض البيوت التى خربت فى الحوادث الاخيرة وبنى بانقاضها سورا عاليا منيعا حول الحى الذى جمع الاقباط فيه وشيد ابراجا فوقه داخل السور وعمل للسور بوابتين ورتب جنديين قبطيين يقفان على كل باب والسلاح على أكتافهما لمنع كل من يحاول الدخول فاصبح المكان حصينا وتمكن يعقوب من أن ينجى قومه من مذبحة مريعة

ولم يكن فى امكان يعقوب البقاء فى مصر بعد خروج الفرنساو يين منها فخرج مع الجيش الفرنساوى هو واكثر رجال فرقته خشيه من اضطهاد المسلمين لهم لان الفرنساو يين كانوا قد ولوا منهم أفرادا فى مناصب عالية وفى عدادهم المعلم ابو طاقية الذى كان يفصل بين المسلمين فى الاحكام الشرعية ولم يعد الى القطر المصرى بل استمر فى فرنسا حتى مات بعد مهاجرته اليها ببضع سنوات

قيل ولم تكن العلاقة بينه و بين البطر يرك كما يجب وذلك بسبب أخذه لامرأة من غير جنسه بطر يقة غير شرعية ومخالفته لقومه فى الزى والحركات حتى انه لما مات سنة ١٢١٨ هـ طلبت زوجته الاستيلاء على ما يخصها فى تركته فعارضها اخوته بدعوى انها غير شرعية

وممن خرج مع الفرنساو يين أيضا من جنود يعقوب بقطر واسمه الياس بقطر صاحب القاموس الفرنساوى والعربى المشهور والبعض يقول أنه ابن أخى يعقوب ولد باسيوط ١٧٨٤ م عينه نابليون مترجما لجيشه و بعد مهاجرته نال مركزا علميا ساميا بفرنسا و وضع القاموس المشار اليه ومما ينبغى الاشارة اليه أنه أول من درس من الاقباط اللغة الفرنسية

وقيل ان الاقباط الذين هاجروا الى فرنسا حينئذ أضاعوا جنسيتهم هناك ولم يبق لاسماء اسراتهم أثر يذكر ومنهم الكولونيل مكار يوس حنين والكولونيل غبر يال سيداروس والكولونيل حنا هرقل والقومندان عبد الله منصور. وقد روى بعض الثقاة ان الخديوى اسماعيل استحضر مرة جماعة من الممثلين والممثلات من فرنسا ومن هؤلاء الممثلات آنسة تعرف بمدام منصور نسبة الى جدها الادنى أو الاعلى المعلم منصور القبطى أحد المهاجر ين من مصر الى تلك الديار

(٥) المعلم ملطى :

كان كاتبا عند أيوب بك الدفتردار من مماليك محمد بك أبو الذهب . ولما أحتل الفرنسيون البلاد كونوا ديوانا للنظر فى القضايا العامة وجعلوا المعلم ملطى رئيسا عليه بموافقة اعضائه من مسلمين ونصارى وذلك لما امتاز به هذا الرجل العظيم من الخبرة وحسن التدبير

واستمر المعلم ملطى يدير الديوان بمهارة مدة حكم الفرنساو يين و بعد خروجهم القى القبض عليه وقطعت رأسه عند باب زو يله

(٦) المعلم انطون ابو طاقية :

اشتهر فى مدة حكم الفرنساو يين وكان مثر يا فزاره نابوليون فى أواخر سنة ١٧٩٩ م وكان محتاجا للمال فنزع المعلم أنطون طاقيته من فوق رأسه وأخذ يملأ بها المال حتى أستوفى نابوليون حاجته . فارتفعت قيمته فى عينيه فولاه فى وظائف كبيرة فقام بها خير قيام الا أنه رفع كثيرا من

الاموال والضرائب عن الاهالى فلم يرق عمله فى نظر الفرنساويين فقبضوا عليه وسجنوه فى القلعة حتى يدفع ما تأخر عليه من حساب البلاد فدفعه من ماله الخاص فى الحال . ولما ترك الفرنساويون مصر قبض عليه محمد باشا أبو مرق مع اثنين من كبار الاقباط هما المعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات وقتلهم سنة ١٨٠٢ م وأمر ببيع مالهم فى المزاد فوجد عند المعلم أنطون كثير من ثياب وأقمشة هندية نفيسة وأمتعة ومصاغ وجواهر وساعات وأوانى ذهب وفضة وكثير من العبيد والجوارى واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة ايام

وفى سنة ١٨٥٣ م سافر المعلم ابراهيم عوض حفيد المعلم انطون الى باريس ليطالب بالمال الذى دفعه جده الى نابليون أميراطور فرنسا فرد عليه نابليون الثالث يقول أن هذا المال كان قد فرض على الاقباط فدفعه عنهم أبو طاقية الا أنه دفع له أجر نفقات مبلغ ٤٥٠٠ ليرة فرنساوية

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) سلطنة محمود بن مصطفى
(٢) عبد الحميد الاول
(٣) سليم الثالث واحتلال الفرنسويين لمصر

---

(١) سلطنة محمود بن مصطفى فى سنة ١٧٣٤ م :

وفى أيامه كان الانكشارية الاتراك يحصلون من الاقباط ضريبة عن الانفس واشتدت ضيقتهم بواسطة تركى من الاستانة رشى السلطان حتى أشترى أمتياز هذه الضريبة وجاء الى مصر وصار يحصل من هؤلاء الاقباط البؤساء اضعاف ما كان يحصل منهم الانكشارية

وفى اثناء النصف الاول من القرن الثامن عشر عاش الاقباط بسلام لان المسلمين كانوا مشغولين بمقاتلة بعضهم الا ان قدرتهم الصناعية انحطت بسبب توالى نزول المصائب عليهم فلم تكن لهم قابلية تامة للتفنن فى أتقان صناعتهم لا سيما ولم يكن فى امكان القبطى أن يبقى فى بيته شيئا يستحق السرقة و يستمر عنده يوما واحدا

وفى سنة ١٧٣٣ م أمر حاكم كل قسم بان يفرض ضريبة على الاقباط الساكنين فى دائرته وكانت تحصل منهم على ثلاث درجات الدرجة الاولى تدفع ٤٢٠ بارة عن كل نفس والثانية ٢٧٠ والثالثة ١٠٥ والزم البطريرك بدفع الضريبة عن القسوس والخدام ومع كل ذلك لم يصدر امر

رسمي باضطادهم غيرانه في الوقت الذى كان فيه المماليك يقاتلون بعضهم كان العرب يهجمون علي البلاد و ينهبون البيوت و يقتلون الرجال و يسبون النساء . وانتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخميم فى الوجه القبلي وكان معظم سكانها من النصارى أهل الكد والعمل فنهبوها وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها

وهكذا كان بين آن وآخر يحدث استبداد وضيق على الاقباط المسيحيين وعلى الذين أسلموا منهم أيضا بسبب اختلال النظام وفساد الاحوال ولما استولى العرب الهوارة على معظم بلاد الوجه القبلي انتمى القبط اليهم فادخلوهم فى ذمتهم وحماهم فصار القبطى يخاطب العربى المنتمى اليه « ببدو يى » والعربى يسمى القبطى الذى تحت حمايته « نصرانيى » وهكذا كانت عيشتهم فى هذه المدة راضية نوعا

بل ان الحكومة اضطرت لاحتياجها الى أناس ذوى فطنة ان تستخدم الكثيرين من الاقباط في أعمالها فقاموا بتنظيمها أحسن قيام فوضعهم كبار المسلمين وعظماؤهم والولاة والحكام موضع ثقتهم وسلموا اليهم ادارة المصالح والاشغال والحسابات وكثيرا ما كانوا يكنون باسمائهم فيقال مثلا المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الالفى والمعلم منقريوس الموريلي وغير ذلك نسبة لمخدوميهم الذين أعتقدوا فيهم الامانة والاخلاص فعهدوا اليهم بمسائلهم الشخصية فكانوا يدبرونها أحسن تدبير وأدى ذلك الى الاعتقاد بان الاقباط على بينة تامة بالسحر والتنجيم والعرافة

ومن ذلك قيل أنه فى شهر يونيه سنة ١٧٣٤ م ادعى رجل قبطى من أهل التخيلات الفاسدة ان العالم سيقضى يوم الجمعة المقبل فذاع الخبر فى كل مكان وحل الهلع فى القلوب ولما سئل عن حقيقة الخبر قال مؤكدا « احبسونى فى أى مكان شئتم واذا لم يتم قولى اذبحونى » فزاد خوف الناس . ولما جاء الميعاد ولم يحصل شىء لم يكذبه الناس بل قالوا ان الاولياء التمسوا من الله ان يعفى عن العالم فعفى عنه

وكان محظورا على الاقباط ومحرما عليهم زيارة القدس ففى سنة ١٧٥٣ م سعوا لينالوا تصريحا بزيارته ولو كلفهم ذلك المبالغ الطائلة ليرشوا بها الحكام . وكان لاحد كبار المماليك سكرتيرا قبطيا له نفوذ كبير عنده فتمكن بواسطته من مخابرة شيخ الجامع الازهر فقبل ان ينظر فى الامر على شرط ان يدفع له مبلغ الف دينار لكى يصدر فتوى تبيح للاقباط الذهاب الى القدس والعودة منه بسلام دون أن يصيبهم مكروه فدفع الاقباط هذا المبلغ وأصدر لهم الفتوى فكان سرورهم عظيما وتأهبوا للذهاب الى القدس وعينوا مكانا فى الصحراء الشرقية الملاصقة للقاهرة ليجتمع فيه المسافرون ومنه يسيرون بطريق البر

فكان يفد الى ذلك المكان كل يوم مئات من الاقباط رجالا ونساء وجهزوا الجمال اللازمة

لحملهم وحضر لوداعهم كثيرون من أقاربهم ومعهم كثير من الهدايا الثمينة للقبر المقدس واستأجروا بعض العربان لحراستهم فى الطريق

فوصل الخبر الى مسامع المسلمين فتذمروا على عبد الله شيخ الجامع الازهر الذى أصدر تلك الفتوى خصوصا لما علموا انه أخذ رشوة قبل الافتاء و بقشيشا بعده فسخطوا عليه كثيرا . ولما رأى ان الانكار لا يجديه نفعا دعا جميع طلبة الازهر وكثيرين من الرعاع والاوباش وحثهم على اقتفاء اثر الاقباط وارجاعهم بالقوة قبل سفرهم فاسرعوا الى المكان الذى كان الاقباط يجهزون فيه أمتعتهم وانقضوا عليهم أنقضاض الصواعق والسيوف تلمع بايديهم و بدأوا يفتكون بكل من يتمكنون من القبض عليه فترك الكل جميع أمتعتهم وفازوا من الغنيمة بالاياب فأخذ الثائرون الامتعة وعادوا بها فرحين مغتبطين وقد بذل أغنياء الاقباط مجهودا عظيما لارجاع ما فقد منهم من الامتعة فضاعت مجهوداتهم عبثا

(٢) عبد الحميد الاول سنة ١٧٨٤ م :

وفى ايامه عهد لحسن باشا بقمع المماليك فدخل القاهرة ولم يسلم الاقباط من يده فاعاد عليهم كل القوانين الجائره التى كانت تسن ضدهم فى العصور الاولى وقعد متربصا عله يجد فرصة مناسبة لسحقهم فانزل كبارهم من وظائفهم التى وصلوا اليها فى مدة على بك الكبير ووضعهم فى وظائف حقيرة ثم جعل ينهب منازلهم ومنازل أولادهم يهدمها و يغتصب ممتلكاتهم

ولم يكتف بذلك بل أمر المنادين ان يصيحوا فى شوارع القاهرة محذرين الاقباط من ركوب دابة ومن ان يقتنوا عبدا أو جارية أو يسموا أحد ابنائهم بأسماء الانبياء أو الرسل المذكورين فى التوراة وتوصل حسن بذلك الى اغتصاب كل جوار وعبيد الاقباط وصرح لعساكره بطرد كل جارية أو عبد يجدونه فى بيت قبطى وجمع حسن باشا كل هذا الرقيق الى القلعة وهناك باعه بثمن فادح واضطر الاقباط ايضا الى الخضوع للامر الثانى فغير الموظفون عند المسلمين اسماءهم وعرف القبطى باسمين اسم ينادى به فى مركز عمله واسم ينادى به بين أهله

و بعد ذلك أمر حسن باشا باحصاء الاقباط و بيوتهم وقرر عليهم جزية ٥٠٠٠ كيس نقدية يدفعونها للحكومة وضاعف الضريبة الانفس لا سيما على الذين خرجوا مع مخدوميهم الامراء صحبة مراد بك وابراهيم بك العاصيين الذين جاء لاذلالهما فقد زاد عليهم الضريبة ضعفا آخر حتى بلغت ٧٥٠٠٠ ريال ولا يخفى ما حصل للحريم من الاهانة فى تحصيلها حال غياب أزواجهن الرجال وكان بين الكتاب المباشرين رجل يدعى المعلم واصف فقبض عليه وحبسه وضربه وطالبه بالاموال وكان المعلم واصف كما روى الجبرتى يجيد التركية و يعرف الايرادوالمصاريف وعنده نسخ من الرزنامة ويحفظ الكليات والجزئيات ولا يخفى على ذهنه شىء من ذلك

والزموهم بلبس زيهم الاصلى من شد الزنار والزنوط فتسلط العامة عليهم وتتبعوهم بالايذاء ومن وجدوه بغير زنار رجموه بالحجارة وحثوا التراب فى وجهه فانكمشوا وانعكفوا عن الخروج اياما وأرسل حسن باشا يطلب من قاضى القضاة احصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى يومئذ على الكنائس والاديرة ثم أحس بما وراء ذلك من الفشل وظهور الفتنة فخاف واستدعى اليه المعلم ابراهيم وكلمه فى الامر فصالحه المعلم ابراهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودى فيهم بالأمان وعدم التعرض لهم بمكروه

وعمت الشدة جميع النصارى فضربت عليهم غرامة أخرى فضاقت الدنيا بهم و باع الكثيرون منهم جميع ما عنده حتى ملابسه وملابس عياله وقرر على كل شخص منهم جز ية قدرها دينار بلا فرق وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة على كل واحد منهم وتتبع حسن الاديرة وأخذ كل ما وجده فيها من ودائع

وفى أوائل سنة ١٧٨٧ م مر عبدى باشا والى الدولة مع اسماعيل بك فى حى من أحياء المدينة فسأله عن أسم الحى فاجابه اسماعيل بك أن معظم سكانه من المسيحيين فأمر للحال بهدم كل ما فيه من المنازل ولم يتمكن الاقباط من تخليص منازلهم من الهدم الا بعد دفع ٣٥٠٠٠ ر يال دفع السور يون منها ١٧٠٠٠ وهم دفعوا الباقى

(٣) سلطنة سليم الثالث سنة ١٧٨٩ م واحتلال الفرنسو يين لمصر سنة ١٧٩٨ م :

ولما دنا الفرنساو يون من مصر رجاء احتلالها اجتمع المسلمون فى ديوان الحاكم وقر رأيهم على قتل كل مسيحى القاهرة الا أن عقلاءهم حذروهم من عاقبة هذا العمل الوخيم فاقتنعوا لكنهم استمروا يذلون الاقباط فكانوا يشتمونهم فى الطرقات مهددين اياهم بالذبح . وهجم بعض الرعاع على كنائسهم واديرتهم ومنازلهم بدعوى البحث عما فيها من الاسلحة

ولما دخل الفرنسيون البلاد تظاهر معظمهم باعتناق الاسلام استجلابا لرضاء المصر يين عليهم فاحتقر الاقباط منهم هذا النفاق ولكنهم لم يستبعدوه على قوم يتلقون التعاليم المسيحية من قصر الفاتيكان . وفى يوم من الايام أجتمع شيوخ المسلمين بالجامع الازهر ونادوا فى الشوارع ان كل من يوحد الله يمضى للجامع الازهر لان هذا هو يوم محار بة الكفار فقامت ثورة ضد الفرنساو يين فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٩٨ م وذبحوا كل من كان يمر منهم فى الشوارع ولما كان المسلمون يعرفون ان الاقباط والفرنساو يين على دين واحد ذبحوا كثير ين من الاقباط أيضا

وقد حاول الاتراك استرجاع مصر من يد الفرنساو يين وفى أثناء اشتباك القتال بينهما تخلف قائد تركى يدعى ناصف باشا ودخل القاهرة ودار فيها يذبح و ينهب المسيحيين وتهيج المسلمون عليهم فطافوا الشوارع يبحثون فيها على كل مسيحى ليوقعوا به فقتلوا نصارى بولاق ونهبوا

بيوتهم وقبضوا على كثير ين من الرجال وذبحوهم بلا رحمة . أما النساء فكن يجلدن عرايا وتقطع رؤوس أطفالهن أمامهن ولم يخلص الاقباط من هذا الو يل سوى ضابط تركى اسمه عثمان بك قال لناصف حسن باشا علنا « ليس من العدل اراقة دماء رعايا الدولة ضد أرادة مولانا السلطان » فانقطع الاضطهاد و بعد ذلك صار القتل فى النصارى عاما فذهبت طائفة الى حاراتهم و بيوتهم التى بناحية بين الصور ين و باب الشعر ية وجهة الموسكى فصاروا يهجمون على البيوت و يقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء و ينهبون و يأسرون

وقال الجبرتى « وحضر أيضا رجل مغربى والتف عليه طائفة من المغاربة وفعل أمورا فظيعة للغاية فكان يتجسس على البيوت التى فيها الفرنساو يون والاقباط فيهجم عليهم و يقتلهم و ينهبون ما عندهم و يسجنون النساء و يسلبون ما عليهن من الحلى والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فى مَا على راسها وشعرها من الذهب » أهـ ولما أنتصر الفرنساو يون على الاتراك فر اليهم اكثر المسيحيين محتمين بهم

ثم أنتشب القتال مرة أخرى بين الدولتين فأعيدت الكرة على الاقباط فكان يقتل منهم كل يوم خلق كثير وكادوا يهلكون عن آخرهم لولا ان رجلا حازما منهم يدعى يعقوب دبر طر يقة لنجاتهم كما ذكر فى ترجمته فابتنى لهم حصنا لحمايتهم ولكنه تهدم فيما بعد حينما تركه الاقباط فى عهد اطمئنانهم كما هجر الاقباط حيهم فى ذلك الحين وهو الموجود الان بكلوت بك ولم يبق من الاحياء القبطية القديمة غير أماكنهم فى حارة الروم وزو يلة . وأخذ الاقباط الحذر من ذلك الحين فقووا جدران بيوتهم ورفعوا أسوارها الى حد يتعذر على الهاجمين الصعود اليها و بعضهم كسا أبوابها بمسامير حديد كبيرة ذات رؤوس جافية متلاصقة ببعضها حتى لا تؤثر فيها الآلات الحادة

ولما استقر الفرنساو يون فى مصر ساووا بين أهل الاديان حتى انهم لما شرعوا فى ترتيب ديوان للنظر فى قضايا التجار ألفوه من اثنى عشر عضوا ستة منهم من النصارى القبط وستة من تجار المسلمين وجعلوا المعلم ملطى القبطى رئيسا له . وحدث ان نصرانيا جاهر مرة بشرب الدخان نكاية فى المسلمين فغضب عليه أحد المشايخ وضربه ولما وصل الخبر للحاكم الفرنساوى أدب القبطى والزمه بالخضوع لعوائد البلاد وقبل التاريخ أسلم رجل من عائلة قبطية ودعى محمد المهدى فعظم أمره واشتد ساعده . وقيل أن الاقباط حال دخول الفرنساو يين لمصر طلبوا منهم منع الضيق الحال بهم فرد عليهم المباشر العام يعدهم بالحماية وبمعاقبة الذين يسعون فى ذبحهم ووعدهم أذا أرجع لهم حقوقهم ان يعاملوه بالامانة ثم مدح بطر يركهم على فضائله وحسن مقاصده .

وكان اذا مر أحدهم على الجامع الازهر ينزل من على حصانه ولا يمر به راكبا غير ان بعض الجهلاء ثاروا على اثر ربط الفرنساو يين العوائد على الاملاك وتعصبوا ضدهم وارتكبوا فظائع فهدد

الفرنساويون بضرب المدينة ولا سيما الجامع الازهر ولما لم يرتدعوا خربوا منازل كثيرة حول الجامع ودخل الجنود الجامع فأهانوه اهانة عظيمة

وفيما بعد قتل كليبر قائد الفرنساويين وخلفه آخر يدعى مينو فلكي ينال عطف المسلمين اعتنق ديانتهم ودعا ذاته عبد الله واسلم معه ابنه وسماه سليمان ورفت كل الموظفين المسيحيين من اقباط واجانب وسلم كل الاعمال للمسلمين وجعل قانون الاحوال الشخصية المتعلقة بالميراث والزواج وفقا للشريعة الاسلامية

وعند خروج الفرنساويين من مصر كان سخط المسلمين على الاقباط شديدا بسبب المساواة التى تحصلوا عليها بهم فى زمنهم وظهورهم راكبين الخيل وحاملين السلاح فلهذا وقع الاقباط تحت ضنك شديد بعد خروج الفرنساويين فدار فيهم السلب وهدمت بيوت كثيرة لهم وكان يعرض حياته للخطر من يتجاسر منهم على بناء بيت أو كنيسة

القرن التاسع عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) بطرس ٧	(٢) كيرلس ٤
(٣) ديمتر يوس ٢	(٤) كيرلس ٥

(١) بطرس ٧ ــ البطر يرك المائة والتاسع :

ولد بقر ية الجاولى بمركز منفلوط ولذا أشتهر باسم بطرس الجاولى . وكان يدعى أولا منقر يوس ورسم قسيسا بدير القديس أنطونيوس باسم مركور يوس ثم رقى الى درجة الايغامانوسية لما لاحظه فيه رئيس الدير من التقشف والاستقامة ولبث مواظبا على أفعاله النسكية حتى بلغ خبره مسامع البابا مرقس سلفه فاستدعاه اليه وكان فى حاجة شديدة الى رجل صالح يرسمه مطرانا للحبشة فانتخبه لهذه الوظيفة غير أن عناية الله أخرت تعيينه وحفظته لما هو اسمى من ذلك . الا انه رسم مطرانا على الكنيسة عموما باسم وكيل الكرازة المرقسية ودعى ثاوفيلوس فأقام مع البابا مرقس فى الدار البطر يركية وشاطره فى القيام بجميع مصالح الامة الى ان توفى البابا مرقس فأجمع رأى الكل على اقامته بطر يركا وقد تم تعيينه فى يوم الاحد ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و١٨١٠ م بعد وفاة سلفة بثلاثة ايام وذلك فى عهد خديو ية محمد على باشا . وهو أول من وضعت عليه الايدى فى مركز البطر يركية

كان هذا البابا تقيا ورعا زاهدا متقشفا محبا للخير قليل الكلام مع هيبة ووقار يقضى يومه منكبا على المطالعة أو مواظبا على الصلاة خصوصا لاجل سلام كنيسته و يروى ان احد اصحابه احتاج اليه فى امر فدخل عليه حجرته فالقاه يصلى والدموع على خديه وليس عليه من الملابس الا ما يقيه من النظر فأمر بعد ذلك ان لا يدخل اليه احد وهو منفرد . ولم يكن يهتم يوما بما يأكل أو يشرب حتى أنه أشتهى مرة طعاما فابقاه الى أن أنتن ومن ثم أكل منه رغما عن اشمئزاز نفسه تعنيفا لها وتبكيتا . ومثل ذلك يقال عن لباسه فلم ير يوما لابسا لباسا أنيقا أو جالسا فى مكان يدل على الابهة بل كان لا يلبس الا الصوف الخشن و ينتعل مركوبا مكعوبا أحمر بملعقة ولا يجلس الا على الارض أو على دكة ولا ينام الا على حصير من القش و بالجملة فكان وديعا متواضعا لم يزده ارتقاؤه الى رتبة البطر يركية الا مبالغته فى أنكار الذات فلم يغير نظام رهبنته حتى قيل انه كان يجدل الخوص فى اوقات فراغه

وكان لا يتعرض الى امر من امور السياسة ولا يخرج من الدار البطر يركية الا اذا دعته الحاجة واذا سار في الطريق ارخى على وجهه لثاما اسود واذا تكلم فع التأدب والحشمة ولا ينظر الى وجه سامعه ولم يكن يرغب في حضور الاكاليل في المنازل واذا طلب احد وجوده لنوال بركة فكان يطلب حضور العروسين بالكنيسة صباحا ليناولهما الاسرار المقدسة بعد الاعتراف . قيل أنه أصيب مرة بألم في ركبتيه فوصف له العارفون لبس ثلاثة جوارب من الصوف فأبى بتة ان يبدل نظام معيشته النسكية معتقدا ان الله وحده هو الشافي

وكان هذا البابا فضلا عن ذلك سامي الاخلاق واسع العقل كثير الرغبة في اصلاح كنيسته وكان ميله شديدا لمطالعة الكتب الدينية والعلمية والتاريخية حتى كانت تشغله المطالعة احيانا عن الاكل والشرب ولهذا اهتم بنقل ونسخ الكتب النادرة ومن ضمنها سيرة القديس باخوميوس ابي الشركة و ينسب معظم ما يوجد اليوم في مكتبة البطر يركية الى ما جمعه هذا البابا . ووجد له مؤلف كتاب «نوابغ الاقباط ومشاهيرهم» في مكتبة البطر يركية كتابين بخطه في الدفاع عن العقائد الارثوذكسية الاول «مقالات في المجادلات» والثاني «في الاعتقادات رداً على المعاندين» وله ايضا مواعظ ورسائل وقصد بما كتب هداية من انسلخوا عن كنيستهم وانضموا للكنيسة البابا و ية

وأضاف البابا بطرس الى هذه الصفات الحلم في الرئاسة والحكمة في التصرف فاصبح موضوع الاحترام عند الجميع وفاز بحظوظ قلما سبقه فيها غيره فكانت الحكومة راضية عنه وكان قومه حاصلين على الامن والرفاهية والكنيسة مشهورة في القطر المصرى حاصلة على اقامة شعائرها ونال حظوة لدى الوالي و بواسطته نجح الاقباط وعهدت الحكومة اليهم في الاشغال الكتابية والادار ية ونالوا أوفر قسط من الحر ية فكانوا يباشرون عبادتهم ويخرجون موتاهم وأمامهم الصليب بدون خوف

وكان بالنو بة ١٧ ابروشية ايام ان كان أهلها يدينون بالمسيحية فلما خضعت لمصر بعد الفتح العر بي سقطت حكومتها المسيحية وأبدلت بحكومة أسلامية ولما تم لمحمد على باشا فتحها سنة ١٨٢٠م كان لا يزال بها ألوف من الاقباط وعاد الذين تظاهروا بانكار الديانة المسيحية الى الاعتراف بها وطلبوا أن يرسم لهم اساقفة فرسم البابا بطرس أسقفين على التعاقب وأرسلهما مع فيئة من الرعاة برضاء الهيئة الحاكمة

وكان افضل ما اشتهر به البابا بطرس زهده في المال وكراهته له فلم تجد السيمونية اليه سبيلا بل كان لا يسمح بوضع اليد على أي كاهن ما لم يتأكد من حسن سلوكه . وفي مدته صار تجديد كنائس بالاقاليم البحر ية والقبلية ورسم في عهده ٢٥ اسقفا ومطرانين للحبشة ومن الاساقفة المشهور ين في أيامه يوساب الاخيمي واثناسيوس الغمراوي وتوماس المليجي وسرابامون المنوفي الشهير بابي طرحه وسيرد تار يخ حياته

وكان أقباط بلدة الجاولى مسقط رأسه متضايقين للغاية من قساوة العائلات الاسلامية القوية فيها فلكى يخلص البابا بطرس قومه من نيرهم استدعى اليه اكابر اقباط تلك البلدة وكلفهم بانتقاء مائتى فدان من افضل أطيانهم وقدمها هدية لشريف باشا ورام بذلك أن يعين لها الباشا متى دخلت فى حوزته مندوبا من قبله كالحاكم يكون له وحده حق الاشراف على شئون البلدة و بذلك يمتنع أستبداد المسلمين بالاقباط . وكان الرجل الذى عينه شريف باشا بايعاز البابا بطرس قبطيا من أسيوط يدعى المعلم بشاى مليوش واعطاه شريف باشا ٣٦ فدانا من المائتين ليزرعها و يعيش من ايرادها وبهذه الطريقة تمكن البابا من تحرير اقباط بلدته من الذل الذى كان واقعا عليهم

ففاح حينئذ عبير فضائل هذا البطريرك الجليل فى كل مكان وأصبح ذكر أسمه مقرنا بكل أجلال واحترام وتقاطر الى مجلسه كبار العلماء المتدينين للمباحثة فكان يجاوبهم على اسئلتهم بكل حكمة . ووشح الله علمه وتقواه بموهبة الآيات والعجائب فجرى على يديه منها الكثير ومن ذلك قيل أنه ذات يوم اتاه رجل مخبرا اياه بانه ترك بيته مدة خمسة اشهر طلبا للمعاش ثانى يوم زواجه قبل ان يعرف زوجته ولما رجع اليها وجدها حبلى ولما سألها عن الحقيقة ازدرت به لعلمها بان اباها أسمى منه مقاما وأعلى مركزا فاستدعى البطريرك تلك المرأة فأتت مع والدها وأخذ البطريرك يستخبرها عن الواقع و ينصحها ان تعترف له فأبت ان تجيبه الا بقولها « ان حملى هو من زوجى » ولما ادرك البطريرك أنها تكذب قال لها « ان الذى من الله يثبت والذى من الشيطان يزول » فلم تبال بهذا القول ولكنها لم تكد تضع رجلها على آخر درجات سلم البطريركية حتى سقط الحمل . فلما علم البطريرك بذلك أصدر حكم بطلاقها لعلة الزنا . وقد كان ذلك الرجل الوجيه يظن ان جاهه يحمل البطريرك على الحكم لمصلحته ولكن البطريرك خيب قوله وقال له « ليس بينكم احد أقوى من الضعيف متى كان مع الحق ولا أضعف من القوى متى كان مع الباطل »

وفى ايامه توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وعجوا وأمر الحاكم رؤساء الاديان برفع أصوات الابتهال الى الله لتزيد مياه النيل فصلى أولا المسلمون وعقبه اليهود فلم يزد النيل قيراطا واحد فطلب من البطريرك ان يصلى فتقدم الى ساحل البحر ومعه بعض الاساقفة والكهنة والشعب وعظماء الامة ورفع الاسرار الربية و بعد الانتهاء القى المياه التى غسلت به الاوانى المقدسة فى البحر مع قربانة البركة فشوهد البحر يتعالى حتى اخذ حده فى الزيادة ووصل الى المكان الذى اقيمت فيه خيمة الصلاة قبل ان ترفع وكان ذلك فى ١٩ مسرى سنة ١٥٢٥ ش

و بلغت اخبار فضل البابا بطرس وتقواه مسامع محمد على باشا فأجله وأكرمه وأنزله عنده منزلة سامية وحدث لما أحتل ابراهيم باشا الاراضى المقدسة وشى اليه بعض الاشرار بان ما يدعى به المسيحيون من ظهور النور على قبر المسيح هو زور وبهتان فصدق ابراهيم باشا وشايتهم وزاده ريبا علمه أن النور لا يخرج الا على أيدى بطاركة الاروام بالقدس . ولما كانت ثقة ابراهيم باشا وابيه

بالبابا بطرس عظيمة استدعاه اليه من مصر فسار البطريرك الى القدس ولما علم ابراهيم باشا بقدومه خف لاستقباله بحاشيته وقواد جيشه وعند حضور البطريرك أمسك بيديه وساعده على النزول من مركبه وأعلمه بالامر الذى أستقدمه بسببه وطلب منه أن يصلى ليخرج النور على يديه فاجابه البابا بطرس والدموع تفيض من عينيه « أن النور يظهر على يديك لا على يدى أنا الخاطىء » ولعلم البابا بطرس بان ذلك تترتب عليه عدواة بين الروم والاقباط اعتذر لابراهيم باشا طالبا منه آن يكون حاضرا معه بطريرك الاروام و يكون هو معهما ليزول الريب فرافقهما أبراهيم باشا وكانت كنيسة القيامة قد فاضت بالجماهير وتضايق الناس من الازدحام فأمر ابراهيم باشا عساكره باخراج جميع الفقراء والزائرين الى خارج كنيسة القيامة والاحداق بهم حتى يوقعوا بهم اذا لم يظهر النور

فشعر البابا بطرس بسوء العاقبة اذا لم يظهر النور وكان قد قضى هو و بطريرك الاروام مواظبين على الصلاة والصوم مدة ثلاثة ايام كالعادة و بعد ذلك اقيمت الصلاة المعتادة فوق القبر ولم تتم حتى انبثق نور من القبر المقدس واجتاز من الاعمدة فشقها كما يرى اليوم الى ان وصل الجماهير المحتشدة خارج الكنيسة فضجوا هاتفين « النور . النور » وتلتهم اصوات الذين فى الكنيسة قائلين كذلك بطريقة ارعبت ابراهيم باشا وصيرته فى ذهول وكاد يسقط على الارض وهو يقول (امان بابا » واستند على البطريرك حتى هدأ روعه وعادت اليه قواه

ومن ثم بالغ أبراهيم باشا فى تعظيم البابا بطرس واعاده الى القاهرة بكل اجلال وقضى بقية حياته يقضى بين شعبه بكل حكمة وعلم منصفا للمظلوم من الظالم وللضعيف من القوى دون ان يراعى الا ما يمجد اسم الله القدوس . وذات يوم جاء واحد من كبار الشعب يصلى بالكنيسة صباحا كالعادة فرأى أن الكاهن قد اطال فى الصلاة فكلمه فى ذلك وأفهمه ان ميعاد أنصراف الموظفين الى دواوينهم قد أزف فلم يلتفت اليه الكاهن بل استمر يصلى حتى انتهت العبادة فشكى الكبير الكاهن الى البطريرك فقال له « هذا بيت الله ولا يصح تقديم أو تأخير العبادة فيه تبعا لرغائب الناس »

ومما يدل على عظم فضيلته انه اتاه يوما رجل يشكو من امرأته التى تزوجها بكرا فوجدها ثيبا فقال له الباب بطرس « ذلك هو الافضل لك حتى تقوم بخدمتك كما يجب » فكرر عليه الرجل الشكوى وهو يقول له « خير لك أن تكون امرأة لتقضى لوازمك » ولما رآه الرجل لا يفهم المقصود احضر له اناء من اللبن الرائب مختوما بدون ان تمسه يد وقال له ان البكر تكون هكذا ثم غمس فيه احد أصابعه وقال له هكذا تكون الثيب فقال البطريرك « لعن الله اليوم الذى عرفت فيه البكر من الثيب » ثم قضى فى دعواه رسميا

ولما كان محمد باشا يتقدم فى فتوحاته وغزواته خشيت دولة روسيا أن يعظم أمره ويحول دون أمانيها فى الشرق وفى المملكة العثمانية ففكرت أن تستعين بالامة القبطية على نيل أغراضها

ضد محمد علي باشا فأرسلت أميرا روسيا يعرض على بطر يرك الاقباط قبول حماية الروسيا لشعبه فذهب المندوب الى الدار البطر يركية وكان يفتكر انه يرى رئيس أكبر أمة مسيحية فى أفريقية بحالة تدل على عظمة وتنم على أبهة وكانت قد وردت الاخبار للبطر يرك بز يارته فلم يبدل شيئا من نظام بطر يركيته أو يهتم بتغيير هيئته حتى أنتهى اليه المندوب الروسى فالفاه والكتاب المقدس بيديه يطالع فيه وهو بزعبوطه الصوف الخشن جالسا على مقعد خشبى وحوله مقاعد مثله مبعثرة فلم يخطر ببال المندوب أن هذا هو رئيس الامة القبطية سليلة مجد الفراعنة وسأله اين البطر يرك ؟ فاجابه البابا بطرس ومن الذى يروم مقابلته فاجابه المندوب معرفا اياه بمركزه العظيم فقال له البابا بطرس بكل هدوء تفضل أجلس أنا البطر يرك بنعمة الله فظهرت بغتة على المندوب دهشة عظيمة وكاد يكذب أنه هو ويخرج لولا انه رأى ملامح الصدق ظاهرة على وجه البطر يرك ولعل دهشة المندوب نشأت من مقابلة بساطة البابا بطرس بفخفخة رؤساء الاديان فى باقى الاقطار حيث يقلدون الملوك فى مجالسهم وملابسهم وأبهتهم ولكن لو رفع بصره وتمثل أوامر رئيس المسيحية لرسله وكيف كان يعيش رؤساء المسيحية فى عصورها الاولى لزال عجبه واعتبر أن هذا حقا خليفة رسل المسيح فى بساطتهم ونسكهم ووقف المندوب برهة وهو يشخص الى البطر يرك باهتا حتى غلبته عظمة البابا بطرس الروحية لا الخارجية فاسرع اليه وأنحنى أمامه ولثم يديه فقابله البابا بطرس بما يليق وأجلسه بجانبه

ثم أخذ المندوب يسأله لماذا يعيش بمثل هذه البساطة ولا يهتم بمركزه فى العالم المسيحى فأجابه البابا بطرس «ليس الخادم أفضل من سيده أنا عبد يسوع المسيح الذى أتى الى العالم وعاش مع الفقير ولاجله وكان يجالس الخطاة ولم يكن له دار يأوى اليها أما انا فلى مكان أقيم به وأحتمى فيه من حر الصيف و برد الشتاء . لم يكن للمسيح ملك الارض والسماء ما يأكله مع رسله الاطهار ولا مخزن فيه مؤونة وها أنا آكل وأتمتع فهل أن أفضل من صاحب المعونة ؟ فتحير المندوب فى كيف يجيب وتخلص بالسؤال عن حال الكنيسة القبطية فاجابه البابا أنها بنعمة مخلصها فى خير ومادام هو يرعاها فلابد أن تجوز جميع الصعوبات

فبدأ المندوب يظهر ألمه على حالة الاقباط التعيسة وعرض على البطر يرك حماية قيصر الروسيا للشعب القبطى فاجابه البابا مستفهما بشىء من البساطة «هل مليككم يحيا الى الإبد» قال له لا ياسيدى الاب بل يموت كما يموت سائر البشر. فاجابه «أذن أنتم تعيشون تحت رعاية مليك يموت واما نحن نعيش تحت رعاية مليك لا يموت وهو الله»

حينئذ لم يسع المندوب الا ان ينطرح على قدمى البابا بطرس واخذ يقبلهما وترك الدار البطر يركية وقد شعر بعظمة هذا البطر يرك الروحية وانطلق الى محمد على باشا فسأله عما رأى بمصر فاجابه «لم تدهشنى عظمة الاهرام ولا ارتفاع المسلات وكتابها ولم يهزنى كل ما فى هذا القطر من

العجائب بل أثر في نفسي فقط ز يارتي للرجل التقى بطر يرك الاقباط » ثم روى له ما جرى بينهما فطفح السرور على وجه محمد على باشا وقام في نفس اليوم الى الدار البطر يركية وقدم الشكر الجز يل للبابا بطرس على ما أبداه من الوطنية الحقه ومن الاخلاص للبلاد قال له البابا بطرس لا يتشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده » فقال له محمد على باشا والدموع تنهمر من عينيه « لقد رفعت اليوم شأنك وشأن بلادك فليكن لك مقام محمد على بمصر ولتكن مركبة معده لركبك كمركبته »

و بعد هذه الحوادث حصل خلاف بين الانبا سلامة مطران الحبشة و بين ملكها وسببه انه لما فتح السودان طلب النجاشي من البابا بطرس رسم الكهنة على الحدود للحبشة فلبعد المسافات كلف الانبا سلامه باختيار الكهنة فرسم الانبا سلامه من العلمانيين الاقباط العدد المطلوب على الطقس القبطى فلم يرض بهم الكهنة الاحباش الذين معه ولم يعترفوا بهم وشنعوا عليه للنجاشي ثيوذوروس فكان هذا مبدأ الخلاف الذى أتسع . والسبب الحقيقى لهذا الخلاف هو تحول الاحباش عن التمسك بالامانة المستقيمة فكان الانبا سلامه ينصحهم ليرجعوا الى أعتقادهم الاصلى فأبوا سماع صوته مدعين بأنهم وجدوا آباءهم على ما يسيرون عليه واذ رأى أن النصائح غير كافية لردعهم هددهم باستعمال أحكام الكنيسة فرفعوا الى البطر يرك شكوى فى حقه مؤداها انه قاس عليهم فكتب اليه البطر يرك يطلب منه ان يستعمل معهم اللين واللطف فارسل المطران للبطر يرك يشرح له حقيقة المسألة فشجعه على ثباته

و يذكر مؤلف « الكافى » سببا آخر لهذا الخلاف وهو أنه يوجد للقبط بارض بيت المقدس دير عظيم يعرف بدير السلطان وهو على مقربة من كنيسة القيامة وكانت تأوى اليه جماعة من الحبشان المستوطنين ببيت المقدس كسائر الغرباء الذين لا مأوى لهم بتلك الديار فاتفق ان وقع شقاق بين أولئك الحبشان و بين رهبان ذلك الدير الى المخاصمة ثم الى الملاكمة فلم يسع الرهبان الا اخراج اولئك الحبشان خارج الدير المذكور وسد أبوابه فى وجوههم فتحز بوا وأرادوا الدخول عنوة فلم يفلحوا فشكوا أمرهم الى أصحاب الحل والعقد فلم ينالوا غرضا وكان قد كبر مصابهم على قنصل الانجليز ببيت المقدس فتجرد للاخذ بناصرهم و بالغ فى تعضيدهم لامر لم تصل الينا معرفته فقام اولئك الحبشان يدعون ملكية الدير المذكور وقالوا ان الذى انشأه هو أحد ملوك الحبشة ولذلك يسمى بدير السلطان وأما القبط فلا ملك لهم ولا سلطان منذ دخول النصرانية بارض مصر وقال القبط غير ذلك أنه بواسطة الاسعد أحد عظماء القبط فى خلافة محمد المهدى ثالث خلفاء بنى العباس كان الخليفة المشار اليه احسن الى القبط بقطعة الارض الواقع عليها بناء الدير المذكور ورسم ببنائه على نفقته فسماه جماعة القبط من يومئذ دير السلطان

ولما عظم الخلاف وتحرجت الحالة أوعز قنصل الانجليز للحبشة برفع ظلامتهم للدولة العثمانية فسار منهم نفر الى القسطنطينية ووردت كتب النجاشى فى ذلك للبابا بطرس فكتب الى

مطران القدس ليفض هذا الخلاف بالحسنى فلم يفلح فى أقناع جماعة الاحباش ولبث الشقاق يستفحل واشتد الخلاف بين مطران الحبشة واهلها كما ذكرنا فلم ير البطر يرك بدا من تسوية المسألة خوفا من حدوث ما لا تحمد عقباه وكان فى نيته السفر لبلاد الحبشة لفض هذا النزاع بنفسه فحالت دون ذلك شيخوخته . فأسرع بارسال القس داود رئيس دير انطونيوس الذى خلفه فى البطر يركية باسم كيرلس الرابع وأوفد معه راهبا بالدير أسمه برسوم الذى رقى فيما بعد مطران على المنوفية باسم انبا يؤنس وزود داود بالنصائح ليحل هذا الخلاف بالحكمة وسلمه ثلاثة كتب لكل من المطران والاكليروس والشعب الحبشى وقبيل سفر داود وعده البطر يرك بانه أذا حل المسألة على أحسن حال يكافئه مكافأة حسنة ووعده بالمطرانية اذا أتاه ناجحا

فسار القس داود الى عزبة بوش وتأهب للسفر سنة ١٥٦٧ ش و١٨٥١ م ثم وصل الى الحبشة بعد متاعب جمة كم سيذكر فى تاريخه . وفى اثناء وجود القس داود ببلاد الحبشة مرض البابا بطرس وعند احتضاره سأله بعض كبار الامة عمن يخلفه فى هذا المنصب فرفع عينه الى السماء لحظة ثم اطرق وقال « داود رئيس عزبة بوش » فارسلوا يستدعونه عاجلا وكان البابا بطرس قد كتب اليه قبل مرضه بايام كثيرة ان يحضر ولايبطىء لشدة الحاجة اليه ولكنه لم يحضر الا بعد وفاة البطر يرك بشهر ين ونصف

و بلغت مدة رئاسة البابا بطرس ٤٢ سنة وثلاثة أشهر و١٢ يوما وتنيح منشرح الخاطر من التحسين العظيم الذى تم فى أيامه الا انه كان يظهر اله من تصرفات الارساليات الكاثوليكية التى كانت فى مبدأ الامر تعمل فقط لجذب الارواح ولكنها تعدت على الكنيسة القبطية وأغرت بعض أعضائها على ترك مذهبهم وروى السنكسار بانه عمل الميرون المقدس وعمر بدير أنطونيوس عمارة جسيمة وزار الديورة بالبرارى المقدسة وزار كنيسة مار مرقس بالاسكندر ية ووصف بانه كان طو يل القامة ممتلىء الجسم ذا صحة معتدلة قلما يشكو ألما و يعللون ذلك لتقشفه وزهده واعتداله وكانت وفاته فى ليلة الا ثنين أول جمعة عيد الفصح ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ ش و ١٨٥٢ م ودفن بالاكرام بجانب سلفه وخلا منصب البطر بركية بعده سنة واحدة و ١١ يوما

(٢) كيرلس ٤ — البطر يرك المائة والعاشر:

ولد هذا المصلح العظيم حوالى سنة ١٥٣٢ ش وسنة ١٨١٦ م بقر ية نجع أبو زرقالى من قسم صوامعة سفلاق المعروفة بالصوامعة الشرقية باقليم اخميم من مدير ية جرجا ودعى داود ومع ان والده توماس بن بشوت بن داود كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه أعتنى بتعلم ابنه حتى صار مليا بالقراءة باللغتين العربية والقبطية وشيء من الحساب ولما كبر اشتغل مع والده بالزراعة وفى هذه الا ثناء أختلط بالعربان المجاور ين لقر يته فتعلم منهم امتطاء صهوات الخيول وركوب الهجن حتى اشتهر فيهم بالفروسية . ومنذ نشأته لم يعبأ بمهام هذه الحياة كأن العناية كانت تجهزه

لعمل أشرف ولغاية أعظم بل كان عفوفا تقيا ورعا محبا للفقراء حسن النية سليم الطوية ميالا الى العزلة والانفراد شديد الرغبة فى معرفة أخبار القديسين

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره مال الى الرهبنة وعزم على الرحيل من وطنه فنعه أبواه ولكنه أستمر يراقب الفرص حتى خرج هاربا سنة ١٥٥٤ ش فقصد الى دير أنطونيوس ولبس اسكيم الرهبنة على يد رئيسه القس اثناسيوس القلوصنى الذى توسم فيه النعمة وآنس فيه الاهلية والكفاءة ولم يتم به سنة حتى اظهر فى خلالها ذكاء وورعا ودعه واصالة رأى فضلا عن ميله الى مطالعة الكتاب المقدس وكان يجمع الرهبان و يقراء عليهم و يشرح لهم ويحببهم فى المطالعة فسر منه رئيس الدير ورسمه قسيسا وصار يعتمد عليه فى أنجاز الامور المهمة وعهد بتدبير أمر الرهبان اليه . ومع ذلك لم يكن يميل قط الى التباهى أو التفاخر بفضائله لانه لم يكن يكره شيئا كما يكره الانانية فوصل خبره الى البابا بطرس السابع فاستدعاه اليه و باركه وشاركه فى منحة البركة الانبا صرابامون الاسقف الشهير بابى طرحه وتنبأ له بمستقبل حسن ولم تمض سنتان على وجوده بالدير حتى مات رئيس ذلك الدير فاجمع الرهبان على أحتياره لهذا المنصب بالرغم من حداثة عهده وكتبوا بذلك للبابا بطرس السابع البطريرك فأقرهم على اختياره ورقاه الى رئاسة الدير ومن ذلك الحين بدأ يتألق نور مواهبه حيث بادر الى وضع نظام للدير حرم به على الرهبان مغادرته الا لضرورة قاطعة وأخذ فى اصلاح أحواله الادبية والمادية وأكب فى الوقت نفسه على توسيع دائرة معلوماته فاهتم بدرس الصرف والنحو فاكتسب منهما ما يكفى لضبط الفاظه وعنى بتعليم الرهبان فخصص فى العزبة بناحية بوش بمديرية بنى سويف التى كانت ولا تزال مقر دير انطونيوس مكانا جمع فيه كثيرا من الكتب على كتب الدير وجعله للمطالعة والمناقشة فى المواضيع العلمية دينية وادبية وتاريخية . ثم فتح « كتابا » فى بوش لتعليم الاولاد اللغتين العربية والقبطية ومن نوادره وهو رئيس عزبة الدير ببوش انه اراد ان يرد الزيارة لمن زاره فمر عمدا من طريق يوصل للجامع فالفاه متهدما فلام المسلمين على ذلك ووعد بمساعدتهم اذا هم شرعوا فى بنائه وذلك ليساعدوه فى ما كان ينتويه من بناء العزبة . وحدث أيضا أنه كان يتفقد زراعة الدير فشاهده اعرابى وهو بلباس الرهبنة فقال له انزل يانصرانى عن الدابة ليسلبها منه فاستعطفه فلم يقبل بل لطمه على خده واتفق ان زلت قدم الاعرابى فى بركة ملآنة بالطين فتركه القس داود يغسل ملابسه وأنطلق الاعرابى يشتكى لرئيس الدير الراهب الذى دفعه الى البركة فقابله هو وقال انا هو الراهب الذى لطمته ومع ذلك فانى مسامحك واعطى له نصف اردب قمحا ومثله شعيرا

ولما حدث الخلاف بين الاحباش و بين مطرانهم الانبا أندراوس ولما كان للقس داود اقبال وحسن سياسة انتدب للقيام بفض هذا النزاع . قال بعض المؤرخين ولم يفلح فى هذا الامر لسعاية قنصل الانجليز وطال مقامه على غير طائل وجاء اليه الطلب فتقدم الى النجاشى فى ذلك فلم يأذن له وعوقه أياما أخر ثم سرحه

وحدث قبل قدومه من بلاد الحبشة و بعد وفاة البابا بطرس بقليل ان اجتمع الاساقفة وكبار الامة بالدار البطرىركية ليتفقوا على انتخاب بطريرك كالعادة فذكر بعضهم القس داود فعارض آخرون بحجة عدم معرفتهم ما آل اليه أمره ورغبوا فى انتخاب سواه وهكذا انقضت هذه الجلسة بدون جدوى . واتفق ان وصلت رسالة عقب ذلك من القس داود لاحد الوجهاء من اصدقائه ينبئه فيها بمبارحة بلاد الحبشة ووصوله حدود مصر فابتهج الذين رشحوه واذاعوا الخبر ومن ثم طلبوا انتخابه فى الجلسة الثانية فعارضهم قوم وطلبوا انتخاب الانبا يوساب أسقف أخميم و بقيت المعارضة مستمرة دون أن يصلوا الى نتيجة ولما وصل القس داود الى القاهرة تقوى محازبوه وشددوا فى انتخابه ولاقاه الناس باحتفال عظيم للغاية ونزل بالدار البطريركية ضيفا ولبث بها اياما وكان وصوله فى ١٧ يوليو سنة ١٨٥٢ م

بعد أن لبث ببلاد الحبشة سنة وستة أشهر وكان الامر يومئذ الى عباس باشا الاول فرفع اليه جماعة من كبار الامة التماسا باقامة داود بطريركا . قال احد كتاب الاخبار فطاولهم وسأل اصحاب الزايرجات عما يرونه فى اقامة داود بطريركا فارجفوا وهولوا وقالوا نكد ثم خصام وشده ثم موت الوالى وتمزيق شمل أتباعه فاضطرب عباس باشا وشدد فى السؤال فلم يروا فى حسابهم غير ذلك وكان من متقدمى داواوين الدولة يومئذ ديوانى اسمه جاد افندى عونى وهو جاد شيحه فاستدعاه كتخدا الباشا وقال له أعلم جماعة القبط بان لا سبيل الى ولاية داود منصب البطريركية فان أبوا الا هو كانت الطامة الكبرى فلما علم القوم بما قاله كتخدا الباشا أختلفت أراؤهم وتفرقت كلمتهم وانقسموا فمنهم من قال لانختار غير داود ومنهم من طلب أسقف اخميم السابق ذكره وهؤلاء هم أنصار جاد أفندى ومنهم من اختار الانبا اثناسيوس أسقف ابى تيج ومنهم من أختار غيره واشتد الاختلاف وتفرقت الاهواء وكثر التحزب وتوالى الاجتماع فى الليل والنهار ولبثوا على هذه الحالة اياما وجاد أفندى يغدو و يروح على كتخدا الباشا ليعلمه باخبار كل يوم

ولما كاد الشقاق يستفحل استعان أنصار القس داود بالمستر ليدر أحد مرسلى جمعية التبشير الانجليزية وطلبوا منه التوسط لدى قنصل الانجليز ليكلم عباس باشا فى أمر قبول القس داود بطريركا فكلمه فوعده ولكنه ماطل فى وعده حتى قدم من بلاد الحبشة قسيس حبشى ومعه كثير من الهدايا الثمينة وكتاب من النجاشى لعباس باشا فقابله ومكث عنده أياما ومن ثم أشيع فى كل مكان أن القس داود سار الى بلاد الحبشة ليستعين هو وقومه بالنجاشى على الخروج من طاعة الوالى فاستدعى القس داود الى دار المحافظة واستجوب عما كان بينه و بين النجاشى وكان الباشا قد أمر أن يذهب به الى مجلس الاحكام بقلعة الجبل فكانوا يأتون به أمام المجلس كل يوم مرة ومرتين و يشددون عليه فى السؤال وكان هو مع ذلك هادئا ثابتا يتكلم برزانة و بعقل فاغتاظ عباس باشا واشتد بغضه للقبط فأمر باخراج الموظفين منهم من خدمة الحكومة ونفى مقدميهم الى سنار وأوفور وأذل من كانت الحاجة اليه شديدة فكانوا لعظم ضيقهم يشترون المصالح الديوانية بالمناقصة

ثم استدعى كتخدا الباشا جاد أفندى يوما وأعلمه برغبة الوالى فى أحتيار بطر يرك غير داود وطلب منه التعجيل فى ذلك هروبا من وساطة القنصل فجمع جاد أفندى الاساقفة وأوقفهم على الامر فانتشرت عليهم آراؤهم وتمزقت وحدتهم الا أن مطار بى أسقف أخميم اتفقوا على تنفيذ رغبتهم بالحيلة وذلك انهم يجتمعون ليلا و يوسمونه بطر يركا فاذا أصبح الصباح وجد أنصار القس داود ان السهم قد نفذ فيرضخون مكرهين وقيل ان جاد أفندى كان قد تحصل على أمر شفاهى من عباس باشا برسمه . ثم اجتمع الاساقفة بالدار البطر يركية وتبعهم الغوغاء سرا ومعهم أسقف أخميم وجاد أفندى و بعض أقار به وأغلقوا عليهم الابواب و وضعوا عليها حراسا و بدأوا يتممون الرسامة سرا ولكن حيلتهم لم تتم فبينما هم كذلك اذ برز أعمى من عرفان المكاتب وجعل يطوف فى الشوارع والحارات والازقة و ينادى ان قوموا من نومكم يا قوم ففى هذه اللحظة يتممون رسامة أسقف أخميم ولبث ينادى و يصيح حتى استيقظ الناس وانطلقوا الى الدار البطر يركية فاقتحموا الابواب وكثر الهياج وكان بعض الحبشان نياما بالبطر يركية فاستيقظوا وسألوهم عن الخبر فحسنوا اليهم احراج الاساقفة من الكنيسة عنوة فأمسكوا العصى وكسروا أبواب الكنيسة وأخرجوا الاساقفة رغما واختلطت الاصوات وتعالى الصياح ولبث الناس يغدون و يروحون أمام دار البطر يركية حتى مطلع الفجر

ولما حابت مساعى المتشيعين للاسقف طفقوا يختلقون الاقاو يل على القس داود فأشاعوا انه فى مدة اقامته بالحبشة تزوج من امرأة وله منها ولدان وأصل هذه الاشاعة القسيس الحبشى المار ذكره لتغيظه منه بسبب ما ذهب الى الحبشة من أجله وكان قد أتى ليشى به للبطر يرك ولما رأى البطر يرك قد مات أذاعها حينئذ ليعطل رسامته ولما استقصى الناس عن حقيقة هذه الاشاعة اتضح كذب القسيس الحبشى

ورأى قنصل الانجليز ان الفتنة كادت تعم فحذر عباس باشا من سوء العاقبة . وكان الخلاف قد ظل قائما عشرة أشهر فانتهى بتوسط ورتبيت الارمن بتعيين القس داود مطراناعلى مصر ثم اذا اتضح انه لائق يتقلد البطر يركية فسمح عباس باشا بذلك

واذ كان جماعة الحبشان لا يحبون داود ولا تسرهم رسامته اجتمعوا ببعض العامة و بأيديهم العصى ودخلوا الكنيسة قبل تمام الرسامة وصاحوا فى وجوه المصلين بالسب والشتم واشتد الهياج فهرب الاساقفة وتعقب الحبشان القس داود ليغتالوه فوجدوه قد احتفى ولكن الكلمة كانت قد اتحدت على رسامته مطرانا فرسم فى اليوم التالى ودعى كيرلس وكان ذلك فى يوم ١٠ برموده سنة ١٥٦٩ ش و١٨٥٣ م

وقال أحد المؤرخين « فقام خصومه وحالوا بينه و بين انجاز مصالح الطائفة واشتدوا عليه شدة بالغة حتى كان اذا أراد النوم لا يجد لرأسه وسادة ولا لجنبه فراشا واذا جاع لا يطعم الا ما

قدموه اليه. واذا زاره أحد لا يأذنون بلقائه وهو مع ذلك ساكن البال رائق الحال لا يألوا جهدا فى تاليف القلوب المتفرقة والنفوس المتنافرة حتى طرحوا الخلاف جانبا ومن ذاك الحين أخذ يباشر أعمال الطائفة وكان أول عمل باشره بناء المدرسة الكبرى الباقية الى اليوم وهى أول مدرسة أقيمت لتعليم شبان الاقباط فاشترى عدة منازل وهدمها وأقام على أنقاضها مدرسة مسيحية و يقال انه أنفق فى بنائها ٦٠٠ ألف قرش فكان بنأوها موجبا لاجماع الجميع على اختياره وطلبوا من قنصل الانجليز اعانتهم على ذلك فمازال بعباس باشا حتى أخذ موافقته فسيم بطريركا بحضور جميع الاساقفة ماعدا أسقفى أخميم وابى تيج ولقب كيرلس الرابع فى ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ ش و١٨٥٤ م

فلما تمت رسامته باحتفال عظيم قدمت عليه الوفود لتهنئته ولم يمض على ارتقائه لمنصب البطريركية أيام حتى مات عباس باشا فسلم الناس بصحة ما قاله أصحاب الزايرجات . أما هو فسعى فى جمع القلوب وازالة أسباب النفور حتى تم له ما أراد ثم عكف على العمل لما فيه رقى الامة فنظم ادارة البطريركية والاوقاف وأتم بناء المدرسة واختار لها أساتذة ماهرين لتعليم اللغات الحية وجعل التعليم فيها والكتب والادوات مجانا . ومن شدة اهتمامه بها كان يزور غرف التدريس دائما كل يوم مرة واثنتين و يستمع لالقاء الدروس و يقول للاساتذة انى قد علمت اليوم اشياء لم يكن لى علم بها ثم أنشأ بها قاعة كان يستقبل فيها الزائرين لا سيما من الاجانب الذين كان يكلفهم بفحص غرف التدريس وابداء ملاحظاتهم فى ما يئول لنجاح المدرسة

وكان يكلف نفسه بالقاء بعض عبارات تاريخية وأدبية على مسامع الطلبة مما يناسب ادراكهم وسنهم وجعل تعليم اللغة القبطية جبرا وكان يشرف عليه بنفسه . واذ رأى بعض الطلبة من جهات بعيدة يتكبدون مشقة فى الحضور الى المدرسة أنشا لهم مدرسة بحارة السقايين كان يزورها كل أسبوعين و يسأل عنها دائما

ومع كل ذلك كان الاقبال على التعليم فى مدرسة الازبكية قليلاً فلم يزد عدد طلبتها عن ١٥٠ طالبا وكان المشار اليهم فى تعليم الاطفال حينئذ جماعة العرفان فلما أحسوا بما أجراه البطريرك سعوا يلقون الفتن ضده فى البيوت وجعلوا يوهمون أهل الاولاد بأن بين البطريرك والوالى عقدا على أن يجند له من الاولاد ألوفا وكان اذا وصل الدار البطريركية شيء من أدوات المدرسة بكوا وناحوا وقالوا هذه آلات الحرب واذ رأى البطريرك تفاقم الخطر من هذه الوساوس أسترضى العرفان بأن أناط بهم التعليم الاولى فى المدارس التى أنشأها ولم تمض مدة حتى تقدم التعليم فيها ونجحت نجاحا باهرا وأنجبت تلاميذ يجيدون التكلم باللغات المختلفة وكان يدعوسنويا كبار القوم و يوزع جوائز فاخرة على التلاميذ الذين ينبغون تشجيعا لهم وتنشيطا لسواهم وكان معظم التلاميذ من أبناء

الوجهاء ولهذا كان يعاملهم معاملة حسنة و ينبه الاساتذة ليربوهم تربية سامية . ولشدة غيرته وجد مرة احد الاساتذة نائما فأمر باحضار فلقة ليضرب به لولا ان شهدت تلامذته بمرضه

وكلف أحد القسوس الكنيسة الكبرى بالازبكية المدعو القمص تكلا المعروف باجادة واتقان الالحان الكنسية بأن يختار من بين تلامذة المدرسة عددا من ذوى الاصوات الحسنة وعهد اليه بتعليمهم واعد لهم ملابس خاصة وكانوا يقومون بالخدمة فى الكنيسة فكان ذلك داعيا لابتهاج الاهالى فاقبلوا بأولادهم الى المدرسة وواظبوا معهم على حضور الكنيسة

و بعد قليل تخرج من تلك المدرسة تلامذة كثيرون واتفق انشاء مصلحة السكة الحديد بالديار المصرية فانتظموا فى خدمتها وانتشروا فى محطاتها وكانوا يؤدون اعمالهم باللغة الانكليزية و بعضهم استخدم فى البنوك وعند التجار لمعرفتهم اللغة الطليانية . وكان اهتمامه عظيما بتعليم اللغة القبطية واحيائها بعد موتها فطبع منها عدة كتب بدار الطباعة بلندن فتعلمها ابناء المدارس وتكلموا بها فكانت الى آخر أيامه من أهم اللغات التى يتكلم بها أبناء المدارس وكان يقول أنى انتظر بفروغ صبر استعداد تلامذة مدارسنا لتلقى العلوم العقلية كالمنطق والبيان وغيرهما من العلوم العالية التى يتسع بها العقل وتغزر المادة »

ثم وجه عنايته الى ترميم الكنائس واعادة ما تخرب منها فأعادها الى ما كانت عليه . ولما رأى صعوبة تحمل ساكنى حارة السقايين والجهات القريبة منها المشاق لحضور الصلاة بكنيسة الازبكية سعى لدى سعيد باشا سنة ١٥٧٢ ش ليحصل على اذن ببناء كنيسة فى تلك الجهة فصدر له فى ٥ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ هـ فكرس مكانا بمنزل رجل شهرته القيصاوى ليكون كنيسة الى حين التمكن من بناء جديد وأقام أول صلاة فى تلك الكنيسة و بقيت الكنيسة فى ذلك المكان الى أن بنيت الكنيسة الحالية سنة ١٥٩٧ ش و١٨٨١ م

وعقب هذا التقدم والنجاح العلمى والدينى وجه نظره نحو انشاء مكتبة تجمع الكتب النفيسة فالفى بالدار البطر يركية كثيرا من الكتب المطروحة بدون اعتناء والتى عبثت بها العوادى و بينها كتب ثمينة للغاية فالتفت اليها وأخذ فى اصلاح ما فسد منها ووضعها فى مكان خاص ثم جمع من خزائن الاديرة والمعابد القديمة نفائس الكتب وأشهر السجلات لوضعها فى المكتبة أيضا ورسم بتصحيح الكثير من كتب الكنيسة وقد كانت محشوة بالخلط والتحريف لا سيما وقد امتدت أيدى البابويين فى العصور المظلمة التى مرت على كنيستنا الى أهم كتب الكنيسة فشوهتها فصححوا ما فيها وضبطوا عباراتها على أحسن ما يرام

ومن ثم شعر بضرورة احضار مطبعة لطبع الكتب المحفوظة بالدار البطريركية ومما يدل على عظم توقيره للعلم انه يوم وصول أدوات المطبعة كان بدير القديس انطونيوس فأرسل يأمر باستقبال

المطبعة باحتفال رسمي يرتل فيه الشمامسة التراتيل الدينية ولما رجع من الدير عاب عليه بعضهم هذا الامر فاجابهم لو كنت حاضرا لرقصت أمامها كما رقص داود أمام تابوت العهد

ووقع فى أيامه خلاف بين الحكومتين المصرية والحبشية بسبب تعيين الحدود بين الحكومتين . وقيل ان السلطان عبد المجيد هو الذى أوعز الى سعيد باشا بأن يرسل بطر يرك الاقباط الى بلاد الحبشة لعقد اتفاقية بينه و بين ثيوذور ملك الحبشة الذى كان قد تعدى على بعض جهات من أقليمى هرر وز يلع التابعتين حينئذ للحكومة العثمانية فجهزت له باخرة وقام البطر يرك بهذه المهمة السياسية صبيحة يوم بدون أن يدرى أحد الا الذين رافقوه للسفر و بعض خدامه فسافر والكآبة تعلو وجهة لتشاؤمه من ذلك السفر وكان يرافقه اثنان من الاغوات الترك فانتهز فرصة طول السفر وتمكن من أن يتعلم منهما اللغة التركية

ولما علم نجاشى الحبشة بقدومه خرج لملاقاته بموكب حافل على مسيرة ثلاثة أيام من عاصمة مملكته وطلب منه أن يمسحه ملكا بحضور جميع ملوك الحبشة . قال صاحب تار يخ الكافى « وكان فى مجدلة نفر من الانجليز مرسلين من الجمعية المعروفة بجمعية التبشير بالانجيل لبث تعاليم مارتين لوثر الدينية بين الحبشان وقد تقربوا من النجاشى بعمل المدافع وصنع الاسلحة لعسكره وتعليمهم فنون الحرب والقتال حتى مال اليهم وأعطاهم الحرية ليجولوا فى كل مكان فكادوا يعبثون بطقوس الكنيسة القبطية ولم يفلح مطران الحبشة فى مقاومتهم فانتهز فرصة وجود البطر يرك ورفع أمرهم اليه فبعد انقضاء الافراح طلب البطر يرك من النجاشى أن يرد لبلاد مصر ما أخذه منها فاجابه الى طلبه بسرور زائد ثم كلمه بشأن المرسلين الانجليز وطلب منه ترحليهم فاعتذر بكونهم يعلمون جنوده فنون الحرب فأفهمه أن الحال غير داعية الآن للحرب فأمر النجاشى باخراج المرسلين من بلاده فحقدوا على البطر يرك وعولوا على الانتقام منه

وكان البطر يرك قد بعث يطلب من سعيد باشا أن يسير اليه ببعض الصناع والمعلمين فدس اليه قنصل الانجليز بأن كيرلس يروم أن يسلم بلادك الى النجاشى ومازال سعيد باشا حتى قام الى الخرطوم بجيش عظيم وفى الوقت نفسه كان الانجليز يحبكون مكيدة أخرى ضد البطر يرك لدى النجاشى فدسوا اليه أيضا بأن قدوم كيرلس اليك انما هو لطرد الانجليز الذين كانوا يعدون لك آلات الحرب ليمكن والى مصر منك وقد حمل اليك من قبل سعيد باشا كساء مسموما اذا لبسته قضى عليك وكان بين الهدايا التى قدمها البطر يرك للنجاشى برنس مزركش بالجواهر الكريمة فهال النجاشى الامر لا سيما لما علم بقدوم سعيد باشا بجيشه الى الخرطوم وأمر فسجن البطر يرك وضيق عليه الخناق وخشية من أن يفلت البطر يرك ويمسح ملكا للحبشة آخر سواه اصطحبه معه فكان يسوقه أمامه فى كل مكان يحل به محاطا بنفر من الحراس وكان اذا جلس يوقفه أمامه و يبكته بأقسى الالفاظ

وتمكن البطر يرك من ان يصل الى والدة النجاشى وكانت تقية ورعة وافضى اليها بجلية

الخبر فتوسلت الى ولدها من جهته فسمح له أن يدافع عن نفسه فتمكن من اقناعه بجليل مقاصده ومن ثم طلب أن يلبس الثوب الذى ارتاب به فلبسه البطر يرك مدة يومين دون أن يصاب بأذى ولبسه رجل محكوم عليه بالموت مدة ثلاثة أيام فلم يصبه شيء البتة . وكان النجاشى قد أمر بحرق البطر يرك حيا فعفى عنه وارسل البطر يرك يخبر سعيد باشا ان نجاحه متوقف على رجوعه من حيث أتى فرحل سعيد باشا ورجع الى مصر وعند ذلك تحلى للنجاشى سوء تصديقه للوشاة واعتذر للبطر يرك برفع الحجر على رأسه

وكان قد مر أكثر من سنة منذ خرج البطر يرك من مصر ولم يرد منه خبر أو يسمع عنه شيء فقلق الناس لذلك . و بعد سنة وأربعة أشهر وصل مكتوب منه ينبيء بأنه وصل للخرطوم ومعه اثنان من رجال حكومة الحبش أحدهما قسيس الملك والثانى وز يره فسر محبوه الذين حسبوه قد مات ووصل القاهرة فى ١٧ أمشير سنة ١٥٧٤ ش فاستقبل استقبالاً عظيما

وعقب عودته واستكمال راحته من عناء السفر بثلاثة أشهر شرع فى يوم الخميس ٢٨ برموده سنة ١٥٧٥ ش ببناء الكنيسة الكبرى بالاز بكية وكان يوم تأسيسها يوما مشهودا حضر فيه جميع كبار البلاد ورؤساء الطوائف . وقد أمر بنقض الكنيسة القديمة التى أتمها المعلم جرجس الجوهرى فى عهد البابا مرقس الثامن ومازال مجتهدا مسرعا فى اتمام البناء لانه كان يقول بكآبة قلب نفسى تحدثنى بأنى ساقبر فيها قبل أتمامها حتى توفى فباشر أتمامها خلفه ديمتر يوس وأكمل زخرفها سنة ١٥٩٦ ش غبطة البطر يرك البابا كيرلس الخامس

ورأى بعد ذلك ان أفضل سبيل لنجاح كنيسته وطائفته ترقية وتهذيب الاكليروس فكان يجمع كل سبت جميع القسوس بالدار البطر يركية ويحضر معهم و يناقشهم و يشرح لهم واجبات القسوس وآدابهم ومايُنيلهم حظوة فى عيون الناس ولهذا جعل رواتب شهر ية لمن يعرف اللغة القبطية والوعظ فعرف كيف يحبب لهم العلم و يقاوم بهم المبشر ين فى مصر والحبشة وقال المؤرخون انه كان ميالا الى تعليم البنات وتهذيبهن الى حد يكن فيه معينات لازواجهن ومربيات لاولادهن فصادف من المقاومة فى ذلك اشكالا ولكنه كان يتحين الفرص و يتبين انتفاعها فلم تطل أيامه

و يذكر البعض للبابا كيرلس عيبا وهو انه بدد نقودا كثيرة تبلغ نحو نصف مليون كانت مكومة بالدار البطر يركية من مال الاوقاف وقال انه أنفق ١٧ الف بندقى لعمل كساو مخصوصة وأطقم كاملة لتلبسها الشمامسة و بدرشينات وطواق مفضضة . غير انه لم ينفق شيئا فى غير محله فكل ما أنفقه عاد على الطائفة بالنجاح والفلاح

وقد وقعت لهذا البابا مأساة محزنة دبرها له دهاة ساسة الانجليز الذين كانوا ناقين عليه لانه طرد مرسليهم من بلاد الحبشة ولم يمكنهم من أخذ دير السلطان بالقدس واشتد غيظهم عليه عندما

علموا عزمه على توحيد الكنائس الارثوذكسية فبعد رحيل وزير نجاشي الحبشة شعر البطريرك بتغير سعيد باشا عليه واتفق أنه أصطحب معه بطريركي الروم والارمن الى دير القديس أنطونيوس بالجبل الشرقي ليقضوا فيه أياما ترويحا للنفس فانتهز قنصل الانجليز جنرال مرى ودس الى سعيد باشا بأن كيرلس انما يسعى ليجعل الكنائس الارثوذكسية تحت رئاسته و يضعها تحت حماية دولة الروسيا وأفهمه ان هذا أعظم خطر يتهدد الولاية المصرية فأرسل سعيد باشا الى مدير بنى سويف يأمره بأن يستدعى البطريرك حالا فاستمهله أياما فاشتد غيظ سعيد باشا قال صاحب تاريخ « الكافى » فلما كان فى أحد الايام جاء اليه رسول من قبل محافظ مصر يستدعيه الى الديوان لامر لا يتم الا بحضوره فلم يقبل الذهاب وصرف الرسول بالتى هى أحسن فعاد اليه ثانية وثالثة فلم يربدأ من الذهاب وسار معه وغاب ساعة ثم عاد ووجهه يقطر منه العرق وقد نزلت به حمى فعرف العلة وأشار بالدواء فلم يأته حتى أتاه طبيب محمد سعيد باشا بأمر منه وأخذ فى علاجه ومازال يعالجه أياما وقد أشتدت علته وعظم الداء وفقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته وانحل جسده ومات » أهـ

وقال الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى انه لم يقبل السم فى القهوة لانه سمعهم يتكلمون بالتركية وهو يفهمها ورجع الى قلايته كئيبا حزينا حتى أثر عليه الاسف ومرض فاحتالوا عليه بواسطة صديقه ورتبييت الارمن والخواجا حنا مسره الذى سيرد ذكره وأحضر له طبيبا قالا عنه انه أمين ولكنه دس له السم فى الدواء فلما شعر به يمزق أحشاءه سلم الامر لله وهو يقول « لا تخافوا ممن يقتل الجسد بل خافوا ممن يقتل النفس » أهـ

وكانت وفاته فى ليلة الاربعاء ٢٣ طوبه سنة ١٥٧٧ ش و ١٨٦١ م ودفن بتربته التى أبتناها لنفسه بالكنيسة الكبرى وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وثلاثة أشهر وسبعة أيام كان يدير البطريركية فى أثنائها أنبا مرقس مطران البحيرة .

وليس من ينكر ان السبع السنوات والتسعة الاشهر والثمانية عشر يوما التى قضاها هذا البطريرك فى الرئاسة كانت خيرا و بركة لكنيسته وطائفته . وجاء عنه فى كتاب « الخطط التوفيقية » ج ٦ « ان حالة الادارة البطريركية من جهة سياسة الاكليروس ورعاية الامة ونحو ذلك قد امتازت فى مدته كثيرا جدا عن السابق ولقد كان هذا البطريرك حاذقا نبيها ذا عناية شديدة بالمنقطعين وذوى البيوت من أمته طلق اللسان عارفا بالتاريخ مدققا فى علوم الدين المسيحى محافظا على حُدود المذهب ماقتا للرشوة غير مكترث بالمال قائما بأعباء وظيفته وفى الحقيقة انه كان لم تعب سيرته بشيء ما ولو لم يكن حادا فى المشروعات سريع الاقدام على الامور التى تفتقر للتأنى والمشورات لكان يعجز القلم عن تحبير صفاته » أهـ

و يصفونه بأنه كان متوسط القامة ممتلىء الجسم قوى البنية صحيح الاعضاء أبيض اللون حاد النظر والذهن كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية اسودها . وكان كثير الامثال فى

حديثه قلما يلقى عبارة لا يسندها الى مثل وهو غاية فى العفة والتقشف لا يشرب الخمر شديد الكره لمقابلة النساء ومحادثتهن حليم بعيد الغضب عظيم الاحترام للرهبنة محافظا على أصولها شديد القساوة على الاكليروس كلفا بمخالطة العلماء ومجالسة الفضلاء ولم يكن يستنكف أن يجاهر بغلطة اذا بان له ومما يؤثر عنه قوله « ان انتقالنا مما نحن فيه الى ما يجعلنا فى مصاف غيرنا يحتاج الى أعمال وأتعاب كثيرة يلزم لها عمر نوح وصبر أيوب »

قيل انه لما طلب منه سعيد باشا القيام للحبشة عرض عليه أمر طائفته القبطية بصفة كونها قائمة بنصيبها فى خدمة البلاد ورجاه أن تمنح مزية المساواة فيكون منها أعضاء فى المجالس المحلية كاخواتهم المسلمين و يسمح للموجودين منهم فى الخدمة العسكرية أن يكونوا ضباطا ورؤساء وأن يقبل منهم طلبة فى المدارس العالية فوعده سعيد باشا باجابة طلبه بعد عودته من بلاد الحبشة ولكنه بعد رجوعه جدد طلبه فصار يماطله حتى قطع الرجاء . وقد ظن بعضهم انه طلب من الباشا أن يعفى أولاده من خدمة الجندية فأجاب « حاشاى أن أكون جبانا بهذا المقدار لا أعرف للوطنية قيمة فأحرم البلاد من خدمة ابنائها لها » قيل لما شعر الموسيو سباتييه قنصل فرنسا فى مصر بمطالبه عرض عليه استعداده لمساعدته فيما يختص بمساواة الاقباط بالمسلمين فى الوظائف العسكرية على شرط انه يتحصل على تصريح من ملك الحبشة بدخول رهبان اليسوعيين فى بلاده والتوطن فيها فأبى أن يجيبه الى طلبه . وكان مسالما لجميع طوائف المسيحيين و بينه و بين رؤسائهم صداقة عظيمة لاسيما الروم الارثوذكس ولما سافر بطر يركهم الى الاستانة كلف البابا كيرلس بمباشرة أشغال بطر يركيته الى أن يعود

وفى مدته أقام مطرانا خصوصيا لمصر ولم يكن بها من قبل مطران نظرا لوجود مركز البطر يرك بها وأقام على البحيرة والاسكندرية مطرانا أنبا مرقس وعلى المنوفية مطرانا آخر أنبا يؤنس الذى رافقه فى سفره الاول للحبشة باسم الراهب برسوم وقد كان على الجهتين رئيس واحد من قبل ورسم مطرانا للقدس أنبا باسيليوس وأسقفين للوجه القبلى بعد وفاة سلفيهما

ومن القوانين السامية التى رسمها الامر بعدم تزويج فتاة الا متى بلغت الرابعة عشرة وأن تكون الخطبة بعقد صلح يمكن حله متى أريد لا عقد أملاك وذلك حفظا لسلامة العائلات وتخلصا من الطلاق الذى كان أبغض الامور لديه ولهذا شدد بضرورة اعتراف الزوجين قبل الاكليل حتى لا تحصل أية شكوى بعد

وللبابا كيرلس نوادر تستحق الذكر فمن ذلك أنه كان كلفا بلبس لباس الاعراب لاسيما وهو مختلط بهم حال رئاسته لدير بوش [١] فحدث مرة انه اصطحب معه بعض الاعراب لزيارة

---

(١) عن كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

الدير ففكر شيخ أولئك الاعراب فى سلب البطريرك ومن معه من قصاد الدير ولما وقف البطريرك على سوء نيته دبر طريقة للتخلص منه وذلك انه فى ليلة حالكة الظلام وقفت فيها القافلة للراحة خرج ذلك الشيخ من خبائه وتوغل فى البادية لقضاء حاجة فتعقبه البطريرك وهو مرتد برداء الاعراب وقبض على سلاحه وأمره بخلع ملابسه فأذعن الشيخ رغما عنه ولكنه عرفه بنفسه ورد له سلاحه فعدل الشيخ عما كان ينويه

ومن ذلك انه قصد المنيا مع بعض الاعراب لشراء مواش للدير ونزلوا ضيوفا بدار الانبا ياكوبوس أسقف المنيا المشهور بالكرم وحسن الضيافة وقبل انصرافهم من عنده مال اليه القس داود بلباس الاعراب وقال له « أنا القس داود بقيت لاشكرك » فذعر الاسقف واستنجد بخدمه وكان القس داود قد لحق بأصحابه وأمعنوا فى السير

وبعد رسامته بطريركا كان نازلا مرة بدار ابن عم له ببوش وهو لابس ملابس الأعراب فأتى بعض العونة الذين يدعون انهم قسوس كنائس معينة وجلسوا بجانب البطريرك يحدثونه بأنهم أصدقاء البطريرك وانه يجلهم ويحترمهم فتركهم ورجع بلباسه الكهنوتى وهو يقول لهم ها أنا صديقكم البطريرك جئت لكم لابرهن على صداقتى لكم بأن أكلف المدير بالقبض عليكم ليتولى اكرامكم ريثما أعود الى القاهرة

ومن نوادره بعد رسامته بطريركا (١) انه جاءه مرة رجل يطلب طلاق أمرأته لانها خرساء وعمياء ومكسحة فقال له أن الانجيل يأمر أن نفعل بالناس ما نحب أن يفعلوه بنا فهب انك كنت أعمى ومكسحا وأخرس فهل كنت تود أن تطلب أمرأتك طلاقك فاقتنع وانصرف

وأتاه يوما أيضا رجل يشكو من حميه لانه حجز زوجته عنه فدعا أبو الزوجة فاعتذر بفقر الزوج وسوء تصرفه فصرفه البطريرك ليحقق دعواه ثم أرسل لبيت الزوج كل ماتحتاجه البيوت ومن ثم دعا ابا الزوجة مع بعض الاعيان ليرى بيت صهره فوجدوا البيت كامل الاثاث وأرسل البطريرك الى زوجة الرجل يأمرها بعدم مقابلة زوجها فلما توجه الى بيته لم تشأ زوجته أن تقابله كأمر البطريرك فمضى اليه يطلب حله فوبخه قائلا اذا كنت لم تستطع فراق زوجتك يوما واحدا فكيف بصهرك الشاب فخجل وقبل رجوع ابنته الى زوجها اذا صرح لزوجته بمقابلته فاشترط البابا كيرلس مقابل ذلك أن يدفع ٧٥ جنيها التى أنفقها على بيت صهره وألزمه بها بداعى أنه هو الذى قبل هذا الزوج على فقره فكان له ان يرفض طلبه ليتزوج أمراة فقيرة مثله تعيش معها براحة ونعم

(١) عن الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ـ ٢ .

ومما يؤثر عنه أنه وهو رئيس دير بوش زار الدير المحرق فطلب منه راهب غضب عليه رئيسه أن يتوسط في الصفح عنه فأبى الرئيس قبول وساطته ولما جاء المساء واجتمعوا للصلاة طلب منه أن يتقدمهم في العبادة فبدأ بتلاوة الصلاة الربانية بصوت عال حتى أنتهى الى قوله « وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا » فقال هكذا « ولا تغفر لنا ذنوبنا كما نحن أيضا لانغفر للمذنبين الينا » فنبهه رئيس الدير ظانا أنه أخطأ فأعاد الصلاة ثانية وكررها هكذا فكرر له الرئيس التنبيه .
فعند ذلك أجابه هل نكذب على الله وهل أنت غفرت خطية أخيك حتى يغفرلك الله ؟ فخجل الرئيس واسرع بمسامحة الراهب من كل اثم جناه وحدث أنه زار العزيز مع بعض علماء المسلمين فقال له أحدهم أنكم رغما من كونكم أصحاب كتاب فانتم مشركون لانكم تجعلون لله أبنا مساويا له بالجوهر فقال له البطر يرك ورد في صورة الشورى « وليس كمثله شيء » فقال له العالم الكاف زائدة فقال نحذفها اجابه لايمكن قال البطر يرك نعمل بحكمها فقال العالم لا فاجاب البطر يرك من اين أتت الحيرة فتقدم واحد وقال « لاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »

وقيل أن سعيد باشا أعترض أمامه على المسيحية لانها تساوى بين الرجل والمرأة فاجابه البابا كيرلس اذا أتت المرأة أمرا مشكورا فهل لايكافئها الله باقل مما يكافيء به الرجل فقال الباشا حاشا لله من الظلم فاجابه « اذا كانت أحكام السماء تقضي بذلك فبالاولى أحكام الارض » .

وروى انه بينما كان فى زيارة رجل كاثوليكى طلب هذا مناقشته فى الطبيعة والطبيعتين فلم يشأ البطر يرك ان يرد عليه و بينما كان خارجا قال للبواب « كم واحدا تعبد ياحمد ؟ » فاجابه « أستغفر الله لا أعبد سوى واحد أحد » فقال له قل لسيدك لماذا يشرك مع الواحد آخر وأنصرف

وحكى أيضا أنه زاره القاصد الرسولي يصحبه الخواجا يوحنا مسرة طالبا منه أن ينضم للبابا وكان حينئذ مشغولا فى بناء الكنيسة فجلس معهم واظهر أنه مهتم بفحص كتاب كان معه ولما طال زمن أنشغاله بالكتاب قال له الخواجا مسرة علام تفتش ؟ فاجابه لقد أصبحت فى حاجة الى المال بسبب العمارات القائمة وعرض على أحدهم أن أستعين ببيع الغفرانات فاخذت أفحص الكتاب المقدس لعلى أهتدى فيه الى مايبرر هذا العمل ومع ذلك ضاع تعبى عبثا فاذا كان لحضرة القاصد معرفة بشاهد يؤيد الغفرانات فليدلنى عليه ففهم القاصد المراد وانصرف خجلا

ومما يدل على مقدار تواضعه وتسامحه انه عاقب كاهنا بدون ان يتحقق عما اذا كان مذنبا أو غير مذنب ولما ظهرت له براءته تعلق به وطلب منه ان يصفح له فخجل الكاهن ولكنه لبث يلح عليه حتى قال له « الله يحلك » و يروى عنه أيضا أنه لما سافر الى الحبشة وكل الى المعلم برسوم واصف الاشراف على جميع أعمال الدار البطر يركية أثناء غيبته وعند عودته سعى واش بالمعلم برسوم لدى البطر يرك سعاية أدت الى نفور بينهما ولم يمض الا القليل حتى ظهرت الحقيقة وثبت للبطر يرك ان

البرنجل برىء مما نسب اليه فندم على مافرط منه ضد المعلم برسوم واسرع فكتب اليه يقول « بعد تحريت المسألة فوجدتها كلاما لا أصل له فأرجوك المسامحة لانى بشرى غير معصوم من الخطأ » ثم وقع هكذا : الحقير كيرلس

(٣)ديمتريوس ٢ ــ البطريرك المائة والحادى عشر :

كان أولا يدعى ميخائيل رئيس دير القديس مغاريوس ببرية النطرون أنتخب للبطريركية ثم قرر فى ٩ بؤنة سنة ١٥٧٨ ش و١٨٦٢ م فى أواخر خديوية سعيد باشا وبعد تقليده زار الجناب الخديوى وذوات الحكومة فقال له سعيد باشا عند أول مقابلة له «لا تفعل مثل سلفك كلما يلزم لك قل لى عليه وانا مستعد لتأديته لك » .

ثم شرع البابا ديمتريوس فى تكميل الكنيسة الكبرى بالازبكية التى أسسها سلفه حتى تمت على نظامها الحالى واستمر يدير حركات المدارس التى أنشأها سلفة أيضا وقد توفر له الحظ عند تولى الخديوى أسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م اذ انعم عليه بجملة كثيرة من الاراضى الزراعية للقيام بلوازم بطريركيته ومدارسه ولم يبرح مرادفا له بصلاته مسعفا له باصدار أوامره الكريمة باجراء أمتحان مدارسه بعد أمتحان المدارس الاميرية كالرسوم الجارية بها وذلك بان يصير الامتحان باحتفال يحضره كل عام كرام القوم والعلماء والامراء الامر الذى أضحت المدارس القبطية تفتخر به فى كل زمان ثم رقى اسماعيل باشا جلة من قومه الاقباط الاصليين للرتب والوظائف الاميرية

ولما قدم السلطان عبد العزيز الى مصر فى سنة ١٨٦٣ م دعا أسماعيل باشا العلماء والوزراء والاباء الروحيين والوجوه ليحظوا بمقابلته . وعين لهم يوما قال المعاصرون انه وافق يوم الجمعة العظيمة للارثوذكسيين وكانت العادة فى ذلك العهد أن من يدع للمثول بين يدى السلطان يقبل طرف ثيابه فلما جاء دور البابا ديمتريوس تقدم توا ولثم صدر السلطان فانزعج السلطان ودهش الحاضرون وعدوا ذلك من البطريرك جسارة كبيرة . ولما سئل عن معنى التقبيل الغريب الذى لم يسبقه اليه غيره أجاب «أنما أنا أقبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين لانه ورد فى الكتاب المقدس «أن قلب الملك فى يد الرب » (أم ٢١ : ١) وكان مع البطريرك قس يقال له القمص سلامة يعرف التركية فترجم كلام البطريرك فلما سمع السلطان ترجمة هذه العبارة أبتسم سرورا وأنعم بالف فدان من املاك الحكومة للمدارس القبطية ثم زادها الخديوى أسماعيل خمسمائة فدان أخرى فى مديرية الشرقية .

وبعد ذلك بلغ البابا ديمتريوس أن بعضا من قومه بالجهات القبلية نبذوا عنهم بعض عقائدهم الارثوذكسية وأتبعوا آراء أجنبية طارئة فقام بنفسه فى برمهات سنة ١٥٨٣ ش لتفقد تلك الجهات يصحبه العلامة الشهير الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وعينت له الحكومة مركب بخار من طرف الحكومة السنية حسب التماسة وزار مدن وبلاد وكنائس الوجه القبلى الى

ان بلغ أسنا وأستمر فى هذا السفر ثلاثة أشهر و بعد حصوله على اقناع وارتداد أولئك الاشخاص وضمهم للكنيسة عاد الى مركزه

واستمر فى الرئاسة سبع سنين وسبعة شهور وسبعة أيام وتوفى ليلة عيد الغطاس أعنى ليلة ١١ طوبة سنة ١٥٨٦ ش و ١٨٧٠ م (١)

(٤) كيرلس ٥ ــ البطريرك المائة والثانى عشر:

وهو البطريرك الحالى ولد فى قرية تدعى تزمنت من مديرية بنى سويف سنة ١٨٢٤ م ودعى باسم يوحنا و بعد ميلاده بزمان يسير هجر أبواه مسقط رأسيهما واستوطنا بكفر سليمان الصعيدى بمديرية الشرقية ومازالت عشيرته بذلك الكفر الى يومنا هذا.

ولما بلغ سن الرشد رسم شماسا من مطران القدس أنبا أبرآم المتوفى و بعد قليل توفى والداه فاعتنى بتربيته المعلم بطرس أخوه البكر وكانت تلوح عليه من حداثته دلائل التقوى والميل للانقطاع عن العالم ومحبة الكتب والمطالعة فكان يتجنب أترابه من الشبان ويخشى على طباعه ان تؤثر عليها طباعهم وكان يحترم أب أعترافه أحتراما فائقا

ولبثت بذور الفضيلة تنمو فى قلبه حتى بلغ العشرين من عمره أعنى سنة ١٨٤٤ م فصار يتردد بين أمرين أما ان ينذر نفسه لله و يعيش بتولا بين الرهبان أو يتزوج و يصير رب عائلة فتغلب عليه أمياله وعواطفه وقصد دير السريان بالجبل الغربى فلم يلبث به بضعة أيام حتى أسترجعه أهله واخذوا يلاطفونه كى لا يتركهم ولكن كان يتحين الفرص لترك العالم وملاذه وآثر العيشة التى كانوا يخيفونه منها وتمكن من الهرب وترهب بدير السيدة العذراء بالبراموس

وكان هذا الدير فى غاية الفقر والفاقة اذ كانت أيراداته فى أيدى الغير يستغلونها لانفسهم حتى لم يكن يقتات رهبانه الا بالترمس الذى كان مدخرا بالاديرة من عهد المرحوم المعلم ابراهيم الجوهرى ومن ثم تناقص عدد رهبانه الى أربعة وكان البابا كيرلس بينهم سالكا مسلك الفضيلة متمما قوانين الرهبنة كما يجب فاتفقت الكلمة على ترقيته لدرجة الكهنوت فكتبت له تزكية وفى سنة ١٨٤٥ م رسم قسيسا من اسقف المنوفية المتوفى أنبا صرابامون على كنيسة حارة زويلة.

و بعد قليل طلبه الرهبان ليتولى ادارة شئونهم فسلم له تدبير أمور مجمع الرهبان بنفس الدير فظهر ناجحا فى المعرفة والسيرة واحتقاره لذاته حتى كان يوزع على الرهبان مما يكسبه من نسخ الكتب واشتهر حينئذ « بيوحنا الناسخ » فتحسنت أحوال الدير وزاد عدد رهبانه الذين ساروا على منواله فى أحتقار العالم ومجده الباطل

(١) الخطط التوفيقية ج ٦

وطالما رغب سلفه وكثير من الامة فى احضاره للقاهرة وتعيينه فى رتبة أعلى مما كان عليه فلم يقبل ولم تسمح كبار الرهبنة بتركه أياهم الى أن استدعاه البابا ديمتريوس سنة ١٨٥٥ م ورسمه أيغومانوسا وأقامه مساعدا فى الكنيسة الكاتدرائية بالازبكية . فشق الامر على رهبانه ولم يطيقوا احتمال فراقه فكتبوا يستعطفون البطريرك ليعيده اليهم فلبى طلبهم وارجعه الى مكانه فقام باعباء وظيفته خير قيام

ولما توفى سلفه أقامت الامة باستئذان الحكومة السنية نيافة الانبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الاسكندرية وكيلا لاجل عدم توقيف حركة ادارة الدار البطريركية فجعلت الحاظ الجميع تتوجه نحو الايغومانوس يوحنا واصوات الانتخاب تترادف عليه ولولا ما حصل من الاسباب الاعتيادية والاغراض الشخصية التى نشأ عنها خلو المنصب البطريركى من الرئيس اربع سنوات وتسعة أشهر لاحضر وقلد حالا

وكانت الامة قد رتبت لها مجلسا مليا يتعاطى تدبير أمورها الخصوصية وتأيد مجلسها هذا بامر عال كريم فبعد بسنة التمست الامة بواسطة مجلسها من مقام الخديوية السنية أحضاره بمساعدة الحكومة لرسمه بطريركا فتم ذلك وكلفت الحكومة مدير البحيرة باحضاره فحضر للقاهرة وانتخبه البطاركة والاساقفة واعيان الطائفة القبطية بطريركا للكرازة المرقسية فى ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ ش و ١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م باحتفال حافل حضره كبار الامة والامراء والرؤساء الروحانيين فى الكنيسة الكبرى بالازبكية وفى ثانى يوم من بطريركيته زار الجناب العالى الخديوى اسماعيل باشا و بعد ذلك لبث ثلاثة أيام فى مركزه البطريركى يقبل تهانى الامة

واذا أردنا أن نعد فضائلة ومآثره بعد رسامته بطريركا يضيق بنا المقام نظرا لكثرتها و بلوغها الحد الاسمى فمن صلاح متناه الى محبة للفقراء ومساعده للمنكوبين ناهيك عن الاصلاحات التى قام بها لطائفته وأمته فشاد جملة قصور فى كل دير من أديرة القاهرة ومصر القديمة وشيد ثلاث عشرة كنيسة بمصر والخرطوم والجيزة وزين الكنيسة الكبرى بابدع أنواع الزينة وأنشأ تسع مدارس بالقاهرة والجيزة منها المدرسة الاكليريكية ومدرسة البنات بالازبكية والصنائع ببولاق واشترى لذمة البطريركية أكثر من خمسمائة فدان واشترى السراى الكائنة بمهمشة حيث المدرسة الاكليريكية حتى زاد ايراد البطريركية ستة أضعاف عما كان أولا وجل نفقة هذه المشروعات النافعة كان يقدمه من أيراده الخاص وتبلغ الاموال التى أنفقها من ماله خاصة أكثر من سبعين الفا من الجنيهات

وعلا نجم الامة القبطية فى عهده فانتشرت الحرية واتسع نطاق العمل وعم العلم وتقدم أبناؤه فى البلاد فاصبح منهم السراة المعروفين والاغنياء المشهورين والذين تعلموا منهم نالوا الرتب

العالية فى الحكومة فعظم شأنهم وارتفعت كلمتهم وارتقى العلم الدينى فصار صوت الوعظ يسمع فى أغلب كنائس القطر وأنشئت مدارس للرهبان بحيث يحكم البصير لاول وهلة أن التقدم السريع الذى حازته الامة القبطية فى هذا الوقت القصير لم يكن يؤتيه الا الله القادر على كل شىء بواسطة خليفة رسله البابا كيرلس الخامس وبالجملة فلم يتوفر للامة القبطية حظ ولم تتح لها سعادة كما فى عهد البابا كيرلس

أما حوادث الخلاف التى وقعت بين غبطته وبين بعض رجال أمته فنذكرها ملخصة عن كتاب «القول اليقين فى مسألة الاقباط الارثوذكسيين» للمرحوم يوسف بك منقريوس : —

بعد وفاة البابا ديمتريوس الثانى تولى ادارة شئون الكنيسة الانبا مرقس مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة المرقسية سنة ١٨٦٢ م ولما كثرت عليه الاعمال استعان ببعض المتقدمين من الطائفة على أنجازها فشكل منهم مجلسا شوريا لبث يدير معه أمور الطائفة ثم طلب منه الاعضاء أن يطلب من الحكومة اعتماد مجلسهم ففعل وأجابت الحكومة طلبه فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ هـ

ولما ارتقى غبطة البطريرك الحالى كرسى البطريركية وضع مع أعضاء المجلس حسب روايتهم لائحة تقضى بوجوب نظر المجلس فى مصالح الكنائس وأحوالها وفى المدارس والاوقاف والفقراء والاحوال الشخصية ورسامة القسس وغير ذلك والتمس البابا البطريرك من الحكومة التصديق على اللائحة فصدقت عليها فى ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ م الا ان هذه اللائحة كانت حبرا على ورق لان أعضاء المجلس لم يهتموا بشىء ولم يوجهوا نظرهم للاهتمام بما يستدعى جهادهم وتعبهم ولبث مجلسهم ينحل شيئا فشيئا حتى فارق الحياة

وبعد مدة تحرك بعض ابناء الامة فطلبوا من غبطة البطريرك تشكيل المجلس فأبى أن يجيبهم بدون تعديل اللائحة وحذف ما فيها مما يخل بسلطته فلم يقبلوا بل رفعوا أمرهم الى الخديوى وكان وقتئذ توفيق باشا وعزموا على عقد اجتماع لاعادة الانتخاب فكتب البابا كيرلس يحيط مجلس النظار علما بالمسألة وطلب منع ذلك الاجتماع فمنع

ومن ثم أستدعى البابا كيرلس المطارنة والاساقفة وكبار القسوس من كل الجهات وعقد بهم مجمعا اكليريكيا أصدروا فيه قرارا يقضى بضرورة عدم تداخل أحد من الشعب فى تدبير أمور الكنيسة ومتعلقاتها

وحمل البابا كيرلس ونيافة الانبا يؤنس مطران الاسكندرية هذا القرار الى توفيق باشا ورفعاه اليه فوعد بالمساعدة وقضى البابا بالاسكندرية مدة شهرين ما فتىء فيها أعضاء المجلس

يسعون ليحققوا أغراضهم غير أنهم لما قابلوا توفيق باشا أدركوا أستحالة عمل شيء بدون رضاء البابا كيرلس فاكرهوا على ماطفته ومحاسنته ولما رجع من الاسكندرية أستقبلوه استقبالاً فخما .

وكان المرحوم بطرس باشا غالى باوروبا فى أثناء هذه الحوادث وحضر بعد ذلك فالقى اليه توفيق باشا مقاليد المسألة وكلفه بحسم هذه المشاكل فوبخ أبناء الطائفة وأرغمهم على طلب الصفح من غبطة البطريرك وأنتهت المسألة على ما يرام واهتم البابا بعد ذلك من تلقاء نفسه بتعليم الرهبان ونشر المعارف وتشييد المدارس فى البلاد حتى أصيب بمرض فانطلق الى دير العريان ترويحا للنفس مدة

وعقب ذلك تأسست جمعية التوفيق وحررت نشرة تطلب فيها ضرورة الانفاق من ريع الاوقاف على ترقية المدارس وتسهيل وسائط التربية العالية لابناء الامة فتعرض لهذه النشرة بعضهم يفندها و يكشف أغلاطها وأعقبت الجمعية نشرتها بأخرى طلبت فيه تعيين مرتب للاكليروس القبطى أسوة باكليروس باقى الطوائف فأظهر الجميع موافقتهم على هذا الرأى لتأكدهم بانه سر نجاح وتقدم أكليروسنا . ثم كتبت نشرة أخرى بضرورة أعادة تشكيل المجلس الملى فردت عليها الجمعية الارثوذكسية واحتدم الجدال بين الفريقين مدة ما

وفى خلال تلك المناظرات استدعى بطرس باشا غالى نيافة الانبا يؤنس مطران الاسكندرية الى القاهرة وكلفه أن يبلغ غبطة البطريرك بان الامة ترغب فى أنشاء مجلس ملى فرد البابا برضاه عن تشكيل مجلس اذا عدلت اللائحة القديمة فأبى بطرس باشا تغيير اللائحة وأصر البابا على طلبه . ولما كانت جمعية التوفيق قد تحدت غبطة البابا بكلام لم توقر فيه مركزه الدينى كتب للديوان الخديوى يطلب منعها فلم يرد عليه . وكان بطرس باشا عازما على السفر الى أوروبا وتقابل مع الخديوى ليأخذ منه اذنا بالسفر فذكر أمامه النزاع الطائفى الحاصل فأجابه بطرس باشا بانه لا يمكن أن يهدأ ما لم يشكل المجلس فصدر الامر لبطرس باشا بتأخير سفره ليسعى فى تشكيل المجلس

وأبلغ البابا كيرلس هذا القرار وهو مقيم بدير العدوية الكائن بجنوب القاهرة واستدعى الى قائمقام رئيس مجلس النظار فتوجه اليه وصحبته القمص تادرس مينا أحد قسوس البطريركية فوجدا معه بطرس باشا غالى وطالت المناقشة بين الطرفين فى أمر المجلس وغبطة البطريرك يبدى أصرارا زائد فابلغه الوزير القائم بالامر الذى صدر النطق العالى به بضرورة تشكيل المجلس ولابد من تنفيذه بالقوة

فانطلق البابا كيرلس للدار البطريركية وكتب للديوان الخديوى يطلب تعديل الامر وكتب أيضا كذلك لمختار باشا المندوب العالى العثمانى وغيرهما من أولى الشأن وكان ذلك فى ٢٨ يونية

سنة ١٨٩٢ م وفى مساء ذلك اليوم استدعى نحو خمسمائة نفس من رجال الطائفة بدعوة موقع عليها من بطرس باشا غالى بصفته نائب مجلس الامة لاجراء أنتخاب المجلس

وفى الغد قصد بطرس باشا الدار البطريركية تتبعه عساكر البوليس ومنع الدخول الى البطريركية وصرف تلاميذ المدرسة وأساتذتها وطرد الخدم وضبطت أبواب البطريركية فارسل غبطة البطريرك يستنجد بالمعية السنية فلم ترد عليه والناس حيارى لا يعرفون ما يتم و بعد الظهر جاءت جنود أخرى وأقبل محافظ القاهرة وطلب من غبطة البطريرك أن يقبل الرئاسة على الانتخاب فأبى فقام المحافظ الى المجلس المعد للانتخاب بالمدرسة الكبرى وأفتتح الحفلة باسم الحضرة الفخيمة الخديوية و بدىء بالانتخاب فاسفر عن النتيجة الاتية وهى :

بطرس باشا غالى . حنا بك نصر الله . بطرس بك يوسف . مقار بك عبد الشهد . قلينى بك فهمى . خليل أفندى أبراهيم . يوسف بك وهبه . يوسف أفندى سليمان . حنا بك باخوم . نخلة بك الباراتى . حبشى أفندى مفتاح . يعقوب أفندى نخلة روفيلة . وهؤلاء بصفة أعضاء . وانتخب باسيلى بك تادرس . عبد المسيح بك حبشى . أبراهيم أفندى منصور . وهبه أفندى يوسف عبده . رفيلة أفندى جرجس . مرقس أفندى سميكة . أبراهيم بك روفائيل الطوخى . فرج أفندى ابراهيم . بطرس أفندى أبادير . يعقوب أفندى نخلة يوسف . عوض بك سعد الله بصفة نواب أعضاء .

وبعد الانتخاب أعلن غبطة البطريرك الديوان الخديوى والامة بالجرائد أن ما تم كان بغير أذنه و بدون رضاه وأنه لا يوافق مطلقا عليه . وكان عيد الاضحى قد قدم فتوجه غبطته مع بعض الاباء المطارنة والقسوس لمقابلة الجناب العالى فأبى أن يقابلهم وتكدرت الخواطر لهذا السبب وأراد بطرس باشا أن يستجلب رضاء سمو الخديوى على الاباء الروحيين فكلف البابا كيرلس أن يحرر للمعية السنية خطابا يعلن فيه قبوله لانتخاب المجلس و يلتمس رضى الخديوى المعظم و يرجو التشرف بمقابلته فرفض غبطته أن يحرر خطابا هذه صورته وكتب خطابا آخر طلب فيه المقابلة فلم ترد عليه المعية السنية بل كتبت لبطرس باشا تطلب منه أن يبلغ البطريرك بان المعية لا تسمح له فيما بعد بمخاطبتها وان كان له على أحد شيء فليرفع أمره لجهات الاختصاص

هذا وفضلا عن احتجاجات غبطة البطريرك المتعددة وافقت الحكومة على تقرير الانتخاب وأعلن غبطة البطريرك بذلك فكتب لمجلس النظار بانه باق على رأيه لم يتغير وكان بعض انصار جمعية التوفيق يجولون فى البلاد لاخذ توقيعات ابناء الطائفة على قرار أنتخابهم فكتب غبطة البطريرك يحذر الامة من الانقياد لهم

وانعقد المجلس ورأى أنه من المستحيل أكتساب رضاء البطريرك وموافقته فاصدر قرارا مؤداه رفع البابا كيرلس الخامس من رئاسة المجلس ومن ادارة كل ما يتعلق بشئون الطائفة وان

المجلس ينتخب من يلزم ليكون وكيلا للبطر يركية ورئيسا للمجلس . وعرض هذا القرار على مجلس النظار فوافق عليه وصدر به قرار فى ٢٨ يونية سنة ١٨٩٢ ولما أطلع عليه غبطة البطر يرك كتب الى مجلس النظار يحتج على رفع يده من ادارة شئون هو وحده المدبر لها

وكان مقاربك عبد الشهيد فى أثناء هذه المدة يسعى فى استمالة أحد الآباء المطارنة أو الاساقفة لقبول رئاسة المجلس وادارة البطر يركية . فكلم فى ذلك أسقفى الفيوم والخرطوم فوبخاه بشدة ولكن أعلن بالجرائد ان اثنين من أساقفة الاقباط قبلا التراؤس على المجلس فاعلن غبطة البطر يرك حرم من يتجارى على ذلك الا أن مقاربك تمكن من ان يستميل الى المجلس الانبا أثناسيوس أسقف صنبو وأتى به الى القاهرة متنكرا ولما أظهر خوفه من شجب البطر يرك أقنعه الايغومانوس فيلوثاوس الذى أنضم لتلك الحركة حينئذ بانه فى أمكانه اذا صدر الحرم ان يفنده من الكتاب المقدس ومن قوانين الكنيسة . ووصلت هذه الاخبار مسامع غبطة البطر يرك فانذر اسقف صنبو فارسل هذا اليه يعلن خضوعه التام و يكذب كل ما أشيع عنه

ولما ضاق الامر بغبطة البطر يرك ورأى أبواب الحكومة المصر ية مغلقة أمامه أستعان ببعض قناصل الدول فخاطب قنصل أنجلترا فأبى التوسط بينه و بين الخديوى وقابل قنصل روسيا وقص عليه كل ما حصل فوعد بالتوسط بينه و بين بطرس باشا فاظهر بطرس باشا ميله للصلح وفعلا توجه للدار البطر يركية وتقابل مع غبطة البطر يرك واتفقا على نسيان ما مضى وعلى تعديل لائحة المجلس وبحسب ذلك التعديل يحفظ البطر يرك حق حفظ أوقاف الاديرة لها وادارة ديوان البطر يركية ورئاسة المجلس وغير ذلك . وما ذاع خبر هذا الاتفاق حتى كادت تطير له القلوب من شدة الفرح وأخذت رسائل التهانى تترى على الدار البطر يركية و بطرس باشا

وكاد الخلاف يزول أثره والوئام يشتد أزره لولا أن ذلك الاتفاق لم يكن ملائما لاغراض أعضاء المجلس فارسلوا مندو بين بعد كتابة الاتفاق بايام الى غبطة البطر يرك لتقديم أقتراحات جديدة لهم وطلبوا الرد عليها فى مدة يوم واحد وهددوه فى حالة عدم الرد بعمل كل ما يمكنهم عمله . فلم يشأ غبطته أن يرد عليهم بل كتب لبطرس باشا بقبوله فقط للاتفاق الذى ابرماه معا وتشبث رجال المجلس بطلباتهم وهكذا أنصرم حبل الوفاق ثانيا فأسفت الامة وعادت الى حزنها واكتئابها وقام غبطة البطر يرك حينئذ ليقيم بالاسكندر ية

وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٢ م أعلن المجلس الغاء ذلك الاتفاق وقرر تعيين أسقف صنبو وكيلا للبطر يركية ورئيسا للمجلس وصدرت الارادة السنية بالموافقة وتوجه مقاربك الى صنبو لتهنئته أسقفها بمركزه الجديد واحضاره معه فأبى مرافقته الى القاهرة الا بطلب رسمى من وزارة الداخلية فجاءه الطلب بعد ساعات وكتب هو يعلن غبطة البطر يرك بذلك

فأرسل غبطة البطريرك الى نيافة أسقف بنى سويف لينتظر أسقف صنبو على المحطة أثناء قيامه للقاهرة و يعلنه بالحرم اذا خالف قوانين الكنيسة فانتظره حسب الامر وأعلن له الحكم البطريركى فلم يعبأ به وقوبل بمحطة القاهرة مقابلة رسمية وكان الاعضاء يهتفون له قائلين «يعيش الانبا أثناسيوس» . أما غبطة البطريرك فأمر اسقف الخرطوم وأحد قسوس البطريركية بمنع أسقف صنبو من دخول البطريركية فاجتمع بعض الرهبان وفقراء الاحباش والخدم داخل البطريركية وأغلقوا الابواب الخارجية ولكن أسقف الخرطوم أبى الاشتراك معهم فى هذه المقاومة وظل مقيما بمصر القديمة

قيل أن القسوس الذين رافقوا اسقف صنبو توجهوا الى البطريركية فوجدوا أبوابها مغلقة فرجعوا على الاعقاب والاولاد يصرخون وراءهم قائلين «يامحرومون يا محرومون» أما الاسقف فتوجه الى دار عوض بك سعد الله ونزل به ضيفا حتى تفتح له أبواب البطريركية

وعلى أثر ذلك أجتمع بالدار البطريركية بالاسكندرية حضرات الاساقفة والكهنة الموجودين بها وقرروا قطع اثناسيوس من كامل الوظائف الكهنوتية ثم كتب غبطة البطريرك حاشية على هذا القرار باعتماده وكان غبطته قد كتب للمطلوب الذكر الانبا باسيليوس اسقف كرسى أورشليم يعلمه بما حصل من اسقف صنبو فجاء من نيافته تلغراف بوجوب معاملة هذا الاسقف حسب القوانين الكنسية

ولما رأى اعضاء المجلس أن أبواب البطريركية مغلقة فى وجوههم وان وجود غبطة البطريرك ونيافة مطران اسكندرية دعا الى تأخير اجرآتهم أجتمعوا فى ٢٦ مسرى سنة ١٦٠٨ ش و٣١ أغسطس سنة ١٨٩٢ م وشكلوا مجلسا روحيا من القسوس الذين أنضموا اليهم وهم القس بشاى خادم كنيسة حارة زويلة والقمص جرجس بشاى خادم كنيسة الدمشيرية والقمص بولس جرجس وكيل قضايا البطريركية والايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى و باتفاق المجلسين تقرر أبعاد غبطة البطريرك الى دير البرموس ونيافة مطران الاسكندرية الى دير أنبا بولا وارسل القرار الى رئاسة مجلس النظار فأقرته سريعا و بناء على ذلك توجه محافظ الاسكندرية فى يوم الخميس أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ م الى غبطة البطريرك وأعلمه بهذا الامر فقبله بسرور و وعد بالسفر غدا واحيطت البطريركية بالاسكندرية بالعساكر وفى صباح الجمعة سافر غبطته تاركا لارباب المجلس بالاسكندرية الف ومائتى فنتوا واوصى ان لا تصرف بل تكون وقفا وترك لهم بالقاهرة ثمانمائة فنتو و بعض قطع ذهب وساعة ذهبية أهديت له من أسماعيل باشا وغير ذلك من الاثاثات الخاصة به والتى لم يهتم بأخذ شىء منها حتى ولا سجادته الخصوصية . أما ملابسه فقد فرق بعضها فى الطريق وفرق الباقى على الرهبان حال وصوله للدير

ولما وصل الى محطة الطرانة شاهد حزه بك عمدة الطرانة أنهم أعدوا له جملا ليحمله الى

الدير الذى كان يبعد عن المحطة نحو ٢٤ ساعة وعلم أن غبطته على ما هو عليه من الوهن لم يكن يمكنه أن يقطع المسافة راكبا جملا فاستحضر له جواده الخاص وسار معه الى نصف المسافة مودعا ولم يرجع الا بالحاح غبطة البابا الشديد و بعد أن أستراح غبطته بالدير قليلا خلع ثيابه ولبس ثياب الرهبان وساوى نفسه بأقلهم وأشترك معهم فى كافة الاعمال . وكان بالدير حديقة جعلها موضوع عنايته فكان يمضى جل وقته عاملا فى غرسها وتنقيتها وريها وعزقها حتى أينعت وصارت روضة زاهرة . أما نيافة مطران الاسكندرية فأخذ الى القاهرة ومنها الى بنى سويف ومنها الى دير أنبا بولا

هذا و بعد ذلك قام أعضاء المجلس تصحبهم قوة عسكرية لفتح أبواب البطريركية ففتحت ودخلها أسقف صنبو والايغومانوس فيلوثاؤس وأقاما بها . قيل أنه فى يوم الاحد ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٢ م وهو أول أحد أقام به الاسقف الصلاة بالكنيسة الكبرى أعطى الانجيل ليقرأ منه الفصل المعين لذلك اليوم فتلا خطأ فصلا فحواه خيانة يهوذا للسيد المسيح وتسليمه أياه فنبهه الايغومانوس فيلوثاؤس فارتعد وجزع لاسيما لما تمثل نفسه أسوة بيهوذا الاسخريوطى الا أنه لم ينكف عن تلاوة ذلك حتى أنتهى منه وهو غائب عن الشعور لا يدرى أين هو بالقاهرة أم بصنبو. ومن هذا القبيل جرى ان الايغومانوس فيلوثاؤس بينما كان يرفع الاسرار الربية سقطت الصينية من بين يديه فتشأم الكثيرون ومن غرائب الصدف أنه فى نفس هذا اليوم وقع الكأس من يد الكاهن الذى كان يخدم بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية و بعد أسبوع وقعت مبخرة البخور من يد الايغومانوس المومأ اليه فكادت تحرق السجادة . فاستخلص الناس من كل هذه الحوادث ان الله غير راض عن أعمال المجلس وانصاره

ولما بلغت هذه الحوادث الجمعية الارثوذكسية حتى عملت على استثمارها فكتبت منشورا تدعو فيه الشعب الارثوذكسى أن يمتنع عن الصلاة مع ذلك الاسقف وكهنته المحرومين وان يتوجهوا للصلاة بكنيسة الاروام الارثوذكس بالحمزاوى فلبى هذا النداء كثيرون فكانوا يتوجهون الى كنيسة الاروام واظهر هؤلاء عظيم سرورهم وجعلوا الصلاة باللغة العربية وقيل أن بعضهم تبرع ببناء كنيسة ومدرسة بالشماشرجى للذين ينفصلون عن الكنيسة القبطية و ينضمون لكنيسة الاروام

فخشى أعضاء المجلس عاقبة هذا الامر وعولوا على استدعاء الاساقفة من كل الجهات ليحلوا المحرومين وكان جل الاساقفة قد تركوا مراكزهم وأنطلقوا الى الاديرة وهم اساقفة بنى سويف واسنا ومنفلوط ولم يجب دعوتهم سوى اساقفة المنيا واخميم وجرجا واسيوط الا أنهم عوضا عن ان يجيبوا المجلس الى طلبه اعلنوا موافقتهم لاحكام رئيسهم غبطة البطريرك وجددوا شجب المشجوبين بل أمتنعوا عن المرور من الدرب الواسع الكائنة به البطريركية ونزلوا بعزبة انبا بولا بدرب الجنينة بالقبيلة و بعد أن اقاموا بالقاهرة مدة لم ينل منهم فى أثنائها أعضاء المجلس طائلا

عادوا الى مراكزهم وتعطلت الشعائر الدينية بالقاهرة أذ لم يقبل احد ان يستدعى احد الكهنة المحرومين لاجراء فروض التكليل والتعميد والصلاة على الموتى وغير ذلك

ومن ثم توالى رفع عرائض الاسترحام العديدة من ابناء الطائفة الى سمو الخديوى بطلب استرجاع بطريركهم وفي يوم السبت ١٩ بابه سنة ١٦٠٩ ش تقدم وفد من أعيان الامة الى مصطفى باشا فهمى رئيس الوزارة مكررا هذا الطلب فوعده خيرا و بعد ذلك تمكن الوفد من مقابلة سمو الخديوى واعاد على سمعه رغبة الامة فى رجوع بطريركها . و بالجملة فقد بذل الشعب مع الاساقفة كل مجهود لديهم فى سبيل عودة رئيسهم حتى صدر أمر خديوى كريم فى ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣م بالسماح بعودة غبطة البطريرك ونيافة المطران فما ذاع هذا الخبر حتى أقيمت معالم الافراح و بدا السرور والبشر على كل الوجوه وانطلق كل لسان يشكر الله

ووصل الامر الكريم مسامع غبطة البطريرك وتوجه اليه مائتا نفس من أبناء الامة فى يوم الخميس ٢٦ طوبه سنة ١٦٠٩ ش وطلبوا منه أن ينزل من الدير يوم الا ثنين ليعدوا له مكانا خاصا يوم الثلاثاء ولكن الظروف قضت أن يبرحوا الدير الجمعة ٢٧ طوبه وكان العربان طول الطريق ينشدون الاناشيد و يطلقون البنادق و يركضون على صهوات خيولهم حتى وصل الركب الى محطة كفر داود فأقبل الناس يلثمون يدى غبطته وهو يدعو لهم و يباركهم

وكان الذين أتوا لاستحضار غبطة البطريرك قد صمموا على السفر فى قطار خاص فقال لهم غبطته أننا لا نسافر الا فى قطار الركاب فالحوا عليه كثيرا فلم يقبل و بينما هم كذلك اذا بتلغراف يفيد عدم أمكان قيام قطار خاص فأمرهم غبطته أن يقطعوا التذاكر حتى يذهب لزيارة بعض أهالى تلك البلدة التى كانت تبعد عن المحطة مقدار ثلث ساعة فالتمسوا منه أن يبقى لئلا يبرحهم القطار فقال لهم لا تخافوا فسكتوا وهم فى غاية الحيرة وقالوا لابد من ارجاء السفر للغد و بعد قليل وصل اليهم ان بعض آلات القطار قد تعطلت وان القطار سيتأخر عن ميعاده ساعتين فتعجبوا ومجدوا الله وهكذا تمكن غبطة البابا ومن معه من السفر صباح السبت ٢٨ طوبه

وكانت البطريركية مزدحمة بالوف المبتهجين بعودة رئيسهم والاجراس تدق مبشرة بقدومه . واستقبل غبطة البطريرك فى كل المحطات التى مر عليها القطار أستقبالا عظيما بالكهنة والشمامسة والتراتيل أما الاحتفال بقدومه فى القاهرة فحدث عنه ولا حرج حيث كانت الجماهير تموج كالبحر الزاخر وأصوات الدعاء لسمو الخديوى ودولتلو رياض باشا وغبطته تشق عنان السماء . ولما نزل من المحطة كان الناس يقبلون أهداب ثيابه ورجليه و يديه وكادوا يرفعونه على رؤوسهم و بالكاد أستطاع أن يعتلى العربة المعدة له ووصل البطريركية فى مسافة طويلة لشدة الازدحام حتى أندهش محافظ القاهرة الذى حضر بالجنود لاستقبال غبطته رسميا لجلال ذلك الاحتفال

وحسن رونقة وكان القسوس والشمامسة أمام الكنيسة بملابسهم الرسمية وسعف النخل بايديهم يرنمون ترنيمات التهانى والنساء يزغردن والجميع فى أبتهاج ما عليه من مزيد

وكان قد قام وفد آخر من كبار الطائفة وتوجه الى دير أنبا بولا فى يوم الاربعاء ٢٥ طوبه لاستدعاء نيافة مطران الاسكندرية فقام معهم الى بنى سويف وهناك تقابل مع سمو الخديوى فى بنى سويف حيث أتفق تشريفه لها حينئذ وأظهر سمو الخديوى سروره مما تم ودعا له نيافة المطران بالعز والتأييد . ومن ثم سافر نيافته الى القاهرة فقوبل باحتفال عظيم فى المحطة وفى البطريركية

وبعد عشرة أيام من عودة غبطة البطريرك جاء بطرس باشا لزيارته وصحبته جميع المحرومين فاعترفوا بكل ما صدر منهم وطلبوا الصفح عنهم والرضاء عليهم فسامحهم غبطته وحلهم لما جبل عليه من مكارم الاخلاق ولكى يتمم وصية سيده المسيح رسم أسقف صنبو مطرانا وحذرهم جميعا من العودة الى مثل ما أتوه لئلا يقعوا تحت طائلة الحرم ثانيا

وبعد منافسة طويلة بين غبطة البطريرك وأعضاء المجلس من جهه وبينه وبين جمعية التوفيق من جهة أخرى صدر الامر العالى بارجاع الادارة الى غبطة البطريرك واتفق على أنتدب أربعة من أعضاء المجلس لمساعدة غبطته فى ادارة شئون الطائفة وكان أول عمل أقرته اللجنة الملية تحت رئاسة غبطته هو وجوب فتح المدرسة الاكليريكية وجمع الاوقاف بديوان البطريركية . ثم عينت المجلس الروحى للنظر فى الامور الدينية وقرر منع تجول القسوس وعدم رسامة أحد منهم الا اذا أستوفيت فيه الشروط المطلوبة الا أن هذا القرار الاخير لايزال حبرا على ورق فالقسوس سواء كانوا من الحقيقيين أو الذين يتزيون بزيهم يجولون فى كل مكان ويجلبون عارا على الامة والطائفة . وعدم التدقيق فى رسامتهم لايزال ساريا مع أنه العبء الوحيد الثقيل الذى يمنع نهوض هذه الامة وتقدمها

وكان غبطة البطريرك بعد هذه الحوادث لا يفتأ ينشر المنشورات يحض فى بعضها أبناء الامة على الاهتمام بالامور الدينية وبتعليم أولادهم على المبادىء الارثوذكسية وفى البعض الاخر حرم عادة الندب والحزن المفرط على الميت . ثم أنشأ مدارس أكليريكية بالاديرة وسعى فى تعميم التعليم لانه عنوان رقى الامم وسر نجاحها

وفكر غبطته أن يقوم بزيارة رعيته وافتقادها فبارح القاهرة فى ٢٦ طوبه سنة ١٦٢٠ ش و٢٥ يناير سنة ١٩٠٤ م لزيارة الوجه القبلى والاقطار السودانية فقوبل مقابلة عظيمة وعاد من رحلته فى ٢ أبريل سنة ١٩٠٤ م وبعد ذلك أنحلت اللجنة الملية لسبب فساد النظام الذى انتهت اليه ومن ثم تقرر باتفاق غبطته مع بطرس باشا أنتخاب المجلس الملى الرابع وصدقت عليه الارادة السنية فى أول مارس سنة ١٩٠٦ م وقد حدث خلاف بين المجلس وغبطته أنتهى بتعيين الاب القمص بطرس عبد الملك لرئاسة جلسات المجلس سنة ١٩٠٩ م

ثم شرع غبطته في رحلة ثانية من ٢٥ يناير سنة ١٩٠٩ م للوجه القبلى أيضا ورجع منها فى ١١ أبريل من تلك السنة وقد حدث فى أسيوط ما نذكره وهو أن حزب من يسمون أنفسهم بالمصلحين باسيوط وزع نشرات بالكنيسة مؤداها الطعن فى الهيئة الاكليريكية وكان غبطة البطريرك قائما بالصلاة فقدمت له من الحزب مطالب فزقها والقاها على الارض فهاج اعضاء الحزب وخرج غبطته من الكنيسة غاضبا الا أن المسألة أنتهت بسلام وخرج غبطته من أسيوط مودعا بالاكرام اللائق بمقامه السامى .

وعقب رجوع غبطته أنذره المجلس بتسليم أوقاف الرهبان وعظم الخلاف واشتد وقد حاول أنصار المجلس أن يستغلوا شكوى بعض الرهبان من رئيسهم ضد البطريركية وقاموا بمظاهرة عدائية أمام الكنيسة الكبرى وانتهى كل سعى من هذا القبيل بالفشل التام

وأنعقد فى عهد غبطته المؤتمر القبطى باسيوط فى ٦ مارس سنة ١٩١١ م ليطلب من الحكومة مساواة الاقباط بالمسلمين فى كافة الحقوق المدنية والدينية فطلبت الحكومة من غبطة البطريرك ان يمنع هذا الاجتماع خشية من حدوث ما لاتحمد عقباه فنشر منشورا يحض فيه على أستعمال الحكمة والروية فى المطالبة بهذه الحقوق فرد عليه نيافة الانبا مكاريوس مطران اسيوط متعهدا بعدم حدوث أى مكروه وعقد المؤتمر فى ميعاده والقيت الخطب ورفعت الاحتجاجات وذهبت جميعها صرخة فى واد

ومن ذلك الحين والامة القبطية آخذه فى النهوض والتقدم بفضل حكمة رئيسها العام غبطة البابا كيرلس وقد حمل حسن تصرفه وعظيم حكمته أبناء الامة المصرية من مسلمين واقباط على أن يأخذوا يناصر بعضهم البعض و يزيلوا من قلوبهم كل شقاق و بغضة موقنين ان الدين لله والوطن للجميع

أما علاقة هذا البابا بالكنائس التابعة له فهى على أحسن ما يرام . وكانت العادة الجارية ببلاد الحبشة أن لا يرسل اليها الا أسقف واحد فاذا مات أرسل غيره ولكن فى سنة ١٨٨١ م طلب النجاشى يوحنا تعيين مطران وثلاثة اساقفة ولما كان هذا الطلب مغايرا للعادة فقد ترددت الكنيسة أولا فى أجابته ثم فى يولية سنة ١٨٨١ م تم الاتفاق بين الاحباش والرئاسة الدينية بعقد مكتوب على أجابة ما طلبوه . ورسم لهم مطران وثلاثة أساقفة بشروط مخصوصة . والان ليس بالحبشة غير مطران واحد هو الانبا متاؤس الذى زار القطر المصرى مرتين و بلغ عدد من أرسل الى الحبشة من الاساقفة ١٠٥ حتى أوائل القرن التاسع عشر يضاف اليهم الاربعون الذين رسموا فى خلال القرن المشار اليه .

أما بلاد النوبة فقد كان بها ١٧ أبروشيه الا أنها أخذت تضمحل لجور الحكام المسلمين حتى سنة ١٨٨٠ فلم يبق بتلك البلاد من المسيحيين أكثر من ١٦ ألفا . ولما أعيد فتح السودان فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م رسم لهم البابا كيرلس الحالى أسقفا رقى فيما بعد الى رتبة مطران و بنيت كنيسة كبرى فى الخرطوم وسبع كنائس أخرى فى الاقاليم ومنظور بناء غيرها فى باقى جهات السودان التى بها مسيحيون

وفى ٢٣ بابه سنة ١٦٤٠ ش أتم البابا كيرلس خمسين سنة على الكرسى المرقسى وهو أطول مدة أقامها بطر يرك على هذا الكرسى واحتفلت الطائفة بعيد يو بيله الذهبى أحتفالا عظيما شهده كبار القوم ومندو بو الحكومة من وطنيين واجانب . وقيل أن غبطته لم يقبل فى مبدأ الامر هذا الاحتفال زهدا منه فى مجد العالم لكنه قبل حضور الصلاة بالكنيسة وسماع الخطب

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة

---

(١) الانبا سراباmون أسقف المنوفية (١) :

نشأ هذا الاب الفاضل بمديرية الشرقية باسم صليب ولما أدرك رشده أقام بالقاهرة واحترف مهنة بيع الزيت وكان يطوف الشوارع والحارات مناديا على زيته ورووا ان سبب طلوعه للدير هو أنه ذات يوم توفى ولد لاحدى النساء الشريرات باسباب فعلية فقيل لها ان تنتظر الرجل النصرانى الذى يطوف لبيع الزيت وتلقى الولد تحت أرجل حماره وتتهمه بقتله ففعلت ذلك وسيق بحماره الى الحاكم يتبعه جمهور غفير يشهد عليه بانه هو القاتل وعبثا حاول أن يبرىء نفسه و ينادى أنا مظلوم قيل أنه لما تضايق توسل الى الله ان يخلصه من هذه البلية فاجاب سؤله وخلصه بمعجزة مدهشة أما القديس فحالما رأى ذلك ترك حماره بما عليه وفر هاربا الى الدير خشية من الفخر العالمى ولبث بالدير حتى أنتخبه اسقفا للمنوفية الباب بطرس ال ١٠٩

و بعد رسامة هذا الاب أسقفا أشتهر بامرين أولهما التقشف والنسك والبساطة وثانيهما صنع العجائب والمعجزات . فعن الامر الاول يقولون أنه لم يكن يعبأ بزخرف المعيشة ولا ما تشتهى النفس فكان يقضى طول الليل قائما يصلى و بعد الصلاة يأتى على الارض و يضع مركوبه تحت راسه و ينام عليه وكان أغلب أكله الدشيشة فى أناء من خشب وقيل أنه مرة دخل بيتا فشم فيه رائحة ملوخية وفراخ أشتهت نفسه أن تأكل منها وكان ذلك فى أحد ايام الخماسين فارسل اليه أهل البيت شيئا من الطعام حيث يقيم بالبطريركية ولما قدم له أمر بتأخيره وأبقاه ثلاثة أيام حتى أنتن ومن ثم طلب من تلميذه أبراهيم برغوت أن يستحضره ووضع لقمة منه فى فمه فعافته نفسه فابتدأ يوبخها قائلا ها هى شهوتك لماذا لم تأكليها يا ملعونة ثم أعطى الطعام للتلميذ فاراقه خارجا

وروى عن ميله للاحسان الخفى أنه كان فى أحدى الليالى شخص يسير متنكرا فى بعض ازقة القاهرة وعلى كتفه سلة ثقيلة الحمل فصادفه وهو بهذه الحالة رجل من خدمة الدار البطريركية

---

(١) نقلناه ملخصا عن كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » ج ٢

يدعى حنا النجار فاستغرب زيه وتلثمه اذ رآه يكاد لا يظهر من وجهه غير عينيه وهو يلهث تعبا من حمله فرابه أمره وظنه لصا فجد وراءه حتى أدركه ثم رآه وقف بباب وقرعه فانفتح الباب فسلم السلة للفاتح دون ان ينطق بكلمة وعاد من حيث أتى وعندئذ تقدم اليه حنا وأمسك به فما تبينه حتى علم أنه الانبا سرابامون أسقف المنوفية وكان يأتي بالدقيق والقمح ويحمله بنفسه الى الاسر التي لا تمد يدها للسؤال حياء عاملا في ذلك بقول السيد المسيح «واما أنت فتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك» .

واتفق مرة أنه كان لدى الانبا سرابامون ستمائه ريال فرأى أن يشترى بها دارا للاوقاف وقد وضعها فى كيس وسلم الكيس الى تلميذه ابراهيم ليحفظه الى أن تتم المساومة . وحدث أن زار ابراهيم احد أقاربه وعلم بأمر الكيس فدفعه الطمع الى سرقته فلما أفتقد التلميذ أبراهيم النقود ولم يجدها ذهب الى الاسقف باكيا فخفف الاسقف حزنه وقال له ثق يا أبنى بالله فهو قادر أن يرد الينا المال . وفى هذه الاثناء كان السارق قد شعر بتأنيب ضميره فلم يستطع أن يضيع قرشا من الكيس الذى سرقه ثم أشتد به الندم فقام مسرعا وجاء الى الاسقف بنفسه ومعه الكيس وأنطرح أمامه طالبا السماح والعفو فسامحه الاسقف وبعد أن بين له شر السرقة ووخامة عواقبها نصحه بالاستقامة وقال له اذا وقعت في ضيق فتعال الى . ثم تحنن عليه وأعطاه بعض دريهمات فتأثر الشاب من هذه المعاملة وبكى وعزم من ذلك الحين أن يعيش أمينا مجدا فى عمله

قيل وكانت درايته بالقراءة ضعيفة حتى أنه كان عندما يقع نظره على أنجيل القداس ويجده مطولا يقول «يا أبوى يا أم النور دا طويل يابوى» وذلك لانه كان طاعنا فى السن : وكان من عادته على الدوام أنه عندما كان يستغيث من أى شىء يقول يا أم النور

أما عن الامر الثانى الذى أشتهر به وهو صنع العجائب والمعجزات فحدث عنه ولا حرج فقد رويت عنه حوادث يعارضها العقل لولا قول الكتاب «كل شىء مستطاع للمؤمن» (مر ٩ : ٢٣) وكانت شهرته الزائدة باخراج الشياطين بقراءة المزمور الرابع والثلاثين ورش المياه على وجوه المصابين باسم (أيسوس بخرسطوس) قيل أنه خطر له مرة أن يسأل شيطانا عن أسمه فاجابه «أسمى سرابامون الاسقف» فقال «وى يابوى هى الشياطين فيها أساقفة ياما بقيت معوجة ياصليب» وهو أسمه الاصلى وكان اذا تألم يقول دائما «ياخطيتك ياصليب»

وحدث أن مريضا بروح نجس أتى به الى البابا بطرس البطريرك ليصلى عليه فطلب أن يبقى حتى يستدعى الانبا سرابامون ليصلى عليه فقال له الانبا ابرآم اسقف القدس «منك أيها البابا نأخذ نحن الاساقفة المواهب فصل ولا تنتظر مجىء الاسقف» فاجابه البطريرك بتواضع زائد «أعلم يا أخى أن لكل واحد منا موهبة» ولكن الاسقف لم يقتنع فقال له البطريرك «أنت أسقف مثله فقم صل» فقام وصلى على المريض ولكن بلا منفعة لان الروح الشرير كان يستهزئ

بـه و يذكر له تأخره فى أتمام واجباته حتى أعترف بتقصيره . ولما حضر الانبا سرابامون تأخر مقدما البطر يرك و بعد الالحاح عليه قبل بشرط أن يصلى بصليب فصلى ونال المريض الشفاء بخروج الروح النجس منه

واليك ما وجد عن أحدى معجزاته فى كتاب « سير البطاركة » نقلا عن كتاب « نوابغ الاقباط » ج ٢ :—

. « ومما يستحق الذكر العجائب التى حدثت على يديه وفى زمانه منها أن أبنة محمد على باشا (زهرى باشا) زوجة أحمد بك الدفتردار كان اعتراها روح نجس فعانى الاطباء أتعابا شاقة فى معالجتها ولم يستطيعوا أن يشفوها اذ لم يكن ذلك مرضا طبيعيا . وكان صيت أنبا سرابامون أسقف المنوفية بما أعطى من قوة اخراج الارواح الشريرة مالئا القطر المصرى فذكر لمحمد على باشا عن أمكان ائمة النصارى فى شفاء ابنته ما جعله أن يدعو الاب بطرس البطريرك الى مباشرة ذلك فالاب اذ كان يعلم أن ابنته معتراة من روح نجس أستدعى الاب سرابامون وامره ان يتوجه الى السراى حيث سكن زهرى باشا فلبى دعوته وتوجه فكانت السراى غاصة بالجنود والجماهير رجالا ونساء فلما أبتدأ ان يصلى على الاميرة تحرك الشيطان فيها والقاها صرعى على الارض فازبدت وشرعت تصرخ باصوات أرتجت لها السراى فارتعب الاب لذلك وخاف من سوء العاقبة وصار يستغيث بقوة المسيح صارخا بصوت محزن زارفا العبرات قائلا « عظيمة خطيئتك ياصليب يايسوع مجد يمينك وانصر كنيستك » حينئذ أكمل الصلاة ورسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الاميرة فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها وقامت الاميرة صحيحة وضربت الموسيقى فرحا و بشر محمد على باشا بذلك وجاء الى ابنته فوجدها متعافية فرغب أن يكافىء الاب سرابامون فصرصرة من النقود (قيل بها مبلغ أربعة آلاف جنيه) وقدمها للاب فأبى أن يقبلها وأعتذر له قائلا « ليس من شئون وظيفتى أن أربح بمواهب الرب مالا يحوجنى اليه فلباسى كما ترى فرجية صوف أحمر وطعامى الخبز وطبيخ العدس فعوض ذلك أسأل دولتكم أن تميلوا بتعطفاتكم نحو أبناء الطائفة القبطية وتخدموا بنيها المرفوتين فأجابه الى ذلك والح عليه أن يقبل تلك العطية فأخذ منها شيئا قليلا وفرقه أثناء مروره على العساكر » أهـ ومن ذلك الحين صار لهذا الاسقف ولبطر يركه البابا بطرس منزلة سامية فى عيون الحكام بسبب هذه الحادثة واسندت وظائف كثيرة فى الحكومة لكثيرين من الاقباط على أثرها

قيل وكان الشيطان يحاربه بروح الفخر والاعجاب فيصور له أنه أفضل من غيره قداسة حتى سمع مرة يقول « بقا ياصليب . عطيت مواهب الشفا يا صليب أنت ياعفش أنت يانتن . أنت ياوحش تخرج الشياطين ياصليب . تشفى المرضى ياصليب . ثم يجاوب نفسه بحدة وغضب شديدين و يقول يا أخى دى قوة الله ياصليب . دى قوة الله » .

وروى انه لما تنيح أنبا مكاريوس أسقف اسيوط دخل الانبا سراباموں ليلا منزعجا على البطريرك يخبره أنه شاهد روحه صاعدة وتحقق الخبر تماما وجلس مرة مع البطريرك ومعه تادرس أفندى عريان والد باسيلى باشا تادرس واذا بالانبا سراباموں صرخ فلما سئل لماذا أجاب أنى شاهدت روح الانبا يوساب أسقف الفيوم مرتفعة الى السماء فتركه البطريرك ودخل مخدعة دون أن يبقى لمقابلة الزائرين فسئل عن سبب ذلك قال حزنا على الانبا سراباموں لئلا يكون الازدهاء قد أستولى عليه للموهبة التى أعطاها له الله فيفسدها عوضا عن كونه يستخدمها للخير فتقدم الاسقف وضرب له مطانوة وأفهمه أنه لم ينل درهما واحدا تلقاء أى عمل أتاه

وعقب ذلك أصدر عباس باشا الاول أمره باعدام جميع السحره والمنجمين فوش بالقديس أنه منهم وأنه شفى زهرى باشا فطلبه الخديوى عازما على قتله فانطلق اليه وكان يوم الجمعة العظيمة فقابله الخديوى باحتقار وقال له هل أنت ساحر فاجابه أنا رجل مسكين فقال له أنت شفيت زهرى باشا فصرخ القديس بقوة فى وجهه قائلا « هذه قوة الله » فارتعب عباس باشا وجزع وقال له أمان يابابا ثم صرفه بسلام

وكان الانبا سراباموں يكره الطلاق كراهة زائدة حتى أنه لم يطلق فى مدة رئاسته أحدا ولما كان يستعصى عليه أرضاء الزوج أو الزوجة أذا تحقق أن أحدهما مظلوم يقول له أن شاء الله أزوجك فى العام المقبل فلا يأتى الميعاد الا و يتوفى الظالم و يتزوج بطبيعة الحال

ودخل عليه يوما زوج بحالة غضب شديد وأفهمه أن امراته وجدت فى أماكن البغاء فطيب خاطره وصرفه للغد ثم أنطلق الى البيت الذى وصف له ولتعود النساء على رؤيته تقدمن اليه يطلبن بركة فسألهن عن المرأة فلم يخفين عليه أمرها وأفهمنه أنها أتت اليوم فقط فطلب الانفراد بها فى غرفة مظلمة ولبث يوبخها حتى عزمت على السير بالاستقامة ثم تركها تلك الليلة بمنزل أحد القسوس وطلب منه أن يأتيه صباحا متشكيا من اعالتها وكان ذلك أمام الزوج فقال الاسقف للقس « يخطيتك ياصليب أخطيت يابوى حلنى قم احضرها » فوجد الزوج أنها أمراته وانها كانت فى بيت القس لا فى بيوت البغاء فقبلها وعاشا فيما بعد بكل سلام

واذا أردنا أن نذكر معجزاته واحدة فواحدة يطول بنا المجال فنكتفى بذكر اليسير منها . قيل أنه لما حل مرض الهواء الاصفر بمصر نجت منه جميع البيوت التى كان متعودا ان يزورها وحدث مرة أنه كان مارا من موقع حديقة الازبكية الحالى فوجد أمراة تبكى على بغل لها سقط من العربة من شدة الحمل وكان قد أشير اليها ان تنتظر مرور الاسقف ليشفيه و يقيمه فاجاب سؤالها وصلى واستجاب الله له

وذات يوم كان ذاهبا الى كنيسة حارة زويلة من شارع درب مصطفى ولم يكن يوصل اليها

غيره فتعلقت به أحدى الباغيات وكانت قد تعاهدت مع مثيلاتها ان تهينه في الطريق فطلب منها بلطف أن تتركه فلم تفعل فدعا قائلا « اليد التى أمسكتنى تشل » فصرخت المرأة حالا من الالم الذى لحق يدها وطلبت اليه أن يشفيها فشفق عليها وشفاها

وجرى فى مروره بالسرحة السنوية أن طلع عليه عبد أسود رئيس عصابة واوقف بغلته وطلب منه ما معه من النقود فلما فتش جيوبه ولم يجد بها شيئا طلب أن ينزل عن البغلة ويخلع ملابسه فقال له القديس أتركنى وانطلق فأبى ورفع يده بنبوته ليضربه فقال له القديس « أنت رفعتها دعها مرفوعة واتركنى » ثم تركه وسار فى طريقه ولما رجع ثانى يوم وجد يده مرفوعة كما هى فشفاه بعد أن أخذ تعهدا منه بعدم العودة للسرقة مرة أخرى

وغير ذلك كثير لا يحصيه العد . وطالت أيام هذا القديس حتى أدرك البابا كيرلس الرابع والانبا سرابامون هو الذى رسم الراهب يوحنا الناسخ « البابا كيرلس الخامس » سنة ١٨٤٥ م قسا بديره بالبراموس فى كنيسة حارة زويلة بأمر بطريركه الذى أستصغر الراهب فى عينه لانه كان شابا فقال له الانبا سراباموس « يظهر أنه مبروك وان شاء الله يخدم أمة الرب »

وتنيح الانبا سراباموس ودفن مع بطريركه البابا بطرس ال ١٠٩ والبابا مرقس ١٠٨ ولا رابع لهما فى الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكاتدرائية الكبرى .

(٢)الانبا باسيليوس مطران القدس :

ولد فى سنة ١٥٣٤ ش فى قرية يدعى الدابة من مديرية قنا بمركز فرشوط من والدين فاضلين . وفى ليلة ميلاده رأى والده حلما كأن صوتا يهتف به « أن قم وارفع الشكر لله على هذه المنحة الجزيلة التى وهبها لك » ففى الصباح حمل أبنه على ذراعيه وتوجه نحو الشرق و بارك الله شاكرا له فضله

وكان والده يصطحب أبنه معه الكنيسة كل يوم أحد فيتعجب منه عند ما يجده واقفا على قدميه طالما كان الكاهن يتلو صلاة القداس دون ان يتحرك أو يفوه بكلمة صغيرة ولا يترك الكنيسة الى ان تنصرف تماما . فسر منه والده لاسيما اذ رآه مطيعا له أطاعة كلية وراغبا فى تقليده هو وأمه حينما يقوموان للصلاة فكان يقف مثلهما وعند حلول الصيام كان يصوم نظيرهما (١)

---

(١) نقلناه ملخصا عن كتاب « غذاء النفوس فى تاريخ حياة انبا باسيليوس » ٢

ولم تكن أسباب التعليم متوفرة حينئذ فاعتنى والداه بتثقيفه فعلماه القراءة والكتابة ومبادىء الدين وطقوس الكنيسة فاتقن جميعها و برع براعة تامة أدهشت عارفيه . وكان كلفا بنوع خاص بمطالعة الكتاب المقدس فكان يقضي ليله مكبا على قراءته وكان غرامه الزائد بامثال سليمان الحكيم ورسائل بولس الرسول وخشية من أن يمل مطالعة الكتاب كتب آية ٢٩ من ص ٥ من أنجيل يوحنا بحروف كبيرة وعلقها فى صحن داره حتى اذا ما رجع من عند معلمه وجلس للاكل أو النوم ووقع نظره على هذه الاية نهض حالا وامسك بيده الكتاب المقدس و بدأ يطالع فيه أتماما للاية « فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة ابدية وهى التى تشهد لى »

ومن كثرة المطالعة أصيب برمد فى عينيه ومع ذلك لم ينفك يطالع الكتاب فعاب عليه ذلك أحد أقربائه بقوله « أتظن أن الاجتهاد ينيل المراد ألم تسمع القول « قيراط سعد ولافدان شطاره » فرد عليه فورا بقول سليمان الحكيم « يد المجتهدين تسود أما الرخوة فتكون تحت الجزية (أم ١٢ : ٢٤)

وشاهده معلمه مرة يماشى غلاما ذا طباع رديئة فدون أمامه هذا البيت

واحذر معاشرة اللئيم فانها تعدى كما يعدى السليم الاجرب

فرد عليه قائلا « أنى آليت على نفسى معاهدا الله أن أسعى جهدى لارد الضالين الى سبيل الصواب حتى أكون مع غير المؤمن كأنى غير مؤمن لاربح الغير المؤمن » (١ كو ٩ : ٢١)

فكتب اليه معلمه

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فأجابه كف عن تعنيفى وسترى بنعمة الله نتيجة عملى . ومازال بالغلام الردىء السيرة حتى قاده الى حظيرة المسيح وخلصه وانتهى الخبر الى معلمه فشكره شكرا جزيلا

وحدث أن والده أولم وليمة لبعض كبار القوم ففكر فى ان يعمل عملا يمجد به الله فحمل الطعام المعد للاغنياء وذهب به الى بيوت الفقراء وقدمه لهم ولما حان ميعاد الاكل لم يجد المدعون طعاما وخرجوا غاضبين بعد ان أعتذر لهم بكلمات رقيقة فسأله والده عن جلية الخبر فاجابه ان من دعوتهم لا يحتاجون الى طعامك لانهم يأكلونه فى بيوتهم دائما أما الذين أكلوه فهم محرومون منه وقل ان يتمتعوا به وكتابنا يقول « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (أم ١٩ : ١٧)

فقبله والده بين عينية وقال له لقد نبهتنا من غفلتنا ونسياننا واجباتنا من نحو الله فبكى عند ذلك ابنه بكاء شديدا وقال لوالده « و يل لى لانى لم آت عملا يستحق ثناء فضلا عن ان ما عملته لم يعد لى أجر عليه لان الكتاب يقول « لا تعرف شمالك ما تعمل يمينك (مت ٦ : ٣) وهو ما لم أقصده قط »

قيل أنه بينما كان ذاهبا الى الكنيسة يوما وجد أثنين يتشاجران فتداخل بينهما ليصلحهما فضربه الظالم على وجهه لتداخله فيما لا يعنيه فبدأ المظلوم يعنف الضارب على قساوته فقال له الطوباوى « لا تلمه فانى لا اريد أن أقابل الشر بمثله » ثم خاطب الضارب قائلا « سامحنى أذا كنت قد أسات اليك اذ لا يخلو انسان من عيب مطلقا » ثم التفت نحو الشرق وصلى صلاة طويلة وانصرف ولم تمض مدة حتى أتى اليه الضارب وقدم له الدراهم التى كان مطالبا بها والتمس منه أن يعطيها لصاحبها وطلب منه أن يصفح له عما أساء به اليه

ولا يسع من يطالع مقدمة هذه السيرة الا الحكم بان صاحبها تشربت روحه منذ الحداثة بروح الفضيلة ونما فيه الميل لترك العالم وملاذه و بينما كانت هذه الافكار تتردد على خاطره فتح الكتاب المقدس فوقع نظره على قول الرسول بولس « حسن للرجل أن لا يمس أمرأة .. لان هيئة هذا العالم تزول .. غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب واما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى أمرأته » (١ كو ٧ : ١ و ٣١ — ٣٣) فرسخ فى ذهنه هذا الاعتقاد ثم توجه للصلاة بالكنيسة فأعطى له كتاب « السنكسار » ليتلو منه سيرة فكانت بالصدفة سيرة القديس أنطونيوس مؤسس الرهبنة فعجب لهذا الاتفاق ومن ثم انطلق الى دير القديس انطونيوس ولبس شكل الرهبنة سنة ١٥٥٩ ش

ومن ذلك الحين أشرقت منه شمس الفضيلة و بانت عليه أدلة الكمال فكان لا يذوق طعاما فى الصوم المقدس الامرة واحدة يوميا قبيل المساء وفى باقى الاصوام يصوم للعصر . وفى الايام يصوم حتى الظهر ولا يتناول الا ما يسد رمقه . وروى أحد رفقائه الرهبان أنه عندما كانوا يجتمعون فى منتصف الليل ولا يحضر معهم يجدونه ساجدا بقلايته أو واقفا يعبد وكان اذا قام أحد الرهبان فجرا يجده مستيقظا ملازما الصلاة . وفى الصباح كان يسرع لخدمة المرضى والشيوخ من الرهبان بكل غيرة ونشاط . وذات ليلة أصيب راهب شيخ بحمى شديدة فاسرع اليه بكل فراشه واعطاه أياها ليستدفىء و بات هو يقاسى شديد البرد طول الليل

فلما انتهت أخبار فضيلته الى مجمع الرهبان رقى الى درجة الكهنوت فرسم قسا سنة ١٥٦٥ ش فزاد فى التمسك بفضائله وتفانى فى قمع جسده . وكان أبغض اليه النميمة والاغتياب ولذلك كتب على جوانب حجرته قول السيد المسيح « يا مرائى أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تنظر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٧ : ٣ — ٥) واعقبها بنهى من يغتاب الغير

وحدث أن واحدا تكلم فى حق آخر أمامه فرفع يده الى تلك الاية وقال للمغتاب « انقش هذه الاية على لوح قلبك وابتعد عن النميمة والا توقع عقاب الله الشديد » وكان فى جل مواعظه يبتدىء بقول الرسول « اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد (غلا ٥ : ١٦) فاعترضه واحد مرة بقوله « لقد مللنا من تكرار هذه الاية فأت لنا بغيرها والا فأترك الوعظ لمن هو أقدر عليه منك » فاجابه « أمامنا الينبوع الحى فهلم نستقى منه جميعا » (مشيرا الى الكتاب المقدس) وكان من عادته اذا استعصى عليه فهم آية من الكتاب يستفهم عنها من أحد الرهبان فان أفهمه شكر له فضله والا جثا أمام الله طالبا منه الارشاد وقد عمم هذا المبدأ بين جميع عارفيه

وفى سنة ١٥٦٨ ش رسم أيغامانوسا وسلم ادارة الدير ورئاسته فعمل على كل ما فيه نجاحه وترقيته فنمت الايرادات التى كان ينفقها فى المنافع العمومية ولم يكن يتأخر فى أن يوقف أى أنسان على ما يرد وما يصرف . وقد دخل عليه مرة احد الرهبان فوجده يبكى بحرقه ولدى السؤال أجابه كيف لا أبكى وقد مر أكثر من سنة لم أجدد فيها للدير شبر أرض الا استحق عقاب ذلك العبد الذى اخذ الوزنة وخبأها فى الارض دون أن يتجر بها و يربح (مت ٢٥ : ٢٤ ــ ٣٠) ولهذا عزم على الاستعفاء من رئاسة الدير لولا توسل الرهبان فبقى يمارس الاعمال بهمة فائقة حتى تمكن من أن يجدد للوقف أملاكا ويجرى أصلاحات عديدة .

وقيل أنه سافر مرة للقاهرة لقضاء ما يحتاجه اخوانه الرهبان وكان بعض اللصوص قد سمعوا أنه سيأتى من القاهرة ومعه مال فكمنوا له فى الطريق ولكن الرب أضله السبيل فتاه ولبث يكابد مشقة زائدة حتى وصل الدير والرب قد نجاه من خطر اللصوص

وكانت معاملته للرهبان الذين كانوا تحت رئاسته معاملة بالغة حد اللطف والشفقة فكان يفصل فى كل خلاف يرفع اليه بروح المحبة والسلام . ولم يكن يعتبر نفسه أفضل منهم ولم يميز ذاته بشىء عنهم بل كان يمسك المكنسة بيده و ينظف قلايته بنفسه و يباشر أيضا تنظيف قلالى الشيوخ والمرضى من الرهبان

وروى أن السكر كان أشد الامور كراهة لديه واتفق أنه زار كاهنا بالقاهرة فالفاه يتعاطى خمرا فلما سأله عن سبب ذلك أجابه « كل عطايا الله صالحة اذا أخذت بشكر » فاحتدم القديس غيظا و بدأ يفند رأيه بشدة مستدلا بآيات الكتاب المقدس الواردة بسفر الامثال ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٢ و ٢٠ : ١ و ٢٣ : ٢٠ و ٢١ و بقول الرسول بولس (أ ف ٥ : ١٨) ووصيته للقسوس (١ تى ٣ : ١ ــ ٣) ثم قال له كيف يتمكن الكاهن من ان يكون متحليا بالفضائل وهو يترنح تحت تأثير السكر كالمجانين ألم يبلغك خبر ذلك الرجل الذى دفعه السكر الى ارتكاب خطيئتين شنيعتين الاولى الزنا بابنته البكر والثانية قتل ولده فلذة كبده . وهكذا تمكن من أن يقنع الكاهن بخطأ رأيه حتى قام وكسر زجاجة الخمر وتعهد بعدم العودة اليها مرة ثانية

وكانت سيرة القديس قد عبقت رائحتها فى كل مكان وترنم بحسنها كل لسان فاختير مطرانا على كرسي القدس الشريف فى ابتداء سنة ١٥٧٢ ش على يد البابا كيرلس الرابع وقد حاول أن يتخلص من هذا الحمل الثقيل ولكن البطر يرك وأعيان الامة الزموه بالقبول فقبل وسار الى الارض المقدسة . وما كان أشد حزنه عندما رأى مصالح الامة القبطية هناك فى غاية التأخر فبذل جهده حتى جدد لها من الاملاك والعقارات ما قيمته ١٥٠ الف جنيه

ولما وجد زوار القدس ان الاقباط يكابدون المشقات فى يافا لعدم وجود أماكن يحلون بها جد حتى أشترى بستانا واسعا تبلغ مساحته نحو العشرين فدانا فى شهر بؤونه سنة ١٥٨١ ش فابتنى به كنيسة ودارا للمطرانية فاخرتين واشترى بجوارهما أيضا قطعتين أرض جميلتى الموقع سنة ١٦١١ ش وجهز بهما كل ما يلزم لراحة الزائرين .

أما الاصلاحات التى أنشأها بالقدس الشريف فلنترك كاتب سيرته صاحب كتاب « غذاء النفوس فى تاريخ حياة أنبا باسيليوس » الذى نقلنا عنه السيرة يتكلم عنها قال : — « لم يكن للاقباط غير بضعة أماكن غير معتنى بها فاذ راى ذلك المطوب الذكر صاحب الترجمة عمل بما تقتضيه واجبات الراعى الحقيقى فعمر دير القديس أنطونيوس الملاصق لكنيسة القيامة الشريفة حتى أضحى يشتمل على كنيسة جليلة ودار للبطريركية جميلة ونيف وأربعين أودة بعد أن كان خربا تنعق فوق جدرانه البوم والغربان . وعمر كذلك دير وكنيسة مار جرجس باذلا همة علياء على الاخص فى عمل حجاب هيكلها البديع حتى أضحى نادر المثال فى الا تقان والزخرفة والكمال . ثم وجه همته الشماء فى تعمير باب دير الملاك المعروف بدير السلطان وذلك بعد أن استغرق وقتا ليس بقليل فى رفع الشكوى والدعوى الى الباب العالى ضد جماعة الاحباش والطوائف التى كانت تأخذ بناصرهم . وجلية الامر أنه لما لم يكن لاخواننا فى المذهب الاحباش أملاك فى القدس الشريف يقيمون بها تعطف صاحب الترجمة وأباح لهم أستيطان هذا الدير موقتا ريثما يتوفق لهم بناء مكان خاص بهم . غير ان النفس الامارة بالسوء سولت لهم مقابلة الاحسان بالنكران والجود بالجحود فقاموا على ساق وقدم طالبين أغتصاب هذا الا ثر المأثور قهرا . وهكذا تجاروا على أختطاف مفاتيح الدير المومأ اليه فى سنة ١٢٨٠ هـ باغراء ومساعدة قناصل وسفراء دولتى أنجلترا وفرنسا وغيرهما من بقية الدول فاذ رأى الانبا باسيليوس هذا الاعتداء وقف كالبطل الصنديد يكافحهم و يعارضهم بقلب كالحديد واخيرا رفع الامر الى الصدارة العظمى فصدرت الارادة السنية بتاريخ ١٢ جمادى الاخرى سنة ١٢٨٠ نمرة ١٩٢ باعمال مفاتيح جديدة للدير وتسليمها للمترجم به . وهذا الامر قيد بالديوان الهمايونى السلطانى كما هو واضح به

ولم تكن هذه المساعى المترادفه لتوقف الاحباش عند حدهم أذ عادوا فى سنة ١٦٠٩ ش الى طنبورهم الاول يضربون عليه مدعين أن دير السلطان المومأ اليه ملك حلال لهم وساعدهم على

هذه الافتراآت سفير الحكومة الايطالية فسفير الروسيا بالاستانة العلية فقام الانبا باسيليوس تلقاء ذلك واستفرغ قواه ومعظم جهوده فى ردعهم عن غيهم فرفع شكواه تلغرافيا لجلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان (الخليفة حينئذ) ولجانب الصدارة العظمى ولنظارة العدلية الجليلة ولسعادة متصرف القدس الشريف وأناب عنه رسميا حضرة الفاضل أرمانيوس بك حنا الذى كان وكيلا لدائرة الخديوى الاسبق بالاستانة فى رفع معضلات المسألة للمقامات العالية .

ثم عزز هذه المساعى بارسال خطاب لسعادة الحازم بطرس باشا غالى ناظر الخارجية المصرية يشير عليه بتوسط سمو خديوينا الحالى (عباس باشا يومئذ) فى مخابرة الباب العالى بصد تيار المطامع الاجنبية عن حقوق الطائفة القبطية ولما أشتهر به سعادة الوزير المشار اليه من الغيرة التامة على صالح الامة لم يدخر وسعا فى القيام بهذه المهمة وفق المرام فتخابر سمو خديوينا المعظم مع مولانا السلطان العظيم الشأن فى ١٠ جمادى الاخرى سنة ١٣١١ هـ نمرة ١٠ بطلب حفظ حقوق الاقباط الظاهرة للعيان من قديم الزمان والوقوف فى طريق من يريد أغتصاب شيء منها

وفى هذه الاثناء أقلقته أفكاره (المترجم) وتراكمت عليه الهواجس حتى اعتراه الارق خوفا من عدم نواله أمنيته وحبوط مساعيه فعول على ارسال جناب القمص ميخائيل الشبلنجى وكيل وقف القيامة وقتئذ (الذى تنصب فيما بعد مطرانا للكرسى خلف السعيد الذكر) الى الاستانة وناهيك عما أودعه له من التوصيات اللازمة بوجوب بذل الجهد بالنفس والنفيس لصد هجمات ومطامع الاجانب وقد كان وتوجه وعند وصوله اجتمع بسعادة الفاضل ارمانيوس بك حنا وكيل دوائر اسماعيل باشا الخديوى واخبره عن الغاية من مجيئه فاتحدا كلاهما وشمرا عن ساعد الاجتهاد بغية نوال المراد فقدما عرائض الاسترحام للحضرة الشاهانية فصدر الامر السامى من جانب الصدارة العظمى الى متصرفية لواء القدس الشريف بتاريخ ٦ كانون الثانى سنة ١٣٠٩ هـ مالية نمرة ٣٠ (١١ طوبه سنة ١٦١٠ ش) مؤيدا ومثبتا أحقيه تصرف الاقباط بدير السلطان المذكور. وقد بنى الامر المشار اليه على المضبطة المقدمة من مجلس أدارة لواء القدس الشريف . وذلك بعد ان أقام جناب القمص الموما اليه بالاستانة العلية أربعة شهور واصل فيها الليل بالنهار سعيا واجتهادا فى تنفيذ وصية معلمه ولم يغادرها الا بعد الحصول على الامر المذكور آنفا . و بالاجمال فان صاحب الترجمة بذل من الهمة أقصاها ومن الغيرة منتهاها فى حفظ حقوق الطائفة الى ان توصل لتحقيق كل أو بعض آماله ولم يبق الان سوى أنتهاز فرصة مناسبة للاستيلاء التام على الدير الذى أكتسب شهرة عظيمة لالتصاقه بكنيسة القيامة المجيدة وأقامته على سطح المغارة التى أخرجت منها الملكة هيلانه عود الصليب الذى صلب عليه رب المجد

وقد كان للاقباط مكان بجوار دير السلطان أتصل اليهم بحسن مساعى المرحوم ابراهيم الجوهرى فاستولى عليه الروسيون بطرق غاية فى الغش والخداع ابتدعها جبران غرغور ترجمان قنصلاتو الروسيا بالقدس وادخلها على المرحوم القمص جرجس وكيل الوقف آنئذ . ونظرا لاهمية

هـذا المكان وقربه لكنيسة القيامة أخذ المطلوب الذكر أنبا باسيليوس يكثر من التحرير لجلالة قيصر الـروس بالتماس رده الى ذويه فلم تقابل و باللاسف هذه الطلبات العادلة بما تستحقه من الاهتمام ولامـراء فـالحق فى جانب القوة . وقد قام الروسيون من نحو الروسيون من نحو العشر سنوات وشيدوا فى هذه المكان كنيسة هى وأيم الصدق آية فى الا تقان

كـل ذلـك لم يثن عـزم الفقيد ولم يقلل من همته فبذل أقصى مجهوده حتى تمكن من أحاطة هيـكلنا القائم على قبر المخلص له المجد بسياج من حديد وزخرفة بجميل الاوانى وأنفس المنقوشات . ثم أخـذ بـعـضـا من الا ثار الى أقامتها الملكة هيلانة وضمها الى بوابك دير القديس أنطونيوس . كل ذلـك قـام بـه رغما عـن أرادة أبناء الطوائف الاخرى الذين طالما وقفوا فى طريقه حجر عثرة محاولين اغتصاب هذه الاثار المقدسة فى ضمها الى املاكهم

ثم أشـتـرى محلا يسمى « المصبنة » بالقدس الشريف وأعده لسكنى أبناء الطائفة المقيمين بتلك الجهة أهـ

ولم تحرم كـنـائس أبروشيته بالقطر المصرى من ثمرة همته فأصلح الكثير منها وجدد عدة بيع ولـبـث مواصلا جهاده وعمله حتى أقعده مرض عضال أصابه قبل وفاته ببضع سنوات فعين له الاب القمص ميخائيل الشبلنجى (الانبا تيموثاوس مطران القدس الان) ليكون أسقفا ووكيلا للكرسى الاورشليمى مدة حياته وخليفة له بعد مماته

ومـع أشـتـداد المـرض عـلـى الانـبا باسيليوس لم يكن يهمل السؤال عن رعيته وما يتعلق بها حتى يوم ١٥ برمهات سنة ١٦١٥ ش اذ شعر بألم فى جنبه الايسر فصار يخاطب الله بما فى مز ١١٨ : ٢٥ « آه يـارب خـلـص آه يـارب أنـقـذ » ولم ينقطع عن اللهج بآيات كتاب الله الى يوم الاحد ١٨ برمهات من تلك السنة حيث أسلم روحه فى يد مخلصه وانضم الى آبائه . وما وصل نبأ نياحته الى امته حتى ناحت و بكت عليه جميعها وأقيمت له حفلات تأبين فى أشهر مدن القطر

(٣) الانبا ابرآم اسقف الفيوم :

ولد هذا الحبر الكامل سنة ١٥٢٥ ش و١٨٢٩ م بقرية دلجا بمركز ملوى بمديرية أسيوط من أبـويـن فـاضـلين تعلم منهما محبة الفضيلة وشهد له بها أمام الانبا يوساب اسقف صنبو فرسمه شماسا ولما بـلـغ التـاسعة عشرة أنطلق الى دير العذراء بالمحرق ولبث مدة تحت الاختبار حتى أقر عليه جميع الرهبان فرسم راهبا باسم بولس غبريال المحرقاوى .

وكـان رئـيـس ذلـك الـديـر حـيـنـئذ رجلا فاضلا يدعى القمص عبد الملك الهورى فأعجب باخلاق الراهب بولس السامية ومدحه على وداعته وتواضعه وطهارة سيرته واقتداره على ضبط نفسه

ومواظبته على الصلاة منفردا الامور التى التى جعلت له مركزا عاليا فى نفوس الرهبان فأحبوه حبا جما

وسمع أسقف المنيا اذ ذاك وهو الانبا ياكوبوس بتقوى هذا الاب وفضيلته فاستدعاه اليه وسلمه ادارة الاسقفية وكلفه بملاحظة الغرباء والمساكين الذين يلجأون الى القلاية فقام بخدمتهم خير قيام ومن ثم رسم قسا . و بعد زمن تاقت نفسه الى الرجوع للدير فرجع وكان الرهبان قد طلبوا عزل رئيسهم لانه لم يكن يدخر من ايراد الدير شيئا واتفقت كلمتهم على اختيار القس بولس رئيسا لهم فتقدم الدير فى مدة رئاسته اذ سعى جهده فى تحسين أحواله الداخلية والخارجية فغرس به كروما ورمم ما تهدم منه واشترى لـه أطيانا وأنتظمت أحواله حتى أقبل الكثيرون على اعتناق طقس الرهبنة تحت رئاسته الى ان رسم مرة فى دفعة واحدة اربعين راهبا منهم الانبا بطرس مطران تغريا بالحبشة والانبا متاؤس مطران الحبشة والانبا مرقس مطران اسنا والانبا باخوميوس اسقف الدير المحرق .

واتصل خبر شهرته بالاحسان وعمل الخير الى آذان الفقراء والمساكين فلجأوا الى الدير أفرادا وجماعات وهو يعتنى بهم أعتناء زائدا و يظهر ان سروره وراحته فى خدمتهم . ولبث خمس سنوات فى خدمة الدير وهو يقوم بهذه الخدمة فاعترض عليه الرهبان وحذروه لئلا يأول ذلك الى خراب الدير ولكنه استمر يعتنى بكل اللاجئين اليه حتى زاد عددهم عن الرهبان . فقام هؤلاء طالبين عزله . وكان الانبا مرقس مطران البحيرة فى وكالة كرسى البطر يركية فاضطر ان يوافق الرهبان و يعزل القس بولس ويخرجه من الدير فتركه مشيعا بدموع البائسين ورافقه الى البطر يركية بعض تلاميذه المخلصين منهم الانبا متاؤس مطران الحبشة وقابل المطران فارسله الى دير الانبا بشوى مع أولاده الرهبان فلم يقم به طويلا وذهب الى دير البرموس حيث كان رئيسه القس يوحنا الناسخ (وهو غبطة البابا كيرلس الخامس) فقبله مرحبا به فانقطع فى قلايته الى العبادة ومطالعة الكتاب المقدس حتى حفظ أغلب نصوصه غيبا وقال بعض الرهبان أنه كان يطالع الكتاب كل اربعين يوما مرة ولم يكن يتحصل على قليل من المال حتى يتصدق به على المحتاجين

وفى سنة ١٥٩٧ ش و ١٨٨٨ م أختير اسقفا للفيوم بدون علمه وذلك ان ملك الحبشة أرسل يطلب من غبطة البطر يرك أن يقيم للحبشة ثلاثة أساقفة و يوفدهم اليه فرسم له القمص أقلاديوس الخالدى (الانبا متاؤس) والانبا لوكاس والانبا بطرس وكان هؤلاء قد لازموا معلمهم القس بولس ولما رأوا ان كرسى الفيوم قد خلا بعد نياحة أسقفها الانبا أيساك أبوا أن يتركوا الدير ما لم يقم معلمهم اسقفا على الفيوم فاجاب غبطة البابا طلبهم ورسم القس بولس باسم الانبا أبرآم وسار لاستلام مركزه الجديد و بعد أستلامه بقليل فاح عبير فضله وانتشر صيت قداسته فى كل مكان . فأم دار اسقفيته كثيرون من كل طبقة فكانوا يجدونها ملأى بالفقراء الذين كانوا يلجأون

اليها بالمئات والالوف فكان يهبهم كل ما يكون لديه من المال . وقد جعل بدار الاسقفية مأوى لكثيرين منهم وطالما كان يقدم ثيابه للعرايا وطعامه للجياع ولما رأى منه ذلك الزائرون رتب كثيرون منهم على أنفسهم عوائد يقدمونها لهذا الاب لينفقها على أولئك المساكين .

ولم يكن يسمح قط هذا القديس بان يقدم له طعام أفخر مما يقدم للفقراء و يدل على ذلك ان راهبة تدعى بسيمة رئيسة راهبات ديرمارجرجس بحارة زويلة كانت ممن وقعوا على عزل غبطة البابا الانبا كيرلس الخامس ولما رفعت من وظيفتها لاذت بالانبا ابرآم فشفق عليها واقامها لتدبير مائدة المساكين واشترط عليها ان لا تميز بين أكلهم وأكله واتفق مرة أنه نزل ليتفقد جماعاتهم وهم يتناولون طعامهم فادهشه أن لاحظ أن الطعام الذى قدم اليه فى ذلك اليوم كان أكثر تأنقا مما وجده أمامهم فساوره الحزن واقال الراهبة الموكلة بخدمة الفقراء من عملها فى الحال فأصيبت بالشلل بعد ذلك بقليل

وذات يوم طلبت منه امرأة فقيرة أحسانا ولما لم يجد مالا أعطاها شالا حريريا أهدى اليه لتبيعه وتنفقه على حاجتها واتفق أن صاحب الشال شاهد المرأة وهى تبيعه فاشتراه منها واعاده اليه ورجعت المرأة معه تشكى من قلة المبلغ فطلب الاب من المحسن أن يعطى المرأة عشرة جنيهات لتسد اعوازها فأطاع وأعطاها .

ومرة أخرى جاءت اليه امرأة تستنديه ولم يكن معه سوى جنيه واحد فأعطاه لها واذ علم وكيل الدير بالامر اسرع خلف المرأة واخذه منها واعطاها ريالا فرجعت المرأة الى الاب وقصت عليه الخبر فوبخ الوكيل لاسيما لما أخبره أنه ليس بالاسقفية شيء ولامه على عدم أيمانه وطلب منه أن يعطى المرأة ما أخذه منها ولم يمض القليل حتى وردت بالبوستة نقود وغلال

وجاء يوما الفقراء يشكون من أن الطباخ أستعاض لهم مرتبهم من اللحم بقطع العظم فاراد أن يتحقق الامر بنفسه . فنزل ليلا وقت العشاء متخفيا واندس بين الفقراء كأنه منهم وتناول معهم نصيبه من اللحم واذا به قطعة عظم فقام فى وجه الطباخ وأشهر العظمة بيده وعنفه تعنيفا شديدا وعزله من وظيفته وقيل أنه فقد بصره بعد خروجه من عنده

ومما يدل على اقتران تقواه بعلمه أنه جاءه يوما بعض أشخاص طلبوا للعسكرية يلتمسون منه أن يدعو لهم باطلاق سراحهم فدعا لهم وأطلق سراحهم وجاءه بعدهم آخرون وطلبوا منه نفس الطلب فاجابهم اذا كان الجميع يريدون الاستعفاء من خدمة الحكومة فمن الذى يوكل بحراسة الامن وصرفهم

وكان من عاداته ان يلقى على زائريه دائما نصائح وتعاليم وعظات تنبيء باتساع مداركه فى معرفة أسفار الكتاب كما أنه كان يقضى وقته كله اثناء زياراته لبلاد أبروشيته فى القيام

بالوعظ وتوحيد القلوب ونزع الضغائن . وكان اذا طلب منه أن يرسم كاهنا يبحث عن سلوكه وآدابه و يدقق طو يلا فى أختبار أحواله

ومع أمتداد شهرته ووصول صيته الى كل سمع لبثت فضيلة التواضع تز ينه طول حياته حتى أنه لما أستدعاه اليه غبطه البطر يرك ليرفعه الى درجة المطرانية جزاء فضله أمتنع عن القبول ورد عليه يقول « أنى أحب أن أكون دائما حقيرا فى ملكوت الله »

ومن صفاته أيضا أنه كان صريحا الى أقصى حدود الصراحة فى أبداء رأيه ولا ينظر فى ما يقول الا الى الحق لذاته فتتضاءل عنده هيبة العظماء ومقامات الكبراء أمام هيبة الحق وجلاله حتى كان الاباء المطارنة والاساقفة يتقون غضبه و يتمنون رضاه . ومن ذلك أنه حدث مرة أن عاب رئيس كنيسة قبطية أحد المطارنة فانعقد مجلس كنسى لمحاكمته وطلب من المطران أن يصفح عن الكاهن فأبى فالتفت الانبا ابرآم الى المطران وقال له اظنك تعرف الصلاة الربانية فأرجوك تلاوتها فأخذ يتلوها حتى وصل الى القول « وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر للمذنبين الينا » فقاطعه القديس وقال له اذا كنت تعتقد بصحة ما تصلى به فقم وصافح أخاك وقبل رأسه والا فأنت تكذب على الله عندما تتلو صلا تك فلم يجد المطران مناصا من مسامحة من أساء اليه

وحدث أيضا أن قسا قبل فى كنيسته أسقفا جرد من رتبته الكهنوتية فعقد مجمع لمحاكمته وأقر الجميع على ادانته ولما طلب من الانبا ابرآم ابداء رأيه أجاب « أن القس لم يعمل الا ما أمر به السيد المسيح من اضافة الغرباء ومحبة الاعداء » وكان أحد الباشوات حاضرا فقال له « ولكن هيئة المجمع ترى ادانة القس » فاجابه « ولماذا اذا دعوتمونى اذا لم تكن لى الحر ية فى ابداء رأيى » فنبهه الحاضرون الى أنه يكلم فلانا العظيم فاجابهم « أهو أعظم من الله الذى سمح لعبد من عبيده كموسى أن يكلمه » ثم أخذ يدافع عن القس حتى أقنع الجميع ببراءته

وفوق هذه الصفات جميعها التى تحلى بها هذا القديس فان الله قد وشحه بنعمة أعظم وهى صلاة الايمان الامر الذى أشتهر به و بواسطته جرت على يديه آيات شفاء عديدة حتى ذاع اسمه فى جميع أنحاء القطر و بلغ بعض مدن اورو با أيضا فكان يقصده المرضى أفواجا على تباين اديانهم

وتتداول الالسنة من تلك العجائب التى اجراها الشىء الكثير فمنها أنه شفى امرأة مسلمة من بلوط (بمدير ية اسيوط) من مرض الشلل الذى عطل جسمها ولسانها و بعد ثلا ثة أيام لز يارته وصلا ته عليها شعرت بالقوة تدب فى جسمها وقامت بكل صحة . وحدث أن أمرأة لرجل بروتستانتى لم تكن ترزق بنسل نذرت ان أعطاها الله ولدا تعمده بيد الانبا ابرآم فلما أعطيت نسيت العهد فشاهدت ليلة رؤ يا بهيئة قسيس بلباس أبيض و بيده صليب فخافت على ولدها وتممت النذر .

وغير هذه الحوادث كثير. أما عجائبه فى اخراج الشياطين فلا يحصيها العد و بالجملة فقد شرفه الله بهذه الموهبة الخارقة للعادة فجد أسمه ورفع شأن ديانته .

وظل الانبا ابرآم قائما باعباء وظيفته حتى لحقه مرض فى بشنس سنة ١٦٣٠ ش وكان يشتد عليه فى كل يوم وهو يتحمله بصبر وشكر حتى وهو فى عنف المرض لم يكن يسمح لنفسه بشيء مما تشتهى وقيل أنه حينئذ تاق الى أكل الحمام وطلب منه شيئا فاحضر اليه ولكنه أبقاه عنده ثلاثة أيام حتى أنتن وتصاعدت رائحته الكريهة ومن ثم وضعه أمامه وقال مخاطبا نفسه « ها قد أجبت لك سؤلك يانفسي فكلى مما ستصير ين أنتن منه » و بعد ذلك طرحه

وأنتقل الانبا ابرآم الى السماء فى شهر بؤونه سنة ١٦٣٠ ش وفى ١٠ يونيو سنة ١٩١٤ م فشيعه الى القبر عشرة آلاف نفس من المسيحيين والمسلمين ودفن فى منامة أعدها لنفسه بكنيسة أبى سيفين

(٤) الايغومانوس فيلوثاؤس ابراهيم :

ولد بطنطا سنة ١٨٣٧ م و بعد أن درس العلوم فى المدارس واتقن اللغات القبطية والعربية والايطالية عين قسيسا لطنطا سنة ١٨٦٢ م فانكب على كتب اللاهوت يطالعها حتى برع فى الوعظ فانتشر أسمه فى كل جهات القطر و بعد ما رفع الى رتبة أيغومانوس سنة ١٨٦٥ م طلبه البابا ديمتريوس ٢ ليرافقه فى رحلته بالوجه القبلى سنة ١٨٦٧ م فاظهر مقدرة فائقة فى الخطابة حتى رد كثيرين للكنيسة ممن تمذهبوا بالمذاهب الحديثة .

وفى أكتوبر سنة ١٨٧٤ م أنتخبه المجلس الملى راعيا وواعظا للكنيسة الكبرى ورئيسا لمدرسة أنشئت خصيصا للرهبان فابدى ما دل على أقتداره وما رفع مركزه فى عيون الامة ولبث يخدم الى ان توفاه الله فى ١٠ مارس سنة ١٩٠٤ . وله المؤلفات البليغة الاتية التى دافع فى بعضها دفاعا مجيدا عن عقائد كنيسته ضد المتهجمين عليها من البابا و يين وهى (١) نفح العبير فى الرد على البشير (٢) الحجة الارثوذكسية ضد اللهجة الرومانية (٣) تنوير المبتدئين فى تعليم الدين (٤) كتاب خطب ومواعظ (٥) الخلاصة القانونية فى الاحوال الشخصية .

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) يوسف باشا الصدر الاعظم :

وقع المسيحيون وعلى الخصوص الاقباط منهم فى آلام مرعبة فى زمن ولاية يوسف باشا الصدر الاعظم سنة ١٨٠١ م فكانت الجنود التركية تجول فى احيائهم وتدخل بيوتهم مواصلة السلب والنهب والفتك بين آن وآخر. وقتل يوسف باشا ثلاثة من أعيان الاقباط بدعوى أنهم كانوا من أنصار الفرنسويين وأخذت أموالهم وممتلكاتهم ففر كثيرون من الاقباط من أمام وجه الاتراك ووضع هؤلاء غرامة بصفة فدية عن أنفسهم .

(٢) محمد على باشا :

وقد تولى محمد على باشا زمام الاحكام فى مصر سنة ١٨٠٥ م وقد اخذ يعتدل ميزان الزمان بالاقباط فصاروا يتدرجون فى الحصول على السلام والطمأنينة ولم تقع بهم الا اضطهادات خفيفةفمن ذلك أنه فرض عليهم غرامة تقدربمائتى الف ريال ليصرف منها محمد على باشا مرتبات جنوده وأمر اثنين من كبار الاقباط الكاثوليك وهم المعلم غالى وورثة فيكتور وكيل دائرة عثمان بك البرديسى الذى مات وقتئذ بان يدفعا من المبلغ ثمانيين الفا والباقى يدفعه الاقباط الارثوذكس

ولما كان محمد على رجلا بعيد النظر رأى أحتياجه شديدا لمساعدة المسيحيين نظرا لامانتهم أكثر من المسلمين فاستخدم منهم كثيرين من الارمن والكاثوليك ولم يرغب فى استخدام الاقباط خوفا من ان يزداد نفوذهم وتتقوى شوكتهم فيقاومونه باعتبارهم أصحاب البلاد منذ القديم . الا أنه أمر بابطال الاضطهادات ومنع كل تعد بل كان يعاقب عقابا شديدا من كان يعرف عنهم أنهم يدعون الى الفتنة الدينية ثم كتب العلامة السيد اسماعيل الوهبى رسائل مؤيدة بآيات قرآنية مضمونها لزوم الكف عن اضطهاد النصارى والاعتذار عنهم بان الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساويين حماية أعراضهم وأموالهم

وشعر محمد على أنه من المستحيل الاستغناء عن الاقباط وكانت ثقته بهم قد تزايدت نظرا لميلهم الى الهدوء والسكينة فوزع خدمة الوطن على أهله كل بما له من الاهلية وخص القبط بما امتازوا به من الاعمال الحسابية وضبط الايرادات والمصروفات حتى قال أحد الانجليز الذى حضر الى مصر فى أيامه سائحا فى تقرير رفعه الى رئيس مجلس وزراء أنجلترا وعرض على البرلمان « ان الاقباط للقلم بمثابة المحراث للفلاح »

ولا تساع مصالح البلاد على يد محمد على كثر عدد الموظفين الاقباط فأخذ نفوذهم فى الامتداد وأصبح بينهم وجهاء كثيرون . قيل وكان تعداد الاقباط قليلا جدا فى ذاك الوقت حتى أنه لما أراد محمد على أن يحصر تعدادهم وجدهم ١٥٠٠٠٠ نفس فقط ولكن عمال التعداد نسوا حارة من القاهرة وهذا أقل عدد وصل اليه الاقباط بعد أن كانوا يعدون بعشرات الملايين فى مصر والسودان الا أنه فى سنة ١٨٥٥ م قد أحصاهم البطريرك فوجد عددهم لا يقل ولا يزيد عن ٢١٧٠٠٠ نفس بينما كان كل تعداد سكان القطر المصرى فى ذلك الحين خمسة ملايين من النفوس

وفى يوم ١٧ برمهات سنة ١٥٦٠ ش و١٨٤٥ م قضى على قبطى بدمياط يدعى سيدهم بشاى كان موظفا بالاسكندرية فى وظيفة كتابية فادعى عليه بعضهم زورا أنه سب الدين الاسلامى وشهد عليه اثنان احدهما بربرى والاخر حمار وبناء على ذلك حكم القاضى الشرعى بجلده فضرب بشدة عظيمة ثم أركبوه جاموسة مقلوبا وطافوا به البلد وهم ينخسونه بالابر والاسياخ الحديدية ولطمونه بالزفت المغلى حتى وقفوا به أمام دار المحافظة وهو على حافة الموت

وبعد ذلك حملوه الى منزله فاتكفا أمامه وأخذه أهله فمات بعد خمسة ايام اما المسيحيون على اختلاف مللهم ونحلهم فقد أعتبروا موته استشهادا واجتمعوا واحتفلوا بتشييع رفاته احتفالا لم يسبقه نظير. ولبث الناس مدة يتحدثون بفظاعة هذا الامر وقرر المسيحيون رفع مظلمتهم لقناصل الدول ليعرضوا أمرهم على محمد على باشا وكان أحدهم الخواجا ميخائيل سرور معتمدا لسبع دول فرفع تقريرا وافيا بما حصل للخديوى الذى بعد ان وقف على الحقيقة أمر باعادة التحقيق بالدقة المتناهية فاسفر عن ادانة القاضى والمحافظ فخلعهما من وظيفتيهما ونفاهما ثم خاطب ميخائيل سرور بما تم فطلب منه ترضية للخواطر أن يسمح للمسيحيين برفع الصليب جهارا أمام جنازاتهم فسمح الخديوى بذلك فى الاسكندرية . أما فى مصر وغيرها من البلاد فلم يسمح لهم برفع الصليب أمام الموتى الا فى عهد البابا كيرلس الرابع

(٣)سعيد باشا :

ولما تولى مصر عباس باشا الاول سنة ١٨٤٩ م عزم على تقليل نفوذ الاقباط من الدواوين فاختار أربعة من طلبة المدارس الاميرية وسلم كل رئيس ديوان واحدا منهم ليعلموهم مسك الدفاتر ويمرنوهم على الاعمال الحسابية . ثم صمم على طرد الاقباط من البلاد اذا ابوا الاسلام فساد بينهم

الخوف والذعر غير ان المنية عاجلته بالقتل و بذا تخلص الموظفون الاقباط من هذه الورطة التى كانوا يحسبون لها حسابا عظيما حتى أن بعضهم لما مضى عليه شهر أو شهران وتحقق فى تلميذه عدم الميل للتعليم قال أنه لم يبق من عمره سوى عشرة أشهر وهكذا كل ما مضى عليه شهر آخر فكان يتوقع الموت على الدوام و يستعد له وتولى مكانه سعيد باشا سنة ١٨٥٤ م وكان الاقباط قد أنتهوا الى حالة يتمكنون معها على المعيشة مع مواطنيهم المسلمين الا انه حظر عليهم استعمال السلاح منذ قاموا بالدفاع عن أنفسهم تحت قيادة الجنرال يعقوب . وكانوا ممنوعين من التجنيد خوفا من خيانتهم للجيش الاسلامى الا ان سعيد باشا أصدر أمرا بضرورة تجنيدهم فاتخذ ذلك بعض المسلمين آلة لاضطهادهم فقبضوا فى أسيوط على كل الذكور فى أغلب البيوت القبطية وساقوهم للعسكرية ولم يتركوا ولا واحد منهم لاعالة النساء والاولاد

وكان قواد الجيش المسلمين يستبدون بالعساكر الاقباط و يعاملونهم بقساوة ليعتنقوا الاسلام . فلما رأى البابا كيرلس الرابع شكى أمرهم الى ذوى النفوذ من موظفى الانجليز فى مصر فأرغم سعيد باشا على أعفاء الاقباط من الخدمة العسكرية . قيل وكان ذلك سبب غيظه من البطريرك وسمه اياه . وقد عرض الفرنساويون على البطريرك استخدام نفوذهم فى مساعدته بشرط ان يصدر امرا الملك الحبشة ليصرح بدخول اليسوعيين الى بلاده فرفض مساعدتهم و بعد موت البطريرك صارت الحكومة تطرد مئات من موظفى الاقباط .

وكان سعيد باشا قد الغى فى أيامه دواوين الحكومة ومصالحها واعطى لمستخدميها المستغنى عنهم اطيانا ليزرعوها و يعيشوا منها غير انه لما تولى أسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م وأعاد الدواوين والمصالح واستخدمهم فيها أخذ منهم الاطيان

(٤) الاحتلال الانجليزى :

وفى أيام توفيق باشا الذى خلف أسماعيل باشا سنة ١٨٧٩ م حضر وفد من قبل ملك الحبشة يحمل هدايا نفيسة للخديوى وللبطريرك و يطلب من توفيق باشا استمرار العلاقات الودية بينه و بين حكومة مصر . وفى سنة ١٨٨٢ م حدثت ثورة عرابى باشا وقام رعاع الاسكندرية بمذبحة عظيمة قاسى فيها المسيحيون كل أنواع العذاب فلجأ الاجانب منهم والوطنيون الى بطريركية الاسكندرية وهاجر كثيرون منهم الى داخل البلاد

وفى اثناء ذلك حدثت ثورة المهدى بالسودان وقبل استيلائه عليه تركه النصارى وأووا الى القطر المصرى وأسقف الخرطوم و بعض الكهنة الذين لم يتمكنوا من الهرب أرغموا على اعتناق الاسلام

وروت مدام بوتشر ان الجنرال غوردون سنة ١٨٨٥ وجد باقيا بالسودان اسقف قبطى من

الكنيسة المصرية وكان فى ابروشيته سبع كنائس ودير للراهبات و بعث الجنرال غوردون الاسقف بامان الى القاهرة قبل سقوط مدينة الخرطوم فى أيدى الدراو يش و بعد ذلك أعتزل الاسقف الخدمة الدينية ولا ر يب ان رعيته وكنائسه ذاقوا الو يل فى عهد المهدى وتوفى الاسقف سنة ١٨٩٧م

(٥)الحالة ا لحاضرة :

الاقباط الان فى رغد ونعيم وهم فى راحة لم يفوزوا بمثلها فى عصر من العصور وكثيرون منهم من ذوى الحيثيات والمقامات الرفيعة فى البلاد . ولما قامت الحركة الوطنية سنة ١٩١٩م أنضموا لمواطنيهم المسلمين طالبين أستقلال البلاد فقدر لهم مواطنوهم هذه الوطنية العالية واصبح العنصران فى حالة تآخ لم تتم فى وقت غير هذا . أما عددهم فيبلغ مليونا وأحدا يقيم الان ثلا ثة أرباعه بالوجه القبلى و باقية فى الوجه البحرى . والاقباط الارثوذكس فقط يبلغون ٧٥٤٧٧٨ نفسا . المتعلمون منهم ١٤٦٧١٦ وعدد عائلاتهم ١٢٦٥٠ عائلة

القسم الرابع

البـــدع والانشقـاق

(١) الارساليات الكاثوليكية
(٢) الارساليات البروتستانتية

---

(١) الارساليات الكـاثوليكـية :

فصلنا آنفا المساعي المتواصلة التى بذلها اساقفة الكنيسة الرومانية لاخضاع الكنيسة القبطية لهم وكيف فشلوا فى كل ما سعوا . ولما أحتل الفرنساو يون مصر من سنة ١٧٩٨ — ١٨٠١ م دخل بدخولهم كثير من الافرنج ولم يتركوها بعد خروج الفرنساو يين بل لبثوا يتمتعون بحماية فرنسا . ولما تولى محمد على باشا مصر سنة ١٨٠٥ — ١٨٤٨ م استخدم من هؤلاء كثيرين فى مصالح عديدة وتتابعت الارساليات اللاتينية من فرنشسكان وفرير وجزويت لبث المذهب الرومانى ولكنهم لم ينجحوا

وذكر فى كتاب «نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » ج ١ : ١١٧ ما يأتى :—
«قد سعى فى أيام محمد على باشا بضم كنيسة مصر الى كنيسة رومية لان التنظيمات الجديدة التى صارت فى مصر كانت بواسطة رجال فرنسا وعلمائهم فلما رأى محمد على باشا نفسه مغمورة بجزيل معروفهم رام ان يقابلهم بمثله واذ احتار فيما يقوم به نظير ذلك نصحه أحد قواد الجيش وكان بابويا أن يسعى فى ضم نصارى مصر الى كنيسة رومية فيجد بذلك الافرنج فعلا جميلا ومعروفا يوازى معروفهم فاستدعى المعلم غالى الذى كان كبير الكتاب آنئذ وامره ان يفعل ذلك فوقع فى حيص بيص وخاف من وقوع الفتن بين الطائفة فجاب الباشا قائلا « أن استمالة الطائفة جميعها الى مذهب كنيسة رومية دفعه واحدة لا تنتهى بدون قلاقل وسفك دماء كثيرين فنرى الاحسن ان يكون ذلك بسياسة وتدريب اننا نعتنق نحن اولا المذهب البابا وى بشرط ان لا نكره على تغيير طقوسنا وعائدنا الشرقية وبذلك أن تميل أفراد الطائفة رويدا رويدا فقبل الباشا هذا الرأى الاخير واخبر الافرنج ففرحوا وشكروا فعله فأنقلب من ثم المعلم غالى وابنه باسيليوس بك ورهط قليل من اشياعهما فى مصر واخيم باباويين بالظاهر وهم يضمرون انهم بعد حين يعودون الى حضن كنيستهم ومع ذلك ما زالوا يعتبرون كهنة الارثوذكسيين حق الاعتبار ويعمدون أولادهم عندهم » أهـ

غير ان كثلكة المعلم غالى لم تأت بنتيجة فنبذ وأهله من الارثوذكسيين ولم يتبعه أحد منهم .
وأرسل المعلم غالى قبطيا من قبله الى اسقف رومية ليعينه بطريركا على مصر يكون هو واتباعه

خاضعين له كل ذلك ارضاء للفرنساويين وتقربا منهم ليحفظوا له مركزه فى الحكومة المصرية ويخلصوه من المغارم بيد ان محمد على باشا ادرك خطورة هذا الامر فى ما بعد وعده تثبيتا لقدم الافرنج فى مصر وعلم ان كثلكة المعلم غالى كانت للغرض المؤما اليه فكان ذلك من جملة الاسباب التى دعت الى قتل المعلم غالى بزفتى فى اوائل مايو سنة ١٨٢٢ م

و يعرف أتباع المعلم غالى التابعون الان للمذهب الرومانى «بالاقباط التبع» واطلقوا على انفسهم أسم «الاقباط الكاثوليك» والحقيقة ان لفظة كاثوليكية ومعناها «جماعة» هى أحدى علامات الكنيسة الارثوذكسية الاربع التى هى «واحدة . مقدسة . جامعة رسولية» وسميت الكنيسة «جامعة» لانها تضم فى حضنها جميع الامم بدون استثناء كقول السيد المسيح «أذهبوا وتلمذوا جميع الامم» (مت ٢٨ : ١٩) اما الكثلكة أصطلاحا فهى التتبع للمذهب اللاتينى ومن ثم فالقبطى الكاثوليكى هو التابع لكنيسة اللاتين الرومانية الفاقد لاستقلاله الدينى (١)

واول بطريرك اقيم على الاقباط التبع هو كيرلس مقار سنة ١٨٩٩ م حال رسامته بدأ ينشر المنشورات متطاولا فيها على المقام البطريركى الجليل داعيا أبناء الكنيسة القبطية الى الانضمام لاسقف رومية ثم طاف فى الوجه القبلى يبث أفكاره و يزعج الخواطر بتعاليمه فاضطر البابا كيرلس الخامس الى مقاومته وردعه فحرر منشورا يحذر فيه ابناءه من الانقياد لهؤلاء القوم مذكرا اياهم بجهاد آبائهم فى حفظ أيمانهم ودفاعهم عنه الدفاع الجليل الذى رفع شأنهم وخلد ذكرهم .

فباء كيرلس مقار بالخيبة اذ لاقاه ابناء الكنيسة بالاستياء وعنفه بعضهم فى قنا فعاد الى القاهرة يجر خلفه أذيال الخزى والعار . وقد عز عليه ذلك فسافر برسالة من رئيسه ساكن قصر الفاتيكان الى نجاشى الاحباش منليك الثانى فى مهمة ظاهرها سياسية يطلب أطلاق سراح الايطاليين و باطنها السعى لدى منليك لادراك بعض المزايا الدينية فتخوف بعض كبار الاقباط من هذا الامر ولبثوا فى قلق حتى قدم كبير حبشى من بلاده الى الدار البطريركية فسئل عن الحقيقة فاجاب «لا تخافوا لاننا نفضل أن نرى الموت الاحمر من أن نغير عقيدتنا الارثوذكسية» ثم قال «حدث فى عهد مليكنا السابق يوحنا أن شذت فيئة واعتنقت المذهب الكاثوليكى وشيدت لها كنيسة فلما علم بهم أمر بقتلهم وهدم كنيستهم وهدد كل حبشى يعتنق المذهب بالموت ومن ذلك الحين و بلادنا نظيفة من ذلك المذهب»

(١) مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٦٩ و٧٠

وقد تحقق هذا القول فلم يفلح كيرلس مقار فى مهمته مع ما تجشمه من الصعاب والاهوال فكان ذلك عظة وعبرة وادرك انه أخطأ فى ترك عقيدة آبائه الارثوذكسية وجاهر بذلك أمام كثير ين من أصدقائه الاخصاء الذين أسر لهم نيته في العودة الى الكنيسة الاصلية فشاعت هذه الاخبار و بلغت مسامع اسقف رومية فعزله وعين آخر مكانه ومن ثم عزم على وضع كتاب فى صحة العقيدة الارثوذكسية وموافقتها لاحكام المجامع المسكونية الثلاثة كل الموافقة بدون أقل أنحراف فتوسط لديه كثيرون من قبل اسقف رومية لكى يمنع نشره أو يؤخره ولكنه نشره بالفرنساو ية ودعاه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » نفى فيه عصمة البابا ورئاسته واثبت فضل الكنيسة الارثوذكسية واتى هذا الكتاب بنتيجة حسنة فانضم عقب ظهوره عدة عائلات من الاقباط الكاثوليك الى كنيستهم الاصلية نخص منهم بالذكر عائلة القمص بطرس العتر وعائلة الاشقر وعائلة نصر الله عريف وهذه العائلات الثلاث وحدها تشمل نحو مائة وخمسين نسمة

والغريب انه بعد ظهور هذا الكتاب أقام الاقباط التبع لكيرلس مقار بعد وفاته جنازا عاما فى كل الكنائس ومدحوه مدحا زائدا ناسين أنه بكتابه أستنكر قيام كنيسة خاصة منهم منفصلة عن كنيستهم الارثوذكسية

(٢) الارساليا البروتستانتية :

دخل الذهب البروتستانتى الى مصر فى منتصف القرن التاسع عشر عندما جاء مرسل أمريكانى يدعى الدكتور لانسن واقام بالاسكندرية وجاء بعده مرسل أسكوتلندى هو الدكتور يوحنا هوج و بعدما لبثا بالاسكندرية مدة أخذا يطوفان البلاد راكبين النيل يدعوان الى مذهبهما . وفى سنة ١٨٦٢ م جعلا موضع تبشيرهما القاهرة . و بعد ذلك أنطلق الدكتور هوج الى أسيوط سنة ١٨٦٥ م واتخذها مقر عمله واستطاع أن يؤسس بها كنيسة بروتستانية سنة ١٨٦٧ م

وذكر فى كتاب « الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة » أن بعض البروتستانت تجرأوا فى أسيوط على الهجوم على كنيستها ليلا وكسروا أيقوناتها فشكاهم البابا ديمتريوس الثانى للخديو فاصدر أمرا بنفيهم الى البحر الابيض فالتجأوا الى قناصل الدول طالبين حمايتهم فلبت طلبهم ودفعت عنهم قصاص النفى فكان ذلك داعيا الى زيادة البروتستانت فى أسيوط » وانشق من المذهب البروتستانتى مذاهب أخرى كالبلموسى والاصلاحى والسبتى والرسولى والحافى وغيرها

خـــاتمـــة

بين الماضى والحاضر

(١) الابروشيات (٢) الكنائس
(٣) الاديرة (٤) اللغة القبطية
(٥) الوعظ والمدرسة الاكليريكية

---

(١) الابروشيات :

كثرت الابروشيات فى القطر المصرى بكثرة عدد المؤمنين حتى بلغت ١٦٨ أبروشية فى القرن الثامن ثم أخذت تتناقص الى ان صارت ١١٠ فى القرن العاشر حسب جدول جرجس بن مسعود الشهير بابى المكارم ثم الى ٥٢ فى القرن الحادى عشر والثانى عشر واليك أسماؤها :

أولا ــ فى الوجه البحرى :

١ ــ سخا ، ٢ ــ تنيس ، ٣ ــ تلبانة ، ٤ ــ أبوصير ، ٥ ــ منوف ، ٦ ــ نوسا ، ٧ ــ نسرورة ، ٨ ــ بنا ، ٩ ــ دمنهور ، ١٠ ــ سرسنا ، ١١ ــ أتريب ، ١٢ ــ سمنود ، ١٣ ــ دمياط ، ١٤ ــ دميرة ، ١٥ ــ سهرجت ، ١٦ ــ طنطا ، ١٧ ــ البرلس ، ١٨ ــ صا ، ١٩ ــ خربتا ، ٢٠ ــ مصيل ، ٢١ ــ رشيد ، ٢٢ ــ بلبيس ، ٢٣ ــ قطور ، ٢٤ ــ دقميرة ، ٢٥ ــ و ، ٢٦ ــ الواحات ، ٢٧ ــ سنجار .

ثانيا ــ فى الوجه القبلى :

٢٨ ــ أطفيح ، ٢٩ ــ أهناس ، ٣٠ ــ القيس ، ٣١ ــ طحا ، ٣٢ ــ أنصا ، ٣٣ ــ أسيوط ، ٣٤ ــ قاو ، ٣٥ ــ البلينا ، ٣٦ القصير ، ٣٧ ــ طموية ، ٣٨ ــ الفيوم ، ٣٩ ــ البهنسا ، ٤٠ ــ الاشمونين ، ٤١ ــ قسقام ، ٤٢ ــ شطب ، ٤٣ ــ أخميم ، ــ ٤٤ ــ هو ، ٤٥ أرمنت ، ٤٦ ــ أسنا ، ٤٧ ــ دندار ، ٤٨ ــ أسوان ، ٤٩ ــ قوص

وكان فى مصر ثلاث أبروشيات ــ ٥٠ ــ مصر ، ٥١ ــ الجيزة ، ٥٢ ــ الخندق

وما يأتى ننقله عن كتاب «خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر» «وأستمرت الابروشيات فى التناقص الى أن باتت ١٧ أبروشية فقط فى القرن السابع وهى الان ١٤ أبرشية كما يؤخذ من الجدولين الاتيين :ــ

فى القرن السابع عشر	فى القرن العشرين
(١) الاسكندرية ـ ٢ البحيرة ـ ٣ منوف	١ ـ صارت الان هذه الابروشيات الثلاث يرأسها مطران مقره الاسكندرية وهى أبروشية الاسكندرية والبحيرة والمنوفية وبعض مدن فى مديرية الغربية والأديرة البحرية
٤ ـ دمياط والمنصورة ٥ ـ بلبيس ٦ ـ أطفيح	٢ ـ صارت أبروشية واحدة يرأسها مطران مقره المنصورة وهى أبروشية القليوبية والدقهلية والغربية والشرقية والقنال والاراضى المقدسة وتدعى ابروشية والاراضى المقدسة وتدعى ابروشية الكرسى الاورشليمى
٧ ـ الفيوم	٣ ـ صارت اسقفية الفيوم والجيزة يرأسها أسقف مقره الفيوم
٨ ـ البهنسا	٤ ـ الان أبروشية بنى سويف والبهنسا يرأسها مطران مقره بنى سويف
٩ ـ الاشمونين ١٠ ـ ملوى	٥ ـ الان ابروشية المنيا والاشمونين يرأسها مطران مقره المنيا
١١ ـ قسقام	٦ ـ الان أبروشية صنبو وقسقام يرأسها مطران مقره صنبو
١٢ ـ منفلوط	٧ ـ الان أبروشية منفلوط وابنوب يرأسها أسقف مقره منفلوط
١٣ ـ أسيوط	٨ ـ الان أبروشية أسيوط يرأسها مطران مقره اسيوط
١٤ ـ أبوتيج	٩ ـ الان أبروشية أبوتيج يرأسها مطران مقره أبوتيج
١٥ ـ طما	
١٦ ـ جرجا	١٠ ـ الان أبروشية مركز جرجا و بندره بهجوره وفرشوط يرأسها مطران مقره جرجا
	١١ ـ أبروشية أخميم وتشمل مركزى أخميم وسوهاج يرأسها مطران مقره أخميم
١٧ ـ نقاده	١٢ ـ أبروشية البلينا وتشمل مركز البلينا يرأسها مطران مقره البلينا
	١٣ ـ أبروشية قنا يرأسها قنا يرأسها مطران مقره قنا
	١٤ ـ أبروشية أسنا يرأسها مطران مقره أسنا

(٢) الكنائس :

كانت الكنائس القبطية عقب دخول المسيحية مصر رغما عن أضطهاد الوثنيين لمعتنقى تلك الديانة حتى بلغ عددها عند دخول الاسلام مصر زاهاء الـ ١٥ الف كنيسة . غير أنها لبثت تتضاءل تحت عنفوان التخريب والتدمير وتحويلها الى مساجد حتى أنتهى عدها الان الى ٥٤٦ كنيسة بالقطر المصرى و١٠ كنائس بكرسى النوبة . ويجدر بنا ان نذكر هنا ما قاله المستر بتلر المؤرخ الانجليزى عن الكنائس القبطية فى مؤلفه عنها :ـ

« واذا أنت طفت الكنائس المصرية ودخلت أصغر واحقر كنيسة من الكنائس رأيت علامات الرجاء والامل تبدو على جدرانها وقلما شاهدت فيها صورة تشير الى جهنم أو الى عذاب

مقبل بل قلما تجد فيها تمثال جمجمة باهتة ولا هيكل عظام عار ما يشير الى آلام وسقام ولكن ترى شهداءها تبتسم تماثيلهم المرسومة على الجدران كأن ما قاسوه من العذاب والاضطهاد لم يكن شيئا يذكر بل أصبح نسيا منسيا . وهناك نشاهد القديسين الابطال مصورين بشكل يدل على أنهم قتلوا ثعبانا أو أحد رؤساء هذا العالم الشرير دون أن يجدوا فى قتله عناء يذكر اما آلامهم واوجاعهم فليس لها اثر فى ذلك الرسم كما لا تجد صورة تمثل الخاطىء بعد موته مما تشمئز منه النفس وتنكمش لمرآه الروح » أهـ

(٣)الاديرة :

وقد بلغت فى العصور الاولى بضع مئات ولكن جلها قد أندثر ولم يبق منها غير سبعة اديرة منها أربعة بوادى النطرون وهى دير العذراء بالبرموس ودير العذراء المعروف بدير السريان ، ودير انبا بشوى ، ودير أنبا مقار ، وثلاثة بالوجه القبلى وهى : دير أنبا انطونيوس ، دير أنبا بولا ، ودير العذراء بالمحرق ، وتوجد بالقاهرة خمسة اديرة للراهبات هى ، دير مارى جرجس ، ودير أبى سيفين بمصر القديمة ، ودير الامير تادرس بحارة الروم ، ودير مارجرجس ، ودير العذراء بحارة زويلة

(٤)اللغة القبطية :

أما عن اللغة القبطية فقد ذكر أبو المكارم فى تاريخه عادة وهى لا تزال جارية فى أسنا وهى ان المسيحيين يحضرون فى اعراس المسلمين و يرأسون زفاف العريس فى الشوارع و يتلون نصوصا وحكما باللغة القبطية الصعيدية كان أهالى منقباد منذ ١٣٠ سنة يتكلمون بالقبطية وروى ان سيدة قبطية غطست طفلا لها فى نهر النيل وقالت بالقبطية ما معناه « هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت » فسمعها أحد الحكام وظن أنها تسبه فاستصدر أمرا بعدم جواز استعمال هذه اللغة . وكانت عدد القبانية بالمديريات منذ نحو ثلاثين سنة مرسوما عليها الارقام القبطية .

الا ان هذه اللغة نهضت بعد كبوتها فى منتصف الجيل التاسع عشر فنبغ فيها كثيرون منهم عريان أفندى جرجس مفتاح المتوفى سنة ١٨٨٨ م والايغومانوس فيلوثاؤس رئيس الكنيسة الكبرى والقمص تكلا والمعلم قزمان و برسوم أفندى الراهب فى زمن رئاسة البابا كيرلس الرابع فوضعوا فيها كتبا نافعة ونبغ فيها أيضا القمص عبد المسيح المسعودى واقلوديوس بك لبيب والدكتور ابراهيم حلمى ونجيب أفندى سمعان ولا يزال نهوضها بطيئا لضعف الروح القومية فى نفوس الاقباط

(٥)الوعظ والمدرسة الاكليركية :

بعد انقطاع صوت الوعظ من كنيستنا مدة ١٤٠٠ سنة لداعى تعطيل المدرسة اللاهوتية الاولى التى أنشاها مارمرقص الرسول رأى غبطة البابا كيرلس الخامس حاجة الكنيسة والامة لهذه المدرسة فأنشاها للمرة الاولى سنة ١٨٧٥ م وكان طلابها من رهبان الاديرة فلم يقبل عليها منهم الا النذر اليسير ولم تعش أكثر من بضعة شهور ثم أعيد أفتتاحها من جديد فى سنة ١٨٩٣ م واختير لها اثنا

عشر طالبا من طلبة المدرسة الكبرى وقتئذ واسندت رئاستها للطبيب الذكر المرحوم يوسف بك منقر يوس وتقرر أن تدرس فيها اللغات القبطية والعربية والانجليزية والرياضة . وكان مركز المدرسة سنة أفتتاحها بالفجالة (مكان مدرسة البنات الان) وبعد سنة أنتقلت الى الدار البطر يركية ثم الى دار فى سوق القبيلة واعيدت الى الدار البطر يركية . وبعد ذلك اشتريت لها سراى مهمشة فى سنة ١٩٠٢ م وانتقلت المدرسة اليها فى سنة ١٩٠٤ م ثم أعيدت ثالثة الى الدار البطر يركية واخيرا نقلت نهائيا الى مهمشة فى سنة ١٩١٢ م ولا تزال بها الى الان وقد أندمج ضمن طلابها فى خلال هذه المدة نحو ٤٠٠ طالب والذين تخرجوا منها هم الذين يرون الان فى الكنائس والجمعيات والمدارس قسوسا وشمامسة ووعاظا ومعلمين للدين الذين لولاهم لبقيت الكنيسة كما كانت قبل أنشاء المدرسة الاكليريكية خالية من الوعظ والتعليم والمؤلفات الدينية

وفى سنة ١٩١٨ م توفى يوسف بك منقر يوس فاسند غبطة البابا رئاستها لحضرة اللاهوتى البارع الشماس حبيب أفندى جرجس أول خريجى المدرسة فنجحت فى عهده نجاحا باهرا وتقدمت تقدما محسوسا بنبىء بانها تسعى بخطى واسعة لاعادة مجدها السالف ولصاحب هذا الكتاب الفخر بأنه أحد الذين تخرجوا فى أول سنة من عهد رئاسة هذا الشماس الفاضل سنة ١٩٢٠ م

(انتهى)

الانبا توماس : مطران المنيا والاشمونين

هو الرجل العظيم الذى قام باعمال جليلة جعلت لكنيسته مقاما عاليا . تغنينا عن اذاعة فضله تلك الكنائس والمدارس العديدة التى شيدها والتى تشهد له بأنه ممن يهتمون بالباقى لا بالفانى . هذا فضلا عن تشجيعه للعلم واهتمامه بنشر الوعظ فى دائرة ابروشيته حتى يصح ان يقال أنه ما من مشروع علمى نافع للكنيسة الا وله اليد الطولى فى أنجازه أمد الله فى حياته وجعله قدوة للاخرين فى خدمة الصالح العام .

هو أول من رفع صوت الوعظ عاليا فى كنيستنا بعد انقطاعه مدة أجيال طويلة وقد أنجب تلامذة كثيرين يعلو صوتهم بالوعظ فى أغلب مدن القطر . وهو يبذل فى كل يوم من جهده وقوته ليرفع شأن أمته بمواهبه العلمية . وتغنينا مجلة الكرمة الذائعة الصيت ومجهوداته العظيمة فى أصلاح المدرسة الاكليريكية عن الاطناب والمدح . أبقاه الله لخير كنيسته وأعانه على أتمام ما يحمل للكنيسة فى صدوره من الامانى المقدسة .

ملـــحق

كـان الأب لـويس شيخو اليسوعى قد نشر بمجلته « المشرق » بعض انتقادات على كتاب « تاريخ الكنيسة القبطية » وقد رد عليه المتنيح القس منسى يوحنا فى نبذة طبعها سنة ١٩٢٥ م ونورد هنا هذه النبذة للفائدة

رد على انتقاد

الأب لويس شيخو اليسوعى

لكتاب « تاريخ الكنيسة القبطية »

بقلـــــم

القس منسى يوحنا

راعى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بملوى (سابقا)

ومؤلف كتاب « تاريخ الكنيسة القبطية »

تمهيد

أطلعنى بعضهم على انتقاد حرره الاب لويس شيخو اليسوعى بمجلته « المشرق » لكتابى « تاريخ الكنيسة القبطية » وطلب الى الرد عليه فأحجمت أولا لأن الانتقاد لم يحو شيئا يستحق الرد الا أننى لبيت دعوة الداعى خوفاً من أن يظن الاب أن انتقاده قضي لبانته من حيث هدم الحجج القوية التى أقمناها على بطلان ادعاءات كنيسته . وها أنا أقدم ردى وجيزا وأترك الحكم لفطنة القارىء . ينحصر انتقاد الأب لويس على كتاب « تاريخ الكنيسة القبطية » فى الامور الآتية :

١ — انى تعرضت لما لا علاقة له مع الاقباط من التاريخ الكنسى العام

٢ — انى كنت مدفوعا بعامل التعصب القومى

٣ — ان ما كتبته بشأن تأسيس القديس مرقس الرسول للكرسى الاسكندرى لا سند له الا فى مخيلتى

٤ — ان قولى بسقوط ليباريوس أسقف رومية فى الهرطقة محض افتراء

٥ — ان تقاد قولنا نقلا عن استاذ يسوعى « بأن تقدم الباباوات منة منحت لهم من الجامع والقياصرة لا من الله »

٦ — اعتبار قصة البابا حنه حديث خرافة

الســـرد

هذا فحوى انتقاد الاب لويس ونجيب عليه :

أولا ــ انى لم أتعرض للتاريخ الكنسى العام الا انه يرتبط ارتباطا قويا بتاريخ الكنيسة القبطية . وهل يستطيع الاب لويس أن يكتب لنا تاريخ كنيسة رومية فى القرون الخمسة الاولى دون أن يتعرض لتاريخ الكنيسة القبطية ؟

وهل يمكنه أن يقول ان أبطال الكنيسة الذين مثلوا دورا مهما مجدوا به اسم مخلصهم لم يكن جلهم ان لم نقل كلهم من أبناء الكنيسة ؟ وهل ينكر أن المسيحية فى عصورها الاولى لم يكن مديروها ومرشدوها من باباوات الكرسى المرقسى ؟ ليتصفح التاريخ الكنسى العام ملقيا الغرض جانبا ليرى ان كنيسته التى يدعى بأنها أم الكنائس احتاجت فى أوقات ارتبكت فيها أمورها الى من يصلح شأنها من رجال الكنيسة القبطية كالبابا ديونيسيوس الذى أعاد بحسن سعيه الكرسى الاسقفى الرومانى الى كرنيليوس (٢٤٥ م) بعد أن كان قد اختطفه منه نوفاسيانوس المبتدع . وكالقديس اثناسيوس الرسولى الذى نظم أحوال كنيسة رومية أثناء اقامته بها . وكالبابا بطرس الثانى الذى توجه الى رومية سنة ٢٧٤ م وحرك أسقفها داماسوس على أن يعقد مجمعا مكانيا يحرم فيه بدع ابوليناريوس ومارسيل ومكدونيوس لينفى عن كنيسة رومية شبهة موالاتها للهراطقة . فكيف يعيب علينا حضرة الاب تعرضنا للتاريخ الكنسى العام ولم يكن التاريخ الكنسى العام فى الاربعة العصور الاولى سوى تاريخ الكنيسة القبطية اذ لم يظهر على مسرح جهاده و يقوم بالدفاع ضد الهراطقة والمبتدعين سوى باباوات ورجال الكنيسة المرقسية

ثانيا ــ ولقد أتهمنا الاب بأننا كتبنا مدفوعين بعامل التعصب القومى . فليسأل نفسه وليحكم ضميره . ألا يؤخذ من انتقاده ان كل حرف خطه بنانه تتجلى فيه روح التعصب الذى اشتهر به الباباويون فى كل زمان ومكان وهل الذى يدافع عن كنيسته و يرد عنها الافتراء المعيب هو الذى تغشى أبصاره النعرة القومية أم الذى يهجم على شرف الكنائس النقية وحبا فى تأييد سلطان يزعمه لنفسه يحاول أن يلطخه و يلصق به كل شين وعار زورا وبهتانا ؟ ولا يكفيه ذلك بل يفتات على تلك الكنائس وبجرأة ينكر كل ما اشتهرت به من الفضائل . وهل لم يكن البابا ويون مدفوعين بروح التعصب الذميم وهم يريدون أن ينسبوا كل فضل على كنيسة المسيح لانفسهم ويحاولون أن يغتصبوا كل ما تعب فيه غيرهم و ينسبوه لذواتهم . فحق فيهم قول القديس باسيليوس الكبير الذى استاء من داماسوس أسقف رومية نظرا لاستخفافه بقوانين الكنيسة ومقاومة آباء الكنيسة الانطاكية فكتب للبابا اثناسيوس الرسولى يقول « ان نشر الوية السلام فوق ربوع كنيسة انطاكية منوط بك وحدك . لأن ما أصاب هذه الكنيسة يفتقر الى شفقتك الانجيلية وحكمتك

الرسولية . ان كنيسة انطاكية أيها القديس لم تمزقها أيدى الهراطقة بل أيدى أولئك الذين يدعون انهم ارثوذكسيون (يريد أساقفة رومية) وهم شر من الاريوسيين » أهـ (راجع رسالة الـ ٦٦) ثم ارسل ثانية يقول له « ان الهراطقة يحتمون بالاساقفة الرومانيين الذين يغرسون بذور الشقاق أينما حلوا » (رسالة ٦٩ و ٨٠)

ثالثا — وقد كان الاب قاسيا على الحقيقة فى انتقاده حين قال « وكل ما كتبه عن القديس مرقس والقديس بطرس فى كتابه (ص ٧ — ١٢) لا سند له الا فى مخيلته » أهـ مع اننا لم نترك حقيقة ذكرناها دون أن نسندها الى شاهد انجيلى أو تاريخى . فقد قلنا ان علاقة مرقس الرسول ببولس الرسول كانت أشد اتصالا من علاقته ببطرس . وأتينا بشهادة بولس نفسه حيث ذكر لاهل كولوسى سنة ٦٣ م ان مرقس مرسل اليهم من قبله (كو ٤ : ١٠) و يتضح من رسالة بولس الى فليمون (عد ٢٤) ان مرقس كان حينئذ معه فى رومية . وفى سنة ٦٧ أو ٦١ م يذكر بولس أن مرقس كان فى أفسس وطلب من تيموثاوس أن يحضره اليه برومية (٢ تى ٤ : ١١)

فواضح من كل هذا ان مرقس خدم مع بولس لا مع بطرس اذ لم يذكره بطرس سوى مرة واحدة حيث يقول فى رسالته الاولى ٥ : ١٣ «تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم ومرقس ابنى » وقد حاول البابا و يون كعادتهم فى تحريف الكلام عن مواضعه لحاجة فى نفوسهم ان يبرهنوا على ان بطرس يعنى ببابل « مدينة رومية » واستدلوا على ذلك ببرهان أو هى من بيوت العنكبوت وهو اطلاق صاحب سفر الرؤ يا (١٤ : ٨) لقب « بابل » على رومية مع ان سفر الرؤ يا كتب بعد موت بطرس الرسول بثلاثين سنة كما شهد بذلك القس يوسف الحلبى المارونى فى مقدمة كتابه « العنوان العجيب فى تفسير رؤ يا يوحنا الحبيب » الذى طبعه المطران يوسف الدبس وكما يشهد الدومينيكان فى كتابهم العهد الجديد ص ٥٢٥ . قلنا فى كتابنا « تاريخ الكنيسة القبطية » ان بطرس قصد ببابل « بابيليون مصر » التى كانت حينئذ آهلة باليهود وكانت مهمة بطرس تبشير أهل الختان لاسيما الذين فى الشتات كما يصرح بذلك بطرس نفسه فى رسالته الاولى ص ١ : ١ وأثبتنا قولنا بذكره لمرقس عقب ذكره لبابل لان مصر كانت موضع خدمة مرقس كما هو معلوم وهذا هو ميتا فرست الكاثوليكى يقول « ان بطرس بعد المجمع الاورشليمى (٥٢م) رجع الى رومية (كذا) واجتاز فى طريقه مصر وافريقية » (راجع سير القديسين للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٧٩٥) ولكن البابا و ين لا يزالون يكابرون و يدعون ان مرقس الرسول كتب انجيله برومية . وهل فى وسعهم أن يكذبوا القديس يوحنا فم الذهب الذى قال فى ميمره على انجيل متى ١ : ٣ « ان انجيل القديس مرقس قد كتب فى مصر » أهـ وكنا نود لو انهم أقاموا الادلة على صدق دعواهم بدل أن يكذبونا من غير دليل . وانى لهم ذلك والحق يشهد انهم عاجزون عن ايراد دليل تاريخى واحد غير مرتاب فيه لان تلاعبهم بالشهادات التاريخية امر مشهور ومعلوم وقد سجله عليهم بطريرك الاقباط الكاثوليك كيرلس مقار فى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة »

نسألكم فأجيبونا في أية سنة كان مرقس متتلمذا لبطرس في رومية ؟ انه يعوزكم دليل واحد في كتاب الله على اثبات ذهاب بطرس الى رومية فضلا عن اثبات اقامة مرقس بها ليكون تلميذا لمعلم لم تطأ قدماه أرض مدينة رومية الا في آخر أيام حياته

بعد استشهاد استفانوس رئيس الشمامسة خرج بطرس ينادي بالانجيل في أطراف اليهودية (أ ع ٩ — ١٢) و بعد رجوع بولس من دمشق نجده معه في أورشليم (غل ١ : ١٨) ثم نجده سجينا بأورشليم سنة ٤٤ م (أ ع ٢١ : ٢٤) ثم نجده في المجمع الرسولي الذي انعقد في أورشليم سنة ٥٠ م (غل ٢ : ٩ وأع ١٥ : ٧) ثم نقرأ أنه كان في انطاكية بعد ذلك بسنتين تقريبا (غل ٢ : ١١) ومع ان بولس بعث بالرسالة الى أهل رومية من مدينة كورنثوس سنة ٥٨ م لم يأت على اسم بطرس في عدد الذين أرسل اليهم سلاما وذكر أسماءهم ولو كان بطرس في رومية وقتئذ لما ألغى اسمه مع كونه عمودا في الكنيسة (غل ٢ : ٩) وقال الرسول بولس في رسالته لاهل رومية « فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضا » (رو ١ : ١٥) فكيف ذلك لو كان بطرس قد سبقه و بشر في رومية وهو يصرح بأنه يحترس دائما من أن يبني على أساس غيره (رو ١٥ : ٢٠) وقال القديس لوقا كاتب سفر الاعمال (٢٨ : ١٤ - ١٧) عن وصول بولس ورفقائه الى رومية « ومن هناك لما سمع الاخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا . فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع » فليس من ثم ذكر لبطرس هنا فهل أهمل الكاتب ذكر استقبال بطرس لبولس مع الاخوة لو كان معهم وهو رأس الكنيسة المنظورة أم اعتبر بطرس قيامه لمقابلة بولس أمرا غير لائق بمقامة العظيم . أظن انه لم تكن روح الكبرياء السائدة على قلوب باباوات رومية قد سادت بعد على قلب بطرس الذي دوى في أذنيه قول سيده « أكبركم يكون خادما لكم » وقال الرسول بولس في رسالته لاهل كولوسي التي أرسلت من رومية سنة ٦٣ م « يسلم عليكم ارسترخس المأسور معي ومرقس ابن أخت برنابا . و يسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان . هؤلاء هم وحدهم العاملون معي لملكوت الله » (كو ٤ : ١٠ و ١١) فلو كان بطرس قد سبق بولس في تأسيس كنيسة رومية أو على الاقل كان شريكا له أما كان الواجب على رسول الامم أن يقدمه على أولئك الثلاثة المختونين ؟ وكيف جاز لبولس أن يسقط « رسول الختان » من بين أهل الختان الذين عاونوه في تأسيس كنيسة رومية ؟ وماذا يقول الباباو يون في لوقا الانجيلي الذي قال « و بعد ثلاثة أيام (من وصول بولس الى رومية) استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود .. (فقولوا له) نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى لانه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب انه يقاوم في كل مكان فعينوا له يوما فجاء اليه كثيرون الى المنزل فطفق يشرح لهم شاهدا لملكوت الله ومقنعا اياهم من ناموس موسى والانبياء بأمر يسوع من الصباح الى المساء . فاقتنع بعضهم بما قيل و بعضهم لم يؤمنوا » (أ ع ٢٨ : ١٧ — الخ) فهل يصح أن يقال ذلك عن أهل مدينة قضى بطرس فيها مدة طويلة يبشرهم بالمسيح ؟ ليسمع أصحاب الحجى و ينصفوا . وأخيرا بولس كتب الى تيموثاوس من رومية قبل استشهاده بقليل (٢ تي ٤ : ١٠ و

١١) وتشكى من ترك المسيحيين له ما عدا لوقا فقال بصريح العبارة (لوقا وحده معى) دون أن يلمع الى بطرس فليقل لنا البابا ويون من نكذب أكتاب الله أم اياهم ؟

يدعى الكاردينال بارونيوس فى جدوله للازمنة عن سنتى ٤٢ و ٤٣ بأن بطرس توجه الى رومية فى أواخر سنة ٤٢ م ومع ان هذه دعوى فاسدة بلا دليل الا انه لا يعقل أن بطرس الذى بحسب شهادة بارونيوس نفسه قد أقام بانطاكية سبع سنين يؤسس كنيستها من سنة ٣٦م لا يقضى برومية غير وقت قصير ومن ثم يبرحها الى أورشليم لان الكتاب المقدس يخبرنا انه فى سنة ٤٤ كان فى سجن أورشليم (أع ١٢ : ٤) والحقيقة ان الرسل لم يبرحوا أورشليم قبل سنة ٤٥ م وها هم الفرنسسكان يقولون فى ص ٣٣ من تاريخهم الكنسى المطبوع بأورشليم سنة ١٨٧٢ م « ان الرسل بعد تبشيرهم اليهودية تفرقوا لتبشير العالم سنة ٤٥ م » أه وها هو أبولونيوس من أئمة القرن الثانى يقول «انى تسلمت من الاقدمين ان المسيح قبل صعوده الى السماء كان قد أوصى رسله بألا يبتعدوا كثيرا عن أورشليم مدة اثنتى عشرة سنة » أهـ (أوسابيوس لك ٥ : ف ١٨)

و يدعى المطران يوسف الدبس فى كتابه « تحفة الجيل فى تفسير الاناجيل » ص ٣٧٣ « ان بطرس ومرقس قصدا رومية سنة ٤٥ م أى بعد خروج الاول من سجنه بأورشليم » أهـ فكيف نوفق بين هذا القول و بين ما يثبته سفر أعمال الرسل حيث يشهد بأن مرقس كان فى نفس هذه السنة وما بعدها مشاركا بولس و برنابا فى الكرازة (أع ١٣ : ٢٥ و١٣ :١٣ و١٥ : ٣٧ ـ ٣٩) بل كيف نوفق بين رواية الدبس هذه و بين ما قرره الخورى يوسف العلم فى كتابه « تيسير الوسائل فى تفسير الرسائل » ص ٧٦٩ حيث قال « انه فى سنة ٤٥ م أمر القيصر كلوديوس بنفى المسيحيين واليهود من رومية » أهـ فكيف يتفق ان يتوجه بطرس ومرقس الى رومية مع الامر بنفى اليهود والمسيحيين منها ؟ والصواب ما يرو يه العلامة لاكتنس . الذى ائتمنه القيصر قسطنطين على تهذيب ابنه كرسبينوس والذى لفصاحته سمى شيشيرون المسيحى حيث يقول فى كتابه « الاضطهادات » ص ٣ « انما سافر بطرس الى رومية فى حكم القيصر نيرون» أهـ ومعلوم ان نيرون ملك من سنة ٥٤ ـ ٦٨ م

فلعل الاب شيخو يعلم بعد هذا ان ما كتبناه بشأن القديسين بطرس ومرقس له سند صحيح لا فى مخيلتنا بل فى الكتاب المقدس وكتب الآباء المعتبرين وكتب البابا و يين أنفسهم . أما قوله بذهاب بطرس الى رومية فلا يستطيع أن يسنده بشاهد كتابى واحد حتى قال بعضهم « ان كاتب سفر الاعمال أتى بذكر أمر طفيف كحلاقه رأس بولس (أع ١٨ : ١٨) ولم يأت على لفظ واحد ولو مجازى يؤخذ منه دخول بطرس الى رومية » فبماذا يجيب الاب شيخو؟

أما دعواهم بأن بطرس أقام مرقس أسقفا على الاسكندرية وهو فى رومية فهى التى يقال عنها صواب القول لا سند لها صحيح الا فى مخيلتهم ففضلا عما أثبتناه من عدم ذهاب بطرس الى

رومية نذكر ما جاء بكتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » ص ٣١٨ « لان الرسل لم يكونوا ليقيموا الاساقفة على الكنائس الا بعد تأسيسها بايجاد الرعية لئلا يقام الراعى على الجدران و يكون بلا كرسى Inpartibus . وفضلا عن ذلك فان كتاب الله والتقليد الرسولى وتاريخ الكنيسة تنبئنا صراحة بأن رسل الرب كانوا يؤسسون الكنائس ولم يكونوا ليبرحوها لتأسيس غيرها الا بعد ان يقيموا عليها الاساقفة الخاصة بها والملزمين برعايتها والسهر عليها كما أتى ذلك بولس فى انطاكية وورومية و بطرس فى اليهودية . ومرقس فى الاسكندرية الخ ولم تنبئنا تلك الكتب المقدسة بأنهم كانوا يقيم بعضهم بعضا أساقفة تلك الكنائس التى يؤسسونها . ولو أتوا ذلك لنقضوا أمر مرسلها الذى ائتمنهم على تبشير العالم بأسره حيث قال لهم « اذهبوا الى العالم أجمع وأكرزوا بالانجيل للخليقة كلها (مر ٢٦ : ١٥) والخلاصة ان الرسل والتلاميذ هم أساقفة مسكونين لا مكانيون ما عدا يعقوب أخا الرب فانه فضلا عن كونه أسقفا مسكونيا فقد أقيم أسقفا مكانيا على أوشليم وذلك بصفة استثنائية . وذلك من يد المسيح نفسه بشهادة الذهبى الفم (مقالة ٢٨ على ١ كو ١٥) ومن يد الرسل بشهادة ايرونيموس (سلسلة المؤلفين الكنسيين ف ٣)

رابعا — نسب الى الاب شيخو الافتراء لانى قلت بسقوط ليباريوس أسقف رومية فى الهرطقة لان هذا يهدم دعواهم بعصمة البابا ولكن الاب لم ينصف فى ذلك بل كان عليه أن يقيم الحجة ضد مؤرخ كاثوليكى مثله نقلنا شهادته وسجلناها بكتابنا و يظهر أنه (خجل) أن يذكرها فوجه الينا سهام لومه وأعرض عن ذكر « المعلم الفاضل لومند اليسوعى) مؤلف كتاب « خلاصة تاريخ الكنيسة » المطبوع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٤ م الذى قال بكتابه ج ١ ص ١٩٢ ما نصه : « أما البابا ليباريوس فكان أولا أبدى عزما شديدا الا انه فشل فيما بعد لما قاساه من زعج المنفى فأمضى على شجب اثناسيوس » أهـ وما معنى الموافقة على شجب اثناسيوس الا شجب الوهية المسيح المبدأ الذى كان يدافع عنه اثناسيوس ولاجله اضطهد لان اثناسيوس لم يأت وزرا يستحق عليه الشجب بشهادة البابا و يين أنفسهم ؟

ولننقل هنا بعض الشهادات التى تؤيد قولنا عن كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » فليفندها الاب شيخو وأرجو أن لا يحيلنا الى مجلة « المشرق » وانا لجوابه لمنتظرون :

قال القديس اثناسيوس فى كتابة « تاريخ الاريوسيين » ف ٤١ و ٤٦ « ان ليباريوس سقط فى الهرطقة الاريوسية بعد أن قضى فى النفى سنتين » أهـ وقال فى احتجاجه الثانى ضد الاريوسيين ف ٨٩ « انه لم يستطع أن يحتمل آلام النفى فكبا » أهـ وذكر أورنيموس فى كتابه « مشاهير الرجال » ف ٩٧ وفى « جدوله للازمنة » عن سنة ٣٥٤ م « ان ليباريوس سئم المنفى وضجر من الوحدة . فأمضى الكفر الاريوسى . ودخل رومية بعد ذلك الجحود ظافرا منتصرا » أهـ وقال هيلاريوس أسقف بوايتيه فى الرسالة التى بعث بها الى القيصر قسطنس « لقد كنت بافراجك

عن ليباريوس أشد كفرا وأكثر الحادا مما كنت عليه عند أمرك بنفيه » أهـ وقال أيضا ذلك الاسقف الارثوذكسى الغربى فى رسالته الى ليباريوس ف ١١ « الويل لك أيها المجرم الخبيث . الويل للمقطوع من شركة الكنيسة الجامعة . الويل لك يا مثلث اللعنة » أهـ

وفوق ذلك فقد ظهر فى القرن الخامس ثلاثة كتب لاتينية تسجل على ليباريوس سقوطه فى هرطقة أريوس . ولم تزل هذه الكتب موجودة حتى اليوم وهى « تراجم الباباوات الرومانيين » و « أعمال استشهاد القديس فيلكس الثانى » و « أعمال استشهاد القديس أوسابيوس أسقف فرسيل الذى قتله ليباريوس » ولقد قال القس أوكسيليوس (أحد رجال القرن العاشر) فى كتابه « الدفاع عن البابا فرموز ضد البابا سرجيوس الثالث (وكلاهما رومانى) « من ذا الذى يجهل أن ليباريوس أنغمس فى الهرطقة الاريوسية . وانه أصبح ركنا من أركان الهرطقة الفظيعة . ومن لا يدرى ان سلوك ذلك الاسقف الضال بات سببا فى المصائب التى حلت برومية بعد عودته اليها » وقد أشار الكردينال بارونيوس الى تلك المصائب بأن قال (لما استرد ليباريوس كرسيه أجبر الشعب على اتباعه فى ضلاله . واضطره الى قبول الاسرار الالهية من يده غير أن الرومانيين قد رفضوا هذه الشركة الاثيمة وانفصلوا عن أسقفهم الجانى الذى أثار عليهم حربا عوانا سفكت فيها دماء الابرياء حتى فى صحن الكنائس وأمام الهياكل » راجع بوسيه فى كتابه (الدفاع عن اقرار الاكليروس الفرنسى) ك ٩ ف ٣٣ و بيوس التاسع أسقف رومية صدق على قاموس بولييه القائل فى ص ١٠٤١ (ان المنفى قد زعزع ايمان ليباريوس فوقع على صورة الاريوسيين) أهـ . وقال الاسقف الفرنسى بوستيل فى ص ١١٠ من كتابه (تاريخ الكنيسة المطبوع سنة ١٨٤٢ فى مطبعة الآباء الاغسطينيين فى (ليل) (بفرنسا) « ان ليباريوس قد جبن لدرجة أدت به الى أن يوقع الحرم على القديس اثناسيوس الاسكندرى »أهـ وجاء فى كتاب « الدلالة اللامعة » المطبوع بعناية مجمع انتشار الايمان برومية ص ١٤٧ وفى كتاب « تاريخ الكنيسة » ج ١ ص ١٩٢ و١٩٣ للومند الجزويت ما يؤيد سقوط ليباريوس فى الهرطقة . وقال غريغوريوس جرجس شاهين (رئيس أساقفة السريان الكاثوليك بدمشق) فى كتابه « نهج وسيم » ص ١٣٥ « يعلم التاريخ اليقينى ان ليباريوس الحبر الرومانى كان قد صدق على صورة ايمان الاريوسيين الناكرى لاهوت المسيح « أهـ وليفونسوس مارديادى ليكورى أحد قديسى الكنيسة الكاثوليكية يقول فى كتابه « دحض الهرطقات » ص ٨٣ عن ليباريوس نقلا عن أورسى م ٦ ك ١٤ عد ٧١ « انه أمضى احدى الصور الاريوسية حارما القديس اثناسيوس » وكتب فى ص ٨٦ نقلا عن الكردينال بارونيوس فى جدوله للازمنة عن سنة ٣٥٧ ف ٥٧ عن فيلكس الذى سبق وذمه لانه أخذ مكان ليباريوس « انه لما سمع بخطأ ليباريوس أتحد مع الكاثوليكيين وحرم الملك ومن ذلك الوقت ابتدأ أن يعتبر بابا شرعيا كما ابتدأ أن يحسب ليباريوس معزولا من الباباوية » أهـ والغريب أن ليكورى فى سلسلة باباوات رومية يعتبر كل من ليباريوس وفيلكس بابا و يصدر اسمه بلفظة « قديس »

قال الاب كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك فى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » أضف الى هذا الالحاد الذى ارتكبه مجموع الاسقفية الغربية الحاد البابا ليباريوس نفسه بصفته أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة فى الغرب كله فان ليباريوس هذا بعد أن سئم آلام النفى مدة سنتين وتاقت نفسه الى أن يعود الى التربع على كرسى رومية الكبير.. جحد ايمان نيقية وقطع القديس اثناسيوس من شركة الكنيسة واعتنق الاريوسية » أهـ ليفحص الاب شيخو جيدا كتاب « سيرة القديسين » المطبوع بالموصل سنة ١٨٧٠ م بمعرفة الرهبان الدومنيكان فيجد انهم قد غفلوا اسم ليباريوس اغفالا ولم يرضوا أن يحسبوه قديسا . أما احتجاج الاب علينا بأن سنكسار كنيستنا القبطية يذكر عيد ليباريوس فلا يزيف قولنا لاننا نعتقد أن ليباريوس بعد أن سقط فى الهرطقة تاب وندم ونحن نجادلكم فى امكان سقوط البابا (المعصوم) فى الخطأ لا فى هل مات ليباريوس قديسا أو هرطوقيا

خامسا — انتقد الاب شيخو قولنا نقلا عن أستاذ يسوعى « بأن تقدم الباباوات منة منحت لهم من المجامع والقياصرة لا من الله » لقد أنكر أولا وجود يسوعى يدعى « ارهاديوس بيليوس » فمع اننا نعترف له بسعة الاطلاع الا اننا ننكر عليه أنه لم تعد تخفى عليه خافية أو لم يعد يجهل كتابا مطبوعا وأظنه يوافقنا على ذلك بعد أن تهدأ ثائرة غضبه من كتابنا وتخمد جذوة غيظه ورغبته فى تكذيبنا ولو بالتمويه اذ « العصمة لله وحده » أو « لله وللبابا فقط » كما يعتقد حضرته

أما استغرابه القول « ان تقدم الباباوات منة منحت لهم من المجامع والقياصرة « لا من الله » فليس فى محله « لان الله لم يمنح رسله سلطانا على البقية . وانى على يقين ان الاب لا يجهل ذلك الخلاف الذى شجر بين الرسل فى من منهم هو أعظم فى ملكوت السموات وقد اتفقوا أخيرا على أن يرجعوا فى الامر لسيدهم . وقد كان المخلص له المجد عوضا عن أن يكلف الاب شيخو بذل الجهد فى استخراج الادلة لاثبات رياسة بطرس يستطيع أن يقول له بصريح العبارة « أنت هو الاول والاعظم » ولكن يسوع دعا ولدا وأقامه فى وسطهم وقال « الحق الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم فى ملكوت السموات » (مت ١٨ : ١ — ٣)

قال الاب شيخو « فنسى الشماس قول الرب لبطرس « أنت الصخرة » والرب لم يقل لبطرس « أنت الصخرة » بل قال له « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى » وهذه هى الترجمة الحقيقة اليونانية وتطابقها الترجمة القبطية وهاك لفظها بلغتنا :

وانا اقول لك أنت بطرس وسأبنى كنيستى على هذه الصخرة

فالصخرة اذن التى بنيت عليها كنيسة المسيح هى حسن الاعتراف بالسيد المسيح بل ان السيد المسيح ذاته هو صخرة الحق لا شخص بطرس بل أعترافه الحقيقى بسيده انه ابن الله الحى فالشماس لم ينس قول المخلص لبطرس « أنت الصخرة » اذ لم يقل له ذلك ولكن الاب شيخونسى قول كتاب الله « الرب صخرتى وحصنى ومنقذى » (٢ صم ٢٢ : ٣) وقوله أيضا « ليس صخرة مثل الهنا » بل نسى قول بطرس نفسه « هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية » (أ ع ٤ : ١١) وقوله أيضا « لذلك يتضمن أيضا فى الكتاب هنذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختارا كريما والذى يؤمن به لن يخزى . وحجر صدمة وصخرة عثرة » (١ بط ٢ : ٦ — ٨) وقول بولس « لانهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠ : ٤)

قال الخورى يوسف العلم فى « تفسير الرسائل » ص ١٤ فى شرح قول الرسول بولس « لا يستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذى وضعه يسوع » (١ كو ٣ : ١١) « قال القديس انسلموس وغر يغوريوس فى هذه الآية أن أساس الكنيسة وأساس كل مؤمن فيها انما هو يسوع المسيح أى الايمان بالمسيح المخلص » وعلى هذا المعنى يكون المسيح وحده أساس الكنيسة القائم بنفسه المسند كل البناء . وأما تسمية الرسل بأساسات الكنيسة كما ورد فى سفر الرؤيا ص ٢١ فليست من هذا القبيل بل من حيث تبشيرهم وتعليمهم فى الاول » أهـ

استدل الاب ثانيا على رياسة بطرس وخلفائه بقول المخلص له ليلة آلامه « لقد صليت لاجلك لكى لا ينقص ايمانك » (لو ٢٢ : ٣١ و٣٢) ولو تأمل جيدا فى هذا القول بعد أن يرفع حجاب التعصب الذميم الذى يتهم به غيره لرأى فيه انذار لبطرس لا تثبيتا لرياسته لان المخلص قال له هذا بعد قوله « سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة » فهذا التخصيص فى المخاطبة لا يستدل منه على تولية بطرس الزعامة بل يفهم منه انه تنبيه وايقاظ حتى يكف عن الاتكال على نفسه والاعتماد على ذاته خشية السقوط . وقوله « صليت لاجلك » لا يقصد به انه يمنحه بركة خاصة وامتيازا بل انه سينكره ولكنه له المجد لا يسمح بهلاكه . وقد سبق الرب وصلى لاجل كل الرسل (يو ١٧ : ٩ و١١ و١٥ و١٧ و١٩) أما قوله « لئلا ينقص ايمانك » فلا يراد به أنه يعينه حتى لا ينقص ايمانه شيئا بل لكى لا يفنى كلية والدليل على ذلك من وجهين :

١ — ان النص القبطى كاليونانى معناه « لئلا ينفذ (أو يفرغ) ايمانك »

٢ — ولو كان المعنى ان ايمانه لا يشوبه نقص لما رؤى يجاهر بجحود سيده أمام أمة . فمفاد قول المخلص أنه سيسقط ولكنه سيقوم بالتوبة

استدل الاب ثالثا بقول المخلص لبطرس بعد قوله « لقد صليت لاجلك لكى لا يفنى ايمانك » « وأنت متى رجعت فثبت اخوتك » و يفهم مما مر بنا ان المخلص يعلم بطرس ان سقوطه وقيامه سيكون نموذجا للآخرين حتى لا ييأس أحد من الخلاص ومما يؤيد ذلك ان بطرس لما سمع خطاب سيده لحد قوله « وأنت متى رجعت فثبت اخوتك » وتجرأ على اجابته قائلا « يارب انى مستعد أن أمضى معك حتى الى السجن والى الموت » فالمخلص كرر الانذار اليه قائلا « أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفنى » (لو ٢٢ : ٣٣ و ٣٤) فكأنه يقول له أيها الضعيف الذى تدعى بأنك ستثبت معى فى آلامى دون باقى الرسل ستكون وحدك منكرا لى عكس ما تدعيه الآن .

استدل رابعا بقول المخلص لبطرس بعد القيامة « أرع خرافى ونعاجى » و واضح لمن يتأمل قليلا فى تنبيه السيد لبطرس ليلة الآلام أنه سينكره ثلاث مرات وأصرار بطرس على عدم التسليم بذلك وفى سؤال السيد لبطرس بعد القيامة بقوله « أتحبنى » أنه يذكره بما فرط منه حتى يتعلم أن لا يعتمد على ذاته أبدا . والدليل على ذلك أنه حينما سئل بطرس من المخلص ثالثة « أتحبنى » وقال له « يارب أنت تعلم كل شيء أنت تعلم أنى أحبك وكأنه فهم أن السيد يريد أن يذكره بما بدا منه ليلة الآلام من الادعاآت المتكررة التى لم يف منها بشيء فتأثر وشمله الحزن . فهنا تكرار السؤال ليس معناه تولية بطرس الرياسة بل تأنيبه وتهذيبه والا لفرح بطرس وتهلل عوض الحزن الذى ملأ قلبه .

ومعنى قوله (أرع) تثبيت بطرس حتى لا ييأس كلما تذكر سقوطه فالمخلص بقوله (أرع) أعاد لبطرس صفة الرعوية كباقى الرسل اخوته التى فقدها بجحوده . على أن السيد له المجد لم يحصر تفويض الرعاية فى شخص بطرس بل فوضها لكل من رسله قبل صعوده الى السموات (راجع مت ٢٨ : ١٨) ... الخ ومر ١٦ : ١٥ ولو ٢٤ : ٢٧ و ٤٨ و ٥٠ و يو ٢٠ : ١١) و بولس الرسول سمى قسوس أفسس رعاة (ا ع ٢٠ : ٢٨) و بطرس نفسه أطلق لقب راعى على كل عامل فى كرم الرب (١ بط ٥ : ٤ — ٤) قال القديس كيرلس (أن باعتراف بطرس المثلث محيت خطيئة الجحدات الثلاث . و بأقوال يسوع المسيح لبطرس ثلاثا ارع غنمى قد عينه جديدا فى رتبة الرسولية كى لا يتبين بأنه قد عدمها بسبب الجحد الذى حصل بسبب ضعف البشرية) .

« كتاب الفاحص والمؤمن ص ٩١ »

سادسا — اعتبر الأب شيخو قصة البابا حنة حديث خرافة مع انا أشرنا بكتابنا ص ٤٤٢ الى المصدر الذى نقلنا عنه روايتها وهو موسيهم الذى نقلها عن مؤرخين غربيين . كذا ذكرها الأب جراسيموس مسره فى كتابه (تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٣٥٧) وهل يستطيع الأب أن يمحو قصة هذا البابا من كل كتب التاريخ التى تملأ الأرض حينئذ نرى من التعصب الذميم أن نذكرها أما وهى قصة مشهورة ومعروفة فليس له حق أن يتهمنا بالتعصب لأننا أشرنا اليها .

وهل يعتبر الأب أن قصة البابا حنة وصمة عار فى جبين البابا وية . وهل نسى أو تناسى تاريخ البابا وية فى القرن العاشر أو لم يقرأ شيئا عن الباباوات الذين اتخذهم الروائيون أبطالا لقصص مخزية تمثل على المسارح كالبابا اسكندر السادس (بورجيا) لعلك ترى بعد ذلك أيها الاب أن الشماس لا يستحق لقب (المتعصب الذميم) الذى لقبته به والا كنت تتهم به كل مؤرخ كان نزيها وخاليا من الغرض كم من حوادث مستنكرة تشوه بها تاريخ البابا وية نمسك القلمَ عن الخوض فيها حتى لا يندى منها وجه الأديب حياء .

أما باقى ما ورد فى انتقاد الأب من شتائم ومذام فنجل أنفسنا عن الرد عليها فقط كنا نتوقع أن يترفع الاب وهو رجل عالم وله صفة أكليريكية عن توجيه قوارص الكلام لمن يرغب فى مناظرته . وكان أجدر به أولى أن يصرف همه الى اظهار الحقيقة مجردة عن الألفاظ القاسية التى نسامحه عليها ونتمنى الا يلوث بها قلمه مرة أخرى .

هذا وقد أخذ الأب يرمينا بل ورمى الشرقيين عامة بقلة العلم وأنشأ يفخر بالغربيين وبتفوقهم واستدل على ذلك بكلمه دوناها بكتابنا أسفنا فيها على قلة عنايتنا بحفظ آثار آبائنا فمعنى ذلك أيها الأب أنا نعلم تمام العلم فضل مجهودات آبائنا عليكم ونلوم أنفسنا على تركها غنيمة باردة لكم تثقفون بها عقولكم ثم يكون الجزاء أن تجحدوا وتكفروا النعمة وتدعوا أن المعارف منكم نشأت واليكم تعود .

تلك حقيقة نربأ بالأب ان ينكرها ولا يعترف بها وهو المستشرق المعروف الذى لم يجد فى كتب الغربيين ما يروى ظمأه وتعطشه للعمل و وجد ذلك فى المكاتب الشرقية التى علمته كيف يمسك القلم ليجرى بسب أهلها وتحقيرهم بأنهم أقل منه كفاية ودراية سامحه الله ..

لقد تذرع الأب بخطأ ورد سهوا وهو الاشارة الى القديس اغناطيوس أسقف أنطاكية بأنه أسقف رومية وعهدنا بالعلماء التواضع ولكن الاب تنكب طريقهم وراح يملأ ما ضغيه فخرا . غفر الله له هذا التباهى الذى لم يكن يليق برجل علم ودين مثله .

خطاب بطر يركى

أرسل غبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس الخامس بطر يرك الكرازة المرقسية خطابا لمؤلف كتاب «تاريخ الكنيسة القبطية » بتاريخ ١٦ أبيب سنة ١٦٤٠ ش عقب تقديم نسخة منه لغبطته هذه صورته :—

ختم
كيرلس
بطر يرك الكرازة المرقسية

حضرة الابن المبارك الشماس منسى القمص واعظ أقباط ملوى باركه الرب ونرغب منحكم البركات وامدادكم بصالح الدعوات بمنه وكرمه تعالى تكونون حائزين تمام المسرات .استلمنا هديتكم كتاب تاريخ الكنيسة تأليفكم

فتصفحناه ووجدناه كتابا مفيدا مستوفيا الايضاح نافعا لعموم أولادنا الأقباط لكى يعرفوا تاريخ آبائهم و يقتدوا بسيرتهم الصالحة وجهادهم الحسن ولذا ترونا مسرورين من عملكم المفيد وندعو لكم بالنجاح والصلاح كى تستمروا فى مثل هذه الأعمال الصالحة ونسأل الله القدير أن يبارككم بيده العالية ويجعل دائما كل اعمالكم مباركة لمجد أسمه القدوس . وسلام الرب يشمل جميعكم ولعزته الشكر دائما ،

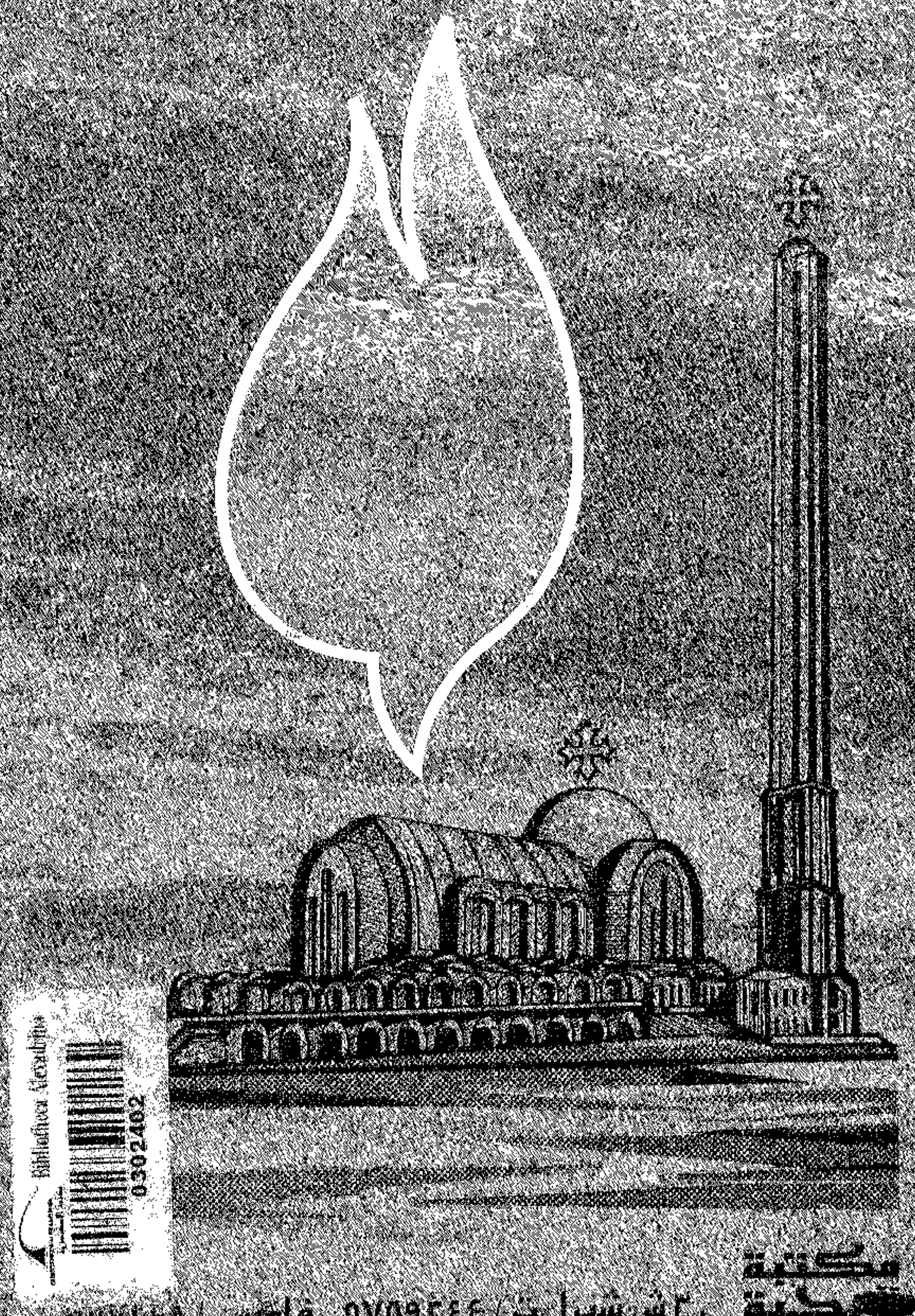
تصويب

رقم الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٥٨	اعتقاد القائلين	اعتقاد بقرب القائلين
٢٧٠	فرفضى	فرفض
٢٧٢	به به	به من
٢٨٣	موسيهم	موسهيم
٣٤١	بيهم	بينهم
٤٢٣	دفها	دفعها
٥٠٨	تيكلم	يتكلم
٥١٩	ماطفته	ملاطفته
٥٣٨	من نحو الروسيون	لاغيه
٥٤٩	الارساليا	الارساليات
٥٥٠	دندار	دندرا

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠٣٦ / ٨٣

الترقيم الدولى X - ١٩٠ - ١٨٧ - ٩٧٧

طبع على مطابع شركة تريكرومى للطباعة


مكتبة
٣ ش شبرا ت/ ٥٧٥٩٣٤٤ فاكس/ ٧٧٧٤٤٨